

المجلس الأعلى للثقافة

# الروائع من الأدب العربي

الجزء الأول

## العصر الجاهلي

طبعة ثانية



إشراف ومراجعة  
د. يوسف خليف





المجلس الأعلى للثقافة  
لجنة الدراسات الأدبية

# الروائع من الأدب العربي

الجزء الأول

العصر الجاهلي

الطبعة الثانية

إشراف ومراجعة  
الدكتور يوسف خليف



٢٠٠١





اشترك في إعداد هذه المجموعة من «الروائع» :

الأستاذ سعد درويش

الدكتور سيد حنفي حسنين

» طه وادى

» عبد الله النطاوى

» محمد حمدى إبراهيم

» محمد مصطفى هدارة

» نبيل راغب

» يوسف خليف





# بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

\* \* \*

## مقدمة

هذه المجموعة من النصوص المختارة من الأدب الجاهلي هي المجموعة الأولى من سلسلة « الروائع من الأدب العربي » التي يُسرّ لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة أن تقدمها إلى المجتمع الأدبي في الوطن العربي الكبير ، إسهاماً منها في إضاءة مشعل جديد إلى جانب المشاعل الكثيرة التي تضيء أرجاء هذا الوطن الخالد الذي تضرب جذوره الحضارية في الأرض الطيبة التي نعتز جميعاً بالانتماء إليها منذ آلاف السنين .

وسلسلة « الروائع » هي أول المشاعل التي تأمل اللجنة أن تُضيئها على طريق النور في مجتمعنا الأدبي . وهي سلسلة وضعت اللجنة في خطتها — منذ تشكيلها الجديد في أكتوبر سنة ١٩٨٠ — أن تصدر في عشرة أجزاء تغطي أدبنا العربي شعراً ونثراً على امتداد رحلته الطويلة التي امتدت أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان ، منذ أن بدأ هذا الأدب نباتاً صحراويّاً فوق رمال الجزيرة العربية في العصر الجاهلي إلى أن انتشرت حدائقه وجناته في كل أرجاء وطننا العربي في العصر الحديث .

ومع قافلة الأدب العربي التي خرجت من أعماق الجزيرة بعد أن أشرقت أرضها بنور ربها حاملة معها المشاعل العربية إلى آفاق الأرض ، ومضت توأصيل

رحلتها على امتداد هذه القرون المتطاولة ، رأت اللجنة أن تسير هذه القافلة على امتداد رحلتها التاريخية الطويلة ، فوضعت في خُطتها أن يكون الجزء الأول للعصر الجاهلي ، والثاني للعصر الإسلامي ، والثالث للعصر الأموي ، والرابع للأدب العربي في الأندلس والمغرب وصقلية ، والخامس والسادس للعصر العباسي ، والسابع للأدب العربي في العصور الوسطى ، والثامن والتاسع للأدب في العصر الحديث ، وأن يُخصَّص الجزء العاشر لمجموعة الفهارس المختلفة لهذه الموسوعة الفهخمة التي تتوقع اللجنة أن تبلغ أكثر من خمسة آلاف صفحة .

ورسمت اللجنة خطة عملها على أساس أن تقدّم لكل مجموعة من هذه السلسلة بدراسة شاملة تغطى جوانب العصر الذى تقف عنده ، وترسم صورة دقيقة لحركة الأدب فيه ، شعره ونثره ، وترصد اتجاهاته ومذاهبه ومدارسه الفنية ، وأعلام الأدباء الذين حركوا حياته الأدبية ووجهوها ، والعوامل المختلفة التي تقف وراء هذه الحركة ، ومظاهر التطور والتجديد فيها ، ثم تبدأ بعد ذلك بمجموعات النصوص المختارة مشروحة ومُعلّقة عليها ، مع تراجم لأصحابها تُعرّف بهم ، وعرض لكل نص من خلال التعريف به وبمناسبتة التي قيل فيها . ورأت اللجنة ألاّ تطيل في هذه التراجم أو في التحليل الفني للنصوص ، على أملٍ تتمنى على الله أن يحققه في إصدار موسوعة أخرى لأعلام الأدب العربي على امتداد عصوره وبيئاته تقدّم فيها دراسات موسّعة لمؤلاء الأعلام ودورهم في الحياة الأدبية ، وإصدار سلسلة من الدراسات النقدية لنصوص مختارة من الأدب العربي تقف منها موقف التحليل والنقد والتقويم .

\* \* \*

ونحن نعرف أن فكرة الاختيارات من الأدب العربي قديمة منذ عصر التدوين في القرن الثاني الهجرى ، عندما اختار حماد الراوية المعلقة ، واختار المفضل المفضليات ، واختار الأصمعي الأصمعيات ، واختار أبو زيد القرشي الجمهرة . ثم



تواصلت الخطى على الطريق ، فظهرت الحماسات المتعددة لأبي تمام والبحترى  
والخالدين وابن الشجري والبصرى وغيرهم . حتى إذا ما وصلنا إلى العصر الحديث  
اشتعلت من جديد حماسة جارفة في اتجاهات أخرى من الاختيارات ، فظهرت  
في مطالعه مختارات البارودي ، ثم تكاثرت الاختيارات في كل وطن من الأرض  
العربية . وهى كلها — قديمها وحديثها — جهود نذكرها ونقدرها لأصحابها ،  
ونعتربها تعبيراً عن ذلك الاعتزاز الذى يملأ نفس كل عربى بترائه وحضارته .

كان هذا كله أماناً ونحن نفكر فى اختياراتنا الجديدة . ولسنا ندعى أنها  
جاءت جديدة فى كل جوانبها ، أو أننا أتينا « بما لم تستطعه الأوائى » ، فملك  
دعوى تبدو ظالمة لكل من شاركوا فى هذه الجهود الرائعة على امتداد القرون  
الطويلة ، ولكننا أيضاً لا نريد أن نظلم أنفسنا ، فاختياراتنا جديدة فى بعض  
جوانبها . فإلى جانب الاختلاف الذى لا بد منه بين النصوص التى اخترناها  
والنصوص التى اختاروها ، نتيجة طبيعية لاختلاف الذوق الشخصى من ناحية ،  
وللفنشاط الحصب الذى يشهده عصرنا الحديث فى تحقيق نصوص التراث وتوثيقها  
من ناحية أخرى ، مما أتاح لنا فرصة الرجوع إلى أحدث ماتم تحقيقه وتوثيقه  
من مصادر هذا التراث ونصوصه ، تختلف اختياراتنا فى أمرين آخرين : الأول  
تلك المداخل التى نقدم بها لكل مجموعة منها ، والتى نتبع فيها حركة الأدب فى  
كل عصر ، لرصد اتجاهاته ومذاهبه ومدارسه ، والكشف عن عناصر الأصالة  
والتجديد فيه . والأمر الآخر ذلك التصنيف الجديد للتراث الأدبى فى كل عصر ،  
وهو تصنيف لا يربط بين حركة الأدب وحركة التاريخ السياسى ، وإنما يقوم  
على أساس التطور الفنى له الذى نستطيع من ورائه أن تمثل حركة هذا الأدب  
فى كل عصر ، ثم بعد ذلك حركته على امتداد عصوره المتعاقبة . وفى هذه المجموعة

الأولى تقدم محاولة جديدة في تصنيف الشعر الجاهلي على أساس النظرية الجديدة التي نسجلها في مدخل هذه المجموعة الأولى من « الروائع » .

\* \* \*

هذه محاولة حاولناها تضافرت عليها جهود الزملاء من أعضاء لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة ، عكفوا عليها جادين مخلصين متمثلين الهدف الذي وضعناه نُصِبَ أعيننا ونحن ندرس هذا المشروع ، ونحدد خطوات العمل فيه ، وفي أعماق كل منهم جذوة تتوقد من نار حماسة لا تنطفئ لتحقيق الأمل الكبير الذي عاشت اللجنة عليه الليالي ذوات العدد ، وما زالت تعيش عليه لإنجاز الأجزاء التسعة الباقية التي ستشكل حين تكتمل أكبر وأدق مجموعة من مجموعات الاختيارات عرفها تاريخنا الأدبي ، وفي غير مبالغة على امتداد عصوره أيضا .

ووراء جهود هؤلاء الزملاء ، يقف جهد زميلة كريمة لم تذخر وسعا في تهيئة كل ظروف العمل للجنة ، ولم تفضن بوقت ولا جهد في سبيل إنجاز عملها ، وهي السيدة عائشة أحمد عبد الرحمن سكرتيرة اللجنة التي نعتز بها ، ونقدم لها الشكر صادقا على جهودها المخلصة الصادقة .

\* \* \*

والله نسأل أن يمدنا بعونه لتحقيق هذا الأمل الكبير ، وأن يسدد خطانا على طريق هذا العمل الضخم ، حتى نستكمل إضاءة المشاعل الجديدة التي نتمنى إضاءتها في جنبات مجتمعنا الثقافي ، وأن يجنبنا الزلل ، ويباعد بيننا وبين فتنة القول وفتنة العمل ، وألا يجعلنا ممن ينطبق عليهم قول المتنبي العظيم :

وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللَّهُ مَنْ زَادَ هَمُّهُ وَقَصَرَ عَمَّا تَشْتَبِي النَّفْسُ وَجَدَهُ

\* \* \*

يوسف خليف

مقرر اللجنة

القاهرة في

٢١ من سبتمبر ١٩٨٢



مدخل إلى الروائع  
الحياة الأدبية في العصر الجاهلي  
للدكتور يوسف خليل





## بسم الله الرحمن الرحيم

( ١ )

ليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي الأدبي بصورة يقينية ، فليس بين أيدينا وثائق تاريخية أو أدبية تحدد هذه البداية الغامضة. وقد ذهب الجاحظ إلى تحديد هذه البداية بقرن ونصف قرن ، أو — على أبعد تقدير — بقرون قبل ظهور الإسلام : « أما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه ، امرؤ القيس بن حجر ومهل بن ربيعة . . فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام » . ولكن الجاحظ — في الحقيقة — لم يحدد أولية الشعر العربي ، وإنما حدد أولية القصيدة العربية . وهو تحديد جعله يرجع بهذه الأولوية إلى امرئ القيس والمهل الذين يمثلان بداية ظهور القصيدة العربية ، ولكنهما لا يمثلان بداية ظهور الشعر العربي . وذلك لأن النصوص التي وصلت إلينا من هذه المرحلة من تاريخ الشعر العربي تمثل بناءً مكتملاً للقصيدة العربية ، وصورة ناضجة من الناحية الفنية نضجا يلفت النظر إلى أنه ليس من اليسير أن تكون هذه البداية الناضجة المكتملة هي البداية الأولى للشعر العربي ، وإنما لابد أن تكون قد سبقتها محاولات وتجارب قام بها رواد أوائل وطلائع مبكرة من شعراء ضلت في الطريق إلينا أسماؤهم ، أو — على الأقل —

أسماء كثير منهم ، كما ضلت محاولاتهم وتجاربهم أو — على الأقل — كثير منها .  
أما ما يرويه الرواة عما قبل هذا التاريخ من نصوص وروايات فلا يعدو أن يكون  
مجموعة من الروايات والنصوص يحيط بها الشك والالتهام ، وإن كنا نستطيع من  
خلالها أن نمثل صورة — وإن تكن غير واضحة تماما — لما نستطيع أن نطلق عليه  
« عصر ما قبل التاريخ الأدبي » .

والباحثون مختلفون حول طبيعة هذه التجارب والمحاولات المبكرة اختلافا  
نستطيع أن ندين من ورائه نظريتين أساسيتين تحاولان تصوّر الخطوة الأولى التي  
بدأ بها الشعر حركته على طريقه الفن الطويل : نظرية قديمة ذهب إليها النقاد  
العرب القدماء منذ عصر التدوين ، ونظرية حديثة يذهب إليها بعض المستشرقين ،  
ويتابعهم فيها بعض الباحثين المعاصرين من العرب .

أما النظرية القديمة فتذهب إلى أن الشعر العربي بدأ رحلته في صورة  
مقطوعات قصيرة أو أبيات قليلة العدد ، يرتجلها الشاعر في مناسبات طارئة  
ليعبر بها عن انطباعات سريعة مؤقتة ، ثم أخذ الشعراء يطيلون في مقطوعاتهم ،  
ويزيدون من عدد أبياتها ، حتى تكاملت لهم القصيدة في صورتها المعروفة على  
يد المهلهل أيام حرب البسوس . وهي نظرية سجلها ابن سلام في مقدمة كتابه  
« طبقات فحول الشعراء » ، وتابعه فيها ابن قتيبة في مقدمة « الشعر والشعراء » .  
وفي المصادر العربية القديمة إشارات إلى هذه المرحلة المبكرة حين يتحدثون عن  
« قديم الشعر الصحيح » أو عن « أوائل الشعراء » .

وأما النظرية الحديثة فتذهب إلى أن الرجز كان الصورة الأولى التي بدأ بها  
الشعر العربي رحلته . ويؤيد ذلك أن هذا الوزن الشعري هو الصورة الموسيقية  
الشعبية التي كانت تتردد على ألسنة الشعب العربي القديم في كل مجالات الحياة

اليومية، وأن التراث الشعبي الذي لاحصر له يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ الأدبي المعروف ، عصر ظهور القصيدة . وهي نظرية يطمئن إليها بروكلمان اطمئنانا شديدا ، وفي رأيه أن الرجز ظهر متطورا من السجع الذي يؤكد أنه أقدم القوالب الفنية التي عرفها العرب منذ أقدم عصورهم . وربما كانت هذه النظرية — على الرغم من أن بعض الباحثين لا يطمئنون إليها ويرون أنها مجرد فرض — هي التي نستطيع أن نرى فيها أساسا صالحا لحل المشكلة ، وتتخذ منها قاعدة سليمة لتصوير الموقف والاقتراب من الحقيقة الضائعة . وذلك لأن النظرية القديمة لا تقدم حلا للمشكلة ، وإنما تظل المشكلة معها قائمة ، ويظل السؤال واردا : كيف كانت البداية التي مهدت لهذه المرحلة ، وحققت لشعرائها هذا المستوى الفني الذي يتمثل في المقطوعة ؟ وكيف استقامت لهم هذه الصورة الدقيقة من اصطناع الوزن والقافية ؟ أو — بعبارة أخرى — كيف توصلوا إلى فكرة البيت ؟

بدأ الشعر العربي رجزا متطورا — في أغلب الظن — من السجع ، وساعدت سهولة هذا البحر ، وقرب متناوله من الشعراء ، وطواعيته لتشكيلات موسيقية متعددة ، على اتساع مجالاته في المجتمع الجاهلي القديم . ثم أخذت تتولد منه أوزان أخرى ، هي — في أغلب الظن — أوزان البحور الصافية أحادية التفعيلة . وعلى هذه الأوزان أجرى الرواد تجاربهم الأولى التي انتهت بظهور فكرة « البيت » التي مهدت بدورها لظهور المقطوعة وظهور أوزان أخرى . ثم ظهرت بعد ذلك — خضوعا لسنة التطور الطبيعية — القصيدة الطويلة عند المهمل ومعاصريه من شعراء حرب البسوس .

ومع ذلك فإننا لانملك أن نقول : هذه هي الحقيقة التاريخية التي لاشك فيها ، وإنما كل ما نملكه هو أن نقول : لعلها الحقيقة . وذلك لأن الحقيقة التاريخية لا تثبت إلا بنصوص يقينية أو وثائق ثابتة ، أما الفروض والاحتمالات فلا تكفى — بل لا تصاح — لإثباتها . وقديما قال عمر بن شبة تلميذ محمد بن سلام « للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه » ، وحديثا قال بروكلمان « لا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر » .

وعلى أساس هذا الفرض نستطيع أن نتصور أن الشعر العربي مر في بداية رحلته بثلاث مراحل : مرحلة الرجز التي تمثل عصر ما قبل التاريخ الأدبي ، ثم مرحلة المقطوعة التي تمثل بداية عصر التاريخ الأدبي على الرغم من كثرة ما يحيط بنصوصها من شك واتهام ، ثم مرحلة القصيدة التي تمثل البداية الثابتة اليقينية لعصر التاريخ الأدبي الصحيح حيث تكاملت الصورة الأولى للشعر العربي ، واستقامت له موسيقاه العروضية ونظام القافية فيه ، واستقرت له أصوله وتقاليده الفنية . وهي المرحلة التي ذهب الباحث إلى أنها هي البداية ، ورجع بها إلى قرن ونصف قرن أو — على أبعد تقدير — إلى قرنين قبل ظهور الإسلام . وهو تاريخ يعود بنا إلى حدث ضخم شهدته الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها القديم ، وكان له أثره البعيد في حياتها الاجتماعية والأدبية ، وهو حرب البسوس التي دارت رحاها في أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل السادس بين قبيلتي بكر وتغلب ، والتي استمرت — فيما يقول الرواة — أربعين سنة . فهذه الحرب هي التي أظهرت تلك الطليعة المبدعة من الشعراء المعاصرين لها الذين تطورت المقطوعة على أيديهم إلى قصيدة طويلة ، من أمثال المهلهل والحارث بن عباد والفنيد الزماني وجليلة البكرية وغيرهم من الرواد الأوائل الذين يتردد ذكرهم في أخبار



هذه الحرب ، والذين تلقى عنهم شعراء الجليل التالي لهم : امرؤ القيس وعبيد  
وطرفة وأمثالهم النماذج الفنية التي خلفوها لهم فراحوا يطورونها حتى امتوت لهم  
القصيدة العربية في صورتها الناضجة المكتملة التقاليد التي نراها في القرن الأخير  
الذي سبق ظهور الإسلام .

وساعد على اكتمال هذه الصورة ونضجها ظهور لغة أدبية توحدت فيها  
لهجات القبائل المحلية ، واختفت منها الفروق اللغوية التي تعددت بسببها هذه  
اللهجات ، وكانت بهذا صالحة لتكون لغة فنية للشعراء من شتى القبائل يصطنعونها  
في شعرهم متسامين بها على لهجاتهم المحلية . وكان هذا بدوره إيذاناً بظهور  
« القصصى » ، وإرهاصاً لغويا لتزول القرآن الكريم بها .

## ( ٢ )

ويختلف المستشرقون حول هذه اللغة الأدبية الموحدة اختلافاً بعيد المدى .  
وفي محاولة للوصول إلى حقيقة يطوف نولدكه وجويدى ونالينو وهارتمان  
وفولرز و بروكلمان وبلاشير خلف القبائل العربية من أقصى الجزيرة إلى أقصاها  
بحثاً عن هذه اللغة : إلى أى قبيلة تنتمى أو إلى أى مجموعة من القبائل ؟ وهو  
تطواف انتهى بهم إلى تيه صحيح تشابهت فيه معالم الطريق فتاهت خطاهم فوقه ،  
وتاهت وراءهم خطى من تابعهم من الباحثين العرب .

وفي ظنى أن اللغويين العرب القدماء كانوا أقرب إلى الحقيقة من هؤلاء  
المستشرقين ، وكانوا أدق تمثلاً لها ، فقد اتفق هؤلاء اللغويون على أن هذه  
اللغة هى لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم ، وقالوا لذلك بأنها « أفصح  
اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد المعجم من جميع جهاتها » .

ومع ذلك ففى ظنى أن هذه النظرية العربية القديمة — على دقتها وقربها من الحقيقة — فى حاجة إلى شىء من التعديل حتى تكون أدق تعبيراً عن الواقع اللغوى الذى تمثله نصوص الشعر الجاهلى فى هذه المرحلة من تاريخ العربية ، وأهم من ذلك الذى تمثله لغة القرآن الكريم . فليست هذه العربية الفصحى — فى رأى — هى لغة قريش خالصة من أى تأثير لهجى آخر ، ولكنها لغة قريش بعد أن استوعبت بعض الظواهر اللغوية من لهجات القبائل الأخرى . وأخضعتها لعملية تنقية لغوية ضخمة ذابت فيها الفروق اللهجية الموجودة فى لهجات هذه القبائل ، وخضعت جميعها لمقاييس الفصاحة القرشية التى كانت المثل الأعلى للفصاحة العربية فى هذا العصر . وهو ما يشير إليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم حين يتحدث عن فصاحته ويفتخر بأنها ميراث من قريش « أنا أفصح العرب بئذ أنى من قريش » . وقد نجد تأييداً لهذا التعديل فى النظرية القديمة فيما يقرره العلماء من أن فى القرآن خمسين لغة من لغات القبائل العربية .

ولم تكن هذه العملية اللغوية الضخمة إلا نتيجة طبيعية لمجموعة من الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية أتاحت لمكة الفرصة لتقوم بدورها البطولى فى تاريخ الجزيرة العربية مما حيا للفتها أن تصبح هى هذه اللغة الأدبية الموحدة .

كانت مكة — منذ أن رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل — المركز الدينى الأول فى الجزيرة العربية ، سواء فى عصر الحنيفية التى دعا إليها النبيان الكريمان أو فى عصر الوثنية منذ أن حمل إليها عمرو بن لُحى كاهن خزاعة الأصنام لينصبها فى الكعبة ومن حولها . وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل ظلت مكة مهوى أنفذة العرب من شتى أرجاء الجزيرة ، وظلت مركز الإشعاع الدينى عند كل القبائل العربية الشمالية والجنوبية على السواء . وزاد من ارتفاع هذه المكانة

ما كان من عجز أبرهة قائد الجيش الحبشي عن دخولها في عام الفيل فيما بين سنتي ٥٧٠ ، ٥٧١ في أيام عبد المطلب ، وارتداده دونها مع فلول جيشه بعد أن تعرضت حملته لظروف قاسية بددت جيشه وجعلته — كما يقول القرآن الكريم — « كعصفٍ ما كول » . ومنذ هذا التاريخ أثبت البيت الحرام أن له ربا يحميه ، فارتفع شأن مكة ، وزادت قداستها في نفوس العرب الذين اتخذوا من هذه الغزوة معلما في تاريخهم يؤرخون به ، وأصبحت هي المدينة الأولى في جزيرتهم التي تركز في أيديها مقاليد الدين والسياسة ، والرمز الخالد لحرية الجزيرة واستقلالها وقدرتها على الوقوف في وجه الغزاة الطامعين فيها .

ونتيجة لوقوع مكة — جغرافيا — في منتصف الطريق التجاري بين الشام واليمن ، وفي نهاية الطريق التجاري القادم من الحيرة ، مما أتاح لها وضعاً اقتصادياً متميزاً تحولات معه إلى المدينة التجارية الأولى في الجزيرة كلها ، ونتيجة لظهور طبقة من كبار التجار من أصحاب الملايين فيها يتحكمون في اقتصاد الجزيرة كلها ، ويمسكون في أيديهم بأزمة الحياة الاقتصادية فيها ، قامت حول مكة مجموعة من الأسواق تلتقي عندها القوافل التجارية ، ويتجمع فيها تجار الجزيرة من شتى القبائل ، وبخاصة في مواسم الحج حيث تفد القبائل من شتى الأرجاء لأداء الشعائر الدينية لأصنامها المنصوبة في الكعبة أو حولها . وفي هذه الأسواق كانت تتم عملية تبادل لغوى ضخمة ، وبخاصة في سوق عكاظ التي كانت تتحول في مواسم الحج إلى مهرجان أدبي كبير يشبه مهرجانات الإغريق في أعياد آلهتهم ، يتبارى فيه شعراء القبائل وخطباؤها ، ويجلس فيه حكام من كبار الشعراء ليحكموا بين المتبارين ويقوموا بإنتاجهم الأدبي ، مما أتاح الفرصة وهيا الظروف للتقريب بين لهجات القبائل وظهور هذه اللغة الأدبية الموحدة .



وزاد من تعلق العرب بمكة ، وارتباطهم الروحي بها ، ما كانوا يرونه من تغفل المسيحية واليهودية في بعض المناطق من جزيرتهم . وهو تغفل كانت القبائل العربية تنظر إليه في شيء من الريبة لأنه يأتي من قبيل عناصر أجنبية غريبة عنهم ، فارتبطت هاتان الديانتان في أذهانهم بأفكار سياسية ، وكأنما استشعروا وراءهما محاولات للتغفل السياسي ، ومدّ النفوذ الأجنبي الذي كان يحيط بهم من الشرق حيث النفوذ الفارسي في الحيرة ، ومن الشمال حيث النفوذ البيزنطي في الشام ، ومن الجنوب حيث النفوذ الحبشي في اليمن . ومن هنا كان فزعهم إلى المنطقة الغربية التي ظلت بمنأى عن هذا النفوذ الأجنبي ، حيث مكة حامية الوثنية التي كانوا ينظرون إليها على أنها دياتهم المحمية التي تفتحت عليها صيونهم كما تفتحت عليها من قبل عيون آبائهم وأجدادهم الأولين .

وهكذا أتيج لمكة منذ أواخر القرن الخامس أسباب متعددة أتاحت لها أن تحتل مكان الصدارة في المجتمع الجاهلي ، وهيأت للغتها أن تصبح اللغة الأدبية الموحدة التي فرضت نفسها على المجتمع الأدبي في الشمال ، ومدت نفوذها إلى مجتمع الجنوب ، فاتخذها الشعراء من شتى القبائل وفي مختلف أرجاء الجزيرة لغة لشعرهم متسامين بها على لهجاتهم المحلية التي ظلوا يتكلمون بها في حياتهم العامة في قبائلهم ، وكأنما عرفت الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها ظاهرة « ازدواج لغوي » ، فالشعراء يتكلمون في مجتمعاتهم القبلية بلهجاتهم المحلية ، ولكنهم يصطنعون في المجتمع الأدبي لغة أخرى ، هي هذه اللغة الأدبية الموحدة ، أو هذه العربية الفصحى التي كان ظهورها إرهابا لتزول القرآن الكريم بها . ولعل في ذلك ما يجعل نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي التي بالغ فيها بعض الباحثين اعتمادا على أنه لا يمثل لهجات القبائل تتراجع إلى وضعها الصحيح .

فالشعر الجاهلي — وبخاصة عند الشعراء الكبار الذين استقطبوا من حولهم الحياة الأدبية — لم تظهر فيه لهجات القبائل لأنه نظم في هذه اللغة الأدبية الموحدة التي اختفت منها هذه اللهجات .

### ( ٣ )

ظهر الشعر العربي أول ما ظهر في صورته الناضجة المكتملة في القرن الخامس الميلادي في عصر البسوس عند تلك الطلائع المبدعة من شعراء هذه الحرب . ومضت القصيدة العربية بعد ذلك في تطورها الفني ، وشهد القرنان الخامس والسادس حركة تطور وازدهار ضخمة نهض بها كبار الشعراء الذين ظهوروا في فترة ما بين هذه الحرب وحرب داحس والغبراء من أمثال امرئ القيس وعاقمة وعبيد وطرفة والمرقشين الأكبر والأصغر الذين عملوا على إرساء البناء الفني الثابت للقصيدة العربية ، وتأصيل قواعدها وتقاليدها ومقوماتها الفنية ، وأخذت هذه القصيدة على أيديهم صورتها التقليدية التي استقرت عليها على امتداد العصر الكلاسيكي في تاريخ الشعر العربي ، فهم الذين أعطوها شكلها الفني كما أعطوها مضمونها الموضوعي : فهي تبدأ عادة بمقدمة أكثر ما تكون طلبية ، يصف فيها الشاعر الأطلال ومباحبة الأطلال ، ويستعيد ذكرياته فيها ، ويصور مشاعر الحب والوفاء التي يحملها لها في قلبه ، ويسجل أحزانه ولوعته التي خلفتها له بعد رحيلها ، ويرسم صورا صادقة لوحشة هذه الأطلال بعد أن كانت عامرة بأهلها . ثم يخرج من ذلك إلى وصف رحلته أو رحلة صاحبه في أعماق الصحراء لتسليية همومه أو لانتقال صاحبه إلى منطقة جديدة تتوافر فيها فرص الحياة ، متخذاً من وصف الناقة جسراً يعبر عليه من شاطئ الحب إلى شاطئ الصحراء ، ثم يقف أمام

الصحرَاء القسيحة المترامية إلى ما لانتهاية يرسم صورا أخاذة لمناظرها الطبيعية ومياهها الآجنة وحيوانها الشارد في أفاقها البعيدة وما يدور من صراع بينه وبين الصيادين الخارجين في طلبه من أجل العيش والحياة وإطعام الصغار الجائعين الذين خلفهم وراءهم مع أنهم ينتظرون عودته بما يرد عنهم جوعهم ، أو من أجل اللهو والمتعة والتسلية وإطعام الرفاق الخارجين لترجية أوقات الفراغ في الصيد والطرْد . حتى إذا ما قضى حقوق الصحرَاء مضى إلى موضوع قصيدته الأساسي فوفاه حقه من القول ، وبه ينجم قصيدته ، وفي بعض الأحيان يستمر في طائفة من الحكم يسجل فيها خلاصة تجاربه في الحياة ، وينجم بها قصيدته .

هذه هي الصورة العامة التي رسم خطوطها العريضة شعراء هذه المرحلة الكبار والتي استقرت عليها القصيدة العربية دلى امتداد فترة طويلة من حياتها ، وبخاصة القصائد الطوال التي يفرغ الشاعر لها ويوفر لها جهده الفنى حتى يحقق لها المقومات والتقاليد الأصيلة التي اصطلح عليها الشعراء في هذا العصر . وبطبيعة الحال لم تكن هذه الصورة منهجا مائتزا عند كل الشعراء ، فقد اختلفت مواقفهم منها من حيث التزامها أو التحلل منها أو التغير فيها تبعا لاختلاف شخصياتهم ومواهبهم وموضوعات قصائدهم . كما اختلفت أيضا صور المقدمات التي اصطلح هؤلاء الشعراء على أن تبدأ القصيدة العربية بها ، فإلى جانب مقدمات الأطلال ظهرت مقدمات غزلية يصف فيها الشاعر صاحبتة ، ويتغنى بجمالها ، ويصور حبه لها وشوقه إليها وحنينه إلى الذكريات السعيدة التي عاشها معها . وظهرت مقدمات الظعن التي يصف الشاعر فيها رحلة صاحبتة في انتقالها مع أهلها إلى موطنهم الجديد ، وما تركته وراءها من أحزان وأشواق للعاشق الذي يرقب القافلة الراحلة من خلال دموعه وحسراته . وظهرت مقدمات تتحدث عن الشيب وتتحسر



على الشباب الضائع . وظهرت مقدمات تصف زيارة طيف الحبيبة لصاحبها في أحلامه لتعيده إلى ماضيه البعيد ، وتجدد ذكرياته التي طوتها أيام الفراق . وظهرت مقدمات يتغنى فيها الشاعر بفروسيته ومروءته ومغامراته في الحياة ليقدمها قرايين حب ووفاء لصاحبه التي يعيش لها ويعمل من أجل سعادتها . وظهرت أيضا مقدمات تصف الخمر ومجالسها وسافياتها الجميلات .

### ( ٤ )

نشأ الشعر الجاهلي ونما وازدهر في ظل حياة قبلية قائمة على أساس « عقد اجتماعي » ينظم العلاقات بين أفراد القبيلة الذين كان عليهم أن يلتزموا به التزاما دقيقا . وقد عرف هذا العقد في تاريخ المجتمع العربي القديم بالعصبية التي كان تعني التضامن التام بين الفرد والجماعة في الحقوق والواجبات ، انطلاقا من إيمان القبيلة بوحدة الدم التي تجمع بين أفرادها جميعا ، فلم تكن القبيلة التي كانت وحدة المجتمع الجاهلي سوى أسرة كبيرة تضم أجيالا متعاقبة تنتهي جميعها إلى أب واحد منه تفرعت بطونها وعشاؤها ، ويجرى في عروقها دم مشترك توارثته أجيالها عن هذا الأب الذي يرجع إليه أصل القبيلة . وفي ظل هذه العصبية تعارفت القبائل على مجموعة من التقاليد تشكل « دستورا » عرفيا ينظم العلاقات بين أفرادها ، أساسه هذا « العقد الاجتماعي » الذي يفرض على كل فرد أن يكون مسئولا عن قبيلته ، كما يفرض على القبيلة أن تكون مسئولة عن كل فرد من أفرادها . فأنباء القبيلة جميعا متضامنون تضامنا اجتماعيا أمام كل مشكلة تعترض أحدهم ، يعصبونها برأس سيدهم ، ويتركون له حرية التصرف فيها في نطاق هذا الدستور القبلي بما يحفظ وحدتها الاجتماعية . وهو تضامن مبر عنه المثل

العربي القديم « في الحرية تشترك العشيرة » ، كما عبر عنه قولهم « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، وصوره في صورة واضحة محددة الشاعر دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ في بيته المشهور :

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ ، إن غَوَتْ غَوَيْتُ ، وإن تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرَشُدُ

ولم يكن الشعراء إلا أفراداً من هذا المجتمع القبلي الذي يؤمن بهذا العقد ، عليهم أن يلتزموا به ، وأن يمارسوا حياتهم وفقاً لتقاليده وأعرافه ، شأنهم في ذلك شأن سائر أفراد مجتمعهم ، ولكن عليهم — فوق ذلك — أن يقفوا عليه فهم ، وأن يكونوا دائماً « مجندين تحت السلاح » في خدمته ، يؤدون « ضريبة الدفاع » عن القبيلة إشادة بأجسادها ، وإذاعة لمفانحها ، ودفاعاً عن كرامتها وشرفها ، وذوداً عن حماها وحرمانها ، ثم خطاً من شأن أعدائها ، وهجاء لهم ينشر مخازيهم في المحافل وبين القبائل . وكان من نتيجة ذلك أن قام بين الشاعر وقبيلته « عقد فني » يفرض عليه ألا يتحدث عن نفسه في شعره إلا بقدر محدود وفي نطاق ضيق ، ليفرغ لقبيلته ، يتحدث باسمها ، ويجعل من شعره سجلاً لحياتها ، ومن لسانه لساناً لها ، يعبر عن آمالها وآلامها ، ويسجل الخطوط العامة لسياستها ، ويعلن على الملأ أهدافها وغاياتها . وفي مقابل ذلك تمنحه القبيلة لقب « شاعرها » فتحمس لشعره ، وتتعصب له ، وتحرص على حفظه وروايته وإذاعته في كل مقام . ومن هنا كانت منزلة الشاعر في قبيلته منزلة رفيعة لا تقل عن منزلة الفارس فيها ، فكلاهما « جندي عامل » في جيشها ، يشارك في الهجوم والدفاع في ساحات القتال ، « ومجنّد تحت السلاح » في أوقات السلام ، وقديماً قال شاعرهم : « وجرح اللسان بكبح اليد » . ولذلك كان من أرفع ألقاب التمجيد ، وأسمى أوسمة الشرف ، التي تمنحها القبيلة لأحد أبنائها أن تجلعه عليه لقب « شاعر »

فارس» ، لأنه بهذا يكون قد جمع أهم مهمتين تحتاج إليهما القبيلة من أبنائها . وكانت النتيجة الفنية لهذا « العقد الفني » أن ظهرت تلك الطائفة من الشعراء الذين أطلق عليهم « شعراء القبائل » ، والذين كانوا يشكلون الغالبية المطلقة من شعراء العصر الجاهلي . وقد طبع هؤلاء الشعراء شعر هذا العصر بطابع قبلي مئزه من الشعر العربي في سائر عصوره ومختلف بيئاته بعد ذلك ، اختفت منه النزعة الذاتية لتحل محلها النزعة الجماعية ، وذابت منه الشخصية الفردية لتظهر بدلا منها الشخصية القبلية . وظهر ضمير الجماعة « نحن » مكان ضمير الفرد « أنا » ، وأصبحت الألوان التي يرسم بها الشاعر لوحاته الفنية مشتقة من حياة قبيلته لا من حياته الشخصية ، وصارت « صناديق أصباغه » مستعارة من قبيلته وليست صادرة عن نفسه ، وأصبحت « ريشته » التي يلون بها لوحاته ملكا للقبيلة كلها وليست ملكا له وحده . ولعل هذا هو الذي كان يجعل القبيلة — إذا نبغ فيها شاعر — تعيش عيدا من أعيادها أو عرسا من أعراسها ، فتعد الولائم ، وتقديم الأطعمة ، وتقام حفلات الغناء والرقص والموسيقى ، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، ويتبادل أفراد القبيلة التهنئة ، وتفد عليهم وفود القبائل تهنئهم وتشاركهم فرحتهم . وقديما قال النقاد العرب إن القبيلة لم تكن تعمها الفرحة إلا في ثلاث مناسبات : إذا ولد فيها غلام ، أو نتجت فيها فرس ، أو نبغ فيها شاعر . وذلك لأن الثلاثة يمثلون « الثالوث المقدس » الذي تقوم عليه حياتها : بطلها المنتظر ، وفارسها المنشود ، ووسيلة إعلامها .

عاش « شاعر القبيلة » في ظلال قبيلته ، يدور في فلكها ، ويسير في ركابها ، ويشد فنه إلى عجائتها ، ويربطه بأحداثها : يدافع عنها ويحميها للقتال إذا ما دعا داعي الحرب ، ويسجل انتصاراتها إذا انتصرت ، ويهون عليها الهزيمة ويهيئها



لمعركة النار إذا انهزمت ، ويرثى قتلها ، ويمجد أبطالها ، ويهجو أعداءها ، ويعيرهم الهزيمة إذا هُزموا ، ويهددهم ويتوعددهم إذا انتصروا . وهو حين يفتخر يفتخر بها ، وحين يهجو يهجو أعداءها ، وحين يمدح يمدح سادتها أو سادة القبائل التي وقفت معها وانتصرت لها . وهو — في أثناء ذلك — ينسى نفسه ولا يفكر في أن يصدر عنها ، فكل همه أن تكون قبيلته أمامه دائماً يصدر عنها ، ويشق معانيه منها ، حتى عندما تقتضيه مجالات القول أن يفرغ لنفسه في شعره ، فإنه يظل دائماً دائراً في فلك القبيلة ، لا يكاد يفرد قصيدة خالصة لتصوير عاطفة من عواطفه الشخصية ، أو نزعة من نزعاته الفردية ، ولكنه يذكر ذلك — إذا ذكره — في أثناء حديثه عن قبيلته ، فهو يتغزل في مستهل قصائده القبلية ، ويذكر لهوه بالمرأة وشربه الخمر ومقامرته في أثناء نفيه بشجاعته وفروسيته ومروءته التي يضعها كلها في خدمة قبيلته . وهو يصف ناقته أو فرسه أو ما يراه في رحلاته من حيوان الصحراء أو من مشاهد الطبيعة في أثناء الحديث عن قبيلته ، وهو إذا ذكر رأيا له في الحياة أو الموت ، أو سجل حكمة أو تجربة استخلصها من تجارب حياته ، ذكر ذلك عرضاً أو في نهاية قصيدته بعد أن يفرغ من الوفاء بحقوق القبيلة عليه . ولعل هذا هو الذي جعل النقاد العرب يقولون بحق إن الشعر « ديوان العرب » ، لأنه — في الحقيقة — سجل تاريخهم السياسي والاجتماعي ، ولذلك يعد مصدراً تاريخياً كبير الأهمية اعتمد عليه المؤرخون العرب في جمع مادتهم التاريخية .

ولعل أشهر مثل لهذه النزعة القبلية معلقة عمرو بن كلثوم شاعر تغلب ، فهو يستهلها بمقدمة ذاتية يختلط فيها الغزل بحديث الخمر ، ولكنه سرعان ما يدير وجهه عن صاحبته وخرها ليتحدث عن قومه حديثاً ينسى فيه نفسه نسياناً تاماً ، حتى لا يختفى

من أبياتها التي تقترب من المائة ضمير المتكلم المفرد ، فلا يظهر إلا في شطر واحد من أحد أبياتها ، ليسيطر عليها كلها ضمير الجماعة . وهو في حديثه عن قبيلته يبالغ في تمجيدها مبالغة شديدة تصل به أحيانا إلى حد الإحالة ، حين يجعل الدنيا ومن عليها ملكا لهم ، ويجعل الجبابة العتاة يخرون سجدا لرضيعهم إذا بلغ الفطام ، ويجعل البر والبحر يضيقان برجالهم وسفنهم . ولعل ذلك هو الذي جعل قبيلته تفتن بها فتنة شديدة دفعت شاعرا من خصومها إلى السخرية منها :

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ      قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

### ( ٥ )

ولكن هذا الصوت القبلي — على ارتفاعه وضجيجه ودويّه — لم يكن الصوت الوحيد الذي علا في الساحة الفنية ، ولم يكن « العقد الفنى » ملزما — على إطلاقه — لكل الشعراء على طول الطريق الذي سلكوه في حياتهم الفنية ، وإنما كان هناك « صوت ذاتى » يتردد من حين إلى حين في زحمة هذه الالتزامات القبلية ، يعزفه حتى شعراء القبائل أحيانا على قيثارتهم الخاصة بهم ، يعبرون به عن جوانب حياتهم الخاصة التي لا تشاركهم فيها قبائلهم ، ويتغنون فيه بمشاعرهم وعواطفهم الذاتية التي تنطوى عليها نفوسهم بعيدا عن دنيا القبيلة ، وما تفرضه عليهم من التزامات ، وما تلزمهم به من واجبات ، وما تقضى عليهم من أن يكونوا « وسائل إعلام » لها . وكأنما آمنت هذه الطائفة من « الشعراء الذاتيين » بأن « الفن للفن » لا لخدمة مجتمع القبيلة ، وأن شعراءهم ملك لهم لا تشاركهم فيه قبائلهم ، وأن ريشتهم التي يرسمون بها لوحاتهم خاصة بهم وحدهم ، وليست شركة بينهم وبين القبيلة ، وأن العقد الاجتماعى بينهم وبين قبائلهم يجب

ألا يتعدى حدوده الاجتماعية والسياسية، أما الدائرة الفنية فإنها حمى لهم، وليست حمى مستباحا للجميع، أو — على الأقل — من حق الشاعر — حتى لو كان شاعرا قريبا — أن يفرغ لنفسه من حين إلى حين ليعبر عن الجانب الذاتى فى حياته .

ولعل أشهر الأمثلة لهذا « الصوت الذاتى » معلقة امرئ القيس ومعلقة طرفة ، فكلتا المعلقتين تعبير صادق عن الشخصية الفردية بعيدا عن ذلك « العقد الفنى » وما يفرضه من الترامات على شعراء القبائل .

وتمثل معلقة امرئ القيس شخصية شاب أرسقراطى مترف تنحصر متعته فى الحياة فى شيئين : الحب والصيد . والحب عنده يدفعه إلى المرأة العشيقة أكثر مما يدفعه إلى محبوبة ينخلص لها ، بل — فى الحقيقة — يدفعه إلى المرأة العاشقة التى تعشقه وتسعى إليه ، فأكبر همه فى الحياة أن يكون معشوقا بل مدلا من المرأة تستجيب له ولا تستعصى عليه ، وتهتف باسمه الذى يحلو لها أن تردده فى كل مناسبة تعبيرا عما يملأ نفسها من إعجاب وفتنة وشغف به . وأما الصيد فيدفعه إلى الإعجاب بجواده وسيلة هذه المتعة ، وإلى الفتنة بالطبيعة التى يمارس هوايته هذه فى أحضانها . وهو فى معلقته مقبل على الحياة إقبال المحب لها المطمئن إليها ، وهو يبدو من خلالها متفائلا شديد التفاؤل ، فلا قلق ولا شكوك ولا تشاؤم ولا يأس من الحياة ولا هموم تنغص عليه إحساسه بها ، وأقصى ما يشغله فيها ويدفعه إلى الشكوى منها أن تصيد عنه إحدى صاحباته أو تزعج هجره ، ولكن هذه الشكوى سرعان ما تختفى خلف حشد من الذكريات الممتعة السعيدة ، فان صدت واحدة أو أزعجت هجره أخرى فهناك كثيرات غيرها فى « قائمة الانتظار » .



وأما معلقة طرفه فإنها تعكس شخصية أخرى مختلفة ، شخصية شاب قلق في حياته ، متشائم منها ، شاك فيها وفي المصير الذي ينتظره بعدها ، يدفعه قلقه وتشاؤمه وشكه لا إلى رفض الحياة والزهد فيها ، ولكن إلى التمسك بها والإقبال عليها ، ليستمتع بكل ما يستطيع أن يستمتع به قبل أن يدركه المصير المحتوم الذي لا يعلم عما وراءه شيئا . إن الحياة تترأى له فرصة لإثبات ذاته وتحقيق وجوده ، ولكنها فرصة قصيرة محدودة يقف الموت على أبوابها قدرا مقدورا لا يستطيع أحد دفعه ، وإذن فما الذي يجعله يترك هذه الفرصة تغت من بين يديه ، وهو لا يعلم شيئا يقينيا عما ينتظره بعدها ؟ إنه لا يرى إلا حقيقة واحدة ، الموت الذي يأتي على غير انتظار ، وعلى غير موعد ، خبط عشواء لا يفرق بين من يستمتع بحياته ومن لا يستمتع بها ، والكل في النهاية سواء . وفي أعماق هذا القلق وهذا الإحساس بالضيق كان أشد ما يحرص عليه في حياته ثلاث متع لا يبالي بعدها متى يدركه هذا المصير ، ولا إلى أين ينتهي به : الخمر والفتوة والمرأة . وهو — إلى جانب ذلك — معتد بفرديته إلى أبعد حد ، ضيق الصدر بقبيلته ، يشكو فقره وعجزه عن مساواتهم في الغنى ، ولكنه — مع ذلك — يملك كنزا لا يفنى من الفتوة والنجدة والمروءة .

ولم يكن هذا الصوت الذاتي وقفا على هؤلاء الشعراء الذين آمنوا بفرديتهم فحسب ، وإنما كان يظهر أيضا عند شعراء القبائل . وأكثر ما يظهر عندهم في مقدمات قصائدهم القبلية على اختلاف صور هذه المقدمات . ففي المقدمات المختلفة التي عرفها الشعر الجاهلي يتردد هذا الصوت الذاتي معلنا عن شخصية صاحبه ، معبرا عن عواطفه ومشاعره وانفعالاته الشخصية ، مسجلا جوانب حياته الخاصة وموقفه منها ، وكأنما كان الشاعر يجد في هذه المقدمات فرصة

يستطيع أن يفرغ فيها لنفسه متخففاً من زحمة الالتزامات القبلية وتبعاتها الثقيلة. ولعل في هذا ما يفسر حرص الشعراء الجاهليين على هذه المقدمات، حتى أصبحت تقليداً ثابتاً في القصيدة الجاهلية، ولحناً يميزا للقصيدة العربية القديمة على امتداد عصورها الكلاسيكية، فلم تكن هذه المقدمات — في حقيقة أمرها — إلا الفرصة المتاحة للشاعر الجاهلي ليفرغ فيها لذاته قبل أن تجرّفه الترامات «العقد الفنى» في تيارات القبلية الصاخبة.

ويظهر هذا الصوت الذاتي أيضاً في وصف الرحلة وما يتصل بها من وصف الناقة والصحراء والصيد. وهو قسم في القصيدة الجاهلية يبدو شديد الارتباط بهذه المقدمات، وكأنه الامتداد الطبيعي لها. ففي هذه الرحلة يجد الشاعر نفسه بعيداً عن القبيلة والتزاماتها، فينتقل بعيداً عن عالمها الضيق المحدود ليعيش حياته الخاصة التي يمارس فيها هوايته ومتعته في الصيد واللهو والفروسية التي كان قتيان العرب يشغلون بها أوقات فراغهم في حياتهم المتشابهة الرتيبة في الفترات القصيرة التي ترفرف فيها رايات السلام على قبائلهم من بين غبار الأيام الدامية الذي لم يكن ينقشع حتى يشور من جديد، أو ينطلق بعيداً في أرجاء الصحراء المترامية لينفض فوق رمالها همومه وأحزانه، وينسى في فضائها اللامتناهى مشكلات حياته بما يراه من مناظرها الطبيعية، وما يشهده من صراع حول الحياة بين حيوانها الوحشي الشارد في أعماقها والصيادين الفقراء الذين احترقوا الصيد من أجل توفير حاجات الحياة ومطالب العيش لهم ولأولادهم الجباة الذين خلقوهم وراءهم ينتظرون عودتهم.

ولكن الحقيقة أن هذا الصوت الذاتي لم يظهر في الشعر الجاهلي في أقوى صوره إلا عند طائفتين من الشعراء: الشعراء المتيمين والشعراء الصعاليك،

وعند الطائفة الثانية ارتفع هذا الصوت إلى أعلى درجاته وأشدّها قوة وإعلاناً عن نفسه .

والمتيمون طائفة من الشعراء العشاق يمثلون اتجاهها عفيفاً في حبهم يدور في إطار يتشابه إلى حد بعيد بالإطار العام الذي دار فيه العذريون الأمويون . وقد أطلق الرواة عليهم هذا الوصف تمييزاً لهم من سائر الشعراء العشاق الذين يمثلون اتجاهات أخرى في الشعر العربي ، وربطوا بين كل متيم منهم ومحبوبة له عرف بها ، وأخلص لها ، وعاش حياته راهاً في محرابها ، موحداً بحبها لا يشرك به حياً آخر : المرقش الأكبر وأسماء ، والرقش الأصغر وفاطمة ، والمخبل وميلاء ، وعبد الله بن العجلان وهند ، ومالك بن الصمصامة وجنوب ، وقيس بن الحداية ونعم ، وعبد الله بن علقمة وحبيشة ، وعمرو بن كعب وعُقيلة ، ثم أبعدهم صيتاً وأشهرهم ذكراً عنتر وعبله .

والصورة العامة لهذا الحب توشك أن تكون هي نفسها الصورة العامة للحب العذري ، لا تكاد تختلف بين عاشقين وماشقين إلا في التفاصيل : شاب يحب فتاة ، أكثر ما تكون ابنة عم له ، وأحياناً تكون من غير قبيلته ، ثم يطلب يدها من أهلها فتقف عقبة من العقبات في طريقه ، وقد يتحقق أمله فيتزوجها ثم تجد عقبات تفرق بينهما ، فيعيش بقية حياته وقد سيطر عليه خيال محبوبته سيطرة لا يملك معها خلاصاً أو فكاً ، واستبد به وهم لا يقف على أرض من الواقع ، وأمل لا أمل في تحقيقه ، وحنين جارف يملأ عليه أرجاء قلبه ، وأحزان طاحنة تنوء بها نفسه . ووسط هذا الخضم المتلاطم من أمواج الأمل واليأس يحيا العاشق وكأنه ضائع في هذه الحياة ، أو كأنه في حلم عميق مسيطر على مشاعره لا يريد أن يصحو منه ، وفيأحبه الضائع ، متشبثاً بحبوبته التي أبت الحياة أن تحقق أمله



فيها . ثم تكون النهاية مأساة حزينة في أكثر الأحيان ، نرى العاشق فيها مشردا في الصحراء. وقد اضطربت أعصابه واختلط عقله ، أو معتلا مَذْنَفًا أضناه الوجد وأسقمه الحنين . وفي بعض الأحيان تكون النهاية تجلدا من العاشق للصدمة التي تلقاها ، وتماسكا لنفسه بعد ضياع الأمل من بين يديه ، وذكريات بعيدة تعيش في أعماقه حنينًا وحزنا ولوعة ودموعا وحسرات ، وأيضا وفاء وإخلاصا للماضي الذي ولّى إلى غير عودة ، حتى يسدل الأجل المكتوب ستار الختام على المأساة الحزينة الباكية .

في شعر هؤلاء المتيمنين يرتفع الصوت الذاتي إلى درجة عالية . وعلى قلة ما وصل إلينا من شعرهم فإنه يعرض — في صدق وأمانة — أبعاد المأساة التي عاشها أصحابه ، وما تنطوى عليه من صراع بين الواقع والمثال ، أو بين الوهم والحقيقة ، ذلك الصراع الحاد العنيف الذي يقف فيه كل عاشق منهم في دوامة من الحيرة والضياع عاجزا أمام مهام الحب التي تنهال عليه من كل جانب وهو لا يملك لها دفعا ولا ردا إلا ما يتفجر على لسانه من شكوى حزينة ، واستسلام يائس ، وذكريات تعيش في أعماقه نابضة بالحياة ، وحنين إليها يملأ عليه أقطار نفسه بالحسرة والألمى ، ويملاء جنبات صدره بالزفرات الحارة التي يتنفسها دموعا وعبرات . وقد استطاع هؤلاء المتيمنون أن يسجلوا في شعرهم صورة معبرة عن كل ما تموج به نفوسهم من مشاعر وعواطف وانفعالات في عالمهم الخاص بهم الذي صنعوه لأنفسهم بعيدا عن أرض الواقع التي تمارس عليها قبائلهم حياتها ، والتي كانت تشد إليها شعراءها بنحيوط متينة أحكم فتاتها ذلك العقد الفنى القائم بينها وبينهم . ومن هنا اختفى من شعرهم ذلك الصوت القبلي ، واختفت معه صورة القبيلة ، ليظهر فيه صوتهم الذاتي ، وتظهر معه صورتهم الخاصة . ونتيجة لذلك اختفى من كثير من قصائدهم

ذلك التعدد الموضوعي الذي كان سمة مميزة للقصيدة الجاهلية، وبدأت طائفة منها كأنما خلصت للحب ولا شيء غير الحب .

على أن أقوى درجة ارتفع إليها هذا الصوت الذاتي إنما ظهرت عند الشعراء الصعاليك . والصعاليك جماعات من فقراء القبائل الأشداء ضاقت بهم سبل العيش في ظلال قبائلهم لاختلال الأوضاع الاقتصادية فيها ، فتمردوا عليها ، وكفروا بها ، ورفضوا تنفيذ العقد الاجتماعي بينهم وبينها ، وانطلقوا إلى الصحراء يشقون طريقهم في الحياة بقوتهم ، ينهبون ويسلبون ، ويقطعون الطرق على القوافل التجارية التي تسيل بها شعاب الصحراء ، ويغيرون على الأغنياء المترفين وخاصة البخلاء منهم ، ولا يتورعون عن قتل من يعترض طريقهم ، ثم يوزعون ما يغنمونه بينهم وبين المستضعفين من الفقراء الذين يعجزون عن مشاركتهم حركتهم المتمردة ، لا من أبناء قبائلهم وحدها ، ولكن من شتى القبائل ، خارجين بذلك على قانون « العصبية القبلية » الذي يفرض عليهم العمل من أجل قبائلهم وحدها .

وانضمت إلى هؤلاء الفقراء المتمردين جماعات من خلعاء القبائل وشذاذها الذين خلعتهم قبائلهم وطردتهم من حماها ، ورفعت عنهم حمايتها ، وسحبت منهم « الجنسية القبلية » ، وفسخت العقد الاجتماعي بينها وبينهم ، فأصبحت غير مسئولة عنهم ولا سائلة أيضا ، لا تعترف بانتمائهم إليها ، ولا تنصر لهم ، ولا تتحمل تبعات تصرفاتهم الفردية ، لأنهم شذوا على إجماعها ، ومثلوا انفصالية فردية في مجتمعها المتضامن في حقوقه وواجباته . ومع الفقراء المتمردين انطلقوا في أرجاء الصحراء « خارجين على القانون » ، هاربين من وجه العدالة ، في محاولة عنيفة لفرض أنفسهم وإثبات وجودهم في مجتمع رفضهم وتخلي عنهم وقطع ما بينه وبينهم .

وإلى هؤلاء وهؤلاء انضمت جماعات أخرى من العبيد السود ومن المهجناء الذين يرجعون إلى آباء من العرب وأمّهات من الإماء، أو — كما كان مجتمعهم يطلق عليهم — «الأغربية» الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم . وهى جماعات كانت تمثل طبقة مضطهدة من طبقات المجتمع الجاهلى تعيش على هامشه حياة ذليلة مهينة سَلَبَتْهَا كُلُّ حقوقها ، وفرضت عليها أكثر مما تطيق من واجبات ، تعاني من عنصرية متعالية متعصبة للجنس الأبيض الذى يجرى الدم العربى فى عروقه خالصا من كلا طرفيه : الآباء والأمّهات ، تعصبا أَهْدَرَتْ معه كل حقوق الإنسان وما تحرص عليه من قيم إنسانية وعدالة اجتماعية ، فانطلقوا إلى الصحراء فرارا بإنسانيتهم التى أهدرتها الأرستقراطية العربية ، ليجدوا فى آفاقها المترامية التى لا تحدها حدود ، ولا تقيدها قيود ، مجالا رحبا حرا يحزرون فيه أنفسهم من العبودية التى فرضت عليهم ، ويحطّمون من فوق رقابهم ومن حول أيديهم وأرجلهم نِيرَ الرق وأغلاله وقيوده ، ويحاولون أن يحققوا وجودهم الضائع ، ويمارسوا حقهم فى حياة حرة كريمة ، وأيضا ليأخذوا بثأرهم من المجتمع الذى أنكر عليهم هذا الحق الطبيعى ، وكأنها حركة مبكرة لتحرير العبيد .

انطلقت هذه الجماعات المتمردة من الفقراء والخارجين على القانون و «الفهود السود» إلى الصحراء التى لا ترد لاجئا إليها ولا محتما بها ، وقد جمع بينهم الفقر والتشرد والتمرد على النظام القبلى العنصرى ، والكفر بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى تسيطر على مجتمعاتهم القبلية ، ورأوا ما يلاقيه إخوانهم مستضعفون فى الأرض من ذل وضميم وهوان ، فألوا على أنفسهم أن يثأروا لهم — كما يثأرون لأنفسهم — من مجتمعهم الذى ظلمهم وتشكر لهم ولم يعترف بحقوقهم ، فانتشروا فى أرجاء الصحراء كما تنتشر الذئاب الجائعة ينشرون جوا من



الفرع بين القبائل ، و يثنون الرعب في نفوس مترفيها ، في محاولة لإيجاد لون من التوازن الاقتصادي ، وصورة من العدالة الاجتماعية ، في مجتمع اختلت موازينه الاقتصادية ، واضطربت مفاهيمه الاجتماعية ، غير مباليين في سبيل ذلك بوسائل تحقيقها : أكانت مشروعة أم غير مشروعة ، فالحق للقوة ، والغاية تبرر الوسيلة . وهي محاولة تحولت عند طائفة منهم كالشَّنْفَرَى وتأبط شرا إلى حركة فوضوية تتحكم فيها نزعة رافضة للمجتمع ، وتوجهها شهوة عارمة للنار والانتقام ، كما تحولت عند طائفة أخرى على رأسهم عروة بن الورد أبو الصعاليك — كما كانوا يطلقون عليه — إلى فكرة اشتراكية — من ناحية — تشرك الفقراء في مال الأغنياء ، وتجعل لهم فيه حقا مفروضا يغتصبونه إن لم يؤدّ إليهم ، كما تحولت — من ناحية أخرى — إلى نزعة إنسانية تحاول تحرير العبيد من اضطهاد العنصرية القبلية التي سلبتهم كل حقوقهم ، وجردتهم من كل ما يحفظ عليهم إنسانيتهم .

من هؤلاء الصعاليك ظهر جماعة من الشعراء تحلّوا من العقد الفنى الذى كان شعراء القبائل ملتزمين به ، فاخفى من شعرهم الإحساس بالشخصية القبلية ، فلم يعد تعبيرا عنها ، وإنما أصبح تعبيرا عن شخصياتهم الفردية المبالغ في فرديتها ، المتطرفة في الإحساس بها ، وصحيفة لسوابقهم ، وسجلا لحياتهم المتمردة ، وإملانا لمبادئهم الاجتماعية والاقتصادية ، ولسانا معبرا عن حياة مجتمعاتهم الفوضوية الذى صنعوه لأنفسهم بكل ما ينطوى عليه من خير وشر ، وما يدور فيه من صراع رهيب بين الطبقات ، وكفاح مرير في سبيل الحياة ، وما يتردد فيه من دعوة للتخلص من العنصرية والطبقية ، وإعادة للتوازن والعدالة والإنسانية .

ولم من بين هؤلاء الشعراء عروة بن الورد الداعية الأكبر لمذهبهم ، واللسان الناطق بأرائهم الاجتماعية والاقتصادية ، والمعبر أروع تعبير عن نزعتهم الإنسانية ،

والشُّفَرَى شيطانهم الرجيم ، وأقوى من عبّر عن حياتهم المتمردة العنيفة ، وأدق من صور معركة الشار والانتقام المشتعلة بينهم وبين مجتمعهم ، وتأبط شرا الأسطورة الرهيبة التي عاشت في أعماق الصحراء لغزا غامضا كغموضها ، وسرا مجهولا بين أسرارها ، رفيق الوحش الشارد في آفاقها البعيدة ، وصاحب الجن والغيلان الهائمة في دياجها المظلمة ، المعرّبة في لياليها الموحشة . والسُّلَيْك ابن السُّلَكة عدّاؤهم المشهور ، صاحب الغارات البعيدة ، وواحد من فرسان أربعة معدودين كان أبطال الجاهلية وفرسانها وحماة طعائنها ينحشون لقاءهم . وحاجز الأزدى « ثعلب الصحراء » السريع العدو ، الكثير الفرار ، الواسع الحيلة ، المراوغ البعيد الدهاء . وغيرهم كثيرون كعمرو بن بَرّاقة ، وقيس ابن الحِدَادِيَّة ، وأبي الطَّمَحَان القَيْنِي ، ومُرّة بن خُلَيْف ، وطائفة غير قليلة من شعراء هُذَيْل التي أتاحت لها بيئتها الجبلية الوعرة ، وموقعها الجغرافي على مقربة من مكة قلب الاقتصاد الجاهلي النابض بالمال والثراء ، وعلى مشارف طريق القوافل الأساسي بين الشام واليمن حيث تسيل الشعاب بالقوافل التجارية النشطة في رحلتى الشتاء والصيف ، فيسيل لها لعاب الفقراء الأشداء من أبناء جبالها الوعرة العاتية ، وفرة من الصعاليك من أمثال الأعم وصخر الغيّ وعمرو ذى الكلب وأبي نحرّاش ، وغيرهم كثير .

وشعر الصعاليك صورة طريفة وفريدة في الشعر الجاهلي ، يختلف عنه اختلافا كبيرا مرجعه الأساسي إلى أنه صورة صادقة لحياة أصحابه ، وتعبير ذاتي عن شخصياتهم ، وانعكاس دقيق لفرديتهم المتطرفة . وهو — ببساطة — يقوم على أساس من عدم الاعتراف بالعقد الفني القائم بين القبيلة وشعرائها ، فكما تحلل أصحابه في حياتهم من التقاليد الاجتماعية التي كان يخضع لها مجتمعهم ، تحلّوا

كذلك في شعرهم من التقاليد الفنية التي كان الشعر الجاهلي يخضع لها ، تحلوا فيه من الشخصية القبلية ، وأحلوا محلها شخصياتهم الفردية ، وأصبح ضمير الفرد « أنا » أداة للتعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة « نحن » الذي كان أداة التعبير عند شعراء القبائل ، وإذا ظهر هذا الضمير عندهم فإنه لا يعبر عن مجتمع القبيلة ، وإنما يعبر عن جماعتهم . وتخلصوا أيضا من اضطراب القصيدة بين موضوعات شتى ، وأقاموا قصائدهم على أساس وحدة موضوعية دقيقة . كما تخلصوا من المقدمات الطليسية ، واستبدلوا بها مقدمات فروسية محورها « حواء الخالدة » ، وأمكنها ليست حواء المحبوبة المتدلة التي نعرفها عند سائر الشعراء ، وإنما هي حواء المحبة الحريصة على فارصها ، التي تدعوه إلى الحرص على حياته إن لم يكن من أجل نفسه هو فمن أجلها هي . وظهر الأسلوب القصصي وسيلة أساسية للتعبير ، ومقوما أساسيا من مقومات البناء الفني لقصائدهم ، ولعلمهم بهذا من أوائل الشعراء الذين أصلوا للقصيدة الشعرية في الأدب العربي ، وافتوا أنظار الشعراء إليها .

## ( ٦ )

كانت القبيلة وحدة الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، وكانت القبائل تعيش في هذا العصر حياة بدوية غير مستقرة ، أساسها الحركة الدائبة المستمرة بحثا عن موارد الماء ومنابت الكلاء ، أو — بعبارة أخرى — بحثا عن فرص العيش والحياة . ومن هنا كانت الحركة هي القاعدة التي تقوم عليها حياة القبائل البدوية المنتشرة على امتداد الجزيرة العربية المترامية الأطراف . وعلى أساس هذه القاعدة المتحركة أصبحت فكرة « المدينة » أمرا خارجا عن نطاق العقلية

البدوية ، فاختلفت هذه الفكرة من تصور البدوى ، وحلت محلها فكرة « الحمى » الذى كان يمثل ما نطلق عليه الآن « الحدود الدولية » التى تحدد لكل قبيلة أرضها ومنازلها ، أو « الوطن » الذى تنزل به ، وتعيش فيه وتنقل على مدار السنة بين أرجائه ، وتتولى أمر حمايته والحفاظ عليه والدفاع عنه . وفيما عدا تلك القرى القليلة المنتثرة حول عيون الماء أو على امتداد السواحل التى تطوق أرض الجزيرة ، وهى قرى استقرت بها الحياة ، وعاشت فيها القبائل حياة على حظ خير قليل من الاستقرار ، سيطرت فكرة « الحمى » على المجتمع البدوى كله ، وأصبح لكل قبيلة أو لكل تجمع قبلى حمى خاص بها تمارس حياتها داخل نطاقه متنقلة فى أرجائه الفسيحة المترامية الأطراف ، فى حركة مستمرة على مدار فصول السنة ، خاضعة فى ذلك للظروف الطبيعية المختلفة ، مرتبطة بها ارتباطا مباشرا ، فإذا أجذبت الأرض وحل الجفاف رحلت ، وإذا أخصبت الأرض ونزل المطر استقرت . ومن هنا انحصرت وسائل العيش فى مجتمع البادية فى الرعى والصيد والغزو ، وشئ يسير من التجارة ، والقيام ببعض ما تحتاج إليه القوافل التجارية من أعمال كالحراسة والدلالة وحماية الطريق ، واختلفت منه وسائل العيش الأخرى التى لا تظهر إلا فى المجتمعات المستقرة كالزراعة والصناعة والتجارة فى شكلها الاقتصادى المنظم الدقيق .

وأشهر القرى العربية التى استقرت فيها الحياة مدن الحجاز الثلاث المشهورة : مكة ويثرب والطائف ، وأشهرها مكة التى أطلقوا عليها بحق « أم القرى » ، والتى استمدت شهرتها من وجود الكعبة بها ، ومن وقوعها فى منتصف الطريق التجارى الأساسى بين اليمن والشام ، وأيضا من ظهور بئر زمزم الدافقة بالماء الصالح للشرب بها ، والتى لولاها لم أدبت الحياة فى هذه المنطقة المقفرة المجردة التى



تحيط بها جبال الجواز الوعرة العسيرة من كل جانب، ولظلت — كما كانت قبها — واديا خير ذى زرع، كما وصفها أبو الأنبياء إبراهيم قبل أن تتفجر مياهها العذبة تحت أقدام هاجر وإسماعيل. وقد عمل هذا كله على أن تصبح مكة وطن العرب الروحي، ومركز الوثنية التي كانت القبائل العربية تدين بها، وأيضا مركز الحياة الاقتصادية الذي شهد أكبر نشاط تجارى عرفته الجزيرة العربية، وأكبر تجمع لأرباب المال ورؤوس الأموال عرفه العصر الجاهلي. وبهذا توافرت لمكة مقومات «المدينة»، وقامت بها شبه حكومة نظامية تمثلت في مجلس «الملاء» الذى كان ينعقد كلما دعت الحاجة في «دار الندوة» القريبة من الكعبة، والذي كان يمثل السلطة الحاكمة فيها التي تتولى إدارة شؤونها الدينية والاقتصادية والاجتماعية. وهو وضع متميز لم تشهده مدينة أخرى في الجزيرة العربية، جعل المستشرق «لامنس» يراها «جمهورية تجارية» تشبه في نظامها السياسى وحياتها الاقتصادية مدينة «البندقية» القديمة في إيطاليا. ومع ذلك ماش العرب في هذه المدن الثلاث وفي القرى العربية الأخرى المتناثرة في أرجاء الجزيرة وعلى امتداد سواحلها حياة قبلية لا تختلف عن حياة القبائل البدوية الضاربة في أعماقها إلا في استقرارها.

وإلى جانب هذه المدن والقرى قامت على أطراف الجزيرة العربية إمارتان تمثلان نظاما سياسيا متقدما، وحياة اجتماعية على قدر كبير من الحضارة: إمارة المناذرة التي قامت على الحدود الشمالية الشرقية للجزيرة في الحيرة خاضعة للنفوذ الفارسي، وإمارة الغساسنة التي قامت على الحدود الشمالية الغربية في الشام خاضعة للنفوذ البيزنطى. وغير هاتين الإمارتين قامت إمارة ثالثة في شرق نجد، وهى إمارة كندة التي كان حُجْرُ أَوْامِرِ القَيْسِ الشاعر آخر ملوكها.

والطريف أن ملوك هذه الإمارات الثلاث كانوا من اليمنيين الذين هاجروا إلى الشمال في أعقاب انهيار الحضارة اليمنية حاملين معهم أفكارا متقدمة عن « الدولة » و « الملكية » و « نظام الحكم » مما ماشوا في ظلاله قرونا طويلة عبر تاريخ اليمن القديم .

والظاهرة الفنية التي تلفت النظر أن الشعر العربي ظهر وازدهر بين القبائل البدوية ، وبخاصة تلك القبائل التي كانت تنزل في إقليم نجد ، فقد شهد هذا الإقليم أولية هذا الشعر كما شهد تطوره وازدهاره . أما القرى العربية التي استقرت فيها الحياة فلم تشهد إلا نشاطا فنيا محدودا مثلته قلة من الشعراء ظهورا فيها من أمثال أمية بن أبي الصلت شاعر الطوائف الكبير ، وبعض شعراء من الأوس والخزرج واليهود في يثرب ، بل إن مكة — وهي أشهر مدينة في الجزيرة العربية كلها — لم تشهد طوال العصر الجاهلي نشاطا أدبيا يلفت النظر ، فقد كانت مشغولة بسدانة الكعبة ورعاية وفود النجيج الذين يفدون إليها في مواسم الحج ، وحماية الوثنية الجاهلية التي كانت مركزها الأساسي في العصر الجاهلي ، كما كانت غارقة إلى أذنيها في النشاط التجاري الذي كانت تمثل أهم مراكزه وأسواقه في هذا العصر . أما الإمارات فقد شهدت حقا حركات أدبية نشطة ، ولكنها كانت — في أكثر جوانبها — حركات وافدة ، إذ أتاحت لها ظروفها السياسية والحضارية أن تصبح مراكز جذب نشطة لشعراء البادية ، على نحو ما نعرف عن « البلاط الحيري » الذي كان يموج بشعراء البادية الوافدين عليه من أمثال النابغة الذبياني وحسان بن ثابت ، لأنستثنى من ذلك إلا إمارة كندة التي كانت بحكم موقعها الجغرافي في إقليم نجد مركزا من مراكز النشاط الشعري في هذا العصر ، وفيها لمع امرؤ القيس أبو الشعر الجاهلي دون منازع ، ولمع معه عبيد

ابن الأبرص شاعر بني أسد ، وداعية الثورة ضد آخر ملوكها حُجْر ، ولمع معهما شعراء آخرون . ومع ذلك لا نستطيع أن نفعل أولئك الشعراء المتنازين الذين ظهوروا في هذه الإمارات ، ووجهوا الحياة الفنية فيها وجهة تختلف في بعض جوانبها اختلافا جوهريا عن الحياة الفنية في البادية ، من أمثال عدى بن زيد العبادي والمنخل الشكري .

ولعل هذا التوزيع الجغرافي لمراكز النشاط الأدبي في العصر الجاهلي بين البادية والحاضرة هو الذي لفت نظر ابن سلام ليفرد في كتابه « طبقات فحول الشعراء » قسما مستقلا لشعراء القرى في مقابل شعراء البادية الفحول الذين صنعوا الحياة الفنية في هذا العصر ، وشكلوها وفق مقاييسهم وأصولهم الفنية ، ورسموا لشعراء عصرهم الآخرين النماذج الفنية التي راحوا يحتذونها ويصوغون شعرهم على مثالها .

ومعنى هذا أن الشعر الجاهلي شعر بدوي قبي ، نشأ في أحضان البادية في حِمَى القبائل الضاربة فيها نبثا صحراويا أصيلا غرسته هذه القبائل في رمالها ، وعكفت عليه الطلائع المبعدة من أبنائها ترصاه ، وتمسك له من أسباب الحياة ما أتاح لها طاقاتها ومواهبها الفنية ، ثم تلقته أيدي القمم الشائخة من شعرائها تحقق له هذه النهضة الرائعة التي يلاحظها كل من يتتبع حركته الخصبية التي لم تتوقف على امتداد هذا العصر .

## ( ٧ )

اكتملت القصيدة العربية في القرن الخامس في عصر البسوس ، حيث مكف عليها جيل الرواد الأوائل الذين خرجوا بها من عصر ما قبل التاريخ الأدبي

إلى مرحلة البداية الثابتة الیقينية ، وانتقلوا بها من عصر المقطوعة إلى عصر القصيدة . ثم راحت بعد ذلك تأخذ طريقها نحو تطور طبيعي ، شأنها في ذلك شأن أى فن من الفنون ، وظهر جيل من الشعراء فرض نفسه على المجتمع الأدبي في الفترة التي تتحصر بين نهاية حرب البسوس وبداية حرب داحس والغبراء ، واستطاع أن يشكل الحياة الأدبية في هذه الفترة وفق مقاييسه الفنية . وهو جيل نستطيع أن نطلق عليه « جيل ما بين الحربين » ويمثله امرؤ القيس وعبيد ابن الأبرص وعاقمة بن عبدة وطرفة بن العبد والمرقشان الأكبر والأصغر وطائفة من المعاصرين لهم الذين يشكلون مدرسة فنية متميزة نستطيع أن نطلق عليها « مدرسة الطبع » . وهي مدرسة تمثل مذهباً فنياً يقوم على أساس من العفوية والتلقائية ، يمارس الشاعر من خلالها عمله الفني في غير تكلف أو تصنع ، ويعبر عن نفسه تعبيراً مباشراً لا أثر فيه لمكابدة أو معاناة ، ويسجل انطباعاته كما شعر بها في سهولة طبيعية كما يتدفق النبع بالماء . وهو تدفق وصفه القدماء — وهم يرصدون حركته الفنية — بالارتجال . ولكن المسألة — في حقيقتها — ليست ارتجالاً بقدر ما هي تلقائية وعفوية في غير محاولة لمعاودة النظر في العمل الفني أو مراجعة له من أجل تنقيحه وتجويده وتهذيبه وإضفاء اللسات الفنية الأخيرة عليه .

ونتيجة لذلك ظهرت في شعر هذه المدرسة روايب من مرحلة الأولية المبكرة التي مر بها الشعر الجاهلي قبل أن يتم نضجه وتكتمل له صورته الثابتة ، ففي بعض نماذجها الفنية نرى صوراً من الاضطراب في إقامة الوزن العروضي وإحكام القافية ، بل إن بعض هذه النماذج تبدو كأنها خرجت تماماً على موسيقاها العروضية ، وفقدت قيمها الموسيقية وضوابطها الصوتية ، وكأنما فقد الشاعر



سيطرته عليها وقدرته على التحكم فيها ، على نحو ما نرى في قصيدة عبيد بن الأبرص التي يضعها بعض الرواة بين المعلقات العشر :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْعُوبٌ      فَالْقُطَيْبَاتِ فَالذُّنُوبُ

وهي تراءى — في وضعها الدقيق — وثيقة تاريخية بالغة الأهمية تسجل ما كان عليه الشعر العربي في هذه المرحلة المبكرة من تاريخه الفني الطويل ، وكانت قطعة أثرية نادرة وصلت إلينا من أعماق التاريخ محتفظة بغيار الزمن الذي تطاول عليها .

وترجع أهمية هذه المدرسة — في الحقيقة — إلى الدور البالغ الأهمية الذي قام به شعراؤها في إعطاء القصيدة الكلاسيكية شكلها النهائي ، فقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يؤصلوا لهذه القصيدة تقاليداً فنية ، وأن يحددوا لمن جاء بعدهم الخط الثابت الذي يتحركون فيه ، وأن يعطوها بهذا صورتها التقليدية التي استقرت عليها زمناً طويلاً من تاريخها على امتداد عصورها الكلاسيكية القديمة .

في أثناء هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الشعر الجاهلي ، وفي الوقت الذي كانت مدرسة الطبع تواضل فيه دورها الفني الرائد في تأصيل تقاليد القصيدة ، بدأت بواكير مدرسة فنية جديدة تظهر على مسرح الحياة الأدبية ، وهي مدرسة تستطيع أن نطلق عليها « مدرسة الصنعة » ، وقدما كان الأصمعي يصف شعراءها بأنهم « عبيد الشعر » ، لما كانوا يتكلفونه من جهد وعناء ومكابدة في صناعة شعرهم ، وما كانوا يشقون به من معاودة النظر فيه لتجويده وتجيده وإخضاعه لمقاييس صنعتهم الدقيقة . والرأي الشائع بين الباحثين أنها بدأت بشاعر تميم الكبير أوس بن حجر ، وهو رأي أول من قال به الدكتور طه حسين في كتابه

« في الشعر الجاهلي » ، ولكن الحقيقة التي تؤكد الروايات العربية القديمة هي أنها بدأت من قبل ذلك بالطُّفيل الغنوي شاعر قيس الكبير الذي كان أوس راوية له ، وكانوا يلقبونه « المُحَبَّر » لما لاحظوه على شعره من ضروب التنميق والتجويد والتجوير . ومن بعدهما ظهر راويتهما العبقري زهير بن أبي سلمى الذي يمثل بحق القمة الفنية التي وصلت إليها هذه المدرسة ، والتي يقف مع زهير فوقها النابغة الذبياني وعنترة . ووراء هؤلاء شعراء آخرون مثلوا هذا المذهب الفني الجديد الذي بشرت به هذه المدرسة . والظاهرة التي تلفت النظر أن هذا المذهب بلغ ذروة نضجه الفني في أثناء الحرب الكبرى الثانية التي شهدتها الجزيرة العربية في أواخر العصر الجاهلي ، حرب داحس والغبراء ، وكأنما أراد التاريخ الأدبي للجزيرة أن يشهد عصر البسوس ظهور مدرسة الطبع ، وأن يشهد عصر داحس والغبراء ازدهار مدرسة الصنعة ، حتى لنستطيع القول إن هاتين الحربين تمثلان نقطتي تحول ضخم في تاريخ القصيدة الجاهلية ، أو علامتين مضيئتين على طريق الشعر العربي مع بداية تحركه في العصر الجاهلي .

على أيدي شعراء هذه المدرسة تحول العمل الفني إلى صنعة فنية يوفر لها الشاعر كل جهده وطاقته ، ويبذل في سبيل تجويدها كثيرا من الجهد والعناء ، ويخضعها لمقاييس دقيقة حتى يحقق لها كل مقومات مذهبه ، ثم يعود إليها فيعيد النظر فيها ليهذبها ويحذف ما لا يرضى ذوقه ، وما لا يستقيم مع مذهبه ، غير مبالي بما ينفقه من وقت في هذه الصنعة الدقيقة التي يعكف عليها في أناة شديدة وعناية بالغة . ولعل هذا هو الذي جعل زهير يسمى كبار قصائده « الحَوَلِيَّات » . وهي تسمية خيلت لبعض الرواة أنه كان ينفق في صناعة كل قصيدة منها حولا كاملا ، أو — كما يقول الجاحظ — « حَوْلًا كَرِيْتًا » .

ولكن المسألة لم تكن مسألة فترة زمنية محددة ، وإنما هي مسألة تفرغ للعمل الفني ومعاودة النظر فيه زمنا طويلا ، أو مسألة عمل جاد متصل في صناعة القصيدة حتى تتحقق لها مقومات المذهب الجديد مهما طال الزمن بالشاعر في هذا العمل .

ومع تقدم العصر الجاهلي نحو نهايته كانت تقاليد القصيدة الجاهلية التي أصلها لها المبدعون من شعراء المدرستين قد استقرت واتضحت معالمها ، فظهر جيل من الشعراء استوعبوا تقاليد المذهبين عن وغي دقيق وخبرة واسعة بالمقومات الفنية التي أقام شعراؤهما نماذجهم الفنية على أساسها ، واستطاعوا أن يقدموا صورة جديدة للقصيدة الجاهلية تقوم على المزج البارع بين المذهبين والقدرة الفائقة على تقليد نماذجهما الفنية ، مما أتاح لهما فرصة للتقارب الشديد الذي بشر بظهور مدرسة ثالثة نستطيع أن نطلق عليها « مدرسة التقليد » . وهي مدرسة يمثلها أقوى تمثيل الشعراء الكبار الذين ظهر عليهم الإسلام وهم في قمة نضجهم الفني ، سواء منهم من آمن به ومن لم يؤمن : الأعشى ولييد وحسان والحنساء وعبد بن الطبيب ومثم بن نويرة وسويد بن أبي كاهل اليشكري والمخبل السعدي وأمثالهم من شواخ هذه المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلي ، وهي المرحلة التي نستطيع أن نطلق عليها « عصر ذي قار » ، فقد كانت هذه الحرب آنح الحروب التي شهدها العصر الجاهلي ، وفيها سيجل العرب — لأول مرة في تاريخهم — أول نصر لهم على الفرس ، وبعدها طلعت شمس الإسلام ، وأشرق الجزيرة العربية بنور ربها .

## ( ٨ )

الشعر الجاهلي شعر غنائي كله ، يعني فيه الشاعر عواطفه ومشاعره وانفعالاته ، ولم يعرف العرب في هذا العصر لا الشعر القصصي ولا الشعر المسرحي

ولا الشعر التعليمي مما عرفه الشعر اليوناني القديم . وقد وقفت أسباب كثيرة تتصل بطبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية وراء ذلك ، فحددت مجال الشعر العربي القديم في هذه الدائرة الغنائية ، بخفاء كله في قصائد غنائية تطول أو تقصر ، ولكنها لا تتجاوز مائة بيت إلا قليلا ، وهو أقصى عدد وصلت إليه القصيدة في العصر الجاهلي . ومن هنا دار هذا الشعر حول الموضوعات التي يصور فيها الشاعر ما يدور في نفسه من عواطف ومشاعر وانفعالات ، ويسجل انطباعاته الشخصية أمام الأحداث التي تمر به في حياته . وبهذا تحددت مجالات هذا الشعر في الغزل والفخر والمدح والمجاء والرثاء والوصف والحكم ، وهي موضوعات تعكس الموقف الشخصي للشاعر من الحياة والمجتمع ، وتصدر صدورا مباشرا عن تجاربه الشخصية المحدودة ، دون محاولة منه للتحول بها نحو التجريد المطلق أو النظرية الفلسفية . ولم يخرج على هذا الاتجاه العام إلا الشعراء الصعاليك الذين اتخذوا من شعرهم مجالا لتسجيل آرائهم الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية ، وهي آراء تحولت عند عمرو بن الورد داعيتهم المذهبي إلى ما يشبه أن يكون نظرية مجردة . وأيضاً خرج على هذا الاتجاه العام بعض الشعراء الدينيين الذين سجلوا في شعرهم معتقداتهم الدينية وتأملاتهم في أسرار الكون ومخلوقاته ، وخاصة أمية بن أبي الصلت شاعر الطوائف الكبير الذي دار شعره كله في هذا الجو الديني الذي استمد معلوماته عنه مما قرأه في الكتاب المقدس ، وما استمع إليه من الرهبان والأخبار .

ولعل أهم ما يلاحظ على هذا الشعر من الناحية المعنوية أنه يدور حول معان وأفكار واضحة بسيطة لا تكلف فيها ولا مغالاة ، ولا إغراق في الخيال ، أو مبالغة تخرج بها عن الواقع الذي تعبر عنه ، ولا تعمق في أغوار النفس الإنسانية .



وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن أصبحت الواقعية والحسية من أهم السمات التي تميز الشعر الجاهلي ، فالشاعر يستمد مادته المعنوية ومادته التصويرية على السواء من الواقع الحسي الذي يعيش فيه ، ومن العالم المادي الذي يتعامل معه . وقد دفعتهم حياتهم التي تقوم على الحركة الدائبة في أرجاء الصحراء ، والتنقل المستمر خلف مواقع الغيث ومناكب الكلاء ، إلى لون من الحركة الفنية ظهر في قصائدهم في صورة انتقال من موضوع إلى موضوع دون وقوف عند موضوع واحد وكأنما انعكست حياتهم الاجتماعية على حياتهم الفنية ، مما أفقد القصيدة الجاهلية الوحدة الموضوعية التي تترابط معها أجزاء القصيدة وتماسك في وحدة محكمة . وهي ظاهرة جعلت بعض المستشرقين يرى في القصيدة العربية القديمة كومة من الموضوعات والأفكار ، يتجمع بعضها إلى جانب بعضها الآخر في غير نظام أو ترابط .

وفي ظل هذه الحركة الفنية أيضا ظهرت في الشعر الجاهلي نزعة قصصية ، يعرض الشاعر موضوعه عن طريقها من خلال سرد قصصى تتتابع فيه الأحداث ، وقد يتردد فيه حوار بين الشخصيات ، ولكن في بساطة ويسر وفي غير تعقيد أو مبالغة . وأكثر ما كانت تظهر هذه النزعة في قصص الصيد والمغامرات الغرامية ومغامرات الصعاليك . ولكن هذا كله لم يخرج بالشعر الجاهلي عن دائرته الغنائية ، ولم يمتد بالقصيدة الجاهلية المحدودة لتشكل ملحمة قصصية طويلة مليح ما نرى في الملاحم اليونانية القديمة .

ولغة الشعر الجاهلي هي تلك اللغة الأدبية الموحدة التي فرضت نفسها على المجتمع الأدبي في هذا العصر ، وهي لهجة قريش بعد أن استوعبت لهجات القبائل

الأخرى ، وأذابت ما بينها من اختلافات لهجية ، وهي نفسها العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم في أواخر العصر الجاهلي . ولكنها تختلف عن لغة القرآن بغرابة ألفاظها وبدائتها وخشوتها . وهي ظواهر تعكس طبيعة المجتمع البدوي الذي ظهر فيه هذا الشعر ، وتمثل خصائص لغته قبل أن يهذبها القرآن ويصفيها ويخلصها منها في أكبر عملية « تنقية لغوية » شهدتها اللغة العربية على امتداد حياتها الطويلة عبر أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان .

ومن الطبيعي أن هذه اللغة التي تُنظم فيها الشعر الجاهلي ، والتي تبدو غريبة علينا اليوم لبعدها ما بيننا وبينها زمنياً ، ولاختلاف ما بيننا وبينها من حيث البيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية والمستوى الحضاري ، كانت مألوفة لدى أصحابها الأصلاء ، وأبنائها الذين كانوا يتكلمونها فطرةً وسليقةً . ولذلك كانت هذه الظواهر في لغة الشعر الجاهلي أشد ظهوراً عند شعراء البادية ، في حين خفت حدتها عند شعراء المدن والقرى العربية التي كانت على حظ غير قليل من الحضارة والاستقرار، بينما كادت تختفي عند شعراء الإمارات العربية اللتين قامتتا على حدود الدولتين الفارسية والرومانية : إمارة المناذرة وإمارة الغساسنة ، واللّتين أخذتا بحظ كبير من التقدم الحضاري الأجنبي ، والاستقرار السياسي نتيجة لنظام الحكم الأجنبي الذي كان قائماً فيها ، فامتازت لغتهم بالسهولة واللين والركة التي تعكس طبيعة حياتهم المتحضرة المترفة ، ودخلت فيها طائفة من الألفاظ الفارسية والرومانية ، وطائفة أخرى من الألفاظ المسيحية وبخاصة عند شعراء إمارة الغساسنة التي كانت المسيحية ديارها الرسمية . وهي ظواهر نستطيع أن نتبينها بوضوح إذا وازنا بين شاعر من شعراء البادية كأوس بن حجر أو زهير بن أبي سلمى ، وشاعر كعدي بن زيد أو المنخل اليشكري من المقيمين بإمارة الحيرة ،

بل شاعر من الوافدين عليها كالنابغة الذبياني ، أو من الوافدين على إمارة الغساسنة كحسان بن ثابت .

وصندوق الأصباغ الجاهلي صندوق بسيط يستمد مواده الأولية من واقع البيئة الطبيعية ومظاهر الحياة فيها . وهو — من أجل ذلك — يختلف بين شعراء البادية وشعراء الحاضرة ، فعند شعراء البادية نرى الصحراء وجبالها وكثبانها ورمالها وسرايها وآبارها ومياهها الآجنة وحيوانها وطيرها وزواحفها ، وعند شعراء الحاضرة نرى البحار والأنهار والسفن والملاحين والمزارعين والصناع ، وإن لم يمنع هذا من تداخل المواد الأولية بين البيئتين ، وتسرب بعضها من إحداهما إلى الأخرى ، نتيجة طبيعية لما كان بينهما من صلات متبادلة بسبب الحوار ، وما يترتب عليه من علاقات حيوية ومصالح مشتركة .

والتشكيل الأساسي للصورة في الشعر الجاهلي عند شعراء مدرسة الطبع هو التشكيل التشبيهي ، فقد اعتمد شعراء هذه المدرسة في رسم صورهم على التشبيه اعتماداً أساسياً ، واتخذوا منه اللون البارز في لوحاتهم الفنية ينشرونه فيها على مساحات واسعة ، حتى لتتراءى بعض قصائدهم صفوفاً متلاحقة من التشبيهات ، على نحو ما نرى عند امرئ القيس الذي يعدّه النقاد القدماء أحسن شعراء الجاهلية تشبيهاً ، والذي استطاع أن يبرز قيمة هذا اللون الفني في رسم الصورة ، وأن يوجه الشعراء الذين جاءوا بعده إلى أهميته ، وأن يكون بهذا رائد التشبيه في الشعر العربي .

ومع تطور العمل الفني إلى عمل صناعي عند شعراء مدرسة الصنعة ، ظهر التشكيل الاستعاري ليصبح اللون الأساسي الذي يعتمدون عليه في رسم صورهم . وكما احتل التشبيه في لوحات مدرسة الطبع تلك المساحات الواسعة ،

احتلت الاستعارة مساحات مثلها في لوحات مدرسة الصنعة ، على نحو ما نرى عند زهير الذي يمثل القمة الشائخة التي وصلت إليها هذه المدرسة ، ففي قصائده تتراحم الاستعارات تراحما يدل على أنه كان يتعمدها تعمداً ، ويقصد إليها قصداً ، لأنه حريص على أن يحقق لفنه كل مقومات المذهب الذي اصطنعت مدرسته في صنعتها الفنية ، وأن يجعل من قصائده معرضاً لما بلغت هذه المدرسة من التمام بتقاليدها الفنية وأصولها . وبحق يعد زهير أهم شاعر جاهلي عُني بالصورة الاستعارية ، وارتفع بصناعتها إلى أعلى قمة عرفها الشعر الجاهلي ، ومدَّ بهذا رائداً عبقرياً من روادها الأوائل .

ومع التشكيل الاستعاري يظهر أيضاً عند شعراء هذه المدرسة التشكيل التمثيلي ، وعلى مساحات واسعة أيضاً من لوحاتهم يتراءى هذا اللون الفني اللون الأساسي في رسمها ، والقاعدة الأولى التي تقوم عليها العملية الفنية فيها . وقد أتاح لهم هذا التشكيل — كما أتاح لهم التشكيل الاستعاري ، بل ربما أكثر مما أتاح — فرصة ذهبية لتحقيق مقومات مذهبهم الفني في شعرهم ، وبخاصة الحرص على التفاصيل ، والاهتمام بالجزئيات ، والعناية بوضع اللسات الأخيرة عليها ، على نحو ما نرى عند النابغة الذبياني في لوحته الرائعة التي رسمها لفيضان الفرات من خلال مدحه للنعمان وتشبيه كرمه به ، وأيضاً عند عنتره في لوحته الخلابه التي رسمها لروضة عطرة من رياض الصحراء من خلال وصفه لصاحبه الجميلة المعطرة .

ومع ظهور مدرسة التقليد في أواخر العصر الجاهلي ، في عصر ذي قار ، وتقدم الجيل الثالث من شعراء هذا العصر إلى مسرح الحياة الأدبية ، تتداخل هذه التشكيلات الثلاثة الأساسية ، وتتداخل معها تشكيلات أخرى ثانوية ، وتمتزج مقومات المدارس الثلاث وتقاليدها الفنية ، وتمتزج أصباغ صناعاتها المختلفة ،



في عملية فنية بارعة يرتفع معها التقليد والمحاكاة إلى درجة عالية من البراعة والمهارة والحدق والإحكام ، على نحو ما نرى في لوحات ليبد الرائعة التي رسمها في معلقته لحوان الصحراء الوحشي وما يدور بينه وبين الصيادين المتربصين به من صراع من أجل الحياة . وهي لوحات نستطيع أن نرجع بكثير من ألوانها وتشكيلاتها إلى شعراء سابقين من المدرستين اتخذ من شعرهم نماذج ومثلاً يحتذيها ويقبلها ويحاكيها في براعة تامة ، وقدرة فائقة ، وخبرة دقيقة بمقومات الفن والصنعة عندهم .

وعلى امتداد الطريق الفني الطويل بمراحله الثلاث كانت تتساقط على استحياء ألوان بسيطة من البديع تساقطاً عفويًا في غير عمد أو تكلف أو مبالغة ، وبخاصة الطباق والجناس . وهي ألوان لم تتحول إلى أن تكون تشكيلات أساسية في الصورة الفنية ، أو أن تشكل ألواناً بارزة في رسمها .

## ( ٩ )

وأشهر قصائد الشعر الجاهلي هي تلك المجموعة التي عُرفت « بالمعلقات » . وهي أقدم مجموعة من مجموعات هذا الشعر وصلت إلينا من عصر التدوين في القرن الثاني الهجري ، قام باختيارها وجمعها راوية الكوفة المشهور حماد الراوية (ت ١٥٦ هـ أو ١٦٤ ) .

ويختلف العلماء حول تفسير هذه التسمية وتعليلها ، ولم يسم في ذلك محاولات متعددة ، أشهرها محاولتان ، تذهب إحداهما إلى أن السبب في هذه التسمية أنها كانت مكتوبة منذ العصر الجاهلي بماء الذهب في صحف من الكتان المصري كان يصنعها أقباط مصر أو — على حد عبارتهم — « في قبايطي مُدرجة » ، وأنها

كانت معلقة بأستار الكعبة تقديرا لقيمتها الفنية واعترازا من العرب بها . وتذهب الأخرى إلى أنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت معلقة في خزان ملك من ملوك العرب لم تحدد الروايات اسمه ، ولعله النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، اختارها من بين قصائد الشعر الجاهلي التي كانت تلقى في سوق عكاظ ، وأمر بتعليقها في خزانته إعجابا بها وحرصا عليها من الضياع .

وفي أغلب الظن أن كلنا الروايتين غير صحيحة ، وأن هذه التسمية ليست جاهلية ، وإنما هي تسمية متأخرة لم تعرف إلا في عصر التدوين ، وأن الذي أطلقها على هذه المجموعة المختارة هو الذي قام باختيارها وجمعها وتدوينها ، وهو حماد الراوية ، تشبيها لها بالقلائد والعقود التي تعاقبها المرأة على جيدها للزينة ، ولذلك سماها أيضا « السُّمُوط » ، وهي مرادف لغوى لكلمة « المعلقات » ، وكأنما كان حماد يشير بهذين الاسمين إلى أنها أجود ما في الشعر الجاهلي ، وأنها القلائد النفيسة والعقود الثينة في جيد هذا الشعر .

وعدد المعلقات في المجموعة التي رواها حماد سبع معلقات :

( ١ ) معلقة امرئ القيس ( ٨٢ بيتا ) :

فما نبتك من ذكري حبيب ومترل      يسقط اللوى بين الدخول فحومل

( ٢ ) ومعلقة طرفة بن العبد ( ١٠٦ بيت ) :

نحولة أطلال ببرقة تهمد      تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

( ٣ ) ومعلقة زهير بن أبي سلمى ( ٥٩ بيتا ) :

امن أم أوفى دمنة لم تكلم      بحومانة الدراج فالمتشلم

( ٤ ) ومعلقة ليبيد ( ٨٩ بيتا ) :

عَفَتَ الدِّيارَ مَحْدَها فُقامَها      بِمَني تَأبَدَ غَوَها فِرِجامَها

( ٥ ) ومعلقة عنتره ( ٨٠ بيتا ) :

هل غادر الشعراء من مَترَدَمٍ      أم هل عرفت الدار بعد توهم

( ٦ ) ومعلقة عمرو بن كلثوم ( ٩٦ بيتا ) :

ألا هَبِّي بِصَبحِكَ فاصبَحينا      ولا تُبقي نَحَورَ الأَندرينا

( ٧ ) ومعلقة الحارث بن حلزة ( ٨٥ بيتا ) :

آذَنَتنا بَينَها أَسَماؤُ      رَبِّ نائِ يَمَلُّ مِنه الشَّواءُ

ثم أضيفت إليها بعد ذلك عند بعض الرواة ثلاث قصائد أخرى ، فاكتملت بهذا عشرة ، وهي — على حسب رواية التبريزي لها في شرحه عليها — :

( ٨ ) معلقة الأعشى ( ٦٣ بيتا ) :

وَدَّعَ هَريرةَ إن الركبَ مَرَحَلُ      وهل تطيق وداعا أيها الرجلُ

( ٩ ) ومعلقة النابغة الذبياني ( ٥٠ بيتا ) :

يادار مَيَّةَ بالِعلياء فالسَّندِ      أقوتُ وطال عليها سالف الأيدِ

( ١٠ ) ومعلقة عبيد بن الأبرص ( ٤٨ بيتا ) :

أَقفَرَ من أَهلِهِ مَلحوبُ      فالقَطِيباتُ فالذُّنوبُ

وبين الرواة اختلاف حول طائفة منها ، فهي في رواية المفضل الضبي سبع

معلقات ، ولكنه يُسقط منها معلقتي الحارث وعنتره ، ويثبت مكانهما معلقتي

الأعشى والنابغة السابقتين ، ولكن أبا زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب »

يضع بدلا منهما قصيدتين أخرتين لهما ، فيضع للأعشى لاميته :

ما بكاء الكبير بالأطلال . وسؤالى وما تَرَدَّ سؤالى

ويضع للنابعة واثيته :

عوجوا فحيوا لنعيم دمنة الدار ماذا تحيون من نُؤي وأحجار

وبعض الرواة يسقط معلقة عبيد ولا يعترف بها بين المعلقات ، على نحو ما فعل أبو زيد القرشى في « الجمهرة » وأبو جعفر بن النحاس في شرحه على المعلقات ، وهي تسع عنده . وهناك أيضا اختلاف آخر بين الرواة في عدد أبياتها وترتيبها ، وفي رواية ألفاظها ، وهو اختلاف مألوف في نصوص الشعر الجاهلي كلها ، وهو أيضا طبعي نظرا لوصولها إلى عصر التدوين عن طريق الرواية الشفوية على السنة أكثر من وار . والعدد الذي أخذنا به هنا هو ما أخذ به التبريزي في شرحه عليها .

والأمر الذي لا شك فيه أن هذه المعلقات من أجود نصوص الشعر الجاهلي ، ومن أطول قصائده . وهي — إلى جانب ذلك — لمجموعة من أكبر شعرائه من قبائل مختلفة ، ومن مراحل زمنية مختلفة ، وأيضا من مذاهب فنية مختلفة ، فهي بهذا تغطي مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وتستعرض مراحل العصر الجاهلي الأدبي من بدايته حتى نهايته ، من امرئ القيس وعبيد وهما من أقدم شعراء هذا العصر ، إلى الأعشى وهو من آخر شعرائه ، إلى لبيد الذي امتد به الأجل حتى أدرك الإسلام . وهي أيضا تمثل مدارس الشعر الجاهلي الثلاث : مدرسة الطبع التي يمثلها امرؤ القيس وعبيد وطرفة وعمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة ، ومدرسة الصنعة التي يمثلها زهير والنابعة وعنترة ، ومدرسة التقليد التي يمثلها الأعشى ولبيد ، فهي — من هذه الناحية — تعرض صورة واضحة دقيقة للتطور الفني الذي مر به الشعر على امتداد العصر الجاهلي .



والى جانب « المعلقات » تقف مجموعة أخرى من مجموعات الشعر الجاهلي لا تقل عنها أهمية ، وهي « المفضليات » . وهي مجموعة من القصائد الطويلة والمقطوعات القصيرة اختارها راوية الكوفة المشهور المفضل الضبي (ت حوالى ١٧٠ هـ) . ويختلف عدد قصائدها ومقطوعاتها وترتيبها بين رواياتها المختلفة التى أخذها عن المفضل تلاميذه ، وأخذها عنهم رواتها . ويذكر ابن النديم فى « الفهرست » أن أصح رواياتها رواية ابن الأعرابي تلميذ المفضل الأول ، وهى عنده مائة وثمان وعشرون قصيدة ومقطوعة . وكانت البداية ثمانين قصيدة ومقطوعة اختارها المفضل بأمر من الخليفة العباسى المنصور لتكون موضوعا لدراسة ابنه المهدى ، ثم أضاف إليها بعد ذلك القصائد الثمانى والأربعين التى اكتمل بها عددها المعروف . وهى تضم مختارات من الشعر الجاهلي والشعر الإسلامى لسبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة وأربعون جاهليا ، والعشرون الآخرون إسلاميون .

وتأتى أهمية المفضليات من أنها تروى القصائد والمقطوعات كاملة دون تصرف فيها أو انتخاب منها ، فهى — من هذه الناحية — تتيح للباحثين فرصة الاتصال بالنص الجاهلي كاملا . وهى — من ناحية أخرى — تقدم نصا جاهليا موثقا بعيدا عن شبهات الوضع واتهامات الانتحال ، يقدمه راوية ثقة غير متهم من رواة الشعر الجاهلي الكبار . ثم هى — بعد ذلك — تعرض علينا صورة دقيقة للحياة الجاهلية بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، من ناحية ، وصورة أخرى لحركة الشعر الجاهلي بين مجموعة كبيرة من شعراء القبائل والشعراء الذاتيين ، من ناحية ثانية ، كما تقدم لنا — من ناحية ثالثة — مادة لغوية طيبة توضع أيدينا على المعجم اللغوى للشعر الجاهلي ، ومن بينها مجموعة من الألفاظ اللغوية

على قدر كبير من الأهمية ، لأنها مما أهمله اللغويون ولم يثبتوه في معاجمهم ، ولعله سقط من بين أيديهم سهواً ، أو لعله لم يصل إلى أيديهم وهم يقومون بعملهم الضخم في جمع اللغة وحصر موادها ومفرداتها .

وإلى جانب هاتين المجموعتين تقف مجموعة ثالثة ، وهي « الأصمعيات » التي جمعها راوية البصرة الكبير الأصمعي ( ت ٢١٥ ، أو ٢١٦ أو ٢١٧ ) . ويبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين لواحد وسبعين شاعراً جاهلياً وإسلامياً ، منهم نحو أربعين جاهلياً ، والباقيون إسلاميون . وهي تعد امتداداً للمفضليات ، ولكنها تختلف عنها اختلافاً أساسياً ، فبعض قصائدها لم ترو كاملة ، وإنما اكتفى الأصمعي بمختارات منها . ومن هنا تبدو أقل أهمية من المفضليات . وربما يرجع السبب إلى أن المفضل — بحكم ريادته — سبق إلى اختيار أجمل ما في الشعر الجاهلي ، فلم يترك للأصمعي فرصة واسعة للاختيار .

وراء هذه المجموعات مجموعات أخرى من الاختيارات ، بحمزة أبي زيد القرشي والحماسات المختلفة التي تشكل قائمة كبيرة من مختارات الشعر العربي القديم ، ومجموعات أخرى من دواوين الشعراء ودواوين القبائل ، وأشهر ما وصل إلينا منها « ديوان هذيل » الذي قام بصنعه وشرحه الراوية البصري أبو سعيد السكري ورواية من الأصمعي . ولكن مما يؤسف له أن كثيراً من هذه الدواوين — دواوين الشعراء ودواوين القبائل — ضاع مع رحلة القرون الطويلة تحت ظروف مختلفة فلم يصل إلينا ... خسارة كبيرة يحاول الباحثون والمحققون المحدثون تعويضها بما يقومون به من نشر ما لا يزال مخطوطاً في خزائن دور الكتب ، وجمع ما تناثر من نصوصها في المصادر الأدبية والتاريخية .

## ( ١٠ )

إلى جانب هذا النشاط الشعري المواجه بالحياة الذي شهدته الجزيرة العربية في هذا العصر ، كان هناك نشاط نثري أيضا لا يقل حيوية عن هذا النشاط ، ولكن النماذج الفنية التي وصلت إلينا منه أقل ، نتيجة أساسية لصعوبة احتفاظ الذاكرة بالنصوص النثرية بسبب افتقادها ضوابط الوزن والقافية التي تعين على الاحتفاظ بالنصوص الشعرية . وهذه هي المشكلة التي دفعت طائفة من الباحثين إلى إنكار ما وصل إلينا من النثر الجاهلي جملة وتفصيلا ، وجعلت شبهات الوضع والانتحال تحيط به من كل ناحية . ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع الجاهلي الأدبي لم يعرف النثر الفني ، وليس معناه أيضا أن يكون النثر الجاهلي كله قد طوته رمال الصحراء وأخفت معالمه إلى الأبد . فقد اكتسبت الذاكرة العربية التي اعتمد عليها العرب اعتمادا أساسيا في حفظ تراثهم الأدبي على امتداد عصر الرواية الشفوية قدرة غير عادية على الاحتفاظ بما يستقر فيها من معلومات ، مما أتاح للرواة أن يحتفظوا بنصوص من هذا التراث ، إن لم تكن صورة طبق الأصل منه فإنها — بدون إثارة مفتعلة لقضية الانتحال — صورة قريبة منه ، نستطيع من خلالها أن نحدد اتجاهاته الموضوعية وخصائصه الفنية . ومن الحق أن فرصة الاحتفاظ بالتراث الشعري أوسع ، ولكن هذا لا يعني — بأي حال من الأحوال — ضياع كل التراث النثري جملة وتفصيلا ، وإنما يعني فقط ضياع أكثره ، واحتفاظ القليل الذي وصل إلينا منه بما يتيح لنا أن نرسم الخطوط العريضة له التي تحدد مجالاته واتجاهاته وطبيعته الفنية . وإلا فقيم ألف الجاحظ كتابه الضخم « البيان والتبيين » الذي يحاول أن يرصد فيه حركة النثر في العصر الجاهلي ، ويثبت أن العرب الجاهليين كما تفوقوا في الشعر تفوقوا في النثر أيضا ؟

والحقيقة التي لا يختلف عليها الباحثون اليوم أن العرب الجاهليين كانوا يعرفون الكتابة ، وبخاصة في مجتمعات المدن التي كانت على حظ غير قليل من الحضارة والاستقرار ، لحاجتها إليها في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فبين أيدينا نصوص ووثائق وروايات ثابتة تؤكد هذه الحقيقة . ولكن الأمر الذي يتفق عليه أكثر الباحثين أن هذه المجتمعات لم تستخدم الكتابة في أى مجال أدبي ، ولم تعتمد عليها في تسجيل نشاطها الأدبي ، وإنما كانت تستخدمها في المجالات الحيوية التي أشرنا إليها ، تسجل بها العقود والديون والصفقات التجارية ، وتدوّن بها العهود والمواثيق والأحلاف ، وتعتمد عليها في المكاتبات الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة ، وفي الرسائل التي كانت تتبادلها مع ملوك الإمارات والدول المجاورة لها في اتصالاتها السياسية والاقتصادية المتعددة ، ونحو ذلك من المجالات المختلفة التي تتصل بقاعدة الحياة العامة التي تقوم عليها هذه المجتمعات . وفي القرآن الكريم دعوة إلى الوفاء بالعقود ، وأمر صريح بكتابة الديون ، وحديث عن إيلاف قريش الذي عقده بينها وبين القبائل التي تمر بها قوافلها التجارية في رحلتى الشتاء والصيف بين اليمن والشام . وفي الحديث النبوى تردد الدعوة إلى توثيق المعاملات بين أفراد المجتمع بكتابتها وتسجيلها . وفي الشعر الجاهلى إشارات كثيرة إلى العهود والمواثيق التي كانت القبائل تعتمد على تسجيلها في صحف عرفت عندهم بالمهّارق . وفي الروايات والأخبار أحاديث كثيرة عن المكاتبات التي كانت تتم بين طبقة السادة وطبقة العبيد ، وسيلة من وسائل عقدهم وتحريرهم . ولكن لا توجد — حقيقةً — أى إشارة فى أى من هذه المصادر إلى أن العرب الجاهليين استخدموا الكتابة فى المجال الأدبي ، لا فى مجال الخلق والإبداع ، ولا فى مجال التدوين والتسجيل .



ومعنى هذا أن النثر الجاهلي كان كله نثراً شفويّاً ، ولا نستطيع أن ندعى — بأى حال من الأحوال — أن المجتمع الجاهلي عرف أى صورة من صور النثر الأدبي المكتوب . حتى الرسائل التى تتردد الإشارة إليها فى المصادر ، وتروى نصوص منها على ألسنة الرواة ، كانت كلها رسائل سياسية أو اجتماعية ، تبادلها سادة القبائل فيما بينهم أو بينهم وبين ملوك الإمارات التى تحيط بهم أو تجاورهم على مناطق الحدود .

\* \* \*

فى ضوء النصوص التى وصلت إلينا ، والتى تحدد المجالات الأساسية للنثر الجاهلي ، نستطيع أن نلاحظ أن أول هذه المجالات وأهمها وأوسعها انتشاراً فى المجتمع الجاهلي الخطابة . فقد كان لكل قبيلة خطبائها الرسميون المتحدثون باسمها فى المحافل والأندية أمام الملوك والأمراء وسادة القبائل فى وفادتها عليهم ، وكان هؤلاء الخطباء يمثلون الألسنة الناطقة باسم قبائلهم إلى جانب الشعراء ، بل إن بعض الرواة القدماء لاحظوا أن الخطابة فى أواخر العصر الجاهلي تفوقت على الشعر ، واحتلت مكانة أرفع من مكانته ، وأصبح الخطباء أعظم قدراً فى مجتمعات قبائلهم من الشعراء . وهى ملاحظة نقلها الجاحظ فى « البيان والتبيين » عن راوية البصرة الكبير أبى عمرو بن العلاء : « كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجاتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفعّم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعرٌ غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مَكْسَبَةً ، ورحلوا إلى السوق ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » . وتختلف المصادر الأدبية والتاريخية بصورة رائعة لهذا

الدور الكبير الذي كان يقوم به خطباء القبائل في مجالات الوفاة فيما ترويه من خطب أشراق القبائل في وفودهم على كسرى وغيره من ملوك العرب وأمرائهم . وفي السيرة النبوية صورة معبرة عن هذا الدور فيما ترويه من خطب وفود القبائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة يعلنون إسلام قبائلهم . وفي كل وفد خطيب أو خطباء يقومون بين يدي الرسول فيلقون خطبهم ، حتى إذا ما فرغوا منها وقف خطيب الرسول أو خطباؤه يردون عليهم .

ووراء خطباء القبائل أو هؤلاء « المتحدثين الرسميين » باسم قبائلهم خطباء لا حصر لهم يخطبون في المناسبات العامة والخاصة : في الدعوة إلى الحرب أو في الدعوة إلى السلام ، وفي حفلات الخطبة والزواج ، وفي مآتم العزاء ومجالات الرثاء ، وفي الأسواق وبخاصة سوق عكاظ حيث كانت تتاح الفرصة لكل خطيب أن يقول ما يشاء ، وأن يعلن رأيه في أي أمر كما يشاء . وتحتفظ السيرة النبوية بخطبة أبي طالب في خطبته للسيدة خديجة للنبي عليه السلام ، كما تحتفظ المصادر الأدبية بخطبة قُص بن ساعدة المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ ، وسمعاها النبي عليه السلام وتحدث بها . وقد وقف الجاحظ طويلا في « البيان والتبيين » أمام هؤلاء الخطباء ، ومضى يستعرضهم في شتى القبائل ، ويروي كثيرا من خطبهم ، ويسجل تقاليد الخطابة العربية وأصولها وطقوسها ، حتى ليخيل للمرء أن الجزيرة العربية في العصر الجاهلي كانت تموج في كل مكان بنشاط خطابي لا حدود له ، وكأنما تحول كل عربي فيها إلى خطيب ، أو كأنما كان كل عربي فيها خطيبا . وفي كثير من نصوص الشعر الجاهلي مدحٌ لسادة القبائل بالبراعة في الخطابة والقدرة على البيان في مجالات القول المختلفة .

ومن بين هؤلاء الخطباء الذين يصعب حصرهم تلمع أسماء طائفة تتفق المصادر الأدبية على أنهم من أخطب خطباء هذا العصر ، من أمثال عمرو ابن كلثوم خطيب تغلب وشاعرها ، وهانيء بن قبيصة الشيباني خطيب يوم ذي قار ، وقيس بن خارجة الغطفاني خطيب داحس والغبراء الذي ظل يخطب فيها يوما كاملا حتى أدركه الليل ، وحاجب بن زُرارة خطيب تميم ، وعمرو ابن الأهتم المنقري الذي يذكر الجاحظ أنه لم يكن في بادية العرب في زمانه من هو أخطب منه ، والذي قال النبي عليه السلام تعليقا على خطبة له : « إن من البيان لسحرا » ، وقيس بن عاصم المنقري الذي قال عنه النبي « هذا سيد أهل الوبر » ، والذي رأى عبدة بن الطبيب الشاعر في وفاته « بنيان قوم تهدما » ، وعتبة ابن ربيعة خطيب قريش يوم بدر ، وسهيل بن عمرو خطيب مكة الذي انتدبته قريش لمفاوضة النبي في الحديبية .

\* \* \*

وإلى جانب الخطابة تقف « المنافرات » . وهي صورة من صور الخطابة تشبه المناظرات ، حيث يقف سيدان يتفانران ، كل منهما بفضائله ومآثره وأمجاده ، وبنسبه وحسبه ومزله في قومه ، أمام حاكم من أشرف العرب أو من كهانهم ، يحتكان إليه ليفصل بينهما . وكانت هذه المنافرات أكثر ما تكون حين يتنازعان على رئاسة القبيلة ، وكأنها صورة مبكرة لما نراه الآن من مناظرات بين المتنافسين على الرئاسة في النظام الجمهوري . وكانت القبائل تحتفل بهذه المنافرات احتفالا كبيرا ، تحدد له موعدا ، وتعلن عنه منذ وقت مبكر ، وتدعو إلى شهوده سادة القبائل الأخرى ، وتقيم من أجله الولائم وتحر الذبائح ، وتقدم الأطعمة ، وتخصص للحكم نصيبا من الإبل يتفق عليه المتنافران ، يدفعه إليه

المغلوب منهما ، ويرهنون من أجل الوفاء به رهنا من أبنائهم عند سيد منهم كانوا يسمونه « الضَّمين » . وأحيانا كان المتنافران هما اللذين يتوجهان إلى حكم يرتضيانه ليتنافرا أمامه في حضور سادة القبائل وأشرافها ، وأحيانا كانا يترددان على أكثر من حَكَم إذا لم يقبلا حُكْم واحدٍ منهما ، أو إذا رفض أحد الأحكام الحكم بينهما تخرجاً من حساسية الموقف ، أو حرصاً على وحدة القبيلة من أن يفرق بينها الحكم لواحدٍ منهما ، أو يوقع بين أحيائها فتنة أو شراً .

وتحتفظ المصادر الأدبية بطائفة من هذه المنافرات ، وما كان يحيط بها من ضروب الاستعداد لها ، وما كان يدور فيها من مراسم وتقاليد ، وما كان يصاحبها من تحرك وتخطيط لنصرة أحد المتنافرين على الآخر ، أو لتهديئة الموقف بينهما ، وامتصاص روح الفتنة منه بالتسوية بينهما ، أو بتأجيل المنافرة إلى موعد آخر يتيح الفرصة لتسوية الموقف ، على نحو ما نرى في المنافرة المشهورة بين علقمة بن عُلاتة وعامر بن الطفيل حول رئاسة بني عامر ، بعد أن بلغ سيدها عامر بن مالك السن التي يعجز عندها عن سياسة القبيلة ، ويحسن به أن يتنازل فيها عن الرئاسة . وهي منافرة شغلت الناس أياماً طويلة ، وتردد المتنافران من أجلها على أكثر من حَكَم ، حتى انتهى إلى سيد فزارة هيرم بن سنان السيامي الحكيم الذي استطاع أن يضع حداً لحرب داحس والغبراء بعد أن فرقت بين عبس وذبيان دهماً طويلاً ، واستطاع هيرم أن يترع فتيل الفتنة بين أحياء عامر ، وأن يمتص روح التحدى من أعماق السديين المتنافرين ، فسوى بينهما ولم يفضل أحدهما على الآخر : « فيجلب بذلك مداوة ، ويوقع بين الحيين شراً » — على حد عبارة الرواة القدماء الذين رووا هذه المنافرة .



وواضح أن هذا كله يدل على ازدهار الخطابة في العصر الجاهلي ، وأنها سجلت نهضة قوية لا يمكن أن نسقطها من حسابنا تحت ضغط شبهات الوضع والاتصال . وفي ظل هذا الازدهار وهذه النهضة استقرت للخطابة الجاهلية مجموعة من التقاليد تعارف عليها خطباء هذا العصر ، واستقرت لها مجموعة من الخصائص الفنية تمثل مذهباً فنياً كان الخطباء يحرصون عليه ويلتزمون به في خطاباتهم . فكان الخطباء يخطبون في المحافل العامة على رءسهم أو على مرتفع من الأرض ، وكانوا يلوثون العمام على رؤوسهم ، ويمسكون في أثناء خطاباتهم بالعصى والمخاض والقضبان والقنا والقسي ، وهي مما أخذته الشعوبية على العرب مما اضطر الجاحظ إلى الدفاع عنه في أول كتابه « البيان والتبيين » ، حيث عقد كتاباً عن العصا ، وعد حملها في أثناء الخطابة مزية خاصة بالعرب دون غيرهم من الأمم .

ويفتوت أسلوب الخطابة الجاهلية بين الأسلوب المرسل والأسلوب المسجوع ، وإن يكن السجع السمة الغالبة عليها ، والطابع العام لها . ويلاحظ الجاحظ ملاحظة دقيقة بارعة حين يذكر أن أكثر ما كانوا يستخدمون السجع في المنافرات ، وأما الأسلوب المرسل فأكثر ما كانوا يستخدمونه في خطابة المحافل والمناسبات العامة ، كما يسجل أن عنايتهم بخطاباتهم ، والحرص على تجويدها وتقويمها وتنقيحها وتصفيها ، لم تكن أقل من عنايتهم بشعرهم ، وبخاصة في طوال خطبهم كما كان الأمر في طوال قصائدهم ، وأن هذه الخطب الطوال كانت تمر قبل ارتجالها بمرحلة تفكير فيها وإدارة لها في الصدور . ولعل هذا هو الذي جعل شعراءهم يشبهون خطبهم بالوشى والدياج والثيراب المنقوشة المصورة .

وإلى جانب الخطابة والمنافرات عرف المجتمع الجاهلي صورة أخرى من صور هذا النشاط النثري الواسع النطاق ، وهي « مجمع الكهان » . والكهان طائفة من المتنبيين بالغيب ، كان أكثرهم من سَدَنَةِ بيوت الأصنام والأوثان ، عرفهم المجتمع الجاهلي كما عرف المجتمع الفرعوني في مصر القديمة كهنة المعابد الدينية . وكان لكل منهم تابع من الجن أو « رِيّ » يصعد في السماء ، ويسترق السمع إلى ما تخطه أفلام الملائكة من مصائر البشر ، ثم يعود إلى صاحبه فيوحى إليه بما تساقط إلى سمعه ، وعلى أساس منه ينبي الكاهن نبوءاته عن الغيب المجهول الذي يسأل عنه من يقصده من البشر الباحثين عن حلول لما يعترض حياتهم من مشكلات غامضة لا تملك عقولهم وسيلة لحلها ، أو لما يُقدِّمون عليه من أعمال خطيرة لا يعرفون نتائجها . وفي سورة الجن حديث طويل عن رجال من الإنس كانوا يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ، وأنهم كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع ليسرقوا أخبارها من الملائكة ، وأنهم بعد بعثة النبي حيل بينهم وبينها ، إذ وجدوها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، فمن يستمع الآن منهم يجد له شهابا رصدا يحرقه قبل أن يصل إلى أبواب السماء . وهو حديث يتردد أيضا في سورة الصافات .

وكان هؤلاء الكهان يعيشون حياة كهنوتية غامضة ، تكتنفها أسرار مجهولة تحولت في أذهان الناس إلى أساطير خيالية ، جعلت العرب يعتقدون فيهم قدرات خارقة يعجز عنها البشر ، ويحيطونهم بهالات من التقديس يشوبه كثير من الرهبة والخوف والحذر . وتتردد في المصادر الأدبية والتاريخية أسماء كثير منهم ، من أمثال سواد بن قارب والمأمور الحارثي وخنافر الحميري وعزى سلمة . وربما كان أشهرهم ذكرا ، وأبعدهم صيتا ، وأشدهم غموضا وأسطورية شق الذي

يصفونه بأنه كان نصف إنسان ، له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة ، ومطيح الذي يصفونه بأن جسمه لم تكن به عظمة واحدة إلا جمجمته ، وأن وجهه كان في صدره ، ولم يكن له عنق . ومع هؤلاء الكهان كانت هناك كاهنات من أشهرهن الشعناء والزرقاء والكاهنة السعدية وكاهنة ذى الخلصة والغيطلة القرشية وزبراء كاهنة بنى رثام .

كان العرب يلجئون إلى هؤلاء الكهنة والكاهنات يستشيرونهم فيما يعرض لهم من مشكلات لا يجدون لها حلاً ، أو فيما يعترمون القيام به مما لا يعرفون نتائجها ، لعلمهم يجدون عندهم النصيح أو التوجيه ، وكانوا يقدمون لهم نبوءاتهم في أسلوب متميز خاص بهم ، له خصائصه التي ينفرد بها من بين أساليب النثر والشعر التي عرفها المجتمع الجاهلي . وهو أسلوب يعد انعكاساً لحياتهم الكهنوتية الغامضة التي تغلفها أجواء أسطورية تموج بها أسرار مجهولة مبهمة كأنها وسوسات الشياطين الذين يوحون إليهم نبوءاتهم . أسلوب غريب يحيط به جو غامض مبهم تحوم حوله أسرار الغيب المجهول ، يعتمد أساساً على الرمز الذي يحقق له هذا الغموض وهذه الكهنوتية ، ويتخذ من السجع القصير الفواصل وسيلة للتعبير عما يحوم حوله من أسرار ، ويصطنع لغة ممعنة في الإغراب كأنها لغة الشياطين ، ليزيد من هذا الغموض ، ويحسم من هذه الأسرار ، ويبالغ من هذا الرمز ، وليترك الباب بعد ذلك مفتوحاً لشتى الاحتمالات والتأويلات . ويستعين على تأكيد هذا كله بأقسام غريبة غير مألوفة عند العرب بمظاهر الطبيعة المختلفة : الأرض وما فيها من جبال وأشجار وبحار ومياه وحيوان ونبات وطير ، والسماء وما فيها من كواكب ونجوم وبروج وشمس وقمر ، وما يتحرك بين السماء والأرض

من رياح وأنواء ، وسحاب وأمطار ، ونور وظلام ، وليل وصباح ، وشروق وغروب . وهو أسلوب استقرت معالنه وسماته المميزة له في نفوس العرب الجاهليين ، حتى خُيل لهم — وهم يستمعون إلى آيات القرآن الأولى التي نزلت في بداية المرحلة المكية — أنها أقوال كاهن من كهانهم ، فاتهموا النبي — من بين ما اتهموه به — بأنه كاهن أو ساحر . وقد وصف النبي عليه السلام رجلا من هذيل اصطنع هذا الأسلوب في خصومة بين امرأتين من قومه بأنه « من إخوان الكهان » ، وأنكر عليه أن يسجع كسجع الجاهلية . وهذا كله يزيد من تأكيد الصورة الأسلوبية التي وصل إلينا فيها سجع الكهان ، ويرد على من يطلقون الحكم بوضعه وانتحاله إلى حد إنكاره كله .

\* \* \*

وراء هذه الألوان الثلاثة من النثر الجاهلي كانت هناك مجموعات من الوصايا والحكم ، وحشود لا حصر لها من الأمثال ، جرت على ألسنة طوائف من المعمرين والحكماء الذين عرفهم هذا العصر ، واحتفظت بأسمائهم ونصوصهم مصادره المختلفة ، أمثال أكتم بن صيفي التيمي ، وعامر بن الظرب العدواني ، وذى الإصبع العدواني ، وطائفة أخرى من النساء من أمثال صخر بنت لقمان ، وهند بنت الحُس ، وجمعة بنت حابس ، وأمامة بنت الحارث .

وتدور هذه الوصايا والحكم والأمثال حول تجارب هؤلاء الحكماء والمعمرين في الحياة ، وما اتبها إلى من آراء في مجال العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين الناس . وهي — من أجل ذلك — تمتاز بالتركيز البالغ والإيجاز الشديد اللذين يحققان لها ما تهدف إليه من تقديم خلاصة التجربة في عبارة مختصرة ، تنفذ إلى سامعها من أقرب طريق ، في غير عوج أو دوران ، لتستقر في أعماقه واضحة



محددة خالصة من التفصيل والجزئيات، يجدها كلما طلبها كما استقرت فيها كأنما نُقِشت فيها نقشا . ولعل هذا هو الذي أتاح لكثير منها أن يصل إلينا كما نطق به أصحابه دون تغيير أو تحريف، ولعلها بهذا تصبح أصح نصوص من النثر الجاهلي وصلت إلينا وأوثقها وأشدّها قربا إلى أصولها الأولى .

ومن أجل ذلك نرى في طائفة منها خروجا على النظام اللغوي، وشذوذا على القياس النحوي، كأنما كانت هذه آثارا لاحتفاظها برواسب من لهجات القبائل المحلية التي لم يحرص على تسجيلها علماء اللغة والنحو، أو نتيجة لتحويلها على ألسنة الشعب العربي في شتى مجالات حياته إلى تراث شعبي لا يخضع لمقاييس التراث الرسمي الفصيح . ولعل في ذلك ما يفسر أن أكثر هذه الحكم والأمثال تُنسب إلى مجهولين لا نعرف عنهم شيئا، بل حتى لا نعرف أسماءهم .

\* \* \*

يوسف خليف



# القسم الأول

## كتاب الشعر





عصر البسوس



## المَهْلِل

في أواخر القرن الخامس الميلادي اشتعلت ومال الجزيرة العربية نيران حرب عاتية استمرت — فيما يذكر الرواة — أربعين سنة ، وهي حرب البسوس التي دارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب بعد مصرع كليب سيد ربيعة التغلبي على يد جَسَّاس البكري الذي غضب لإهانة لحقت خالته البسوس حين رمى كليب ناقةً لها بسهم أصابها فقتلها ، فتارت نائرة جساس وانطلق إليه فقتله . وخرج المهلهل أخوه يطالب بثأره ، وكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت نيران هذه الحرب الضارية .

والمهلهل بطل هذه الحرب هو عَدِيّ بن ربيعة ، يرجع نسبه إلى قبيلة تغلب ، وأكثر الرواة على أنه لُقِّبَ بالمهلهل لأنه أول من هلهل القصيدة العربية ، أى أطالها وخرج بها من مرحلة المقطوعة ، وهي المرحلة التي سبقت حرب البسوس . نشأ المهلهل في قبيلته كما ينشأ فتيان قومه وكان أبوه سيد ربيعة وقائدها في معارك التحرير ضد القبائل اليمنية التي غزت أرضها واحتلتها . وكان أخوه كليب سيدها بعد أبيه ، وقائدها في هذه المعارك حتى تم لها النصر فيها وطرد اليمنيين الغزاة . وشارك المهلهل في معارك التحرير تحت قيادة أبيه وأخيه ، حتى إذا ما استقرت الأمور ، وتولى كليب زعامة مُضَرَ ، انصرف المهلهل إلى حياة لاهية فارغة ، واتجه إلى متعه وملذاته : الخمر والمرأة والميسر والصيد .

ثم كانت نقطة التحول الضخمة في حياته حين بلغه مصرع أخيه ، خلف وراءه دنيا اللهو التي كان غارقا فيها حتى أذنيه ، ونقض يديه منها ، وحمل على كتفيه تبعه النار لأخيه ، وأقسم ألا يقرب النساء ، ولا يشرب الخمر ، ولا يشم الطيب حتى يثار له . وخاض المهلهل سلسلة من الوقائع الرهيبة ضد قبيلة بكر قتلة أخيه ومن تحالف معها من القبائل ، وتعددت انتصاراته . ثم بدأ ميزان الحرب يتحول حين دخل الحارث بن عباد سيد قبائل بكر كلها الحرب بعد أن كان قد اعترلها منذ بدايتها ، فقد توالى انتصارات بكر بقيادته ، وبدأت تُدرُّ الهزيمة تلوح لتغلب في الأفق . وكأنما أدرك المهلهل أن أيام النصر قد ولت إلى غير رجعة ، فقرر أن يغادر ميدان الصراع ، ويرتحل بعيدا بأهله ، لعل ذلك يساعد على انطفاء نار الحروب وعودة الحياة إلى طبيعتها .

وتضطرب الحياة بعد ذلك بالمهلهل ، وتشهده صحراء نجد مرة مع قومه في طريقهم إلى العراق فرارا من البكرين الذين ظلوا يتعقبونهم من مكان إلى مكان ، وتشهده مرة أخرى مع أهله وخدمهم فارين إلى اليمن بعد أن خلف قبيلته في طريقها نحو العراق ، ثم تشهده للمرة الأخيرة وهو يغادر اليمن بعد أن ضاقت به الحياة هناك ليعود إلى قومه بالعراق . ولكن القدر يأبى عليه أن تتم رحلته ، فيقع في أسر البكرين ، ولكن أخوالا له يتدخلون ليأخذوه عندهم . ويسلمه البكريون لهم إجلالا لسنه واحتراما لشيخوخته ، ويقضى المهلهل ما بقي له من أيام حياته عند أخواله .

ثم تكون نهاية المسألة ، فيودع البطل الحياة في ظروف يختلف الرواة حولها : فمن قائل إنه مات ، ومن قائل إنه قتل ، ولكن النهاية — على الحالين — واحدة . إنه المعبر المحتوم الذي لا مفر منه أدركه بعيدا عن قومه ،



غريباً عن ديارهم . ويختلف الباحثون في محاولاتهم تحديد سنة وفاته بين سنوات ٥٠٠ ، ٥٣٠ للميلاد . وهي محاولات لانملك معها ترجيحاً لأي سنة منها . وإنما كل ما نملكه أن نقول إنه توفي في أوائل القرن السادس الميلادي .

والمهلهل أهم شاعر ظهر في حرب البسوس ، وألمع شعراء عصره ، وهو الرائد الأول للشعر العربي الذي كان ظهوره السداية الحقيقية للشعر الجاهلي ، فهو — بإجماع الرواة — أول من أطل القصيدة العربية بعد أن كان الشعر قبله أبياتاً مفردة أو مقطوعات قصيرة ، وعلى يديه انتقل هذا الشعر من عصر المقطوعة إلى عصر القصيدة .

ويدوز شعره الذي وصل إلينا حول حرب البسوس ، ويعد — بحق — وثيقة تاريخية لهذه الحرب ، وسجلاً كاملاً لأحداثها منذ أن لقي كليب مصرعه فأشعل نيرانها إلى أن انسحب هو من ميدان الصراع فانطفأت هذه النيران . ونستطيع أن نقسمه إلى مجموعتين أساسيتين : مجموعة تدور حول مصرع كليب وراثته والتفجع عليه ، وتهديد قبيلة بكر التي لقي مصرعه على يد أحد أبنائها ، ومجموعة تدور حول تصوير الحرب ، وتسجيل أحداثها ، وما أظهره هو في ساحاتها من بطولات ، وما أحرزته قبيلته من انتصارات ، وما ألحقته بأعدائها من هزائم . وهو في كلتا المجموعتين ينجح إلى شيء غير قليل من المبالغة والتهويل وتضخيم المواقف ، مما يعد انعكاساً نفسياً للغرور الذي كان يملأ نفسه ، والزهو الذي كان يداخلها ، كما يعد انعكاساً آخر لحوال الفاجعة التي أودت بأخيه الذي ضرب به العرب المثل في العزة ، وعمق إحساسه بها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## بُكَائِيَّة

\* \* \*

تدور هذه القصيدة حول محور أسامي يدور حوله أكثر شعر المهلهل ،  
وهو بكاء كليب الذي يتراءى أمام الشاعر بطلا أسطوريا ، فقدت الدنيا لمصرعه  
كل بهجتها ، بل كل قيمتها ، ومادت الأرض بمن عليها وما عليها حين بلغها  
نعيه . وإنه ليتمنى لو وقعت السماء على الأرض ، وانشقت الأرض فابتلعت كل  
شيء فوقها ، تعبيرا عن بغيته فيه ، وتخفيفا من نار الانتقام التي تتأجج في أعماقه .  
وهو بكاء ينتهي بالشاعر إلى تعداد مآثر البطل الذي جمع كل صفات البطولة ،  
وتحققت فيه صورة مثالية لها . وهو — لذلك — يرفض كل صلح بينه وبين  
قتلة أخيه ، ويتوعددهم بأن الحرب بينه وبينهم مستمرة لن تتوقف ما دام الفلك  
الدوار مستمرا في حركته الأبدية التي لا تتوقف .

\* \* \*

١ كليبُ ، لا خيرَ في الدنيا ومن فيها      إذ أنت خلّيتها فيمن يخليها  
٢ كليبُ ، أيُّ فتى عزٍّ ومكرمةٍ      تحت السقائف إذ يعلوك سافِها

(١) يبدأ الشاعر قصيدته بموضوعها مباشرة ، وهو بهذا يرمى التقليد الفني الذي سار عليه الشعراء من بعده من أن قصائد الرثاء لا تبدأ بالمقدمات التقليدية التي تبدأ بها الموضوعات الأخرى .  
(٢) السقائف : حجارة القبر . والسافى : التراب .

- ٣ نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم : مالت بنا الأرض أوزالت رواسيها  
 ٤ أضحت منازلُ بالسَّلاَنِ قد درست تبكي كليباً ولم تَفْزَعِ أقاصيها  
 ٥ الحزم والعزم كانا من صنيعتيه ما كلُّ آلائه يا قوم أحصيتها  
 ٦ القائد الخيل تردى في أعنتها زهوا إذا الخيل بلحت في تعاديتها  
 ٧ من خيل تغلب ما تلقى أسنتها إلا وقد خضبتُها من أعاديتها  
 ٨ تكون أولها في حين كرتها وأنت بالكر يوم الكر حاميتها  
 ٩ حتى تكسر تنزراً في نحورهم زرق الأسنة إذ تروى صواديتها  
 ١٠ أمست وقد أوحشت جرداً ببلقعة للوحش منها مقييل في مراعيها

(٣) الرواسي : الجبال .

(٤) السلان : موضع في ديار تغلب . درست : عفت وتغيرت . وقوله « لم تفزع أقاصيها » يريد به أنها لم تخرج للنار . يستعنت تغلب على الخروج لمعركة النار .

(٥) الصنيعة : الإحسان . والآلاء : النعم .

(٦) تردى : ترجم الأرض بحوافرها ، كناية من الشدة والعنف . والزهو : الكبر والتوه والفخر . وبلحت : تمادت . والتعادي : التسابق في العدو . يقول إنه قائد الخيل التي تجاذب أعنتها وهي ترجم الأرض بحوافرها في تيه وخيلاء لتسبق الخيل التي تسابقها في العدو .

(٧) « ما تلقى أسنتها » كناية من انتهاء القتال وعودة الفرسان من المعركة . يقول إن هذه الخيل من خيل تغلب المشهورة التي لا تضع أسلحتها بعد القتال إلا وقد خضبتُها فرسانها من دماء الأعداء .  
 (٨) الخطاب في البيت لكليب . يقول إنه يكون دائماً في طليعة المهاجمين ، وإنه يتخذ من الهجوم نقطة لحماية فرسانه .

(٩) تكسر أي تنكسر ، حذفت إحدى النباءين تخفيفاً . والشزورها الطعن . وتروى : تشرب حتى تطفئ ظمأها ، والصوادي : العطاش . يقول إن هذه الأسنة الزرق المجلوة تنكسر في نحور الأعداء وتروى ظمأها من دمائهم .

(١٠) البلقعة : الأرض الخالية من مظاهر الحياة ، يريد ساحة المعركة بعد انتهاء القتال . والمقييل : مكان القيلولة وهي فترة الراحة في وقت الظهيرة . يصف ساحة القتال بعد انتهاء المعركة بأنها أمست موحشة مقفرة خالية إلا من الوحش التي اتخذت منها مقيلاً لها .

- ١١ يَنْقُرْنَ عَنْ أُمَّ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِهَا      والحرب يفتَرِسُ الأَقْرَانُ صَالِيَهَا  
 ١٢ يَهْزِهُزُونَ مِنَ الْخَطِئِ مُدْجَّة      كُنْتَا أَنَابِيهَا ، زُرْقَا عَوَالِيهَا  
 ١٣ تَرَى الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا ، فَنُورِدُهَا      بِيَضًا ، وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا  
 ١٤ لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ      وَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَانْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا  
 ١٥ لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يَصَالِحُكُمْ      مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

\* \* \*

- (١١) الضمير في « ينقرن » يعود على الوحش . والهامة : الرأس ، وأم الهامة : وسطها .  
 والأقران : الأبطال . وصاليها : من يصلى ناراها . يصف ساحة القتال بعد انتهاء المعركة وقد تجملت  
 فيها الوحش تنقر رؤوس القتلى وتنش أشلاءهم بعد أن افترس الأبطال بعضهم بعضا .
- (١٢) يهززون : يهزون . والخطى : الرماح ، نسبة إلى مدينة الخط بإقليم البحرين ، وكانت  
 مشهورة بصناعتها . والمدججة : المهككة الصنع . والكمت : الحجر . والأنابيب : أهواد الرماح .  
 والعوالى : أسنتها . يصف أنابيب الرماح بالحجارة لكثرة استعمالها وتعرضها للشمس ، ويصف  
 أسنتها بالزرقة كناية من حدتها وصلتها ولما نالها .
- (١٣) نوردها : أى تمضى بها للقتال ، من ورد الإبل وهو غروجهما لاء . ونصدها : أى  
 نعود بها ، من الصدر وهو صودة الإبل من الماء . يريد أنهم يخرجون بها للقتال وهى بيض نقية ،  
 ويرجعون بها بعده وقد خضبها دماء الأعداء بلونها الأحمر .
- (١٤) انجابت : انقطعت وانخرقت . يمتنى — فى غمرات حزنه وغيبه — أن تقع السماء على  
 الأرض ، وأن تنشق الأرض فتبتلع من عليها ، فتكون نهاية الكون ونهاية كل شئ فيه .
- (١٥) يعلنها صريحة لبنى بكر قتله أخيه أنه لا صلح بينه وبينهم مدى الحياة ، وإنما هى الحرب  
 ما دام الكون مستمرا فى حركته الأبدية .

\* \* \*

يوسف خليف



( ٢ )

## الذاهية

\* \* \*

تدور هذه القصيدة التي سميتها العرب « الذاهية » حول ثلاثة محاور :

المحور الأول : التنديد بالجريمة المروعة التي ارتكبتها جساس حين قتل رجلا لا كسائر الرجال ، فجنى على قومه جناية لا يعرف أحد مداها ، ولا يملك أحد تقدير عواقبها الوخيمة .

والمحور الثاني : تسجيل أهم عمل قام به كليب لقومه ، وهو انتزاع النصر لهم من بين أنياب اليمنيين حين قاد جموعهم في يوم نَخَاز ، فأجلى الغزاة المحتلين عن أرضهم ، وطردهم من ديارهم التي اغتصبوها ، وهو نصر اعترف به قومه له ، وقدروا دوره فيه ، فنصبوه ملكا عليهم .

والمحور الثالث : تهديد بني بكر قتلة كليب بمعركة ضارية يخوضها فتيان تغلب الأشداء وفرسانها المغاوير حتى يدركوا ثأر سيدهم ، وإلا فلأنهم لا يستحقون الحياة .

حول هذه المحاور الثلاثة تدور هذه القصيدة التي تبلغ أكثر من ثلاثين بيتا ، والتي تعكس تصميا صارما على معركة النار التي يتوعدهم بها الشاعر . وهو تصميم جعل صوته البكاء والحويل والانفعالات الصارخة المشبوبة التي رأيناها في « البكائية » السابقة يبدو خافتا إلى درجة كبيرة ، فاخفت منها آهات التفجع وولولات الأسي ، لتغلي مكانها لصرخات النار وصيحات الانتقام التي تعكس

أصداءها تفعيلاتُ البحر السريع « مستفعلن مستفعلن فاعلن » التي تتوالى عنيفة قوية كأنها دقات طبول الحرب تبعث العزم والتصميم في نفوس الخارجين إلى ساحاتها، كما تعكسها تلك القافية المقيدة التي يتوقف الصوت عندها فلا يترك مجالا لذلك المد المتراخي الذي تمثله القوافي المطلقة ، وهي قافية اختار الشاعر رَوِيًّا لها حرف القاف الشديد الجهر العميق المخرج ، وكأن كل وقفة عنده دوى دقة من دقات هذه الطبول .

\* \* \*

- |   |                                      |  |
|---|--------------------------------------|--|
| ١ | جارت بنو بكرٍ ولم يَعْدِلُوا         | والمرء قد يعرف قَصْدَ الطريق               |
| ٢ | حَلَّتْ رِكَابُ الْبَنَى فِي وَاثِلٍ | في رهطٍ جَسَاسٍ يُقَالُ الْوُسُوقُ         |
| ٣ | يا أيها الجاني على قومِهِ            | جِنَايَةٌ لَيْسَ لَهَا بِالْمَطِيقِ        |
| ٤ | جِنَايَةٌ لَمْ يَدِرْ مَا كُنْهَهَا  | جَانٍ ، وَلَمْ يُصْبِحْ لَهَا بِالْخَلِيقِ |
| ٥ | كَتَاذِفٍ يَوْمًا بِأَجْرَامِهِ      | فِي هُوَّةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ طَرِيقِ      |

(١) قصد الطريق : الطريق المستقيمة التي تمضي في غير عوج أو انحراف . يقول إن بنو بكر جاوروا علينا ، ولم يسلكوا سبيل العدل معنا ، وقد كان في وسعهم أن يعرفوا طريق الصواب فيتجنبوا طريق الخطأ والضلال .

(٢) واثل : أصل قبيلتي بكر وتطلب الذي يجمع بينهما . والوسوق : الأحمال توضع على ظهور الإبل يقول إن مطايا بني والظلم المحملة بأحمالها الثقيلة نزلت في قبيلة واثل في رهط جساس .

(٣) الخطاب في البيت لجساس . وقوله « ليس لها بالمطيق » أي أنه ليس قادرا على تحمل نتائجها .

(٤) قوله « ولم يصبح لها بالخليق » تكرر المعنى البيت السابق ، يعني أنها جناية أكبر منه ، وهو أصغر من أن يتحملها . ومن هو إلى جانب كليب ؟ !

(٥) الأجرام : جمع جرم وهو الجسد . يقول إن جساسا بارتكابه هذه الجريمة كان كمن يرى بنفسه في هوة بحقيقة طريقها مسدود ، فلا سبيل للنجاة منها ، ولا مفر من هلاكه فيها .

- ٦ مَنْ شَاءَ وَلَّى النَّفْسَ فِي مَهْمِهِ ضَنْكَ ، وَلَكِنْ مِنْ لَهُ بِالْمُضِيقِ  
٧ إِنْ رَكُوبَ الْبَحْرِ مَا لَمْ يَكُنْ ذَا مَعْدِرٍ مِنْ تَهْلُكَاتِ الْغَرِيقِ  
٨ لَيْسَ أَمْرٌ لَمْ يَعُدْ فِي بَغِيهِ مِدَايَةً تَحْرِيقَ رِيحِ خَرِيقِ  
٩ كُنْ تَعَدَّى بَغِيَهُ قَوْمَهُ طَارَ إِلَى رَبِّ السَّوَاءِ الْخَفِيقِ  
١٠ إِلَى رَئِيسِ النَّاسِ ، وَالْمُرْتَجَى لِعَقْدَةِ الشَّدِّ وَرَتَقِ الْفُتُوقِ  
١١ مَنْ عَرَفَتْ يَوْمَ خَزَازٍ لَهُ عَلِيًّا مَعَدَّةً عِنْدَ أَخِذِ الْحَقُوقِ  
١٢ إِذَا أَقْبَلَتْ خَمِيرٌ فِي جَمْعِهَا وَمَذْجٌ كَالْعَارِضِ الْمُسْتَحِقِّ

(٦) المهمة : الصحراء ، والضنك : الضيقة التي لا أمل في النجاة منها . يقول إن الإنسان يستطيع أن شاء أن يزج بنفسه في المواقف الضيقة ، ولكن من له بالنجاة منها ؟

(٧) المصدر : الخروج . يقول إن ركوب البحر يعد خطرا على حياة راكبه ، وسببا من أسباب غرقه ، ما لم يعرف منذ البداية كيف يخرج منه .

(٨) لم يعد في بغيه : أى لم يتجاوز بغيه . والريح الخريق : الباردة الشديدة الهبوب . وتخريقها هبوبها .

(٩) الخفوق : الخفاق . والشاعر في البيتين يوازن بين من لم يتعد بغيه موضعه كمصفة الريح تهب ثم تبدد في الآفاق ، ومن يتسع نطاق بغيه كما فعل جساس حين قتل سيد العرب وقائدهم ورافع لوائهم في سنان السماء .

(١٠) « المرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق » يعنى الذى يرتجيه الناس لإحكام الأمور وضبطها وإصلاح الفساد والخلل ، وإزالة أسباب الخلاف والشقاق ، أو — على حد تعبيرنا الحديث — « للضبط والربط » .

(١١) يوم خزاز : يوم بين اليمن ومعد ، انتصرت فيه معد بقيادة كليب فبايعوه ملكا عليهم .

(١٢) حمير ومذحج : من القبائل اليمنية التي خاضت الحرب يوم خزاز . والعارض : السحاب يتعرض في الأفق لاتساعه وانتشاره . والمستحق : المحيط بهم من كل جانب . يصف جموع اليمنيين بالكثرة والانتشار .

- ١٣ وَجَمَعَ مَمْدَانٌ لَهُ بَلْبَةٌ      وَرَايَةُ تَهْوِي هَوًى الْأَنُوقُ  
١٤ تَلَعَ لَمَعَ الطَّيْرِ رَايَاتُهُ      عَلَى أَوَاذِي لَجَّ بِحَرِّ عَمِيقُ  
١٥ فَاحْتَلَّ أَوْزَارَهُمْ أَزْرُهُ      بِرَأْيِ مَحْمُودٍ عَلَيْهِمْ شَفِيقُ  
١٦ وَقَدْ عَلَيْهِمُ اللَّقَا قَبْوَةٌ      ذَاتُ هِجَاجٍ كُلَّهَيْبٍ الْحَرِيقُ  
١٧ فَانْفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِرًا      مَنِيْلَجًا مَثَلُ انْبِلَاجِ الشُّرُوقِ  
١٨ فَقَلَّدَ الْأَمْرَ بَنُو هَاجِرٍ      مِنْهُمْ رَثِيْسًا كَالْحَسَامِ الْبَرِيقِ  
١٩ مُضْطَلِمًا بِالْأَمْرِ يَسْمُو لَهُ      فِي يَوْمٍ لَا يَنْسَاغُ حَلَقُ بَرِيقِ  
٢٠ فَذَاكَ لَا يُوفِي بِهِ غَيْرُهُ      وَلَيْسَ يُلْقَى مِثْلُهُ فِي فَرِيقِ

\* \* \*

(١٣) ممدان : قبيلة يمنية أيضا . والحجة : والجلبة . والأنوق : العقاب أو النسر . وتهوى : تنقض ، والهورى : مصدره .

(١٤) الأواذى : الأمواج ، جمع آذى . شبه رايات الجيش وهى تتحقق فوقه . يتحقق طيور البحر فوق أمواجه الكثيفة المظلمة . وهى من الصور النادرة فى الشعر الجاهلى .

(١٥) الأوزار : الأثقال . والأزر : القوة ، ومن معانيها الظهر ، وهو المراد هنا . يقول إنه احتل أوزارهم على ظهره ، وحل مشكلاتهم برأى سيد محمود بينهم ، شديد الغطف عليهم .  
(١٦) اللقا : اللقاء وهو هنا الحرب . والهبوة : الغبار . يقول إن غبار المعركة كان يتصاعد نائرا فوق المقاتلين كأنه لهب النار .

(١٧) مسفرا : مضيا مشرقا ، من أسفر الصبح إذا أضاء ، وكذلك انبلج . يقول إن المعركة اقترجت عن وجهه ، وإشارة النصر تأتلق فوق وجهه كإشراقة الصباح بعد الليل .

(١٨) بنو هاجر : هم العرب أبناء اسماعيل من هاجر المصرية . والحسام البريق : السيف الذى يبرق لشدة لمعانه وصقله . يقول إن العرب نصبوا كليا بعد هذا النصر رئيسا عليهم .

(١٩) قوله « فى يوم لا ينساغ حلق بریق » يريد به يوم الحرب حين تجف حلوق المقاتلين لشدة القتال وأحواله . وفى القرآن الكريم « وإذا ذأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر » (الأحزاب ١٠) .

(٢٠) لا يوفى به غيره : أى لا يعده غيره . والفريق : الطائفة الكبيرة من الناس . يريد أنه لا يوجد مثيل له فى أى قبيلة من قبائل العرب سواء اليمنية أو العدنانية .



- ٢١ قل لبني ذهل يردونه أو يصيروا للصيلم الخنفيق  
 ٢٢ فقد ترووا من دم محريم واتهكوا حرمة من عقوق  
 ٢٣ واستسعروا من حربنا مآتما أثابهم نيران حرب عقوق  
 ٢٤ لا يرقا الدهر لها عاتك إلا على أنفاس تجلأ تفوق  
 ٢٥ إن امرءا خرجتم ثوبه بعاتك من دمه كالخلاق  
 ٢٦ سيّد سادات إذا ضمهم معظم أمر يوم يؤيس وضيق  
 ٢٧ لم يك كالسيّد في قومه بل ملك دين له بالحقوق

(٢١) ذهل بن شيبان : قبيلة جساس قاتل كليب . والصيلم : الداهية . الخنفيق : السريعة جدا . يتوعدهم بحرب خاطفة إن لم يردوا كليباً للحياة .

(٢٢) الدم المحرم : الذي له حرمة . يقول إنهم ارتووا من دم له حرمة ، واتهكوا هذه الحرمة بعقوقهم وتنكروهم لحقوق القرابة .

(٢٣) استسعروا : استوقدوا . وأثابهم : جازاهم . والحرب العسوق : التي تجعد حقوق القرابة وصلات الرحم . يقول إنهم يحربهم لنا كانوا كمن يقيمون مآتما لهم ، وليس هذا المآثم إلا جزاء وفاقا على ما أشعلوه من نيران هذه الحرب التي قطعت وشائج القرى بيتنا وبينهم .

(٢٤) يرقا : يجف . والعاتك : الخالص من الألوان ، يريد الدم . والنجلأ : الواسعة ، يريد الطعنة . وتفوق : يتجمع الدم فيها . يقول إن هذه الحرب لا تجف دماؤها مدى الدهر إلا بمقدار ما تتجمع في مواضع الطعنات .

(٢٥) الخلاق : الطيب . وتكلة المعنى في البيت التالي .

(٢٦) معظم الأمر : أى أشده . يقول إن هذا القليل الكريم الذي خرجتم ثيابه بدماؤه الطاهرة التي تفوح كالملك سيّد سادات يلجأون إليه كلما ألم بهم أمر عظيم في الأيام الصعبة الضيقة ، أيام المحن والشدائد .

(٢٧) دين له بالحقوق : أى له عليكم حقوق تدينون له بها . يقول إن هذا الذي قتلتموه لم يكن مجرد سيد في قومه ، ولكنه كان ملكا على العرب له عليهم حقوق الملك .

- ٢٨ تنفِرج الظلماء عن وجهيه كالليل ولي عن صديع أنيق  
 ٢٩ إن نحن لم نثار به فاشحذوا شفاركم منا لحز الحلو  
 ٣٠ ذبحا كذبيح الشاة لا تنقي ذابحها إلا يشخب العروق  
 ٣١ أصبح ما بين بني وائل منقطع الحبل بعيد الصديق  
 ٣٢ غدا نساقى — فاعلموا — بيننا والرحيق  
 ٣٣ بكل مغوار الضحى فاتك شمردل من فوق طرف عتيق

(٢٨) الصديع : الصبح ، من الصدع وهو الشق ، كأنما انشقت السماء عن النور عند مطلعه .

(٢٩) الشفار : جمع شفرة وهي السكين . وشحذها : سنها وأحدها . والحز : القطع والذبح .

يقول إن لم نثار لكليب فإننا لا نستحق الحياة ، وإذن فلتعدوا شفاركم الحادة المسنونة لقطع حلقنا .  
 والبيت يعكس ثقة المهلهل المطلقة في قدرته على الأخذ بثأر أخيه .

(٣٠) ~~شخب العروق : تفجيرها بالدم عند قطعها .~~ يقول إن لم نثار لكليب فتقدموا لذبحنا كما

تذبح الشاة الضعيفة المغلوبة على أمرها التي لا تمك ما تنقى به ذابحها إلا بتفجير الدم من عروقها .  
 والبيت استمرار في تصوير هذه الثقة .

(٣١) بنو وائل هم بكر وتغلب اللذان اشتعلت بينهما الحرب . يقول إن ما بيننا وبينكم — ونحن

أبناء قبيلة واحدة — قد تقطعت أسبابه ، وتباعدت الصداقة التي كانت تقرب بيننا .

(٣٢) نساقى : تبادل الشراب ، فيسقى كل منا الآخر . والقانى : الشديد الحرارة ، يريد الدم .

والرحيق : الخمر . يقول سوف نلتقى في معارك وهيبة نتبادل فيها أنخاب الدماء الحارة القانية التي تصبغ رماحنا بلون الجمر .

(٣٣) الشمردل : الفتى الرائع الجميل . والطرف : الجواد الكريم . والعتيق : الأصيل .

ونسب الفراسان للضحى لأنه وقت الغارات عند العرب . والشاهر هنا يتوعد أعداءه بفرسان قومه الأشداء فوق جيادهم الكريمة الأصيلة .

٣٤ ليس أخوكم تاركاً وثره وليس عن تطلأيكم بالمقيق

\* \* \*

(٣٤) الوتر: النار . والمقيق: الذي يطلب الراحة بين عمليين ، من الإفاقة وهي الراحة تأخذها  
الفاقة بين الحلبتين . يتوعد أعداءه بأنه لن يترك المطالبة بثأره ، ولن يهدأ عنه ، ولن يجنح إلى الراحة  
بين معركة ومعركة ، فإنما هي حرب متصلة لا تتوقف ، ولا تهدأ ، ولا يستريح المقاتلون فيها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## صُورٌ مِنَ التَّهْدِيدِ

\* \* \*

تدور هذه المجموعة من النصوص المختارة من قصائد المهلهل ومقطوعاته حول تهديده لقبيلة بكر ، وهو فيها يعرض صوراً مختلفة منه وما ينتظرها على يديه من ألوان الانتقام التي يصل بعضها — كما هي طبيعة المهلهل في شعره — إلى درجة كبيرة من المبالغة والتهويل . وهي صور نراها تتردد كثيراً في شعره ، فهو لا يفتأ يرددها ، ولا يمل تكرارها والإلحاح عليها ، وكأنما سيطرت على تفكيره ، واستبدت بمشاعره ، واستقرت في أعماقه ، تعبيراً عن إحساسه بوقع الفجيعة المروعة التي هزته هنا عنيفا ، وانعكاساً لما تفيض به نفسه من مشاعر الحقد والغیظ والرغبة المجنونة في الانتقام .

\* \* \*

### الصورة الأولى

- ١ لَمَّا نَعَى النَّاعِي كَلِيًّا أَظْلَمَتْ شمس النهار فما تريد طلوما
- ٢ قتلوا كليباً ثم قالوا : أَرْتَعُوا كذبوا لقد منعوا الجياد رُتوما
- ٣ كَلَّا ، وَأَنْصَابٍ لَنَا عَادِيَّةٍ معبودة قد قُطعت تقطيعا

(٢) أرتعوا : أى اتركوا خيلكم ترتع في مراعيها . يقول إنهم قتلوا كليباً وظنوا أن الحياة ستضى كما كانت من قبل ، وهم بهذا يخادعون أنفسهم ، لأنهم هم السبب فيا أصاب الحياة من توقف .  
(٣) الأنصاب : الأوثان . والعادية : القديمة ، يريد أنها معبودة من قديم الزمان . وقوله « قطعت تقطيعا » يريد أنها شكلت تشكيلاً لتكون صالحة للعبادة وتقديم القرابين إليها .



- ٤ حتى أُيِّدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ وَقَبِيلَتَيْنِ جَمِيعًا  
٥ وَتَذُوقَ حَقًّا آلُ بَكْرِ كُلِّهَا وَنَهْدٌ مِنْهَا سَمَكُهَا الْمَرْفُوعَا  
٦ حَتَّى نَرَى أَوْصَالَهُمْ وَجَمَاجِمًا مِنْهُمْ طَلِبُهَا الْخَامِيعَاتُ وَقُومَا  
٧ وَنَرَى سِبَاعَ الطَّيْرِ تَنْقُرُ أَعْيُنَا وَتَجْرُ أَعْضَاءَ لُحْمٍ وَضُلُومَا

\* \* \*

### الصورة الثانية

- ١ قَتَلُوا كُلِّيَا ثُمَّ قَالُوا : أَرْتَعُوا كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ  
٢ حَتَّى يُبَيِّدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ وَيَعْضُّ كُلُّ مَثْقَفٍ بِالْمُهَامِ  
٣ حَتَّى يَعْضُّ الشَّيْخُ بَعْدَ جَمِيمِهِ مِمَّا يَرَى نَدَمًا عَلَى الْإِبْهَامِ

(٥) الختف : الموت . والسك : البناء .

(٦) الأوصال : المفاصل ، لأنها تصل أعضاء الجسم بعضها ببعض . والخامعات : الضباع ، تمنح في سيرها ، أى تمشى كأن بها عرجا .

(٧) سباع الطير : جوارحه . يقول لن نهدا حتى نبديد جموعهم ، ونهدم بنيانهم ، ونرى الضباع فوق جثث قتلاهم تنش أوصالهم وجماجيمهم ، وجوارح الطير تنقراهم من فوق ، وتجرا أعضاءهم وضلوعهم .

\* \* \*

(٢) المثقف : الرمح . والمهام : جمع هامة وهى الرأس . يقول : لن نهدا حتى نبديد قبائلهم ، ونضع رماحنا فى هاماتهم تهشمها هشا .

(٣) الحميم : القريب الذى تهتم لأمره . يقول : لن نهدا حتى نرى الشيوخ الكبار يتغلون عن رزاقهم وورقارهم وبعضون أصابعهم ندما على من لقوا مصارعهم من أقربائهم فى ساحات القتال .

٤. وتقوم ربات الخدور حواسرا يمسحن عرض ذوائب الأيتام

\* \* \*

### الصورة الثالثة

١. قتلوا ربهم كليباً سفاهاً ثم قالوا : ما إن نخاف عيولاً

٢. كذبوا والحرام والحل حتى نسلب الخدر بيضه المحجولاً

٣. ويموت الجنين في ماطف الرحيم ، ونزوي رماحنا والخيولاً

\* \* \*

### الصورة الرابعة

١. فلأوردن الخيل بطن أراكمة ولاقضين بفعل ذاك ديوني

٢. ولأقتلن بجحاحاً من بكر كم ولأبيكين بها جفون عيون

٣. حتى تظل الحاملات مخافة من وقعنا يقذفن كل جنين

\* \* \*

(٤) حواسر : أى كاشفات الوجوه . و عرض الشيء : ناحيته من أى وجه جهته . بقول : لن نهدأ حتى نترك ربات الخدور المحجيات وقد كشفن عن وجوههن حزناً على أزواجهن الذين لقوا مصرهم في الحرب ، وأخذن يمسحن ذوائب صغارهن الذين قتلنا آباءهم وأذقناهم اليم بعد أن أذقنا أمهاتهم الترميل .

\* \* \*

(١) يقول لأنهم قتلوا سيدهم ، وكانت جريمتهم سفهاً منهم لم يقدروا عواقبه ، وقالوا لئنا لا نخشى من بكائكم عليه ظنا منهم أننا لن نفعل شيئاً .

(٢) البيض هنا : النساء ، وتشبيه النساء بالبيض كثير في الشعر الجاهلي ، وفي القرآن الكريم في وصف حور الجنة « كأنهن بيض مكنون » (الصافات ٤٩) . والمحجول : المكنون في الجبال .

(٣) الرحم (بالكسر) : لغة في الرحم ، وعاطف الرحم : أى الرحم التي تعطف على جنينها . ونزوي رماحنا والخيولاً : أى نسقيها من دماء الأعداء .

\* \* \*

(١) بطن أراكمة : أمم واد هارت فيه بعض أيام هذه الحرب .

(٢) الجحاح : السادة الكرام ، مفردتها جحاح .

(٣) الحاملات : يريد النساء الحوامل .

\* \* \*

يوسف خليف

## جَلِيلَةُ الْبَكْرِيةِ

\* \* \*

هى جَلِيلَةُ بِنْتُ مُرَّةَ بْنِ ذُهَلٍ بْنِ شَيْبَانَ الْبَكْرِيةِ ، زَوْجَةُ كَلِيبِ سَيِّدِ رِبْعَةٍ ،  
وَأَخْتُ جَسَّاسٍ قَاتِلِهِ . وَكَانَتْ شَاعِرَةً فَصِيحَةً ، وَلَكِنْ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِهَا  
قَلِيلٌ . وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ ، فَشَعْرُ النِّسَاءِ قَلِيلٌ فِي تَارِيخِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَأَكْثَرُهُ كَانَ  
يَجْرَى عَلَى أَلْسِنَتِهِنَّ فِي مَنَاسِبَاتٍ عَارِضَةٍ ، وَلَمْ يَعْرِفْ تَارِيخُ هَذَا الشَّعْرِ إِلَّا عِدَّةَ  
قَلِيلٍ مِنَ الشَّاعِرَاتِ الْمُحْتَرَفَاتِ . هَذَا إِلَى جَانِبِ أَنَّ جَلِيلَةَ مِنْ أَقْدَمِ الشَّاعِرَاتِ  
الَّتِي عَرَفْنَاهُنَّ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ ، فَهِيَ مِنْ عَصْرِ الْبَسُوسِ الَّذِي شَهِدَ الْبِدَايَةَ الْمُبَكِّرَةَ  
لِلشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ ، وَهِيَ مُعَاَصِرَةٌ لِلْهَاهِلِ الَّذِي تَنْسَبُ إِلَيْهِ أَوَّلِيَّةُ هَذَا الشَّعْرِ . وَأَكْثَرُ  
شَعْرِهَا يَدُورُ حَوْلَ بَكَاءِ زَوْجِهَا ، وَتَصَوِيرِ مَاسَاتِهَا الَّتِي عَاشَتْهَا بَعْدَ مَصْرَعِهِ .

عَاشَتْ جَلِيلَةُ زَوْجَةً لِكَلِيبٍ ، حَتَّى إِذَا مَا لَقِيَ مَصْرَعَهُ عَلَى يَدِ أَخِيهَا ، لَمْ تَجِدْ  
بِذَا — بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالتَّفَكُّيرِ — مِنْ أَنَّ تَرْحَلَ إِلَى قَوْمِهَا . وَقَضَتْ مَا بَقِيَ  
لَهَا مِنْ أَيَّامٍ عِنْدَ أَخِيهَا جَسَّاسٍ حَتَّى قُتِلَ ، فَغَضِبَتْ تَتَنَقَّلُ مَعَ قَبِيلَتِهَا شَيْبَانَ عَلَى  
امْتِدَادِ سَاحَاتِ الْقِتَالِ ، وَاخْتِلَافِ مَيَادِينِهِ ، حَتَّى مَاتَتْ . وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ  
— عَلَى مَا يَظُنُّ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ — حَوْلَى سَنَةِ ٤٥٠ هـ لِلْيَلَادِ .

\* \* \*

يوسف خليل

## بين شقي الرّحى

\* \* \*

ترسم جليلة في هذه القصيدة صورة نفسية دقيقة لمأساتها بعد مصرع زوجها على يد أخيها . لقد قُتل كليب بسهم جساس ، وروّجت المنطقة كلها لمصرعه ، وأسرع المهلهل من دنياه الالهية ليحمل على عاتقه عبء معركة الثأر الضارية التي بدأت نُذرها في الأفق القريب . واستعدت القبيلة للصراع الرهيب الذي ينتظرها . ووقعت جليلة الحزينة بين شقي الرّحى تعاني صراعا نفسيا عنيفا . لقد قَتَلَ أخوها زوجها ، واستعد أخوه لقتال قوتها ، فلم تدر ما تفعل ، ولم تستطع — في غمرة الصدمة وهول الفاجعة — أن تحدد موقفها : أتبقي مع قوم زوجها وفاءً لذكراه وحفاظا على عهده ، أم تلحق بقومها نجاة بنفسها من الموقف الصعب الذي وضعها أخوها فيه ؟ وفي مآثم كليب اجتمعت نسوة من الحى ، وطلبن إليها أن ترحل عنه ، وأغلظن لها القول ، وقلن لأخت كليب : رَحِّلِي جليلة عن مآثمك ، فإن قيامها فيه شماتة ومار علينا عند العرب . وقضت جليلة فترة من الزمن تعاني صراعا نفسيا طاحنا بين البقاء والرحيل ، ثم حسمت أمرها وقررت أن ترحل إلى قومها حتى تنجو من العاصفة العاتية التي أوشكت أن تعصف بالقبيلة . ورحلت جليلة في حالة نفسية سيئة ، وقالت لها أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ، وَيْلٌ غداً لآلٍ مُّرّة ، من الكرة بعد الكرة ! فقالت جليلة : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ أسعد الله جدّ أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ؟ .



وعلى مشارف الحى لقيها أبوها ، فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت :  
 تُشكّل العَدَد ، وحزن الأبد ، وفقد حليل ، وقتل أخٍ عن قليل ، وبين ذَيْن غَرَسُ  
 الأحقاد ، وتفتّت الأكباد . فقال لها : أَوَيْكَفُ ذلك كرمُ الصنّيع وإغلاءُ  
 الدِّيَات ؟ فقالت : أمنيّةُ مخدوع وربّ الكعبة ، أبا لبُذْنٍ تدعُ لك تغلب دم  
 ربها ؟ . ثم فزعت إلى شعرها تصور فيه مأساتها الحزينة ، ومشكلتها التي لا تجد  
 لها حلا ، فكانت هذه الأبيات .

وهى أبيات تتراءى كأنها قطعة أثرية نادرة ، يرجع تاريخها إلى أقدم عصور  
 الشعر العربى ، إلى المرحلة المبكرة التى شهدت أولية هذا الشعر وميلاد القصيدة  
 العربية . وترجع أهميتها إلى أنها من أقدم النصوص التى وصلت إلينا من الشعر  
 الجاهلى ، ولعلها أقدم نص نسائى لشاعرة عربية وصل إلينا . وقد اعتطعت  
 الشاعرة أن تعكس فيه طبيعتها الأنثوية فى صدق وإخلاص ، وأن ترسم صورة  
 معبرة عن مشاعر زوجة فقدت زوجها فى ظروف بالغة الحساسية ، وأن تقدم  
 جوانب المأساة الحزينة التى تعيشها تتجاذبها انفعالات متضاربة ، ثم تلقى بها  
 فى النهاية بين شقى الرحى .

\* \* \*

- ١ يا ابنة الأقبام إن لمّت فلا      تعجلى باللوم حتى تسألى
- ٢ فإذا أنت تبسّيت الذى      يوجب اللوم فلويمى واعذلى
- ٣ إن تكن أخت امرئٍ ليمت على      جزع منها عليه فافعلى

(١) الخطاب فى البيت — فى ضوء ما ذكره الرواة من مناسبة القصيدة — لأخت كليب .

(٢) تقول لما : إن كان جزع أخت على أخيها أمرا تلام عليه ، فلومينى على جزمى على أخى

الذى ينتظره مصرعه فى معركة النار القادمة .

- ٤ جَلَّ عُنْدِي فِعْلُ جَسَاسٍ فِيا حَسَرْتِي عَمَّا انجَلَى أَوْ يَنْجَلِ  
 ٥ فِعْلُ جَسَاسٍ عَلَى وَجَدِي بِهِ قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُدْنِ أَجَلِ  
 ٦ لَوْ بَعَيْنٍ فُقِئْتُ عَيْنِي سَوَى أَخِيهَا فَانْفَقَاتُ لَمْ أَحْفَلِ  
 ٧ تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَفْتَلِي  
 ٨ أَيْتَمَ الْمَجْدَ كَلِيبٌ وَحَدَّهُ وَاسْتَوَى الْعَالِي مَعَا بِالْأَسْفَلِ  
 ٩ مَنْ لِحُكْمِ النَّاسِ فِي حَيْرَتِهِمْ وَقَرَى الْأَضْيَافِ يَوْمَ الْبُزْلِ  
 ١٠ وَلِإِصْلَاحٍ وَإِفْسَادٍ مَعَا فِي صَدَى الرِّيحِ وَرَى الْمُنْصَلِ

\* \* \*

- (٤) جل : عظم . والضير في انجلى وينجلى يعود على فعل جساس . تنحسر على النتائج التي انجلت عنها جريمة جساس ، وعلى العواقب التي يَنْظُرُ أَنْ تَنْجَلِ عنها .  
 (٥) على وجدى به : أى مع وجدى به ، وعلى هنا للصاحبة بمعنى مع ، وفي القرآن الكريم « وآتى المال على حبه » أى مع حبه ، وفيه أيضا « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » أى مع ظلمهم . والوجد : الحزن .  
 (٦) تقول : لو فُقِئْتُ عَيْنِي بِعَيْنِ غَرِيبَةٍ لَمْ أَبَالْ وَلَمْ أَهْتُمْ . تصوّر بهذا ما سأتها التي وضعتها بين شقي الرحى ، فالذى قتل زوجها ليس غريبا عنها ، إنه أخوها ، ومن هنا تأتى مشكلتها .  
 (٧) قَذَى الْعَيْنِ : ما يصيبها من أجسام غريبة تسقط فيها . وتفنلى : تربى . تقول إنها تحمل ما سأتها مرغمة عليها ، وتحملها بحبرة عليها ، لأنها وضعت في أعماقها على غير إرادة منها .  
 (٨) تقول : لقد ترك كليب المجد يتيا ، وتهدم كل شئ . بعده .  
 (٩) القرى : إكرام الضيف . والبزل : جمع بازل ، وهى الناقة التي بزل نابها أى ظهر ونبت ، ويكون ذلك عادة في السنة التاسعة من عمرها . ويريد بقوله « يوم البزل » يوم نحرها للضيوف . نصف كليبيا بالسيادة والكرم .  
 (١٠) الصدى : العطش . والرى : الارتواء . والمنصل : السيف . تقول إنه قائد خبير بفنون القتال ، يضع كل شئ في موضعه ، ويعرف متى يضع الرمح القاطم . لدماء الأعداء ، ومتى يرفع السيف بعد أن يرتوى منها .

- ١١ يا قتيلاً قَوْضَ الدهرُ بهِ      سَقَفَ بيتيَ جميعاً من حل  
١٢ هَدَمَ البيتَ الذي استحدثتهُ      واثني في هَدَمِ بيتي الأولِ  
١٣ ورماني قَتْلَهُ مِنْ كَثَبٍ      رمية المصمى بهِ المستأصلِ

\* \* \*

- ١٤ يا نِسائي دُونَكِ اليومَ قد      خَصَّنِي الدهرُ برُزءٍ مُفضل  
١٥ خَصَّنِي قَتْلُ كَلْبٍ يَلْظِي      مِنْ ورائي ، وَلَظِي مُسْتَقْبِلِ  
١٦ ليسَ مَنْ يَبْكِي ليومينِ كَمَنْ      إِنَّمَا يَبْكِي ليومٍ يَنْجَلِ  
١٧ يَشْتَفِي المَذْرُوكُ بالنارِ ، وفي      دَرَكِي نَارِي نُكْلُ المُشْكَلِ

(١١) قَوْضَ : هدم . وتريد بقولها « بيتي » بيت زوجها وبيت أخيها .

(١٢) البيت الذي استحدثته هو بيت الزوجية ، وبيتها الأول هو بيت أمرتها .

(١٣) مِنْ كَثَبٍ : من قرب . والمصمى : القاتل فوراً ، من أصمى الصيد إذا رماه فقتله في مكانه ، تقول إن قتل كلب كان سهماً قاتلاً صوب إليها من قرب ، فقتلها في الحال ، واستأصل كل شيء في حياتها من جذوره .

(١٤) الرُزءُ : المصاب . والمفضل : المشكل الذي لاحت له . ودونك : اسم فعل يفيد الإغراء ، كأنها تدهون إلى الوقوف معها في مصابها الذي لا تجد له حلاً ، أو إلى مشاركتها في الوصول إلى حل له .

(١٥) اللَّظِي الذي خلقته وراءها هو ما أصابها من مقتل زوجها ، واللظي الذي يستقبلها هو ما تنتظره بعد قتل أخيها . وهذه هي بداية حديثها عن مشكلتها التي ستفصل القول فيها في الأبيات التالية .

(١٦) اليومان اللذان تبكي منهما هما يوم مقتل زوجها الذي مضى وانكشف أمره ، ويوم مقتل أخيها الذي تنتظره في قلق وخوف .

(١٧) هذه هي ذروة المأساة التي تعيشها . إن من يدرك نأره تهدأ نفسه ويشفى من الأحران التي تعصرها ، أما هي فبني إدراكها نأرها ثكل جديد لها ، لأن نأرها هو أخوها .

١٨ ليتـه كان دمي فاحتلبوا بدلا منه دما من اتـلى  
١٩ لاني قاتلة مقتولة ولعل الله ان يرتاح لي

\* \* \*

(١٨) الأكل : عرق في الذراع ، يصفه العرب بأنه عرق الحياة ، ولذلك يسمونه نهر البدن .  
تتمنى — إنقاذها لنفسها من ذلك الصراع النفسى — أن يكون الدم الذى يطالبون به ثأوهم دما ،  
وإذن لبدلته لهم في غير تردد .

(١٩) فى هذا البيت — ختام القصيدة — تركـز مشكلتها التى لاحت لها إلا عند الله ، فهو وحده  
القادر على حلها . إنها قاتلة ومقتولة ، إن تصرف أخيا الطائش وضما فى هذا الموقف الذى لا تحسد  
عليه ، إنها فى نظر الناس قاتلة ، ولكنها فى حقيقة الأمر مقتولة ، وإنها لتتمنى أن يريحها الله من  
هذا الصراع النفسى الرهيب .

\* \* \*

يوسف خليف



## امرؤ القيس

هو آخر أمراء أسرة كندة اليمنية التي كانت تحكم منطقة نجد منذ منتصف القرن الخامس الميلادي حتى حوالي منتصف القرن السادس . وأبوه حجر ابن الحارث آخر ملوك هذه الأسرة الذي أسدل مصرعه ستار الختام على حكمها لهذه المنطقة . وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب سيد قبائل ربيعة ، المهلهل بطل حرب البسوس .

ولد في بلاد بني أسد بنجد في أوائل القرن السادس ، ونشأ نشأة أروستقراطية في ظل أبيه الملك . وليس بين أيدينا شيء كثير عن نشأته والمرحلة الأولى من حياته ، فكل ما بين أيدينا عنها أنه قضى شبابا متهتكا بطارد النساء ، ويشرب الخمر ، ويخرج للصيد ، ويأوى إلى بطانة بسوء من فتيان وقيان ، وينشد في ذلك شعرا يصور به حياته وما تنطوى عليه من خلاعة ومجون ، حتى اضطر أبوه إلى خلعه وطرده ، فانطلق يتنقل بين أحياء العرب ومن حوله أخلاط من خلعاء القبائل وشذاذها يمارسون حياة خليعة ماجنة ، يشربون الخمر ، ويخرجون للصيد ، وتغنيم القيان . وهي نفس الحياة التي كان يحياها من قبل مع اندفاع طائش خلفها ، زاد منه بُعدُه عن أبيه ، وتخلصه من رقابته ، وإحساسه بالحرية المطلقة التي لا تحدّها حدود ، ولا تقيدها قيود .

في هذه المرحلة قتل أبوه في ثورة أشعلها ضده بنو أسد . ويقال إنه كان في ذلك الوقت في بلاد اليمن ، وإن نعى أبيه بلغه وهو في مجلس شراب ، فقال :

« ضيغني صغيراً، وحملي دمه كبيراً . لا صحو اليوم ، ولا سُكَّرَ غدا . اليوم نحر ، وغدا أمر » ، ثم أنشد :

خليلي لا في اليوم مضحى لشارب      ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشربُ  
ثم آلى على نفسه ألا يهدأ ولا يعود إلى سابق سيرته حتى يأخذ بثأر أبيه . لكن  
هذا الخبر — في رأى بعض الباحثين — غير صحيح ، ففي شعر عبيد بن الأبرص  
شاعر بني أسد ، وداعية الثورة ، الذى كان معاصراً لأحداثها وشاهد عيان لها  
منذ بدايتها حتى نهايتها ، ما يدل على أنه كان موجوداً مع أبيه عند مقتله ، وأنه  
شهد المعركة التى دارت بين كندة وبني أسد ، وأنه فر منها بعد هزيمة كندة ،  
يقول عبيد :

وركضك لولاه لقيت الذى لقوا      فذاك الذى أنجأك مما هنالك  
وأيا ما كانت الحقيقة فقد خرج امرؤ القيس مطالباً بثأر أبيه ، محاولاً أن  
يسترد الملك الذى ضاع من بين يديه . وتكثر الأخبار عن هذه المرحلة من  
حياته ، فيذكر الرواة أنه استنصر بطائفة من القبائل لتعينه على الأخذ بثأره ، فمنهم  
من أعانوه ومنهم من رفض . ويذكرون أنه استعان بعماليك العرب وشذاذ  
القبائل فى هذه المحاولة ، وألف منهم جيشاً من المرتزقة خرج به فى معركة النار ،  
ويذكرون أنه سجل بعض الانتصارات على بنى أسد حتى اضطروهم إلى الفرار  
أمامه ، ولكنه جدّ فى طلبهم طمعاً فى القضاء عليهم ، فبدأت بعض القبائل التى  
نصرته تنفض من حوله . ويذكرون أن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة استغل  
هذه الظروف ، فجحد فى طلبه ، بسبب عداوة قديمة كانت بينه وبين الحارث بن  
عمرو جدّه . وجدّ امرؤ القيس فى الحرب ، وأرسل المنذر الجيوش من خلفه ،  
ولجأ امرؤ القيس إلى بعض القبائل واستجار بهم ، ولم يكف المنذر عن مطاردته ،

حتى انتهى به المطاف إلى السموأل بتياء فلجأ إليه ، وطلب إليه أن يكتب إلى الحارث بن جبلة ملك الغساسنة بالشام ليوصله إلى قيصر الروم « جستنيان » بالقسطنطينية . واستودع امرؤ القيس أهله وأمواله وسلاحه عند السموأل ، وشد رحاله إلى قيصر الذي أكرمه وأمدّه بجيش كثيف . وأخذ امرؤ القيس طريق العودة إلى وطنه ، ولكن رجلا من بني أسد ، اسمه الطمّاح ، وشى به عند قيصر ، واتهمه بأنه كان على علاقة بابنته ، فغضب قيصر وبعث إليه بحلة مسمومة منسوجة بالذهب ، فلما لبسها أسرع فيه السم ، وتساقط جلده ، ومات . ومن هنا جاء لقبه « ذو القروح » . وفي سفح جبل بمدينة أنقرة يقال له عسيب كان مثواه الأخير . ولكن يبدو أن طائفة من هذه التفاصيل فيها شيء من الكذب والتلفيق والانتحال ، فمصدرها الأساسي راوية متهم مشكوك فيه هو ابن الكلبي . ومع ذلك فمن الممكن أن يكون لها أصل ثابت ، فمن المؤكد أن امرأ القيس حاول التّأر لأبيه ، وأنه خرج في سبيل هذا التّأر ، ولكنه لم يوفق في ذلك . ثم لم يلبث أن مات . ويظن الدكتور شوقي ضيف في كتابه « العصر الجاهلي » أن قصة زيارته لقيصر وما أحاط بها من أخبار وتفاصيل غير صحيحة ، كما يظن الدكتور طه حسين في كتابه « في الأدب الجاهلي » — في مبالغة غير مقبولة — أن كل ما رواه الرواة من أخباره لا أساس له من الصحة . وفي ظني أن رحلة قيصر صحيحة ، ففي شعر امرئ القيس الثابت الصحيح الذي يرويّه الأصمعي الراوية الثقة ما يؤكدها ، على نحو ما نرى في قصيدته الرائية :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا      وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْفٍ فَعَرَّعَرَا

ففيها حديث صريح عن هذه الرحلة . ولكن — في أغلب الظن — أن امرأ القيس توفي وهو في طريقه إلى قيصر ، فليس في القصيدة ما يشير إلى أنه وصل إليه . وهل هذا فكل التفاصيل التي يذكرها الرواة بعد ذلك غير صحيحة . وليس في أحاديث الرواة عنه ما يحدد تاريخ وفاته ، وإن يكن من المحتمل أنها كانت فيما بين سنتي ٥٣٠ ، ٥٤٠ للميلاد .

وامرؤ القيس — بدون منازع — أشهر شعراء العصر الجاهلي ، وهو — عند الباحثين — أبو الشعر الجاهلي . ومن اليسير أن نلاحظ أن شعره ينقسم إلى قسمين : قسم نظمته قبل مقتل أبيه ، وقسم نظمته بعد مقتله . ومن اليسير أيضا أن نلاحظ أن القسم الأول يدور حول تصوير شبابه وما انطوى عليه من مغامرات غرامية ، ومن خروج للصيد ، ومن كل تلك المتع التي كان غارقا فيها إلى أذنيه . وليس من شك من أن معاقته المشهورة من نتاج هذه المرحلة . وأما القسم الثاني فيدور حول تصوير المرحلة المضطربة من حياته ، ووصف محاولاته اليائسة للأخذ بثأره ، وهو يفيض بالشكوى من الظروف التي أحاطت به ، والآمال التي يراها تتساقط من بين يديه ، والضياع الذي أخذ يحس أنه يعيش فيه . وفي هذا القسم مجموعة من المقطوعات القصيرة نظمها في مدح سادة القبائل الذين استنجد بهم ونصروه . وفيه أيضا قصائد طويلة يتذكر فيها شبابه البعيد ، ويستعيد ذكريات ماضيه السعيد الذي ذهب إلى غير رجعة . ولا شك أن قصيدته المشهورة :

ألا عِم صباحا أيها الطلل البالي      وهل يَعمَن من كان في العُصُر الجالي



من نتائج هذه المرحلة ، فمع أنها صورة توشك أن تكون طبق الأصل من المعلقة ، فإن فيها ما يشير إلى أنها نظمت في هذه المرحلة الثانية ، وأنها تصوير لذكريات شبابه التي عادت تلح عليه وتحمله على أجنحتها السحرية إلى عالم بعيد قضى فيه أجمل سنوات عمره .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## من المعلقة

المقدمة الطلية :

- ١ قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول
- ٢ فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
- ٣ ترى بعرا الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فأنفل
- ٤ كاني غداة البين يوم تمهلوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل
- ٥ وقوفا بها صهي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتجمل

(١) سقط اللوى والدخول وحول : أسماء مواضع يحدد بها مكان الطلل الذى يقف به ويطلب إلى صاحبيه الوقوف معه فيه .

(٢) توضح والمقراة : موضعان يستكمل بهما تحديد مكان الطلل . ولم يعف رسمها : لم تتغير آثارها .  
والجنوب والشمال : ريحان تبادلان الهبوب على الطلل .

(٣) الآرام : جمع رتم وهو الظبي الخالص البياض . والعرصات : الساحات . القيعان : جمع قاع وهو مستنقع الماء . يقول إن الطلل تحول إلى مسرح للظباء بعد أن كان أهلا بأحبابه . يصور حبهمة .

(٤) البين : الفراق . وتمهلوا : رحلوا . والسمرات : أشجار شوكية من أشجار البادية ، جمع سمرة . والحنظل : ثمرة صلبة تضم رحيقا حاردا تدمع العينان منه . وناقف الحنظل : الذى يكسر ثمرته ليستخرج رحيقها . يتذكر موقفه يوم الوداع .

(٥) وقوفا : حال أو مفعول مطلق . وعلى : أى من أجل . يقول إن أصحابه وقفوا مطاياهم بالطلل استجابة لرغبته التى أبداها . والتجمل : التمسك بالصبر . والأسى : الحزن .

- ٦ وإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَّاقَةٌ      فهل عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ؟  
 ٧ كَدَّاءُكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا      وجَارِيَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلٍ  
 ٨ إِذَا قَامَتَا تَفْضُوعُ الْمِسْكُ مِنْهُمَا      نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَبِّهَا الْقَرْنَقُلُ  
 ٩ ففَنَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً      على النَحْرِ حَتَّى بَلَّ دُمْعَى مَحْمَلٍ  
 مغامرات غرامية :

- ١٠ أَلَا رَبِّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ      وَلَا سِيمَا يَوْمٌ بِدَارَةٍ جُلُجُلٍ  
 ١١ وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيئِي      فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ  
 ١٢ فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا      وَشَحِيمَ كَهْدَابِ الدَّقِيسِ الْمَفْتَلِ

\* \* \*

- (٦) العبارة : الدمة . والمهرقة : المارقة ، لغة يمنية . والرسم : الأثر . والدارس : الذي ذهب بعضه وبقى بعضه . والمعول : اسم مكان بمعنى موضع العويل ، أو هو مصدر بمعنى العويل .  
 (٧) كدائك : كمادتك . وأم الحويرث وأم الرباب : صاحبتان من صاحباته الكثيرات .  
 ومأسل : اسم موضع .  
 (٨) تفضوع : فاح وانتشر . والصبا : ريح طيبة تهب من الشرق من ناحية نجد تنفي بها الشعراء العرب كثيرا في شعرهم . وربا القرنفل : رائحته وعطره .  
 (٩) المحمل : السير الذي يحمل به السيف . وهنا تنتهي مقدمة الأطلال لبدء الشاعر بعدها أحاديث مغامراته الغرامية .  
 (١٠) دارة جلجل : اسم مكان كانت لامرئ القيس فيه مغامرة من مغامراته الغرامية الكثيرة ، وما يرويه الرواة القدماء من حديث هذا اليوم يقال إنه موضوع نسجه خيال الفرزدق الشاعر الأموي .  
 (١١) هذا يوم آخر من أيام امرئ القيس « الصالحة » — كما يسميها ، أو هي مغامرة أخرى من مغامراته اللاهية . والمتحمل : الذي وزعه على إبل صاحباته بعد أن نحر لهن ناقته .  
 (١٢) يرتمين بلحمها : أي يتقاذفن به . والكهداب : أطراف الثوب التي تركت دون نسج ، مفردها هدابة . والدقيس : الحرير الأبيض . والمفتل : المفتول . والبيت يرسم صورة لجو المرح الذي كان يسيطر على امرئ القيس وصاحباته .

- ١٣ ويوم دخلت الحدر خدر عذرة      فقالت : لك الولياتُ إنك مُرجلي  
 ١٤ تقول وقد مال الغيظُ بنا معاً :      عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلي  
 ١٥ فقلتُ لها : سيرى ، وأرنى زمامه      ولا تُبعديني من جنائك المعلن  
 ١٦ أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل      وإن كنت قد أزمعت صرعى فاجلي  
 ١٧ وإن تك قد ساءتِ مني خليفةً      فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي  
 ١٨ أغرك مني أن حبك قاتلي      وأنيك مهما تأمرى القلب يفعل ؟  
 ١٩ وما ذرفت عينك إلا لتضربي      بسهميك في أعشار قلب مقتل

\* \* \*

- (١٣) الحدر : الهودج . وعذرة : إحدى صاحباته . وقوله « إنك مرجلي » يريد أني أخاف أن تعقر بعيري فأضطر إلى التبرجل . والبيت يمسك جوالهلال الذي كانت تصطلمه صاحباته .  
 (١٤) الغيظ : الهودج . والبيت يمسك جوالهلال الذي كان يعيش فيه امرؤ القيس وصاحباته .  
 (١٥) الجنى : النمر ، ويريد به هنا ما كان يناله من صاحباته من قبلات . والمعلن ( بالكسر ) : ما ينظر به من قبلات صاحباته ، وبالفتح : الذي ملل بالطيب مرة بعد مرة ، أى ضيق به .  
 (١٦) أفاطم : نداء على الترقيم ، وفاطمة صاحبة أخرى له . أزمعت : حرمت . صرعى : هجرى . أجلى : أحسنى ، أى ليكن هجرى جليلاً لإساءة فيه إلى .  
 (١٧) الخليفة : الخلق . سلى : اخلى . تنسلي : تسقط وتنفصل ، والمراد هنا خلعي قلبي من حبك وأبعديه من قلبك .  
 (١٩) ذرفت : دمعت . ويريد بالسهميت عينها . والأعشار : المقسم عشرة أقسام جمع عشر . والصورة مأخوذة من تقاليد الميسر عند العرب عندما يقسمون الناقة التي يلعبون عليها عشرة أقسام ، ثم يدبرون عليها القداح وهي السهام ليربح كل منهم نصيبه الذي يخرج له .



- ٢٠ وببيضة خدر لا يرّام خباؤها تمتعت من لهُو بها غير معجل  
 ٢١ تجاوزت أحراسا إليها ومَعشرا على حراسا لو يُسرون مقتلي  
 ٢٢ إذا ما الثريا في السماء تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضْ أثناء الوشاح المُفَصِّل  
 ٢٣ فِجئتُ وقد نَضْتُ لنوم ثيابها لدى السّترِ لا لبِسة المُتَفَضِّل  
 ٢٤ فقالت : يمينُ الله ، مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تتجلى  
 ٢٥ خرجتُ بها أمشى تَجُرُّ وراءنا على أثرينا ذيلَ مُرْطٍ مُرَحِّل  
 ٢٦ فلما أجزنا ساحة الحى واتّحى بنا بطنُ خَبِتٍ ذى قِفافٍ عَقَقَل

(٢٠) بيضة خدر : يريد امرأة ممتعة محبة . لا يرّام خباؤها : لا يجبروا أحد على الاقتراب من خباياها لأنها عزيزة مكنونة . تمتعت من لهُو بها : وصلت إلى خباياها وتمتعت باللّهُو بها . غير معجل : غير متعجل .

(٢١) تجاوزت : تخطيت وصبرت . أحراسا : جمع حرس . يسرون : يكتمون أو يظهرون لأن الكلمة من الأضداد . والمعنى هنا أنهم يسهون بقتل ولكتهم يتكتمون ذلك خوفا من مكاتبي في قومي .  
 (٢٢) الثريا : كواكب تظهر بعد انقضاء الليل ويعلن تعرضها عن اقتراب الفجر . وتعرضت : صارت مستعرضة قبل أفولها . الوشاح : « الشال » تطرحه المرأة على كتفها . المفصل : الذى فصل بأنواع مختلفة من الجواهر . أثناء الوشاح : أثناء ونواحيه .

(٢٣) نضت : خلعت وألقت عنها . المتفضل : الذى يبقى في ثوب واحد استعدادا للنوم .

(٢٤) يمين الله : بالنصب على نزع الخافض ، وبالرفع على الابتداء ، وخبره محذوف تقديره قسمي . ما إن أرى : تؤكد للننى . الغواية : النى . تتجلى : تنكشف .

(٢٥) المرط : إزار من الحرير . والمبرحل : المنقوش بصور الرجال . هى تجر وراءها ذيل إزارها الطويل لتعنى أثرها فوق الرمال حتى لا يعرف موضعها .

(٢٦) أجزنا : تجاوزنا . واتّحى : اتجه بنا ناحيته . والخبث : المنخفض الفاض من الأرض . والقفاف : المرتفعات الخليطة ، جمع قف . والمقتل : المتداخل بعضه في بعض .

- ٢٧ هَصَرْتُ بِقَوْدَيَّ رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ      عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخَلَّخَلْ  
 ٢٨ مَهْفَهْفَةً بِيضَاءُ غَيْرُ مُقَاضِيَةٍ      تَرَائِبُهَا مَصْفُولَةٌ كَالسَّجَنَجِلِ  
 ٢٩ تَصَدُّ وَتَبْدِي عَنْ أَسِيلٍ ، وَتَتَّقِي      بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحِشٍ وَبَجَرَةٍ مُطْفِلِ  
 ٣٠ وَجِيدٌ بِكَيْدِ الرِّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ      إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمُعْطَلِ  
 ٣١ وَفَرِجٌ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ      أَثِيثٌ كَقِنَوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَشِّكِ  
 ٣٢ غَدَائِرُهُ مُسْتَشِيرَاتٌ إِلَى الْعُلَا      تِضْلُ الْعِقَاصُ فِي مُشْنَى وَمُرْسَلِ  
 ٣٣ وَكَشْحٌ لَطِيفٌ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّرٍ      وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُسْدَلِ

- (٢٧) هصرت : جذبت . والقودان : جانبا الرأس . والكشح : الخصر . والهضم : الضامر .  
 النجيل . وريا : ممثلة ، مؤنث ريان . والمخلخل : موضع الخلخال ، يربد ساقها . يصف خصرها  
 بالضمور وساقها بالامتلاء .  
 (٢٨) مهفهفه : رشيقة . وغير مقاضة : غير مترهلة . والترايب : عظام الصدر ، والسجنجل :  
 كلمة رومية ولذلك اختلف الشراح في تفسيرها ، فقالوا إنها المرأة ، وقالوا إنها سبيكة الفضة .  
 (٢٩) أسيل : خفيف اللحم ، صفة لخدّها . والوحش هنا يريد به البقرة الوحشية وهي مشهورة  
 عند العرب بجمال عينها . ومطفل : ذات أظفار . وبجرة : اسم مكان . يشبه عينها بعيني بقرة وحشية  
 تراعى صنارها في حنو وحب ووداعة .  
 (٣٠) الرثم : الظبي الخالص البياض . والفاحش : المفرط الطول . ونصته : رفعت . والمعطل :  
 الخالي من الحلي .  
 (٣١) الفرع : الشعر . والمتن : الظهر . والأثيث : الغزير . وقنول النخلة : عذقها الذي يحمل  
 البلح . والمتعشك : المتداخل بعضه في بعض . يصف شعرها بالطول والسواد والغزارة .  
 (٣٢) الغدائر : الضفائر . ومستشيرات إلى العُلَا : أي مرفوعات إلى أعلى . والعقاص :  
 خصل الشعر الملوية . والمتنى : الشعر الذي ثنى بعضه على بعض . والمرسل : الذي تركته ممرحا غير  
 مضفر . يصف تصفيفه شعرها .  
 (٣٣) الكشح : الخصر . والجديل : الجزام المقنول . والنخمر : الرشيح الرقيق . والسقي  
 المذلل : يريد نياتا مائتا ينمو في ماء ذلل له فهو دائما غض ريان .

- ٣٤ وَتُفَصِّحِي فِتْيَتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا      تَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَظِقْ عَنْ تَفَضُّلِ  
٣٥ وَتَعْطُو بِرَخِصٍ فَيْرَشْنٍ كَأَنَّهُ      أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلِ  
٣٦ تِضْيُءِ الظَّلَامِ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَُا      مَنَارَةُ ثُمَسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ  
٣٧ إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ حَسْبَابَةً      إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دَرِجٍ وَجِجُولِ  
٣٨ كَبِيرِ الْمُقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصُفْرَةٍ      فَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلِّلِ

حديث مع الليل :

- ٣٩ وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرْخِ سُدُولَةٍ      عَلَى بِأَنْوَاعِ الْمَمُومِ لِيَبْتَلِي  
٤٠ فَقَاتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ      وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ :

(٣٤) لم تنتطق عن تفضل : يريد أنها لا تعمل في بيتها فلا تلبس النطاق لتشد به ثيابها ، وإنما تلبس أرق ثيابها . والبيت تصوير لرف صاحبته وطبقتهما الأرستقراطية .

(٣٥) تعطو : تمد يدها . والرخص : اللين ، صفة لأصابعها . والشن : الغليظ الكز . والأساريع : ديدان تكون في الرمال بيضاء الظهور حمراء الأطراف . وظبي : اعم مكان . والإسجل : شجر له أغصان ناعمة تتخذ منها المساويك .

(٣٦) المنارة : السراج . ممس : راهب . مساء : راهب . المتبتل : المفرد المنقطع عن الناس لعبادة الله ؛ والراهب لا يطفى . مراجه لكونه طول الليل في عبادة .

(٣٧) يرنو : يديم النظر . اسبكرت : امتدت . الدرع : قيص المرأة الكبيرة . المجول : قيص المرأة الصغيرة ؛ والمراد هنا أنها ليست كبيرة ولا صغيرة .

(٣٨) البكر هنا : أول بيضة للنعام . المقاناة : المخالطة . نمير الماء : الذي يروى عند ارتشائه لو حتى يكن عذبا . غير المحلل : أى الصافي الذي لم يكدره شيء .

(٣٩) كموج البحر : أى يشبه موج البحر في كثافته وظلمته . السدرول : السنور . يبتلى : يختبر .

(٤٠) تمطى : تمدد . الصلب : الوسط . أردف أعجازا : رجع من جديد بظهره . ناء بكلكل : أى تها لينهض ، والكلكل : الصدر . والصورة بدوية تستمد هنا صرها من حركة الناقة عند نهوضها .

- ٤١ ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي      يصبح، وما الإصباح منك يا مثل  
٤٢ فيالك من ليل كانت نجومه      بكل مغار القتل شدت يذبيل  
٤٣ كأن الثريا عاققت في مصامها      بأمراس كتان إلى صم جندل

### رحلة صيد :

- ٤٤ وقد أختدى والطير في وكناتها      بمنجريد قيد الأوابد هيكل  
٤٥ مكر مفر مقبل مدير معا      بكأمود صخر حطه السيل من عل  
٤٦ ككيت يزل اللبد عن حال متيه      كما زلت الصفواء بالمتزل

(٤١) يريد أن الصبح لا يفضل الليل فكلاهما له همومه .

(٤٢) مغار القتل : محكم القتل ، يعني أنه قوى متين . يذبيل : امم جبل في بلاد نجد . يصف  
حلول الليل فكان النجوم ثابتة لا تتحرك .

(٤٣) المصام : الأفلاك التي تدور فيها النجوم . الأمراس : الحبال . صم جندل : للصخر  
الأسم أو المجارة الصلبة . واليت استمرار في وصف الليل بالطول والتوقف .

(٤٤) أختدى : من القدو أي الانطلاق في البكور . الوكنات : أوكار الطير . المنجريد : قصير  
الشعر ، يصف فرسه . قيد الأوابد : يريد أنه يلحق بالأوابد فيصير لها بمنزلة القيد ، والأوابد :  
الوحوش البعيدة في الصحراء . الهيكل : الضخم .

(٤٥) مكر : يصلح للكر . مفر : يصلح للفرا . مقبل : حسن الإقبال . مدير : حسن الإذبار .  
معا : أي يملك الصفتين معا . جلمود صخر : صخرة ضخمة مائتة . حطه السيل : أي دفعه السيل فانحدر  
بسرعة وعنفة . من عل : من أعلى الجبل .

(٤٦) ككيت : أحرمائل الذكينة . اللبد : ما يوضع تحت المرج من صوف ونحوه . حال  
جنته : وسط ظهره ، والحال : موضع البد . الصفواء : الصخرة المساء التي لا يثبت فوقها شيء . المتزل :  
السيل أو المطر .

- ٤٧ على الذبل جياش كأن اهتزامه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل  
 ٤٨ مسح إذا ما السابحات على الوقى أثرن الغبار بالكديد المركل  
 ٤٩ يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثقل  
 ٥٠ درير نكذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل  
 ٥١ له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل  
 ٥٢ كأن سراته لدى البيت قائما مذك عروس أو صلاية حنظل  
 ٥٣ كأن دماء الماديات ينخره عصارة حناء يشيب مرجل

- (٤٧) الذبل : الضمور . جياش : يجيش في عدوه كما يجيش الماء في القدر عند غليانه . الاهتزام : الصوت . حميه : غليه . وعلى الذبل أى على الرض من ضموره .  
 (٤٨) مسح : يصب الجرى صبا . السابحات : الخيل اللواتى عدوهن سباحة . الوقى : الفتور . الكديد : الموضع الغليظ . المركل : الذى تركله أرجل الخيل .  
 (٤٩) يزل : ينزلق . الخف : الخفيف . يلوى بأثواب العنيف : أى يرمى بثيابه بعيدا عنه . المثقل : الثقل الثابت فوق ظهر جواده .  
 (٥٠) درير : مستدر في عدوه كأنه يصب العدو صبا ، والمعنى أنه سريع العدو . الخذروف : حصاة مثقوبة تقين يجعل الصبية فيها خيطا ثم يدبرونها فتكون سريرة الدوران . أمره : أحكم فله . تتابع كفيه : متابعة الكفين للحصاة والخيط بقصد زيادة السرعة . ووصف الخيط بأنه موصل للدلالة على كثرة استعماله .  
 (٥١) الأطل : الكشح وهو ما بين آخر الضلوع إلى الفخذ ، وأطل الظبي ضامره وساقا النعامة لصيرتان صليتان . الإرخاء : عدوليس بالشديد . السرحان : الذئب . التقريب : رفع اليدين معا ثم وضعهما معا عند الجرى . التفل : ولد الثعلب .  
 (٥٢) السراة : الظهر . والمداك : الحجر الذى يسحق به الطيب . والصلاية : ما يسحق فيه الحنظل ونحوه . يصف ملاسة ظهر جواده .  
 (٥٣) الماديات : المقدمات ، وهى تعنى هنا أوائل الوحوش والفرائس . عصارة حناء : ما بقى من أثرها بعد الصبغة . مرجل : مسرح وممشط .



- ٥٤ فعن لنا سرب كأن يعاجه مذارى دوار في ملاء مذيّل  
 ٥٥ فأدبرن كالجزع المفصل بينه يجسد معيم في العشرة مخول  
 ٥٦ فالحقه بالماديات ودونه جوارحها في صرة لم تزيل  
 ٥٧ فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل  
 ٥٨ فظل طهاة اللحم من بين منضج صيف شواء أو قدير معجل  
 ٥٩ ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيه تسهل  
 ٦٠ فبات عليه سرجه ولبامه وبات بعيني قائما غير مرسل

\* \* \*

- (٥٤) عن : اعترض . سرب : قطع من البقر . دوار : صنم من طقوس عبادة أن يدوروا حوله . ملاء : جمع ملاءة . مذيّل : له ذيل أو أهداب سود مابغة .  
 (٥٥) الجزع : خرزفيه سواد وبياض . مع مخول : صبي كريم الأعمام والأخوال .  
 (٥٦) جوارحها : التي تخلفت منها عن القطيع . الحقه : أى أن الفرس جعل صاحبه يدرك الفرائس . الصرة : الشدة ، وفست أيضا بأنها الصيحة أو الغبار . لم تزيل : لم تتفرق .  
 (٥٧) عادى : وإلى الجرى بين اثنين . والنعجة هنا البقرة الوحشية . دراكا : مداركة وملاحقة . لم ينضح بماء : لم يعرق .  
 (٥٨) الصيف : الشواء الذى صف على الجمر . والقدير : ما طبخ في القدر .  
 (٥٩) الطرف : النظر أو العين . يقصر دونه : يعجز عن النظر إليه . متى ما ترق العين فيه تسهل : أى متى ما نظر إلى أهله نظر إلى أسفله ، وذلك كي يتم النظر إلى جميع جسمه إعجابا به .  
 (٦٠) بات بعيني : ظل بحيث أراه . فيز مرسل : أى غير مهمل .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم

( ٢ )

## صورة مثالية لجواد الصيد

يصف امرؤ القيس في هذه القصيدة حصانه ورحلة صيد خلف البقر الوحشى . وكل ما تصوره هذه القصيدة قريب مما جاء فى المعلقة ، بل إن هناك أبياتا تتكرر كاملة مع تغيير كلمة واحدة ، كما أن هناك معانى مشتركة كثيرة فى مجالات الغزل والصيد ووصف الحصان تجعلنا نتساءل عن سر هذا التشابه : أسببه أن امرأ القيس كان يكرر نفسه فى بعض قصائده أم أن هذه القصيدة نَحَلها الرواة على منوال المعلقة ؟ أيا ما كان الأمر فالذى لا شك فيه أن القصيدة تصور عالم امرئ القيس الإنسانى والصحراوى الذى يطالعنا كثيرا فى شعره . والصورة التى نخرج بها دائما من شعر امرئ القيس هى أن شعره يوحى بأنه يعانى قدرا من الاغتراب ، ولذلك نجده فى شعره يتعامل فقط مع المرأة أو مع عناصر الصحراء ، فالبشر دائما مغيبون عنه . ومن هنا أرى أن شعره يمثل حالة متقدمة من الاغتراب مما أبلأه إلى حياة وجودية أقرب إلى العيب واللامبالاة . فهل كان هذا سببا لخلع أبيه له أم نتيجة ؟

وأخيرا فإن النص سواء أكان صحيحا أم متحلا يصور عالم امرئ القيس قبل مقتل أبيه ، وهو يعبر فيه عن حياته اللاهية العابثة فى الحب والصيد ، وعلاقته الحميمة بحصانه .

\* \* \*

- ١ خَلِيلٌ مُرَّابٍ عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ      نَقَضَ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدِبِ
- ٢ فَإِنَّمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً      مِنْ الدَّهْرِ يَنْفَعُنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبِ
- ٣ أَلَمْ تَرِيَانِي كَمَا جِئْتُ طَارِقًا      وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطْلُبِ
- ٤ عَقِيلَةٌ أَتْرَابُهَا ، لَا دَمِيمَةٌ      وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبِ
- ٥ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثُ وَصَلُهَا      وَكَيْفَ تُرَاعَى وَصْلَةُ الْمُتَغَيِّبِ ؟
- ٦ أَدَامَتْ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ      أُمِيمَةٌ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُخْبِيبِ ؟
- ٧ فَإِنْ تَنَاسَّ عَنْهَا حَقِيبَةٌ لَا تُلَاقِيهَا      فَإِنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَ بِالْمَجْرَبِ
- ٨ وَقَالَتْ مَتَى يُبْخَلُّ عَلَيْكَ وَيُعْتَلَلُ      يُسْؤَلُ وَإِنْ يُكْشَفُ غَرَامُكَ تَدْرَبِ

\* \* \*

- ٩ تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن      سَوَالِكَ نَقَبًا بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِ

(١) أم جندب ، زوجة الشاعر . لبانات : جمع لبانة وهي الحاجة .

(٢) تنظُرَانِي : تنتظراني .

(٣) طَارِقًا : آتيا بالليل . وجدتُ بها طيبًا : أي وجدتُها طيبة الرائحة في الليل الذي تكرهه روائح الناس فيه .

(٤) عَقِيلَةٌ أَتْرَابُ : يريد أنها أكرم وأفضل من مثيلاتها . وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ : أي أن خلقها تستريح لها العين . جَانِبِ : غليظة قصيرة .

(٥) حَادِثُ وَصَلُهَا : حالة حيا أي أحوال ثابتة على العهد أم قد تغير ؟ وَالشَّطْرُ الثَّانِي مَعْنَاهُ : هل حفظت عهد الحب في غيابي أم ضيعته ؟ وَالْوَصْلَةُ : الوصل .

(٦) صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُخْبِيبِ : أطاعت قول المفسد الماكر .

(٧) حَقِيبَةٌ : قِطْعَةٌ . تَنَاسَّ : تبعث . أَحْدَثَ : فعلت . وَالْمَجْرَبِ : الذي مررت به تجربة معها .

(٨) يُبْخَلُّ عَلَيْكَ أَي بِالْوَصَالِ وَالْإِقَامِ . يُعْتَلَلُ : يأتي بالأسباب والعلل . تَدْرَبِ : تتعود .

(٩) الظُعَائِنُ : النساء في الهوادج . سَوَالِكَ : سالكات . النَقَبِ : الطريق في الجبل .

الْحَزْمُ : ما غلظ من الأرض . شَعْبَعِ : اسم ماء .

١٠. علون بأنطاكية فوق عجمة  
 ١١. فليله عيننا من رأى من تفرق  
 ١٢. فريقان منهم جازع بطن نخلة  
 ١٣. فعينك غرباً جدول في مفاضة  
 ١٤. وإنك لم يفخر عليك كفار  
 ١٥. وإنك لم تقطع لبانة عاشق  
 ١٦. بأدماء حرجوج كأن قنودها
- بحرمة نخل أو بكنة يثرب  
 أشت وأناى من فراق المحصب  
 وآخر منهم قاطع نجد كبكب  
 كمر الخليج في صفيح مصوب  
 ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب  
 بمثل خديو أو رواج مؤوب  
 على أبقى الكشحين ليس بمغرب

(١٠) علون بأنطاكية : أى ركن الأيل بتياب صنعت فى أنطاكية من بلاد الشام . عجمة : ضرب من التطريز . الجرمة : البلح . الجنة : الحديقة .

(١١) أشت وأناى : أكثر بعدا وفرقة . المحصب : موضع رى الجمار بمنى ، أى أن فراق الحبيبة مثل فراق الحاج للأماكن المقدسة .

(١٢) جازع : نازل . قاطع : طالع . كبكب : جبل . يقول تفرق الأحباب بين نازل إلى أسفل وطالع إلى أعلى .

(١٣) معنى الشطر الأول أنه عيني الشاعر تسيلان بالدموع حزنا لفراق الأحباب كما تسيل دلوان نرجسا من جدول ماء فى مفاضة أى فى أرض واسعة . والشطر الثانى معناه أن الدموع تسيل مثل خليج ماء مريع الجريان بين صفيح مصوب أى حجارة منحدر .

(١٤) المحبوبة مغلوبة وعاجزة ولكنها أعجزت وغلبت الحبيب القوى .

(١٥) مؤوب : مائد . والمعنى ليس هناك ما يقطع حالة الوصل مثل السفر الذى يريح بالذهاب أو الإياب .

(١٦) أدماء : ناقة بيضاء . حرجوج : طويلة العنق . قنود : رحل . أبقى : حمار وحشى . المغرب : أبيض الوجه والأشفار ، وهو هيب فى الحمر الوحشية . يشبه الناقة بحمار الوحش فى مرعته وقوته .

- ١٧ يغرّد بالأسحار في كلّ سُذفة      تغرّد مياح الندامى المطرب  
١٨ أقب رباع من حير عماية      يمجّ لعاع البقل في كلّ مشرب  
١٩ بمجنية قد آزر الضال ببتها      مجرّ جيوش غامين وخيب  
٢٠ وقد أغتدى والطير في وكناتها      وماء الندى يجري على كلّ مذب  
٢١ بمنجرد قيد الأوابد لآحه      طراد الهوادي كلّ شأو مغرب  
٢٢ على الأين جياش كأن سراته      على الضمر والتعداء سرجة مرّقب  
٢٣ يبارى الخنوف المستقل زماعه      ترى شخصه كأنه عود مشجب

- (١٧) يغرّد : ينفى ، يصف صوت الحمار . السذفة : الغسق أو الظلمة . مياح : يهتر نشاطا أو نشوة . هذا الحمار لنشاطه يصبح في الليل كأنه شارب ينفى ويطرب الندماء .  
(١٨) أقب : ضامر . عماية : أمم جبل في نجد يقال إن حره أشدّ عدوا من غيرها . يمج لعاع البقل : يريد أنه إذا شرب تصاقط من فمه ما أكله من العشب . يشير إلى أنه في مكان شديد الخصب .  
(١٩) مجنية : المكان الذي ينحني فيه الوادي وهو أخصب مكان فيه . آزر : بلغ ومارى في الطول . الضال : شجر . مجرّ جيوش : أي أن هذه المجنية في موضع ترفيه الجيوش عائدة بالقيمة أو الخيبة ، فلا ينزلها أحد خوفا منها ، ولذلك احتفظت بنخبها .  
(٢٠) أغتدى : أبكر في الخروج للصيد . وكناتها : أعشاشها . مذب : مسهل الماء . الندى : المطر . يبدأ الشاعر وصف الرحلة مبكرا وماء المطر ينزل من كل اتجاه .  
(٢١) المنجرد : حصانه القصير الشعر . قيد الأوابد : سريع ، يقيد الوحوش لأنه أسرع منها . الهوادي : الوحوش المتقدمة .  
(٢٢) الأين : التعب . جياش : سريع . مراته : ظهره . التعداء : كثرة العدو . السرجة : الشجرة الطويلة . المرقب : كل ما أشرف من الأرض . يشبه علو الفرس وارتفاعه — على الرغم من ضموه وكثرة عدوه — بالشجرة العظيمة في أعلى الأماكن .  
(٢٣) الخنوف : صفة من صفات حمار الوحش حيث يرى برجليه المتقدمتين في السير . الزماع : الشر فوق الظلف ، وجعلها مستقلة لأن ذلك أدعى إلى الإسراع . وتشبيهه بمسود المشجب للدلالة على صلابته وملاسته وضموره .



- ٢٤ له أَيْطَلَا ظَبِيٍّ وَمَا قَا نَعَامِيَّةٍ وَصَهْوَةٌ عَيْرٍ قَائِمٌ فَوْقَ مَرَقَبٍ  
 ٢٥ وَيَخْطُو عَلَى صُمٍّ صَلَابٍ كَأَنَّهَا حَجَارَةٌ غَيْلٍ وَأَرِسَاتٍ بِطَحْلَبٍ  
 ٢٦ لَهُ كَفَلٌ كَالِدَعِصِ لَبْدِهِ النَّدَى إِلَى حَارِكٍ مِثْلَ الْغَبِيطِ الْمَذَابِ  
 ٢٧ وَعَيْنٌ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ تَدِيرُهَا لِمَحْجَرِهَا مِنَ النُّصَيْفِ الْمُنْقَبِ  
 ٢٨ لَهُ أُذُنَانِ تَعْرِفُ الْعِتَقَ فِيهِمَا كَسَامَعَتَيَّ مَذْعُورَةٍ وَسَطَ رَبْرَبٍ  
 ٢٩ وَمُسْتَفْلِكُ الدَّفَرَى كَانَ عِنَانَهُ وَمِثْنَاتُهُ فِي رَأْسٍ جَذَعٍ مُشْدَبٍ  
 ٣٠ وَأَسْحَمٌ رِيَانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عِثَا كَيْلٍ قِنُومٍ مِمِّيعَةٍ مُرْطَبٍ

(٢٤) أَيْطَلَا الظبي : خاضعته . الصهوة : الظهر . العير : الحمار الوحشي . ويلاحظ أن بعض هذه الأوصاف وردت في مطلقته .

(٢٥) صم : صفة للخوافر . الغيل : الماء الجاري . وأرسات : مصفرات ، والورس : صيغ أصفر . شبه حوافر الفرس بحجارة ماء هلاها الطحلب فاصفرت وصلبت .

(٢٦) كفَل : مؤخرة . الدعص : الكثيب الصغير من الرمل . الغبيط : قنب المودج . المذآب : الموسع . وإلى في البيت بمعنى مع .

(٢٧) الصنّاع : الحاذقة في العمل . النصف : الخمار . المنقب : الذي اتخذته نقاباً لها . المحجر : العين . يقول إنها تنقب ببحارها فأدارت مرآتها إليها لتنظر فيها .

(٢٨) العتق : عراقة الأصل . كسامعتي مذكورة : كأذني بقرة خائفة . ربرب : قطع .

(٢٩) مستفلك : مستدير مثل الفلكة . الدفري : عظم قائم خلف الأذن . مشاته : الحبل المشدود في رأسه من الناحيتين . المشذب : الذي تزع شوكة وسعفه ، يريد أنه قصير الشعر ... كان يلحام الفرس في رأس جذع نخلة لطول عنقه .

(٣٠) أسحم : ذيل أسود . الريان : الناعم المنسلى . العسيب : عظم الذنب . العثاكيل : الشاربخ وهي فروع النخلة . القنو : عذق النخلة وهو مرجون البلح ، سمبحة : أم يثر . يقول إن ذيل الفرس مثل شماريخ نخل يرتوى بماء هذه البئر .

٣١ إذا ما جرى شاورين وابتل عطفه      تقول هزيرُ الريح مرّت بأثاب  
٣٢ يُدير قطاةً كالحالةِ اشرفت      إلى سندٍ مثل الغيظ المذاب  
٣٣ ويخضد في الآرى حتى كأنما      به عرةٌ من طائف غير معقب  
٣٤ فيوما على سربٍ نقي جلوده      ويوما على بيدانةٍ أم تولب

\* \* \*

٣٥ فيينا نعاج يرتعين نحيلةً      كشي العذارى في الملاء للمهدب  
٣٦ فكان تنادين وعقد عذاره      وقال صحابي قد شأونك فاطلب  
٣٧ فلايا بلائي ما حملنا وليدنا      على ظهر محبوبك السراة مخنّب  
٣٨ وولّى كشؤبوب العشي بوابل      ويخرجن من جعد ثراه منصّب

(٣١) شاورين : شوطين . هزير : صوت . أثاب : شجيرة شبه الأثل يشتد صوت الريح فيه .  
(٣٢) القطاة : مقعد الرديف . كالحالة : كالبكرا المستديرة . السند : سفح الجبل ، يريد  
كفل الفرس . المذاب : الموسع الأسفل .  
(٣٣) يخضد : يجاذب . والآرى : قطعة جبل تمقد كالحلقة وتثبت في الأرض أوفى حائط ،  
وتشد فيها الخيل . عرة : جنون . طائف غير معقب : شيطان يلازمه فهو لا يكف عن الجري كأنه  
مجنون .

(٣٤) سرب : قطع من بقر الوحش ، ونقي جلوده أى أبيض اللون . بيدانة : أتان ملازمة  
للبيداء فهي دائما مذعورة . والنولب : الجحش .  
(٣٥) النعاج : إناث بقر الوحش . المهذب : الذى له أهداب .  
(٣٦) تنادينا : نداءنا بعضنا على بعض من أجل الصيد . عقد عذاره : أى عذار الفرس استعدادا  
للطردة . يقول كان تنادينا مرتبعا بعقد عذار الفرس ، كناية عن السرعة . والعذار : الحمام .  
شأونك : سبقتك .

(٣٧) لآى : جهد . محبوبك : مجذول قوى . السراة : الظهر . المحتب : الذى به انحناء .  
في الظهر وهو علامة قوة في الخيل . ولأيا بلائى أى جهدا بعد جهد ، يصور عنف الجواد ونشاطه  
وانتناحه على الركوب . و « ما » هنا زائدة .

(٣٨) الشؤبوب : دفعة المطر . الجعد : شديد النداءة . المنصب : المرتفع المنصب .

- ٣٩ فَلِلْسَاقِ الْهَوْبُ وَلِلْسُوطِ دِرَّةٌ      وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجٍ مِنتَبٍ  
٤٠ فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَاوَهُ      يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمَثْقَبِ  
٤١ تَرَى الْفَارَّ فِي مَسْتَنْقَعِ الْقَاعِ لَاحِبًا      عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبِ  
٤٢ خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا      خَفَاهُنَّ وَدَقُّ مِنْ عَشْيٍ مُجَلَّبِ  
٤٣ فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرِ وَنَعْجَةٍ      وَبَيْنِ شَبُوبٍ كَالْقَضِيمَةِ قَرْهَبِ  
٤٤ وَظَلَّ لَثِرَانَ الصَّرِيمِ غَمَغَمٌ      يُدَاعِسُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمَلَابِ  
٤٥ فَكَابَ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ وَمُتَقِي      بِمَذْرِيَةٍ كَأَنَّمَا ذَلَّقَ مِشْعَبِ  
٤٦ وَقَلْنَا لَفَتَيَانِ كَرَامٍ أَلَا انْزِلُوا      فَعَالُوا عَلَيْنَا فَضْلَ ثَوْبٍ مُطَنَّبِ

- (٣٩) هذا الحصان إذا حركه صاحبه يساقه جرى كأنه ملتهب بنار ، وإذا ضرب به بالسوط دور بالجرى ، وحين يزجره يجرى كالمنجنون المنعب أى الذى يستعين بمنقه فى الجرى ويمده .  
(٤٠) أدرك صيده دون تعب . ولم يثن شأوه أى أنه أدركها فى شوط واحد . الخذروف : لعبة من لعب صبيان العرب .  
(٤١) حين يلهب الحصان ظهر الأرض بجريه تغتن الفئران أن المطر قد نزل فيخرجن من قاع الأرض إلى ظهرها . واللاحب : الظاهر . والجدد : المستوى من الأرض . والشد : الجرى .  
(٤٢) خفاهن : أظهرهن أو أخرجهن (الفئران) . ودق : مطر .  
(٤٣) شبوب : ثور مسن . قَرْهَب : مسن . قضيمة : صفحة بيضاء . ويريد به هنا فحل القطيع .  
(٤٤) الصريم : المقطع من الرمل . غمغم : أصوات غير مفهومة . يداعس : يطاعن . السمهرى : الرمح . والملب : الذى شد بعقدة فى أعلاه حتى لا يثنى عند الطعن به .  
(٤٥) الكابى : المطرق بوجهه . المذرية : القرن . ذاق : حذ . مشعب : مخراز . بعد معركة الصيد صرع بعض الثيران ودافع بعضها الآخر عن نفسه بقرون حادة كحد المخراز .  
(٤٦) فعالوا علينا فضل ثوب مطنب : ردوا علينا وأظفونا بثوب مشدود يحمى من حر الشمس . والمطنب : المشدود بالأطاب وهو الحبال .

- ٤٧ وأوتاده ماذية وعماده  
 ٤٨ وأطنا به أشطان خوص نجائب  
 ٤٩ فلما دخلناه أضفنا ظهورنا  
 ٥٠ كأن عيون الوحش حول خبائنا  
 ٥١ نَمَشْ بأعراف الجياد أكفنا  
 ٥٢ ورحنا كأننا من جؤاثى عيشة  
 ٥٣ وراح كتييس الربل ينفض رأسه  
 ٥٤ كأن دماء الهاديات بنحره  
 ٥٥ وأنت إذا استدبرته سد فرجه  
 ردينية فيها أسنة قعصب  
 وصهوته من أتمحي مشرع  
 إلى كل حاري جديد مشطب  
 وأرحلنا الجزع الذي لم يشق  
 إذا نحن قمنا عن شواء مضطرب  
 نعالى النعاج بين عدل ومحقب  
 أذاة به من صائك متحلب  
 عصارة حناء بشيب مخضب  
 بضاف فويق الأرض ليس بأصعب

\* \* \*

- (٤٧) الماذية : الدروع . الردينية : الرماح . قعصب : اسم رجل مشهور بصنع الرماح...  
 يذكر الشاعر أنهم بعد أن فرغوا من صيدهم أقاموا بهوتا من أسلحتهم .  
 (٤٨) أطنا به أشطان خوص : أركان البيت من حبال الإبل النجبية . صهوته : أملاه .  
 الأتمحي : نوع من الثياب كانت تنتجه اليمن . مشرع : متنوع الأصناف .  
 (٤٩) حارى : مصنوع فى الحيرة . والمشطب : المختلط .  
 (٥٠) الجزع : الخرز الأسود الممزج بالبياض . يشبه عيون البقر به .  
 (٥١) نَمَشْ : تمسح . مضطرب : غير فاضح .  
 (٥٢) جؤاثى : اسم قرية بالبحرين مشهورة بالتمسج الجيد . نعالى النعاج بين عدل ومحقب : بعد انتهاء الرحلة وضعوا ما تبقى من اللحم فى حقائب بين معتدلة وغير معتدلة .  
 (٥٣) الربل : نبات . كتييس : ذكر الظباء . الصائك : العرق الثقيل ... الوصف هنا للحصان ، والعرق دلالة على القوة والنشاط .  
 (٥٤) الهاديات : المتقدّمات فى سرب الصيد . مخضب : ملون بالحناء .  
 (٥٥) ضاف : طويل . أصعب : أحمر أو أشقر ، يصف ذيل جواده بأنه أسود .

\* \* \*

طه وادى

( ٣ )

## مَتَعَ مَا بَعْدَ الصَّبَا

تعكس هذه القصيدة مثاليات امرئ القيس — شابا — في حب الحياة واللهو والمجون . وما يتمناه في حياته هنا قريب مما صورته في معلقته ، وما صورته طرفة في معلقته أيضا ، مما يؤكد وحدة المزاج عند الشعراء الشبان في العصر الجاهلي .

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | بَحَزْتُ وَلَمْ أَبْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَمًا  | وَعَزَّيْتُ قَلْبًا بِالْكَوَاعِبِ مُوَلَّعًا    |
| ٢ | وَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ الصَّبَا غَيْرَ أَنِّي      | أَرَأَيْتُ خَلَاتٍ مِنَ الْعَيْشِ أَرْبَعًا      |
| ٣ | فَمَنْهُمْ قَوْلِي لِلنَّدَامَى تَرْفَعُوا         | يُدَاجُونَ تَشَاجًا مِنَ الْخَمْرِ مُثْرَعًا     |
| ٤ | وَمِنْهُمْ رَكُضُ الْخَلِيلِ تَرْجُمُ بِالْقَنَا   | يُبَادِرُونَ مِرْبَا آمِنًا أَنْ يُفْزَعَا       |
| ٥ | وَمِنْهُمْ نَهْشُ الْعَيْسِ وَاللَّيْلِ شَامِلٌ    | تَيْمُمٌ مَجْهُولًا مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَمَا     |
| ٦ | خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ          | يُجَدِّدُونَ وَصَلًا أَوْ يُقَرِّبُونَ مَطْعَمَا |
| ٧ | وَمِنْهُمْ سَوْفِي الْخُودَ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى | تُرَاقِبُ مَنْظُومَ التَّمَائِمِ مَرْضَعَا       |

(١) البين : الفراق . الكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة الناهد .

(٢) خلّات : صفات ونحوها .

(٣) يداجون : يرفعون ويماجلون استعدادا لفتحهم . التشاج : الزق . مثرعا : مليئا .

(٤) ركض : جرى . وترجم : تضرب الأرض بحوافرها . والقنا : الراح .

(٥) نهش العيس : تسييرى للإبل . تيمم : تقصد . بلقع : خراب .

(٧) سوفى : شئى ، من ساف بمعنى شم . الخود : المرأة الحبيبة . منظوم التمايم : كناية عن الوليد

الذى يعلق الأجابة .



- ٨ بَعِزُّ عَلَيْهَا رِيْبَتِي وَيُسْوِئُهَا  
٩ بَعَثْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ طَوَالُحُ  
١٠ بَخَاعَتِ قَطُوفُ الْمَشْيِ هَيَابَةَ السَّرَى  
١١ يُزَجِّجُهَا مَشْيَ التَّرِيفِ وَقَدْ جَرَى  
١٢ تَقُولُ وَقَدْ جَرَدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا  
١٣ أَجِدُّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ  
١٤ فَبِتْنَا تَصُدُّ الْوَحْشُ عَنَا كَأَنَّا  
١٥ تَجَافَى عَنِ الْمَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
١٦ إِذَا أَخَذَتْهَا هِرَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ
- بُكَاهُ فَتَنِي الْجِيدَ أَنْ يَتَقَبَّوْهَا  
حِذَارًا عَلَيْهَا أَنْ تَقُومَ قُسُمًا  
يُدَافِعُ رَكْنَاهَا كَوَاهِبَ أَرْبَعًا  
صَبَابُ الْكَرَى فِي مُحَّةٍ فَتَقَطُّهَا  
كَأَرُغْتَ مَكْحُولَ الْمَدَامِيعِ أَتْلَعَا  
سَوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا  
قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَعْرَعًا  
وَتَذْنِي عَلَيْهَا السَّابِرِيُّ الْمَضْلَعَا  
بِمَنْكِبٍ مِقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعَا

(٨) يتضوع : يشتد بكاءه بصوت مرتفع . وأن هنا بمعنى ألا .

(١٠) قطوف المشي : مقاربة الخطى . هيابة : فرجة خائفة . الكواهب : جمع كاعب وهي التهدئة . كعب نهدها .

(١١) التزيف : السكران . صباب الكرى : بقية النوم .

(١٢) مكحول المداميع : يريد به ولد الظبية . أتلع : طویل العنق .

(١٣) شئ : هنا بمعنى أحد . يقول : لو أحد أنا رسولك لما أجبتك ، ولكننا لم نملك ردك .

(١٤) تصد : أى تصرف أنفسيها هنا .

(١٥) تجافى : تباعد . والمأثور : السيف . والسابري : نوع من الثياب .

(١٦) هرة : رهشة . الروح : الخوف . والأروع : الذى يروحك بحاله .

\*\*\*

طه وادى

( ٤ )

## ذكرياتٌ بعيدة

تدور هذه القصيدة التي ربحناها منها من نتاج المرحلة الثانية من حياة امرئ القيس حول تصوير ذكريات شبابه التي خلفها وراءه على أرض بني أسد منذ أن خرج مطالباً بثأر أبيه . وهي تبدأ بمقدمة طليية يخرج منها إلى حديث الذكريات التي مرت بين الحب والصيد ، ثم يختتمها بالإشارة إلى المهدف الطموح الذي خرج من أجله ، وهو استرداد عرش أسرته الضائع . وهي من رواية الأصمعي الثقة في أربعة وخمسين بيتاً .

\* \* \*

- ١ أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي      وهل يَعِينَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي ؟
- ٢ وهل يَعِينَنَّ إِلَّا سَعِيدٌ مَخْلَدٌ      قليلُ المَمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ ؟
- ٣ وهل يَعِينَنَّ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ      ثلاثين شهرًا في ثلاثة أحوالِ ؟

- 
- (١) عم صباحا : أصلها انعم صباحا ، تحية الصباح عند العرب الجاهليين يوجهها إلى أطلال صاحبه . ويعين : أصلها ينعم حذفت نونها ثم ألحقت بها نون التوكيد الخفيفة . ويريد بالشر الثاني أنه يعيش في الماضي البعيد فكيف يشعر بالنعم أو السعادة ؟
- (٢) يريد بالسعيد المخلد الذي اكتملت سعادته ودامت له مدى الحياة . والأوجال : المخاوف .
- (٣) الأحوال : الأهوام ، جمع حول . يريد كيف يشعر بالنعم من بعد عهده به ؟

- ٤ ديارُ لِسَامَى عَافِيَاتُ بَذَى خَالٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَتَّحَمَ هَطَّالٍ  
 ٥ وَتَحَسَّبَ سَامَى لَا تَزَالُ تُرَى طَلًّا مِنْ الْوَحْشِ أَوْ بَيْضًا بِمِثْنَاءِ مَحَلَالٍ  
 ٦ وَتَحَسَّبُ سَامَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا بِوَادِي الْخَزَامَى أَوْ عَلَى رَسِّ أَوْعَالٍ  
 ٧ لِيَالَى سَامَى إِذْ تَرِيكَ مُنْصَبًا وَجِيدًا بِكَيْدِ الرَّثْمِ لَيْسَ بِمُعْطَالٍ

\* \* \*

- ٨ أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةٍ الْيَوْمَ أَنِّي كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي  
 ٩ كَذَبْتُ، لَقَدْ أَصْبَى عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْخَالِي  
 ١٠ وَيَأْرُبُ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٌ بِأَنْسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ تَمْثَالٍ

(٤) ذُو خَالٍ : اسم مكان . وعافيات : باليات . الأسحم : الأسود ، يريد السحاب .  
 والخطال : المنهر ، يريد المطر .

(٥) الطلا : ولد الظبية أو البقرة الوحشية . والميثاء : الأرض البنية الندية . والمحلال : التي  
 ينزل بها الناس . والبيض هنا يريد به بيض النعام . ومعنى البيت أنه لا يزال يتخيل صاحبه — كما  
 كانت أيام شبابه — جميلة وديعة كالظبية الصغيرة ، بمنعة بعيدة المثال كبيضة النعام .

(٦) وادي الخزامى ورص الأوعال : موضعان . والرص : البئر .

(٧) المنصب : الثغر المستوي المنسق الأسنان ، والرثم : الظبي الخالص البياض . والمعطال : الذي  
 خلا من الحلي ، يريد أن جيدها تزينه الحلي .

(٨) بسباسة : اسم صاحبة له .

(٩) أصبى على المرء عرسه : يريد أنه يفتن على الرجل زوجته ويستميلها إليه . ويزن : يثم .  
 والخالي : الذي لا زوجة له . يريد أنه قادر على أن يفتن المرأة المتزوجة ، وقادر في الوقت نفسه على  
 أن يحمي زوجته من الفتنة .

(١٠) الأنسة : المرأة التي تؤنس صاحبها . وخط تمثال : يريد تمثالا اكتملت له خطوطه ،  
 وتأنق صاحبه في إبداعه وإتقانه .

- ١١ يَضِيءُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لِضَجِيعِهَا      كَصَبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلٍ ذُبَالٍ  
١٢ كَأَنَّ عَلَى لَبَّاتِهَا جَمْرَ مُصْطَلٍ      أَصَابَ غَضِيَّ جَزْلاً وَكُفَّ بِأَجْذَالٍ  
١٣ وَهَبَتْ لَهُ رِيحٌ بِمِخْتَلِفِ الصَّوَى      صَبَاً وَشِمَالٌ فِي مَنَازِلِ قُقَالٍ  
١٤ وَمِثْلُكَ بِيَضَاءِ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ      لَعُوبٌ تُنْسِينِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي  
١٥ كَحَقِيفِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ      بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ  
١٦ لَطِيفَةٌ طَى الْكَشِيعَ غَيْرُ مُفَاضَةٍ      إِذَا انْفَلَتَتْ مَرْتَجَّةٌ غَيْرِ مُتَفَالٍ

(١١) القناديل : جمع قنديل ، وهو زجاجة المصباح . والذبال : الذين يصنعون فتائل المصابيح .  
يشبه وجه صاحبه الذي يضيء الفراش بمصباح في زجاجة ركب صانع الفتائل ذبالاً جديدة له ، وسكب  
عليها الزيت ، فاشتد توهجه وثاقفه .

(١٢) اللبات : عظام الصدر حيث تعلق القلائد . والمصطل : الذي يستند في النار ، فهو  
لا يزال يقلب جمرها حتى لا تخمد . والغضى : نبات شوكة جاف ، يفضلته العرب لنارهم لأنه أشد  
احتفاظاً بها . والجزل : الكثير . والأجذال ، أصول الشجر . وكف بأجذال يريد أن هذا المصطل  
أحاط بجره بأصول الشجر حتى تظل تمده بمزيد من الغضى كلما نفذ جمره وتحول إلى رماد .

(١٣) الصوى : المرتفعات الصغيرة . والققال : العائدون من السفر ، ويكونون عادة أشد  
احتياجاً إلى النار عند نزولهم . يصف هذا الجرباً أنه أوقد فوق مرتفع من الأرض حتى يكون أشد  
تعرضاً لاختلاف الرياح عليه ، فتشتد ناره ، وأن الذين أوقدوه جماعة من المسافرين عادوا من سفرهم  
فزلوا يصطلون التماساً للراحة والدفء بعد سفر مرهق في ليالي الصحراء الباردة .

(١٤) العوارض : جمع عارضة وهي صفحة الخلد . والطفلة : الناعمة اللينة اليدى . والمربال :  
القميص .

(١٥) حقف النقا : كثيب الرمل المستدير . واحتسبا : اكتفيا . يشبه جسد صاحبه المثلث  
اللين بكثيب من الرمال الناعمة أخرت نعومتها صبيين صغيرين على اللعب فوقه .

(١٦) الكشيع : الخصر . والمفاضة : المترهلة البطن . انفلتت : تحركت . والمتفال : الكريهة  
الرائحة التي تهل عطرها ، يريد أنها رشوة الخصر ، مملثة الأوداف ، حريصة على عطرها ، طيبة  
الرائحة .

- ١٧ إذا ما الضجيج ابتثها من ثيابها      تميل عليه هونة غير مجبال  
١٨ تنورتها من أذرعات ، وأهلها      يثرب ، أدنى دارها نظر عالي  
١٩ نظرت إليها ، والنجوم كأنها      مصابيح رهبان تشب لفقال  
٢٠ سموت إليها بعد ما نام أهلها      سمو حباب الماء حالا على حال  
٢١ فقالت : سباك الله إنك فاضحي      ألسن ترى السمار والناس أحوالي ؟  
٢٢ فقلت : يمين الله أبرح قاعدا      ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي !  
٢٣ حلفت لها بالله حلفة فاجر      لناموا فما إن من حديث ولا صالي  
٢٤ فلما تنازعنا الحديث وأسمحت      هصرت بغصن ذى شماريح ميال

- (١٧) الهوة : المهلة اللطيفة . والمجبال : الثقبلة الجافية . يقول إنها تميل على صاحبها في لين ولطف رقيقة خفيفة لا جافية ولا ثقيلة .  
(١٨) تنورتها أى تخيلت ثوبها . وأذرعات : بلد بالشام . ويريد بقوله « أدنى دارها نظر عال » أنها بعيدة .  
(١٩) الضمير في « إليها » يعود على صاحبته ، لا على النار كما توهم الشراح القدماء . ويريد بنظرت إليها أنه ينتظر موعدا مناسباً لزيارتها .  
(٢٠) حباب الماء : ما يعلو سطحه من فقاعات الهواء . ويريد بقوله « حالا على حال » أى شيئاً بعد شيء ، يصور حركته الخلدرة نحوها .  
(٢١) سباك الله : صيغة دعاء لا تؤدي معناها الحقيقي ، وإنما هى تعبير عن دلال المرأة ومعايشتها لصاحبها .  
(٢٢) أبرح قاعدا : أى لا أبرح قاعدا ، يقسم لها لأنه لن يبرح مكانه ولو قطعوا رأسه وأوصاله .  
(٢٣) لناموا : يريد أن السمار والناس من حولها قد ناموا فلم يعد هناك ما تختبئ منه . والصالي : الذى يصطلى بالنار . ويريد بحلفة فاجر أنه أقسم لها كاذبا .  
(٢٤) تنازعنا الحديث أى تجاذبنا أطرافه . وأسمحت : انقادت ولانت بعد امتناعها . هصرت : جذبت . والشماريح : فروع النخلة ، يشبه بها شعرها الغزير الذى تداخات خصله وشفائره بعضها فى بعض .



- ٢٥ وصرنا إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورُضْتُ فذَلَّتْ صعبةً أى إذلال  
٢٦ فأصبحتُ معشوقاً، وأصبح بعلها طيه القتّامُ سيّ الظنّ والبالي  
٢٧ يَغْطُ غِطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِثاقُهُ لِيقتلني ، والمرءُ ليس بقتال  
٢٨ أَيْقتلني والمشرقيّ مُضاجِجِي ومنسونةٌ زُرْقُ كَأنيابِ أغوالٍ ؟  
٢٩ وليس بذى ربح فيطعنني به وليس بذى سيفٍ وليس بنبالٍ ؟  
٣٠ أَيْقتلني وقد شَفَفْتُ فؤادها كما شَفَفَ المهنوءة الرجلُ الطّالِي ؟  
٣١ وقد علِمْتُ سلمى ، وإن كان بعلها بأن الفتى يَهْذِي وليس بفعال

(٢٥) يريد بقوله « رُضْتُ فذَلَّتْ صعبةً أى إذلال » أنه استطاع ترويض امتناءها فلافت له وأطاعته . « وأى إذلال » أى أنها استجابت له استجابة كاملة .

(٢٦) القتّام : الغبار . يهزأ بزوجه الذى ينام إلى جوارها ، وهو لا يشعر بما يدور حوله بين زوجته ومعشوقها .

(٢٧) البكر : البعير الصغير ، يكون صعباً في أول أمره ، فيشدون حبلاً في خنثاه لترويضه ، فيسمع له غطيط .

(٢٨) المشرقي : السيف ، نسبة إلى قري بالشام يقال لها المشراف . والمنسونة . يريد بها المهاد الحادة ، ويريد من وصفها بالزرق أنها صافية لامعة ، وشبهها بأنياب الغيلان ليزيد من بشاعتها .

(٢٩) النبال : الذى يستخدم النبال فى الرى .

(٣٠) شَفَفْتُ فؤادها : بلغ حبها شغاف قلبه أى أعماقه . والمهنوءة : الناقة تظلى بالقطران لعلاجها ، ويذكر البدو أنها تحس لذة له حين ينغذ من مسام جلدها . يقول ان حبها نفذ إلى شغاف قلبه كما نفذ القطران إلى أعماق الناقة . . صورة يدوية خالصة البداوة !

(٣١) مرة أخرى يهزأ بزوجه ويسخر منه ، ويعلن — فى ثقة بنفسه — أنها تعرف زوجها على حقيقته ، فهى لهذا — وهو أيضاً — لا يعبأ بوعيده وتهديده ، فلأنما هو كلام مجرد كلام ولا شيء وراءه .

٣٢ وماذا عليه أن ذكرت أوانساً كغزلان رمل في محاريب أقبال

\* \* \*

٣٣ وبيت عذارى يوم دجن وبلخته يطفن بجماء المرافق مكسال

٣٤ سباط البنان والعرايين والقنا لطاف الخصور في تمام وإكمال

٣٥ نواعم يتبعن الهوى سبل الردى يقن لأهل الحليم : ضلاً بتضلال !

٣٦ صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الحلال ولا قالي

٣٧ كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

٣٨ ولم أسبأ الزق الروي ، ولم أقل نخلي : كرى كرة بعد إجحاف

(٣٢) يرى العرب أن غزلان الرمل هي أجمل أنواع الغزلان لأنها تكون خالصة البياض . والمحاريب هنا : المقاصير . والأقبال : ملوك اليمن ، وكانوا يربون الغزلان في قصورهم . يصف صاحبانه بأنهن جميلات مترفات يعشن في نعمة وترف .

(٣٣) يوم دجن : يريد يوما من أيام الشتاء تغطي الغيوم سماءه . وجماء المرافق : بمنزلة الذراعين . وبيت العذارى اصطلاح أطلقه الجاهليون على بيوت اللهو المحرم .

(٣٤) سباط البنان : ناعمات الأصابع . والعرايين : جمع عرين وهو الأنف . والقنا : يريد بها القمامات . ويريد بقوله « في تمام وإكمال » أن هؤلاء العذارى تم حسنهن واكتمل جمالهن .

(٣٥) « يتبعن الهوى سبل الردى » أي أنهن سبب في هلاك من يقع في حبهن . وقوله « ضلا بتضلال » يريد أنهن سبب من أسباب الضلال الشديد لمن يقع في غرامهن .

(٣٦) القلى : الكره . يقول إنه صرف حبه عنهن لاعتكراهتهن أو منهن ، وإنما يخوفان حبهن وعواقبه على نفسه .

(٣٧) يتذكر في هذا البيت والبيتين التاليين متع شبابه التي عاش لها : الصيد والحب والنجر والفروسية . وهو في هذا البيت يفتخر بخروجه للصيد ، ولهوه بالمرأة في أيام شبابه الذي مضى .

(٣٨) الزق : قرية النجر . والروي : المتلى . وسبأ : اشتراه . والإجحاف : الإصرار فرارا . يفتخر في هذا البيت بشربه النجرو وفروسيته .

- ٣٩ ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي      على هيكل تهيد الجزيرة جـَوَالِ  
٤٠ سليم الشظى عبل الشوى شنج النساء      له تجبات مشرفات على الفـالِ  
٤١ وصم صلاب ما يقين من الوجى      كأن مكان الردف منه على رالِ

\* \* \*

- ٤٢ وقد أغتدى والطير في وكُناتها      لغيث من الوسمى رائده خالِ  
٤٣ تحاماه أطراف الرماح تحامياً      وجاد عليه كل أسحم هطالِ  
٤٤ يعجلزة قد أترز الجرى لحمها      كبيت كأنها هراوة منوالِ

(٣٩) الهيكل : الضخم ، صفة للفرس الذى يصفه فى الأبيات التالية . نهيد الجزيرة : ضخيم القوائم والحوال : النشط السريع . يتذكر هنا فروسيته وشجاعته أيام شبابه الماضية .

(٤٠) الشظى : عظم صغير فى يد الفرس . والشوى : القوائم . والنساء : هرق يمتد فى الظهر . وشنج النساء : يصفه بالصلابة . والحجبات : رؤوس الأوراك . والفال : هو القاتل ، وهو عرق يمتد على يمين عظم الذيل ويساره . يريد أنه مشرف الكفل ، حجبته مشرفة لاتصلها بالكفل .

(٤١) يريد بالصم الصلاب حوافره . وقوله « ما يقين من الوجى » أى لا يخفن المشى خشية الحفى لصلابتهم . والرال : هو الرال ، وهو ولد النعامة ، وهو مشرف الكفل ، شبه فرسه به .

(٤٢) الوسمى : أول المطر . ويريد بالغيث النبات الذى ينبت المطر . وقوله « رائده خال » أى أن هذه المنطقة الخصبة خالية من الناس إلا من هذا الرائد الذى يرتادها ، فهى لذلك محتفظة بخصبها .

(٤٣) « تحاماه أطراف الرماح » أى تحاماه يريد أنها منطقة منيعة لا يجزؤ أحد على الاقتراب منها ، ولكنه مع ذلك دخلها للصيد . والأسود يريد به السحاب الحمل بالمطر . وجاد عليه أى تابع عليه مطر غزير .

(٤٤) العجلزة : الصلبة اللحم ، يريد فرسا . أترز : أيلس ، يريد أنها ضامرة شديدة . والحراوة : العصا . والمنوال : الذى ينزل الصوف على النول . والحراوة لاتتخذ إلا من أصلب العود وأشدّه .

٤٥ ذَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا قَيْيًا جُلُودَهُ      وَأَكْرَعُهُ وَشَيْئُ الْبُرُودِ مِنَ الْخِلَالِ  
 ٤٦ كَأَنَّ الصُّوَارَ إِذْ تَجْهَدُ مَدَّوَهُ      عَلَى جَمْزَى خَيْلٍ تَجُولُ بِأَجْلَالِ  
 ٤٧ بِخِلَالِ الصُّوَارِ وَاتَّقَيْنِ بِقَرْهَبٍ      طَوِيلِ الْقَرَا وَالرُّوقِ أَخْنَسَ ذِيَالِ  
 ٤٨ فَمَادَى عِدَاءٍ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ      وَكَانَ عِدَاءُ الْوَحْشِ مِنِّي عَلَى بَالِ  
 ٤٩ كَأَنِّي بَقْتَخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقَوَّةِ      صَيْوِدٍ مِنَ الْعِقَابِ طَاطَاتُ شِمْلَالِ  
 هـ تَخَطَّفُ خِزَانُ الشَّرْبَةِ بِالضَحَى      وَقَدْ تَجَجَّرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

(٤٥) قئيا جلوده : أى أبيض الجلد خالص البياض . والأكرع : القوائم . والوشى : النقش .  
 والخال : ضرب من البرود اليمنية . يصف قوائم هذا السرب من البقر الوحشى بأن فيها سوادا وبياضا ،  
 كنفوش هذه الثياب اليمنية .

(٤٦) الصوار : قطع البقر الوحشى . وتجهده مدوه : أجهده العدو . وجمزى : اسم موضع .  
 والأجلال : جمع جل وهو ما يوضع على ظهر القوس تحت السرج . يشبه قطع البقر الوحشى وقد أجهده  
 العدو بخيل تجول ، عليها هذه الأجلال البيض .

(٤٧) القرهَب : الثور المسن . والقرا : الظهر . والروق : القرن . والأخنس : القصير الأنف .  
 والذبال : السابغ الذيل . يقول إن هذا السرب من البقرات الإناث راح يحتوى بهذا الثور الفحل لعله  
 يدفع عنه هجمات الصيادين ومطاردتهم .

(٤٨) العداء هو العدو . « وعادى عداء بين ثور ونعجة » أى انطلق القوس يواصل العدو بينهما  
 حتى صادهما الواحد بعد الآخر . والنعجة : البقرة . وقوله « على بال » أى على اهتمام منى ، يريد أنه  
 كان مشغولا بهذه المطاردة .

(٤٩) القنخاء : الينة الجناحين . والقوة : العقاب السريعة . والشملال : الخفيفة المنطلقة .  
 وطاطات : أسرعت . يصف لإسراعه بفرسه بهذه العقاب المدربة على الصيد . وفي رواية أخرى  
 « طاطات شملال » أى طاطات شمالى وأنا متدفع فى المطاردة .

(هـ) الخزان : ذكرور الأرناب ، مفردا خزؤ . والشربة : موضع . وتخطف أى تتخطف ،  
 والضمير يعود على العقاب . وجرت : اختفت . وأورال : موضع . يقول إن ثعالب هذا الموضع  
 اختفت خوفا من هذه العقاب .

٥١ كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

\* \* \*

٥٢ فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاًنى - ولم أطلب - قليل من المال

٥٣ ولكنما أسمى لمجد مؤنل وقد يدرك المجد المؤنل أمثال

٥٤ وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

\* \* \*

(٥١) وكرها : يريد وكر العقاب . والحشف : النمر الجاف القديم . يشبه قلوب الطير التي صادتها العقاب وقد تآثرت في وكرها ، فالجديد منها يشبه العناب في نضارته ولونه الأحمر ، والقديم منها يشبه النمر البالى في جفافه وذبوله .

(٥٢) يصور في هذا البيت طموح الهدف الذي يسعى إليه في هذه المرحلة الثانية من حياته . إنه لا يسعى نحو هدف قريب سهل المنال ، إنه لا يطلب مجرد العيش وإلا فإن قليلاً من المال يكفيه دون طلب منه أوسعى وراءه .

(٥٣) المؤنل : الأصل العريق الثابت الذي له أصل قديم . يحدد هنا الهدف البعيد الذي يسعى إليه ، إنه استرداد عرش أسرته الضائع .

(٥٤) الحشاشة : البقية . والخطوب : الأمور المهمة الخطيرة . وأطرافها : نهايتها وغايتها التي تنهى إليها . وآل : مقصر : يصور هنا الأمل الذي يعيش له بقية حياته ، وموقف القدر منه . إنه يعيش على هذا الأمل ، و يعمل له غير مقصر في سبيل تحقيقه ، ولكن القدر الذي يعترض طريقه يحطم هذا الأمل على صخرة الواقع ، ولكنه مع ذلك لا يكف عن السعى ، ولا يصل إلى حافة اليأس . إنه صراع الحياة بين أمل يعيش له ويسعى لتحقيقه ، وقدر يقف في طريقه ليسد عليه مسالك الوصول إلى هدفه الذي لا يكف عن السعى إليه . إنه صراع الإنسان مع القدر في حياة لا يعرف ما الذي تخبئه له فيها . صراع غير متكافئ ، ولكنه مع ذلك لا يتراجع ولا يتوقف ، وكأنه يقول : لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .

\* \* \*



## الرحلة إلى قيصر

يصور امرؤ القيس في هذه القصيدة رحلته إلى قيصر في محاولته الأخيرة لاسترداد عرش أسرته الضائع . وهو يبدؤها بمقدمة من مقدمات الظعن ، يصف فيها رحلة صاحبه في طريقها إلى منازل القبيلة الجديدة في ديار الفساسنة ببلاد الشام . ثم ينتقل إلى الحديث عن رحلته هو إلى المنطقة نفسها لينطلق منها إلى بلاد الروم ، ويصف ناقتة التي حملته ، ويصور مشاعر رفيقه في هذه الرحلة ، ويتحدث عن آماله التي يعلقها عليها ، ويصف فرسه الذي يحلم بأنه سيحمله مع جيش الخلاص في رحلة العودة . ثم يسجل بعض نظراته في الحياة والأحياء ، ويختتمها بفخر سريع بفروسيته وشربه الخمر . والقصيدة من شعره الثابت الصحيح من رواية الأصمعي الثقة ، وهي في أربعة وخمسين بيتا اخترنا منها هذه الأبيات :

\* \* \*

١ سمالك شوق بعد ما كان أقصرًا      وحلت سليمى بطن قو فعرعرًا

٢ كنانية بانت وفي الصدر ودها      مجاورة غسان والحي يعمرًا

(١) سمالك شوق : أى اشتد بك وارتفع إلى درجة عالية ، يخاطب نفسه على أسلوب التجريد .  
بعد ما كان أقصرًا : أى بعد أن كان قد بدأ وتراجع . وفق وعمره : موضعان .

(٢) كنانية : أى أنها من بنى كنانة ، يريد صاحبه التي رحلت . وبانت : رحلت وبعدت .  
مجاورة غسان : لعله يريد أنها رحلت إلى أرض الفساسنة في بلاد الشام ، وكأنه يريد أن يربط بين رحلتها ورحلته . وبعض الشراح يذهبون إلى أن غسان اسم ماء . ويعمر : فرع من كنانة ، ولعله يريد أنها رحلت مع قومها كنانة في رحلة من رحلات القبائل التي لا تهدأ على مدار فصول السنة . وفي الصدر ودها : يقول إنه لا يزال على حبه لها محتفظًا به في قلبه على الرغم من بعدها عنه .

- ٣ بِعَيْنِي ظُنُّنُ الْحَيِّ لِمَا تَحْمَلُوا      لَدَيْ جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا  
٤ فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لِمَا تَكْمَشُوا      حَدَائِقَ دَرِّمٍ أَوْ سَفِينَا مُقَيَّرَا  
٥ أَوْ الْمُكَرَّعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِينَ      دَوَيْنَ الصِّفَا اللَّائِي يَلِينُ الْمُشْقَرَا  
٦ سِوَامَقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فَرَوْعُهُ      وَعَالَيْنَ قِنَوَانًا مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرَا  
٧ حَمَّتْهُ بَنُو الرِّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِينَ      بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أَقِرُّ وَأَوْقِرَا  
٨ وَأَرْضَى بَنِي الرِّبْدَاءِ وَاعْتَمَ زَهْوُهُ      وَأَكَامُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَهَيَّئَرَا

(٣) الظنن : المسافرون على الإبل . وقوله « بعيني » يريد أنه تتبعهم بنظراته يودّهم وهم خارجون في رحلتهم البعيدة . وتحملوا : شدوا الأحمال على إبلهم ورحلوا . والأفلاج : جمع فليج وهو الماء الجاري من العين ، أو هي جداول الماء . وتيمر : موضع .

(٤) الآل : السراب . وتكمشوا : أسرعوا في السير . والدوم : الشجر المعروف ، وهو يشبه النخل في طوله . والمقير : الذي طلى بالقار . يشبه قافلة الطعام المندفعة في أعماق الصحراء — والسراب يرفعها ويخفضها في حركته الخداعة — بحدائق الدوم المرتفعة في السماء ، ويشبهها مرة أخرى بالسفن التي تم إمدادها للبحر ، فاندفعت فيه تحملها أمواجه تارة وتخفضها تارة أخرى .

(٥) المكرعات : النخل التي غرست في الماء ، فهو يسقيها دائماً ، وهي لهذا تسمى وتطول . وآل يامن : قوم من هجر على ساحل الخليج ، وهجراً أكثر مناطق الجزيرة العربية نخلاً ، وفي المثل العربي « تكامل التمر إلى هجر » . والصفا والمشقر : قصران بالإمامة . يشبه القافلة مرة أخرى بنخل هجر .

(٦) السوامق : المرتفعة ، صفة للنخل . والجبار : الطويل الذي فات الأيدي . والأثيث : الملتف . والقنوان : عذوق النخل . والبسر : ما احترق من البلح . وقوله « عالين قنوانا » يريد أن هذه النخيل السامة تعلموها عذوق احترق فيها البلح . يستمر الشاعر في تشبيهه فيشبه الهوادج التي توشبها قطع الصوف الملونة بهذه النخيل العالية المثمرة .

(٧) بنو الربداء : هم الذين يقومون على حراسة هذا النخل ، ويقول الرواة إنهم من الحبشة ، ويقولون أيضاً إنهم من البحرين . وقوله « حتى أقر وأقرا » أي حتى استقر على حاله من النضج واكتمل له ما يحمله من بلح . والبيت استمرار في وصف هذا النخل الذي يشبه به هوادج الطعام .

(٨) اعتم : تم واكتمل . والزهو : البسر الأحمر والأصفر . والأكام : أغلفة البسر عند خروجه من قلب النخلة . وتهصر : تثنى وتدل لكثرة . والبيت استمرار لصورة النخل الذي يشبه به القافلة .

- ٩ أطافت به جيلان عند قطاعه  
 ١٠ كأت دمي سقيف على ظهر مرمى  
 ١١ غرائر في كنن وصون ونعمة  
 ١٢ وريح سنا في حقة حميرية  
 ١٣ وبانا وألويًا من الهندي ذاكيا  
 تردد فيه العين حتى تحيرا  
 كسا مزبد الساجوم وشيا مصورا  
 يحلين يا قوتا وشذرا مفقرا  
 نخس بمفروك من المسك أذفرا  
 وردنا ولبنى والكباء المقترا

(٩) جيلان : قوم كان كسرى يرسلهم عمالا له على هذه المنطقة ليتولوا جنى هذا النخل ، ربما جباية مفروضة على القبائل النازلة فيها ، وربما كان هذا النخل ملكا لكسرى كما يذكر بعض الرواة .  
 والقطاع : جنى النخل . ومعنى الشطر الثاني أن هذا النخل يشد الناظر إليه إعجابا به فيظل بصره يتردد فيه حتى يتعير لكثرة ما يراه من ألوان الجمال فيه . والبيت جواب الشرط المذكور في البيت السابق .

(١٠) يعود الشاعر في هذا البيت إلى وصف القطائن المسافرات . سقيف : دير بالشام .  
 والساجوم : اسم نهر . والمزبد : الذي يملو الزبد أمواجه المتلاطمة . يشبه صاحباته المسافرات بتمثيل هذا الدير ، ويشبه السراب الذي يخترق بحاره الوهمية بهذا الزبد الذي يترامى له حررا ينشر فوق أمواج النهر المتلاطمة نقوشا مصورة متعددة الأشكال .

(١١) الغرائر : جمع غريرة ، وهي الصغيرة التي لم تكتسب تجربة الحياة . والسكن : الحفظ .  
 والشذر : قطع الذهب . والمفقر : الذي صيغ على هيئة فقيرات الظهر . يصف صاحباته بأنهن أرسنقراطيات مصونات منعمات ، يتعيلن بعقود من الذهب والياقوت .

(١٢) السنا : نوع من الطيب . وحقة حميرية : يريد علبة من طب الطيب الخاصة بملوك اليمن .  
 والمفروك : المسك الذي سحق فانتشرت رائحته . والأذفر : القوي الرائحة النفاذ العطر . يصف صاحباته بأنهن معطرات بأطيب أنواع العطور وأغلاها .

(١٣) البان والرند : أشجار طيبة الرائحة يستخدمها العرب في بخورهم . والألوي : العود الهندي الذي يستخدم في البخور أيضا . واللبنى : نوع من الطيب يستخدم فيه أيضا . والكباء : البخور .  
 والمقتر : الذي انتشر دخانه عند مباشرة النار له . والبيت استمرار في وصف ما ينتشر من صاحباته من عطر نفاذ كأنه رائحة بخور يضم هذه الأرواح المختلفة الطيبة الرائحة .

- ١٤ غَلِقْنَ برهن من حبيب به أدعت      سليمى فأمسى حبلها قد تَبَتَّرا  
١٥ وَكَانَ لها في سالف الدهر خُلَّةٌ      يُسَارِقُ بالطَّرف الخباء المسترَّا  
١٦ إذا نال منها نظرة رِيح قلبه      كما ذَهَرَتْ كأس الصُّبوح المخمَّرا  
١٧ تَزِيْفٌ إذا قامت لوجه تمايلت      تُراشَى الفؤاد الرُّخصَ ألا تَحْتَرَّا  
١٨ أَلَسْماءُ أمسى ودَّها قد تَغَيَّرَا      سُبْدِلَ إنَّ أبدلت بالودِّ آخرَا  
١٩ تَذَكَّرْتُ أهل الصالحين وقد أنت      على نَحْمَلِ خُوصُ الركاب وأوجرَا

(١٤) غلقن برهن من حبيب : أى استولين على قلبه ، كأنما كان قلبه رهنا عندهن فعبزن عن فكاهه . وقوله « به ادعت سليمى » يريد أنها كانت قد عصى فى أيامها الماضية أنها صاحبه ، ولكنها خانت العهد وتقطعت حبال المودة بينها وبينه .

(١٥) الخلة : الخليل . يؤكد المعنى الذى أشار إليه فى البيت السابق . يقول : كنت صديقا لها فى أيامنا الماضية ، وكنت أسارق النظر إلى خباياها الذى أرمى عليه السر ليحببها من هيون المتطلعين إليها .

(١٦) الصبوح : الخمر تشرب فى الصباح . والمخمّر : الذى أسكرته الخمر . يصف تأثيرها فى قلبه فيقول إن جمالها كان يروعه كلما نال نظرة منها كما تؤثر الخمر فى شاربيها .

(١٧) التزييف : التشوان الذى ذهب الخمر بعقله . وقوله « إذا قامت لوجه » يعنى إذا قامت متوجهة لأمر من الأمور . وتراشى الفؤاد : أى تداريه ، مأخوذ من الرشوة ، كأنها ترشوقها حتى لا يفضحها ويكشف أمرها ، والرخص : اللين الرقيق . وألا تَحْتَرَّا : أى ألا تفترو وتكسل . يقول : إنها إذا قامت لحاجة لما تمايلت وتشتت كأنها سكرى ، فتحاول أن تتحمل على نفسها وتكاف القوة حتى لا تفترو وتضعف فى مشيتها . يريد أنها بطيئة الحركة ، وهى سمة من سمات الأنوثة عند العرب .

(١٨) يقول إن كان ود أسماء قد تغير ، وتكرت للحب القديم الذى كان يجمع بينهما ، فسوف أَسْبُدِلُ بحبها حبا آخر ، وأبدأ بعدها عهدا جديدا .

(١٩) نحمل وأوجر : موضعان ببلاد الشام وصلت إليهما رحلتيه وهو فى طريقه إلى قيصريه . والخوص : الإبل التى غارت عربونها لشدة ما لقيت من إجهاد الرحلة .



- ٢٠ فلما بدت حوران في الآل دونها      نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا  
 ٢١ تقطع أسباب اللبابة والهوى      عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
 ٢٢ بسير يصبح العود منه يمنة      أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا  
 ٣٣ ولم ينسني ما قد لقيت طعائنا      ونحلا لها كالقر يومنا مخدرا  
 ٢٤ كأثل من الأعراض من دون يشة      ودون الغمير عامدات لغضورا

\* \* \*

- ٢٥ قدع ذا ، وعدّ لهم عنك بجسرة      ذمول إذا صام النهار وهجرا

- (٢٠) حوران : مدينة بالشام . والغمير في « دونها » يعود على أسماء . ومعنى الشطر الثاني أنه نظر فلم ير منظرا يسره أو يعجبه . يصف شعوره وهو يستقبل رحلته نحو المجهول وقد باعدت البلاد بينه وبين أحبائه وأهله ، فتوارت عن عينيه كل مباحج الحياة التي خلفها وراءه في وطنه البعيد .  
 (٢١) حماة وشيزر : مدينتان بالشام . واللابة : الحاجة يتمنى الإنسان تحقيقها . يقول لم نكد نتجاوز هاتين المدينتين حتى أحسست أن كل أحلامي وأماناتي قد تقطع ما بيني وبينها من أسباب .  
 (٢٢) العود : الممن من الإبل . ويمته : يجهد ويرهقه ويضعفه . أخو الجهد : أي الذي يكلف راحلته فوق طاقتها . وقوله « لا يلوى على من تعذرا » يريد إنه ماض في طريقه لا ينتظر من تخلف من رفاقه لأي عذر من الأعذار .  
 (٢٣) النحل : مفرد الأنحال وهي أهداب الثياب . والقر : الهودج . ونحدر : أي جعل على هيئة الحدر ، صفة للنمل أو حال من القر . ويوما : متعلق بقوله « لم ينسني » . يقول إن أهوال الرحلة ومشقات السفر لم تنسى في أي يوم من الأيام صاحباتي المسافرات وهوادجهن المزيئة بقطع من الثياب الفاخرة تهدل أهدابها من حولها .  
 (٢٤) الأثل : شجر طويل مرتفع . والأعراض : الوديان . ويشة والغمير : موضعان بالجزيرة العربية يكثر فيهما الماء والشجر . وغضور : اسم الموضع الذي تقصده القافلة . وعامدات : قاصدات يشبه القافلة وهي تمضي في رحلتها نحو غصور بأشجار الأثل العالية التي تنمو في وديان يشة والغمير .  
 (٢٥) الجسرة : الناقة المشقة الجريئة على الأهوال . والذمول : المريمة . وصام النهار : استقر وقت الظهيرة . وهجر : انتصف ، يشير إلى اشتداد الحر في وقت الهجرة . يبدأ الشاعر من هذا البيت وصف ناقته التي تحمل في رحلته إلى قيسر ، وبعده نجسة أبيات رأينا أن نسقطها .



- ٢٦ عليها قى لم تحمل الأرض مثله  
 ٢٧ هو المنزل الألف من جونا عيط  
 ٢٨ ولو شاء كان الغزو من أرض خير  
 ٢٩ بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه  
 ٣٠ فقلت له : لا تبك عينك ، إنما  
 ٣١ ولاني زعيم إن رجعت مملكا  
 ٣٢ على لاحب لا يهتدى بمناره  
 أبر بميثاق وأوفى وأصبرا  
 بنى أسد حزننا من الأرض أوعرا  
 ولكنه عمدا إلى الروم أنقرا  
 وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
 نحاول ملكا أو نموت فنعدرا  
 بسير ترى منه الفرائق أزورا  
 إذا سافه العود النباطى جرجرا

(٢٦) يتحدث هنا عن نفسه . ومن هذا البيت يبدأ حديث الرحلة .

(٢٧) جو : أرض بالبيعة . وناعط : جبل في أرض همدان باليمن . والحزن : الأرض الغليظة الوعرة . يفتخر بأنه أنزل بنى أسد من هذا الجبل الحصين إلى منطقة وعرة خشنة فرارا أمامه وهربا منه .

(٢٨) أنقر : أى أنقرا أصحابه للغزو . يقول : لو شئت لغزوتهم من أرض اليمن ، فأنا قادر على ذلك ، ولكنى تعمدت أن أتجه إلى قيصر الروم مبالغة في الثأر منهم ، أو لإعلانا عن مكاتبي عنده .  
 (٢٩) يذكر الرواة أن صاحبه الذى صحبه في هذه الرحلة هو عمرو بن قبيصة الشاعر . والدرب هنا يريد به الممر الموصل إلى بلاد الروم .

(٣٠) أو هنا بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن . يحاول هنا أن يرفع من روح صاحبه الممنوية ، ويشد من عزيمته ، ويضعه معه في أعماق التجربة التى خرج من أجلها .

(٣١) زعيم : كفيل وضامن . والفرائق : الدليل ، وهى كلمة دخيلة ولعلها رومبة . والأزور الذى يميل إلى أحد جانبيه من شدة السير . يقول : أنا كفيل إن رجعت من هذه الرحلة ملكا على قوى ، واستعدت عرش أمرك الضائع ، أن أسير في طريق عودتى سيرا شديدا يجعل الدليل يميل إلى أحد جانبيه من شدته . يبحث الأمل في نفس صاحبه بأن عودتهما متصيرين إلى أرض الوطن ستكون سريرة ، وأنهما سيقطعان الطريق في غير مبالاة بأى جهد أو مشقة .

(٣٢) اللاحب : الطريق . والمثار : ما يوضع على الطريق من علامة تهتدى المسافرين فيه . يريد أنه طريق غير مسلك . مبالغة في تصوير جراته على اقتحام الصحراء . والعود : المسن من الإبل . وسافه : شمه . وجرجر : دغا وضج بصوته . والنباطى : الضخم ، منسوب إلى النبط ، ويذكر الرواة أن الإبل النبطية أشد الإبل وأصبرها على السير .

- ٣٣ على كل مقصود الذنابي معاود      يريد السرى بالليل من خيل بربرا  
 ٣٤ لقد أنكرتني بقلبك وأهلها      ولابن جريج في قري حص أنكرا  
 ٣٥ نسيم بروق المزن أين مصابه      ولا شيء يشفي منك يابنة عفزا  
 ٣٦ من القاصرات الطرف لودب محول      من الذر فوق الإتب منها لآثرا  
 ٣٧ له الويل إن أمسى ولا أم هاشم      قريب، ولا البساسة ابنة يشكرا

\* \* \*

(٣٣) الذنابي : الذنب ، ومقصود الذنابي : صفة للفرس ، ويذكر الرواة أن خيل البريد تكون مقصودة الأذناب . ومعاود يريد السرى : يريد أنه قد استعمل في سير البريد مرة بعد مرة . وبربرا : قبيلة ، ويذكر الرواة أن خيلها كانت أصلب الخيل وأصبرها عند العرب ، ولذلك استخدموها في البريد . من هنا يبدأ وصفه للفرس ، وبعده ثلاثة أبيات رأينا أن نسقطها .

(٣٤) بملك : هي المدينة المعروفة بالشام ، وكذلك حص . وابن جريج : رمز لسكان الشام من الروم ، وجريج تعريب للاسم الأجنبي « جورج » . يصف غريته في بلاد الشام التي وصل إليها في طريقه إلى بلاد الروم .

(٣٥) شام البرق : نظر إليه ليعلم أين يقع مطره . والمزن : السحب . ومصاب المزن : مواقع سقوط مطره . وابنة عفزا : إحدى صاحباته . يصور حبيته إلى حبه القديم ، ويخلع هذا الحنين على الطبيعة ، فيتمنى لو سقط المطر في ديار حبيته ، رمزاً لما يتمناه لها من خير ، وما يحمله في قلبه من حب لها .

(٣٦) القاصرات الطرف : المختصات لأصحابهن اللاتي يقصرن نظرهن عليهن ، ولا تطمح أعينهن إل غيرهم . والمحول : الذي بلغ سنة من عمره . والذر : النمل . والإتب : قيص رقيق لا أكام له تلبسه المرأة ، يصف رقة بشرتها ونعومة جلدها . وقد أنكر عليه بعض الشراح وصفه الذر بأنه محول ، وقالوا الأحسن أن يكون الصغير منه ، ولكن أمراً القيس من مدرسة الطبع التي تتناز بالواقعية والبعد عن التكلف والمبالغة .

(٣٧) له الويل : يريد نفسه ، على أسلوب الالتفات . وأم هاشم وبساسة صاحبتان له . يصور أحزانه لبعدهما عنه .

- ٣٨ أرى أم عمرو دمعها قد تحذرا      بكاء على عمرو وما كان أصبرا  
٣٩ إذا نحن سرنا خمس عشرة ليلة      وراء الحساء من مدافع قبصرا  
٤٠ إذا قلت هذا صاحب قد رضىته      وقرت به العيان بدلت آخر  
٤١ كذلك جدى ، ما أصاحب صاحباً      من الناس إلا خائني وتغيراً

\* \* \*

- (٣٨) أم عمرو هي أم عمرو بن قبة رقيقه في رحلته . ينخيل حزناً على بعد ابنها عنها ، ويذكر  
لم يكن أشد صبراً منها ولا أكثر تماسكاً . يشير إلى بكائه « لما رأى الدرب دونه » .  
(٣٩) الحساء : جمع حسى وهو الماء يفور تحت الرمل إلى أرض صلبة قريبة من الأرض فيستقر  
فوقها . ومدافع قبصر : مناطق الحدود التي يدافع عنها .  
(٤٠) يصف تقلب الدهر به ، وتغير الزمن عليه ، ويشكو قلة وفاء الأصدقاء له ، فكلمها ارتضى  
صديقاً له ، واطمأنت نفسه إليه ، وقرت عينه به ، تنكر له وتبدل ، وخان العهد ، وأدار ظهره للصداقة  
التي كانت تربطه به .  
(٤١) الجذ : الحظ . إنه حظ في الحياة ، وقدره في الدنيا ، خيانة الأصدقاء ، وتغير القلوب ،  
وجحود الود والحب والإخلاص . إنها شكوى تعكس مرارة هذه المرحلة التي يمر بها الشاعر في حياته ،  
وما يلقاه فيها من أصدقائه في وقت كان أهدأ ما يكون فيه حاجة إليهم ، ووقفاً منهم إلى جانبه  
في أيام محنته .

\* \* \*

يوسف خليف

(٦)

## نهاية المطاف

هذه القصيدة من شعرا مصرى القيس الثابت الصحيح ، فهمى من رواية الأصمعى . وهى من نتاج المرحلة الثانية من حياة الشاعر ، ولعلها من أواخر نتاج هذه المرحلة ، فحديث الموت والمصير الذى يسيطر عليها يعكس ما كان يملأ نفس الشاعر فى أواخر هذه المرحلة من اليأس المظلم ، والتشاؤم القاتم ، والتفكير الحزين فى مصير الإنسان فى الحياة ، والنهاية التى تصل إليها رحلته فيها ، والتى لا يعرف عنها شيئاً إلا أن الموت يقف على بابها ، يستقبل من تصل به رحلته إليها ، لتدفع به بعد ذلك إلى غيب مجهول . ومع ذلك فرحلة الحياة متواصلة الخطى لا تتوقف ، وكأنما تسحرنا الحياة بحاجاتها ومطالبها التى لا تنتهى ، وتلقى على أعيننا ستارا صفيقا يحجب عنا رؤية المصير المحتوم الذى ينتظر الجميع . والقصيدة قصيرة تقع فى ثلاثة عشر بيتا .

\* \* \*

١ أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ      وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ  
٢ حَصَافِيرُ وَذَبَابٌ وَدُودٌ      وَأَجْرَأُ مِنْ مُجَلِّعَةِ الذَّبَابِ

(١) موضعين : أى ممرعين . ونسحر بالطعام وبالشراب : أى نخدع ونفعل ، كأنما سحرت أعيننا فلم تعد ترى الأمور على حقيقتها . يقول إننا فى هذه الحياة مدفوعون دفعا سريعا إلى غيب مجهول لا نعرفه ، ولكنه محتوم علينا لا مفر منه ، ومع ذلك فإننا نمضى فيها إلى حيث نمضى بنا ، غافلين عن هذا المصير المحتوم ، كأنما سحرتنا حاجاتنا الحيوية عن أن نراها على حقيقتها .

(٢) الذباب : الذباب . والمجلعة : المصممة التى لا ترجع عما تريد . يصور تناقص السلوك الإنسانى فى الحياة ، فنحن ضعاف فيها أقوياء عليها ، ضعاف فيها كهذه المخلوقات الضعيفة التى يذكرها فى صدر بيته ، ولكننا أقوياء عليها كذلك الذباب الجريرة المندفعة التى يذكرها فى شطره الثانى .

- ٣ وكلُّ مكارم الأخلاقِ صارت إليه همتي وبه اكتسابي  
 ٤ فبعض اللوم ، عاذلتني ، فلاني ستكفيني التجاربُ وانتسابي  
 ٥ إلى عرقِ الثرى وشجّت عروقي وهذا الموتُ يسلبني شبابي  
 ٦ ونفسي سوف يسلبها وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب  
 ٧ ألم أنض الميطى بكلِّ نحرقي أمقّ الطولِ لَمَاعِ العُراب  
 ٨ وأركبُ في اللّهامِ المجرّ حتى أنالَ ما كلَّ القُحَمِ الرّغاب

(٣) يقول انه عاش حياته متمسكا بمبادئ لم يفقد إيمانه بها . لقد عاش حياته يسعى نحو اكتساب كل ما يحرص على اكتسابه من مكارم الأخلاق .

(٤) « وانتسابي » يريد انتسابه الى آباء وأجداد كلهم الآن رهن التراب ، أدركهم المصير المحتوم الذي رآهم انتهوا إليه ، أما ما بعده فغيب مجهول لا يعرف عنه شيئا .

(٥) وشجّت عروقي : اشتبكت واتصلت . يقول ان عروقه متصلة بعروق التراب الذي جاء منه . والموت في انتظاره ليسلبه حياته وهو لا يزال في مرحلة شبابه . فتشائم أثاره في نفسه ظروفه التي يعيش فيها في هذه المرحلة من حياته .

(٦) الجرم : الجسد . وشيكا : مريحا . البيت استمرار لحديث التشاؤم الذي بدأه في البيت السابق إنه يحس أن نهايته قريبة ، وأن الموت الذي يترقب بشبابه يترقب أيضا بنفسه وجسده ، وسينتهي به في وقت قريب الى التراب .

(٧) أنضى المطية : أهزها وأضناها لنعنفه بها في رحلاته المتصلة وأسفاره البعيدة في أعماق الصحراء . والنحرق : القلاة تترامى كأن لا نهاية لها . والأمق : الطويل ، وأمقّ الطول : مبالغة في وصف طولها وامتدادها اللانهاى . يتحسر على أيامه الماضية ، أيام فتوته وجرأته على اختراق الصحراء ، حمرة أثارها في نفسه صورة الموت المائلة أمامه .

(٨) اللّهام : الجيش الكثيف الذي يخفى كل شيء وراءه كأنه قد التهمة . والمجر : الكثير العدد . والمآكل : الغنائم . والقحمة : المواقف الصعبة الشديدة ، جمع قحمة ، يريد الحروب والغارات . والرغاب : البعيدة النوايا . استمرار في تحسره على أيامه الماضية ، أيام الغارات والغنائم والانتصارات .



- ٩ وقد طَوَّفْتُ بِالْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ  
 ١٠ أَبَعَدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنَ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ حُجْرَ ذِي الْقِيَابِ  
 ١١ أَرْجَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِينَا وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الْعَصَمِ الْهَضَابِ ؟  
 ١٢ وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَأَنْشَبُ فِي شَبَابٍ ظَفِيرٍ وَنَابِ  
 ١٣ كَمَا لَاقَى أَبِي حُجْرٌ وَجَدِّي وَلَا أَنْسَى قَتِيلًا بِالْكَلَابِ

\* \* \*

(٩) هذه هي نهاية المطاف . لقد قضى أيامه في تطواف لا ينتهي في آفاق الأرض الواسعة ، ثم كانت الغنيمة التي عاد بها لا شيء إلا العودة إل حيث بدأ ، وإنه لا يملك إلا أن يرضى بها ، فما الذي يستطيع أن يفعله بعد كل ما فعل ؟ إنها رحلة الضماع ، وعودة الإخفاق واليأس .

(١٠) الحارث بن عمرو : جده . وحجور بن الحارث أبوه . والقياب لم تكن ترفع في العصر الجاهلي إلا للوك ، وكانت عادة من الجلد تميزا لها من خيام الشعب التي تكون من الوبر .

(١١) صرُوف الدهر : أحواله المتقلبة . العصم : الصلبة التي تبدو كأنها صبت صبا . والهضاب : الصخور الراحية الضخمة . والبيت متصل بالبيت السابق ، و بينهما ما يسمى عند العروضيين بالتضمين ، وهو تعلق البيتين أحدهما بالآخر . يقول : أبعد هؤلاء الملوك ذوى القياب الفاترة الذين بادروا وانقرضوا أنظروا عيشا بطيب لي أو حياة لينة مطمئنة ، والدهر متقلب لا يستقر على حال ، والفناء يتربص بكل ما في الحياة حتى تلك الجبال العصم الصلبة الراسية ؟

(١٢) سأنشب : أى سأتعلق . والشباب : الحلد . يقول : كيف أطمئن إلى الحياة وأنا أعلم علم اليقين أن الموت سوف ينشب فيّ في وقت قريب أخفاره الحادة وأنيابه القاطعة التي لا أستطيع الفكك منها ولا الخلاص من قبضتها ؟

(١٣) قتيل الكلاب هو عمه شرحبيل بن عمرو قتل في يوم الكلاب . إنه المصير المحتوم الذي سيدركه في يوم من الأيام كما أدرك أباه وعمه وجده من قبل .

\* \* \*

يوسف خليف

## عَمْرُو بْنُ قَيْثَةَ

شاعر جاهلي قديم ، كان معاصراً لحجر أبي امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى قيصر بعد مقتل أبيه صحبه عمرو في رحلته ، وهو الذي يتحدث عنه في رائيته التي نظمها في هذه الرحلة « سما لك شوق بعد ما كان أقصرا » . ينتهي نسبه إلى قيس بن ثعلبة أحد بطون بكر بن وائل ، وكانت منازلهم باليمامة في الجنوب الشرقي من نجد .

وليس بين أيدينا إلا أخبار قليلة عنه لا تكاد ترسم صورة واضحة من حياته . وتحدثنا الروايات أنه كان في شبابه شاباً جميلاً حسن الوجه مديد القامة ، ولعل ذلك هو الذي جملة من أهم الشعراء الذين بكوا شبابهم في شعرهم ، بل يذكر بعض الرواة أنه أول من بكى الشباب في الشعر الجاهلي ، وإن كنا لا نظمئن إلى أمثال هذه الأوليات في الأعمال الفنية . وتحدثنا الروايات أيضاً أن أباه مات وخلفه صغيراً فكفله عمه مرثد بن سعد ، ثم حدثت جفوة بينه وبين عمه يرثد الرواة سببها إلى زوجة عمه ، ففارقه واتجه إلى الحيرة ، واتصل بملوكها ، ثم ماد إلى أرض بني أسد ، واتصل بحجر أبي امرئ القيس ، حتى إذا ما قُتل حجر ، وخرج ابنه للثأر له ، وشدّ رحاله إلى قيصر ، خرج معه . وتذكر الروايات أنه مات في هذه الرحلة ، فسمّاه قومه « عمراً الضائع » « لموته في غربة في غير أرب ولا مطلب » — على حد عبارة الأغاني .

وعمره أحد المئتين، عُمر تسعين سنة في بعض الروايات، وأُرْبِي على المائة في روايات أخرى . وليس من اليسير تحديد تاريخ مولده أو وفاته ، وقد حاول بعض الباحثين المحدثين ذلك، فقدّر جرونيوم في كتابه « دراسات في الأدب العربي » أن تكون ولادته في حوالى سنة ٤٨٠ للميلاد ، وقدرها لويس شيخو في « شعراء النصرانية » بسنة ٤٦٩ ، وجعلتها الموسوعة العربية الميسرة سنة ٤٤٨ وقدرت وفاته بسنة ٥٤٠ ، وهى التى قدرها الزركلى في « الأعلام » . وهى كلها محاولات لا يصل شىء منها إلى درجة اليقين ، ولكننا نستطيع أن نقول — ونحن مطمئنون — إنه ولد حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وتوفى حوالى منتصف السادس .

ويعدّه الأصمعى في كتابه « خولة الشعراء » من الفحول ، ويضمّعه ابن سلام في كتابه « طبقات فحول الشعراء » على رأس الطبقة الثامنة منهم . وشعره الذى وصل إلينا قليل . وقد وصلت إلينا نسخة مخطوطة من ديوانه قام بتحقيقها وطبعها الأستاذ حسن كامل الصيرفى بالقاهرة ، والأستاذ خليل إبراهيم العطية ببغداد ، وكان قد نشرها من قبل الأستاذ لايل فى لندن سنة ١٩١٩ .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## يوم الرحيل ورحلة الوداع

يبدأ الشاعر هذه القصيدة التي تتألف من ثمانية وعشرين بيتاً بمقدمة يتحدث فيها عن طيف محبوبته الذي زاره في نومه ، ثم يتذكر يوم رحيلها ، وما ذرفه من دموع خلفها ، ويصف قافلة الطعائن المنطلقة في أعماق الصحراء نحو منازل القبيلة الجديدة . ويقف طويلاً أمام محبوبته يصف جمالها ، ويتغنى بحسنها ومفاتنها ، ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه ، فيفتخر بالمجد والشجاعة والإباء والخطابة والجرأة على اقتحام الصحراء في أيام القبط المتلهية وفي ليالي الظلام الموحشة الرهيبة .

\* \* \*

- ١ نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤْلاً      وَإِلَّا خَيْالاً يُوَافِي خَيْالاً
- ٢ يُوَافِي مَعَ اللَّيْلِ مِيعَادَهَا      وَيَأْبَى مَعَ الصَّبْحِ إِلَّا زِيَالاً
- ٣ وَقَدْ رِيحَ قَلْبِي إِذْ أَعْلَنُوا      وَقِيلَ : أَجَدُّ الْخَلِيطُ احْتِمَالاً

(١) نأتك : بعدت عنك . والخيال الأول هو طيف صاحبه . والخيال الثاني هو الشاعر الذي حوله الحب إلى خيال .

(٢) الزيال : الفراق . كأنه يأسف على مفارقة طيفها له عندما يشرق الصباح ، وكأنه يتمنى لو ظل الدهر ليلاً متصلاً لا صباح له .

(٣) الخليط : جماعة القبيلة التي أجمعت أمرها على الرحيل . والاحتمال : الرحيل . وأجد : اعترم . يقول إن قلبه روع حين أعلنوا أنهم قرروا الرحيل .

- ٤ وَحَثَّ بِهَا الْحَادِيَانِ النَّجَاءَ      مع الصبح لما استثاروا الجمالا  
 ٥ بَوَازِلَ تُحْدَى بِأَحْدَاجِهَا      ويُحَذِّنُ بِعَدِ نِعَالٍ نِعَالَا  
 ٦ فَلَمَّا نَأَوْا سَبَقَتْ عِبرِي      وَأَذَرَتْ لَهَا بِعَدِ سَجَلٍ سَجَالَا  
 ٧ تَرَاهَا إِذَا أَحْتَبَّهَا الْحَادِيَا      نِ بِالْخَبْتِ يُرْقَلْنَ سِيرَا عِجَالَا  
 ٨ فَبِالظَّلِّ يُدْلَنُ بِعَدِ الْمَجِيرِ      وَبِعَدِ الْمَجَالِ الْفَنَ الرَّحَالَا  
 ٩ وَفِيهِنَّ خَوْلَةٌ زَيْنُ النِّسَاءِ      زَادَتْ عَلَى النَّاسِ طُرَا جَمَالَا  
 ١٠ لَهَا عَيْنٌ حُورَاءٌ فِي رَوْضَةٍ      وَتَقْرُوْ مَعَ النَّهْتِ أَرْطَى طُوَالَا

(٤) النجاء : الإسراع . يصف بداية الرحلة . لقد أثاروا جماهم من مباركتها ، وبدأ الحاديان يحثانها على الإسراع مع إشرافه الصباح قبل أن ترتفع الشمس ، ويشند الحر ، وتلهب الرمال .  
 (٥) بوازل : جمع بازل ، وهي الناقة إذا استكملت سننها الثامنة وظهرت أنيابها . والأحداج : جمع حدج وهو الهودج الخاص بالنساء . وقوله « ويحذين بعدي نعال نعالا » يريد به أن هذه الابل لبست في أخفافها رمال الصحراء بعد أن شدت عليها أحذيتها قبل الرحلة .  
 (٦) السجل : دلو الماء . يصف انهماك دموعه الغزيرة عندما تحركت بهم القافلة ومضت بعيدا في رحلتها .

(٧) الخبت : الأرض المظلمة الواسعة . ويرقلن : يسرن .  
 (٨) المجير : شدة الحر في وقت المساء عند انتصاف النهار . والجبال : الأماكن المخصصة للنساء داخل الخيام . يقول إن هؤلاء المسافرات استبدلن بالظل الذي كن ينعمن فيه هجير الصحراء ، وبالجبال الناعمة المريحة رجال القافلة المتعبة الخسنة .

(٩) خولة : صاحبة ، وهي نفسها أمانة التي تحدث عنها في مطلع القصيدة . وظاهرة تعدد الأسماء للحبوبة الواحدة ظاهرة مألوفة في الشعر القديم . وطرا : أي جميعا .

(١٠) الحوراء : صفة للظبية أو للبقرة الوحشية التي يشبه بها عيون صاحبة ، والحور : شدة بياض العين مع شدة سوادها ، وقد تغنى به الشعراء العرب كثيرا في شعرهم . وتقرو : تقصد وتتبع .  
 حوالا : شجر من أشجار الصحراء يتردد ذكره كثيرا في الشعر القديم . والطوال : الطويل المفرط الطول . يشبه عيني صاحبة بعيني ظبية أو مهابة تتبع أشجار الحوالا ترى أوراقها الخضراء .



- ١١ وَتَجْرِي السَّوَاكُ عَلَى بَارِدٍ      يُخَالِ السَّيَالُ وَلَيْسَ السَّيَالَا  
١٢ كَأَنَّ الْمُدَامَ بَعِيدَ الْمَنَامِ      عَلَيْهَا ، وَتَسْقِيكَ مَذْبَا زُلَالَا  
١٣ كَأَنَّ الذَّوَابَّ فِي فَرْعِهَا      جِبَالُ تُوَصَّلُ فِيهَا جِبَالَا  
١٤ وَوَجْهُ يَحَارُ لَهُ النَّاضِرُونَ      يَخَالُونَهُمْ قَدْ أَهْلُوا هِلَالَا  
١٥ إِلَى كَفَلٍ مِثْلٍ دِعْصِ النَّقَا      وَكَفَّ تَقَلَّبُ بِبُضَا طِفَالَا  
١٦ فَبَانَتْ وَمَانِلَتْ مِنْ وُدِّهَا      قِبَالَا وَلَا مَا يُسَاوِي قِبَالَا  
١٧ وَكَيْفَ تَبْتَنِينَ حَبْلَ الصِّفَا      مِنْ مَا جِدَّ لَا يَرِيدُ اعْتِرَالَا  
١٨ أَرَادَ النَّوَالَ فَنَدَيْتِهِ      وَأَضْحَى الَّذِي قَلَّتْ فِيهِ ضَلَالَا  
١٩ فَتَى يَبْتَنِي الْمَجْدَ مِثْلَ الْحَسَا      مِ أَخْلَصَهُ الْقَيْنُ يَوْمَا صِفَالَا

(١١) السيال : شجر من فصيلة الصنصاف ناهم الأغصان يظهر عليه شوك أبيض صغير إذا تزعج خرج منه مثل اللبن ، يشبه به العرب الأسنان في صفرها وبياضها ، يقولون « ثغر كشوك السبال » .  
(١٢) المدام : الخمر . يشبه رضاب ثمرها حتى بعد نودها بالخمر ، ويذكر أنها تسقى صاحبها منه عذبا زلالا لذيق الطعم .

(١٣) الذوايب : الضفائر . والفرع : الشعر .

(١٤) أهلوا هلالا : أى استقبلوا الهلال . يعف وجهها بأن من ينظر إليه يحار في جماله ويخجل إليه أنه يرى فيه الهلال .

(١٥) الكفل : الأرداف . والدهص : الكتيب . والنقا : الرسل . والطفال : الأصابع الرخصة الناعمة ، جمع طفل وطفلة .

(١٦) بانَتْ : رحلت . والقبال : الشئ القليل اليسير ، وأصله من قبال النمل وهو زمام بين الإصبع الوسطى والى تليها . يقول إنها رحلت ولم ينل من حبها شيئا .

(١٧) بت الحبل : قطعه ، كناية عن هجرها له . والماسجد هنا يريد به نفسه .

(١٨) معنى الشطر الثانى أن مامته به صاحبته من نوال تحول كله إلى ضلال لا يعرف وجه الهداية

معه فى تيه المجر والقطيعة .

(١٩) القين : الحداد . يفتخر بأنه قاطع مثل الحسام الذى أتقن القين صقله .

- ٢٠ يقود الكُماة ليلقى الكُماة ينازل ماإث أرادوا النزالا  
 ٢١ ويأبى لى الضيم ماقد مضى وعند الخصام فتعلو جدالا  
 ٢٢ بقول يذل له الرائيضون ويفضلهم إن أرادوا فضلا  
 ٢٣ وهاجرة كأوار الجحيم قطعت إذا الجندب الجحون قالا  
 ٢٤ وليل تعسفت ديجوره يخاف به المذبلون الحبالا

\* \* \*

(٢٠) الكُماة : الأبطال . يفتخر بشجاعته في ساحات القتال وقيادته لأبطال قومه ينازل بهم أبطال أعدائهم .

(٢١) يفتخر بإبائه الضيم ورفضه الهوان ، وبارتفاع الصوت والاستعلاء على خصومه في مواقف الخصام والجدال . يريد أنه يفوق الخطباء بفصاحته .

(٢٢) البيت استقرار لفخره بفصاحته وتفوقه على من يقف منه موقف المنافسة ممن ألقوا مواقف الخطابة وروضوا أنفسهم عليها .

(٢٣) الهاجرة : الصحراء في وقت الهجير . والأوار : الالهيب . والجندب : ذكر الجراد . والجحون هنا : الأسود . وقال : من القبلولة ، وهى نومة منتصف النهار عندما يشتد الحر . يفتخر بصبره على اختراق الصحراء في ساعات الحر الملهبة .

(٢٤) تعسفت : مرت على غير هداية . والديجور : الظلام الحالك . والمذبلون : الذين يواصلون السير طول الليل . والحبال : الهلاك . يفتخر بجراته على اختراق الصحراء في الليالى الموحشة الحالكه الظلام .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## يائية نادرة

### مجلس شراب ، ورحلة صيد

تدور هذه القصيدة التي تبلغ اثنين وثلاثين بيتا حول محورين أساسيين :  
وصف لمجلس شراب ، ووصف لمنظر صيد . وهي تبدأ بمقدمة طلبية قصيرة ،  
يخرج منها الشاعر إلى وصف مجلس الشراب ، ثم ينتقل منه على ظهر ناقته التي  
يشبهها بحمار وحشي إلى وصف منظر الصيد الذي يدور بين صياد فقير وقطيع من  
الأتن الوحشية يسوقها هذا الحمار ، وينتهي بنجاة القطيع وعودة الصياد مخفقا  
إلى زوجته وأولاده الجياع المنتظرين عودته بطعامهم . وقافية القصيدة التي  
تتخذ من حرف الياء المشددة الممدودة رويًا لها من القوافي النادرة في الشعر الجاهلي .

\* \* \*

١ خَشِيتُ مَنَازِلًا مِنْ آلِ هِنْدٍ      قِفَارًا بُدِّلَتْ بِعِدَى عُفْيَا  
٢ تُبَيِّنُ رَمَادَهَا وَتَخَطُّ نُؤْيَ      وَأَشْعَثَ مَاثِلًا فِيهَا نُؤْيَا

(١) عفيا : أى عافية دارسة . وبدلت بعدي : تغيرت عن سابق عهدي بها .

(٢) تبين : أى تستبين ، والفاعل « أنت » يريد الشاعر نفسه . ونخط نؤى : أى لخطوط  
النؤى الباقية على الرمال ، والنؤى : خندق يحفر حول الخيمة ليحميها من الماء أن يتسرب إليها ومن  
هوام الصحراء أن تزحف إل داخلها . والأشعث : الوتد الذي تشد إليه حبال الخيمة . وماثلا :  
قائما . ونؤيا : ثابتا في موضعه . يصف أطلال صاحبه وما بقى من آثارها : الرماد والنؤى والأوتاد .

- ٣ فكادت من معارفها دموعي      تهيم الشأن ثم ذكرت حياً  
٤ وكان الجهل لو أبكك رسم      ولست أحب أن أدعى سفياً

\* \* \*

- ٥ وتذمان كريم الجدد سمح      صبحت بسخرة كأساً مبياً  
٦ يحاذر أن تباكر ماذلات      فينبأ أنه أضى غيوباً  
٧ فقال لنا : ألا هل من شواء ؟      بتمريض ، وما يكتبه عياً  
٨ فأرسلت الغلام ولم ألبث      إلى خير البوائك توهرياً  
٩ فناءت للقيام لغير سوق      وأتبعها جرازا مشرفياً

(٣) الشأن : مجرى الدموع إلى العين . وتهيم الشأن : أى تدفع الدموع إلى الانهيار . وقوله « ثم ذكرت حياً » يريد أنه رجع إلى نفسه وتماسك من أن ينهار .

(٤) السنى : الطائش الخفيف ، من السفا وهو الخفة والطيش . يقول إنه رجع عن بكائه وتماسك بعد أن أوشك على الانهيار حتى لا يتهم بالجهل والطيش والنزق ، وهى صفات لا يرضاها لنفسه .  
(٥) صبحت : سقيته نحر الصباح . والسخرة : وقت السحر . والسبي : صفة للخمر ، وهى التى حلت من بلدة أخرى فكانها قد سبت . يصف نديمه على الشراب بأنه كريم الأصل ممدح الخلق ، ويذكر أنه سقاء فى وقت السحر خمر طيبة مستوردة .

(٦) يذكر أنه اختار وقت السحر قبل أن تصحو العاذلات فيلته على غوايته .  
(٧) وما يكتبه : أى لم يكتبه فى نفسه . يريد أنه عرض بطلب شواء يستمتعان به على الشراب ، ولم يصرح به ، لاعتى منه ولكن بسبب فعل التجربة وعقدها لسانه .

(٨) الغلام هنا : الخادم . ولم ألبث : لم أؤخره . والبوائك : جمع بائك وهى الناقة الفتية الصغيرة السن ، والتوهرى : السنام الطويل .

(٩) ناءت للقيام : يريد أنها ناقة سميت تنوء بسمها عند القيام . وقوله « لغير سوق » يريد أنها لم تقم ليسوقها الغلام وإنما لينحرها . والجراز : السيف القاطع . والمشرقى : الجريد الصنع ، نسبة إلى المشارف ، وهى قرى بالشام كانت مشهورة بصناعة السيوف فى العصر الجاهلي .

١٠ نَظَّلَ بِنَعْمَةٍ يُسْعَى عَلَيْهِ وَرَاحَ بِهَا كَرِيمًا أَجْفَلِيًّا

\* \* \*

١١ وَكَنتُ إِذَا الْهَمُومُ تَضَيَّفَتْنِي قَرَيْتُ الْهَمَّ أَهْوَجَ دَوْسِرِيًّا

١٢ بُوَيِّزَلٌ عَامِيهِ مِرْدَى قِذَافٍ عَلَى التَّأْوِيْبِ لَا يَشْكُو الْوُئِيَّا

١٣ يُشِيحُ عَلَى الْفَلَاةِ فَيَعْتَلِيهَا وَأَذْرَعُ مَا صَدَعَتْ بِهِ الْمِطْيَا

١٤ كَأَنِّي حِينَ أَرْجُرُهُ بِصَوْتِي زَجَرْتُ بِهِ مُدِلًّا أَخْذَرِيَّا

١٥ تَمَهَّلَ عَانَةً قَدْ ذَبَّ عَنْهَا يَكُونُ مَصَامُهُ مِنْهَا قَصِيًّا

(١٠) يصف قيام الغلام على طعام نديمه وإكرامه والعناية به ، ويذكر أن نديمه كريم أيضا .

والأجفلى : الكريم الواسع الكرم ، نسبة إلى الجفلى والأجفلة وهى الجماعة ، ومنه قول طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فىنا ينتقى

يريد أن الدهوة عامة للناس جميعا لا يستثنون منهم أحدا .

(١١) تضيفتنى : نزلت ضيوفا على . وقريت الهم : قدمت له القرى وهو طعام الضيافة . والأهوج :

المتدفع فى جراءة لا يبالى شيئا ، صفة للجمال الذى يرحل عليه . والدوسرى : الضخم الشديد . يقول

إن الهوم إذا نزلت ضيوفا عليه قدم لها حقوق ضياقتها رحلة على هذا الجمل القوى الجسرى ، ينطلق

فيها إلى أعماق الصحراء .

(١٢) البويزل : تصغير البازل وهو الجمل المسن الذى ظهرت أنيابه . المردى : الجريى به .

والقذاف : القذف . ومردى قذاف : كناية عن صبره على مشقات السفر وأحوال الرحلة . يصف

جملة . والتأويب : مواصلة السير طول النهار . والوئى : التعب .

(١٣) يشيح على الفلاة : يجدها عليها . وأذرع : أسبق . وصدعت به : يريد قطعت به الصحراء .

والمعنى أنه يسبق الإبل الأخرى التى ترافقه فى الرحلة .

(١٤) المدل : الواصل من نفسه . والأخدرى : الحمار الوحشى ، يشبه جملة به . وتشبيهه الناقة

أو الجمل بالحمار الوحشى كثير فى الشعر الجاهلى ، ووجه الشبه القوة والصبر والتحمل .

(١٥) تمهل : ساقها أمامه متمهلا . والعانة : قطع الأذن الوحشية . ذب عنها : دافع عنها .

والمصام : المقام . والقصى : البعيد . يصف قطع الأذن الوحشية بأن ذكرها يسوقها متمهلا ، ويدافع

عنها ، ويتخذ موقفه بعيدا عنها ، ليراقب القضاء من حولها ، حتى لا يفاجئها خطر من أى ناحية .



- ١٦ أَطَالَ الشَّدَّ وَالتَّقْرِيبَ حَتَّى ذَكَرْتُ بِهِ مُمَسَّرًا أَنْدَرِيَا  
 ١٧ بِهَا فِي رَوْضَةٍ شَهْرَى ربيع فسَافَ لها أَدِيمَا أَذْلِصِيَا  
 ١٨ مُشِيحَا هَلْ يَرَى شَبَحَا قَرِيبَا وَيُوفِي دُونَهَا الْعَلَمَ الْعَلِيَا  
 ١٩ إِذَا لَاقَى بِظَاهِرَةٍ دَحِيقَا أَمْرًا عَلَيْهِمَا يَوْمًا قَسِيَا  
 ٢٠ فَلَمَّا قَلَّصَتْ عَنْهُ الْبَقَايَا وَأَعَوَزَ مِنْ مَرَاتِعِهِ اللَّوِيَا  
 ٢١ أَرْنُ فَصَكَّهَا صَخْبٌ دَوُولُ يَعْْبُ عَلَى مَنَاقِبِهَا الْعَصِيَا

(١٦) الشَّد : العُدو . والتقريب : الإِصرار برفع اليدين معا ووضعهما معا . والممر : الحبل الشديد الفتل ، من أمر الحبل إذا أحكم فتله . والأندرى : المنسوب إلى أندرين وهي قرية من قرى الشام ، وهي التي تحدث عنها عمرو بن كلثوم في مطلع معلقته ، يشبه به الحمار الوحشى في ضهوره وإحكام خلقه وتوثيق بنيانه .

(١٧) سَاف : شم . والأديم : الجلد ، يريد به ظهر الأرض . والأدلى : الذى ظهر نباتاته الجديد ، وأصله صفة للحمار إذا ثبت له شعر جديد . والضمير فى «بها» يعود على قطع الأذن الوحشية . يقول إن هذا الحمار أسرع بلمناته إلى روضة خصبة أخذ يشمم أرضها التى أخذ نباتها ينمو ، ليعلمن إلى جودة مراعاها .

(١٨) مشيحا : أى أنه يدير بصره فى الفضاء المحيط به . والشبح : الشخص . والعلم : المكان المرتفع . والعلى : العالى . ويوفى دونها : أى يصل قبائها ، والضمير فيها يعود على الأذن .

(١٩) الظاهرة : ما ارتفع وظهر على الأرض . والدحيق : الحمار المطرود المبعث من الأذن . والقسى : الشديد القاسى . يريد أن يوما شديدا من الصراع قد بدأ بين الذكرين لتفقر هذه الإناث . (٢٠) البقايا : يريد بها بقايا الماء . وقلصت عنه يريد أن بقايا الماء أخذت فى الجفاف . واللوى : النبات أخذ فى الجفاف وإن بقيت فيه بقية من الماء . وأعوزه اللوى : أى احتاج إليه ، والضمير فيه يعود على الحمار الوحشى . يصف بداية جفاف المرعى الذى نزل به هذا القطيع تمهيدا لرحلته عنه بحثا عن مرعى جديد .

(٢١) أرن : صاح ومد صوته . وصكها : ضربها ضربا شديدا . والدَّوُول : الشديد النشاط . والعصى هنا : طرف اللجين وهما منابت الشعر على الخدين والذقن . ويعب على مناكبها العصيا : أى يجمل أطراف لحية على ظهورها . يقول إن هذا الحمار أخذ يسوق لمانته سوقا عنيفا ، فد صوته صائحا بها ، وراح يضربها ضربا شديدا ، ويغمزها فى مناكبها بأطراف لحية .

- ٢٢ فأوردها على طمّل يمين يمين إذا رأى لحماً طرياً  
 ٢٣ له شريانة شغلت يديه وكان على تقلدها قوتاً  
 ٢٤ وزرق قد تحلها لقضب يشد على مناصبها النضيا  
 ٢٥ تردى براءة لما بناها تبوا مقعداً منها خفياً  
 ٢٦ فلما لم يرين كثير دعي وردن صوادياً ورداً كيب  
 ٢٧ فأرسل والمقاتل معيورات لما لاقت ذعافاً يثرباً  
 ٢٨ فخر النصل منقوصاً رثياً وطار القدح اشتاتا شظياً  
 ٢٩ وعض على أنامله ليفاً ولاقى يومه أسفا وغياً

(٢٢) الطمّل : الفقير . ويهل : يهلل فرحاً . بصور الصياد المتربص بها ، ويقول إنه صياد فقير من أهل اليمن ، ينتظر في لفحة صيدا سمونا ، وتمتلئ نفسه بالفرحة كلها وآه .

(٢٣) الشريانة : القوس تتخذ من الشريان وهو شجر تصنع منه القسي .

(٢٤) الزرق : النصال المجلوة المصقولة . وتنخلها : تخيرها . والقضب : القداح التي تتركب فيها النصال . ومناصبها : أهاياها . والنضى : السهم . يصف في البيتين هذا الصياد وما أعده من قوس ومهام خرج بها ليضمن ظفروه بالصيد الذي خرج وراءه .

(٢٥) البراة : الحفرة التي يعدها الصياد ليختبئ فيها . وترداها : دخل فيها واختبئ في داخلها .

(٢٦) صواديا : عطاشا . وكيا : خفيا . يقول إن هذه الآن حين اطمأت ولم تجد ما يخفيها مضت إلى ماء بعيد خفي في جوف الصحراء لتطفئ ظمأها .

(٢٧) فأرسل : يريد أن الصياد أرسل مهمما نحو القطيع . ومعورات : مكشوفات . والذعاف : السم القاتل ، يريد السهم . واليثرى : نسبة إلى يثرب ، ولعله يريد أنها من صناعه يهود يثرب ، وكانوا في العصر الجاهلي يحترفون صناعة الأسلحة . وذعافا مفعول به لأرسل . والجملة بينهما اعتراضية .

(٢٨) منقوصا : ملتويا . ورثيا : مخضبا بالدماء . وشظيا : متكسرا .

(٢٩) وعض على أنامله : كناية عن الندم . يريد أن الصياد أخفق في إصابة القطيع .

- ٣٠ وراح بِحِزَّةٍ لَهْفًا مُصَابَا      يُنْجِي عِرْسَهُ أَمْرًا جَلِيَا  
 ٣١ وَلَوْ لَطَمْتُ هُنَاكَ بِذَاتِ خَمْسٍ      لَكُنَا عِنْدَهَا حِثَّتَيْنِ مِسِيَا  
 ٣٢ وَكَانُوا وَاثِقَيْنِ إِذَا أَنَاهُم      بِلَحْمٍ إِنْ صَبَّاحًا أَوْ مَسِيَا

\* \* \*

(٣٠) الحرة : شدة العطش ، يريد بها الغبط الذي ملا نفسه حين رأى سهامه تطيش . وعمرسه : زوجته . يصور عودة الصياد خائبا إلى زوجته .

(٣١) الحثتان : المثلان . وسيا : أى سواء . وذات الخمس هى الكف . والضمير فى « كانا » يعود على اللطمة وعلى خيبة زوجها . يقول إن عودته خائبا إلى زوجته كانت بمثابة لطمة على وجهها .

(٣٢) الضمير فى « كانوا » يعود على أولاده . يصور ضياع أمهم فى عودة أبيهم بلحم الصيد الذى خرج من أجله ، والذي كانوا على ثقة من عودته به فى أى وقت من الليل أو النهار .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## طعنةٌ غير طائشة

من بواكير قصائد المدح في الشعر الجاهلي هذه اللامية لعمر بن قيس ،  
وهو يستهلها بعرض موقف غزلي طريف يتعلق في جانب منه بتجربة الشيب  
والآلامها ، وفي جانب آخر بمشهد الظعينة وما تركه في نفسه من آلام الهوى  
وحسرة الفراق معاً .

وعلى عادة شعراء العصر راح عمرو يدعو لصاحبه ويدعو لديارها ، مسجلاً  
من خلال ذلك الدماء المزدوج حنينه إليها وحبها لها وإخلاصه في تجربته .

ويطيل الشاعر في عرض هذا المشهد الذاتي الذي وزعه بين حديث الغزل  
والشيب والظمن ، وبعدها يؤثر الإيجاز في حديث المدح ، فيركز مدسته على  
الملاحم الكبرى التي رآها مميزة لمدوحه دون سواء ، فرآه فريداً في شجاعته لا يكاد  
يُبارى فيها أو يُنازع ، وشغله من تلك الشجاعة في الدلالة عليها ضربته النافذة  
التي لا تخطيء عدوه والتي كانت دافعاً لإعجاب الشاعر حيث راح يتغنى بها في  
هذه اللامية .

\* \* \*

- ١ هل لا يهيج شوقك الطلل أم لا يفرط شيبك الغزل
- ٢ أم ذا قطين صاب مقتله منه وخانوه إذ احتملوا

(٢) القطين : أهل الدار . ويقطن المكان يقيم فيه ، والقطين : الحشم والإماء والأنباع .

- ٣ ورأيت ظعنهم مقفينة      تعلو المخارم سيرها وممل  
٤ قنأ العهون على حواملها      وعلى الرهاويات والكلل  
٥ وكان غزلان الصريم بها      تحت الحدور يظللها الظلل  
٦ تامت فؤادك يوم بينهم      عند التفرق ظيبة عطّل  
٧ شئت إلى رشا تربيه      ولها بذات الحاذ معتزل  
٨ ظل إذا ضحيت ومرتقب      كيلا يكون ليلها دغل  
٩ فسقى منازلها وحلتها      قرد الرباب لصوته زجل  
١٠ أبدى محاسنه لناظريه      ذات العشاء مهلب خضل  
١١ متحلب تهوى الجنوب به      فتكاد تعدله وتجفل  
١٢ وضعت لدى الأصناع ضاحية      فوهى السيوب وحطت العجل

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل . الرمل : ضرب من سير الإبل وهو السير السريع .

(٤) القنأ : الحمرة الشديدة . العهن : الصوف الأحمر القاني الداكن . الرهاويات : أكسية منسوبة إلى الرها لشهرتها بها .

(٥) الصريم : رمال تنقطع من معظم الرمل .

(٦) تامت : ضللت . العطل : الخالية من الحلي ، دلالة على شدة جمالها دون حاجة إلى الحلي .

(٧) للشنف : النظر بمؤثر العين ، أو هي نظرة تقي بالاعتراض . تربيه : تربيته وتحرص عليه . الحاذ : نبات ، وسمي به موضع ينجد .

(٨) ضحيت : برزت .

(٩) الحلة : مجتمع القوم ، أو مكان معيشتهم . الرباب : نوع من السحب يطلق خاصة على السحاب الأبيض . القرد من السحاب : المتلبد بفضه على بعض .

(١٠) ذات العشاء : وقت العشاء . مهلب : كأن له هلباً من هيد به ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو مثل هذب القطيفة . الخضل : الرطب . واخضال الشجر كثرت أغصانه وأوراقه .

(١١) متحلب : يتحلب بالمطر . ينجفل : ينقلع . وجفل الطين جرفه وجفل الشيء قشره .

(١٢) الأصناع : اسم موضع . ضاحية : ظاهرة بارزة . السيوب : مجارى المياه في الأودية . العجل : جمع عجلة وهي المازادة . والعجلة بالكسر أيضاً السقاء والدولاب .



- ١٣ فسقى امرأ القيس بن عَمْرَةَ إِنَّ (م) الأكرمين لذكهم نَبَلُ  
 ١٤ كم طعنة لك غير طائشة ما إن يكونُ لجرحها خَلَلُ  
 ١٥ فطعنتها وضربت ثانيةً أخرى وتنزل إن هم تزلوا  
 ١٦ يهبُ المخاضُ على غواربها زَبْدُ الفحول معانها بِقَلُ  
 ١٧ وعشارها بعد المخاض وقد صافت وعسم رباعها النَّقْلُ  
 ١٨ وإذا المجزئ حان مشربه عند المصيف وسره النَّهْلُ  
 ١٩ رشف الذناب على جماجمها ما إن يكون لحوضها سَمَلُ

(١٦) زبد الفحول على غواربها : أى يقرعها فيبقى زبد على غواربها . معانها : الموضع الذى ترى به . بقل : فيه بقل .

(١٧) صاف القوم بمكان كذا : أقاموا فيه فى فصل الصيف . الرباع : جمع ربيع . وهو الموضع يرتجعون فيه الربيع . النقل : الغنمة والهبة .

(١٨) المجزئ : الذى كان يجزأ إبله بالرطب إذا اشتد عليها الحر .

(١٩) الذناب : جمع الذنوب وهى الدلو العظيمة . السملة : بقية الماء فى الحوض . وهو الماء القليل مائة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ٤ )

## المصير المحتوم

تدور هذه القصيدة حول فكرة المصير المحتوم الذي ينتهى إليه كل كائن حي في هذه الحياة : الإنسان مهما يَطْلُبُ به الأجل ، والحيوان في البر والبحر : التماسيح المتخفية في بلج الأنهار ، والوعول المعتصمة في قعر الجبال ، والثيران الوحشية المتأبدة في أعماق الصحراء .

وهي تبدأ بمقدمة غزلية يصف فيها رحلة صاحبه مع قومها إلى أرضهم الجديدة ، ثم يتحدث عن كرهه الذي أنكرته صاحبه عليه ، ويخرج من هذا الحديث إلى حديث المصير الذي تدور حوله القصيدة . والقصيدة قصيرة تقع في ثلاثة عشر بيتاً .

\* \* \*

- ١ إن قلبي عن نكتم غير سالى      تيمتني وما أرادت وصالى
- ٢ هل ترى غيرها تُجيز سراعاً      كالعدولي راثماً من أوال

(١) نكتم : امم صاحبه ، وهو من الأسماء النادرة في الشعر العربي . والبيت يوحى بما يعتزم الشاعر إثارة في قصيدته من حديث الشيب والمصير . لقد تيمته صاحبه ولكنها لا تريد وصاله . إنه حب من طرف واحد .

(٢) العدول : سفن مرسوبة إلى قرية بالبحرين اسمها عدولي . وكانت البحرين في العصر الجاهلي مركزاً لصناعة السفن ، بحكم موقعها على الخليج واختراف أهلها للملاحة . وأوال : جزيرة من جزر البحرين . يشبه ظمائن صاحبه وهي تخرق الصحراء بهذه السفن البحرانية وهي تشق أمواج الخليج خارجة من هذه الجزيرة .

- ٣ نزلوا من سويقة الماء ظهرا ثم راحوا للنعف نعف مطال  
 ٤ ثم أضحووا على الدثينة لا يا لَوْن أن يرفعوا صدور الجمال  
 ٥ ثم كان الحساء منهم مصيفا ضاربات الخدور تحت الهدال  
 ٦ فزعت تكتم وقالت : عجيبا أن رأتني تغير اليوم حالي  
 ٧ يا ابنة الخير إنما نحن رهن لصروف الأيام بعد الليالي  
 ٨ جالح الدهر وانتحي لي ، وقديما كان يُنحي القوي على أمثالي  
 ٩ أفصدتني سهامه إذ رميتني وتولت عنه ، سلمي ، نبالي

(٣) سويقة الماء : موضع باليامة . ونعف مطال : ماء ، والنعف : المكان المرتفع . يصف رحلة الظمان ، ويتبع مراحل سيرهن ، ويذكر المواضع التي يجتازنها ، وسيواصل تتبعه لمن في البيتين التاليين .

(٤) الدثينة : موضع . وقوله « لا يألون أن يرفعوا صدور الجمال » يريد أنهم لا يقصرون في حث إبلهم على مواصلة السير . ورفع صدور الجمال كناية عن اندفاعها في السير .

(٥) الحساء : موضع في ديار بني أسد يكثر فيه الماء . الخدور : جمع خدر وهو جانب الخباء المخصص للنساء يفصل بينه وبين سائر الخباء يستر . والهدال : ما تهدل من أغصان الشجر . يتحدث عن نهاية الرحلة ، لقد وصلت القافلة إلى هذه المنطقة لتقضي فيها الصيف ، وضربت خيامها فيها في ظلال الشجر الوردية تحت أغصانها المتهدلة .

(٦) يصف موقف صاحبه منه بعد أن رأت تقدم السن به ، وتغير حاله بعد أن بدأ زحف السنين عليه .

(٧) يرد على تعجيبها وإنكارها لتغير حاله بأن الإنسان في الحياة رهن لتقلب الأيام والليالي به .

(٨) جالح الدهر : يريد أن الدهر رمى شبابه ونزع عنه نضارته ، وأصله من جامحت الإبل الشجر إذا رعت أعاليه وقشرته ، ومن هنا يحتمل التعبير أيضا بمعنى انحصار الشعر عن جانبي الرأس . وقوله « وانتحي لي » يريد أن الدهر اتجه إليه وقصده بعد أن كان في ماضى أيامه يتجه إليه بالقوة والشباب .

(٩) أفصدتني سهامه : أي رميتني فلم تخفى . وتولت عنه نبالي : أي أخطأته وابتعدت عنه . وصاحبي : نداء لصاحبه ، وهي نفسها تكتم التي ذكرها من قبل ، والتي يدور الحوار بينها وبينه ، يقول إن سهام الدهر أصابتني ولم تخفى ، وأما نبالي التي أوجهها إليه فقد أخطأته ولم تصبه .

- ١٠ لا عَجَبُ فِيمَا رَأَيْتَ ، وَلَكِنْ عَجَبٌ مِنْ تَقَرُّطِ الْأَجَالِ  
 ١١ تُدْرِكُ التَّمَسَّحَ الْمَوْلَعُ فِي الثَّجْبِ ، وَالْعَصَمَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ  
 ١٢ وَالْفَرِيدَ الْمُسَفَّعَ الْوَجْهَ ذَا الْجُدِّ  
 ١٣ وَتَصَدَّى لِتَصْرِعِ الْبَطْلِ الْأَرَعِ بَيْنَ الْعَلْهَاءِ وَالسَّرْبَالِ

\* \* \*

- (١٠) تفرط الأجال : تأخرها . يقول لصاحبه : ليس عجيباً أن يتقدم العمر بالإنسان و يقترب من نهايته ، فهذه سنة الحياة ، ولكن العجيب أن يتأخر الأجل عما يفترض أنه مواعده .
- (١١) الضمير في « تدرك » يعود على الأجال . والتمسح لغة في التمساح ، ولعلها أول مرة . أو المرة الوحيدة التي ترد فيها في الشعر الجاهلي . والمولع : الذي به فقط تخالف سائر لونه . والعصم : الوعول ، مفردا أعصم ، لأنها تنعصم في قمم الجبال .
- (١٢) الفريد : يريد به الثور الوحشي ، وأكثر ما يظهر في الصحراء مفردا وحده ، وهذه هي صورته التي تتردد دائماً في الشعر القديم . والمسفع : الذي في وجهه سفة وهي السواد والشحوب كلون الرماد .
- (١٣) تصدى : أى تصدى ، حذفت إحدى ناهيه تخفيفاً . والأروع : الشجاع الذي يروعك بشجاعته . والعلهاء : ثوبان يندف فيهما وبر الإبل يلبيهما المقاتل تحت الدرع . والسربال : القميص ، يريد به هنا الدرع ، وفي القرآن الكريم أطلقت السراويل على الدروع : « وسراويل تقيكم بأسكم » (النحل ٨١) .

\* \* \*

يوسف خليف

## عبيد بن الأبرص

\* \* \*

يرجع نسبه إلى قبيلة سعد بن تَعَلَبَة إحدى قبائل بني أسد التي كانت تنزل في شمالي نجد، والتي تحكمها أسرة كِنْدَةَ اليمينية التي ينتمى إليها امرؤ القيس الشاعر . وكان عبيد معاصراً لجُحَر أبي امرئ القيس وآخر ملوك هذه الأسرة، وكان من بين الذين اشتركوا في ثورة قبيلته عليه وقتله والقضاء على حكم أسرته لبلاذهم . وقد تحوّل مع الأحداث التي شهدتها المنطقة في هذه المرحلة من تاريخها إلى « شاعر الثورة » الذي يسجل أحداثها ، ويتغنى بدور قبيلته فيها . ويهاجم الأسرة اليمينية الحاكمة ، ويسخر من آخر أمراءها امرئ القيس في محاولاته الضائعة للثأر لأبيه ، واسترداد عرش أسرته . وفي شعره ما يدل على أنه شارك في المعركة الأخيرة التي قُتِل فيها جُحَر ، وفرّ منها امرؤ القيس هارباً بعد مصرع أبيه وهزيمة جيشه .

وليست بين أيدينا أخبار كثيرة عن حياة عبيد ، فالروايات العربية القديمة لا تذكر شيئاً له قيمته التاريخية عن حياته ، وكثير مما تذكره يبدو عليه طابع الأساطير والأقاصيص الشعبية التي تتناقلها الشعوب دون تأكيد من صحتها أو توثيق لها . وربما كانت أصح هذه الأخبار مشاركته في ثورة قبيلته على أسرة كندة التي انتهت بمصرع آخر ملوكها ، ففي الروايات التاريخية التي تحدّث بها الإخباريون ما يؤكد ما ، وكذلك في قصائده ومقطوعاته التي وثّقها الباحثون .

وقد لقي عبيد مصرعه على يد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في « يوم بؤسه » الذي تحدّثنا عنه هذه الروايات . فقد كان لهذا الملك الطاغية الذي كان وراء



إخفاق امرئ القيس في محاولاته استرداد عرش أسرته الضائع يومان في السنة معروفان بيوم البؤس ويوم النعيم ، وكان قَدْرُ أول ما يصادفه في يوم بؤسه أن يقتله ، وحظُّ أول من يلقاه في يوم نعيمه أن يحسن إليه ويجزل له العطاء . وشاء قَدْرُ عبيد أن يخرج إليه في أحد أيام بؤسه ، فكانت نهايته الحزينة وهو ينشد ناعيا نفسه :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ      فَالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ

وكما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين ليس من اليسير تحديد سنة وفاته بالضبط ، ولكن إذا وضعنا في تقديرنا هذه الرواية التي تتحدث عن مصرعه على يد المنذر ، فإننا نستطيع أن نقرب من الحقيقة . فقد قُتِلَ المنذر في بعض حروبه مع الحارث الغساني ملك الغساسنة — كما يحدثنا المؤرخون البيزنطيون — في سنة ٥٥٤ للميلاد . ومعنى هذا أن عبيدا لا بد أن يكون قد قُتِلَ قبل هذا التاريخ ، وإن يكن من الصعب بعد ذلك أن نحدد السنة التي قتل فيها .

وعبيد أحد الشعراء الكبار الذين عرفهم الشعر الجاهلي في المرحلة الأولى الثابتة من تاريخه ، مرحلة عصر البسوس . وقد وضعه محمد بن سلام في الطبقة الرابعة من فحول العصر الجاهلي مع طَرْفَةَ بن العبد وطلْقَمَةَ بن عَبْدَةَ وعدى بن زيد وذكر أنهم أربعة فحول « موضعهم مع الأوائل وإنما أُخِلَّ بهم قِلَّةُ شعرهم بأيدي الرواة » . ويضعه بعض الرواة بين شعراء المعلقات ، ويعملون قصيدته « أقفر من أهله ملحوب » إحدى المعلقات العشر ، وإن يكن ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » يجعلها من المعلقات السبع .

ويدور شعر عبيد الذي وصل إلينا حول موضوعات قبلية أكثرها نخر بها ، وبصفة خاصة في الصراع الذي دار بينها وبين بني أسد ، والذي انتهى بمصرع

الملك . ويتردد في حديث هذا الصراع تهديد لامرئ القيس يشوبه غير قليل من السخرية منه ومن قدرته على استرداد عرش أسرته الذي ضاع إلى الأبد . كما تتردد في شعره أحاديث كثيرة عن مرحلة شبابه الذي ولّى ، وماشهدته من بطولات ، وما مرّ به فيها من تجارب ومغامرات . وأيضا يتردد فيه وصف للطبيعة الصحراوية ، وبصفة خاصة المطر . من حين إلى حين تتردد أبيات متناثرة من الحكم يسجل فيها خلاصة تجربته في حياته الطويلة .

وقد لاحظ المستشرق الإنجليزى ليال « Lyall » في مقدمته الدقيقة التي صدر بها ديوانه الذى حققه ونشره فى سنة ١٩١٣ أن معظم قصائده يبدو عليها أنه نظمها وهو متقدم فى السن ، حيث يترأى فيها شيئا كبيرا ينظر إلى شباب بعده أجمل مراحل حياته ، كما لاحظ أن لغة قصائده تكشف عن شخصية ذاتية بارزة ، وأنه فى كثير من قصائده يلتزم منهاجا ثابتا يتناول من خلاله موضوعات واحدة ، وأن هناك تشابها موضوعيا واضحا بينه وبين معاصره امرئ القيس ، وأن الشعراء يستمدان من ذخيرة شعرية واحدة فى العبارات والموضوعات ، أو بعالجان موضوعاتهما معالجة واحدة . وانتهى من ذلك إلى توثيق أكثر شعره واستبعاد فكرة انتحاله .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## من المعلقة تجارب الحياة

عبيد بن الأبرص من أقدم الشعراء الجاهليين وقد عاصر حُجْراً أمير كندة  
ووالد امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف . وينتمي عبيد إلى سعد بن ثعلبة  
من قبيلة أسد الذين كانوا يسكنون في شمالي الجزيرة العربية .

وأخبار عبيد قليلة في المصادر المختلفة وكذلك أشعاره وإن وضعه معظم  
العلماء في مرتبة الشعراء الفحول المقدمين . وأبرز ما في شعره الوصف وخاصة  
وصف الرياح والأمطار ، وكذلك الحكمة التي يودع فيها تجارب حياته ،  
والأحداث التي تعرضت لها قبيلته في عهده . ومنها مقتل حجر ونزاع القبيلة مع  
إمارة الغساسنة وملكها الحارث الأعرج .

وهذه الأبيات التي اخترناها من قصيدة له يُعَدُّها بعض العلماء الأقدمين من  
المعلقات تعبر عن تجربة ذاتية عميقة في الحياة الإنسانية . ويبدوها الشاعر بلوم  
نفسه على العشق والسعى وراء اللذة بعد أن شاب وعلت سنه ، وكان في أبيات  
سابقة من القصيدة قد صور عشقه وسعيه وراء النساء ، وقد ازداد شوقاً بعد أن  
رحلت المحبوبة عن دارها ، ولهذا يصوغ هذا الرحيل في حكمة خالدة حين

يقول في البيت الثاني : إن كانت الحبيبة قد رحلت مع أهلها ، فهم ليسوا أول من يرحلون ، وليس هنا غرابة ولا عجب في هذا الرحيل ، وإذا كانوا قد تركوا أرضهم خلاء منهم وخلاء من مظاهر الحياة فاتتأبها الجذب والقحط ، فهكذا حال الدنيا ، كلٌّ من بيده نعمة سوف يفقدها ، وكلٌّ من أُمِّلَ في شيء سيأتيه يوم لا يتحقق فيه هذا الأمل ، وكل إنسان في يده ثروة أو استعدادها من طريق السلب والغنيمة ، سيأتي يوم يضطره للتخلي عن ذلك لغيره حين تنتهي أيام الحياة المحدودة ويمثّل الموت . وكل مغترب عن داره وأهله إن كانت ساعته لم تحن بعد سيعود ، ولكن من لا يعود أبدا هو الذي استأثر به الموت . وعلى العاقل أن يفرق بين الغث والسمين فلا يعدل بين المرأة العاقرة والولود أو بين المتصر في ساحة القتال والمنهزم ، وإن كان حظ الإنسان ليس خاضعا لمراهبه فقد ينبجح العاجز في حياته وقد يفشل الذكي الأريب ، والدهر وحده هو الذي يكسب الناس التجربة الصادقة التي تنفعهم ، أما أن يعظهم الناس ، فهذا ما لا ينفعهم لأن الإنسان بطبيعته يستكبر على الوعظ ، والعقل على أية حال لا يكتسب اكتسابا وإنما هو طبيعة مركوزة في الإنسان .

وعواطف الإنسان متغيرة ، فمن تبغضه اليوم قد تحبه غدا ، ومن تحبه اليوم قد تبغضه غدا ، وإذا كنت مقيا في أرض غير أرضك فلا بد أن تعين أهلها على أمورهم ، وتشاركهم في حياتهم ولا تنزل عنهم بدعوى أنك غريب . وقد يكون الغريب عنك نسبا ودارا صديقا مخلصا لك مواصلا لمودتك ، بينما ينقطع عنك الغريب في النسب والموطن . وعلى العاقل ألا يتعرض لسؤال الناس فهم كثيرا ما يحرمونه ولا يزيلونه ما يشتهى ، ولكن الله وحده يعطى من يشاء ، وهو بلا شريك يعلم ما تخفى النفوس ، ويظل المرء في حياته نهب الفلق لا يتأكد من

شيء لتلون الحياة واضطرابها ، فلماذا يؤمل الإنسان طول العمر وفي هذا الطول  
تعذيب دائم له ؟

\* \* \*

- ١ تصبؤ وأنى لك التصابي ؟ أنى وقد راعك المشيب ؟
- ٢ إن بك حول منها أهلها فلا بدى ولا عجب
- ٣ أوبك أفقر منها جوها ومادها المحل والحدوب
- ٤ فكل ذى نعمة تخلوسها وكل ذى أمل مكذوب
- ٥ وكل ذى إيل موروثها وكل ذى سلب مسلوب
- ٦ وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
- ٧ عاقر مثل ذات رحيم أو غانم مثل من يجيب
- ٨ أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعيف وقد يتخدع الأريب

- (١) تصبؤ : تميل وتعشق ، أنى : كيف لك بهذا ، راعك : فاجأك وأذكك .
- (٢) حول منها أهلها : رحلوا عنها ، البدى : الأول ، أى ليست أول أرض تركها أهلها فلا غرابة .
- (٣) جوها : وسطها ، مادها : أمانيها ، المحل والحدوب : القحط .
- (٤) تخلوسها : أى سوف تفقدها ، مكذوب : لن يتحقق .
- (٥) موروثها : أى سيرتها غيره ، وكل من ساب شيئا سوف يلب منه ، فالموت يأتى على كل شيء .
- (٦) يؤوب : يرجع .
- (٧) العاقر : التى لا تلد ، ذات الرحم : والولود ، غانم : يغير فيغنم .
- (٨) أفلح : عش ، الأريب : العاقل الذكى .



- ٩ لا يَعِظُ النَّاسُ مَنْ لَا يَعِظُ يَعِظُ الـ  
 ١٠ لَا يَنْفَعُ اللَّبَّ مَنْ تَعَلَّمَ  
 ١١ فَقَدْ يَعُودُنْ حَبِيبًا شَانِيءٌ  
 ١٢ سَاعِدُ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ بِهَا  
 ١٣ قَدْ يُوَصِّلُ النَّازِحُ النَّائِي وَقَدْ  
 ١٤ مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ  
 ١٥ بِاللَّهِ يُدْرِكُ كُلَّ خَيْرٍ  
 ١٦ وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ  
 ١٧ وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبٍ
- مَدْمُرٌ وَلَا يَنْفَعُ التَّلْيِيبُ  
 إِلَّا السَّجِيَّاتُ وَالْقُلُوبُ  
 وَيَرْجَعُنْ شَانِيءًا حَبِيبُ  
 وَلَا تُقِلْ إِنِّي غَرِيبُ  
 يَقْطَعُ ذُو السُّهْمَةِ الْقَرِيبُ  
 وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْجِبُ  
 وَالْقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْغِيبُ  
 عِلَامٌ مَا أَخْفَتِ الْقُلُوبُ  
 طَوَّلُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ

(٩) التلبيب : تكلف اللب .

(١٠) السجيات : الطباع .

(١١) الشانيء : المبغض .

(١٢) إذا كنت في أرض فأعن أهلها على أمورهم .

(١٣) النازح : البعيد القرب والدار : المهمة : القرابة .

(١٥) تلغيب : ضعف .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

( ٢ )

## إنذارٌ إلى امرئ القيس

\* \* \*

تدور هذه القصيدة في جو الصراع الذي اشتعلت نيرانه بين أسد وكندة بعد مصرع حُجْر الملك وخروج ابنه امرئ القيس لمعركة النار . وفيها يستخر الشاعر من تهديد امرئ القيس لقومه ، وينكر عليه ما يدعيه من أنه سجل نصرا عليهم ، ويفتخر بقومه وشجاعتهم وثباتهم في الحروب وحرصهم على كرامتهم والذود عنها ، ويذكره بأيام دارت بينهم وانتصروا فيها عليهم . ثم يعود في النهاية فيسجل منزلة قومه بين القبائل العربية عامة ، وما بلغوه من مجد وشرف وبطولة . والقصيدة تدور كلها حول هذا المحور في وحدة موضوعية متماسكة ، فلا مقدمة ، ولا تمهيد في الموضوعات ، ولا خروج من موضوع إلى موضوع ، وإنما ترابط وتلاحم وتسلسل بين الأبيات حتى آخر بيت منها .

\* \* \*

- ١ يا ذا الخَوَفِنا بَقَّةَ بِلِ أَيْبِهِ إِذْ لَآ وَحِينَا
- ٢ أَزَعَمْتَ أَنْكَ قَدْ قَتَلْتَ سَرَاتِنَا كَذِبًا وَثَمِينًا ؟
- ٣ لَوْ مَا عَلَى حُجْرِ ابْنِ أُمِّ (م) قَطَامٍ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا

- 
- (١) يخاطب امرأ القيس الذي يهددهم بمعركة النار لأبيه . والحين : الهلاك .
  - (٢) المرأة : جمع سري ، وهو السيد الشريف . والمين : الكذب .
  - (٣) لوما : بمعنى هلا ، من أدوات التحضيض ، وبها روى البيت في رواية أخرى . وحجر ابن أم قطام هو حجر أبو امرئ القيس ، ينسب إلى أمه استزاء به ، وتهوينا لشأنه .

- ٤ إنا إذا عَضَّ الثَّقَا فُ برأس صَعَدَتْنَا لَوَيْنَا  
٥ نحْمَى حَقِيقَتْنَا ، وَبَعْدَ حَضِّ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا  
٦ هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَ مَدَّةَ إِذْ تَوَلَّوْا : أَيْنَ أَيْنَا ؟  
٧ أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامْمَهُمْ بِبَوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا  
٨ وَجُمُوعَ غَسَّانِ الْمَلُو لَكَ أَتَيْنَهُمْ وَقَدْ انْطَوَيْنَا  
٩ لِحُقُقَا أَيَا طِلْهُنَّ قَدْ عَاجَلْنَ أَسْفَاراً وَأَيْنَا  
١٠ وَلَقَدْ صَلَقْنَ هَوَازِنَا بَنَوَاهِلٍ حَتَّى ارْتَوَيْنَا  
١١ نُعْلِيهِمْ تَحْتَ الضُّبَا بَ الْمَشْرِفِ إِذَا اعْتَرَيْنَا

- (٤) الثَّقاف : آلة يستخدمها العرب في تنقيف رماحهم أي تسويتها . والصعدة : فتاة الرمح .  
لوينا : معناها هنا أبيتنا ورفضنا . والبيت تصوير لعزتهم ومنعهم ، وإبائهم الضيم ، ورفضهم الدل .  
(٥) الحقيقة هنا معناها ما يجب على الرجل أن يحبسه ويدافع عنه . ويسقط بين بين أي يسقط وسطا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، يريد أنه لا قيمة له .  
(٦) أين أين : أي أين تولوا فرارا من المعركة التي هزموا فيها ، كرر الاستفهام للتوكيد .  
(٧) الهام : جمع هامة وهي الرأس . والبواتر : السيوف الحادة . والضمير في « انحنين » يعود عليها .  
(٨) غسان الملوك عم الفساسة ، يفتخرون بانتصارات قومه عليهم . والضمير في « أتين » يعود على الخيل المفهومة من السياق ، وكذلك في « انطوين » ، ويريد بها أنها ضمرت .  
(٩) الأياطل : جمع أياطل وهو خصر الجواد . والأين : التعب والإعياء . وقوله « لحقا أيا طلن » تصوير لضمور الخيل ، يريد أن خصورها لحقت بعظام ظهورها .  
(١٠) الصلق : الصوت الشديد العالي ، يصور شدة عجب الخيل في المعركة . والنواهل : يريد بها الرياح التي تنهل من دماء الأعداء حتى ترتوى .  
(١١) فعليهم : أي نضع فوق رؤوسهم . والضباب : يريد به هنا غبار المعركة . والمشرقي : السيف ، فصلة إلى مشارف الشام ، وهي قرى بها كانت مشهورة بصناعة السيوف . واعتزينا : أي لمقتصدنا إلى آبائنا في أثناء القتال اعتزازا بأصولنا للعريقة .

- ١٢ نحن الألى فاجمع جموس      عك ثم وجههم إلينا  
 ١٣ واعلم بأن جيانا      آئين لا يقضين ديننا  
 ١٤ ولقد أبجنا ما حمي      ت، ولا مبيع لما حمينا  
 ١٥ هذا ولو قدرت عليه      لك رماح قومي ما انتهينا  
 ١٦ حتى تنوشك نوشة      عاداتهن إذا انتويننا  
 ١٧ نغلي السباء بكل ما      تقي شمول ما صحونا  
 ١٨ ونهين في لذاتها      عظم التلاد إذا انتشيننا  
 ١٩ لا يبلغ الباني - ولو      رفع الدعائم - ما بنتنا  
 ٢٠ كم من رئيس قد قلد      ناه ، وصيم قد أبينا

(١٢) الألى : اسم موصول بمعنى « الذين » لم تذكر صكته ليكون مجال الفخر متسما لكل الاحتمالات ، بمعنى نحن الذين بعرف الجميع من نكون . والبيت تصوير لمدي تقصم بأنفسهم وبأنهم قادرون على انتزاع النصر من أعدائهم مهما تكن جهوههم التي يجمعونها لهم ويوجهونها إليهم .  
 (١٣) آئين : أقسم . وقوله « لا يقضين ديننا » يريد به لا يترك لأحد فرصة لقضاء ديونه وأخذ ثاراته منهم .

(١٥) ما انتهينا متعلقة بالبيت الثاني والضمير فيها يعود على الرماح . وفي البيت تضمين وهو تعلق نهايته بصدر البيت الذي يليه .

(١٦) تنوشك : تتناولك بالطن . وقوله « عاداتهن » أي كماداتهن .  
 (١٧) السباء : شراء الخمر . ونغلي السباء : أي ندفع في ثرائها ثمننا غاليا . والماتقة : الخمر المعتقة أو العذراء التي لم يفض ختامها أحد . والشمول : الخمر الباردة أو القوية الرائحة . يفتخر كمادة الجاهلين بشرب الخمر مظهرا من مظاهر الفتوة والكرم عندهم .  
 (١٨) التلاد : المال الموروث . وعظم التلاد : معظمه . وانتشيننا : سكرنا من نشوة الشراب .  
 (١٩) الباني : يريد به هنا باني المجد والشرف . يفتخر بأن أحدا من العرب لا يبلغ مبلغهم من المجد والشرف .

- ٢١ وَلَرَّبَّ صَبْدٍ مَعَشَرٍ ضَخِمِ الدَّسِيعَةِ قَدَرَمَيْنَا  
 ٢٢ عِقْبَانُهُ بَغْلَانِ حَقٍّ بَيَانِ تَيْمَمٍ مَنْ نَوَيْنَا  
 ٢٣ حَتَّى تَرَكْنَا شِلْوَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَدْ مَضَيْنَا  
 ٢٤ وَأَوَانِسٍ مِثْلِ الدَّمَى حُورِ الْعَيُونِ قَدْ اسْتَبَيْنَا  
 ٢٥ إِنَّا لَعَمْرُكَ لَا يُضَا مُ حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدَيْنَا

\* \* \*

(٢١) الدسيعة : الحفنة الضخمة والمائدة الكريمة ، وضخم الدسيعة كتابة مز "

» ومينا « متعلق بمصدر البيت التالي . وفي البيت يظهر التضمين مرة أخرى .

(٢٢) العقبان : جمع عقاب ، وهو الجارح المعروف . وعقبان الأول يريد بها رايات الجيش ، جيش الأعداء . وعقبان الثانية يريد بها هذه الطيور الجارحة . وتيمم : تقصد . يشير إلى ظهور جوارح الطير في سماء المعركة لتتغذى على أشلاء القتلى . وهي صورة تتردد كثيرا في الشعر العربي القديم .

(٢٣) الشلو : مفرد الأشلاء . وجزر السباع : أى فريسة للوحوش تنهش أشلاءه بعد أن لقي مصرعه ومضينا عن ساحة المعركة متصمرين .

(٢٤) الأوانس : جمع آنسة وهي التى تؤنسك بحديثها العذب . والدى : التماثيل . وحور العيون : جميلات العيون ، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سوادها ، وقد تغنى العرب به كثيرا . واستبيننا : صبيننا وأمرنا .

\* \* \*

يوسف خليف



( ٣ )

## إنذارٌ إلى زوجته

\* \* \*

المحور الأساسي الذي تدور حوله هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ في بعض رواياتها تسعة وثلاثين بيتا هو خلاف بين الشاعر وزوجته التي تريد فراقه لكبر سنه وقلة ماله ، وهو ينكر عليها هذا التصرف الذي لا يليق بها ، ويردّه ليرثها منه إلى أقارب وسوس بها إليها مَنْ يكرهون استقرار حياتهما الزوجية . ثم ينطلق من هذا الموقف الثقيل على نفسه إلى ذكريات شبابه يستعيدّها ويتغنى بها ، وكأنه يذكرّها بها لعلها تراجع نفسها وتراجع عن موقفها . والقصيدة — خضوعا للتقليد الفني القديم — تبدأ بمقدمة طليّة يصف فيها أطلال صاحبته التي تحوّلت بعد رحيلها إلى مسارح للنعام والظباء ، ثم ينتقل منها انتقالا مفاجئا إلى هذا الموضوع الطريف الذي اتخذ منه المحور الأساسي الذي تدور حوله القصيدة ، والذي تحققت معه لها وحدة موضوعية دقيقة . وهي وحدة لا نراها فقط في هذه القصيدة ، وإنما نراها في كثير من قصائد هذا الشاعر . ثم يكون ختام القصيدة أبياتا من الحكمة تتصل بموضوعها وكأنه يلخص فيها تجربته .

\* \* \*

- ١ ليس رسمٌ على الدِّفينِ ببالي      فليَوى ذِروَةَ بَخَنِي أُنالِ
- ٢ فالمروراةُ فالصفحةُ ، قفرٌ      كلُّ وادٍ وروضةٍ محلالِ
- ٣ دارُ حَى أصابهمُ سالفُ الدهرِ      سيرٌ فاضحتُ ديارهمُ كاللِّلالِ
- ٤ مُقفراتٍ إلّا رماداً عَفِيًّا      وبقياءاً مِنْ دِمْنَةِ الأطلالِ
- ٥ وأوارى قد عفّونٌ ونوياً      ورُسوماً عُرِّينَ مُذْ أحوالِ
- ٦ بدلتُ منهمُ الديارُ نعاماً      خاضباتٍ يُزجِينَ خَيْطَ الرِّئالِ
- ٧ وظباءُ كأنهنَّ أباريدُ      بقى الجُنينَ تحنّو على الأطفالِ

\* \* \*

(١) الرسم : ما بقى من آثار الديار الدارسة . البالى : القديم المتغير . والدفين : اسم موضع ، وكذلك سائر الأسماء فى البيت .

(٢) المروراة والصفحة : موضعان أيضاً يستكمل بهما — كالتقليد الفنى فى الشعر الجاهلى — التحديد الجغرافى للأطلال التى يقف بها . والمحلال : الآهلة بأصحابها الذين يحلون بها . يقول إن كل وديان هذه المواضع ورياضها التى كانت آهلة بأصحابها تحولت قفراً موحشاً .

(٣) اللِّسَال : جمع خلة ( بالكسر ) ، وهى البطانة التى تبطن جفن السيف ، وهى تتآكل مع القدم وكثرة استخدام السيف . يشبه بها الأطلال .

(٤) عفياً : دارساً بالياً متغيراً ، من هنا الأثر إذا درس وبلى وتغير .

(٥) الأوارى : مرابط الدواب ، جمع آرى . والنوى : خندق يحفرونه حول الخيام لينع منها السيل . والأحوال : السنين ، جمع حول .

(٦) الخاضبات : التى اخضرت سيقانها لرصيص النبات الأخضر فى الربيع . والرئال : أفراخ النعام ، جمع رأل . والخيط هنا : القطيع .

(٧) الجُنين : الفضة . يشبه الظباء بأباريق الفضة ، وهى من الصور الطريفة النادرة فى الشعر الجاهلى التى تعكس حياة اجتماعية على حظ غير قليل من الحضارة . وبهذا البيت تنتهى المقدمة الطللية .  
ليبدأ الشاعر بعدها موضوع قصيدته الأساسى ، وهو هذا الخلاف بينه وبين زوجته .

- ٨ - تلك عِرْمي غَضبي تريد زِيالي  
 ٩ - إن يكن طِبُّكَ الفراقَ فلا أَحَدَ  
 ١٠ - أو يكن طِبُّكَ الدَّلَالُ فلو في  
 ١١ - ذاك إذ أنتِ كالمهاة ، وإذ آ  
 ١٢ - فدعي مطَّ حاجِبَيْكَ ، وعيشي  
 ١٣ - زعمتُ أنني كبرتُ ، واني  
 ١٤ - وصحّا باطلا ، وأصبحتُ شيخاً
- أَبِينِ تريدُ أم لِدَالٍ ؟  
 فِلْ أن تعطيني صدورَ الجمالِ  
 سالف الدهرِ والليالي الخوالى  
 تيك نَشْوَان مَرخياً أذيالى  
 معنا بالرجاء والتأمل  
 قل مالي ، وذن عني الموالى  
 لا يسواتي أمثالها أمثالى

(٨) العرس : الزوجة . والزبال : الفراق . يبدأ الشاعر موضوع قصيدته الأسامي ، وهو هذا الخلاف بينه وبين زوجته . وقد حرص على التصريح في أول أبياته كأنه يبدأ قصيدة جديدة ، مما جعل بعض العلماء يذهبون إلى أن هذا البيت هو أول القصيدة ( السيوطي في شرح شواهد المفنى ) .

(٩) الطلب هنا : الرغبة والإرادة . وقوله « أن تعطيني صدور الجمال » يريد به إن تميل بصدور دا عن بيت الزوجية ، وتنجهي بها إلى حيث تريدن . يقول لها إن كانت رغبتي هي الفراق الحياة معي فأنا لا أبالي بك ولا أهتم بفراقك .

(١٠) الليالي الخوالى : الليالي التي مضت . وفعل الشرط وجوابه في جملة « لو » هنا محذوفان يدل عليهما سياق الأبيات ، وتقديرهما لو كان ذلك في سالف الدهر والليالي الخوالى لكان مقبولا منك . والبيت من شواهد النحاة على حذف فعل الشرط وجوابه .

(١١) المهاة : البقرة الوحشية ، ويتردد كثيرا في الشعر الجاهلي تشبيه المرأة الجميلة بها في يياضها وصفاء عينيها . والنشوان : السكران ، ولكن ليس من الضروري أن يكون المراد هنا نشوة الخمر ، وإنما المراد — في ظني — نشوة الشباب وخيلاؤه وزهوه ، ويؤكد ذلك قوله « مرخيا أذيالى » فهو كناية عن الخيلاء والزهو والإعجاب بالنفس .

(١٢) مط الحاجبين : كناية عن التعجب والإنكار . وهي من الصور النادرة البالغة الطرافة والحيوية في الشعر القديم . والتأمل : الأمل .

(١٣) الموالى هنا : الأصدقاء أو الأقارب ، وهذه الكلمة من الكلمات التي تحمل دلالات كثيرة مختلفة .

(١٤) لا يراى : أى لا يوافق ولا يلائم .

- ١٥ أن رأتني تَغَيَّرَ اللونُ مني وعلا الشَّيبُ مَقَرِّي وَقَدَّالِي  
 ١٦ فَارْفُضِي الْعَاذِلِينَ ، واقْنِي حَيَاءً لا يَكُونُوا عَلَيْكَ حَظٌّ مِثَالِي  
 ١٧ وَبِحَظِّ مِمَّا نَعِيشُ ، فلا تَذْ هَبْ بِكَ التَّرَهَاتُ فِي الْأَهْوَالِ  
 \* \* \*  
 ١٨ دَرَّ دَرُّ الشَّبَابِ وَالشَّعَرِ الْأَسْدُ وَدِ الْوَاتِكَاتِ تَحْتَ الرِّحَالِ  
 ١٩ وَالْعَنَاجِيحِ كَالْقِدَاحِ مِنَ الشَّوْ حِطَّ يَتَحَمَّنُ شِكَّةَ الْأَبْطَالِ  
 ٢٠ وَلَقَدْ أَذْعَرُ السُّرُوبَ بِطَرْفِ مِثْلِ شَاةِ الْإِرَانِ غَيْرِ مُدَالِ  
 ٢١ غَيْرِ أَقْنَى وَلَا أَصَكَّ ، وَلَكِنْ مِرْجَمٌ ذُو كَرِيهَةٍ وَنِقَالِ

(١٥) المَفْرَقُ : وسط الرأس حيث يفرق الشعر . والقَدَّال : الشعر في مؤخر الرأس ما بين الأذنين .

(١٦) اقْنِي حَيَاءً : أى توارى نجلاً . « لا يكونوا عليك حظ مثالي » أى لا يكونوا عليك سوء حظ لشخص مثلي .

(١٧) « وبحظ مما نعيش » أى اقْنِي بما قسم لنا من حظ في حياتنا . والترهات : الأباطيل ، وأصل معناها الطرق الصغيرة الفرعية المنشعبة من الطريق الأساسى . يقول لها : لا تذهب بك أوهامك الباطلة في طريق مخفوف بالأخطار والأهوال ، يريد طريق الجشم والطمع وعدم القناعة بحظها في الحياة .

(١٨) من هنا يبدأ حديث الشاعر عن ذكريات شبابه يذكر بها زوجته المتمردة على شيخوخته وفقره لعلها ترجع عن الاندفاع في طريق الأخطار والأهوال . در در الشباب : دعاء للشباب بالخير ، والدر في أصل معناه اللغوى اللبن . والراتكات : الممرحات ، صفة للإبل ، من رتكت في سيرها إذا أسرعت .

(١٩) العناجيج : الخيل الطوال الأعناق . والقداح : السهام ، يشبه الخيل بها في ضهورها . والشوحت : شجر من أشجار البادية تتخذ منه القسي والسهام . والشكة : السلاح وعدة الحرب .

(٢٠) السروب : جمع سرب ، يريد أسراب الحيوان الوحشى الذى يخرج لصيده . والطرف : الجواد الأصيل الذى يجمع الأصالة من كلا طرفيها : الأب والأم . والشاة هنا : الثور الوحشى . والإران : موضع في الجزيرة العربية مشهور بقره الوحشى . والمذال : المهان ، من أذاله بمعنى أهانه . وغير مذكور نعت لطرف ، يصف جواده بأنه يكرمه ولا يهينه .

(٢١) الأقنى : المقرص الأنف ، وهو من عيوب الخيل . والأصك : المضطرب الركبتين والعرقوبين ، وهو أيضاً من عيوب الخيل . والمرجم : القوي الذى يرجم الأرض بحوافره . وذو كرية : يريد أنه صبور شديد التحمل . وذوق قال : مرجم في ثقل قوائمه في أثناء السير والعدو .

- ٢٢ يَسْبِقُ الْأَلْفَ بِالْمَدَجِّ ذِي الْقَوِّ نَسٍ حَتَّى يَثُوبَ كَالْتَّمَنَالِ  
 ٢٣ فَهُوَ كَالْمَنْزَعِ الْمَرِيشِ مِنَ الشَّوِّ حِطَّ مَالَتْ بِهِ يَمِينُ الْمُغَالِي  
 ٢٤ يَعْفُرُ الظُّبَى وَالظَّلِيمَ ، وَيُلَوِّى بِلَبُوبِ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ  
 ٢٥ وَلَقَدْ أَدْخُلُ الْجَبَاءَ عَلَى مَهْ ضُومَةِ الْكَشْحِ طَفْلَةَ كَالْغِزَالِ  
 ٢٦ فَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ مِيلَانَ الْكَشِيْبِ بَيْنَ الرَّمَالِ  
 ٢٧ ثُمَّ قَالَتْ : فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي وَفِدَاءُ لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي  
 ٢٨ وَلَقَدْ أَقْدَمُ الْخَمِيسَ عَلَى الْجَرِّ دَاءِ ذَاتِ الْجِرَاءِ وَالتَّنْقَلِ  
 ٢٩ فَتَقِيْنِي بَنَجْرَهَا ، وَأَقِيَهَا بِقَضِيْبٍ مِنَ الْقَنَّا غَيْرِ بَالِي

(٢٢) المدجج : المسلح ، صفة للفارس . والقونس : الخوذة يضعها الفارس على رأسه في أثناء القتال . حتى يثوب كالتمنال : أى في كامل حسنه لم تغيره شدة القتال . يصف جواده في أثناء القتال وهو يتقدم بفارسه المدجج بسلاحه فيسبق خيل العدو الكثيرة العدد ، ثم يخرج من المعركة كما دخلها لم تغيره شدتها .

(٢٣) المنزع : السهم ، وكذلك المريش ، يريد السهم الذى أعده للانطلاق . والمغالى : الذى يرفع يديه بالسهم إلى أعصاهما ليقدف به . وفي رواية أخرى « شمال المغالى » ، والمعنى على الرايتين واحد ، وهو وصف سرعة الجواد وشدة اندفاعه .

(٢٤) يعفر الظبي والظليم : أى يلقي بهما في التراب خوفا منه وذمرا وفزارا أمامه . واللبون : الناقة أو الشاة ذات اللبن . والمعزابة والمعزال بمعنى واحد وهو الراعى الذى يعتمد بإبله أو غنمه إلى مكان منزل لينجويها من خطر يهددها . ويلوى بها : أى ينفرها . والبيت استمرار في وصف جواده بالسرعة والاندفاع ، ووصف نفسه بالفروسية .

(٢٥) المهضومة الكشح : الضامرة الخصر الرشيقه . والطفلة : الناعمة اللينة . ينتقل هنا إلى الحديث عن مغامراته الغرامية التى استمتع بها في شبابه .

(٢٦) تماطيت : تناولت . يصف لهوه معها على طريقة معاصره امرئ القيس .

(٢٧) البيت استمرار في تقليد أسلوب امرئ القيس في حكاية مغامراته الغرامية .

(٢٨) أقدم : أتقدم وأصدر . والخميس : الجيش . والجرداء : القصيرة الشعر ، صفة للفرس . والجراء : الجرى . والتنقل : سرعة نقل القوائم عند السير والعدو .

(٢٩) القنا : الرماح : جمع قناة . وغير بالي : يريد أنه لم يبل لتقدم العهد به ، صفة للقضيبة .

وهو الرخ .



- ٣٠ ولقد أقطع السباسب والشَّـمَّ      سَبَّ عَلَى الصَّيْعَرِيَّةِ الشَّمْلَالِ  
 ٣١ عَنَتْرِيسِ كَأَنهَا ذُو وُشُوم      أَحْرَجَتْهُ بِالْجَوِّ إِحْدَى اللَّيَالِ  
 ٣٣ ثُمَّ أَجْرَى نَحَاضَهَا فَسْتَرَاهَا      ضَامِرًا بَعْدَ بُدْنِهَا كَالْهَلَالِ  
 ٣٣ ذَاكَ هَيْشٌ رِضِيَّتُهُ وَتَوَلَّى      كُلُّ عَيْشٍ مَضِيرُهُ لَزْوَالِ  
 ٣٤ صَبَرَّ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلَمٍّ      لَمَنَ فِي الصَّبْرِ جِلَّةَ الْمُحْتَالِ  
 ٣٥ لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ قَدْتُكَ      شَفُ غَمًّا وَهَا بَغِيرُ احْتِيَالِ  
 ٣٦ رُبَّمَا تَجَزَّعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ      يَرِي لَهُ فُرْجَةً تَحِلُّ الْعِقَالِ

(٣٠) السباسب : جمع سبب وهي الصحراء المستوية البعيدة . والشَّـمَّ : جمع شهاب وهي الأرض البيضاء الجرداء . لآليات فيها ولا ماء . والصيعرية : الناقة النجيبة الموسومة في حنقها . والشملال : السريعة (٣١) العتريس : الناقة الصلبة . والوشوم : فقط بيض وسود ، وذو الوشوم هو الثور الوحشي . وأحرجته : أبلجته إلى الحرج وهو المكان الكثير الشجر . والجو : الأرض الفضاء . ويريد بإحدى الليالي إحدى الليالي الباردة . وفي وصف الصيد في الشعر القديم يترأى الثور الوحشي دائما في جو بارد مطر وقد التجأ إلى شجرة يحتمي بها .

(٣٢) النحاض : اللحم . وأجرى نحاضها أى أهرله وأنضيه لكثرة السفر وطول الرحلة . والبدن : السمن . وتتردد صورة الناقة في الشعر القديم بعد الرحلة وقد أهرلها الرحلة كأنما أفنت لحمها وشحمها ولم تبق منها إلا الجلد والعظم . وتشبيهها بالهلال في ضهورها ونحوها ، وفي القرآن الكريم تشبيه القمر في الليالي الأخيرة من الشهر بالمرجون القديم في نحوه وانحنائه « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (ين ٢٩) .

(٣٣) في رواية أخرى « لهبال » بدلا من « لزوال » ، والهبال : الهلاك ، ومنه « هبلته أمه » و « لأم المخطيء الهبل » .

(٣٤) الملم : ما يزل بالإنسان من حوادث ونوازل . ومن هنا تبدأ الحكم التي يحتملها الشاعر قصيدته .

(٣٥) الغناء : الأمر الشديد . بنير احتيال : أى بدون أن يحتال لها صاحبها أو يقصد إلى حلها

(٣٦) له فرجة : أى له منفذ ونخرج من ضيقه وشدة . والعقال : الحبل يعقد لتعقل فيه الدابة وتشد به .

\* \* \*

يوسف خليف

## عَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ

هو علقمة بن عبدة — بفتح الباء — بن النعمان بن ناضرة بن قيس بن ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلي مجيد ، يعد من صدور الجاهلية وفحولها . قال ابن سلام : له ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر . ويقصد القصيدة المختارة ، والقصيدة التي أولها :

ذَهَبَتْ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ      وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ  
والثالثة أولها :

طَعَابِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ      بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

ولذلك أطلق عليه « علقمة الفحل » أو لأنه — كما تقول الروايات — نازع امرأ القيس الشعر — وكان صديقا له — ورضيا حكم أم جندب امرأة امرئ القيس ، فحكمت لعلقمة ، فنضب منها امرؤ القيس وطلقها فخلف عليها علقمة .

وقد تحدث في القصيدة المختارة عن نأى الحبيبة ، وبكى لفراقها ، ووصف الظعن ، ونعت صاحبته ، ثم وصف دمه وشبهه بما يفيض من الدلو العظيمة ، ونعت الناقة في استطراد جيد ، ثم عاد إلى وصف الحبيبة ، وتمنى أن تلحقه بها ناقة جعل لها وصفا مسها . ويفخر بحضوره مجلس الشراب ويصف الخمر والإبريق ، ويفخر بغلبته الأقران ، واشتراكه في الميسر ، واختراقه المفاوز ، وصبره على ردىء الطعام والشراب ، وبسيره في الهواجر ، وبأنه يقود فرسه أمام الحى ، ثم يصف هذه الفرس والإبل التي تسقى الجياذ من ألبانها .

## المِيجِيَّةُ الْمُخْتَارَةُ

- ١ هل ما عليت وما استودعت مكتوم أم حبائها إذا فأتك اليوم مصروم  
 ٢ أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبة يوم البين مشكوم  
 ٣ لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعننا كل الجمال قبيل الصبح مزوم  
 ٤ رد الإماء جمال الحى فاحتلوا فكلها بالترديدات معكوم  
 ٥ عقلا ورقا تظل الطير تحطفه كأنه من دم الأجواف مدموم  
 ٦ يحمان الأثرجة نصيح البير بها كأن تطياها في الأنف مشوم  
 ٧ كأن فأرة مسك في مفارقها للباسط المتعاطى وهو مزكوم

(١) حبائها : وصلها . مصروم : مقطوع .

(٢) لم يقض عبرته : لم يشف من البكاء . مشكوم : مثاب ، مكافأ .

(٣) أزمعوا : عزموا . الظعن : الارتحال . مزوم : شد بالزمام .

(٤) رددن الجمال من الرعى والارتحال ، وخص الجمال دون النوق ، لأن الظمان يحل على الذكور لأنها أشد وأذل نفسا . التريديات : ثياب منسوبة إلى تريد بن حيدان بن عمران بن الحاف ابن قضاة . المعكوم ، المشدود بثوب .

(٥) العقل والرقم : ضربان من الوشى فيما حرة جللوا بهما هوادجهم ، فالطير تضربها تحسبها من حررتها لحسا . مدموم : مطلى .

(٦) الأثرجة : فاكهة طيبة الرائحة ، شبه بها المرأة . النصيح : ما كان رشا . البير : أخلط الطيب تجمع بالزعفران . التطيا : تفعاله من الطيب . المشوم : المسك ، أى كأن ويحبها لا يفارق الأنف فهو أبدا مشوم .

(٧) فأرة المسك : دابة صغيرة أشبه بالخشف يؤخذ منها المسك . الباسط : الذى يسط يده إليها وكذلك معنى لفظ « المتعاطى » .

- ٨ فالعين منى كان غرب تحط به  
 ٩ قد عريت زمتنا حتى استطف لها  
 ١٠ قد أدبر العر عنها وهي شاملها  
 ١١ تسقى مذائب قد زالت عصيفتها  
 ١٢ من ذكري سلمى وما ذكري الأوان بها  
 ١٣ صفر البشاحين ملء الدرع خرعة  
 ١٤ هل تايحفتي بأخرى الحى إذ شحطوا
- دهماء حاركها بالقتب محزوم  
 كثر كفاة كير القين ملموم  
 من ناصع القطران الصريف تدسيم  
 حدورها من أنى الماء مطموم  
 إلا السفاه ، وظن الغيب ترجيم  
 كأنها رشأ في البيت ملزوم  
 جلدية كأنان الضحل علكوم

- (٨) الغرب : جلد ثور يخبأ دلوا . تحط به : تعتمد في جذبها إياه على أحد شقيها . دهما ، ناقة ، وإنما جعلها دهما لأن الدهم أقوى الأبل . الحارك : ملتقى الكتفين . القتب : الخشية توضع على سنام البعير . بقول : كأن عينى من كثرة دموعهما ليلانها غرب هذه حاله .
- (٩) عريت : أى من رحلها فلم تركب فترة من الزمن فهو أقوى لها . استطف : ارتفع . الكثر : بفتح الكاف وكسر ها : السنام . كير القين : موقد نار الحداد ، الملبوم : المجتمع .
- (١٠) العر : الحرب . الناصع : الخالص من كل شئ . التدسيم : الأثر . يقول : ذهب عنها الحرب وبقي أثر طلائه يشملها .
- (١١) تسقى : يعنى هذه الناقة . المذائب : مدافع الماء إلى الرباش . العصيفة : ورق الزرع زوال عصيفتها ، تفرقها واقتناحها من الرى . حدورها : ما انحدر منها واطمان . الآتى : السبل . مطموم : مملوء .
- (١٢) الأوان : الآن . بها : أراد لها . السفاه : العيش والخفة في العقل . يقول : ذكرى إياها الآن وقد فارقت سفه منى ، وظنى بها أنها تدوم على العهد أمر لا أحقه .
- (١٣) صفر البشاحين : موضع وشاحها نحىص لا يملأ درعها لضمور بطنها . ملء الدرع : تملأ فيصعبا لعظم عجيزتها وأوراكها . الخرعة : الناعمة . الرشأ : الغلي الصغير . ملزوم : مربى في البيوت وهو أحسن له .
- (١٤) أخرى الحى : الفرقة التى هى آخرهم ، شحطوا : بعدوا . الجلدية : الشديدة القوية الصلبة . الضحل : الماء القليل . أتان الضحل : الصخرة يجرفها السيل فتبقى في الماء . شبه الناقة بها لصلابتها لأن الصخرة إذا كانت في الماء امتلأت وصلبت . العلكوم : الغليظة .

- ١٥ كَانَتْ غَسَلَةً خَطْمِيٍّ يَمِشْقِرُهَا      فِي الْخَدِّ مِنْهَا وَفِي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمٌ  
١٦ بِمِثْلِهَا تُقَطَّعُ الْمُومَةُ عَنْ عُرْضٍ      إِذَا تَبَغَّمَ فِي ظُلُمَاتِهِ الْبُومُ  
١٧ تُلَاحِظُ السُّوْطَ شَرْزًا وَهِيَ ضَامِرَةٌ      كَمَا تَوَجَّسَ طَاوِي الْكَشْحِ مَوْشُومٌ  
١٨ كَانَهَا خَاضِبٌ زَعْرٌ قَوَادِمُهُ      أَجْنَى لَهُ بِاللَّوِيِّ ثَمَرِيٌّ وَتَشُومُ  
١٩ يَظُلُّ فِي الْحَنْظَلِ الْخُطْبَانُ يَنْفَقُهُ      وَمَا اسْتَطَفَّ مِنَ التَّنُومِ مَخْذُومٌ  
٢٠ فُوهٌ كَشَقُّ الْعَصَا لَا يَأْتِيْنُهُ      أَسْكٌ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ  
٢١ حَتَّى تَذَكَّرَ بِيَهْضَاتٍ وَهَيْجَةٍ      يَوْمٌ وَذَاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغِيومٌ

(١٥) الغسلة : ما غسل به الرأس . الخطمي : نبات يغسل به . التلغيم : تفعليل من اللغام وهو زبد تخالطه خضرة مما رعت .

(١٦) المومة : الفسالة . من مرض : أى بهترضا ، أى يمتسها ويسير فيها هل غير قصد . تبغم : صوت صوتا يختلعه .

(١٧) الشرز : النظر بمؤخر العين من حدثها . الضامرة : التى لا ترغر من ضجره . توجس : تسمع . طاووى الكشح : ضامر الخاضرين . موشوم : فى قوائمه نقط سود . يقول : تقاب آذانها إلى السوط والزير كما يتوجس هذا الثور .

(١٨) الخاضب : الظليم قد احمر جلده وسافاه . الظليم : ذكر النعام . وشبه الناقة به لسرعته فإن الخليل لا تطالبه . القوادم : ويشات فى مقدم الجناح . أجنى النبات : أدرك أن يجنى . اللوى : ما انعطاف من الرمل . الشرى : شجر الحنظل والظليم يأكله . التنوم : شجر ورقه يشبه ورق الآس ينحت ورقه فى القبيظ ويرب فى الشتاء .

(١٩) الخطبان : الحنظل فيه خطوط تضرب إلى السواد وهو أشد ما يكون مرارة . ينفقه : يستخرج حبه . استطف : ارتفع . مخذوم : مقطوع .

(٢٠) لآيا : بطينا . تبينه : تبينه . أى فوه لاصق ليس بمفتوح ، لا تسنيه إلا بعد بطة . أسك : أصم ، أو صغير الأذن لاصق بالرأس . المصلوم : المقطوع الأذنين .

(٢١) يقول : هذا الظليم يرى الخطبان والتنوم ، ثم تذكر بهضه وقد هيجه المطر الخفيف فراح إلى بهضه قبل أوان الرواح . مغيوم : قبه غيم .



٢٢	فلا تَزِيدُهُ فِي مَشْيِهِ نَفِيقٌ	ولا الزَّيْفُ دَوِينُ الشَّدِّ مَسْؤُومٌ
٢٣	يَكَادُ مَنْسَمُهُ يَخْتَلُّ مَقْلَتَهُ	كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخِيسِ مَشْهُومٌ
٢٤	وَضَاعَةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جُوجُوءٌ	كَأَنَّهُ يَنْتَاهِي الرُّوضِ عُلْجُومٌ
٢٥	يَأْوِي إِلَى حِسْكِي زُعِيرٍ حَوَاصِلُهُ	كَأَنَّهُ إِذَا بَرَّكَنَ جَرْتُومٌ
٢٦	فَطَافَ بَطُوفَيْنِ بِالْأَدْحَى بِفَقْرِهِ	كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخِيسِ مَشْهُومٌ
٢٧	حَتَّى تَلَاقَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ	أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ
٢٨	يُوحِي إِلَيْهَا بِانْقَاضٍ وَتَقْنَقَةٍ	كَمَا تَرَا طُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ
٢٩	صَعَلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوءٌ	بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خِرْقَاءُ مَهْجُومٌ

(٢٢) التزيد : السير السريع . النفق بكسر الفاء : السريع الذهاب . الزيف : دون الشد قليلا . مسؤوم : من السأم ، يعني أنه لا يسأم الزيف .

(٢٣) منسمه : ظفره . يقول : يرج برجليه زجا شديدا ويخفض عنقه فيكاد منسمه يشك هبته : المشهوم : الفزع المروع . والشطر الشان هو نفسه المكرر في البيت ٢٦ حسب رواية المفضليات . .  
(٢٤) الوضع : عدو مريع من عدو الابل . والناء في « في وضاعة » للبالغة كملابة ونسابة ، وصف به الظالم ، الجوجؤ : الصدر . الشرع : الأوتار ، واحدها شرعة . وعصيا : البربط أى عود الفناء . شبه صدر الظالم بالبربط في تقومه . التناهى : جمع تنهية : وهى الأماكن المطلقة ينتهى إليها الماء . العلجوم : البعير الطويل المطلق بالقطران .

(٢٥) الحسكل : القراخ . جرتوم : جمع جرتومة وهى أصول الشجر .

(٢٦) الأدحى : مبيض النعام . يققره : ينظر إليه هل يرى به أثرا .

(٢٧) تلاقى : تدارك . عرسين : أى هو ونعامته .

(٢٨) يوحى إليها : يصورها فتفهم عنه . الإنفاض التصويب . التقنقة : صوت الظالم .

الأفدان : القصور جمع فدن .

(٢٩) الصعل : الخفيف الرأس والعنق . يقول : يرفع جناحيه فى عدوه ويحطهما فكانه بيت شعر

أوصوف ترقه امرأ خرقاء غير صناع فتى ترقه يسقط . مهجوم : ساقط مهدوم ، صفة للبيت .

٣٠. تَحْفَهُ هِفْلَةً سَطَعَاءُ خَاضِعَةً      تُجِيئُهُ زِمَارٌ فِيهِ تَرْنِيمٌ  
 ٣١. بَلْ كُلُّ قَوْمٍ وَإِنْ عَزَّوَانِ كَثُرُوا      عَرِيفُهُمْ بِأَنَافِي الشَّرِّ مَرْجُومٌ  
 ٣٢. وَالْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا لَهُ ثَمَنٌ      مِمَّا يَضُنُّ بِهِ الْأَقْوَامُ مَعْلُومٌ  
 ٣٣. وَالْجَسُودُ نَافِيَةٌ لِلَّالِ مَهْلَكَةٌ      وَالْبُخْلُ بَاقٍ لِأَهْلِيهِ وَمَذْمُومٌ  
 ٣٤. وَالْمَالُ صَوْفُ قَرَارٍ يَلْعَبُونَ بِهِ      عَلَى نِقَادَتِهِ وَآفٍ وَجْجَلُومٌ  
 ٣٥. وَمُطْعَمُ الْغَنَمِ يَوْمَ الْغَنَمِ مُطْعَمُهُ      أَنَّى تَوَجَّهَ ، وَالْمَحْرُومُ مُحْرُومٌ  
 ٣٦. وَالْجَهْلُ ذُو عَرَضٍ لَا يُسْتَرَادُّ لَهُ      وَالْحِلْمُ آوْنَةٌ فِي النَّاسِ مَعْدُومٌ  
 ٣٧. وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرْبَانِ يَزْجُرُهَا      عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بُدَّ مَشْؤُومٌ  
 ٣٨. وَكُلُّ حِمَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ      عَلَى دَعَائِمِهِ لَا بُدَّ مَهْدُومٌ  
 ٣٩. قَدْ أَتَمَّ الشَّرْبَ فِيهِمْ مِنْ هَرَرِيمٍ      وَالْقَوْمُ تَصَرَّعَهُمْ صَهْبَاءُ نَحْرُومٌ

(٣٠) تحفه : تحف الظالم ، الهفلة : النعامة . السطعاء : الطويلة العنق . الخاضعة : التي تميل رأسها للرى . الزمار : صوت أنثى النعام ، والعرار صوت الذكر .

(٣١) عريفهم : رئيسهم . الأنافي : الحجارة التي تصعب عليها القدر ، جنماها : تلا للرى ، يقول : كل قوم وإن كانت لهم منعة تصيبهم نوابس الدهر .

(٣٤) القرار : غنم صفار الأجسام لطاف الآذان ، الواحدة قرارة . يلعبون به : يتداولونه ويعبثون فيه . على نقادته : على صفراء أجسامه . الوافي : النام الكثير . المجلوم : المجزوز . يعنى أن الناس مختلفون ، منهم الغنى الكثير ومنهم الفقر الذى لأمال عنده ، كالقرار على صفراء أجسامه ، منه ما هو وافي الصوف ومنه ما لا صوف عليه .

(٣٥) يقول : الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه ، ومن حره فليس يناله .

(٣٦) لا يستراد له : لا يراد ولا يطلب . أى يرض لك وأنت لا تريد .

(٣٧) يقول : من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم .

(٣٩) الشرب : جمع شارب . المزهر : العود . رنم : مترنم . الصهباء : نحر من عصير عنب أبيض . النخرطوم : أول من ينزل منها صافية .

- ٤٠ كَأْسٌ عَزِيزٌ مِنَ الْأَعْنَابِ عَتَّقَهَا  
 ٤١ تشفى الصداع ولا يؤذيكَ صالِبُها  
 ٤٢ عَانِيَةٌ قَرَقَفٌ لَمْ تُطْلَعْ سَنَةً  
 ٤٣ ظَلَّتْ تَرَقُّقٌ فِي النَّاجُودِ يَصِفُهَا  
 ٤٤ كَانَ إِبْرَيْقُهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ  
 ٤٥ أَبْيَضٌ أَبْرَزُهُ لِلضُّحَى رَاقِبُهُ  
 ٤٦ وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشِيعُنِي  
 ٤٧ وَقَدْ يَسَّرْتُ إِذَا مَا الْجَوْعُ كَلَّفَهُ
- لبعض أحيائها حَانِيَةٌ حُومٌ  
 ولا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمٌ  
 يُجْنِئُهَا مُدَجٌّ بِالطَّيْنِ مَخْتُومٌ  
 وَلَيْدٌ أُنْجَمَ بِالْكَتَّانِ مَقْدُومٌ  
 مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَرْنُومٌ  
 مَقْلَدٌ قَضَبَ الرِّيحَانِ مَفْغُومٌ  
 مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالْخَيْرِ مَوْسُومٌ  
 مَعْقَبٌ مِنْ قِدَاحِ النَّبْعِ مَقْرُومٌ

(٤٠) العزيز: الملك . لبعض أحيائها : يقول أعدها لفصح أو عيد . حانية : قوم نحارون نسبوا إلى الحانة ، الواحد حاني . الحوم بضم الحاء : الكثير .

(٤١) الصالب : وجع في الرأس يدور منه . التدويم : الدوار .

(٤٢) عانية : منسوبة إلى عانة ، قرية من قرى الجزيرة . القرقف : التي تأخذ شاربيها منها رعدة . لم تطلع سنة : مكثت سنة في دنيا لم ينظر إليها . يجنئها : يسترها . مدحج : يعني الدن أدمج بالطين . مختوم : معلم عليه .

(٤٣) ترقرق : تذهب وتجي . الناجود الباطية العظيمة أو الرادوق . يصفقها : يمزجها . وليد أنجم : يريد خادم سيد أنجمي . مقدم : من القدام ، وهو الخرقعة يشدها الغلام على فيه إذا أراد أن يسقى القوم ، وهذا من زى القرم وذلك لكي لا يخرج من فيه شيء فيصل إلى القدح .

(٤٤) شبه انتصاب الإبريق وبياضه بظبي على مكان مرتفع . مقدم : وصف للإبريق . بسبا الكتان : أراد « بسباب الكتان » فحذف باقي الكلمة . والسباب : جمع سبيبة وهي الشقة . المرنوم : الذي قد رثم أنفه أي كسر .

(٤٥) أبرزه : أخرجه لتصديه الريح . الضح : الشمس . راقبه : حافظه وحارصه . مفغوم : كأنه مسدود بكثرة ريح الطيب . يقال فغمثني ريح طيبة إذا دخلت في أنفك فسدت نفاشيك .

(٤٦) يشيعني : يجعلني جريئاً . الماضي : القاطع ، أراد سيفه .

(٤٧) معقب : يعني قدحاً قد شد بالعقب علامة له . والعقب العصب . النبع : شجر تتخذ منه القسي والقداح . مقروم : معضوض ليكون علامة له . يقول : قد أخذت في الميسر في الوقت الذي يكلف دفع الجوع فيه القداح ، ليس معول على لبن أو طعام غير الضرب بها .

- ٤٨ لو يَسِرُونَ يَخِيلُ قَدْ يَسَرْتُ بِهَا وَكُلُّ مَا يَسِرَ الْأَقْوَامُ مَغْرُومٌ  
 ٤٩ وَقَدْ أَصَاحِبُ فِتْيَانًا طَعَامُهُمْ خُضْرُ الْمَزَاكِ وَلَحْمٌ فِيهِ تَنْشِيمٌ  
 ٥٠ وَقَدْ عَلَوْتُ قَتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الْجُوزَاءُ مَسْمُومٌ  
 ٥١ حَامٌ كَانَ أَوَّارَ النَّارِ شَامِلُهُ دُونَ الثِّيَابِ وَرَأْسُ الْمَرْءِ مَعْمُومٌ  
 ٥٢ وَقَدْ أَقْوَدُ أَمَامَ الْحَيِّ سَلْهَبَةً يَهْدِي بِهَا نَسَبٌ فِي الْحَيِّ مَعْلُومٌ  
 ٥٣ لَا فِي شَطَاها وَلَا أَرْسَاعِها عَتَبٌ وَلَا السَّنَابِكُ أَفْنَاهُنَّ تَقْلِيمٌ  
 ٥٤ سُلَّاءٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ خُلَّ لَهَا ذُو فَيْئَةٍ مِ نَ نَوَى قُرَّانٍ مَعْجُومٌ

- (٤٨) يقول : إنما يكون الميسر بالإبل وإنما يأخذ في الميسر كبارهم ، فلو صاروا إلى أن يسروا بالخيول ليسرت بها . مغروم : إذا خرج عليه شيء غرمه .  
 (٤٩) يقول : طال سفرهم فاخضر مزادهم وصار عليه شبيه بالطعيب . التنشيم : بدء تغير اللحم ، وأراد بالطعام الطعام والشراب فاكتفى بأحدهما .  
 (٥٠) قنود الرحل : هيدانه . يسفعني : يصيبني حرقه . الجوزاء : من بروج السماء . مسموم : هبت فيه ريح السموم .  
 (٥١) أوار النار : لهاها . دون الثياب : أي يصل الحر من شدته دون الثياب والعمامة ، أي يتجاوز ذلك إلى البدن .  
 (٥٢) السلهبة : الطويلة من الخيل ، يهدي بها : يقدمها . أي يقودها نسب لا ينقطع لأنها ذات عرق كريم .  
 (٥٣) الشظا : عظم لاصق بالركبة . العتب : العيب . السنايك : مقادير الخوافر . يقول : هي واقية السنيك لم تأكله الأرض .  
 (٥٤) السلاء : شوكة النخل . شبه فرسه بها لإرهاق صدرها وتمايم عجزها . النهدي : أراد شيخنا من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . ذو فئية : ذورجوع . يريد أن النوى علفته الخيل ثم بعثته فهو أصلب . قران : قرية باليمامة لبني حنيفة كثيرة النخل نوى تمرها صلب . معجوم : معضوض ، يريد أنه أدخل جوف فرسه هذا النوى حتى اشتد لجمها ، وأنها خلقت لها في بطن حوافرها نسور صلاب كأنها النوى ذو الفئية .

- ٥٥ يَتَّبِعُ جُونًا إِذَا مَا هِجَّتْ زَيْجَتُهَا      كَانَ دُفًّا عَلَى الْعِلْيَاءِ مَهْزُومٌ  
 ٥٦ إِذَا تَزَغَمَ مِنْ حَافَاتِهَا رُبْعٌ      حَنَّتْ شَغَامِيمُ فِي حَافَاتِهَا كُومٌ  
 ٥٧ يَهْدِي بِهَا أَكْلُفُ الْخَلْدَيْنِ مَخْتَبِرٌ      مِنَ الْجَحَانِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْثُومٌ

\* \* \*

- (٥٥) الجون : الإبل السود . أى تتبع هذه القرس الإبل لتسقى من ألبانها . الزجل : ارتفاع الصوت . مهزوم : مشقوق فهو أبح للصوت . يعنى إذا هيجت الإبل للورد سمعت لها صوتا عاليا . لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع .  
 (٥٦) تزغم : حن حنينا خفيا ، أى تزغم لأمه . حافاتها : نواحيها . الربع : ما نتج في الربيع . الشغاميم : جمع شغموم وهى الناقة الطويلة . كوم : عظام الأسنة .  
 (٥٧) يهدى بها : يتقدمها . أكلف الخلدین : يعنى مغلها . والكلفة : جمرة فيها سواد . المختبر بكسر الباء : المجرب ، ويفتحها : المشهور بالنجاة . العيثوم : الضخم .

\* \* \*

سيد حنفي



## السَّمَوِيُّ بن عَادِيَاء

### مَوَاطِنُ الْفَخْرِ

السَّمَوِيُّ بن عُرَيْض بن عَادِيَاء شاعر جاهلي مجيد من بني هَذَل وهم ليسوا من بني قُرَيْظَةَ ولا النُّضَيْر ، وهذا الاسم عبراني أصله شمويل فأعربتته العرب وهو الذي يعرف الآن باسم صمويل أو صموئيل . ويضرب المثل بالسَّمَوِيُّ في الوفاء عند العرب ، فيقال ( أوفى من السَّمَوِيِّ ) ويرجع سببها إلى أن أمراً القيس أودعه ماله وأدراعه في سفره إلى قيصر ، بخاء الحارث بن ظالم المري وأسر ابنه وكان خارج الحصن الذي يمتلكه ويشتهر به واسمه الأبلق الفرد ، وكان على رابية مشرفاً على تيماء ، وهي بلد بين الشام والحجاز ، فخبره بين قتل ابنه وخيانة أمانته بتسليمه أموال امرئ القيس وأدراعه ، فاختر الوفاء وأسلم ابنه للقتل . وفي ذلك يقول الأستاذ محمود محمد شاكر : خالف السَّمَوِيُّ خدر أهل دينه ، ووفى بعريته . وهو في هذه الأبيات التي اخترناها له يفخر بالقيم العربية الأصيلة فيقول إن الإنسان يعظم بابتعاده عن اللؤم ، واللؤم اسم جامع لصفات الخسة ودناءة النفس . وكذلك يشرف المرء ويكتسب حمد الناس حين يستخدم دلمه ويكظم غيظه ويصبر على المشقات ويعذب النفس في سبيل الحق والمجد . والأعجاف لا تقاس بعدد أفراد كل قبيلة ، بل بعدد من فيها من الكرام وهم قلة ، فليس من سبيل إذن لتعير الشاعر بقلة عددهم ، فهم رجال يتسابقون إلى المحامد والمفاخر شبانهم وكهولهم ، وكيف يكون هؤلاء قليلي العدد وهم قادرون على

حماية من يجيرونه وإبقائه عزيزا مكرما ، بينما تجدد قبائل أخرى كثيرة العدد غير قادرة على حماية جيرانها فيلحق بهم الذل والعار .

ويفخر الشاعر بمجد قومه الراسخ رصوخ الجبل المنيع الشاخ الذي لا تستطيع الأبصار أن تدركه لسموّه وارتفاعه كأنه النجم في السماء . ومن مفاخر قومه أنهم لا يرون في قتالهم في أرض المعركة عارا يلحق بهم كما يظن أعداؤهم من قبيلتي عامر وسلول ، بل يجدون فيه سببا للفخر حتى إنهم يتمنونه ، فتقصر أعمارهم بسبب حبهم للموت في المعارك ، بينما تطول أعمار أعدائهم لعدم استبسالهم وجبنهم وزارهم وكرهم للموت . ولا تجد بطلا من أبطالهم يموت موتا هينا على فراشه ، لأن موت الأبطال يكون في ساحة الحرب والنضال ، وهم في الوقت ذاته لا يسيكتون على ثأرهم ، فلا يذهب دم قتلاهم هدرا وهم يختارون لأنفسهم أشرف الموت وهو القتل بالسيف في أثناء الصراع والمجادة في الحرب وليس القتل بالعصى والجحارة شأن العبيد ، أو شأن الجبناء الذين ينالهم أعداؤهم من بعيد لنكوصهم من أرض المعركة .

ويفخر الشاعر بطيب أصولهم من حيث الآباء والأمهات ، فهم من سلالة عريقة شريفة لم تختلط بدنس في النسب ، بل هي صافية من كل شائبة تنزل بقدرهم ، صفاء ماء السحاب ، فمن أين يأتيهم إذن اللؤم بما فيه من جبن وبخل وضعف ، وهي صفات أبعد ما تكون من العربي الأصيل الشريف ؟

وقد بلغ من قوتهم واعتدادهم بأنفسهم ومعرفة الناس قدرهم أنهم أصبحوا سادة رؤساء يغيرون ما يشارون ويثبتون ما يشاءون ، لا بمعقب على فعلهم ، ولا راد لقولهم ، وهم سلالة كريمة شريفة بعضها من بعض ، فإذا قضى بطل منهم نخبه مقاتلا كدأبهم خلفه بطل آخر يصدق فعله قوله فلا يتلون ولا يتغير .

وهم قوم كرماء يوقدون النار ليقبل عليهم الضيوف فينالوا من برهم وكرمهم ما يلهج ألسنتهم بالشكر ، ولم يحدث قط أن عابهم ضيف لأنهم حريصون على القوي يقدمون لضيوفهم كل ما يرضيهم من طعام ومأوى .

ويعود الشاعر للفخر بحروب قومه واستبسالهم في القتال حتى صارت وقائعهم معالم بارزة معروفة مأثورة تشهد على شجاعتهم وقوتهم واقتدارهم على أعدائهم . وقد ظهرت آثار المعارك المتصلة في سيوفهم إذ تثلثت من كثرة ما قارعوا بها الأبطال في حروبهم . وهي قد عودت إذا سلّت ألا تغمد حتى تؤدي مهمتها وتنتصر على أعدائها . وهذه المفارح جميعا لا ينكرها غير الجاهل الذي في قلبه مرض . ويعان الشاعر في ختام أبياته أن قومه هم السادة الذين يلجأ إليهم في المهمات ويستشارون في المهمات .

\* \* \*

- |   |                                 |                           |
|---|---------------------------------|---------------------------|
| ١ | إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه | فكل رداء يرتديه جميل      |
| ٢ | وإن هو لم يتحمل على النفس ضيمها | فليس إلى حُسن الثناء سبيل |
| ٣ | تُعيّرنا أنا قليل عديدا         | فقلت لها إن الكرام قليل   |
| ٤ | وما قل من كانت بقاياها مثلنا    | شباب تسامى للعلا وكهول    |
| ٥ | وما ضرنا أنا قليل وجارنا        | عزيز وجار الأكثرين ذليل   |

(١) العرض : كل ما يدافع عنه الإنسان ، واللؤم كلمة جامعة لخصال السوء .

(٢) الضيم : الظلم والهلوان ، والمقصود إهانة النفس طلبا للحق واكتسابا للجد .

(٣) العديده : العدد ، وعير : عارا .

(٤) شباب مصدر في الأصل وصف به ، تسامى : أصلها تسامى فحذف إحدى الناءين للتخفيف والكهول : جمع كهل وهو الذي وخطه الشيب .

(٥) ما ضرنا : يجوز أن يكون ما حرف نفى والمعنى لم يضرنا ، ويجوز أن تكون اسما مستفهما به على طريق التقرير ، والمعنى أى شيء يضرنا ؟

- ٦ لنا جبلٌ محتله من يجيره  
٧ رسا أصله تحت الثرى وسما به  
٨ وإنا لقومٌ ما نرى القتل سبة  
٩ يقرب حب الموت آجالنا لنا  
١٠ ومات منا سيدٌ حنق أنفه  
١١ تسيل على حدّ الغلّيات نفوسنا  
١٢ صفونا فلم نكدر وأخلص يمرنا  
١٣ علونا إلى خير الظهور وحطنا  
١٤ فنحن كماء المزن مافي نصاينا  
١٥ ونشكر إن شئنا على الناس قوهم  
١٦ اذا سيدنا خلا قام سيد
- منيع يرد الطرف وهو كليل  
إلى النجم فرع لا ينال طويل  
إذا ما رآته عامر وسلول  
وتكرهه آجالهم فتطول  
ولا طلل منا حيث كان قتيل  
وليست على غير الغلّيات تسيل  
إنات أطابت حملنا وحول  
لوقت إلى خير البطون نزول  
كهام ولا فينا يعد بنجيل  
ولا ينكرون القول حين نقول  
قؤول لما قال الكرام فعول

(٦) جبل : عز ومجد ، يحتله : يدخل فيه ، الطرف : النظر ، كليل : عاجز ضعيف .

(٧) أصله : يعنى أساس الجبل وهو العز والمجد ، وفرعه يعنى أعلاه .

(٨) السبة : ما يسب به الإنسان ، وعامرهم بنو عامر بن صعصعة ، وسلول هم بنو مرة بن صعصعة .

(١٠) مات حنق أنفه : أى على فراشه ، وأصله حنقه بأنفه ، أى بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند خروج الروح ، وليس دفعة واحدة كما يحدث عند القتل . وطل دمه : أى ذهب هدرا دون أن يثار له .

(١١) الغلّيات جمع غلبة وهى حد السيف .

(١٢) السر : النكاح ، والمقصود بالإناث الأمهات ، والفحول الآباء .

(١٣) يعنى بالظهور الآباء ، وبالبطون الأمهات ، والوقت الذى يشير إليه وقت الأظهار .

(١٤) المزن : السحاب ، والكهام : الكليل الحد الضعيف .

(١٦) خلا : أى مضى وانقضى أمره ، قزول : صيغة مبالغة من قائل ، وفحول : صيغة مبالغة

من فاعل .

- ١٧ وما أُنحِدَتْ نارُنا دونَ طارقٍ      ولا ذَمُّنا في النَّازِلينَ نَزِيلُ  
١٨ وأَيَّامُنَا مشهُورَةٌ في صَدُونَا      لها غَرَرٌ معلومةٌ ومَجْجُولُ  
١٩ وأَسِيفُنَا في كلِّ غَرْبٍ ومَشْرِقٍ      بها من قِرَاعِ الدَّارِعينَ فُلُولُ  
٢٠ مَعُودَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا      فتُغَمَّدُ حتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ  
٢١ سَلَى إِنْ جَهِلَتْ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَكُمْ      وليس سَوَاءَ عَالِمٌ وَجْهٌ هُولُ  
٢٢ فإِنْ بَنَى الدِّيَّانَ قُطْبُ لِقَوْمِهِمْ      تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

(١٧) النار التي معنا نار الضيافة : والطارق : زائر الليل ، والنزِيل : الرفيق والجليس .

(١٨) الأيام : الوقائع والحروب ، الغرر : جمع غرة وهو البياض الذي يكون في جهة الفرس ، والمجول : بياض في مواضع الجمل من الفرس وهو القيد والخلخال .

(١٩) قراع : نزال وحرب ، الدارعين : الذين يلبسون الدروع خوفاً من الطعنات ، والفلول : ما يكون في السيف من تلحم بسبب كثرة الاستخدام وشدة الضرب .

(٢٠) تغمد : ترد في أغمارها ، قبيل : قبائل .

(٢٢) القطب : الحديدة في العقب الأسفل من الرمح يدور عليها العقب الأعلى ، ومنه جاء القطب بمعنى السيد والزعيم .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة



## أَبُو دُوَادِ الْإِيَادِيُّ رَحْلَةُ صَيْدٍ

أبو دُوَادِ الْإِيَادِيُّ اسمه جارية بن الحجاج بن خدامة وقيل حنظلة بن الشرقى ،  
من أشهر وصافي الخيل في الجاهلية ، وكان في عصر كعب بن مامة الْإِيَادِيُّ الذي  
آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى فمات عطشا فضرب به المثل في الجود . وهو  
في هذه الأبيات التي اخترناها له يصف منزلا من منازل البادية ، قد أهل بالوحش  
وقد اعتزم الصيد وأعد فرسه لذلك فانتطاه غلام له في أول النهار وانطلق به  
فأصاب صيدا كثيرا ، وأفاض الشاعر في وصف فرسه .

\* \* \*

- ١ ودارٍ يقول لها الرائدو نَ ويلَ أم دار الحُذَاقِ دارا
- ٢ فلما وضَعْنَا بها بَيْتَنَا نَتَجَبَا حُوارا وصَدْنَا حِمَارا
- ٣ وبات الظَّليمُ مكانَ المِجَنِّ (م) تَسْمَعُ بِاللَّيْلِ مِنْهُ عِرَارا
- ٤ وراح علينا رِعاءُ لنا قَقَالُوا : رأينا بهجَلٍ صِوارا
- ٥ فَبَيْتُنَا عُرَاةٌ لَدَى مُهْرِنَا نُنَزِّعُ مِنْ شَقَتِيهِ الصَّفَارا

(١) الحذاق : يعنى نفسه نسبة إلى قبيلة حذافة وهى فرع من إياد ، والرئدون : الذين يرودون  
المكان لاستكشافه .

(٢) نتجنا : ولدنا ، الحوار : ولد الناقة .

(٣) الظليم : ذكر النعام ، المجن : الترس ، العرار : صوت ذكر النعام .

(٤) الهجل : المكان المظلم بين الجبال ، الصوار : القطيع من البقر .

(٥) عرابة : يعنى مقيمين ، الصفار : نبت له شوك .

- ٦ وَبَنَّا نَفَرْتَهُ بِالْجَم      نريد به قَنَصًا أَوْ غَوَارَا  
 ٧ فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدْفَةٌ      ولاح من الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا  
 ٨ غَدَوْنَا بِهِ كَيْسَوَارِ الْمَلُ      كِ مَضْطَمِرًا حَالِبَاهِ اضْطَمَارَا  
 ٩ مَرْوَحًا يُجَاذِبُنَا فِي الْقِيَادِ      تَخَالُ مِنَ الْقُوْدِ فِيهِ اقْوَرَارَا  
 ١٠ ضَرْوَحَ الْجَمَاتَيْنِ سَامَى التَّلِيلِ      وَثُوبًا إِذَا مَا انْتَحَاهُ الْخَبَارَا  
 ١١ فَلَمَّا عَلَا مَسْنِيَهُ الْغُلَامُ      وَسَكَنَ مِنْ آلِهِ أَنْ يُطَارَا  
 ١٢ وَمُسِيرِجٍ كَالْأَجْدَلِ الْفَارِسِيِّ (م) فِي لُثْرِ سِرْبٍ أَجَدَّ النَّفَارَا  
 ١٣ فَصَادَ لَنَا أَكْثَلُ الْمُقَاتِلَةِ      مِنْ خَلَا وَآخَرَى مَهْمَةً نَوَارَا  
 ١٤ وَعَادَى ثَلَاثًا فَيَخَرَّ السَّنَا      نُنَّ إِمَّا نُصُولَا وَإِمَّا انْكَسَارَا  
 ١٥ أَكَلْتُ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا      وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا ؟

(٦) نفرته : نجومه ، القنص : الصيد ، الغوار : الغارة .

(٧) سدفة : ضوء ، وهى من الأضداد .

(٨) الخلوكة : المرأة الفاجرة المتهاكمة على الرجال ، مضطمر : ضامرا ، الحالبان : عرقان من السرة إلى البطن .

(٩) مروحا : شديد المرح أى الخفة والنشاط ، القياد : الحبل الذى يقاد به ، القود : مصدر قاد ، الاقورار : تشنج الجلد .

(١٠) الضروح : الفرس الذى يضرب برجله ، الجماتان : لجمتان فى عرض الساق ، سامى التليل : مرتفع العنق ، انتحاه : قصده ، الخبار : اللين من الأرض .

(١١) المتنتان : مثلتا الظهر من يمين وشمال ، آله : شخصه .

(١٢) الأجدل : الصقر ، والنفار : الحرب .

(١٤) عادى ثلاثا : والى بينها قتلا ، النصول : خروج النعل من الرمح .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## لَقِيطُ بْنُ يَعْمُرَ الْإِيَادِيّ

هو لقيط بن يعمر بن خارجة بن عوثبَّان الإيادي ، شاعر جاهلي قديم ، أخباره قليلة ، يشير بعضها إلى أنه كان كاتب كسرى وترجمانه سرياً من سادات قومه ، فاطلع على أسرار دولة الفرس التي عاش في بلاط ملكها ، ويقال إنه حبس في سجن كسرى فأطلقه وأمره أن يكتب إلى قومه ليجتمعوا فيغير عليهم فيقتلهم ، وإن كان أبو هلال العسكري عارض هذا حين ذكر أنه كان « رهينة عند إياد لئلا يعيشوا » . ومهما كان الأمر فإن لقيطاً قد حذر قومه يوم أحس رغبة كسرى في قتال إياد ، ولما لم يأتوا بإنذاره السريع أرسل إليهم قصيدته العينية التي حضهم فيها على قتال الفرس ، ودعاهم للتهيؤ للملاقاة جيشهم اللجب ، فلما وقع كتابه بين يدي كسرى قطع لسانه وقتله ، فذهب شهيد وفاته لقومه وحرصه عليهم .

وعدت قصيدته العينية عند بعض القدماء من القصائد المفردات الجاهليات التي لا يعرف في مثل معناها وجودتها وجزالة ألفاظها . وموضوعها تحريض قومه ضد أعدائهم ، وعلى الرغم من أن كثيراً من القصائد قد قيلت في هذا الموضوع إلا أن النقاد سجلوا إعجاباً خاصاً بهذه القصيدة فذهب ابن الأثير إلى أنها من أجود ما قيل في صفة الحرب . وقد كانت إياد — قبيلة الشاعر — تنزل سنداد وهو نهر فيما بين الحيرة والأبلة ، وكان عليه قصر تحج إليه العرب ، وكانت إياد أكثر نزار عدداً ، وكانت ترفض دفع الإتاوة لأحد من الملوك . وبلغ من جراتهم أنهم توجهوا إلى امرأة كسرى أنوشروان فأخذوها وأخذوا معها أموالها ،

بجهز إليهم كسرى جندا من عنده مرتين وكانت إياد تنتصر عليهم . ثم ارتحلوا  
حتى نزلوا الجزيرة فوجه إليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفا في سلاحهم ، وكان  
لقيط بن يعمر الإيادى ينزل الحيرة فبلغه الخبر فكتب إلى إياد وهم بالجزيرة :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط      إلى من بالجزيرة من إيادِ  
بأن الليث كسرى قد أتاكم      فلا يشغلنكم سوقُ النِّقَادِ  
أتاكم منهمُ ستون ألفا      يزجون الكتابَ كالجرادِ  
على حنق أتينكمُ فهذا      أو أن هلاككم كهلاك عادِ

فلما وردت الخيل كتب لقيط إلى إياد هذه القصيدة اتى اختراها يحذرهم  
ويحرضهم على الاستعداد للحرب ويصف لهم الخيل .

ويبدو أن القصيدة قد أدت وظيفتها كما أرادها لها صاحبها ، فقد روى  
أن إيادا حين بلغها كتاب لقيط هذا استعدوا لمحاربة الجنود التي بعث بها كسرى  
فالتقوا ، واقتلوا قتالا شديدا حتى رجعت الخيل من الفريقين جميعا . ثم لأنهم  
اختلفوا فيما بينهم وتفرقت جماعتهم فلاحقت طائفة بالشام وأقام الباقون بالجزيرة .

\* \* \*

( تراجع ترجمة الشاعر وأخباره في مقدمة الديوان الذي حققه وعلق عليه

وقدم له خليل إبراهيم العطية ضمن سلسلة كتب التراث سنة ١٩٧٠ العراق ) .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## إنذار ونصح

- ١ يادار عمرة من مُحْتَلِّها الحَرَمَا هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
- ٢ تامت فؤادى بذات الجزع خربة صرت تريد بذات العذبة البيعا
- ٣ جرت لى بيننا جبل الشمس فلا يأساً مينا نرى منها ولا طمعا
- ٤ فلا أزال على شحط يورقنى طيف تعمد رجلي حيث ما وضعا
- ٥ أنى بعينى ما أمت حولهم بطن السلوطح لا ينظرون من تبعنا
- ٦ طورا أراهم وطورا لا أيدنهم إذا تواضع خدر ساعة لمعا
- ٧ بل أيها الراكب المزجى على عجل نحو الجزيرة مرتادا ومنتجعا

- (١) أجمع وبرعاء : ما استوى من الرمل ، والجرعة الرملة الطيبة المنبت لا وعوة فيها .
- (٢) البيع : كئاش النصارى مفردا بيعة ( بكسر الباء ) . تامت فؤادى : ضلته وذهبت به ، والمقيم الذى ضل فؤاده من شدة الهوى . الجزع : منثنى الرادى . الخربة : المرأة صغيرة السن .
- (٣) الشمس : الدابة المتنعة التى لا تمكن الفارس من إمراجها أو إلجامها . يريد بها صاحبته .
- (٤) الشحط : البعد ، وأشحطه أبعد .
- (٥) أمت : قصدت وانجھت . لا ينظرون : لا يرقين أو يحددن النظر . السلوطح : موضع بالجزيرة .
- (٦) يدينهم : يستينهم ويستوضحهم . تواضع : تباعد وتراخى . لمعان الآل : بريق السراب .
- (٧) المزجى : السائق . المرتاد : الذى يرتاد أرضا جديدة لأول مرة . ينتجع الأرض : يطلب الكلاء فيها ويرعى نباتها .



- ٨ أبلغ إِيَادًا وِخْلًا في سِرَاتِهِمْ      إني أرى الرأى إن لم أعص قد نصعًا  
٩ يالْهَفَ نَفْسِي إن كانت أُمُورُكُمْ      شتَّى وأَحْكَمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا  
١٠ أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالِكُمْ      أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدِّبَابِ سُرْعَا  
١١ أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأْوُوكُمْ عَلَى حَنْقٍ      لَا يَشْعُرُونَ أَضْرَّ اللَّهُ أَمْ نَقَعَا  
١٢ أحرارُ فَارِسَ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لَهُمْ      من الْجَمُوعِ جَمُوعٌ تَزْدَهِي الْقُلْعَا  
١٣ فَهَمَّ سِرَاعٌ إِلَيْكُمْ بَيْنَ مُلْتَقِطٍ      شَوْكًا وَآخِرِيجِنِ الصَّابِ وَالسَّلْعَا  
١٤ لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ رَامُوا بِهِدَّتَهُ      شَمَّ الشَّارِيخِ مِنْ ثَهْلَانَ لَا نَصَدَعَا  
١٥ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْنُونُ الْحَرَابَ لَكُمْ      لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَائِلٌ هَجَعَا  
١٦ تُخْزِرُ أَعْيُنُهُمْ كَأَنَّ لِحْظَهُمْ      حَرِيقُ نَارٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قِطْعَا  
١٧ لَا الْحَرْثُ يَشْغَلُهُمْ بَلْ لَا يَرُونَ لَهُمْ      مِنْ دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيًّا وَلَا شِبَعَا  
١٨ وَأَنْتُمْ تَحْرَثُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفْهِهِ      فِي كُلِّ مُعْتَمَلٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعَا

( ٨ ) يَخْلَلُ : يَخْصُ ، وَتَخْلَهُمْ دَخَلَ بَيْنَهُمْ ، وَالشَّى : قَلْعٌ ، وَالْمَطْرُخَصُ وَلَمْ يَكُنْ عَامًا .

( ١٠ ) الدِّبَابُ : صَفَارُ الْجُرَادِ .

( ١١ ) تَأْوُوكُمْ : أَوْرَا إِلَيْكُمْ . لَا يَشْعُرُونَ : لَا يَعْلَمُونَ .

( ١٢ ) تَزْدَهِي : تَسْتَخِفُّ . الْقُلْعُ : الصَّخُورُ الْعِظَامُ .

( ١٣ ) الشَّوْكُ : يَقْعُدُ بِهِ السِّلَاحُ الْجَدِيدُ . الصَّابُ : لَبَنُ الْعُشْرِ وَهُوَ سَمٌّ . السَّلْعُ : نَبْتٌ بِالْجَبَازِ

شَبِيثِ الطَّعْمِ لَا تَرْعَاهُ الْحَيَوَانَاتُ . يَجْنِي الصَّابُ : يَعْدُ لَكُمْ الشَّرْلِيْقَضَى طَلِيكُ .

( ١٤ ) رَامُوا : حَاوَلُوا . ثَهْلَانُ : جَبَلٌ . الشَّارِيخُ : رُؤُوسُ تَتْنٍ مِنَ الْجِبَالِ .

( ١٥ ) يَسْنُونُ : يَحْدُدُونَ . لَا يَهْجَعُونَ : لَا يَنَامُونَ إِذَا نَامَ الْغَائِلُ .

( ١٦ ) الْأَنْزَرُ : الَّذِي يَنْظُرُ بِمُؤَخَّرِهِ . السَّنَا : الضَّوْءُ .

( ١٧ ) الْحَرْثُ : الزَّرْعُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْكَسْبُ وَجَمْعُ الْمَالِ . الْبَيْغَةُ هُنَا الْأَصْلُ .

( ١٨ ) عَنْ سَفْهِهِ : أَيْ عَنْ غَفْلَةٍ مِنْكُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ .

- ١٩ وتَلْقَحُونَ حِيَالَ الشَّوْلِ آوَنَةً  
 ٢٠ وتلبسون ثياب الأمن ضاحية  
 ٢١ أنتم فريقان : هذا لا يقوم له  
 ٢٢ وقد أظلكم من شطر تغركم  
 ٢٣ مالى أراكم نياماً فى بلهنية  
 ٢٤ فاشقوا غلبلى برأى منكم حسن  
 ٢٥ ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا  
 ٢٦ صونوا جياذكم واجلأوا سيوفكم  
 ٢٧ اشروا تلادكم فى حَزْ أنفكم  
 ٢٨ ولا يدع بعضكم لبعضاً لنائية  
 ٢٩ اذكروا العيون وراء السرح واحترسوا
- وتنتجون بدار القلعة الربعا  
 لا تجمعون وهذا الليث قد جمعا  
 هصر الليوث وهذا هالك صقعا  
 هول له ظلم تغشاكم قطعاً  
 وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا  
 يضحى فؤادى له ريان قد نقعا  
 إذا يقال له : افرج غمة كنعا  
 وجددوا للقسي النبل والشرا  
 وحز نسوتكم لا تهاكوا هلعاً  
 كما تركتم بأعلى بيشة النخعا  
 حتى ترى الخيل من تعذائها رجعا

- (١٩) الشول : إناث الإبل التى شالت ألبانها أى جفت . حياها : ما حال منها فلم تحمل .  
 (٢٠) الليث هنا يقصده كسرى .  
 (٢١) هصر الليوث : كسرها وشدة بطشها . الصقع : الفزع وذهاب العقل من شدة الخوف .  
 (٢٢) أظلكم : كأنه واقع بكم . شطر : نحو . النغر : الناحية من الأرض .  
 (٢٣) البهنية : الرخاء والرفاهية والغفلة فى العيش والانشغال بالترف .  
 (٢٤) الغلب : حرارة الجوف يجدها الإنسان مع شدة حرته وهمه .  
 (٢٥) المكتنع : الذليل الخاضع . والغمة : الغم . كنع : خضع وانقبض .  
 (٢٦) السرح : الأوتار الدقاق .  
 (٢٧) اشروا : يبعروا أو طيبوا عنها أنفساً وتحولوا عنها .  
 (٢٨) لا يدع : لا يسلّم بعضكم لبعضاً لنائية ، والنائية المصيبة . أعلى بيشة : موضع باليمن .  
 (٢٩) رجعا : جمع رجيع وهو الضامر الذى ضعف فليل له رجيع سفر . السرح : إبل القوم ،  
 والسرح المائل السائم .

٣٠. فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَىٰ ضَرْبٍ بَدَارِكُمْ  
 ٣١. لَا تُلْهِكُمْ إِبِلٌ لَيْسَتْ لَكُمْ بِإِبِلٍ  
 ٣٢. هِيَآتِ لَا مَالَ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِبِلٍ  
 ٣٣. لَا تُثْمِرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنْهُمْ  
 ٣٤. وَاللَّهِ مَا انْفَكَّتِ الْأَمْوَالُ مَذْأَبًا  
 ٣٥. يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ مِنْ عِزٍّ أَوْلَكُمْ  
 ٣٦. وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ عِزُّ أَوْلَكُمْ  
 ٣٧. فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ دُنْيَا وَلَا طَمَعُ  
 ٣٨. يَا قَوْمِ بَيِّضَتَكُمْ لَا تُفْجِئَنَّ بِهَا  
 ٣٩. يَا قَوْمِ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنتُمْ غُرًّا  
 ٤٠. هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي يَجْتَثُّ أَصْلَكُمْ  
 ٤١. قَوْمُوا قِيَامًا عَلَىٰ أَمْشَاطِ أَرْجَائِكُمْ  
 ٤٢. فَقُلُّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكُكُمْ  
 ٤٣. لَا تُتْرَفُوا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدَهُ
- قَدْ لَقِيتُمْ بِأَمْرِ حَازِمٍ فَرَعَا  
 إِنْ الْعَدُوَّ يَعْظِمُ مِنْكُمْ قَرَعَا  
 يُرْجَى لِفَارِكِكُمْ إِنْ أَنْفَكُمْ جُدَعَا  
 إِنْ يَظْفَرُوا بِحَتُوكُمْ وَالتَّلَادَ مَعَا  
 لِأَهْلِهَا إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً تَبَعَا  
 إِنْ تَأْقَدِ اشْفَقْتُ أَنْ يُودِيَ فَيَنْقَطِعَا  
 إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ فَاتَّضَعَا  
 لَنْ تَنْعَشُوا بِزَمَاجِ ذَلِكَ الطَّمَعَا  
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْأَزْلَمَ الْجُدَعَا  
 عَلَى نِسَائِكُمْ كَسَرَى وَمَا جَمَعَا  
 فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأْيَا وَمَنْ سَمِعَا  
 ثُمَّ أَفْرَعُوا قَدْ يَنَالُ الْأَمْنُ مِنْ فَرَعَا  
 رَحْبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعَا  
 وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا

(٣٢) لَا تَثْمِرُوا : لَا تَكْثُرُوا . التَّلَادُ : الْقَدِيمَةُ . وَالطَّرِيفُ الْمُسْتَحْدَثُ .

(٣٤) مَا انْفَكَّتْ : مَا زَالَتْ .

(٣٥) يَوْدَى : يَهْلِكُ .

(٣٧) تَنْعَشُوا : تَجْبُرُوا وَتَحْيُوا نَعْشَهُ وَأَنْعَشَهُ جَبْرُهُ . الزَّمَاجُ : التَّهْيُؤُ لِلْحَرْبِ .

(٣٨) بَيِّضَتَكُمْ : أَيَّ أَصْلَكُمْ . الْأَزْلَمُ الْجُدَعُ : الدَّهْرُ لِأَنَّهُ لَا يَهْرُمُ أَبَدًا .

(٤٠) الْجَلَاءُ : الْحَشَرُ وَالطَّرْدُ . يَجْتَثُّ : يَقْطَعُ .

(٤٢) مُضْطَلَعًا : مُحْتَمَلًا . لِلَّهِ دَرْكُكُمْ : أَيَّ خَيْرِكُمْ « صِيغَةُ دَعَائِيَّةٍ » . رَحْبَ الذَّرَاعِ : وَاسِعَهَا ،

دَلَالَةٌ عَلَى مَكَانَتِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ .

- ٤٤ مُسَهَّدُ النَّوْمِ تَعْنِيهِ تُغَوِّرُكُمْ  
يُرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلَعًا  
٤٥ مَا أَنْفَكَ يَحْلِبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ  
يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبِعًا  
٤٦ وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يَثْمُرُهُ  
عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَبْنِي لَهُ الرَّفْعَا  
٤٧ حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ مَرِيرَتِهِ  
مُسْتَحْكَمَ السِّنِّ لَأَحْمَا وَلَا ضَرَمَا  
٤٨ كِمَالِكَ بَنِ قَنَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ  
زَيْدِ الْقَنَاءِ يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثَيْنِ مَعَا  
٤٩ إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ :  
دَمْتُ لِحَنِيكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا  
٥٠ فَسَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَا عِلَلٍ  
فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرُّبَالَ وَالسُّبُعَا  
٥١ عِبَلُ الذَّرَاعِ أَيُّهَاذَا مِزَابِنَةُ  
فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نِكْسًا وَلَا وُورَا  
٥٢ مُسْتَنْجِدًا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ  
لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرَعَا  
٥٣ هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ  
لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا  
٥٤ لَقَدْ بَدَّلْتُ لَكُمْ نُصِيحِي بِلا دَخَلٍ  
فَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا

(٤٧) الشَّرُّ : الذي لا يَفْتَسِلُ عَلَى وَجْهِهِ ، أَيْ يَفْتَلُ مَقْلُوبًا ، اسْتَمَرَّتْ مَرِيرَتُهُ : أَيْ قَتَلَ فَنَلَا شَدِيدًا .

(٤٩) دَمْتُ لِحَنِيكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا : أَيْ تَهَيَّأُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ وَاسْتَعَدَّ لَهُ .

(٥٠) أَخَا عِلَلٍ فِي الْحَرْبِ : أَيْ يَلْقَى الْحَرْبَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يَحْتَبِلُ : يَصِيدُ . الرُّبَالَ : الْأَسَدُ .

(٥١) عِبَلُ الذَّرَاعِ : غُلِيظُ الذَّرَاعِ . ذَا مِزَابِنَةٍ : ذَا مِدْفَعَةٍ . النِكْسُ : الضَّعِيفُ مِنَ الرِّجَالِ . الْوُورُ : الْجَبَانُ .

(٥٢) يَتَحَدَّى النَّاسَ : يَبَارِزُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ لِلنَّازِلَةِ .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## المُرْقَش الأكبر

هو عوف بن سعد بن مالك بن ضَبَيْعَة بن قيس بن ثَعْلَبَة . . . والمُرْقَش لقب لُقَّب به ، وهو واحد من مَتيَمي العرب وفرسانهم ، عرفت شجاعته حين اشترك في حروب بكر بن وائل مع بني تغلب . وكان عوف وعمرو ابنا مالك بن ضَبَيْعَة عمّا المرقش الأكبر من فرسان بكر ، وعمرو بن مالك هو الذي أسر مهلهلا في بعض الغارات بين بكر وتغلب .

كان المرقش يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن علي بن مالك بن ضَبَيْعَة ، وكان له ولابن أخيه المرقش الأصغر موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، كما كان لهما بأس وشجاعة برزا في تقدمهما في العدو وحسن أثرهما في معاركه . من أهم أخباره التي أوردها صاحب الأغاني والمفضل الضبي عشقه ابنة عمه أسماء ، وقد خطبها إلى أبيها ، ولكن أباهما زوجها في بني مراد في غيبته ، ثم أخبره أهله بموت أسماء ، وأتوا به في موضع قبر مزعوم لها ، فنظر إليه وراح بعد ذلك يعتاده ويزوره . ثم ساعدته الظروف على معرفة خبر زواج أسماء من المرادي فركب مطيته ورحل في طلبه . ومرض في الطريق وتركه الغُفْل رقيقه في رحلته ، وعاد الغُفْل وزوجته فزعموا أنه مات ، ولكن حرملة تنبه أنه مازال حيا من خلال قراءة ما كتبه المرقش على الرحل ، فدعا الغُفْل وزوجته وخوَفَهما بأن يصدقاها ففعلا فقتلهما ، وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره ، فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم



يزل فيه . وتنتهي الرواية إلى خروجه بعد ذلك لقتل أسماء فردّه أخواه وعذلاه وقال شعراء ، ويقال أنه مات عند أسماء ودفن في أرض مراد .

وفي قصيدته السينية التي اخترناها له يقف على أطلال صاحبتة « أسماء » ينعي الطلل وصاحبتة ، وتشير أشجانه وحشة المكان ، ثم يصور رحلته في الصحراء الموحشة ، وقد قطعها على ناقته التي أضناها السرى ، وتتعدد المشاهد بدلالاتها المخيفة على رهبة الليل ، فيظهر مشهد الإبل في الظلمة ، وموقد النار الذي خلفه حيت نزل للراحة ، وأصوات اليوم التي كثر ترددها فكانت أشبه ما تكون بصوت النواقيس ، ثم يستعرض صورة من كرمه في مشهد قدر الطعام التي وضعها على النار والتف الغيوف من حولها ، وهو يقف ضاحك الوجه يؤنسهم بحديثه حتى ينضج ما بها من طعام ، ثم يصور ذئبا بائسا أقبل مهتديا بضوء ناره يلتمس القرى ، فأكرمه كما يكرم ضيفه تماما ، حتى إذا شبع عاد مسرورا كأنه مقاتل ظفر بغنيمة أعدائه . ومن هذا المشهد يعود الشاعر إلى الصحراء فيصور مشهد الجبال وقد غطاها السراب ، فرآها كأنها غارقة في بحر ممتد فوق رمالها ، وتكاد الصحراء تذكره بناقته ، فيعود إلى وصفها ، ويمضي فيه حتى يتداخل مشهد الصحراء مع صورة الناقة في ختام القصيدة .

وتتميز القصيدة بانتشار بعض ظواهر حياة البادية الجاهلية فيها خاصة ظاهرة التطير التي ترددت في أكثر من صورة ، وكذلك ظاهرة الاستطراد في حديث الناقة بما لهذا الاستطراد من دلالات فنية ونفسية على طبيعة حياة الشاعر وعلاقته بالناقة ، وقد يلتفت النظر في القصيدة أيضا انشغال صاحبها ببعض ( تراجع ترجمته وأخباره في الجزء السادس من الأغانى ص ١٢٧ وما بعدها ) .

الألوان البديعية التي حرص على الإفادة منها في الصورة الشعرية فظهر حسن التقسيم والتضمين والجناس وغيرها . وقد سيطر التشبيه بأطرافه الحسية المعروفة على معظم صور القصيدة شأنه في ذلك شأن شعراء عصره وأبناء بيئته .

( تراجع القصيدة في ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون  
وأحمد شاكر ) .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## صُورَةٌ مِنَ الصَّحَرَاءِ

\* \* \*

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | أَمِنْ آلِ أَسْمَاءَ الطَّلُولُ الدَّوَارِسُ    | يُحْطَطُ فِيهَا الطَّيْرُ قَفَرٌ بِسَابِسُ         |
| ٢ | ذَكَرْتُ بِهَا أَسْمَاءَ لَوْ أَنَّ وَلِيَّهَا  | قَرِيبٌ وَلَكِنْ حَبَسْتَنِي الْحَوَابِسُ          |
| ٣ | وَمَتَرِلِ ضَنْكِ لَا أُرِيدُ مَبِيتَهُ         | كَأَنِّي بِهِ مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ آنِسُ          |
| ٤ | لَتُبَيِّضَ عَيْنِي إِنْ رَأَيْتُنِي مَكَانَهَا | وَفِي النَّفْسِ إِنْ خَلَى الطَّرِيقُ الْكَوَادِسُ |
| ٥ | وَجِيفٌ وَإِبْسَاسٌ وَنَقَرٌ وَهَزَّةٌ          | إِلَى أَنْ تَكِلَّ الْعَيْسُ وَالْمَرْءُ حَادِسُ   |
| ٦ | وَدَوِّيَّةٌ غِبْرَاءَ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا     | تَهَالِكُ فِيهَا الْوَرْدُ وَالْمَرْءُ نَاعِسُ     |
| ٧ | قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا      | بِعِمَّامَةٍ تَنْسَلُ وَاللَّيْلُ دَامِسُ          |
| ٨ | تَرَكْتُ بِهَا لَيْلًا طَوِيلًا وَمَتَرِلًا     | وَمَوْقَدَ نَارٍ لَمْ تَرْمَهُ الْقَوَابِسُ        |

- (١) الأطلال أو الطلول ما بقي من آثار الديار . الرسوم : ما كان منها منخفضاً .  
يُحْطَطُ فِيهَا الطَّيْرُ : يطير فيها . الإيسابس : الفقر المجدية . حيث لا حياة فيها .  
(٢) وليها : حيث تولت وذهبت واتجهت .  
(٣) الضنك : الشدة والضيق ، ويريد بالمنزل الضنك منطقة موحشة وهرة نزل بها في الصحراء .  
(٤) الكوادر : ما ينير الظلمة مثل الفأل والعطاس وهي عادة جاهلية .  
(٥) الوجيف : ضرب من السير السريع . الإيساس : نوع من السير دون الوجيف .  
النقروالهوة : ضروب من السير فوق الوجيف . حادس : يسير على غير هدى ويكتفى بمجرد الظن .  
(٦) الدوية : الصحراء المقفرة . تهالك : تسرع السير . الورد : الإبل .  
(٧) العيمامة : الناقة القوية الصلبة التي تحمل مشقات الطريق .  
الدامس : شديد الظلمة والسواد .  
(٨) لم ترمه القوابس : لم يكن فيه أحد يقتبس نارا لأنه كان وحده .  
والقابس : الذي يطلب النار . ويبحث عنها .

- ٩ وتسبح ترقاء من البوم حولنا  
 ١٠ فيصبح ملق رحلها حيث عرسست  
 ١١ وتصبح كالوداة ناط زمامها  
 ١٢ وقدر ترى شمت الرجال عيالها  
 ١٣ ضحكك إذا ما الصبح لم يجتوا له  
 ١٤ ولما أضأنا النار عند شوائنا  
 ١٥ نبذت إليه حزة من شوائنا  
 ١٦ فأض بها جذلان ينفض رأسه  
 ١٧ وأعرض أعلام كان رؤوسها
- كما ضربت بعد الهدوء النواقيس  
 من الأرض قد دبّت عليه الرواميس  
 إلى شعب فيها الجوارى العوائس  
 لما قيم منهل الحليقة أنيس  
 ولا هو مضباب على الزاد عايس  
 عرانا عليها أطلس اللون بائس  
 حياء ، وما خشي على من أجالس  
 كما آب بالنهب الكي المحالس  
 رؤوس جبالي في خليج تغامس

(٩) النواقيس أو النواقيس جمع ناقوس .

(١٠) ملق الرجل : مكان إلقائه . ترقاء البوم : صياحه . الرواميس : الرياح التي تغطي الآثار وتزيل معالمها .

(١١) الوداة : الأرجوحة . ناط زمامها : علق زمامها .

العوائس : الجوارى اللاتي لم يتزوجن .

(١٢) شمت الرجال : كبار السن منهم إذا ما خالط رأمهم الشيب .

القيم : القائم على شؤونها . الأتسة : الطيبة النفس .

(١٣) الاجتواء : الكره . المضباب : الذي يمنع أصحابه الزاد من شدة بخله .

(١٤) عرانا : أنا طالباً معروفاً وقرانا .

أطلس اللون : يقصد الذئب وبصوره أغبر أقرب إلى السواد .

(١٥) الحزة : القطعة .

(١٦) أض : بمعنى عاد أو رجع . جذلان : فرح نشيط . النهب : الغنيمة .

الكي : الشجاع . الذي يحتفظ بشجاعته ثم يظهرها في وقت القتال .

المحالس : القوي الذي لا يتغلب عن مكانه في الحرب .

(١٧) أعرض : ظهر وبدأ . الأعلام : يقصد الجبال . فهي أعلام في الصحراء .

الخليج هنا السراب ، شبهه بالماء . تنغمس : تغمس . الآل : المراب .

- ١٨ إذا عَلمُ خَلْفَتُهُ يَهْدِي بِهِ      بدا عَلمُ في الآلِ أَغْبَرُ طَامِسُ  
١٩ تَعَالَتْهَا وَلَيْسَ طَبِيٌّ بِدَرِّهَا      وكيف التماسُ الدَّرَّ والضمُّعُ يَأْسُ  
٢٠ بأَسْمَرَ عَارِ صَدْرُهُ مِنْ جِلَازِهِ      وسائرُهُ مِنَ الْعِلَافَةِ نَائِسُ

(١٨) طامس : دارس . قد جاء عليه الامحاء .

(١٩) تعالَتْها : سرت بها مرة بعد مرة ، يريد أنه يرفق بنافته تارة وتارة بمجهدا .

الطب : الطلب . الدر : اللبن .

(٢٠) الأسمر : يريد السوط . العِلافة : السير الذي يعلق به السوط .

نائس : متدل . الجلاز : الفتل .

\* \* \*

عبد الله التطاوي



## المرقش الأصغر

لقَّبَ بالمرقش واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، تربطه  
صلة النسب بالمرقش الأكبر فهو ابن أخيه على أرجح الروايات ، وهو أصغر  
منه ولكنه كان أشعر وأطول عمرا . صار واحدا من عشاق العرب المشهورين  
وفرسانهم ، عرف بعشقه فاطمة بنت المنذر ، وكانت لها وليدة يقال لها هند بنت  
عجلان ، وكان لها قصر « بكازمة » وعليه حرس ، وكان الحرس يحرون الثياب  
حوله كل ليلة فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان . وكان مرقش راويا لا يفارق إبله ،  
فأقام بالماء وترك إبله ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجها وأحسنهم شعرا ،  
وكان فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس فجاء المرقش وبات  
عند ابنة عجلان ، فعلمت ذلك فاطمة وتعلقت به ، فاحتالت على جاريتها حتى  
أوصلته إليها ، ونظم فيها بعضا من شعره .

وهو يصور في هذه القصيدة وفاءه لصاحبه ويبين ما أصاب قلبه يوم الفراق  
ليستكمل المشهد بعد ذلك بصورة غزلية يقف فيها عند معالم جمالها المختلفة ،  
ثم يصف ما عاوده من ذكرياتها ، ويستعيد مشهد الرحيل لينطلق منه إلى وصف  
الظعائن ورحلتهم ، ويتغنى بجمالهن وزيتتهن ، ليعود من ذلك كله مرة ثانية إلى  
صاحبه مصورا جمالها ومبيناً مدى حبه لها ووفائه لعهدا ، ثم ليقدم بعد ذلك  
مجموعة من الحكم يديرها حول فكرة الصداقة ، وبعدها حديث حول حلف عمرو  
ابن جناد تتأكد من خلاله فكرة الصداقة التي استعرضها من خلال رغبته في ركوب

الأهوال وما يراوده دائماً من أحلام اليقظة التي راحت تسيطر على ذهنه وتشغله فيبدو من خلالها حالماً دائماً .

( تراجع القصيدة في المفضليات بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد شاكر ، وتراجع ترجمة الشاعر وأخباره من الجزء السادس من الأغاني ص ١٣٦ وما بعدها ) .

عبد الله النطاوي

## إِلَى فَاطِمَةَ

\* \*

- ١ ألا يا أَسْمَى لَا صَرَمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمًا
- ٢ رَمَتْكَ ابْنَةُ الْبَكْرِىَّ عَنْ قَرْعِ ضَالَةٍ وَهَنَّ بِنَا خُوصٌ يُخَلِّدُنَ نَعَائِمًا
- ٣ تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ بَوَارِدٌ وَعَذِبُ الشَّنَايَا لَمْ يَكُنْ مُتَرَاكِ
- ٤ سَقَاهُ حَيُّ الْمُزْنِ فِي مُتَهَلِّلٍ مِنْ الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَابَا سَوَاجِمَا
- ٥ أَرْتَكَ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمَا وَخَذَا أَسِيلًا كَالْوَذِيلَةِ نَاعِمًا
- ٦ صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنْ ذِكْرَهُ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا
- ٧ تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَائِي نَحْرَجْنَ سِرَاعًا وَاقْتَعَدْنَ الْمَقَامِ
- ٨ تَحْمَلْنَ مِنْ جَوْ الْوَرِيْعَةِ بَعْدَمَا تَعَالَى النَّهَارُ وَاجْتَرَعْنَ الصَّرَامِ

(١) الصرم : القطع والهجر . لا أبدا : صيغة ينفى بها الصرم نهائيا .

(٢) الضال من السدر : ما لم يشرب الماء . وقَرْع الضالة : القوس كأنها رمته عنه .

الخوص : الإبل المرهقة وقد غارت عيونها من شدة مناصب الرحلة ومشقاتها .

النعائم : النعام .

(٣) الوارد من الشعر : الطويل منه . الفم المتراكم : المتراكب الذى ركب بعض أسنانه بعضها .

(٤) حي المزن : السحاب القريب . يقصد بالمتهلل الروض . الرباب : السحاب . السواجم التى تسكب الماء .

(٥) الوذيلة : سبيكة الفضة .

(٧) اقتعدن : ركين . المقام : الإبل العظام أو المراكب الواسعة .

(٨) تحمان : رحان . الوريعة : مكان . اجتزعن : قطعن . الصرائم : قطع الرمل (ومفردا صريمة) .

- ٩ تحلّين يا قوتا وشذرا وصيفة  
١٠ سلكن القرى والجزع تحدى جهنم  
١١ ألا حبذا وجه ترينا بياضه  
١٢ وإني لأستحي فطيمة جائما  
١٣ وإني لأستحيك والخرق بيننا  
١٤ وإني وإن كنت قلوصى لراجم  
١٥ أفاطم إن الحب يغني عن القلى  
١٦ ألا يا سلمى بالكوكب الطلق فاطما  
١٧ ألا يا سلمى ثم اعلمى أن حاجتى  
١٨ أفاطم لو أن النساء ببلدة  
١٩ متى ما يشأ ذو الود يصيرم خليله  
وجزما ظفاريأ ودرا توائما  
ووركن قوا واجترعن المخارما  
ومنسدلات كالمثاني فواجما  
نحيها وأستحي فطيمة طاعما  
مخافة أن تلقى أخا لي صارما  
بها وبنفسي، يا فطيم، المراجما  
ويجشم ذا العرض الكريم المجاشما  
وإن لم يكن صرف النوى متلاثما  
إليك فردى من نوالك فاطما  
وأنت بأخرى لا تبعتك هائمما  
ويبعد عليه لا محالة ظالمما

(٩) تحلين : لبس الحلى . الشذر : اللؤلؤ الصغير . الجزع : الخرز . ظفاره : بلد باليمن ينسب إليها الجزع .

(١٠) الجزع : منعطف الوادى . قو : موضع . وركته : خدان عت وتركته المخارم : طرق في الجبال أو رمل مستطيل .

(١١) المنسدلات : الدواب المسترخية من الشعر . المثاني : الجبال شبه بها الشعر الطويل . الفواجم : الشديدة السواد .

(١٢) النحيص : الذى اشتد ضموره من الجوع .

(١٣) الخرق : ما اتسع من الأرض .

(١٤) الرجم : الرمي .

(١٥) القلى : البغض والكراهة . يجشمه : يحمله على أن يركب الصعب أو المكروه .

(١٦) الطلق : الذى لا حرفه ولا برد يمكن أن يسبب الأذى . متلائم : متلاحم موصول .

(١٩) يبعد : يفض .

- ٢٠ وإلى جناب حلقه فاطمته  
 ٢١ كان عليه تاج آل محرق  
 ٢٢ فن يلق خيراً يحمى الناس أمره  
 ٢٣ ألم تر أن المرء يمجذم كفه  
 ٢٤ أين حلم أصبحت تنكت واجماً
- فنفسك ولّ اللوم إن كنت لائماً  
 بأن ضرّ مولاه وأصبح سائماً  
 ومن يقول لا يعيدم على النقي لائماً  
 ويحشم من لوم الصديق المجاشماً  
 وقد تعترى الأحلام من كان واجماً

(٢٠) آل : حلف وأقسم .

جناب : يقصد عمرو بن جناب وقد سماه باسم أبيه .

(٢٣) يمجذم : يقطع . يحشم : يتحمل .

(٢٤) ينكت في الأرض ، يخطط فيها بعود وهو إشارة إلى ما يفعله المهموم حين يشتد به الفكر .

الواجم : الحزين المهموم . تدرية : تأتية .

\* \* \*

عبد الله التطاوي



## ثعلبة بن صعير

شاعر جاهلي قديم يرجع نسبه إلى قبيلة تميم ، قال عنه الأصمعي « ثعلبة أكبر من جد ليبد » .

كان ثعلبة فارسا من فرسان قومه المعدودين ، ميالا للهو ومعاقرة الخمر . وفي شعره نحمد إيجازا للمفاخر التي يعتز بها العربي في الجاهلية من فروسية ونجدة وكرم . وجاءت هذه المفاخر في صياغة بارعة وصور رائعة ، حتى قيل إن ثعلبة بن صعير سبق غيره من الشعراء إلى ابتكار المعاني وإجادة التصوير .

ويبدو أنه كان شاعرا مقلا ، ولعل ذلك هو الذي دفع الأصمعي إلى أن يقول « لو كان قال مثل قصيدته الرائية نحسا لكان فلا » .

وفي هذه القصيدة يتحدث عن صاحبتة « عَمْرَة » ، ويشكو من أنها خانت عهده وأخلفته مواعيدها ، فراح يتسلى عن همه برحلة على ناقه راح يصفها في براعة وإجادة ، ثم انتقل إلى حديث الخمر ، فوصف مجلس شرابه مع فتية من رفاقه تغنيهم القيان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الفخر بشجاعته وقوة بأسه .

( ١ )

## الرَّائِيَّة

\*\*\*

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | هَلْ عِنْدَ عَمْرَةٍ مِنْ بَنَاتٍ مُسَافِرٍ  | ذِي حَاجَةٍ مُتَوَجِّحٍ أَوْ بَاكِرٍ       |
| ٢ | سَمِّمَ الْإِقَامَةَ بَعْدَ طُولِ ثَوَائِهِ  | وَقَضَى لُبَّائَتَهُ فَلَيْسَ بِنَاطِرٍ    |
| ٣ | لِعِدَاتٍ ذِي إِرْبٍ وَلَا لِمَوَاسِدٍ       | خُفٍ وَلَوْ حَلَقْتَ بِاسْتِحْسَمٍ مَائِرٍ |
| ٤ | وَعَدَّتْكَ ثُمَّتَ أَخْلَقْتَ مَوْعُودَهَا  | وَلَعَلَّ مَا مَنَعَتْكَ لَيْسَ بِضَائِرٍ  |
| ٥ | وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يَدُومُ وَصَالُهَا   | أَبَدًا عَلَى عُسْرِ وَلَا لِيُبَاسِرٍ     |
| ٦ | وَإِذَا خَلِيْلُكَ لَمْ يَدُمْ لَكَ وَصْلُهُ | فَاقْطَعْ لُبَّائَتَهُ بِمَحْرِفٍ ضَامِرٍ  |
| ٧ | وَجَنَاءَ مُجَفَّرَةِ الْغُلُوعِ رَجِيلَةٍ   | وَلَقَى الْمَوَاجِرِ ذَاتِ خَلْقٍ حَادِرٍ  |
| ٨ | تُضْحِي إِذَا دَقَّ الْمَطِيُّ كَأَنَّهَا    | فَدْنُ ابْنِ حَيَّةٍ شَادَهُ بِالْآجِرِ    |

(١) البنات : المتاع .

(٢) الثواء : البقاء . اللبانة : الحاجة . الناظر : المنتظر .

(٣) الإرب : القصد والدهاء والبصر بالأمر . والإرب : البخل أيضا . خاف : لا يفي بالوعد  
استحس : أسود . مائر : ينصب مريعا .

(٥) المياسر : الغنى .

(٦) الحرف : الناقة الماضية . الضامر : يعنى النجاة لا للهزال .

(٧) الوجناء : الصلبة المجففة : العظيمة الوسط وهو مستحب من خلقها .

الرجيلة : القوية على السير خاصة . الاتى : السريعة .

قال ولقى المواجه لأن سير المهاجرة أشد السير . الحادر : الممتلئ . والبطى .

(٨) دق المطى : ضمير لطول السفر . تضحي : تسير ليلتها فلم يتعبها السير . الفدن : القصر .

- ٩ وَكَأَنَّ عَيْبَتَهَا وَفَضَلَ فِتَانِهَا  
 ١٠ يَبْرِي لِرَأْتِحَةٍ يُسَاقِطُ رِيشَهَا  
 ١١ فَتَذَكَّرْتُ ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَهَا  
 ١٢ طَرِفْتُ مَرَاوِدَهَا وَغَرْدَ سَقْبَهَا  
 ١٣ فَتَرَوَّحًا أَصْلًا بِشِدِّ مُهْذِبٍ  
 ١٤ فَبَيَّثْتُ عَلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ خَبَاءَهَا

\* \* \*

- ١٥ أَسْمَى مَا يُدْرِيكَ أَنَّ رَبَّ فِتْسَةٍ  
 ١٦ حَسَنَى الْفُكَاهَةِ لَا تُذَمُّ لِحَامَتِهِمْ

- (٩) العيبة : رءاء من جلد يكون فيه المناع . الفتان : غشاء للرجل من جلد . فتنان : غصنان .  
 ولكنهما الظليم : جناحاه . الظلام : ذكر النعام .  
 (١٠) يبرى : يمرض وإذا عارضها الظليم كان أشد لعدوها . الرائحة : النعامة تروح إلى بيضها .  
 النجاء : السرعة . الأبر : صلح النخلة للتقبيح فإذا صعد لها رمى بالليف عنها فشبه الريش إذا سقط من  
 النعامة بهذا الليف .  
 (١١) الثقل : أراد به البيض . الرثيد : المنضود . ذكاه : اسم الشمس . الكافر : الليل  
 نهى قد تهيأت للغيب .  
 (١٢) المراد : المواضع التي تروى فيها . طرقت : تباعدت . الصقب : ولد الناقة وأراد ولد  
 النعامة . الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . الحديج : الحنظل . الحادر : الغليظ .  
 (١٣) الأصل : العشى مفردا الأصيل . شد مهذب : جرى سريع . ثر : شديد . الشؤبوب :  
 الدفعة من المطر .  
 (١٤) عليه : على البيض وقد بحث عليه فشبه بجناحها بالخباء . الأحسية : المرأة من الجنس  
 وهم قريش نزاعة وينو حامر وكبابة . النصيف : القناع . الحامر : التي تكشف رأسها ووجهها  
 إدلالا بحسنها .  
 (١٥) المسائر : مكارم الأخلاق . الندى : السخاء .  
 (١٦) اللام : جمع لحم ، لا تذم لسفاهتهم . المساعير : جمع مسعر وهو الذي يوقد الحرب .

- ١٧ باكرتهم سبأ جـون ذارع  
١٨ قـصرت يومهم برنة شارف  
١٩ حتى تولى يومهم وتروحووا  
٢٠ ومغيرة سوم الجراد وزعتها  
٢١ تنقي بكنود القذاف ونثرة  
٢٢ ولرب واضحة الجبين غميرة  
٢٣ قد بت النجها واقصرهما  
٢٤ ولرب خصم جاھدين ذوى شدا  
٢٥ لد ظارتهم على ما ساءهم  
٢٦ بمقالة من حازم ذى مرة
- قبل الصباح وقيل لغو الطائر  
وسماع مدجنة وجدوى جازر  
لا يتثنون الى مقال الزاجر  
قبل الصباح يشيان ضامر  
تنقي وعراض المهزة هائر  
مثل المهاة تروق عين الناظر  
حتى بدا وضح الصباح الجاشير  
تقضى صدورهم بهتر هائر  
وخسات باطلهم بحق ظاهير  
بدأ العدو زئيره للزائر

(١٧) السبأ : ثراء الخمر . الجون : الأسود يريد الرق . الذارع : الكثير المغام من الماء ونحوه لغو الطائر : صوته فى الغلس .

(١٨) رنة شارف : صوت الناقة المستنة عند النعرة قد شبه صوت العود بـرنة شارف . سماع مدجنة : سماع قبة تنقى فى يوم المدجن وهو تكاثف النيم . الجدوى ، العطية وأراد بجدوى الجازر ما يتخفهم به من الطعام . (١٩) تولى يومهم : انقضى تهاوهم وتروحووا وهم ثمالى .

(٢٠) المغيرة : القوم يغيرون ، سوم الجراد : سير الجراد وكثافته . وزعتها : كفتها . الشيان : الشديد النظر ، أراد به الفرس .

(٢١) التنقى : المتلى من النشاط . جلود القذاف : الصخرة تطبق حملها بيدك وتمذفها . النثرة : الدرع . تنقي : لاتعلق بها السهام ، العراض : الكثير الاضطراب يشى رجا . العائر : الصلب الشديد . (٢٢) القريرة : القليلة القطنة . المهاة : البقرة الوحشية . (٢٣) الجاشر : تباشير الصباح . (٢٤) تقضى : تقذف . الحز : الكلام القبيح . الشدا : الأذى .

(٢٥) لد : شديد والخصومة . ظارتهم : عطفتهم . خسات : زحرت ودفعت .

(٢٦) المرة : القوة . بدأ العدو : يدعه وهولفة تميم .

\* \* \*

سعيد حنقى

( ٢ )

## عَتَادُ الْحَرْبِ

\* \* \*

يدير ثعلبة قصيدته الفائية حول محور واحد أساسه الفخر الفردي بذاته ، وهو نخر تقليدى يطرح فيه صورا مختلفة من شجاعته وإن كان قد بلورها حول عرض أدوات القتال التى يعتمد عليها فى مواقفه الحربية وهى الأدوات التى يشق فيها ويعتمد عليها فى انتصاراته .

وتوزع القصيدة فنيا بين مستويين : أولهما تلك المقدمة النمطية التى افتتح بها حوارها من خلال مشهد الطلل ، وكيف جارت عليه عوادي الزمن ، فاتته به إلى صورته المرئية التى انتشرت فيها كتابة العفاء والائتماء ، وهو مشهد لا يكاد يكتمل إلا من خلال حركة الرحيل التى ينتقل فيها الشاعر من جهود المقدمة ليقرب درجة من موضوعه ، لتكون واسطة الانتقال عنده ناقتة السريعة التى عرفت بقدرتها على اجتياز الصحراء وقطع طرقها المفزعة خاصة فى مواقف الإغاثة وإنقاذ الصريح . ويكاد حديث الناقة يكون مقدمة أخرى ، ولكنها مقدمة أكثر ما تكون تفاعلا مع موضوع الفخر ، أوهى — بمعنى أدق — تمهيد له ، فهى تمثل الملمح الأول من ملاح شجاعته وبطولته ، فهى أدواته فى رحيله ، يتخذها مدخلا لعرض أدواته القتالية التى يستريحها فيصف منها السيوف والرماح كأسلحة هجومية يتقدم بها فى صفوف خصومه ، أو الدروع يرتديها سلاحا واقيا يتلقى بواسطته الضربات والطعنات فيتقيها .



ومن العناد يتخذ الشاعر مقدمة ثالثة يصل من خلالها إلى النتيجة التي أرادها  
من قصيدته ، حيث انتهى إلى عرض لوحة شجاعته في الحرب العوان على حد  
تصويره ، وإصراره على مواجهة الموت لإيمانه المطلق بمحتميته .

\* \* \*

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | لَمِنْ دَمَنْ كَانَتْ صَحَائِفُ                 | قِفَارٌ خَلَا مِنْهَا الْكُثِيبُ قَوَاحِفُ     |
| ٢ | فَمَا أَحْدَثَتْ مِنْهَا الْعُهُودُ كَأَمَّا    | تَلَعَّبُ فِيهَا بِالسَّمَاءِ الزَّخَارِفُ     |
| ٣ | أَكْبَ عَلَيْهَا كَاتِبٌ بِدَوَاتِهِ            | يَغْسِمُ يَدَيْهِ تَارَةً وَيُخَالِفُ          |
| ٤ | رَجَا صِنْعَهُ مَا كَانَ مِنْهُ مَسَاجِيَا      | وَيَرْفَعُ عَيْنَيْهِ عَنِ الصَّنْعِ طَارِفُ   |
| ٥ | وَشَوْهَاءَ لَمْ تُوشَمْ يَدَاهَا وَلَمْ تُذَلْ | فَقَاطَلَتْ وَفِيهَا بِالْوَلِيدِ تَقَاذِفُ    |
| ٦ | وَتَعْطِيكَ قَبْلَ السَّوْطِ مَلَأَ عَنَانُهَا  | وَالْإِحْضَارُ ظَنِّي أَخْطَاتُهُ الْمَجَادِفُ |
| ٧ | بَلَّاتُ بِهَا يَوْمَ الصَّرَاحِ وَبَعْضُهُمْ   | يُحِبُّ بِهِ فِي الْحَيِّ أَوْرَقَ شَارِفِ     |

(١) الدمن : الآثار . الصحائف : الكتب . الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب بن عبد  
القيس . واحف : موضع أيضا .

(٢) العهود : الأمطار . الزخارف : الأصباغ .

(٤) مساجيا : ساكتا . الطارف : من طرف بعينه إذا حرك جفنيها .

(٥) الشوواء : الحسنة الخلق أو المرتفعة وهي فرس ثعلبة . لم توشم يداها : يصف ققاءها وخلوها  
من العيوب . قاطلت : أتى عليها الفيض . التقاذف : التدافع . الوليد : العبد .

(٦) ملأ عنانها : تعطيك عدوا كثيرا وسريعا دون سوط يهددها و يدفعها إلى السير .

الإحضار : العدو . المجادف ، ما يحذف به الإنسان من رعى وغيره .

(٧) بلات بها : ملكتها . الصراخ : الاستغاثة . الأورق : البعير لونه كلون الرماد . شارف : مرم

كبير .

- ٨ بيضاء مثل النّهي ريج وقده  
 ٩ ومطرّد يرضيك عند ذواقه  
 ١٠ وصفراء من نبع سلاح أعلها  
 ١١ عتاد امرئ في الحرب لا واهن القوى  
 ١٢ به أشهد الحرب العوان إذا بدت  
 ١٣ قتال امرئ قد أيقن الدهر أنه  
 ١٤ ولو كنت في غمدان يحرس بابه  
 ١٥ إذا لآتتني حيث كنت منيتي  
 ١٦ أمّن حذر آقي المهالك سادراً
- شأيب غيث يحفش الأكم صائف  
 ويمضي ولا يناد فيا يصادف  
 وأبيض قصال الغريبة جائف  
 ولا هو عما يقدر الله صارف  
 نواجذها واحمر منها الطوائف  
 من الموت لا يتجو ولا الموت جائف  
 أراجيل أحبوش وأسود ألف  
 ينخب بها هاد لإثري قائف  
 وأية أرض ليس فيها متالف ؟

(٨) البيضاء : الدرع . النهي : الغدير . ريج : أصابته الريح فالغدير أصنى وأنى . الأكم : المرتفعات .

(٩) يرضيك عنه ذواقه : يعجبك وأنت تطلبه . يناد : يرجع وينعطف . والمطرّد : الريح .  
 (١٠) الصفراء : القوس . النبع : شجرة تنخذ منه القسي والمهام . الأبيض : السيف . قصال : قطاع . جائف : يباغ الحرف .

(١١) العتاد : عدة المحارب أو أطلحته .

(١٢) العوان : القوة . الطوائف : النواحي .

(١٣) جائف : مائل .

(١٤) غمدان : حض منيع في اليمن . الأراجيل جمع أرجال وهي جمع راجل . الأحبوش : الحبش . الأسود : الحية السوداء . الألف : الأنس بالمكان .

(١٥) ينخب : يسرع . قائف : يقوف الآثار ويتبعها .

(١٦) السادر : اللاهي الذي لا يابه بشيء . متالف : مهالك .

\* \* \*

عبد الله التطاوي

## المسيب بن علس

\* \* \*

هو زهير بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة ... شاعر جاهلي قديم لم يدرك الإسلام ، يُعدّ واحداً من أشهر المقّالين في الجاهلية ، وهم ثلاثة : المنّاس والمسيب بن علس وحُصَيْن بن الحُمام المُرّي .

كان الأعشى راويته وأخذ منه بعض أشعاره وأفاد منها في بعض قصائده .  
والقصيدة في المدح ، وتعد واحدة من أقدم القصائد العربية في هذا الموضوع ، أنشدها المسيب في مدح القعقاع بن زُرارة ، وكان سيداً مشهوراً في قومه ، ويبدو أن شهرته بالكرم قد غلبت على بقية الصفات عنده حتى قيل له « تيار الفرات » إشارة إلى شدة إسرافه في الكرم .

وتبدأ القصيدة بحوار نسبي يصور فيه الشاعر يأسه لفراق صاحبتة ، ويسرد — كمعادة الشعراء — تجربة غزلية فاشلة يخوض من خلالها في مجموعة من الذكريات الغزلية الحسية السريعة التي سرعان ما يتجاوزها إلى تصوير ناقته متخذاً منها وسيلة للانتقال إلى موضوعه ، حيث يمهّد له بمدخل طريف يفتخر فيه بالقصيدة ، ويشير إلى إعجابه بها من خلال تصويره مكاتبتها بين القصائد الأخرى ، حتى إذا وقع على بيت القصيد راح يصور ممدوحه بما فيه من ملامح بارزة في دائرة الفضيلة العربية الأصيلة ، وهي فضيلة قوامها الشجاعة والجلود والوفاء والعنف في محاربة الأعداء وقتالهم ، وكأن الشاعر بهذا كان يضع القواعد والأصول الثابتة لقصيدة المدح العربية في شكلها ومحتواها ، حتى اتخذت من بعده نمطا

ثابتاً ، قد يشوبه التحول في بعض الأحيان ولكنه — غالباً — ما يكون تحولاً محدوداً تحكمه القدرات الخاصة لكل شاعر خاض في هذا الفن .

ولعل فلسفة اختيار هذه القصيدة تستند — إلى جانب كونها واحدة مشهورة من روائع شعر المدح العربي — إلى رؤيتها من منظور القِدم ، والإغراق في عرض مجموعة صفات أصبحت تمثل معجماً شعرياً يستمد منه الشعراء كثيراً من الصور بعد المسيب .

ومن أهم الملامح الفنية التي تسجلها القصيدة ما لجأ إليه صاحبها من اعتماد واضح على الصيغ التقريرية المباشرة وقلة التصوير ، بل بساطة الصورة حين يأتي بها على قلة الأمر الذي يمكن رده إلى محدودية خيال شعراء البيئة عموماً ، وهو ما يكتمل تصوره إذا أضفنا إليه تلك الرؤى الفكرية التي يغلب عليها طابع البساطة والسهولة والسرعة في عرض الصفات على ما فيها من إطلاق وتعميم تسنده المقارنة بين هذا الممدوح وبين غيره من البشر . كما تزداد حاجة الشاعر إلى هذا الوضوح حين يعود في ختام القصيدة ليُجمل في البيت الأخير ما سبق أن فصله في أبيات المدح ، بل يزداد حرصه حين يلجأ إلى تعليل ما هو بصده من عرض تلك الصفات .

فشكل القصيدة نمطى أصبح بدايةً وأصلاً للتقليدية في هذا الفن ، وقد ظل محتواها — كما هو واضح — نموذجاً يُحتذى ، ولكنه أكثر قابلية للتجديد والإضافة والابتكار بعيداً عن تلك البساطة التي تطلبت من الشاعر قلة التصوير وضرورة الاستعانة بالشرط في عرض كل صفة على حدة ، أوحى كثرة عقد المقارنات بين ممدوحه وبين غيره من الممدوحين حتى تسهل له مهمة الاستمرار في النظم .

عبد الله التطاوى

## تَيَّارُ الْفُراتِ

\* \* \*

- ١ أَرَحَلْتُ مِنْ سَلَمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ      قَبْلَ الْعُطَاسِ وَرُعَّتْهَا بَوْدَاعٍ
- ٢ مِنْ غَيْرِ مَقْلَبَةٍ وَإِنْ حَبَالُهَا      لَيْسَتْ بِأَرْمَامٍ وَلَا أَفْطَاعٍ
- ٣ إِذْ تَسْتَبِيكَ بِأَصْلَتِي نَاعِمٍ      قَامَتْ لَتَفْتِنَتُهُ بِغَيْرِ قِنَاعٍ
- ٤ وَمَهْمَا يَرْفُ كَأَنَّهُ إِذْ ذُقْتَهُ      عَانِيَةٌ شُجَّتْ بِمَاءِ يَرَاعٍ
- ٥ أَوْ صَوْبُ غَادِيَةٍ أَدْرَتْهُ الصَّبَا      يَزِيلُ أَزْهَرَ مُدَجِّجٍ بِسَبَاعٍ
- ٦ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْحَكْمَ مَجْتَذِبُ الصَّبَا      وَصَحَّوْتُ بَعْدَ تَشْوِيقٍ وَرُوعٍ

\* \* \*

- ٧ قَتَصْتُ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ      بِخَمِيصَةٍ مُرْجِ الْيَدَيْنِ وَسَاعٍ
- ٨ صَكَاةَ ذَعْلَبَةٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا      حَرَجٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا هِلْوَاعٍ

- (١) المتاع : ما يحمله المسافر من زاد . العطاس : الصبح .
- (٢) المقلبة : البنض . الحبل الأفطاع : يشير به إلى الهجر والقطيعة .
- (٣) تستبيك : تأسرك وتوقعك في حيا . الأصل : الخلد الناعم .
- (٤) المها : البلور بما فيه من صفاء وبقاء . يرف : يتلأأ ويلعب . عانصة : يقصد بها الخرقة نسبة إلى عانة بالعراق . الشج : المزج . اليراع : القصب .
- (٥) صوب غادية : ماء صحابة . أدرتة : استخرجت ماءه . السباع : الطين . الأزهر : الإبريق .
- (٦) الحكم : الحكمة . الصبا : الصبوة .
- (٧) تسل حاجتها : يطالب نفسه بالسووغها والانصراف عن ذكرها إذا هي أعرضت عنه أو هجرته أو نوت قطعه . الخميصة : الضامرة إشارة إلى شدة هزالها وضهور بطنها . مرج اليدين : إشارة إلى سرعتها في السير . وساع : واسعة في سيرها .
- (٨) ذعلبة : سريعة . حرج : ضخمة يمتد طولها على وجه الأرض . صكاء : تقاربت ركبناها حتى يصل بعضها بعضاً ، وهي من صفات النعامة استعارها للناعمة . هلواع : مستخفة تكاد تفرغ من شدة نشاطها ، والهلح : الخفة والسرعة في الجرى .



- ٩ وَكَأَنَّ قَنْطَرَةً بِمَوْضِعِ كُورِهَا      مَلَسَاءَ بَيْنَ غَوَامِضِ الْأَنْسَاعِ  
 ١٠ وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَاهُهَا      دَوَى نَوَادِيهِ بَغْلَهْرِ الْقَاعِ  
 ١١ وَكَأَنَّ غَارِبَهَا رِبَاوَةٌ تَحْرِمُ      وَتَمُدُّ ثَنَى جَدِيلِهَا بِشِرَاعِ  
 ١٢ وَإِذَا أَطْفَتَ بِهَا أَطْفَتَ بِكُلِّكَلِ      نَبِضُ الْفَرَائِصِ مُجْفَرِ الْأَضْلَاعِ  
 ١٣ مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا      تَكْرُو بِكَفِّي لَاعِبٍ فِي صَاعِ  
 ١٤ فَعَلَّ السَّرِيعَةُ بَادَرَتْ جُدَادَهَا      قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ  
 ١٥ فَلَا هُدَيْنَ مَعَ الرِّيَّاحِ قَصِيدَةٌ      مَنِ مُغْلَغَلَةٌ إِلَى الْقَعَقَاعِ  
 ١٦ تَرْدُ الْمِيَاهِ فَمَا تَزَالُ غَرِيبَةً      فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعِ  
 ١٧ وَإِذَا الْمُلُوكُ تَدَافَعَتْ أَرْكَانُهَا      أَفْضَلَتْ فَوْقَ أَكْفُهُمْ بِذِرَاعِ

- (٩) الكور : كور الرجل خشبه وأداته . الأنساع : سيور جلدية يشد بها الرجل .  
 غموضه : دخوله في جلدها . يصور ناقتة ملساء الظاهر .  
 (١٠) تعاورت : تبادلت . دوى : صوت . نوادي الحصى : ما تقدم منه .  
 القاع : ما استوى من الأرض . الغارب : ما بين العنق والسانم .  
 (١١) الرباوة : ما يسترق من الأرض الغليظة . المحرم : منقطع في الجبل . الجدِيل : الزمام .  
 ثنى الجدِيل : ما انتهى منه باليد . الكلكل : الصدر .  
 (١٢) الفرائص : الجسم في مرجع الكتف . نبضا : شدة حركتها . مجفر الأضلاع : واسع  
 الأضلاع .  
 (١٣) النجاء : السرعة . تكرو : تلعب بالكرة إشارة إلى سرعتها . الصاع : منخفض من  
 الأرض .  
 (١٤) الجداد : ما بقي من خيوط الثوب . استعار لناقة صورة المرأة التي تحوك ثوبا وتريد إتمامه  
 بسرعة إشارة إلى سرعة يديها .  
 (١٥) مغلغلة : يستعين بها الناس فيسلكون بها ما هو غامض .  
 (١٦) غريبة : يشير إلى سعة انتشارها وغرابتها على كل قوم تعمل إليهم ويعجزون عن نظم مثلها .  
 (١٧) تدافعت أركانها : اشتد تراحمها عند المفارقة . أفضلت : زدت عليهم ، وارتفعت عنهم .

- ١٨ وإذا تهبج الريح من صُرَادِها  
 ١٩ أحَلَّتْ بَيْتَكَ بِالْجَمِيعِ وَبَعْضُهُمْ  
 ٢٠ وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ خَلِيجٍ مُقْعَمٍ  
 ٢١ وَكَأَنَّ بُلُقَ الْخَيْلِ فِي حَافَاتِهِ  
 ٢٢ وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ فِي الْأَعَادِي كُلِّهَا  
 ٢٣ يَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَثِيرِ سِلَاحُهُمْ  
 ٢٤ أَنْتَ الْوَفِيُّ فَمَا تُذَمُّ وَبَعْضُهُمْ  
 ٢٥ وَإِذَا رَمَاهُ الْكَاشِشُونَ رَمَاهُمْ  
 ٢٦ وَلِذَا كُمْ زَعَمْتُ تَمِيمٌ أَنَّهُ

\* \* \*

- (١٨) الصرَاد: رياح باردة ممطرة . النيب: إناث الإبل المستة . الجمعاج: موضع بركة البعير .  
 يصور الإبل وقد عجزت مسانها عن مغادرة مباركها لشدة البرد وقسوته .  
 (١٩) الأوزاع: المتفرقون .  
 (٢٠) الآذَى: الموج أو السيل . ذى دفاع: يدفع الماء بفضه بعضا لكثرة .  
 (٢١) الدوالي: ج دالية آلة للسوق . يصور الخليج وهو يرى بموجة دوالي الزراع .  
 (٢٢) المخدر: الأسد اتخذ الأجمة خدراله . المعيد: الذى يعيد فعل الشيء . الوقاع: ج وقعة .  
 كوقعة الحرب إشارة إلى كثرة اقتراسه .  
 (٢٣) الوعواع: الجلبة والصياح .  
 (٢٤) ملاح: اسم مكان ينسب إليه العقبان . يصور وفاءه بعهده وذمته وعفته عن الطمع في  
 جاره كما يفعل غيره ممن يهدرون حتى الجوار .  
 (٢٥) الكاشح: المبعض . المعابل: النصال . المذروبة: المهدودة . القطاع: نعال حريضة قصيرة .  
 (٢٦) الباع: يشير بها إلى شدة إمرافه فى الندى أو الكرم .

«تراجع القصيدة فى ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد شاكر

وعبد السلام هارون» .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## طَرْفَة بن العَبْد

\* \* \*

يُنْتَهَى نَسَبُهُ إِلَى قَبِيلَةِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ إِحْدَى فُرُوعِ قَبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ الضَّخْمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْزِلُ فِي إِقْلِيمِ الْبَحْرَيْنِ بِالْمَنْطِقَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى سَوَاحِلِ الْخَلِيجِ ، وَهِيَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي هَاجَرَتْ إِلَيْهَا مَعَ أُخْتِهَا تَغْلِبُ فِي أَعْقَابِ حَرْبِ الْهَسُوسِ .

وُلِدَ طَرْفَةُ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي أَسْرَةٍ كَرِيمَةٍ الْأَصْلُ وَافِرَةُ الثَّرَاءِ ، وَتَوَفَّى أَبُوهُ وَخَلْفَهُ صَغِيرًا فِي رِعَايَةِ أُمِّهِ « وَرْدَةَ » ، وَعَاقَبَتْهُ فِي صِغَرِهِ مِنْ ظَلَمِ أَعْمَامِهِ لَهَا ، فَقَدْ غَلِبُوهُمَا عَلَى حَقِّهِمَا فِي الْمِيرَاثِ وَأَكْلَوْهُ ظُلْمًا . وَهُوَ ظَلَمَ تَرَدُّدَ أَصْدَاؤِهِ فِي شَعْرِهِ ، تَارَةً فِي شَكْوَى صَرِيحَةٍ مِنْهُمْ ، وَتَارَةً فِي شَكْوَى عَامَةٍ مِنْ « ظَلَمِ ذَوِي الْقُرْبَى » .

وَالْأَخْبَارُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا عَنْ حَيَاةِ طَرْفَةِ قَلِيلَةٌ ، وَرَبَّمَا سَاعَدَ عَلَى قِلَّتِهَا قِصْرُ عُمُرِهِ ، فَقَدْ قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً ، أَوْ — عَلَى أَعْبَدِ تَقْدِيرٍ — وَهُوَ ابْنُ سِتِّ وَعَشْرِينَ ، وَهُوَ مَا تَذَكَّرَهُ أُخْتُهُ « الْحَرْثُ » فِي بَعْضِ شَعْرِهَا :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً      فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا  
يُفَعِّنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّابَهُ      عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا حَقْمًا

وَكَانَ مَقْتَلُ طَرْفَةِ فِي مَاسَاةٍ تَرَدَّدَ أَمْثَالُهَا فِي الرِّوَايَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ وَمُلُوكِ الْبَلَاطِ الْحَبَرِيِّ ، فَقَدْ كَانَ طَرْفَةُ وَخَالَه الْمُتَنَمِّسُ الشَّاعِرُ نَدِيمِينَ لِلْمَلِكِ عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ وَأَخِيهِ قَابُوسَ الَّذِي كَانَ يَرْشَحُهُ لِلْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلِأَسْبَابٍ تَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ حَوْلَهَا تَطَاوُلَ طَرْفَةِ عَلَيْهِمَا فَهَجَاهُمَا فِي

بعض شعره ، فكتب عمرو بن هند إلى عامله على البحرين كتابين يأمره فيهما بقتل الشعراء ، وسألهما لما بعد أن أوهمهما أنه يأمره فيهما بجائزتين لهما . وشك المتلمس في كتاب الملك ، فدفع به إلى من قرأه له ، فلما عرف ما فيه قذف به في نهر الحيرة وفر ناجيا بحياته إلى ملك الغاسنة بالشام . وأما طرفة فقد رفض نصيحة خاله بفص كتابه لمعرفة ما فيه ، ومضى في طريقه إلى عامل البحرين الذي نفذ فيه أمر الملك فقتله .

وليس من اليسير — كما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين — أن نحدد تاريخ مقتله ، ولكن إذا كان حكم الملك عمرو بن هند قد انتهى في سنة ٥٦٨ أو ٥٦٩ للميلاد ، فإن مقتل طرفة لابد أن يكون قبل هذا التاريخ ، ولكن يظل من العسير بعد ذلك أن نحدد السنة التي قُتل فيها تحديدا قاطعا ، وإن يكن بعض الباحثين المحدثين يرجحون سنة ٥٦٤ تاريخا لمقتله . فإذا أخذنا بما ذكرته أخته من أنه عاش ستا وعشرين سنة فإن مولده يكون حوالى سنة ٥٣٨ .

وشعر طرفة كأخباره قليل أيضا ، فالصحيح الثابت منه قليل . وأشهر قصائده من هذا الثابت الصحيح معلقته « نَحْوَلْ أَطْلَالْ بِرُقَّةِ نَهْمِدِ » ثم رائيته « أَصْحَوْتِ الْيَوْمَ أُمَ شَاقَّتْكَ هِرَ » .

وطرفة — على قصر حياته وقلة شعره — من كبار شعراء العصر الجاهلي ، ويضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول هذا العصر مع علقمة بن عبدة وصبيد ابن الأبرص وعدى بن زيد ، ويقول إن موضعهم مع الأوائل لولا قلة شعرهم بأيدي الرواة .

ويتراءى طرفة في شعره شابا ثائرا متمردا على الحياة ، شديد الإحساس بالمصير المحتوم الذي حدده القدر للإنسان فيها ، وكأنه يرفض الاستسلام لها وله ، فلا يجد

أمامه إلا الاستمتاع بها إلى آخر قطرة فيها قبل أن يدركه هذا المصير . وفي غير قليل من شعوره يتراءى كأن بينه وبينها سباقا يريد أن يصل إلى غايته قبل أن يحول المصير بينه وبينها .

وأسلوب طرفة أسلوب بدوي في لغته وصوره . وفي بعض قصائده ترتفع هذه البداوة إلى أقصى درجاتها ، وكأنما لم تؤثر فيه حياته في المنطقة الشرقية القريبة من مراكز الحضارة المتقدمة في عصره ، وإن كنا — مع ذلك — لا نفتقد بعض الصور الحضارية في شعوره التي تسربت إليه من اتصاله بهذه المراكز الحضارية وما يراه فيها من مظاهر حياة لا يراها في مجتمعه البدوي . ولكن الحقيقة التي تكشف عنها هذه الصور تؤكد أن اتصال طرفة بهذه المراكز كان اتصال الشاب البدوي الذي لم تنفذ هذه الحضارة إلى أعماقه ، فظل — على الرغم من كل شيء — بدويا في لغته وصوره وأسلوبه .

\* \* \*

يوسف خليف



( ١ )

## من المعلقة

\* \* \*

تعدّ معلقة طرفة أطول المعلقة العشر ، فهي تبلغ — في رواية التبريزي —  
لها — مائة وخمسة من الأبيات . وهي تبدأ بمقدمة طَلّية يقف فيها الشاعر  
بأطلال صاحبه « خَوْلَة » ، ويطلب إلى أصحابه — كما طلب امرؤ القيس من  
قبل — أن يقفوا مطيهم بها . ثم ينتقل إلى الحديث عن رحلة الطعائن ، فيصف  
القافلة المسافرة ، ويصف جمال صاحبه ، ثم يمضي إلى وصف ناقته ، فيطيل  
فيه إطالة ملحوظة تشغل من المعلقة ثلاثة وثلاثين بيتا ، وكأنما شغلته ناقته عن  
كل شيء ، ويقف أمامها وقفة المثال البارع يسوّى لها تماثلا رائع الجمال ، بالغ  
الدقة ، غنيا بالتفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة ، يحرص فيه على أن يوفّي كل  
جزء منه حقه ، وكأنه يريد أن يقدم تماثلا نابضا بالحياة « للناقة المثال » التي  
تستحق أن يقف أمامها وقفة العاشق المفتون ، يتغنى بها هذا الغناء الطويل ،  
ويعزف لها هذه المعزوفة الضخمة المتنوعة الأنغام والألحان . ثم يمضي الشاعر  
بعد ذلك في حديث ذاتي يتغنى فيه بفتوته وجرأته وكرمه ولطوه ونمره ونسائه ،  
وإنفاقه كل شيء في سبيل لذته ، حتى انتهى به الأمر إلى تحلّي قبيلته عنه وخطعها  
له . ثم ينتقل إلى تسجيل فلسفته في الحياة والموت ، فالحياة فانية ، والمصير  
محتوم ، والموت قدر مقدور ، والنهاية للجميع واحدة . وإذن فقيم إضاعة

الإنسان حياته دون اغتنام كلِّ فرصة لإثبات وجوده فيها ؟ وفيّم تبديد أيام عمره المعدودة دون اقتناص كلِّ لحظة فيها للاستمتاع بكلِّ ما تتبعه له من مُتَعٍ من قبل أن يضع الغيب المجهول نهايتها المحتومة التي لا يعرف ما وراءها ؟ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الشكوى من ظلم أقاربه له ، ويشكو من موقف ابن عم له قطع ما بينهما من حبال القربى وأواصرها . ثم يعود مرة أخرى — قبل أن يصل إلى نهاية القصيدة — إلى الفخر بنفسه ، والتغنى بشجاعته وجرأته وكرمه ونجدته ومروءته . ثم تأتي النهاية طائفة قليلة من الحكم تدور حول المحور الأساسي الذي دارت حوله القصيدة : الحياة والموت والمصير والغيب المجهول .

وتأتي أهمية معلقة طرفة من أنها قصيدة ذاتية خالصة ، فرغ فيها لنفسه دون أن تزحمه حقوق القبيلة عليه ، واستطاع أن يرسم فيها صورة معبرة عن نفسيته وشخصيته ، صادقة كل الصدق في نقل مشاعره ، صريحة كل الصراحة في رصد ما يدور في أعماقه من قلق وشك وحيرة . ولا تكاد تعدلها في هذا الموقف من بين المعلقات الأخرى إلا معلقة امرئ القيس ، ولكن إذا كانت معلقة امرئ القيس تعكس شخصية الشاب السعيد المتفائل المحظوظ المدلل الذي لا يشغله في حياته سوى صاحباته وأصحابه : صاحبات حبه ولحوه ، وأصحاب صيده وقنصه ، فإن معلقة طرفة تعكس شخصية أخرى مختلفة تماما عن هذه الشخصية . إنها تعكس شخصية شاب قلق في حياته ، متشائم منها ، شاكٍّ فيها ، يدفعه قلقه وتشاؤمه وشكه إلى الإقبال على الحياة ليستمتع بها من قبل أن يدركه مصيره المحتوم الذي لا يدري ما وراءه إلا أنه غيب مجهول محجب ، وربما لم يكن وراءه شيء ، وربما كان الموت هو النهاية التي يتساوى عندها الجميع : من أسرفوا على أنفسهم في الحياة ،

وَمَنْ خَمَّنُوا بِهَا عَلَيْهَا ، فَكَلَا الْفَرِيقَيْنِ فِي حَفْرَتَيْنِ مُتَشَابِهَتَيْنِ « عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُمِّ .  
 مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّبٍ » .

\* \* \*

- ١ لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بُبْرَقَةٍ تَهْمِدُ      تُلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْبَيْدِ
- ٢ وَقُوفًا بِهَا صَحْبَى عَلَى مِطْيِهِمْ      يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلَّدِ
- ٣ كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ عُذْوَةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ
- ٤ عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ      يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طُورًا وَيَهْتَدِي

(١) خولة : اسم صاحبتها التي يقف بأطلالها . وبرقة تهمد : اسم مكان ، والبرقة كل رابية يختلط فيها رمل وطين أو حجارة وطين . يشبه الأطلال آثار الوشم التي مازالت باقية في ظاهر اليد ، واختار ظاهر اليد للدلالة على أن هذه الآثار ظاهرة للعين يراها كل من يمر بالأطلال .

(٢) التجلد : التماسك والصبر عند الشدائد . والبيت تكرار لبيت امرئ القيس في مقدمة معلقته لم يغير فيه سوى القافية :

وقوفا بها صحبي على مطيهم      يقولون : لا تهلك أمي وبحمل

(٣) الحدودج : جمع حدج (بكسر الحاء) وهو الهدوج . والمالكية : هي صاحبة خولة . والخلايا : السفن الكبيرة ، جمع خلية . والنواصف : المناطق الرحبة الواسعة في الوديان . ودد : اسم مكان . يشبه هودج الظمآن وهي تمضي في رحاب هذه المنطقة بالسفن الضخمة وهي تمضي في أرجاء البحر الفسيحة .

(٤) عدولية : منسوبة إلى عدولي ، وهي مدينة على سواحل البحرين مشهورة بصناعة السفن . وابن يامن : ملاح من أهل هجر ، وهي مدينة على سواحل البحرين أيضا ، ويدرو أنه كان ملاحا مشهورا في هذه المنطقة . يجور : يميل بها ويخرف عن الطريق الصحيح . والبيت وصف للسفن التي أشار إليها في البيت السابق ، والتي يشبه بها قافلة الظمآن . والبيتان يفسدان تأثر الشاعر بيئة البحر التي كانت قبيلته تنزل بها .

- ٥ يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا      كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُقَابِلُ بِالْيَدِ  
٦ فِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ      مُظَاهِرٌ سَمَطَى لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ  
٧ خَذُولٌ تُرَاعِي رَبَّابًا بِخَيْلَةٍ      تَسَاوُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي  
٨ وَتَبِيمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مَنُورًا      تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ نَدَى

(٥) حباب الماء : أمواجه أو الزبد الذي يملأ سطحه . والحيزوم : الصدر ، يريد به مقدمة السفينة . والضمير في « بها » يعود على السفن . والمقابل : الذي يشترك في لعبة النبال أو المفايلة ، وهي لعبة لصبيان العرب يكتومون تراباً أو رملاً ، ثم يجثون فيه شيئاً ، ثم يشق المقابل هذه الكومة بيده فيقسمها قسمين ، ثم يقول للاعبين : في أي الجانبين خبأت ؟ فن أصاب ظفر ، ومن أخطأ خسر . والنسبة مأخوذة من قولهم للخاسر : قال رأيك ، أي خاب وأخطأ وانحرف عن الصواب . والبيت يعكس امتزاج صور البحر والصحراء في أعماق الشاعر .

(٦) الأحوى : الظبي له خطتان من سواد وبياض ، يشبه به صاحبه . والمرد : ثمر الأراك الناضج . وينفضه : أي يهزه بقرنيه فينساقط عليه . والشادن : الظبي الصغير الذي اقترب من الاستغناء عن أمه . والمظاهر هنا : الذي يلبس عقدين أحدهما فوق الآخر . والسمط : العقد من الجواهر الكريمة . يشير بهذا إلى أن صاحبه مترفة غنية حريصة على زينتها وحليها .

(٧) الخذول : الظبية التي خذلت القطيع وانفردت عنه لتراعي صغيرها ، يشبه بها صاحبه بعد تشبيهها بالظبي الصغير في البيت السابق . والبرير هنا هو قطع الظباء . وتراعيه : تنظر إليه وتراقبه وتمد جديدها نحوه فيبدو طولها وجمالها واعتدالها . والخيولة : الأرض المهلهة اللينة الخصبية التي يكثر فيها الشجر . والبرير : ثمر الأراك الذي لم ينضج . وتساوُل أي تتناول حذف إحدى التاءين تخفيفاً . وترتدي : يريد أن أغصان الأراك تهطل عليها حين تمد عنقها إليها لتتناول ثمرها فتكسوها . والصورة مرسومة بدقة بارعة ، وهي من أجل ما رسم شاعر جاهلي من صور الظباء .

(٨) الأملى : الأسمر اللثات ، يريد ثمرها ، وصورة اللثة من علامات الجمال عند العرب . والمنور : يريد به الأقوان الذي ظهر نوره ، والعرب يشبهون الأسنان به . وتخلل حر الرمل : أي نبت في وسطه ، وحر الرمل : أكرمه وأصفاه وأحسنه ألواناً . والدعص : الكثيب من الرمل . والضمير في « له » يعود على المنور . والندى : الذي أحاط به الماء ، فهو لذلك أكثر نضارة .



- ٩ سَقَّتْهُ إِيَّاءُ الشمسِ إِلَّا لِسَانَهُ      أَسِفٌ ، وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِهِ  
١٠ وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا      عَلَيْهِ نَقَى اللُّونَ لَمْ يَتَّخِذْ

\* \* \*

- ١١ وَأَنَّى لَأَمْضَى الهمَّ عِنْدَ احتضاره      بِعُوجَاءِ مِرْقَالِ تَرُوحٍ وَتَقْتَدِي  
١٢ أُمُونٍ كَالوَجِ الْإِرَانِ نَسَائُهَا      عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بِرَجْدٍ  
١٣ تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَأَتَبَّعَتْ      وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبِدٍ

(٩) إِيَّاءُ الشمسِ : ضوءها وشعاعها . والماء في « سقته » تعود على النقر . ومعنى سقته : أكبته بياضا وأضر به حسنا . يريد أن نقرها أبيض ولثاتها صبر . وأسف بإثمه : أي ذر عليه الإثم وهو الكحل ، والتعبير على التشبيه ، يقول كأن نقرها ذر عليه كحل فصبغه بصبغة صمراء ، وصمرة الشفاء من علامات الجبال عند العرب . ولم تكدم عليه : أي لم تمضض عليه شيئا صلبا فيؤثر في استواء أسنانه .  
(١٠) كَانَ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ : تصوير بجماله وصفائه وإشراقه ، يؤكده وصفه له بأنه « نَقَى اللُّونَ » . ولم يتخذ : لم يضطرب جلده ولم يترهل لحمه ، أي لم تصبه غضون أو تجاعده بصفه بالشباب والحيوية والنضارة . والصورة في هذه الأبيات من أجل ما عرّفه الشعر الجاهلي . وإلى هنا تنهى المقدمة الطللية .

(١١) من هنا يبدأ الشاعر وصف ناقته التي ينطلق فوقها إلى الصحراء لينسى مشكلاته في فضائها اللاتناهات ، وليتمتع بهيمته فوق رمالها المترامية إلى ما لا نهاية . العوجاء : الناقة الضامرة . والمِرْقَال : السريعة . وقوله « تَرُوحٍ وَتَقْتَدِي » يريد به أنها تصل الرواح بالغدو ، أي تصل آخر النهار بأوله في سيرها دون توقف ، ومن هنا كان وصفها بالعوجاء والمِرْقَال .

(١٢) الأُمُون : التي يؤمن عثارها لقوة بنيانها وتماسكها . والإِرَان : ثابت يحملون فيه الموتى من ساداتهم وكبرائهم دون غيرهم . ونسائُها : ضربتها بالمتسأة وهي العصا ، ويروى « نسائُها » ، وهي بمعنى واحد . واللاحِب : الطريق الواضح الذي تظهر فيه آثار المشي . والبرجد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، شبه آثار المشي التي في الطريق بخطوطه .

(١٣) العِتَاق : الكريمة الأصل . والنَاجِيَات : السريعة ، يريد أنها سبق غيرها من النوق الأصلية السريعة . والوظيف : عظم الساق ، وقوله « وَأَتَبَّعَتْ وَظِيْفًا وَظِيْفًا » يريد به أنها تضع وظيف رجلها موضع وظيف يدها ، وهو مما يستحب في سير الإبل ، ولذلك يمتدحون الناقة بأنها « خرقاء اليد صناع الرجل » يريدون أنها تدفع بيدها بدون تفدير لموضعها ، ولكنها تفدير موضع رجلها حيث وضعت يدها . والمور : الطريق . والمعبد : المذلل الذي مهد بالسير فيه ، وظهرت فيه آثار المشي .



- ١٤ تَرَبَّعتُ القُفَّينِ في السَّوولِ تَرَبَّعي حَدائقَ مَولي الأَسمرةُ أَغْيَدِ  
 ١٥ كَقَنْطَرَةِ الرُّومى أَقسَمَ رَبِّها لَتُكْتَفَنَ حتى تُشادَ بِقَرَمِدِ  
 ١٦ على مِثلها أَمضى إِذا قال صاحبي : ألا ليتي أَقْدِكَ منها وأُفتيدى  
 ١٧ وجاشتْ إِلَيهِ النفسُ خوفاً، وخالَهُ مُصاباً واو أَمسى على غيرِ مَرَصِدِ  
 ١٨ إِذا القومُ قالوا: مَنْ قى؟ خِلْتُ أَنى عُنيتُ فلم أَكسلْ ولم أَتَبَلَّدِ

(١٤) انقف : ما ارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، والفقان هنا موضع معين . وتربعت : أى دعت الربيع فيه . والسوول : جمع شائلة ، وهى الناقة التى مضى عليها بعد وضعها سبعة أشهر ، نخت لبها وشال ضرعها . و « فى » هنا بمعنى « مع » . والمولى : الذى أصابه الولي ، وهو المطر الثانى من أمطار السنة ، أما المطر الأول فيسمى « الرومى » . والأسرة : بطون الأودية ، وفيها يجمع ماء المطر أكثر من المرتفعات . والأغيد : الناعم اللين من النعمة ، صفة « لمولى الأمرة » . يصف قائته فى مرعاها ، ويتخير لها فصل الربيع لخصبه ووفرة نباته ، ويجعلها مع صواحبه من النوق الشوائل ليكون أدعى لرحبها ، وأشد إغراء لها عليه .

(١٥) ربها : صاحبها ، والضمير يعود على القنطرة . وتكتنف : تحاط من أكتافها أى نواحيها ، والنون فيه نون التوكيد الخفيفة ، واللام لام القسم . وتشاد : ترفع . والقرمد : الأجر وهو الطوب الذى يبنى به ، وهى كلمة فارسية معربة . يشبه قائته فى ضخامتها وشدة بذانها بقنطرة تبنى لرجل رومى أقسم ألا يفرق البناؤون عنها حتى يحكموا بناءها من كل جانب ، ويرفده بالآجر الصلب الشديد .

(١٦) الضمير فى « مثلها » يعود على الناقة ، وفى « منها » يعود على الصحراء المفهومة من السياق . والحديث هنا يدور بين الشاعر وصاحبه وهما منطلقان فى رحلة فى أعماق الصحراء البعيدة الرهبة ، وصاحبه يعلن خوفه من الهلاك فيها ، ويتمنى لصاحبه وإنفسه النجاة منها ، وكان طريقة يفتخر بجراته على اختراقها ، وصبره على مشقتها .

(١٧) الضمير فى « إليه » يعود على صاحبه . وخاله : أى خال نفسه . ومصاباً : أى هالكا . ولو أَمسى على غير مرصد : أى ولو أَمسى فى موضع لا يرصده فيه عدو . والبيت استمرار فى وصف رهبة الصحراء التى يفتخر الشاعر بجراته وصبره على اختراقها ومشقتها .

(١٨) من قى ؟ : أى من قى لهذه الصحراء ؟ هكذا يقول الشراح القدماء فى تفسير البيت ، ويربطون بينه وبين البيتين التاليين . وفى رأى أن موضعه يجب أن يكون بعدهما ، ولا صلة له بهما ، وأن حديث طريقة عن فتوته ليس وفقاً على اختراق الصحراء ، ولكنه حديث عام يبدأ به قطعة الفخر فى معلقته ، فهو أشد ارتباطاً بحديث الفخر منه بحديث الناقة .

١٩ أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ      وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمَتَوَقِّدِ

٢٠ وَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيدَةُ مَجْلِسِ      تُرَى رَبِّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ

\* \* \*

٢١ وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً      وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرَفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

٢٢ فَإِنْ تَبَغْنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي      وَإِنْ تَقْتَنِعْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَلِدِ

٢٣ مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ كَأَسَا رَوِيَّةً      وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَآغْنِ وَازِدِدِ

(١٩) القطيع : السوط ، وأحال عليها به أى أقبل عليها ضرباً فى إثر ضرب . وأجذمت : أمرعت والال : السراب . وغب : جرى واضطرب . والأمعز : الموضع الغليظ الكثير الحمى . والمتوقد : الذى يتوقد بالحر .

(٢٠) ذالت : ماضت وتبخرت فى مشيتها ، وأصله من جر الذيل اختيالاً . والوليدة هنا : الجارية وربها : سيدها . والسحل : الثوب الأبيض . والممدد : الذى أرسلته فى الأرض وراحت تجروه وراءها . يشبه ناقته فى سيرها بهذه الجارية التى تختال فى ثيابها السابغة لتعرض مفااتها على سيدها . وإلى هنا ينتهى الشاعر من وصف ناقته الذى اخترنا من أبياته الثلاثة والثلاثين هذه الأبيات العشرة ، ليعبأ بعد ذلك حديثه عن نفسه وشخصيته وآرائه فى الموت والحياة .

(٢١) التلاع : مجارى الماء التى تصب من المرتفعات إلى الوديان المنخفضة . وقوله « مخافة » يريد مخافة أن يراه ضيف فيقصده ، يفتخر بالكرم . والرقد : العطاء والمعونة . يقول إننى لا أترارى فى الأماكن العالية عنى يطلب عطائى ومعونتى ، وإنما أنزل فى الأرض القضا المكشوفة لأعطى من يقصدنى وأعين من يحتاج إلى .

(٢٢) حلقة القوم يريد بها مجالس سادتهم التى يجتمعون فيها لإدارة الرأى فى أمورهم . والحوانيت : بيوت الخمارين ، وهى ترادف كلمة « الحانات » . يفتخر بمشاركته فى جانبي الحياة الجاد واللاهى ، فهو إذا جد الجسد شارك مادة فيلته فى إدارة أمورهما وتحمل تبعاتها ، وهو فى ساعات اللهو يشارك أمثاله من فتيانها مجالس شراهم ولهوهم .

(٢٣) أصبحك : من الصبح وهو شرب أول النهار . والكأس الروية : المنكة بالتمر . وغانيا : أى مستغنيا . يقول إن طلبت منادى وجدت عندى ما تطلبه من نحر ، وإن كنت مستغنيا عنها فأنت وشأنك تفعل ما تشاء .

- ٢٤ وإن يلتقي الحمى الجميع تلاقِي إلى ذروة البيت الرفيع المصنَّد  
 ٢٥ نَدَامَى يَبْضُ كالنجوم ، وَقِينَةُ تَوْحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَسَّدٍ  
 ٢٦ رَحِيبُ قَطَابِ الْجَيْبِ مِنْهَا ، رَفِيقَةُ بِحْسِ النَّدَامَى ، بَضَّةُ الْمُتَجَرَّدِ  
 ٢٧ إذا نحن قلنا : أَسْمَعِينَا ، انبثرت لنا على رِسلها مطرُوفةٌ لم تَشَدِّدِ  
 ٢٨ وما زال تَشْرَابِي الخمرَ وَلَذَّتِي وبِيعِي وإنفاقِ طَرِيفِي . وَمُتَلَدِّي

(٢٤) الجميع : المجتمعون للقاهرة . والمصنَّد : الذي يقصده الناس في الأمور الجلية ، من الصنعة وهو القصيد . يفتخر بمنزله في قومه وشرفه بينهم .

(٢٥) يشبه نداماء على الشراب بالنجوم في الحسن والوضاءة . والقينة : الجارية ، وهي هنا المغنية بدلالة جملات أبيات بعد ذلك . والبرد : الثوب الموشى المتقوش . والمجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران . يصف مجلس شراب حيث انخر والاهو والغناء : ندامى صباح الوجوه ، وقينة تجيد فنون الإغراء ، ونحر تدور كزورمها بينهم وبينها ، ثم لم يور خلاصة سيؤكدهما الشاعر في البيت التالي .

(٢٦) الجيب : الفتحة في أعلى الثوب التي يلبس منها ، وقطابة : مجتمعه حيث قطب أي جمع . والرحيب : الواسع . « وقطاب » فاعل للصفة المشبهة « رحيب » . ويروي بالإضافة إلى رحيب . « ومنها » متعلق بقطاب الجيب . يصف فطنة الحانة بأنها توسع قطاب جيها لتكشف عن صدرها ، وسيلة من وسائل الإغراء . « ورفيقة بحس الندامى » يريد أنها لا ترد أيديهم عندما يجسونها بها . وكانت القيان في العصر الجاهلي يفتنن في أكامهن فتقن إلى أعلى الذراع حتى الإبط حتى يثنى لرواد الحانات فرصة مد أيديهم للهن . والبضة : البيضاء الناعمة الرخصة اللينة . والمتجرد : جسدها المتجرد من ثيابها .

(٢٧) على رسلها : أي على مهل ورفق . والمطرُوفة : الفاترة الطرف . ولم تشدد : أي لم تشدد ، فحذف إحدى التاءين تخففاً ، يصفها بأنها تقنى في غير جهد أو عناء غناء مهلاً لنا متعلّقاً في غير تكلف له أو تصنع فيه .

(٢٨) التشراب : الشرب الكثير . والطريف : الحديث . والمتلد : القديم . يريد : إله المكتسب وماله الموروث .

- ٢٩ إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبود  
 ٣٠ رأيتُ بنى غبراء لا يُسكرونى ولا أهلَ هذاكَ الطرفِ الممدد  
 ٣١ ألا أيها اللاتمي أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت تُخلدي ؟  
 ٣٢ فإن كنت لا تستطيع دفع منبى قدغنى أبادرها بما ملكت يدي  
 ٣٣ ولولا ثلاثٌ هن من عيشة الفقى وجدك لم أحفل متى قام عودي

(٢٩) تحامتنى : تحجبني وتباعدت عني . والبعير المعبود : هو البعير الذي أصابه الجرب فغلى بالقطران لعلاجه ، وأبعد عن الإبل السليمة حتى لا يعديها .

(٣٠) بنو غبراء هم الفقراء ، والغبراء : الأرض ، كأنهم لا يملكون إلا ترابها ، أو كأنهم لاصقون بها . والطراف : القبة تتخذ من الجلد تميزها لها من سائر الخيام ، ولا تكون إلا للأغنياء . والممدد : الفسيح الرحب الذي مد بالأطواب . يريد أنه شخصية معروفة في مجتمعه ، يعرفه الفقراء المحتاجون لأنهم يعطيهم ، ويعرفه الأغنياء المعروفون في مجتمعاتهم لأنه واحد منهم . وكأنه بهذا يريد اعتباره أمام عشيرته التي تحامته وتكرت له . وهو ما صرح به في البيت السابق .

(٣١) في رواية أخرى « الزاجرى » بدلا من « اللاتمي » . و « أحضر » تروى بالنصب على إضمار « أن » ، وتروى بالرفع على إسقاطها . والوغى : الحرب . يصرح هنا بجانب من رأيه في الحياة وموقفه منها ، أو — إذا استعنا عبارات المحدثين — « فلسفته الوجودية » : إذا كانت الحياة فانية لا خلود لها ، وإذا كان الموت هو المصير المحتوم ، فلم لا تثبت وجودنا أمام هذا الفناء المقدر علينا ؟

(٣٢) تستطيع : أى تستطيع ، حلفت تأثرت بتحقيقا . البيت استمرار في هذه الفلسفة الوجودية : إن كنت — يا من تلومنى على مذهبي في الحياة — لا تملك أن ترد عنى الموت أو أن تضمن لى الخلود ، فلا تقف في طريقى ، ودعنى أستمتع بحياتى بكل ما أملك من قوة ، بل دعنى أبادر بالاستمتاع بها من قبل أن يدركنى المصير المحتوم الذى لا مفر منه .

(٣٣) « هن من عيشة الفقى » يريد أنهن مما يستحق الإنسان أن يحرص على حياته من أجله . وجدك : أى وحياتك ، قسم يتردد كثيرا في الشعر العربي القديم . العود : جمع عائد وهو من يزوره في مرضه . وقيام العود كناية عن الموت . يقول : لولا ثلاث منع فى الحياة تستحق أن يعيش الإنسان من أجلها لم أكن أبالى متى يأتى يومى الذى أفارق فيه هذه الحياة . وهى المنع الثلاث التى سيقتل الحديث عنها في الأبيات التالية .



- ٣٤ فَمِنْهُمْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِبَةٍ      كَمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلَّ بِالمَاءِ تَزِيدُ  
 ٣٥ وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا      كَسِيدِ الْغَضَى نَهْنَهُ الْمُتَوَرِّدُ  
 ٣٦ وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجَبٌ      بِهَيْكَنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمُتَعَمِّدُ  
 ٣٧ كَأَنَّ الْبُرَيْنَ وَالْذَمَالِجَ حُلَقَتْ      عَلَى عُشْرِ أَوْ خُرُوجٍ لَمْ يُخَضِّدِ  
 ٣٨ فَذَرْنِي أُرَوِّ هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا      مَخَافَةَ شُرْبٍ فِي الْحَيَاةِ مُصَرِّدِ

(٣٤) الكميت : النمر الحمراء القانية . وتزيد : يربد أن الزبد يعلوها عندما تمزج بالماء الذي يصب فوقها . هذه أول المنع التي يحرس على الحياة من أجلها . . النمر .

(٣٥) المضاف : الذي وقع في مأزق ضيق ، أو الذي أحبط به فلا يعرف له مخرجاً . والمجنب (بالجيم) ، ويروي المجنب (بالجاء) ، وهما الفرص في يديه أو رجله انحناء ، وهو عما تمدح به الخيل لأنه علامة على شدتها . والسيد : الذئب . والغضى : شجر من أشجار البادية ، وذئاب الغضى عند العرب أخبث الذئاب ، لأنها تستخفي فيه وتهاجم الإنسان على غرة منه وغفلة . والمتورد : الذي يطلب ورد الماء ، أى الذى يتجه نحوه ليورده ، صفة للذئب . ونهنته هيجته ، فى محل نصب حال من الذئب . يشبه فرسه فى هفنه وشدته بذئب الغضى الذى هيجته وأثرته وهو يسمى نحو الماء وقد استبد به العايش ، فيكون شديداً الضراوة . وهذه هى المنعة الثانية . . الفروسة .

(٣٦) الدجن : النغم الذى يغطي السماء فيحجبها ، أو هو المطر الغزير . ومعجب أى يعجب من رآه . وتقصير يوم الدجن رمز للهو والمرور . والهيكنة : المرأة المليحة الحلوة التى اكتمل جمالها . والخباء المعمد : الذى ارتفعت عمده . وهذه هى المنعة الثالثة . . المرأة .

(٣٧) البرين : الخلاخيل ، واحدتها برة . والذماليج : الأساور ، واحدتها دملج ودملوج . والعشر : شجر من أشجار البادية أملس قاعم أين العود . والخروج : كل نبات ناعم . ولم يخضد : لم يشن ، من خضد العود إذا ثناه ليكسره . يشبه الشاهر ذراعى صاحبه وساقها بالعشر والخروج فى نعومتها ولينها وملاستها .

(٣٨) الهامة : طائر فى أساطير الجاهليين يخرج من جسد الميت بعد موته ويظل يحوم حول قبره فترة ثم يختفى ، ولعله تمثل أسطورى للروح . والمصرد : القليل الذى يقطع عن الظمان قبل ريه . يطلب إلى من يلومه أن يتركه يظنى ظماً روحه إلى الشراب من قبل أن يدركه الموت ولم ينل منه فى حياته إلا القليل الذى يحال بينه وبينه قبل أن يرتوى منه .



- ٣٩ كريم يروى نفسه في حياته  
 ٤٠ أرى قبر نحام ببخيل بماله  
 ٤١ ترى جثوتين من تراب ، عليهما  
 ٤٢ أرى الموت يعتام الكرام ، ويصطفى  
 ٤٣ أرى الدهر كثرنا ناقصاً كل ليلة  
 ٤٤ لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي
- ستعلم إن متنا غدا أينما الصدى  
 كقبر غوى في البطالة مفسد  
 صفائح صم من صفيح منضد  
 عقيلة مال الفاحش المتشدد  
 وما تنقص الأيام والدهر ينقذ  
 لك أطول المرنى وثنياء باليد

\* \* \*

(٣٩) الصدى : الظل ، العطشان . وفي رواية أخرى « إن متنا صدى » (على المقعولة) أى إن متنا عطشا ، وفي رواية غيرهما « إن متنا صدى أينما » (على الإضافة) والصدى هنا هو ذلك الطائر الأسطوري . يطلب الى من يلومه على إمرائه في الشراب أن يتركه يطفى ظمأ روحه إلى الشراب في حياته ، لأنه ليس على يقين بما بعد الموت ، وكأنه يخشى لائمته الذى حرم نفسه من متع الحياة بأنه لن يجد بعد الحياة شيئا من هذه المتع .

(٤٠) النحام : البخيل الذى يتنحج ويذر إذا سئل ، وكأنه يماطل ويسوف في الإجابة . والغوى : الذى يتبع هواءه وينساق وراء لذاته ، من الغى والغواية بمعنى الضلال . يقول إن الموت يسوى بين البخيل الذى عاش حياته حريصا على ماله ببخيله به ، وبين الكريم المسرف الذى يفسد كل ماله في لذاته وغواياته .

(٤١) الجثوة : الكومة من التراب ، يراد بها هنا القبر . والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة التى يغطى بها القبر . والصم : الصلبة . والمنضد : الذى تضد فوق القبر أى وضع بعضه فوق بعض . هذه هى النهاية التى ينتهى إليها البخيل والكريم : كومتان من تراب عليهما صفائح من حجارة .

(٤٢) يعتام : يختار وينتق ، وكذلك معنى يصفى . والعقيلة : الشئ النفيس الذى يقع عليه الاختيار . والفاحش : المي الخلق . والمتشدد : الحريص على ماله ، البخيل به . والبيت تكرر وتأكيده لمعنى اليتيم السابقين .

(٤٣) فى رواية أخرى « أرى العيش » ، وفى رواية غيرهما « أرى العمر » . والبيت — على جميع رواياته — استمرار لحديث طرفه عن قضية الموت والحياة التى وقف عند كثير من جوانبها فى الأبيات السابقة .

(٤٤) « نا » فى قوله « ما أخطأ الفتي » مصدرية على تقدير « فى إخطائه الفتي » . والطول : الحبل تربط به الدابة فيطال لها فى المرحى إذا شاء صاحبها ، ويقصر لها إذا شاء . وثنياء : طرقات لأنها شتيان على اليد . والبيت استمرار لحديث الموت والحياة . يقول إن الإنسان فى يد القدر يتصرف فيه كيف يشاء ، إن شاء أمهله وإن شاء تعجل به ، ولكنه — على الحالين — لا يملك من أمر نفسه شيئا ، فهو كالدابة شدها صاحبها فى حبل طرفاه فى يده ، فهو يرنحى لها الحبل إذا أرخاه ، ولكنه لا يتركها تغلت منه ، حتى إذا شاء جذبها دون أن يكون لها رأى أو إرادة .

- ٤٥ فمالي أراي وابن عمي مالكا متى أذن منه ينأ عني ويبعد  
 ٤٦ يلوم ، وما أدري علام يلومني ، كما لامني في الحى قرط بن أعبد  
 ٤٧ وأيامني من كل خير طلبته كأننا وضعتناه على رمس ملحد  
 ٤٨ على غير ذنب قلته غير أني تشدت فلم أغفل حمولة معبد  
 ٤٩ وقربت بالقربي ، وجدك إنني متى يك أمر للنكيثة أمهد  
 ٥٠ وإن أدع للجللى أكن من حماها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد  
 ٥١ وإن يقدفوا بالقذع عرضك أسقيهم بكأس حياض الموت قبل التهديد

(٤٥) من هنا ينتقل طرفة إلى الشكوى من أقاربه الذين يمثلون جانباً آخر من مشكلات حياته ، بعد أن فرغ من الحديث عن مشكلته الكبرى فيها .

(٤٦) إن طرفة حائر مع أقاربه وموقفهم منه حيرته مع حياته وموقفها منه . إن المورفين فامضان أمامه ، لا يعرف حقيقتهما ، ولا يدرك سرهما .

(٤٧) الرمس : القبر . والملحد : الميت الذي دفن فيه . و « على » هنا بمعنى « في » . يقول لأنه ينس من كل خير عنده كأنه قدماء وهيل عليه التراب .

(٤٨) تشدت : طلبت . والحمولة : الإبل المحملة بالأحمال أو هي الأحمال نفسها . ومعبد : أخو طرفة ، وكانت لهما إبل اغتصبها قوم منهما ، فاستعاثا ابن عمهما مالكا على ردها ، فتخلى عنهما ، وهو ما يشكونه في الأبيات السابقة .

(٤٩) قربت بالقربي : أى أدلت عليه بالقراية ، يريد ابن عمه مالكا . النكيثة : أقصى الجهد . يعتب على ابن عمه تخليه عنه ، وتنكره لصلته القرابة بينهما التي تقرب إليه بها ، مع أنه لو وقع في شدة تحتاج إلى بذل أقصى جهده لما تخلى عنه ، ولأسرع إلى الوقوف معه فيها .

(٥٠) الجلى : الأمر الجليل العظيم ، مؤنث الأجل ، كالعظمى والأعظم . والجهد : المشقة والشدة . والبيت تغرب نفسه ، واستمرار في عتاب ابن عمه .

(٥١) القذع : اللفظ القبيح يشتم به . والحياض : جمع حوض . وقوله « قبل التهديد » يريد به أنه لا ينتظر حتى يرددهم وينذرهم ، وإنما يسارع إلى قتلهم فوراً . والبيت استمرار في عتاب ابن عمه .

٥٢ فلو كان مولاي امرأاً هو غيره لفرج كربى أو لانتظرنى خدى

٥٣ ولكن مولاي امرؤ هو خاني على الشكر والتسأل أو أنا مفتدى

٥٤ وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

\* \* \*

٥٥ أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كرايس الحية المتوقد

٥٦ قاليت لا يتفك كشحي بطانة لعصب رقيق الشفرتين مهند

٥٧ حسام إذا ما قت متصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعضد

(٥٢) المولى هنا وفى البيت التالى بمعنى ابن العم . وقوله « أنظرنى خدى » أى تأنى على وأمهلى ولم يتعجل باتخاذ موقف منى . يقول : لو كان ابن عمى شخصاً آخر غير مالك لوقف إلى جانبي بفرج كربى ، ويتأنى فى اتخاذ موقف منى .

(٥٣) قوله « هو خاني على الشكر والتسأل » يريد به أن ابن عمه يفرض عليه أن يتعرض لسؤال الناس وطلب معروفهم وشكرهم عليه ، وكأنه يخفقه بذلك ، أو — كما يقال — يضيق عليه الخناق ، وقد كان فى استطاعته أن يعفيه من ذلك ويحفظ عليه كرامته . وقوله « أو أنا مفتدى » يريد به أنه يفرض على ذلك أو يتركنى وحدى لأحل مشكلتى بنفسى .

(٥٤) المضاضة : وجع المصيبة . والبيت تركيز لموقف طرفه من موقف ابن عمه منه ، وارتفاع به من موقف فردى خاص إلى موقف إنسانى عام .

(٥٥) من هنا تبدأ قطعة الفخر فى الحلقة . الضرب : الخفيف . والخشاش : النافذ فى الأمور ذكاء ومضاء وتصمياً . والمتوقد : الكثير الحركة .

(٥٦) آليت : أقسمت . والكشحي : الخامرة . والعصب : السيف . يقول إنه أقسم ألا يفارق السيف بجنبه . يفخر بشجاعته وبأنه دائماً على استعداد لقتال من يفكر فى ظلمه ، وأيضاً لنجدة من يستنجد به .

(٥٧) البيت استمرار فى وصف سيفه . والحسام : القاطع . وقوله « متصراً به » أى متصراً من أى ظلم يزل به . والمعضد : الردىء من السيوف الذى يستخدم فى قطع الشجر . وقوله « كفى العود منه البدء » يريد أن الضربة الأولى به تكفى عن إعادة الضرب به مرة ثانية .

- ٥٨ أنى ثقة لا يثنى عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال حاجزه قيد  
 ٥٩ إذا ابتدر القوم السلاح وجدّتي منيعاً إذا بليت بقائمه يدي  
 ٦٠ وبرك هجود قد أثار مخافتي نواديها أمشي بعضب مجرد  
 ٦١ فموت كهامة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالويليل يلسد  
 ٦٢ يقول وقد تر الوظيف وساقها : ألست ترى أن قد آتيت بمؤيد ؟

(٥٨) البيت أيضا استمرار في وصف السيف . « أنى ثقة » يريد أنه سيف يوثق به ويطمأنه إلى مضائه وقطعه . والضريبة : المضروبة . وقوله « لا يثنى عن ضريبة » أى لا يرجع عنها ولا يرتد حتى يجهز عليها . وحاجزه : حده . وقوله « قد » أى قد فرغت وانتهيت من مهمتى . يفتخر بأن سيفه مريح القطع ، إذا قيل له مهلاً قال لقد انتهيت من أداء مهمتى .

(٥٩) « إذا ابتدر القوم السلاح » : أى إذا أجمعوا إليه عند الفزع أو النجدة أو إذا نزل بهم أمر مفاجئ . وقوله « بليت بقائمه يدي » أى ظفرت به وتمكنت منه ، وقائمه : مقبضه ، والضمير يعود على السلاح . والسلاح يذكرو يؤنث .

(٦٠) من هنا ينتقل الشاعر من الفخر بالشجاعة إلى الفخر بالكرم . البرك : الجماعة من الإبل الرائدة في مباركها . والهجود : النيام . وقوله « مخافتي » أى خوفها منى . والنوادى : مائدتها خوفاً منى ، ويروى « هواديها » أى أوائلها المتقدمة . والمجرد : الذى أخرج من غمسه . يصف فزع الإبل حين دخل عليها بسيفه المسلول لينتقى من بينها ناقة ينحرها لضيفه أو لرفاقه .

(٦١) الكهامة : الضخمة المسنة . والخيف : جلد الضرع ، يريد أنها ناقة ممثلة الضرع لأنها مريض . والجلالة : الضخمة . وقوله « عقيلة شيخ » يريد أنها خير ماله وأكرمه ، ولعله يريد بالشيخ هنا أحد أعمامه الذين تولوا تربيته بعد موت أبيه . والويليل : العصا الثقيلة الشديدة ، يشبه هذا الشيخ بها . والبلند : الشديد الخصومة ، صفة الشيخ .

(٦٢) تر الوظيف : انقطع ، والوظيف : عظم الساق والذراع . يريد أنه نحر هذه الناقة إكراماً لضيفه . والمؤيد : الأمر العظيم ، من « الأيد » وهى القوة والشدة . يقول إن عمه ينكر عليه نحر هذه الناقة الغالية .



- ٦٣ وقال : أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغِيَهُ مُتَعَمِّدٍ ؟  
 ٦٤ وقال : ذَرُّوهُ إِنَّمَا نَفَعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزْدَدِ  
 ٦٥ فَظُلُّ الْإِمَاءِ يَمْتَلِئُ حَوَارِهَا وَيُسَمَّى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ  
 ٦٦ فَإِنَّ مُتً فَانَعَيْنِي بِمَا أَمَا أَهْلُهُ وَشُقِّ عَلَى الْجِيبِ يَا ابْنَةَ مَعْبِدِ  
 ٦٧ وَلَا تَجْعَلْنِي كَامْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي  
 ٦٨ بَطْلِي عَنْ الْجُلَى سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَاءِ ذَلِيلٍ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلْهَدِ

(٦٣) الضمير في « قال » يعود على الشيخ ، وحديثه عن طرفة ، والخطاب موجه — في أغلب الظن — إلى أهله ، وكأنه ينكر عليه سلوكه الاجتماعي وتصرفاته الطائشة ، فهو قبيح عنيف شديد الظلم لأهله ، صاحب شراب يبدد فيه ماله ، وكأنه مستعص على نصحه الذي وجهه إليه في البيت السابق . و « بغيه » فاعل لقوله « شديد » و « متعمد » صفة لشديد .

(٦٤) الضمير في « قال » يعود على الشيخ أيضا ، والخطاب فيه موجه لأهله . يقول إن عمه ينسى من نصحه ، ولم يجد أمامه إلا أن يترك له هذه المرة ، فهو يطلب إلى أهله أن يتركوا له هذه الناقة ، وأن يدركوا بقية الإبل النافرة قبل أن يقضى عليها باندفاعه وتهوره وسفهه .

(٦٥) الإمام : الجوارى . ويمتلئ : يشوين على الجمر ، من « المسلة » وهي الرماذ الحار . والحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أو قبل أن تقطعه . والسديف : شرائح السنام . والمسرهّد : الناعم اللذيذ الطعم . لقد نحر طرفة الناقة وصغيرها ، ومضى الإمام يشوين لجهما وشحمها ، ويدرن على الرفاق أو على الضيوف بما لذ وطاب منهما .

(٦٦) ابنة معبد هي بنت عمه الذي أشار إليه في أكثر من موضع من هذه القصيدة . والبيت تأكيد لإحساسه بذاته ، وحسرتة على موقف قومه منه .

(٦٧) الهم هنا بمعنى الهمّة والطموح ، أو بمعنى ما يهم به من الأمور الجارية . وقوله « لا يغني غنائى ومشهدى » أى لا يستطيع أن يكون مثلى في نفع القبيلة أو أن يقوم مقامى في مجالسها .

(٦٨) الجلى : الأمر الجليل ، مؤنث أجل . والخنا : الفحش في القول ، والأجماع : جمع جمع (بضم الجسيم) وهو أن يقبض الرجل أصابع كفه ويشدها لئلا يتركها خصمه ويلصكه . والملهد : الذى أصابته اللكة أو الكزة .



- ٦٩ فلو كنتُ وغلاً في الرجال لَضَرْنِي مداوةُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَّوَحِّدِ  
 ٧٠ وَلَكِنْ نَقَى عَنِّي الْأَعَادَى جُرْأَتِي عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمُحْتَدِي  
 ٧١ لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَى يَغْمَةِ نَهَارِي ، وَلَا لَيْلِي عَلَى بَسْرَمِدِ  
 ٧٢ وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَاطًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَالنَّهْدِ  
 ٧٣ عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكَ فِيهِ الْفَرَائِصُ تُرْمِدِ

\* \* \*

(٦٩) الرغل : الضعيف الخامل الذكر . والمتوحد : المنفرد الذي ليس معه أحد . والبيت يعكس ثقته بنفسه وإحساسه بذاته . إنه مطمئن إلى قوته ، فهو لهذا لا يخشى أحدا ، ولا يبالي بمداوة أحد ، سواء أكان منفردا وحده أم مؤيدا بجماعة تقف معه وتنصر له .

(٧٠) المحتد : الأصل . والبيت استمرار في التعبير عن ثقته بنفسه وإحساسه بذاته ، وفيه أيضا إشارة إلى اعتزازه بكرم أصله ومراقبة نفسه .

(٧١) الغمة : الأمر الغامض الذي لا يهتدى إلى وجه الحق فيه . والسرمد : الدائم الطويل الذي لا نهاية له . يفخر بأنه حاسم في تصرفاته ، لا يقف حائرا أمام أى مشكلة تعترضه ، ولا يقضى ليله مؤرقا مفكرا فيها ، وإنما يحسمها ويقطع بالرأى فيها دون تردد .

(٧٢) حبست النفس أى صبرتها . والعراك : ازدحام القوم عند القتال . والعورات : الأفعال التي تسمى إلى سمعة الإنسان . والتهدد : يريد به تهديد الأعداء له . يفخر هنا بشجاعته ، وبلائه في القتال ، وصبره في الحرب ، وحفاظه على حسن السمعة وطيب الأحدثة .

(٧٣) « على موطن » متعلق بالفعل « حبست » في البيت السابق . والموطن هنا يريد به ساحة القتال وميدان المعركة . وتعترك : تشبك في القتال . والفرائص : جمع فريضة وهي العضة التي يلتقي عندها الصدر بالكنف ، وهي أول ما يرتعش من الإنسان والحيوان عند الخوف والفرع . يؤكد هنا شجاعته ، بفخره بقوة قلبه وثبات أعصابه في مواطن الخوف والفرع في ساحات القتال .

- ٧٤ أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غد !  
 ٧٥ سُبَيْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ  
 ٧٦ وَيَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَبْسُغْ لَهُ بَتَاتًا ، وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْهِدِ

\* \* \*

(٧٤) الأعداد : جمع عد ( بالكسر ) وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع . من هنا يبدأ الشاعر مجموعة من الحكم تعكس إحساسه بالحياة يختم بها قصيدته . إن الموت مورد لا بد أن ترده كل نفس ، وهو مورد لا ينقطع ورود الأحياء له ، فن لم يرده اليوم فسوف يرده غداً ، وما أقرب اليوم من غد !  
 (٧٥) « من لم تزود » : أى من لم تبعث به فى طلبها .  
 (٧٦) البتات : الزاد . وباع هنا بمعنى اشترى .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## رَائِيَّةُ « هِرَّ »

### الْعَوْدَةُ

\* \* \*

تعد هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ أربعة وسبعين بيتا رائعة طرفة الثانية بعد المعلقة ، وهي من شعره الموثق الذي صححه الرواة ، فلا يحيط بها شك في صحة نسبتها إليه .

والقصيدة — كما يبدو من نهايتها — نُظِمَتْ بعد أن صفا الجوّ بين طرفة وقومه ، وزالت الجفوة التي كانت بينهما ، وانتهت القطيعة التي أفسدت علاقة القربى بينهما ، وانتشعت الغشاوة التي يعترف طرفة بأنها كانت تُغشّي عينيه ، فتحجب الرؤية الصحيحة عنه ، وتردّ بصره عن إدراكها على حقيقتها . لقد كان طرفة متمردا على قومه ، غاضبا منهم ، مُقَاتِعا لهم ، ربما بسبب موقف أعمامه منه ومن أمه بسبب طمعهم في ميراث أبيه . وهو في ختام هذه القصيدة يُعْلِن تصحيح الموقف بينه وبينهم ، ويصرّح بأن الأمور قد عادت إلى نصابها ، أو — على حد تعبيره الذي أصبح مثلا — « قد صَابَتْ بِقُرٍّ » .

ومن اليسير أن نقسم القصيدة إلى موضوعين أساسيين :

الموضوع الأول غزل طويل بصاحبة له اسمها « هِرَّ » ، يقف في بدايته بأطلال ديارها التي رحلت عنها مع قومها ، ويصف زيارة طيفها له في أحلامه

وهو يُشَقُّ طريقه في رحلة طويلة شاقة في أعماق الصحراء ، ثم يتغنى بها لها وحسنا ، ويرسم لوحة رائعة لها . وهو موضوع يشغل من القصيدة ثمانية وعشرين بيتا ، مما يدفعنا إلى رفض أن يكون هذا القسم منها مقدمة تقليدية لها ، فهو — في الحقيقة — موضوع أساسي فيها .

والموضوع الثاني نخر عريض بقومه ، يتغنى فيه بأجادهم ومفاخرهم ، ويسجل شجاعتهم في ساحات الحرب ، وحكمتهم في أوقات السلم . ويقف طويلا — في أثناء هذا الفخر — أمام خيلهم ، فيصفها وصفا على قدر كبير من الغرابة اللغوية والحرص على التفاصيل يُذكرنا بوصفه المشهور لناقته في معلقته . حتى إذا ما انتهى من هذا الفخر العريض أخذ يمهّد لنهاية قصيدته بحديث يأخض فيه الموقف بينه وبين قومه : كيف كان ؟ وكيف أصبح ؟ وينتهي منه وقد اعترف بما وقع منه في حقهم ، مستجلا فرخته وارتياحه لعودة العلاقات بينهما كما كانت ، وعودة المياه التي كدرتها القطيعة إلى مجاريها الصافية العذبة .

والقصيدة تعدّ من أجمل قصائد الشعر الجاهلي في تعبيرها عن تجربة إنسانية فريدة مرّ بها طرفة في حياته القصيرة التي مرت كسحابة من سحب الصيف العابرة ، وأيضا في تعبيرها عن تلك العلاقة الجاهلية التي تربط بين الفرد والقبيلة ، وما كانت تثيره في بعض الأحيان من مشكلات اجتماعية .

وأهم ما يميّزها هذا الأسلوبُ الصافي الذي ينساب في سهولة ويسر على امتداد أبياتها ، وهذه الموسيقى العذبة الرقيقة التي تترقرق من خلالها ، وهي موسيقا أتاحها بحر « الرمل » الذي اختاره لها . وهو بحر يمتاز بموسيقاه الانسيابية الهادئة التي تعكس الإحساس بغدير وقراق ينساب في رقة ووداعة بين ضفائر شجيرات من الصفصاف متهدلة فوق مياهه الصافية .

وتمتاز القصيدة أيضا بهذا الحرص الواضح على رسم صورها الفنية ، وهذه العناية البالغة باستكمال ألوانها وخطوطها وزيناتها الصغيرة ، ووضع اللسات الفنية الأخيرة عليها .

وهي — إلى جانب هذا كله — تعكس مشاعر شابٍّ مراهق حاد الإحساس بالمرأة والطبيعة والحياة ، تتراءى من خلالها اندفاعاته الجريئة ، وحسنيته التي تكشف عن نفسها من حين إلى حين ، وإيمانه بذاته وشخصيته ووجوده . ولكنها — مع ذلك — تعكس من طرفٍ خفيٍّ إحساسه بالضيق والحيرة والقلق في مجتمع الحق فيه للقوة ، « وَمَنْ عَزَّ فِيهِ بَزٌّ » — كما كانوا يقولون . وما الذي يملكه طرفه — وهو الشاب الصغير الذي لم تظهره تجربة الحياة — أمام قومه الذين ينكرون عليه حقه في الحياة إلا هذه الحيرة التي تدفعه مرة إلى رفضهم والبعد عنهم ، ومرة أخرى إلى الاعتراف بهم والعودة إليهم ؟ إنه في النهاية لا يملك إلا « العودة » إليهم بعد أن قرروا هم « العودة » إليه ... وعفا الله عما سلف !

\* \* \*

١ اصحوت اليوم أم شافتك همر ؟      ومن الحب جنون مستعير

٢ لا يَكُنْ حُبِّكَ داءَ قاتلا      ليس هذا منك ، ماوى ، يحتر

(١) يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة تتداخل فيها صورتان من صور المقدمات التقليدية : المقدمة الغزلية ومقدمة الطيف . ويريد بالصحوة هنا الرجوع عن نوازع الحب والعبا . وهمر : اسم صاحبه . والمسنر : الملهب المشتعل .

(٢) ماوى : منادى مرخم لماوية وهو اسم صاحبه ، وهي تقمها همر التي ذكرها في البيت السابق . وظاهرة تعدد أسماء المحبوبة في القصيدة الواحدة ظاهرة مألوفة في الشعر الجاهلي . وقوله « ليس هذا منك ماوى بحر » يريد أنه ليس تصرفا كريما منها .



- ٣ كيف أرجو حُبها مِن بعدما عَلِقَ القلبُ بِنُصْبٍ مُسْتَسِرٍّ ؟  
 ٤ أَرَقَّ العَيْنَ خَيْالٌ لَمْ يَقِرَّ طَافَ والركبُ بِمِجْرَاءِ يَمْرٍ  
 ٥ جازتِ اليَدَ إلى أرْحَلِنَا آخرَ اللَّيْلِ بِمَعْقُورِ خَيْدٍ  
 ٦ ثم زارتني ، وَصَحْبِي مُجْمَعٌ ، في خَلِيطٍ بين بُرْدٍ وَنَمِيرٍ  
 ٧ تَحْلِسُ الطَّرْفَ بَعِثْنِي بُرْغِيْ وَبِحَدِّي رَشًا ، آدَمَ غِرَّةَ  
 ٨ وعلى المَتْنِ منها واردٌ حَسَنُ النَّبْتِ أَثِثَ مُسْبِكًا

- (٣) النصب (بضم النون) : العناء والضعف مثل النصب (بفتح النون) ، وفي القرآن الكريم « بنصب ومذاب » (ص ٤١) . وعلق القلب به أى تعلق به . والمستسر : الكامن في أعماق القلب .  
 وقوله « كيف أرجو حُبها » يريد به — كما يقول الشراح القدماء — كيف أرجو نسيان حبيها .  
 (٤) من هنا تدخل مقدمة الطيف مع المقدمة الغزلية . الخيال : الطيف وقوله « لم يقر » : أى لم يستقر ، يريد أنه لم يمكث طويلا . ومجرا : يسر : اسم صحراء بالمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية . يصف زيارة طيف صاحبه له في أحلامه ، والقافلة منطلقه في أعماق هذه الصحراء .  
 (٥) الضمير في « جازت » يعود على صاحبه انتهى زاره خيالها واجتاز إليه الصعاري الشاحنة حتى وصل إليه . ويحدد زيارة الطيف له بآخر الليل لأنه وقت نزول القوافل للراحة . واليعفور : الظبي الذي أشرب لونه بالحجرة . والخدر : البطيء الحركة الفاترا الخطوات ، يشبه صاحبه به .  
 (٦) جمع : نيام ، جمع هاجع . وقوله « في خليط » متعلق بزارتنى ، أى خصتنى بزيارتها وأنا بين أفراد القافلة المسافرين معى من قبائل مختلفة . وبرد وتمر : قبيلتان . وبعض الشراح القدماء يفسرهما على أنهما ضربان من الثياب : البرد ثوب من وثنى ، والنمرة شملة من صوف ، كأنه يقول إنها زارته في أحلامه وهو ملتف في هذين الثوبين من برد الصحراء في الليل .  
 (٧) تحلس الطرف : تسارق النظر . والبرغز : ولد البقرة الوحشية ، يشبه عينها الجملتين الصافيتين بعينه . والرشأ : ولد الضبية . والآدم : الأبيض البعن ، الأصفر الفاهر . والغر : الحرير الغافل لصفه وحدائه سته ، يشبه خديها الأسيلين الناعمين بخديه .  
 (٨) المتنان : جانبا الظهر . والوارد : الشعر الطويل المنسدل الذى يصل إلى أردافها كأنه يرددها . والأثيث : الغزير الملتف . والمسبكر : الطويل الممتد .

- ٩ ولما كَشَحَا مِهَاقَ مُطْفِئِ  
تَقْتَرِي بِالرَّمْلِ أَفْنَانَ الزَّهْرِ  
١٠ جَابَةُ الْمِدْرَى خَذُولَ مُغْزِلٍ  
تَنْفُضُ الضَّالَّ وَأَفْنَانَ السَّمْرِ  
١١ بَيْنَ أَكْنَافٍ خُفَافٍ قَالَلَوِي  
مُخْرِفٌ تَحْنُو لِرَخِصِ الظَّلْفِ حُرٌّ  
١٢ تَحَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةٌ  
يَا لَقَوْمِي لِلشَّبَابِ الْمُسْبِكِ  
١٣ حَيْثَا قَاطَمُوا بِنَجْدٍ وَشَتَا  
حَوْلَ ذَاتِ الْحَاذِمِ ثَنِيٍّ وَقُرٌّ  
١٤ قَلَهُ مِنْهَا عَلَى أَحْيَانِهَا  
صَفْوَةُ الرَّاحِ بِمَلْدُودٍ خَصِرٌ

(٩) الكشح : الخصر . والمهاق : البقرة الوحشية . والمطفئ : التي أنجبت صغيرها فهي تحنو عليه وتمنحه كل مشاعر الأمومة . وتقتري : تتبع . والأفنان : الأغصان ، جمع فن . يرسم للهواة الأم هذه اللوحة الجميلة المعبرة .

(١٠) المدري : القرن . وجابة المدري ( بتسهيل الهمنة وبإثباتها ) : الذي بدأ قرنها في الظهور ، يريدها أنها صغيرة السن . والخذول : التي انقردت وحدها عن القطيع وتخلقت عنه . والمغزل : التي تراعى صغيرها . والضال : أشجار السدر البري . وتنفضه : أي تنفضه بقرنها ليتساقط ثمره لترعاه . والسر : شجر من أشجار البادية . والبيت استمرار في رسم لوحة البقرة الوحشية ، وإضافة ألوان وخطوط جديدة إليها .

(١١) الأكناف : النواحي . وخفاف واللوي : موضعان . والمخرف : التي دخلت في فصل الخريف . والرخص : اللين ، يصف أظلافها بأنها رخصة لأنها ما زالت صغيرة السن . والحر : الكريم . والبيت استمرار في وضع خطوط وألوان جديدة على اللوحة التي يرسمها الشاعر لهذه البقرة .

(١٢) النجدة هنا بمعنى الشدة ، والمعنى أنها — لشدة حياثها أو لفرط رقتها — تحسب رفعها طرفها للنظر أمرا شديدا عليها . والشباب المسبك : الشباب المكتمل التام .

(١٣) ذات الحاذ وقر : موضعان . والثنيان : الجانبان . وقاطموا : دخلوا في قبض الصيف ، وشتوا : دخلوا في فصل الشتاء ، والضبير فيهما يعود على قومها .

(١٤) على أحيانها : أي في كل وقت ، في كل الأحيان . والراح : الخمر . والملدود : اللذيذ . والخصر : البارد . يصف استمتاعه بها في كل مكان وفي كل زمان ، ويشبه رضاب ثمرها بخمر صافية مزجت بماء بارد لذيق . والبيت متعلق بالبيت السابق .

- ١٥ إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّاهُ      وَتَوَيَّرَ النُّجُومَ يَجْرَى بِالظُّهْرِ  
١٦ ظَلَّ فِي عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا      وَنَآتٍ .. شَحَطَ مَزَارِ الْمَذْكُورِ !  
١٧ بَادِنٌ تَجَلُّوْا إِذَا مَا ابْتَسَمَتْ      عَنْ شَتِيتٍ كَأَفَاحِ الرِّمْلِ فُشْرُ  
١٨ بَدَّلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ      بَرْدًا أَبْيَضَ مَصْقُولَ الْأَشْرِ  
١٩ وَإِذَا تَضَحَّكَ تُبْدِي حَبِيبًا      كَرَضَابِ الْمَسْكِ بِالمَاءِ الْحَصْرِ

(١٥) قوله « إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّاهُ » يريد به أنها ليست سهلة المنال ، فإذا أهبطته مرة ما يطلبه منفعته مرة أخرى . وهو يؤكد ذلك بالصورة التي يرسمها في الشطر الثاني : إنها لا تمتنعها عليه تحمل مشقة وعناء كأنها تزيه النجوم في وقت الظهر ، كأنها يظلم نهاره ويحول ليلا تظهر فيه النجوم . . صورة من الصور الطريفة في الشعر القديم ما زالت تتردد في أمثالنا الشعبية حتى اليوم .

(١٦) المسكرة : الحيرة والشدة ، وهي كلمة فارسية ، والمساكر ( جمعها ) هي الأهوال التي يركب بعضها بعضا . وقوله « شَحَطَ مَزَارِ الْمَذْكُورِ » تعجب ، يريد به « ياشحط مزار المدكر » أى ما أبعد ! والشحط : البعد . والمدكر : المتذكر . يقول إنها حيرة وبعدت عنه ، وما أبعد المسافة بينهما !

(١٧) بادن : ممثلة الجسد . والشيت : المتفرق ، صفة للنفر . والأفاحى والأفاح : جمع أخوان ، وهو شجر عطري زهره أبيض ناصع ، يتردد في الشعر العربي القديم تشبيه الأسنان به . والنر : البيض ، جمع أغر وغراء ، يريد أسنانها .

(١٨) الضمير في « بَدَّلَتْهُ » يعود على النفر . والبرد : قطع الثلج . والأشر : تحزير يكون في أطراف الأسنان ، وهو من سمات الجمال عند العرب ، ولذلك كانوا أحيانا يصطنعونه . والشطر الأول يشير إلى عادة شعبية كان العرب في الجاهلية يفعلونها ، ومازلنا حتى اليوم تفعل مثلها ، فكانوا إذا سقطت سن أحدهم قذفها نحو عين الشمس وهو يقول : يا شمس أعطيك سنا من عظم ، فأعطيني سنا من فضة .

(١٩) الحبيب كالحياب (بفتح الحاء) : الفقايع التي تطفو فوق الماء ، يشبه بها أسنانها . ورضاب المسك : قطعه المفتتة ، وفي معلقة امرئ القيس « فتيت المسك » ، ومعنى الكنتين واحد . يشبه رضاب نغرها بقطع المسك المزوجة بالماء البارد عطرا وطعما .

٢٠. صَادَقْتُهُ حَرْجُفٌ فِي تَلْعَةٍ      فَسَجَا وَسَطَ بَلَاطٍ مُسَبِّطَرٍ  
 ٢١. وَإِذَا قَامَتْ تَدَاعَى قَاصِفٌ      مَالٌ مِنْ أَعْلَى كَثِيبٍ مُنْقَعِرٍ  
 ٢٢. تَطَرُّدُ الْقُرْبَجَرِّ صَادِقٍ      وَعَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ  
 ٢٣. لَا تُلْبِنِي، إِنَّمَا مِنْ نَسْوَةٍ      رُقِيدِ الصَّيْفِ مَقَالِيَتَ نَزْرٍ  
 ٢٤. بَجَعُونِي يَوْمَ زَمُوا عَيْرَهُم      بِرِخِيمِ الصَّوْتِ مَلْثُومٍ عَطَرٍ

\* \* \*

(٢٠) الضمير في «صادقته» يعود على الماء الخمر في البيت السابق . والحرجف : الريح الباردة . والتلعة : سيل الماء إلى الوادي ، أي الربوة المرتفعة التي يسيل منها الماء إلى الوادي . وسجا : سكن واستقر . والبلاط : الحجارة المستوية الملساء . والمسبطر : السهل الممتد . والبيت لوحة جميلة يرسمها الشاعر — كمادته في التصوير — لهذا الماء الذي يشبه به رضاب ثغر صاحبه : هذا الماء البارد ينساب من ربوة مرتفعة إلى وادٍ شكلت قاعه حجارة مستوية ملساء فاستقر عليها ، وأخذت ريح الشمال الباردة تهب عليه فتزيد من برودته .

(٢١) تداعى : تصافط وانهاه . والقاصف : الرمل المتداعى . والمنقعر : الذي اتهار من أسامه . يصف امتلاء جسدها وليونته وعدم تماسكه ، ويشبهه برمال ناعمة تنهال من أعلى كثيب ينهار من أسامه فلا يقوى على التماسك .

(٢٢) القر : البرد . وعيكك القيظ : الحر الشديد الذي تسكن معه الريح . وأخذ بالأقفاص حتى لتكاد تحتق . يقول إنها تمنع صاحبها في حر الصيف بطراوتها ، كما تمتعه في برد الشتاء بدفئها .

(٢٣) قوله «رُقِيدِ الصَّيْفِ» كناية عن الحياة الناعمة الرخية التي يقوم على خدمتين فيها من يكفين العمل ، ويتيح لمن هجمة الظهيرة المسترخية في أيام الصيف . والمقاليت : جمع مقالات وهي التي لا ينشئ لها ولد . والنزر : جمع نزور وهي القليلة الأولاد . يريد أنهم ما زلن محتفظات يرشاقتهن لم يذهب بها حمل ولا وضع ولا رضاعة ، وما زلن معنيات بأنفسهن لم تشغلن شواغل الأولاد ومسئولياتهم . صورة من الصور الغريبة النادرة في الشعر العربي .

(٢٤) العير : إبل القافلة . وزموها : شدوها استعدادا للرحيل . يصف يوم الرحيل ، يوم رحلت صاحبه وقومها . والرخيم : الصوت الرقيق الناعم اللين . والملثوم : الذي يحلولثمه وتقبيله ، يريد صاحبه . ومعاملة هذه الصفات معاملة المذكر على تقدير أن الموصوف كلمة «حبيب» . وإلى هنا تنتهي هذه المقدمة الغزلية الطويلة ( ٢٨ بيتا ) التي اخترنا منها هذه الأبيات .



- ٢٥ وبِلَادِ زَعِيلٍ ظَلَمَانَهَا      كَالْمَخَاضِ الْجُرْبِ فِي الْيَوْمِ الْحَدِيدِ  
 ٢٦ قَدْ تَبَطَّنَتْ وَتَحْتَى جَسْرُهُ      تَتَّقِي الْأَرْضَ بِمَلْثُومٍ مَعِرٍ  
 ٢٧ فَرَى الْمَرُّوَ إِذَا مَا هَجَرَتْ      عَنْ يَدَيْهَا كَالْفَرَاشِ الْمُسْفَرِ  
 ٣٨ ذَاكَ عَصْرٌ ، وَعَدَانِي أَنِّي      نَابِيَّ الْعَامِ خُطُوبٌ غَيْرُ سِرٍّ  
 ٢٩ مِنْ أُمُورٍ حَدَثَتْ أَمْثَالُهَا      تَبْتَرِي هُودَ الْقَسْوَى الْمُسْتَمِرِّ  
 ٣٠ وَتَشْكِي النَّفْسُ مَا صَابَ بِهَا      فَاصْبِرِي ، إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ صَبِيرٍ

- (٢٥) الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والزعل : التشيط . والمخاض : النوق الحوامل ، يشبه بها النعام ، وقد وصفها بأنها « جرب » ليكسوها لون القطران الأسود الذي تعالج به . والبوم الحدر : الذي يشتد فيه البرد أو المطر فتختبئ فيه هذه النوق في خدورها ، يشبه بها قطعان النعام في اجتماعها وكثرتها . ومن هنا تبدأ قطعة الفخر في القصيدة .
- (٢٦) تبطننت : دخلت في أعماقها . والجسرة : الناقة النشيطة الجريئة على أهوال الصحراء . والملثوم هنا يريد به خف الناقة الذي احتكت به الحجارة فأدمته ، كأنها تلتهمه وتقبله . والمعر : الذي ذهب ما حوله من الشعر ، كناية عن كثرة الأسفار .
- (٢٧) المرر : الحجارة البيض . وهجرت : سارت في الهجرة وهي وقت الظهيرة . والمسفر : المتفرق . يصف شدة ناقته في سيرها ، واندفاعها في حرا الهجرة ، فتراعى له حجارة الصحراء وهي تتطاير بين يديها كالفراش المتفرق في كل ناحية .
- (٢٨) ذاك عصر : أي ذلك عصر قد مضى وتولى . وعداني : أي صرفني اليوم عن مثل ذلك ، وخطوب غير سر : أي أمور عظيمة ظاهرة وليست خافية على أحد .
- (٢٩) حدثت أمثالها : أي تكررت وتتابع . تبتري : تبتري بشدة وعنف . المستمر : القوي الشديد ، من المرة ( بكسر الميم ) وهي الشدة والقوة ، وفي القرآن الكريم « ذر مرة فاستوى » ( النجم ٦ ) . وبرى العود هنا تصوير لقسوة هذه الخطوب وشدة وقعها عليه وتأثيرها فيه .
- (٣٠) تشكي : أي تشكو مرة بعد مرة ، وأصلها « تشكى » حذفت إحدى تاءيها تخفيفاً . ما صاب بها : ما نزل بها وأصابها ، وصاب وأصاب بمعنى واحد . وصبر : جمع صبور . يفتخر بنفسه وبقومه ، يفتخر بالصبر عند الشدة .



٣١ إِنْ نُصَادِفْ مُنْفِسًا لَا تَلْقَنَا      فُرح الخير ، ولا نَكْبُو لِضُرِّ  
 ٣٢ أُسْدُ غَابٍ ، فإذا ما قَزَعُوا      غير أنكاس ولا هُوجْ هُذُرْ  
 ٣٣ وَلِيَ الْأَصْلُ الذِي فِي مِثْلِهِ      يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ  
 ٣٤ طَيَّبُوا الْبَاءَةَ مَهْلٌ ، ولهم      سُبُلٌ إِنْ شَتَّتْ فِي وَحْشٍ وَعِزْ  
 ٣٥ وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا مَا لَيْسُوا      نَسَجَ دَاوُدَ لِبَاسٍ مُحْتَضِرُ

(٣١) المنفس : الشيء النفيس الذي يتنافس الناس فيه . وفرح (بضمين) جمع فروح بمعنى فرح (بكسر الراء) . ونكبو : نعث وتسقط . والضرب : الشدة . واليت استمرار في الفخر ، يفخر بأنهم أقوى من أن تتلاعب بهم الأيام في تقلبها بين الخير والشر ، فلا الفرح يطغيمهم ، ولا الضرب يذهبهم .  
 (٣٢) الغاب : جمع غابة . وفرعوا : أى للحرب ، يريد إذا خرجوا لها . والأنكاس : جمع نكس (بكسر النون) وهو الضعيف الهمة . والهوج : جمع أهوج وهو الأحمق . والهذر : جمع هذور وهو الكثير الكلام في غير فائدة . يفنخر بشجاعة قومه وجرأتهم وقوتهم وثباتهم في الحرب .  
 (٣٣) الآبر : الذى يصلح النخل والزرع . والمؤتبر : الذى يستندعوه لإصلاح نخله أو زرعهم . واليت تمثيل لعراقة أصله وكرم مثبته ، وأن المعروف لا يضيع بينهم ، وفعل الخير لا يذهب عندهم سدى .

(٣٤) الباءة : الساحة والفناء . والوحش : المتوحش . والوعر (بكسر العين) كالوهر (بسكونها) : ضد السهل . يقول إن صاحبهم مهلة طيبة لمن يطلب معروفهم ، ولكنها ومرة خشنة لمن يريد منهم بسوء .

(٣٥) قوله « وهم ما هم » تعبير يؤدى معنى التعظيم والتفخيم والإعجاب . ونسج داود هى الدروع التى علم الله نبيه داود صنعها ، وكان العوب في الجاهلية يعرفون ذلك ، ولعلمهم عرفوه عن طريق اليهود الذين كانوا يترفون صناعة السلاح ويبيعونه للعرب ، وفي القرآن الكريم في سورة الأنبياء (الآية ٨٠) « وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم » وفي سورة سبأ (الآية ١١) « وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد » . والبأس : شدة الحرب . والمحتضر : الحاضر .

- ٣٦ وتَسَاقَى القَوْمُ كَأَسَا مُرَّةً وَعَلَا الخَيْلَ دِمَاءً كَالشَّقَرِ  
 ٣٧ ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غَفَرَ ذُنُوبَهُمْ غَيْرُ نَفَرٍ  
 ٣٨ لَا تَعَزُّ الخُمْرُ إِنْ طَافُوا بِهَا بِسَيِّئِ الشُّوْلِ وَالْكُومِ الْبُكْرِ  
 ٣٩ فَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلَّ أُمُوتٍ وَطَمِزَ  
 ٤٠ ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمِسْكِ بِهِمْ يُنَاحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَابَ الْأُزْرِ  
 ٤١ وَرَثُوا السُّودَّ عَنْ آبَائِهِمْ ثُمَّ سَادُوا سُودًّا غَيْرَ زَمَرٍ

(٣٦) تساقى : أى سقى بعضهم بعضاً . والشطر الأول تمثيل لاشتداد الحرب ، واحتدام القتال ، وتسافط القتل والجرح من الفريقين . والشقر : شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر يشبه الشاعر بلونه دماء المتقاتلين التى غطت أجساد الخيل .

(٣٧) غفر : جمع غفور ، ومثله نحر . يقول إن قومه يزيدون على كل هذه المفاز والأجاء أنهم يغفرون ذنب من يخطئ من قومهم فيهم ، ولا يأخذهم الزهو بما يفعلون . وكأنه يقول إنهم يقدرون للقرب حقها .

(٣٨) لا تعز الخمر : أى لا تعز عليهم لغلاء ثمنها . والسباء : شراء الخمر . والشول : جمع شائلة وهى الناقة التى مضى عليها من ولادتها ستة أشهر أو سبعة فشالت ضرعها أى جفت . والكوم : جمع كوما . وهى الناقة العظيمة السنام . والبكر : جمع بكور وهى التى بكرت بنتاجها . يقول إنهم لا يرضون على الخمر بأغلى إبلهم ، ولا تعز عليهم مهما غلا ثمنها . والبيت استقرار فى الفخر .

(٣٩) الأمون : الناقة القوية التى يؤمن عثارها . والطمر : القرم الطويل النشيط . يقولون إنهم إذا شربوا وانتشوا وهبوا كرام إبلهم ومهيولهم .

(٤٠) عبق المسك : عطره . ويلحفون الأرض : أى يغطونها . والأزدر : جمع إزار وهو الثوب . يفتخر بأنهم قوم مترفون منعمون ، لا تفارقهم رائحة المسك الذى يتعطرون به ، وإذا مشوا جروا أهداب ثيابهم السابغة خيلاء وتيا .

(٤١) السؤدد : المجد والشرف والسيادة . والزم : القليل . يفتخر بأنهم سادة أجياد أشرف ورائة واكتساباً ، سؤددهم تلوهم وطريفة .

- ٤٢ نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقرو  
 ٤٣ حين قال الناس في مجلسهم : أقتار ذاك أم ريج قطر ؟  
 ٤٤ يجفان تفتري نادينا من سديف حين هاج الصنبر  
 ٤٥ كالجوابى لاتي مترعة لقرى الأضياف أوللمحتضر  
 ٤٦ ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدثر

(٤٢) المشتاة : زمن الشتاء والبرد ، وفيه يصبح الكرم عند البدوى له معناه ودلالته وقيمته ، ويردد كثيرا في الشعر الجاهلي اقتنار البدر بالكرم في هذا الفصل الشديد القسوة على البادية . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام لا يخص أحدا بعينه . وينتقر : يدعو القري ، وهي الدعوة الخاصة إليه . والآدب : الذي يدعو الناس إلى ماديته ، والمأدبة : الوليمة . يفتخر بأنهم كرماء ، ولا يهتمهم عامة للجميع ، لا يخصصون بها أحدا دون أحد .

(٤٣) القنار : رائحة اللحم المشوى . والقطر : خشب اللورد الذي يستخدم في البخور . البيت استمرار في حديث الكرم ، وطريقة فيه . على أسلوبه في التصوير — يضيف إلى لوحته خطوطا وألوانا جديدة . إن الناس حين تصل إلى أنوفهم رائحة الشواء الذي يبعده قومه لضيوفهم تخلط عليهم برائحة البخور لطيفا ونفاذا ، ولشدة اشتياهم اللحم لما هم فيه من جهد وشدة بسبب قسوة الشتاء عليهم .  
 (٤٤) الجفان : جمع جفنة وهي قصعة الطعام . والنادى : مجلس القوم للسمر والحديث . والسديف : فرائح السنام . والصنبر : أشد البرد . يستمر طريقة في إضافة خطوط وألوان جديدة إلى لوحته التي يرسمها لكرم قومه .

(٤٥) الجوابى : جمع جابية وهي الحوض الضخم يجمعون فيه الماء ، من جى الماء في الحوض أى جمعه فيه . لاتي : أى لا تزال . والمترعة : الممتلئة حتى آخرها . والقري : إكرام الضيف . والمحتضر : النازل على الماء ، من المحاضر وهي المياه ، مفردا محضر . والبيت استمرار في رسم لوحة الكرم . إن جفانهم ضخمة كأنها الجوابى ، وهي معدة دائما لضيوفهم وجيرانهم النازلين على مياههم .  
 (٤٦) يخزن : يتغير طعمه ورائحته ، من خزن اللحم ( من باب فرح ونصر ) إذا خزنته صاحبه حتى فسد . والمدثر هنا : الذي يدثر لحم اليوم إلى غده . يقول إنهم ينحرون كل يوم ، ولا يقدمون لضيوفهم إلا اللحم الطازج .

- ٤٧ ولقد تعلم بكرنا آفة الجزر مساميح يسر  
 ٤٨ ولقد تعلم بكرنا فاضلو الرأي ، وفي الزرع وقور  
 ٤٩ يكشفون الضر عن ذي ضرهم ويبرون على الآبي المبر  
 ٥٠ فضل أحلامهم عن جارهم رحب الأذرع ، بالخير أمر  
 ٥١ دلق في غارة مسفوحة ولدى البأس حماة ما تفر  
 ٥٢ تمسك الخيل على مكروها حين لا يمسكها إلا الصبر

(٤٧) بكرى قبيلته الكبرى . والجزر : جمع جزور ، وهو البعير الصغير ينحر عادة لطيب لحمه .  
 والمساميح : أصحاب الخلق السمع السهل . والبسر : جمع يسير ويسور ، وهو الذى يشارك فى الميسر ،  
 وكان الميسر فى الجاهلية على الإبل ينحرونها ويقسمونها ويضربون عليها القداح .

(٤٨) فاضلو الرأي : أى أن رأيهم بفضل آراء غيرهم . والزرع : الخوف والفرع ، يريد الحرب .  
 والوقر : جمع وقور . يفتخر برجاحة رأيهم فى السلم ، وبرزائهم وثباتهم فى الحرب .

(٤٩) يبرون : يغلون ويظهرون . والآبى : الأب الذى يمنع على غيره فلا يقهر . والمبر : الغالب  
 المنتصر . والبيت استمرار فى حديث الفخر .

(٥٠) فضل أحلامهم : أى أن حلمهم واسع يزيد على حاجة جيرانهم إليه . يريد أنهم يرفون  
 بخارهم حقه ، ولا يقابلون جهله بجهل منهم ، وإنما يقابلونه بالحلم والعفو والصفح . ورحب : جمع  
 رحيب ، ورحب الأذرع كناية عن سعة الصدر والتسامح . وأمر : جمع أمور ، وهو الكثير الأمر ،  
 صيغة مبالغة . يفتخر بأنهم حلما متسامحون أمارون بالخير .

(٥١) الدلق : المسمرون المتقدمون المندفعون ، جمع دلق . والمسفوحة : المصبوبة ، يريد  
 غارة شديدة كأنها تصب على العدو صباً . يفتخر بالجرأة والشجاعة ، فهم يسرعون إذا ما دعاهم داعى  
 الحرب ، وإذا ما اشتدت نيرانها وحى وطيسها ثبتوا وصبروا يدفعون عن حماهم ، ويحجون حرمانهم ،  
 ولم يفكروا فى الفرار .

(٥٢) تمسك الخيل على مكروها : أى ثبت على ظهورها فى ساحات الحرب ، ونصبر عليها  
 وتمسك بها حين يشتد القتال وينال منها الجهد حتى لا تفر .



- ٥٣ حين نادى الحى لما فزعوا ودعا الداعى وقد لجّ الذعر :  
 ٥٤ أيها الفتيان في مجلسنا جردوا منها وراداً وشقراً  
 ٥٥ أعوجيات طوالاً شرباً دُوخل الصنعة فيها والضمير  
 ٥٦ من يعايب ذكور وفتح وهضبات إذا ابتل العذر  
 ٥٧ جافلات فوق عوج عجّل ركبّت فيها ملاطيس سمر  
 ٥٨ وأنات يهواد تلّع بكذوع شذبت عنها القشر

(٥٣) الفزع هنا يريد به الخروج للحرب . والداعى هنا هو داعى الحرب . ولجّ الذعر : اشتد الخوف واستمر . واليت متصل المعنى باليت السابق وباليت التالى أيضا .

(٥٤) الورد : جمع ورد ، والشقر : جمع أشقر ، والورد من الخيل : ما كان لونه بين الكهيت والأشقر ، والكهيت : الأحمر القاني ، والأشقر : ما تعلو بياضه حرة . وجرّدوا منها : أى أعدوها للقتال ، وذلك بأن يلقوا عنها ما يغطى ظهورها في أوقات راحتها من أكسية ، ويضعوا بدلا منها سروج الحرب وعدة القتال .

(٥٥) أعوجيات : أصيلات النسب ، نسبة إلى أعوج وهو فحل مشهور من فحول الخيل . والشرب : جمع شارب وهو الضامر . والصنعة هنا هى العناية بها والقيام عليها . والضمير : متابعتها بالجري حتى تندرب عليه وتضمر . ودوخل الصنعة فيها والضمير : أى أن أصحابها اهتموا بكلا الأمرين .

(٥٦) اليعايب : جمع يعيوب وهو الشديد العدو . والوقع : جمع وقاح وهو الصلب الحافر . والهضبات : الضخام الشداد كأنها الهضاب . والعذر : جمع عذار وهو اللجام ، وابتلت العذر : أى م العرق ، كناية من السرعة والنشاط .

(٥٧) جافلات : مسرعات . والعوج : جمع أعوج ، ويريد بها قوائمها ، وقوائم الخيل تمتد بما فيها من انحناء . والمجّل : جمع عجول وهو السريع . والملاطيس : المعاول تمكسرها الصخور ملطاس ، يشبه بها حوافرها ، ووصفها بالسمة للدلالة على شدتها وصلابتها .

(٥٨) أنات : أشرفت . واليهادى : جمع هاد ، واليهادى : العتق . والتلّع : الطويلة ، : أطلع . وشذبت : سويت وهذبت . والقشر : القشور . يشبه أعناق الخيل الطويلة المشرفة بمجذوع ثم شذبت قشورها فظهرت أكثر طولا .



- ٥٩ فَهِيَ تَرْدِي ، فَإِذَا مَا أُهْبِتْ طَارَ مِنْ إِحْمَائِهَا شَدُّ الْأُزْرِ  
٦٠ كَاثِرَاتٍ ، وَتَرَاهَا تَنْتَحِي مُسَاجِبَاتٍ إِذَا جَدَّ الْحُضْرُ  
٦١ دُلِقُ الْغَارَةِ فِي إِفْزَاعِهِمْ كَرَعَ الطَّيْرُ أَمْرَابًا تُمُزْ  
٦٢ تَذُرُّ الْأَبْطَالَ صَرَغِي بَيْنَهَا مَا بَنَى مِنْهُمْ كَيْسٌ مُنْعَفِرٌ

\* \* \*

- ٦٣ فِقْدَاءَ لِبْنِي قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُرُوضٍ  
٦٤ لَا يُلْحِقُونَ عَلَى غَارِمِهِمْ وَعَلَى الْإَيْسَارِ تَيْسِيرُ الْعَسْرِ

(٥٩) تردى : تضرب الأرض بحوافرها في أثناء العدو . وأهبت ( بالبناء للجهول ) : دفعت إلى الإسراع ، وحثها أصحابها عليه ، و ( بالبناء للعلوم ) : أسرعت كلهبب النار . والإحماء : مصدر أحى بمعنى أشعل وأوقد . والأزور : يجمع إزار . يقول إنها تسرع قريح الأرض بحوافرها ، فإذا ما ألهمها فرسانها تطايرت ثيابهم مما اشتعل فيها من نشاط وحاسة .

(٦٠) كاثرات : أى رافعات أذنانهن من شدة العدو . وتنتحى : تمض على شكائم الجملها من شدة النشاط والحوية . وجد الحضر : اشتد العدو .

(٦١) دلق الغارة : سرعات إليها متقدمات نحوها . ورمال الطير : قطعها وجماعاتها . يشبه الخيل في انطلاقها للحرب بأمراب الطير تمر قطعاً قطعاً .

(٦٢) ما ينى : ما يزال . والكسى : البطل الشجاع . والمنعفر : الذى سقط فوق التراب بعد أن لقي مصرعه ، من « المفرد » وهو التراب . وإلى هنا تنتهى قطعة الفخر الطويلة التى شغلت معظم أبيات القصيدة ، والتى كانت موضوعها الأساسى ، ليصل طرفه بعد ذلك إلى ختام قصيدته الذى سيركز فيه موقفه النهائى من قومه .

(٦٣) بنو قيس : هم قومه ، بنو قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل . والسرو والضمر ( بالضم ) : السراء والضراء . يقول : نغضى فداء لحسم فى السراء والضراء ، فى الخير والشر ، على كل حال تنقلب الحياة بالناس عليها .

(٦٤) الغارم : المدين الذى يعجز عن سداد دينه . والأيسار : الأغنياء الميسرون . يصف قومه بأنهم متعاونون فى السراء والضراء ، متكافلون اجتماعياً ، يتولى أغنيائهم تدبير أمر فقرائهم وتيسير عسرهم ، ويهملون الغارمين منهم ، وينظر ونهم إلى ميسرة .

- ٦٥ ولقد كنتُ عليكم ماتباً      فعقبتمُ بذنوبٍ غيرِ مرّةٍ  
٦٦ كنتُ فيكم كالمُغطّى رأسه      فانجلى اليومَ قناعي ونُحُورُ  
٦٧ سادراً أحسبُ غيّي رَشداً      فتناهيتُ وقد صابتُ بقرّةٍ

\* \* \*

(٦٥) عقبتم : رجتم وعطفتم . والذنوب : الدلو المثلثة ماء ، ضربها مثلاً لرجوع قومه إليه بعد جفوة ، وعطفهم عليه بعد قطيعة . لقد أعادوا المياه بينهما كما كانت دون من منهم أو أذى . لقد قدموا إليه دلاء تفيض بالود العافي الملب الذي لا تشوبه مرارة .

(٦٦) انجلى : انكشف . وانحر : جمع نحر وهو غطاء الرأس ، أما القناع فهو غطاء الوجه . يرسم صورة معبرة للوقوف كما كان بينه وبينهم ، وكما أصبح بعد زوال الجفوة وانتهاء القطيعة . لقد كان كمن غطى رأسه بغطاء كثيف يحجب عنه الرؤية ، ويرد البصر ، ثم انكشف عنه الغطاء فأصبح يبصر الأمور على حقيقتها . وفي القرآن الكريم « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (ق ٢٢) .

(٦٧) السادر : المتماذى في الضلال ، الذي غشت بصره غشاوة فلم يعد يبصر وجه الحق والهداية . وتناهيت : أقصرت عما كنت فيه ورجعت عنه . والقر : القرار . وقوله « صابت بقر » مثل يضربه العرب للأمر إذا وقع موقعه ، واستقر في قراره ، أو — كما يقال — عاد إلى نصابه . والواو فيه لحال . يقول : لقد كنت تائها في ضلالي ، تشابهت على الأمور ، واختلط على الهدى والضلال ، ثم انتهى كل ذلك ، واستقرت الأمور في نصابها . والبيت تأكيد للفكرة التي عرضها الشاعر في البيت السابق ، يحتم به نصيحتة .

\* \* \*

يوسف خليف

## المتَّلمس

هو جرير بن عبد المسيح ، وفي رواية جرير بن يزيد بن عبد المسيح من بني ضُبَّة بن ربيعة بن نزار ، وأخواله بنو يَشْكُر ، كان مع ابن أخيه طرفة بن العبد من ندماء عمرو بن هند ملك الحيرة ، وله معهما قصة مشهورة تقول إنهما غضبا منه مرة فهجوا فكره قتلها بنفسه ، فكتب لهما كتابين إلى عامله في البحرين يأمره بقتلهما ، فلما كانا ببعض الطريق عرفا ما في كتابيهما من بعض من يعرفون القراءة . أما طرفة فلم يعبا بذلك ومضى إلى عامل البحرين فقتله ، وأما المتلمس فحذف صحيفته في نهر الحيرة وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام .

وقد سمي المتلمس لقوله في قصيدة :

فهذا أوانُّ العَرِيضِ جُنَّ ذُبَابُهُ      زَنَا يِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمَتَلَمَّسُ

وقد رويت الأبيات المختارة في ديوانه ، وهي تصور نظرة الجاهل إلى الموت والدماء للبيت بأن يسقى الغيث قبره .

ويعد شعر المتلمس من أقدم النصوص الجاهلية لأنه من شعراء النصف الأول من القرن السادس الهجري . ويقول البكري عن وفاته أنه "هلك ببُصْرَى في الجاهلية ، وكان له ابن شاعر يسمى عبد المنان ، أدرك الإسلام" (٢) .

---

(١) يرى جرونيانوم أنه ولد عام ٥٠٠ — ٥٠٥ م ويرى محقق الديوان الأستاذ حسن كامل الصيرفي أن ولادته كانت عام ٥٢٥ م على وجه التقريب .

(٢) سمط الآل ص ٣٠٢ . ويذكر محقق الديوان أن المتلمس توفي عام ٥٨٠ م وإن كانت هناك مصادر أخرى تذكر أنه توفي قبل هذا التاريخ بعشرة أعوام (انظر مقدمة الديوان ص ٢٦) .

ويعصور ما وصل إلينا من شعر المتلمس جانبا من حياة المناذرة وعلاقتهم  
بالتبائل العربية وصراعاتها وتدخلهم في شئونها ، وتأثير ذلك على الشعر القبلي  
وشعرائه . والآيات المختارة مروية في ديوانه (\*) .

\* \* \*

- ١ خَلِيلَ ! إِمَامَيْتُ يَوْمًا وَزُحِرِحَتْ مَنَابَا كَمَا فِيمَا يُزَحْرِحُهُ الدَّهْرُ
- ٢ قُمْرًا عَلَى قَبْرِى ، فَقُومَا فَسَلِّمَا وَقُولَا : سَقَاكَ الْغَيْثُ وَالْقَطَرُ بِاقْبَرُ
- ٣ كَانَ الَّذِي غَيَّبَتْ لَمْ يَلَهُ سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ، وَالْدُّنْيَا لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ
- ٤ وَلَمْ تَسْقِهِ مِنْهَا يَعْذِيبُ مُنْتَعِ بَرُودٍ ، حَمْتُهُ الْقَوْمَ وَجَرَّاجَةٌ يَكْرُ
- ٥ وَلَمْ يَصْطَبِخْ فِي يَوْمٍ حَرٍّ وَقِرَّةٍ حَيًّا ، فَدَبَّتْ فِي مَقَاصِلِهِ الْخَمْرُ
- ٦ وَلَمْ يَرُعِ الْعَيْسَ الْكَوَانِسَ بِالضُّحَى بِأَسْرَارٍ مَوْلَى ، أَلِدَتُهُ صُفْرُ

(\*) انظر ديوان المتلمس الضبى تحقيق حسن كامل الصيرفي ص ٢٥٦ .

(١) زحرت منابا كما : تأخرت وفانكا .

(٢) القطر : المطر .

(٣) كان الذى غيبت : يقصد نفسه ، كان الذى وارىت التراب .

(٤) برود : بارد ويقصد نثر المرأة . والرجاجة : المرأة التى يترجج كفها ، والمعنى : ولم

تسقه ورجاجة بكر بعذب منع برود حمة القوم .

(٥) القرة : البرد . الحيا : بلوغ الخمر من شاربها أو شدة السكر .

(٦) الكوانس : جمع كاسة وهى الغلباء والبقر التى تدخل الكناس وهو المسكن الذى تستكن فيه

من الحمر . والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، الواحد : أعيس ، والواحدة هيساء .

والمولى : الذى قد أصابه مطر بعد مطر . ألدته : جمع لديد وهى نواحيه وجوانبه . والديدان : جانبا

الوادى .

٧. لَسَّنَ بِقَوْلِ الصَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّمَا      بِالسُّنْهَاءِ - مِنْ لَسَّ حُلْبَهَا - الصَّقَرُ  
٨. وَلَمْ يَمْدَحِ الْقَرَمَ الْهَمَامُ بِكَفِّهِ      لَطَائِمُ يُسْقَى مِنْ فَوَاضِلِهَا الْقَفَرُ  
٩. رَمَى نَحْوَهُ فِي النَّاسِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ      وَذَوِيسْرَةٍ حَلَبَ مِنْ كِبِهِ سَعَرُ  
١٠. وَمَأْطُورَةٍ شَدَّ الْعَسِيفَانِ أَطْرَهَا      إِسَارًا وَأَطْرَافًا سَتَوَى الْأَطْرُ وَالْأَمْرُ  
١١. تُرَامِقُهُ الْمُقْلَادُ حَتَّى تَمَكَّنَتْ      إِلَيْهِ طَوَالَ الْبَابِ مَرَدَّةُ الْجَدَرُ  
١٢. نَخَافَ ، وَقَدْ حَلَّتْ لَهُ مِنْ فُؤَادِهِ      تَحَلَّ جَلِيلِ الشَّانِ قَدَمُهُ الْأَمْرُ

(٧) اللس : أخذ الراعية الكلا بأطراف لسانها . واللس على الإطلاق : الأكل . الحلب : نبات ينبت في القبط بالقبان وشيطان الأودية ولا تأكله الإبل وإنما تأكله الشاء والظباء . الصقر : الدبس السائل أو ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر . والصقرا أيضا : اللبن الشديد الجموضة .  
(٨) القرم : السيد المعظم . والهمام : صفة لصاحب الهمة وكذلك اسم للذك الذي تعظم همة ، وقد أطلق هذا اللقب على عمرو بن هند كما جاء في بيت النابغة الذبياني مدحا له حين غزا الشام :  
فداء ما تقبل النمل منى      إلى أعلى الذؤابة للهمام  
واللطائم : جمع اللطيمة وهي الميراث التي تحمل الطيب ويزاللتجار . والفواضل : النعم العظيمة ، الواحدة : فاضلة .

(٩) الحلب : الحافى النليظ ويقصد به عمرو بن هند . مناكبه : نواحيه . السعرة : الحرا أو حرا النار ، والسعرا أيضا الشهوة مع الجوع . ولطه يصف نواحي الملك عمرو بن هند بأنها حارة أو أنها معيبة .  
(١٠) المأطورة : القوس المستوية . العسيفان : الأجيران . الأطر : عطف الشيء ، تقبض على أحد طرفيه فتعوجه ، وكل شيء عطفته على شيء فقد أطرته فأطره أطرا . الأمر : الرباط يقال أسرفلان إسارا وأسربا لإسارأي بالرباط .

(١١) الرامق : الذي يثلق الباب بالمغلاق ، تقول : هو يرمقه أى يقلقه . المقلاد : المفتاح . مرده : جملة أملى . الجدر : أى الجدار .

\* \* \*

سيد حنفي



## الحارث بن حلزة الشكري

هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن بُدَيْد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعيد ابن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر ، من قبيلة بكر بن وائل . شاعر قديم مشهور ، ومن المقلّين ، وهو صاحب المعلّقة المشهورة : « آذنتنا بينها أسماء » . يقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند — ملك الحيرة — ارتجالاً ، في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح الذي تمّ بينهما بعد حروب كثيرة ، وزعم الأصمعي أنه قالها وهو ابن مائة وخمسة وثلاثين سنة .

\* \* \*

نظم الحارث بن حلزة قصيدته « المعلقة » في خلاف بين قومه من بني بكر ، وبين قوم عمرو بن كلثوم من بني تغلب ، حاول فيه ملك الحيرة عمرو بن هند أن يوفق بينهما فأخفق . وكان عمرو بن هند يميل إلى تغلب .

ويبدأ الحارث قصيدة بوقف قصيرة على الأطلال يمتزج فيها النسيب بتذكّر الأماكن التي كانت تنزل بها قبيلة حبيته ، وذلك على عادة شعراء الجاهلية ، وينتقل من ذلك إلى وصف ناقته في أبيات قليلة . وهي الناقة التي يمتطيها ليصل إلى ملك الحيرة ولا تزيد هذه المقدمة عن خمسة عشر بيتاً ينتقل بعدها إلى موضوع القصيدة الرئيسي وهو المفارقة أمام بني تغلب بزعامه عمرو بن كلثوم ، وفيها مديح لعمرو بن هند وإن كان يأتي عارضا .

والقصيدة نموذج جيد للشعر القبلي :

\* \* \*

## مِنَ المَعْلَقَةِ

\*\*\*

- |   |   |   |
|---|---|---|
| ١ | أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ               | رَبِّ نَارٍ يُمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ   |
| ٢ | بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةٍ شِمَاءُ        | فَادَتْ دِيَارَهَا الْخَلَصَاءُ         |
| ٣ | فَالْحَيَاةُ فَالْصَّفَاحُ فَأَعْلَى          | ذِي فَتَاقٍ فَعَاذِبُ فَاَلْوَفَاءُ     |
| ٤ | فَرِيَاضُ الْقَطَا فَاوْدِيَةُ الشَّرِّ       | بُيُوبُ فَالشُّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءُ |
| ٥ | لَا أَرَى مَنْ عَاهَدْتُ فِيهَا فَاَبْكِي     | يَوْمَ دَلَمَّا وَمَا يَرْدُ الْبُكَاءُ |
| ٦ | وَبَعِينِكَ أَوْقَدْتُ هِنْدُ النَّا          | رَ أَخِيرًا تُلَوَّى بِهَا الْعِلْيَاءُ |
| ٧ | أَوْقَدْتُهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصِيَّةٌ | بَنُوعٍ كَمَا يَلُوحُ الضَّيَاءُ        |
| ٨ | فَتَنَوَّرَتْ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ           | بِحَزَازٍ هِيَاتَ مِنْكَ الصَّلَاءُ     |

(١) أَذْنَتْنَا : أهلكنا . البين : الفراق . رب ناري مل منه النواء : رب مقيم تمل منه إقامته .

(٢) برقة شماء : هضبة . الخالصاء : اسم مكان بالدهناء .

(٣) محياة : أرض . الصفاح : أسماء هضاب مجتمعة . فتاق : جبل . ماذب : واد . الوفاء : أرض .

(٤) رياض القطا : رياض بعينها يكثر فيها هذا الطائر . الشربب : جبل . الشعبتان : جبل من الرمل . الابلأ : اسم بئر .

(٥) دلما : مدله العقل ، أي ذاهب العقل .

(٦) يقول إنه رأى هنداً في آخر عهده بها توقد ناولها وترفعها لتضيء له .

(٧) العقيق : اسم مكان . شخصان : أكمة خاشعبان . العود : الذي يتبخريه .

(٨) حزاز : جبل بين العقيق وشخصين كما وصف . الصلاء : النار . أي ما أبعد تلك النار منك .

- ٩ غير أني قد أستعين على الهد  
١٠ بزُفوف كأنها هفلة أ  
١١ آنت نبأة وأفزعهما القنء  
١٢ فترى خلفها من الرجع والوقء  
١٣ وطراقا من خلفهن طراق  
١٤ أتلهى بها الهواجر إذ كء
- م إذا خف بالشوى النجاء  
م رثال دويئة سقفاء  
ماص عصرا وقد دنا الإمساء  
مع مينة كأنه إهباء  
ساقطات تلوى بها الصحراء  
كل ابن هم بليئة عمياء

\* \* \*

- ١٥ وأتانا عن الأراقم أنبا  
١٦ أن إخواننا الأراقم يغلو
- وخطب نعتى به ونساء  
ن علينا في قولهم إحفاء

(٩) الثوى : المقيم . النجاء : الانطلاق .

(١٠) زفوف : ناقة مسرعة خفيفة ، والزفيف : عدد النعام إذا أسرع . الهفلة : النعامة . الرثال : فراخ النعام واحد رآل . دويئة : منسوبة إلى الدووهى الأرض الواسعة . سقفاء : طويلة العنق مرتفعة .

(١١) يقول : آنت هذه النعامة نبأة وهى الصوت الخفى . والقناس : الصياد .

(١٢) يقول : ترى خلف الناقة من الرجع أى رجع قوائمها مينة وهو الغبار الدقيق الذى تشير به قوائمها . الإهباء : الغبار .

(١٣) الطراق هنا : الغبار ، أى يتساقط الغبار من خلفها فتلوى به الصحراء .

(١٤) أتلهى بها : يقصد يركبها فى وقت الهجرة وقت شدة الحر . كل ابن هم : كل من نزل به هم . البلية : ناقة الرجل إذا مات عقله عند رأسه ، وعكس رأسها بذنبها ، لا تأكل ولا تقرب حتى تموت ، فهى عمياء لا تنجى .

(١٥) الأراقم : أحياء من بنى تغلب وهم عجل وحنيفة وذهل بن شيبان .

(١٦) يغلون علينا : يرتفعون علينا فى القول ويظهروننا ويحملوننا ذنب غيرنا . وقوله : فى قولهم إحفاء : أى أنهم حملوا علينا وألحوا فى مسألتنا وألصقوا بنا ما نكره .

- ١٧ يَخْلُطُونَ البرىء منا بذى الذنـب ولا ينفع الخلى الخلاء  
١٨ زعموا أن كل من ضرب العيـة ر مـوال لنا وأنا الولاء  
١٩ أجمعوا أمرهم بـليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء  
٢٠ من منادٍ ومن مجيب ومن نصـه بهال خيلٍ خلال ذاك رُغاء

\* \* \*

- ٢١ أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهل لذك بقاء  
٢٢ لا تَخُننا على غـراتك إنا قَبْل ما قد وثى بنا الأعداء  
٢٣ فبقينا على الشنـاء تنمى لنا حصونٌ وعزرة قعساء  
٢٤ قَبْل ما اليوم بيضت بـعيون الـناس فيها تعيـط وإباء

(١٧) لا ينفع الخلى الخلاء : لا ينفع البرىء من الذنـب براءته منه .

(١٨) يقول : إن إخواننا الأراقم يلوموننا ويصفوننا بالباطل ، ويضيفون إلينا ذنب غيرنا ، ويطالبوننا بجناية كل من جنى عليهم من نزل صحراء أو ضرب هرا ، ويجعلونهم موالى لنا وأبناء عمومة لنا .

(١٩) أجمعوا أمرهم : أحكموا أمرهم .

(٢٠) الرغاء : أصوات الإبل .

(٢١) المرقش هنا : يعنى عمرو بن كلثوم ، والمرقش : المزين للشيء . وعمرو : يقصد الملك عمرو بن هند .

(٢٢) يقول : لا تحسب أننا جازعون لإغـراتك الملك بنا .

(٢٣) الشنـاء : البغض والكراهية . يقول : الحصون تحول بيننا وبين شنـاء الناس إيانا .

القعساء : الثابتة المصمتة القوية .

(٢٤) يقول : قبل اليوم مظم شأنها على الناس حتى أعمتهم وعظمت على أبصارهم . التعيط :

الارتفاع والامتناع .

٢٥ وَكَأَنَّ الْمُنُونَ تَرْدَى بِنَا أُر      عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ  
٢٦ مَكْفَهْرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُ      تُؤَى لِلدَّهْرِ مُؤَيِّدُ صَمَاءِ

\* \* \*

- (٢٥) المنون : المنية والموت . الأرعن : الجبل . الجون : الأسود ، وهو من الأخداد .  
وأراد به هنا النهار . باب هـ : ينشق عنه . العماء : القيم الرقيق .  
(٢٦) مكفهرا : يقصد الجبل . لا ترتوه : من الرتو وهو القصر من الشيء والنقصان له .  
لمؤيد : القوى الشديد ، يريد الداهية . يقول إن الشدائد لا تؤثر في هذا الجبل الذي يشبه به قومه .

\* \* \*

سيد حنفي



## عمرو بن كلثوم

\* \* \*

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ينتهي نسبه إلى قبيلة تغلب التي ذاع صيتها في حرب البسوس التي دارت رحاها بينها وبين بكر، وأرهقتها زمنًا طويلاً .

وهو واحد من شعراء الجاهلية المشهورين ، عاصر عمرو بن هند ملك الحيرة، وكانت قصته معه دافعا لنظم معلقته المشهورة .

ترجم له ابن سلام وصنّفه بين طبقات الشعراء فأدرجه ضمن شعراء الطبقة السادسة من الجاهليين، وعرف بمكانة القبيلة المرموقة بين شعراء العصر جميعا .  
وشعره المتبقّي بين أيدينا قليل ، وأشهره ذيوغاً تلك المعلقة المشهورة التي تحوّلت إلى صورة قبلية رائعة راح فيها يتغنى بانتصارات قومه ، ويعلم الناس بدورهم من خلال تسجيل مفاخرهم وتأكيد شجاعتهم في صور تخيف القبائل الأخرى وتفزعها وترصد لتغلب مكانة لا تعادلها مكانة .

ومعروف عن هذه المعلقة أنها انتشرت بين أبناء قبيلته وتوارثتها الأجيال المختلفة حتى صارت بمثابة « النشيد القومي » فيها، حتى « ألهمهم عن كل مكرمة » على حدّ تعبير بعض شعراء بكر حين أخذوهم على كثرة تغنيهم بها وترديدهم إياها .  
وتختلف المعلقة في بعض جزئياتها عن الصورة التقليدية عند شعراء المعلقات حيث بدأها عمرو بافتاحية نحرية ، وتجنب فيها حديث الطفل ، متأثرا بالطابع الحماسي والافتخالي الذي سيطر عليه من جراء الواقعة التي دفعته إلى نظمها .

ومعروف أيضا عن دافع النظم إليها ما كان من شأن ليلي أم عمرو بن كلثوم حين نادت بأعلى صوتها وأدْلَاه لتغلب إثر مطلب طلبته منها هند أم عمرو بن هند — ملك الحيرة — بأن تناولها شيئا ما على المائدة ، فكانت الواقعة بمثابة تعبير أو إهانة مثلت دافعا حارا ، انطلق منه عمرو لينتقم من خلاله لكرامة المرأة العربية ممثلة في شخص أمه ، في هذا الموقف ، وهو ما سنراه ونلتمسه تصويرا وتقريراً فيما اخترناه من أبياتها أو — بمعنى أدق — من وحداتها الفنية المتكاملة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## مِنَ المعلقة

« صوتٌ قويمٌ »

(١) مع الصُّبوح

- ١ ألا هُبِّي بِصَخْنِكَ فاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي نُجُورَ الْأَنْدَرِينَا
- ٢ مُشْمِشَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
- ٣ تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا
- ٤ تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيجَ إِذَا أُمِرَتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا
- ٥ وَإِنَّا سَوْفَ تَدْرِكُنَا الْمَنَايَا مَقْدَرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَا

(ب) مع الطعينة

- ٦ قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخْبِرُكَ الْيَقِينَ وَنُخْبِرِينَا
- ٧ قَفِي نَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتَ صَرْمًا لَوْشِكَ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتَ الْأَمِينَا

(١) الصحن : كأس الخمر أو القدر . والصبح : نهر الغداة وعكسها الغبور وهي نهر المساء . الأندرين : قرية بالشام اشتهرت بجودة نهرها ولذلك نسبت إليها الخمر دفعا لشأنها دون سواها من أنواع الخمر .

(٢) الخمر المشبعة : التي رقت من المزج بالماء . الحص : الورس أو الزعفران وهو معروف بصفرته اتخذ منه مشمدا لونها للخمر . سخيننا يشير بها إلى ما كان يحدث من تسخين الماء قبل المزج في الشتاء . وربما قصد بها السخاء في اتفاق المال وإمانته في سبيل شربها فهم لا يتخلون عليها بأموالهم .

(٣) تجور : تعدل وتميل : ذواللبانة : صاحب الحاجة . عن هواه : عن حاجته . يلين من هواه : يسكر حتى الثمالة . أُمِرَتْ : أديرَتْ في مجلس الخمر على الندماء . يهين المال : ينفقه مسرفا في إنفاقه بلا حساب ولا احتراز به إذ يتحول إلى مجرد وسيلة لا غاية .

(٥) المنايا : الأقدار أو الموت . مقدرة لنا ومقدرينا : أي أننا خلقنا للنية ورصدت لها نهاية حياتنا رصدا حتميا مقدرا لا نستطيع منه فرارا .

(٦) الظعينا : ترخيم الطعينة وهي المرأة الراحلة في هودجها مع قومها أو جمعها ظعن أو ظعائن .

(٧) الصرم : القطيعة . وشك البين : مرعة الفراق . الأمين هنا هو الشاعر لأنه حفظ سرها .

- ٨ تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ      وَقَدْ أَمِنْتَ عِيُونَ الْكَاشِحِينَ  
 ٩ ذِرَاعِي عَيْطِلٍ أَدَمَاءَ بَكْرِ      تَرَبَّعَتِ الْأَجَارِعَ وَالْمُتُونَا  
 ١٠ تَذَكَّرْتُ الصَّبَا وَاشْتَقْتُ لَهَا      رَأَيْتُ حُمُولَهَا أَصْلًا حُدِينَا  
 ١١ وَأَعْرَضَتِ الْبِمَامَةُ وَاشْتَمَخَرَتْ      كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلِّتِينَا  
 ١٢ فَمَا وَجَدْتُ كَوَجْدِي أُمُّ سَقِبٍ      أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَا  
 ١٣ وَلَا شَمَطَاءَ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاها      لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا  
 ١٤ وَإِنَّ غَدًا وَإِنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ      وَبَعْدَ قَدِيمٍ لَا تَعْلَمِينَا

(ج) إلى ابن هند (نفر)

- ١٥ أبا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا      وَانْظُرْنَا نُنْخَبِرَكَ الْبَقِينَا  
 ١٦ بَأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بَيْضًا      وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُوِينَا

- (٨) الكاشح : المدور أو الرقيب . دخل على خلا : بعيدا عن الرقباء والوشاة .  
 (٩) عيطل : طويلة العنق . الأدماء : البيضاء . البكر : التي لم تلد من قبل .  
 تربعت : رعت نبات الربيع . الأجارع : كنبان الرمال . المتون : ما غلظ من الأرض .  
 (١٠) الحمول : الإبل تحمل عليها الأثقال . أصلا : في وقت الأصيل قبيل الغروب . حُدِينَا :  
 صاحبها الحادي أو دليل الرحلة ، فهي تحمده أو هو يحمدوها لأنه دليلها .  
 (١١) اشتمخرت : طالت وامتدت . المصلت : الشاهر سيفه . أو أخرجه من غمده استعدادا  
 للزوال والقتال . أعرضت : ظهرت وبانت على امتداد النظر .  
 (١٢) أم سقب : الناقة (السقب : ولدها) أضلته : افتقدته وأكثر من البحث عنه . رجعت  
 الحنين : رددته حزنا على فقد ولدها وفشلها في الحصول عليه .  
 (١٣) الشمطاء : المعجوز التي اشتد حزنها على فقد أبنائها . شقاها : تعيا في تربية أبنائها ورما يهتم .  
 (١٥) أبو هند : عمرو بن المنذر . انظرونا : انتظرونا أو أخرنا لتنظر ما يكون من أمرنا معك في قتالنا  
 العنيف ( وهو يهدوه ويتوعده هنا ) . اليقين هنا الحقيقة القتالية التي لا مراها فيها .  
 (١٦) الرايات : الأعلام . الورد والصدر : قدوم الإبل إلى الماء ورجوعها عنه بعد الإرتواء  
 منه وإشباع ظمئها .

- ١٧ وأيام لنا غُرَّ طَوَالٍ      عَصَيْنَا الْمَلَكَ فِيهَا أَنْتَ نَدِينَا  
 ١٨ وَسَيِّدٌ مَعْتَرٍ قَدْ تَوَجَّوهُ      بَسَاجِ الْمَلِكِ يَحْمِي الْمُهْجَرِينَ  
 ١٩ تَرَكْنَا الْخَيْلَ مَا كَفَّةَ عَلَيْهِ      مَقْلَدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا  
 ٢٠ وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا      وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا  
 ٢١ مَتَى تَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا      يُكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا  
 ٢٢ يَكُونُ نِقَالَمَا شَرْقَى نَجْدٍ      وَلَمْوَتِهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا  
 ٢٣ وَثَنَا الْجَدَّ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ      نَطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا  
 ٢٤ وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ      عَلَى الْأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا  
 ٢٥ نَدَافِعُ عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ قَدَمًا      وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا  
 ٢٦ نَطَاعِنُ مَا تَرَانَى النَّاسُ عَنَّا      وَنَغِيرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا

- (١٧) غر طوال : بوض مشهورة . أن ندين : أن نخضع أو نذل أو نطيع له أمرا خوفا منه .  
 (١٨) يحمى : يمنع . المحجرين : الذين أُلْحِقُوا إِلَى الْمَضِيقِ وَبَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى الْآخَرِينَ .  
 (١٩) ما كفة : مقبلة . الصافن : الفرس القائم الذى رفع إحدى قوائمه بعد نهاية القتال .  
 (٢٠) شذبنا : فرقنا جمعهم وشتتنا شملهم . القنادة : شجرة لها شوك والتشذيب : قطع الأغصان .  
 من يلىنا : يلى حربنا ويعادينا أو يتردد علينا .  
 (٢٢) النقال : قطعة من الجلد توضع تحت الرسى يسقط عليها الطحين وهو لا توضع إلا فى وقت الطحن . اللهوة : قبضة من الطحين تلقى فى الرما لتدور عليها فتطحنها .  
 (٢٣) يبين : يظهر ويتكشف . نطاعن دونه : أى نحميه وندافع عنه . المجيد : الشرف وعلو المكانة .  
 (٢٤) الأحفاض : الأمتعة . من يلىنا : من يجاورنا ويقع علينا حق حمايته والدفاع عنه .  
 (٢٥) قدما : قديما ، وقديما قدما . ما حملونا : ما جنوا علينا وحملوا إياها من ديات أو مساعدات .  
 (٢٦) ترانى : تباعد . غشيننا : اقترب بعضنا من بعض خاصة فى مراحل العناق فى القتال .



- ٢٧ بُسْمِرٍ مِنْ قَنَا انْخَطَى لُدُنْ ذَوَابِلَ أَوْ بِيضٍ يَعْتَلِينَا  
 ٢٨ نَشَقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَيَعْتَثَلِينَا  
 ٢٩ تَنَخَّالُ بِحَاجِمِ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقًا بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا  
 ٣٠ نَجْدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ يَرْ كَانَتْ سُيُوفُنَا فِينَا وَفِيهِمْ  
 ٣١ كَانَتْ ثِيَابُنَا مِنْهُمْ وَخُضْبُنَ بَارِجُوانٍ أَوْ طَلِينَا

\* \* \*

(د) إلى ابن هند (تهديد ووعيد)

- ٣٣ بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتُؤَدِّرِينَا  
 ٣٤ بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ نَكُونُ لِحَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا  
 ٣٥ تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُويْدَا مَتَى كُنَّا لَأَمِّكَ مُقْتَوِينَا  
 ٣٦ فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعِيَتْ عَلَى الْأَبْطَالِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا  
 ٣٧ وَرِثْنَا نَجْدَ عُلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَهُ الْجَدِ دِينَا

(٢٧) السمر من الرماح: أجودها. لُدُن: لينة. ذوابل: فيها بعض اليبس. يعتلين: تعلو رؤوسهم في وقت اشتداد القتال.

(٢٨) نخليها الرقاب: أي نجعل الرقاب لها كالخشيش (الخلاء) ونجدها كما نجد الخشيش.

(٢٩) الأمعر: الأرض الصلبة كثيرة الحصى جمعها أماعز. تنخال: ترى.

الوسوق: ج وسق وهو الجمل أو هي جمع ساق ويقصد بها سيقان الأبطال عطفًا على جماعهم.

(٣٠) في غير بر: في غير شفقة عليهم أو رافة بهم أو خوف عليهم. يتقون: يدفعون عن أنفسهم.

(٣١) المخاريق: يشير بها إلى سيوف أصحابه وسيوف أعدائه وهو يستمد العورة من لعبة هزفت بين شباب الجاهلية يستعيرها لتصوير الضرب المتبادل بينهم وبين أعدائهم.

(٣٤) القطاين: المنجاورون (قطن المكان سكته وأقام به).

(٣٥) القنو: خدمة الملوك بصفة خاصة رويدها: أي تمهل (صيفة تهديد).

(٣٦) القناة: الأصل. أعبت: أعجزت. تلين: تذل وتخضع.

- ٣٨ وَرِثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زَهْرًا نَعَمْ ذُنُرُ الدَّائِرِينَ  
٣٩ وَعَثَابًا وَكُلُثُومًا جَمِيعًا بِرِسْمٍ ثَلَاثُ تُرَاثِ الْأَكْرَمِينَ  
٤٠ وَذَا الْبَرَّةِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنُحْمَى الْمُلْجِئِينَ  
٤١ وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كَلْبٌ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا  
٤٢ مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ نَجْدٍ الْوَصْلِ أَوْ تَقْصُ الْقَرِينَا  
٤٣ وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَهُمْ ذَمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا  
٤٤ وَنَحْنُ الْحَاكُمُونَ إِذَا أُطْمِنَّا وَنَحْنُ الْتَارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا  
٤٥ وَكُنَّا الْأَيْمِينَ إِذَا التَّقِينَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَيْدِنَا  
٤٦ فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصَلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا  
٤٧ فَآبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَ

(هـ) إلى بنى بكر (نخر مطلق)

- ٤٩ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلَا تَعْرِفُوا مِنَّا الْبَقِينَ  
٥٠ أَلَا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابٌ يَطْمِنُ وَيَرْتَمِينَا

- (٣٨) مهلهل : كان صاحب حرب وائل أربعين سنة وهو جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه .  
زهير : جده من قبل أبيه . نعم ذنر الدائرينا : أى خير من يصبح أهلاً للفخر .  
(٤٠) ذر البرة : قيل هو كعب بن زهير لأنه كان على أفعه شعر خشن فشبّه بالبرة وهى الحلقة فى أنف البعير . الملجئينا : الذين يقعون فى حمايتنا ويجب علينا الدفاع عنهم .  
(٤١) ولينا : من الولاية أى صار إلينا فصرنا ولاية عليه .  
(٤٢) القرينة : التى تقرن الى غيرها ، متى تقرن الى غيرنا : أى متى تسابق غيرنا . نجد : تقطع .  
القرينة : الناقة والجل تكون فيهما خشونة .  
(٤٤) الحاكمون : المانعون وأصحاب الحكم والسيادة . العازمون : الأشداء فى القتال .  
(٤٥) الأيمنون : أصحاب الميمنة وهم المتقدمون فى صفوف الجيوش . أصحاب الميسرة : المتأخرون فيها .  
(٤٨) آبوا : رجعوا . المصفد : المقيد أو المقلل بالأصغاد أو الأغلال . النهاب والسبايا : الغنائم .

- ٥١ علينا البيض واليَلْبُ أَيْمَانِي وَأَسِيفُ يَمْنِي وَيُخْتَلِنَا  
 ٥٢ عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ تَرَى فَوْقَ النَّجَادِ لَهَا غُضُونًا  
 ٥٣ إِذَا وُضِعَتْ عَنِ الْأَبْطَالِ يَوْمًا رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونا  
 ٥٤ وَتَحْمَلُنَا غَسَدَاءَ الرُّوعِ جُرْدٌ عُرِفْنَ لَنَا ثَقَائِدَ وَافْتِلِينَا  
 ٥٥ وَرِثَانُهُنَّ عَنْ آبَاءِ صَدِيقٍ وَنُورُهَا إِذَا مِتْنَا بَنِينَا

## (و) إلى كل القبائل

- ٥٦ وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبِبُ بِأَبْطَحَهَا بُنِينَا  
 ٥٧ وَأَنَا الْعَاصِمُونَ بِكُلِّ تَحْلٍ وَأَنَا الْبَازِلُونَ لِمُجْتَدِينَا  
 ٥٨ وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا يَلِينَا إِذَا مَا الْبَيْضُ زَايَلَتِ الْجُفُونَا  
 ٥٩ وَأَنَا الْمُنْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أُتِينَا  
 ٦٠ وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينَا  
 ٦١ أَلَا أَيْلُغُ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا وَدُعْمِيَا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا

- (٥١) البيض : الحديد . اليَلْبُ : الدرع . أَيْمَانِي المنسوب إلى اليمن في جودة صنعه .  
 (٥٢) السابغة : الدرع الثامة . الدلاص : التي تزل عنها السيوف . النجاد : حائل السيف .  
 الغضون : التسكر .  
 (٥٣) الجون : السود أي لسود جلودهم من صدأ الحديد لأنهم يلبسون دروعهم باستمرار .  
 (٥٤) الأجرد من الخيل القصير الشعر أو الكريم منها . الثقائل : المختارة أو ما استندت من قوم آخرين . افتلينا : أي نشأت وتربت في قومنا مما يؤكدها .  
 (٥٦) الأبطح والبطحاء : بطن الوادي بما فيه من رمل وحصى . والبطحاء : البقعة من الأرض .  
 (٥٧) العاصمون : المانعون . الكحل : السنة الشديدة التي اشتد جديها وقلت خيراتها .  
 (٦١) الطماح ودعوى : حيان من إباد . كيف وجدتمونا : ماذا عرفتم من أمرنا وما أذيع من قدرتنا في الحروب . وكثرة انتصاراتنا فيها .

- ٦٢ تَزَلَّتْ مُتَرِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا  
 ٦٣ قَرِينَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ  
 ٦٤ عَلَى آثَارِنَا بِيَضِّ كَرَامٍ  
 ٦٥ أَخَذْنِ عَلَى بُعُولَتَيْنِ عَهْدًا  
 ٦٦ لَيْسَتَيْنِ أَبَدَانًا وَبِيَضًا  
 ٦٧ إِذَا مَارَحْنَ يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا  
 ٦٨ يُقَتِّنَ جِيَادَنَا وَيُقَلِّنَ أَسْمُ  
 ٦٩ إِذَا لَمْ يَحْمُوتْ فَلَا بَقِيَّةَا  
 ٧٠ لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَصْحَى عَلَيْهَا  
 ٧١ إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا  
 ٧٢ تُسَمَّى ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا  
 ٧٣ إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ  
 ٧٤ مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا  
 ٧٥ إِلَّا لَا يَجْهَانُ أَحَدٌ فَلَيْنَا  
 فَعَجَّلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتَمُونَا  
 قُبِيلَ الصَّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا  
 نُحَاذِرُ أَنْ تَفَارِقَ أَوْ تَهُونَا  
 إِذَا لَاقُوا فَوَارِسَ مُعَلِينَا  
 وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا  
 كَمَا اضْطَرَبَتْ مَتُونُ الشَّارِبِينَا  
 بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا  
 لَشَيْءٍ بَعْدَ هُنَّ وَلَا حِينَا  
 وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا  
 أَيْدِنَا أَنْ نُقْرَ الْخَسْفَ فِينَا  
 وَلَكِنَّا سَنَبْدُ ظَالِمِينَا  
 تَحْرُلُهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا  
 وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلَوُهُ صَفِينَا  
 فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

(٦٢) أَنْ تَشْتَمُونَا : أى عملنا الحرب مخافة أن تشتمونا أو يقع منكم سباب ضدنا .

(٦٣) الْقَرَى : ما يقدم لضيف إكراما لوفاة . المرداة : صحرة صلبة شبه بها الكنية .

(٦٤) الْبِيضُ : بيض الحديد أو السيوف ، يقصد في البيت سلب الأعداء وقد يقصد بالبيض

نساء تغلب ومن يخرجن خائف كنائب الجيش التغلبى . تهون : تذلل أو يصيبها أذى .

(٦٧) يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا : لا يتعجلين في مشين دلالة على ترفهن ونعمتهن ومكاتهن في نفوس بعولهن

من التغلبين . متون الشاربين : أى يتمايلن في مشين مثل السكرى في التباطؤ والتناقل .

(٦٩) الْخَسْفُ : الظلم والجور . قُرْ الْخَسْفَ : نتقبله أو نعرف به . أَيْدِنَا : رفضنا بشدة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## ذُو الإصْبَعِ العَدَوَانِي

هو حرثان بن عرث بن شبث بن زهير بن معاوية . . . سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهام رجله فقطعها فسمى ذا الإصبع .

وهو شاعر جاهلي قديم ، عمر دهره حتى زعم السجستاني — على ما في زعمه من مبالغة — أنه عاش ثلاثمائة سنة . وهو فارس مذكور وحكيم كانت تحتمل إليه العرب . وكنيته أبو عدوان ، وله غارات مشهورة ووقائع كثيرة سجلتها له بعض روايات العصر الجاهلي .

وفي قصيدته النونية التي اخترناها يبدأ الشاعر بذلك الحديث الغزلي الموجز الذي افتتحها به ، ووزعه بين قلبه وصاحبته والوشاة ليدخل إلى تصوير موقفه مع ابن عمه ومنه يبدأ الفخر بنفسه وقومه ، جاعلا مفتاح شخصيته وشخصية قومه جميعا مرتبطا بتلك القدرة المطلقة التي استوقفته فيهم على أن يكونوا جبارين في الأرض لولا بقية حرص على أواصر القربى تجعلهم يكبحون جماح غيظهم ويكبتون قوتهم حتى لا يقوضوا من حولهم من الأقسام . ويسحب الشاعر على نفسه رداء القوة والعنف بنفس الدرجة ويضيف إلى فروسيته اللسانية التي تحكمها العفة وعدم الانصراف إلى الشتائم أو السباب أو الفحش في أي من صوره ، وهو يضمني على حديثه طابع الصدق من خلال مجموعة الحكم التي يطرحها متناثرة بين الأبيات لتجمع شتاتها وتكون روابط فنية تشد ما يسبقها من المعاني إلى ما يورده منها بعدها .

وهو يمزج بين الفخر والتحدى أو ينتقل إليه في اللوحة الأخيرة التي يعلن فيها مخطئه على أعدائه بشكل مباشر ، وإن كان هذا السخط يرد مصحوبا أيضا



يحرص متكرر على تصوير مثاليته الخُلُقِيَّة في علاقاته الاجتماعية ليرسم من كل جزئياتها مسلكا إنسانيا يقتنع به في حياته ، ويطبقه في تعامله مع أعدائه وأصدقائه جميعا .

وعلى هذا راح الشاعر يعتمد على هذا التداخل بين الصورة والتقرير في صياغة القصيدة ، ما ارتبط منها بحديث الذات في تضخيمها وتغظيمها وسيطرتها على الأبيات ؛ أو ما تعلق منها بحديث الغير كطرف آخر تحكه رؤيته لما ينبغي أن يسود في العلاقات الاجتماعية بوجه عام .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## بين الفخر والتحدى

- ١ يا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلٍ الْحَمُّ مَحْزُونٍ      أُمِّى تَذَكَّرِيَا أُمَّ هَارُونَ ؟
- ٢ أُمِّى تَذَكَّرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَخَّطَتْ      وَالْدَّهْرُ ذُو ظِلْفَةٍ حِينًا وَذُو لَيْنٍ
- ٣ فَإِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أَصْحَى لَنَا شَجْنًا      وَأَصْبَحَ الْوَأَى مِنْهَا لَا يُوَاتِينِي
- ٤ فَقَدْ غَنَيْنَا وَشَمِلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا      أَطِيعُ رِيًّا وَرِيًّا لَا تُعَاصِينِي
- تَرْمِي الْوِشَاةَ فَلَا تُنْطَى مَقَاتِلُهُمْ      بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونٍ
- ٦ لِي ابْنِ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ      مُخْتَلَفَانِ فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
- ٧ أَزْرَى بِنَا أَنْتَا شَالَتْ نَعَامَتَنَا      نَخَالِنِي دُونَهُ بَلْ خَلَّاهُ دُونِي
- ٨ يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي      أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي
- ٩ لَاهِ ابْنِ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ      عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَحْزُونِي

(١) يا مَنْ لِقَلْبٍ : صيغة تعجب تصور دهشته من أمره ، فهو يتساءل عنى يستطيع مماوته على قلبه بهذه الصفة وقد يسيطر عليه الحزن وطول الهم وتذكرويا .

(٢) يصور الدهر الذى لا يدوم على حال . وهو يتحكم فى البشر بلبته وظففته حسب إرادته .

(٣) الشجن : الحزن والهم . الوأى : الوجد . يواتينى : يتم إنجازها أو يتحقق لى ويصلنى . يصور كيف بعدت عنه تلك المرأة فلم يعد وصلها يطاوعه وقد بقيا زمانا على أحسن ما يكون عليه متعابات من وصل .

(٤) يقلبه : يغيظه ، ويكون فى نفسه له غدرا وكرها .

(٥) أزرى به : إذا قصر به . شالت نعماتهم : إذا تفرقوا ، ومنقت شملهم .

(٦) الهامة : الرأس وقد أخذت بعدا خاصا فى مسألة القتل والتأرا إذ عرف أن المقتول إذا لم يدرك ناره يخرج من رأسه هامة تصوت على قبره : اسقونى اسقونى . فإذا قتل قاتله أمسك .

(٧) لاه ابن عمك : لله ابن عمك فأضمر اللام . لا أفضلت : أى لم تفضل . تحزونى : تفهزنى ويسومنى .

- ٣ سَلَكُوا مَنَهِجَ الْمَنَايَا فَبَادُوا وَأَرَانَا قَدْ حَانَ مِنَّا وَرُودُ  
٤ بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْأَيْسَرَةِ وَالْأَذَى بِمِطٍ أَفْضَتْ إِلَى التَّرَابِ الْخَدُودُ  
٥ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلُّهُ وَالْوَعِيدُ  
٦ وَالْأَطْبَاءُ بَعْدَهُمْ لِحَقْوِهِمْ ضَلَّ عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ  
٧ وَصَحِيحُ أَضْحَى يَعُودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَذْنَى لِلْسَوْتِ مِمَّنْ يَعُودُ

\* \* \*

(٣) المنهج : الطريق . وبادوا : هلكوا .

(٤) الأنميط : البسط ، جمع نمط . وأفضت : انتهت .

(٥) الوعد : الثواب . والوعيد : العقاب . والبيت بمكس إيمان الشاعر المسيحي بالبعث والحساب والثواب والعقاب .

(٦) السعوط : الدواء يصب في الأنف . والدود : الدواء يصب في الفم .

(٧) يعود مريضاً : أى يزوره . وواضح أن معاني الأبيات هي نفسها المعاني التي تردت كثير في شعر أبي العتاهية بعد ذلك .

\* \* \*

يوسف خليف

## الْمُنْخَلُ الْيَشْكُرِيَّ

\* \* \*

هو المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري .  
وهو شاعر جاهلي قديم . كان يشبب بهند أخت الملك عمرو بن هند ، وكان يتم  
كذلك في زوجته ، وكان نديما للنعمان بن المنذر ، وكان النعمان دميما أبرش  
قييحا ، وكان المنخل من أجمل العرب ، وقد اتهم كذلك في « المتجرّدة » زوجة  
النعمان ، ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل ، فقتله النعمان ،  
وقيل حبسه ثم غمض خبره فلم تعلم له حقيقة ، ويقال إنه دفنه حيا أو أغرقه .  
والعرب تضرب به المثل بمن هلك ولم يعلم له خبر .

والقصيدة المختارة يوجه فيها الشاعر خطابه إلى العاذلة ، يريد بها أن تفارقه  
إلى العراق ، وأن لا تنظر إلا إلى حسبه وكرمه ، ويصف لها جوده في زمان  
الحذب ، وينعت لها فوارس قومه الذين يُقَرُّ عينه بهم وبالكواعب اللاتي  
يعابثن ، ويمجى معهن في الهوى والغزل . ويصف لها كيف بادل إحداهن  
الحب حتى لقد كان بين بعيده وناقتها من ذلك ما يكون بين البشر . ثم يصف  
حالي صحوه وسكره .

\* \* \*

٣٣ مَاذَا عَلَيَّ إِذَا تَدْعُونَنِي تَرَمًا  
 ٣٤ يَا رَبِّ حَتَّى شَدِيدِ الشَّغْبِ ذِي بَلَبٍ  
 ٣٥ رَدَدْتُ بَاطِلَهُمْ فِي رَأْسِ قَائِلِهِمْ  
 ٣٦ يَا عَمْرُو لَوْلَيْتَ لِي الْفَيْتَنِي يَسْرًا  
 ٣٣ أَلَا أُجِيبُكُمْ إِذَا لَمْ تُجِيبُونِي  
 ٣٤ دَعْوَتَهُمْ رَاهِنٌ مِنْهُمْ وَمَرْهُونٌ  
 ٣٥ حَتَّى يَظْلُتُوا خُصُومًا ذَا أَفَانِينَ  
 ٣٦ سَمْعًا كَرِيمًا أَجَازِي مَنْ يُجَازِينِي

(٣٣) تَدْعُونَنِي : تَسْمُونَنِي • التَّرْع : المَرِيع إلى الشر الراغب فيه •

(٣٤) الرَّاهِنُ وَالْمَرْهُونُ : الرَّبِيسُ وَالْمَرْزُوسُ • وَالرَّاهِنُ : الدَّائِمُ الثَّابِتُ • دَعَاَهُمْ لِمُنَافَرَاتٍ فَلَمْ يَنْهَضُوا وَلَمْ يَنْبِتُوا سِوَاهُ مِنْهُمْ النَّاتِجُ أَوْ الْمَتَّبِعُ فَكَلَّمَهُمْ يَخْشَوْنَ لِقَاءَهُ •

(٣٥) بَاطِلُهُمْ : يَقْصِدُ الْبَاطِلَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَكَيْفَ رَدَّهُ وَأُورِدَ مِنَ الْجَهَاجِ عَلَيْهِمْ مَا تَشَابَهَتْ مِنْ أَجَلِهِ جُجْجُهُمْ عِنْدَهُ فَتَعَيَّرُوا وَاخْتَلَفُوا فَنَصَارُوا جَمِيعًا ذَا أَفَانِينَ • وَالْأَفَانِينَ جُ أَفْنُونٌ وَهِيَ الضَّرْبُ مِنَ الْكَلَامِ •

\* \* \*

عبد الله التطاوى





عَصْرُ دَاجِسٍ وَالْغَبْرَاءِ



## الطُّفَيْلُ الْغَنَوِيُّ

هو طفيل بن عوف بن خُليف من قبيلة غَنَى ينتهى نسبه الى قيس عيلان من مضر، شاعر جاهلي لقبه القدماء « بالمحجر » لحسن شعره ووصفه، كما « لقبوه بطفيل الخيل لكثرة وصفه لها وبراعته في هذا الوصف .

عاش في مطلع النصف الثاني من القرن السادس الميلادي حتى نهايته والأرجح أنه مات قبل الدعوة الإسلامية بقليل . وبما كان ذلك في سنة ٦١٠ للميلاد . كان سيدا في قومه وقائدا لفرسان قبيلته ، كما عُرف بغناه وراثته مما ساعده على القيام بدور السفارة بين قبيلته وبين غيرها من القبائل العربية ساعيا في الصلح وحقن الدماء .

عُرف طفيل بحكمته وحلمه وسداد رايه ، كما كثر المصامه بعلم النجوم والأنواء وما أثير حولها من قصص ، كما كان على علم واسع ببيطرة الخيل بسبب كثرة ركوبها واقتنائها .

ومن أهم الموضوعات التي وقف عندها في شعره « الوصف » ، خاصة وصف الخيل والأسلحة والإبل ، حتى جعله صاحب الأغاني أو وصف العرب للخيال ، وقد أعجب وصفه لها عبد الملك بن مروان فقال : « من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل » . ويكثر في شعره أيضا الفخر بقبيلته كما يكثر فخره بنفسه ، وتتراوج عنده الشخصية الفردية مع الشخصية القبلية في اتساق نفسي يرتبط بطبيعة دوره كشاعر في المجتمع القبلي . وهو واحد من رواد مدرسة الصنعة الجاهلية شأنه في ذلك شأن أوس بن حجر ، وقد صور ذلك أبو الفرج حين ذكر أن طفيلاً كان

أكبر من النابغة وليس في قيس فحل أكبر منه ، وانتهى الأصمعي إلى أن كل الشعراء قد أخذوا من طفيل حتى زهير والنابغة .

على أن هذا كله لا ينفي تأثير الشاعر بغيره من شعراء العصر الجاهلي الذين سبقوه إلى النظم سواء كان هذا التأثير عفويًا أم متعمداً ، فقد تأثر بامرئ القيس وأبي دؤاد الإيادي الذي ذاع صيته أيضاً في وصف الخيل .

وفي قصيدته اللامية التي اخترناها له يفتتحها بمقدمة غزلية تقليدية أساسها صور الغزل وما يصاحبها من مشاهد الهجر والقطيعة وتدخل الوشاة بينه وبين صاحبه لإفساد العلاقة بينهما ، ومن الغزل ينتقل إلى رسم لوحة فنية متكاملة يبرز فيها الملاحح الكبرى التي تميز الرجل العربي وأصبحت أهلاً لفخره بنفسه وبقومه وبطبيعة الانتماء إليهم وضرورة الولاء لهم . فهو يرى في شخصه ملاحح العفة خاصة في تعامله مع نساء جيرانه وهو ما نجد له نظيراً عند غيره من شعراء الجاهلية خاصة عند حاتم الطائي وعنترة بن شداد .

واستكمالاً لهذا التصور المثالي يصور ملاحح الكرم التي يراها ضرورة بدوية يعتز بها ويفخر بتوافرها في شخصه وفي بني قومه ، فكأنه يحرص بذلك على أن يسجل مآثر القبيلة في تفاعلها مع مآثره الخاصة ، وإن كانت الشخصية القبلية لا تزال تطحن عليه حين يصر على إكمال الصورة بحديثه عن ارتباطه بقومه وولائه لهم . وفي الختام يعود الشاعر إلى حديث الافتتاح مرة ثانية ، لكنه هنا يؤثر حديث الحكمة التي يعلقها بالمرأة عامة فيصور موقفه منها وعدم استسلامه لها ، كما يسجل رؤيته الخاصة لطبيعتها وحقيقة مسلكها الاجتماعي .

\* \* \*

(تراجع ترجمته وأخباره في مقدمة ديوانه تحقيق د . محمد عبد القادر أحمد . دار الكتب الجديدة

١٩٦٨) .

\* \* \*

عبد الله البطاوي



## منهج حياة

\*\*\*

- ١ هل حبلُ شِمْاءَ قَبْلَ البَيْنِ مَوْصُولُ      أَمْ لَيْسَ لِلصَّرْمِ عَنِ شِمْاءَ مَعْدُولُ
- ٢ أَمْ مَا تُسَائِلُ عَنِ شِمْاءَ مَا فَعَلْتَ      وَمَا تُحَاذِرُ مِنْ شِمْاءَ مَفْعُولُ
- ٣ إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّبْعَى حَاجِبُهُ      وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِيدِ الْحَارَى مَكْحُولُ
- ٤ تَرَعَى مَنَابِتَ وَسْمَى أَطْلَاعَ لَهُ      بِالْجَزْعِ حَيْثُ عَصَى أَصْحَابُهُ الْفِيلُ
- ٥ بَانَتْ وَكَانَتْ إِذَا بَانَتْ يَكُونُ لَهَا      رَهْنٌ بِمَا أَحْكَمَتْ شِمْاءَ مَبْتُولُ
- ٦ إِنْ تُنْسِ قَدْ سَمِعْتَ قِيلَ الْوُشَاةِ بِنَا      وَكُلُّ مَا نَطَقَ الْوَاشُونَ تَضْلِيلُ
- ٧ فَمَا تَجُودُ بِمَوْعِدٍ فَتَنْجِزُهُ      أَمْ لَا قِيَاسَ وَإِعْرَاضَ وَتَجْمِيلُ
- ٨ فَإِنَّ قَصْرَكَ قَوْمِي إِنْ سَأَلْتَهُمْ      وَالْمَرَّةُ مُسْتَنْبَأٌ عَنْهُ وَمَسْئُولُ

\*\*\*

- ٩ إِنْ بَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَا يَفَارِقُنِي      بِمِثْلِ النِّعَامَةِ فِي أَوْصَالِهَا طُولُ
- ١٠ تَقْرِبُهَا الْمَرَطَى وَالْجَوُزُ مُعْتَدِلُ      كَأَنَّهَا سُبْدٌ بِالمَاءِ مَفْشُولُ
- ١١ أَوْ قَارِحٌ فِي الْغُرَابِيَّاتِ ذُو نَسَبٍ      وَفِي الْجِرَاءِ مَسْحُ الشَّدِّ إِجْنِيلُ

( ١ ) الحبل : الوصل . شِمْاء : اسم جارية . الربعى : ما نتج في فصل الربيع .

( ٤ ) الفيل : يتعهد به فيل « أبرهة » الذي عجز عن التحرك صوب البيت ، شبه به الظبي حين يرمى هذا المكان الذي يصوره .

( ٥ ) بما أحكمت : بما شامت ارتهنت وسيطرت عليه وتحكمت فيه . مَبْتُول : مقطوع .

( ٧ ) الإِعْرَاض : الصد والهجر والقطيعة . التجميل : التجميل والصبر والتحمل .

( ١٠ ) المرطى : ضرب من الجرى . السبد : طائر مثل الخفاف .

( ١١ ) القارح : القرس وقد ألقى أقصى أسنانه . الغراب لخل كان لغني . الجراء : المجارة .

مسح الشد : يصب الشد صبا . يجفل : يفزع .

- ١٢ ولا أقولُ بلحار البيت يتبعني  
١٣ ولا أخالفُ جارِي في حليّتيه  
١٤ ولا أقولُ وجَمُ الماءِ ذو نفسٍ  
١٥ ولا أحددُ أظفاري أقاتله  
١٦ ولا أكونُ وكاءَ الزادِ أحبسُهُ  
١٧ حتى يُقالَ وقد عوليتُ في حرجٍ  
١٨ إني أعدُّ لأقوامٍ أفاخرهم  
١٩ ولا أجللُ قومي نخزيةً أبداً  
٢٠ وغارةً بكجراةٍ الرّيحِ زعزعها  
٢١ يعلويها اليدُ ميمونُ نقيبتُهُ
- نفسُ محلك إن الجوّ محلول  
ولا ابنُ عمّي غالتني إذا غولُ  
من الحرارة إن الماءَ مشغول  
إن اللطامَ وقولُ السوءِ محمول  
إني لأعلمُ أنبُ الزادَ ما كُولُ  
أين ابنُ عوفٍ أبو قرآنٍ مجعول  
إذا تنوزعَ عندَ المشهدِ القيلُ  
فيها القُرودُ رداًفاً والتنايلُ  
يخرأقُ حربٍ كنصلِ السيفِ بهلِيلُ  
أروعَ قد قلصتُ عنه السراييلُ

- (١٢) نفس محلك : نحه قليلا . الجو محلول : أي أن الوادي فيه أناس يقيمون ويستقرون .  
(١٣) الحليلة : الزوجة . غاله غول : أصابته داهية أو حلت به كارثة أو مصيبة .  
(١٤) جَمُ الماء : ما اجتمع منه في البئر . ذو نفس : ذو فضل ومكأة .  
(١٥) أحدد أظفاري : ضربه مثلا للشم والأذى . اللطام : الضرب . محمول : منقول في الناس .  
(١٦) الكاء : الذي يشد به في حالة الجوع ، وكاء أي لا أوثق الزاد فإذا منعه فهو وكاء .  
(١٧) أبو قرآن : كنية « طفيل » نفسه . مجعول : حدثت مكانه وبرز موقعه .  
(١٩) لا أجلل قومي نخزية : أي لا آتي أمرا يكون عارا على قومي . القُرود هنا إشارة إلى النذالة .  
ردافا : بعضها على بعض . التنايل : تقال للرجل إذا كان دميما فيبها .  
(٢٠) يعلويها : يدخل بها ويقودها . كجراة الرّيح : مثل الجراد ينفرد في الرّيح . زعزعها : خلخلها . يخرأق : ينخرق في الحرب . الهلول : الضحك من الرجال .  
(٢١) أروع : عليه معالم الروعة والجمال والهيبة . قلصت عنه السراييل : ثيابه مشمرة . فهو مستعد دائما للقتال والمنازلة .

- ٢٢ شَهِدْتُ مُتَّمْتُ لَمْ أَحْوِ الرِّكَّابَ إِذَا سَوَقَطْنَ ذَوْقَتَيْهَا وَمَرْحُولُ  
٢٣ بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَا جِلْهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوْعِ مَبْدُولُ  
٢٤ كَأَنَّهُ بَعْدَ مَا صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقِ سَيْدٍ تُمَطَّرُ جَنَحَ اللَّيْلِ مَبْلُولُ  
٢٥ إِنْ النِّسَاءُ كَأَشْجَارٍ نَبَّتْنَ مَعًا مِنْهَا الْمِرَارُ وَبَعْضُ الْمَرْءِ مَا كُولُ  
٢٦ إِنْ النِّسَاءُ مَتَى يَنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَفْعُولُ  
٢٧ لَا يَنْتَنِينَ لِرُشْدٍ إِنْ مَنِينَ لَهُ وَهْنٌ بَعْدَ مَلُومَاتٍ مَخَازِيلُ

(٢٢) لم أحو الركاب : لم تكن همتي الغنم أو الرعى . إذا سواقطن : إذا جملن يتساقطن  
واحدًا بعد الآخر . ذو قتب : ما كان يرحل عليه أو بواسطته .

(٢٣) ساهم الوجه : قليل لحم الوجه . لم تقطع أبا جيله : لم يصبه داء يقطعه المتطهر .  
الأبجل : عرق في الرجل .

(٢٤) السيد : الذئب . المتطير في العدو : أن يذهب في الأرض سرعاً في جريه .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## أَوْسُ بْنُ جَحْرٍ

\*\*\*

يُنْتَهَى نَسَبُ أَوْسِ بْنِ جَحْرٍ إِلَى قَبِيلَةِ تَمِيمٍ ، الْقَبِيلَةِ الْعَرَبِيَّةِ الضَّخْمَةِ الْمَتَشَعِّبَةِ الْبَطُونِ وَالْعَشَائِرِ ، الَّتِي كَانَتْ تَقْرُلُ فِي مَنَاطِقِ الدَّهْنَاءِ الْمَتَدَةِ امْتِدَادًا كَبِيرًا بَيْنَ نَجْدٍ وَالْبَحْرَيْنِ . وَكَانَتْ مَنَازِلُ عَشِيرَتِهِ — أُسَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ — مَنْتَشِرَةً بَيْنَ الْيَمَامَةِ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ نَجْدٍ ، وَبَيْنَ هَجْرٍ فِي جَنُوبِ الْبَحْرَيْنِ . وَلَيْسَ مِنَ الْيَسِيرِ — كَمَا هُوَ الشَّانُ مَعَ كُلِّ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ — أَنْ نَحْدُدَ تَارِيخَ مَوْلَدِهِ ، وَلَكِنْ يَنْغَلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ كَانَ فِي مَطَالِعِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ : وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ — كَمَا تَرْجِعُ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةُ — سَنَةَ ٥٣٠ هـ . وَهُوَ — عَلَى كُلِّ حَالٍ — مِنْ شُعْرَاءِ الْبَلَاطِ الْحَبْرِيِّ فِي عَصْرِ الْمَلِكِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ ( ٥٥٤ - ٥٦٩ ) . وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْيَسِيرِ تَحْدِيدُ سَنَةِ وَفَاتِهِ ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ عُمِّرَ طَوِيلًا ، فَفِي شِعْرِهِ إِشَارَاتٌ لِأَحْدَاثٍ وَقَعَتْ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ وَأَوَائِلِ السَّابِعِ ، وَلَكِنَّهُ — مِنْ غَيْرِ شَكٍّ — لَمْ يَدْرِكْ الْإِسْلَامَ ، وَفِي أَغْلَبِ الظَّنِّ أَنَّهُ مَاتَ مَعَ مَطَالِعِ الْقَرْنِ السَّابِعِ ، وَرَبَّمَا كَانَ التَّارِيخُ الَّذِي حَدَّدَهُ جَرِيحُ زَيْدَانٍ — وَهُوَ سَنَةُ ٦١٠ هـ — قَرِيبًا مِنَ الْحَقِيقَةِ .

عَاشَ أَوْسُ حَيَاةَ قَبِيلَتِهِ كَمَا يَمِيشُهَا سَائِرُ أَبْنَائِهَا ، وَلَمَعَ فِيهَا شَاعِرًا دَارِ بِشِعْرِهِ فِي دَائِرَةِ عَصَبِيَّتِهَا الْقَبِيلِيَّةِ ، يَتَغَنَّى بِأَمْجَادِهَا وَمَفَاخِرِهَا ، وَيَسْجُلُ فِي شِعْرِهِ انْتِصَارَاتِهَا وَيَهْجُو أَعْدَاءَهَا وَخُصُومَهَا ، وَيَعِيشُ مَعَهَا هَزَائِمَهَا وَوَقَائِعَ ثَارِهَا ، وَيَجْعَلُ مِنْ شِعْرِهِ أَبْوَاقًا تَتَنَفَّخُ فِي رُوحِهَا ، وَتَرْفَعُ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهَا . وَلَكِنَّهُ — مَعَ ذَلِكَ — لَمْ

ينفصل عن حياته الخاصة ، ولم يُبلغ ذاتيته أو شخصيته ، والرواة القدماء يصفونه بأنه كان « غزيراً مغرماً بالنساء » . ولكن يبدو أن كثيراً من شعره الذى نظمته فى هذه « الدائرة الذاتية الفردية » قد ضاع وضاعت معه الصورة الخاصة التى كنا نتمنى أن نراها له لنستكمل بها الصورة الكاملة له .

واتصل أوس بالبلاط الحيرى فى عصر الملك عمرو بن هند ، ولكنه لم ينقطع إلى هذا البلاط كغيره من شعراء عصره الذين انقطعوا له . ومن هنا لم يكن تأثير البيئة الحضارية عميقاً فى حياته أو شعره ، فعاش حياته وفنّه بدوياً حقاً ، وظل شعره يدور فى الدوائر البدوية التقليدية فى موضوعاته ولغته وأسلوبه وصوره ، وظلت البيئة البدوية حية فى أعماقه تمكس آثارها على شعره . ولعل هذا هو الذى جعله يبالغ فى الإبداع فى وصف المطر من ناحية ، وفى وصف مناظر الصيد من ناحية أخرى ، وهما موضوعان بدويان شغل بهما شعراء البادية منذ أقدم عصور الشعر العربى ، لأنهما يعكسان إحساس البدوى ببيئته الطبيعية التى ترتبط حياته ومشاعره بها ارتباطاً مباشراً لا يقف دونه حجاب .

وإلى جانب هذين الموضوعين تحدث الروايات القديمة عن علاقة ربطته بسيد من سادة بنى أسد ، فضالة بن كَلْدَة . وهى علاقة يبدو أنها استمرت طويلاً ، وأنها أنتجت مدداً من مدائحه فيه ، وكثيراً من عطاياه له . ولكن يبدو أن هذه المدائح ضاعت أيضاً مع ما ضاع من شعره ، فلم تصل إلينا إلا مقطوعة واحدة فى مدح ابنة له اسمها « حَلِيمَة » وأربع قصائد ومقطوعة واحدة فى رثائه يتجلى فيها جميعاً مدى وفائه وإخلاصه له .

ويعدّ أوس رائداً من رواد مدرسة الصنعة الجاهلية التى تحول العمل الفنى على أيدي شعرائها إلى صنعة متأنية متروية فيها الجهد والعناء ونضح الجبين والتفرغ



الطويل للعمل الفني لإخراجه وفقاً لمقاييس دقيقة وأصول ثابتة وتقاليد مستقرة . وهو — في رأى الدكتور طه حسين ومن تابعه من الباحثين — رأس هذه المدرسة ، وهو — في رأى آخرين — رائداً من روادها الأوائل كان دوره فيها بعد الطفيل الغنوى الذى أراه رأس هذه المدرسة والرائد الأول لها . وربما كانت أهمية أوس تاتى — من بعض جوانبها — من صلته بزهير بن أبى سلمى قمة هذه المدرسة فى العصر الجاهلي ، فقد كان أوس زوج أمه بعد وفاة أبيه مما أتاح لزهير أن يقترب منه بصورة أشد من غيره من شعراء هذه المدرسة ، وأن يكون تأثيره بمذهبه الفنى أقوى منهم . وفى رأى النقاد القدماء أن ظهور زهير أنحَلَّ قليلاً من منزلة أوس ، وكذلك يردون جانباً من ذلك إلى ظهور النابغة الذبياني ، وهو أيضاً من قمم هذه المدرسة . وهو رأى يتردد فى أكثر من رواية عن الراوية والناقد الكبير أبى عمرو بن العلاء ، فهو يقول مرة : « كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير » ، ويقول مرة أخرى : « كان أوس بن حجر شاعر بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع ، وكان فحل العرب ، فلما نشأ النابغة طامطاً منه » ، وأن يكن الأصمى يخالفه فى شطر من حكمه ويتفق معه فى الشطر الآخر ، فيرى أن أوساً أشعر من زهير ، ولكن النابغة أشعر منه . ويضعه ابن سلام فى « طبقاته » على رأس الطبقة الثانية من فحول شعراء الجاهلية ، ولكنه يعال ذلك تعليلاً غريباً حين يذكر أنه أخره إليها لأنه التزم فى تقسيم طبقاته أن تكون كل طبقة من أربعة شعراء لا تتجاوزهم ، وأن الطبقة الأولى غطاما الأربعة الكبار : امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## رثاء عظيم

أوس بن حجر من فحول شعراء تميم في الجاهلية ، بل إن قبيلته تُفضله على سائر شعراء العرب . يضم شعره الكثير من الحكم ووصف مكارم الأخلاق ، كذلك كان وصافاً للحيوان والسلاح ولا سيما القوس . ويمتاز شعره بدقة المعنى وبراعة الصياغة ، وتنسب إليه مدرسة التروى والتثقيح التي عُرفت باسم « عبيد الشعر » ، وقد تخرج زهير بن أبي سلمى على يديه إذ كان زوج أمه .

وقد نشأت بينه وبين فضالة بن كلفة علاقة وثيقة بسبب ما حدث لأوس حين جالت به ناقته فصرعه فاندقت نخذه ، فلما كان الصباح أبصر فتيات الحى يبحنين الكفاة ، فدعا جارية منهن فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا حليلة بنت فضالة بن كلفة ، فأعطاهما حجرا وقال : اذهبي إلى أبيك فقلولي له : ابنُ هذا يُقرئك السلام ويقول لك : أدركني فلاني في حالة عظيمة . فأتت أباها وقصت عليه القصة وأعطته الحجر ، فقال : يا بُنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم ذهب إلى مكان أوس فأتاه بمن يُجبر كسره ، ولم يزل مقبياً عنده ، وبنته تخدمه ، إلى أن برأ ، فمدحه أوس بقصائد عديدة ، وورثه بعد موته بهذه القصيدة الرائعة التي يُظهر فيها عاطفته القوية تجاه فضالة ، ويعدد صفاته العظيمة من كرم وشجاعة وحزم ونجدة وذكاء ، ويركز في رثائه على كرمه وخاصة في أوقات المجاعة والشدة حين يحرص الناس على ما بأيديهم خوف العوز ، ويُبرز عونه للحتاج الفقير ، وبطولته في رد هادية المغيرين على قومه . .

ولا شك أن أوسا قد أجاد في صوره الفنية إجادة بارعة ، وكان وفيًا لهذا العربي  
الكريم الذي قدّم له يد العون ، ويكفيه فخرا أن يقال فيه هذه القصيدة التي  
تؤكد معانيها أنها قيلت في « رجل عظيم » .

\* \* \*

- ١ أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَمًا      إِنِّ الَّذِي تُحَذِّرِينَ قَدْ وَقَعَا
- ٢ إِنِّ الَّذِي جَمَعَ السَّهَابَةَ وَالذِّبَّ      جَدَّةَ وَالْحَزَمَ وَالْقُوَى جُمَعَا
- ٣ الْأَلْمَى الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظَّنَّ      مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
- ٤ وَالْمُخْلِيفَ الْمُتْلِفَ الْمُرْزَا لَمْ      يَمْتَنِعْ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمْتِ طَبَعَا
- ٥ وَالْحَافِظَ النَّاسَ فِي تَحُوطٍ إِذَا      لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِدِ رَبْعَا
- ٦ وَازْدَحَمَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ بِأَفْ      حَوَامٍ وَطَارَتْ نَفُوسُهُمْ جَزَمَا
- ٧ وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ      أَمْسَى كَمِيعُ الْفِتَاةِ مُتَفَعَا

(١) أجمل : اتحدى واعتدل .

(٢) السباحة : الكرم . النجدة : الشجاعة . القوى : العقل .

(٣) الألمى : الذكى المتوقد .

(٤) المخلف : الذى يغيب الناس فى وقت الشدة . المتلف : من يجود كثيرا بماله . المرزا :

الذى يهب الأموال الكثيرة ، غير عابئ بتناقص ثروته . لم يمتنع : لم يعش . الطبع : أسوأ الطمع .

(٥) الحافظ الناس : الذى يحفظ عليهم حياتهم بكرمه . تحوط ، من أسماء السنة المجيدة . العائد :

الناقة الحديثة التاج . الربيع : الفصل الذى يندج فى الربيع ، وكان من عادة العرب أن ينحروا الفصال فى  
السنة المجيدة لئلا ترضع فتضرب الأمهات . وإلى هذا يشير الشاعر .

(٦) البطان : حزام القتب : والتقاء حلقتيه مثل يضرب للشدة وإصابة المكروه .

(٧) عزت الشمال الرياح : أى غابتها وتلك علامة الجسد وعدم نزول الأمطار . الكميع :

الضجيع . المتلفع ، الكساء أو الخفاف . والشاعر يصور شدة البرد بأن الرجل لا يستطيع أن  
يتام مع زوجته بسبب الإجهاد ، ويلتمس الدفء فى الكساء أو الخفاف .

- ٨ وَشَبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنْ الـ أَقْوَامِ سَقَبَا مُلَبَّسَا فَرَعَا  
 ٩ وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُمنَعَةُ الـ حَسَنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا  
 ١٠ أودى، وهل تنفع الإشاحة من شئ لمن قد يحاول البِدَا ؟  
 ١١ لِيَيْبِكَ الشَّرْبُ والمُدَامَةُ والـ يَفْتِيَانُ طُرًا وطامع طِمعا  
 ١٢ وذات هِذَمٍ حَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصِمْتُ بالماءِ تَوَلَّى جَدَا  
 ١٣ والْحَى إِذْ حَاذَرُوا الصَّبَاحَ وَقَدْ خَافُوا مُغِيرَا وسائراً تَلَعَا

(٨) الهيدب من الأقوام : يعنى الذى يلبس ثيابا ممزقة . العبام : الثقل اللسان . السقب : ولد الناقة عند ولادته ، وكذلك الفرع وهو يقصد جلد الفرع . والشاعر يشبه الرجل الملتف بالأسمال البالية بسبب شدة البرد بابت الناقة الذى يلبسونه جلدا آخر .

(٩) الكاعب : الفتاة التى تهدئها . الممنعة : الحرة التى يسترها أهلها . أصبحت كالسبع فى زاد أهلها بمد أن كانت تعاف طيب الطعام .

(١٠) أودى : هلك ، وهذا الفعل خبر إن فى البيت الثانى جاء متأخرا . الإشاحة : الحذر والجِد فى الأمر . البدع : الأحداث وعظام الأمور . والمعنى إن الجِد والحذر لا يفتيان عن نزول النوازل لمن يطلب عظام الأمور .

(١١) الشرب : الشاربون الذين كانوا ينادمون على الشراب ، الطامع : يقصد به المؤمل فى كرمه وعطائه .

(١٢) الهدم : الثوب البالى ، وذات الهدم : يعنى الفقيرة البائسة . النواشر : مصب الذراع . التولب : ولد الحمار ، ويعنى به طفلها والجِدع : البىء الغداء .

(١٣) الحى : يعنى قومه . يحاذرون الصبح : لأن حروب العرب كانت فى النهار ، التلع : المغيرة .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

( ٢ )

## لَيْلَةٌ مُمَطَّرَةٌ

\*\*\*

المحور الأساسي الذي تدور عليه هذه القصيدة التي تبلغ سبعة وعشرين بيتا هو وصف المطر . وهي تبدأ بمقدمة غزلية قصيرة تُشير في نفس الشاعر حديث الشباب وما فيه من طموح وشراب ، وهو حديث لا يأخذ صورة الحنين إلى ذكرياته البعيدة كما نراه عند أكثر الشعراء الجاهليين ، وإنما يأخذ صورة التفكير في الحياة والموت ، ويتحول إلى لون من التأملات في مصير الإنسان في الحياة ، يخرج منها الشاعر إلى التأمل في الطبيعة من حوله ، فيقف أمام البرق الذي تفتي النوم عن عينيه يرصده ويراقبه ، ويصف السحاب الذي أخذ يتدفق بالمطر ، ويطيل الوقوف أمام المطر الذي تحولت معه الصحراء إلى رياض مخضرة وأودية مُمرمة . ثم ينتهم قصيدته ختاماً مفاجئاً بوصف سريع لناقته ، ودعاء بالسُّقيا لذيّار سيّد من بني عوفٍ يشير في مقدمة قصيدته إلى أنه يقصده ليمدحه .

وحول القصيدة خلاف بين الرواة ، فبعضهم ينسبها إلى أوس ، وبعضهم ينسبها إلى عبيد بن الأبرص ، ولكن أسلوب القصيدة ، والعناية الواضحة بصياغتها ، والحرص على تجويدها وإحكامها ، والاهتمام بالجانب التصويري فيها ، تجعلنا نرجح نسبتها إلى أوس رأس مدرسة الصنعة الجاهلية ، وأحد روادها الأوائل . ويؤكد هذا الترجيح أن الأصمعي الثقة كان يرويها لأوس ، ووافقه على ذلك طائفة من



رواة الكوفة، وعلى رأسهم المفضل الضبي، ورواة الكوفة أعلم رواة الشعر العربي بالشعر القديم . وكذلك فعل الجاحظ في كتابه « الحيوان » .

\* \* \*

- ١ وَدَّعَ لَيْسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللَّاحِي إِذْ فَتَكَتْ فِي فُسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحٍ
- ٢ إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ تَحْمِشُ اللَّثَاثَ عَذَابٍ غَيْرِ مِمْلَاحٍ
- ٣ وَقَدْ لَهَوْتُ بِمِثْلِ الرِّثْمِ آنَسِيْ تَصْبِيِ الْحَلِيمِ عَرُوبٍ غَيْرِ مِثْلَاحٍ
- ٤ كَأَنَّ غَرِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَصْهَبَ فِي الْحَانُوتِ نَضَاجٍ
- ٥ أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنَايِبِ رُمَانٍ وَتَفَاجٍ

(١) الصارم : الجاد في مجره وقطيعته . واللاحى : اللاتم . وفنكت : بلت في المهجر رالحت في القطيعة بعد أيام الحب والوصل واللقاء ، وهو ما يصفه بأنه فساد بعد إصلاح .

(٢) العوارض : الأسنان، يصف ثغرها . والحمشة : القليلة اللحم ، يريد أن شفاها رقيقة، وكان ذلك من سمات الجمال عند العرب . والعذاب : العذبة الرضاب . وغير مملاح تأكيد لذلك .

(٣) الرثم : الغلى الخالص البياض . والآنسة : التي تؤنسك بمحدثها . وتصبي الحليم : أى تفسن الرجل العاقل الرزين . والعروب : الضحوك ، أو المتحبة إلى صاحبها . والمكلاح : العابسة المقطبة الوجه .

(٤) الريقة : الريق . واغتبقت : شربت الغبوق وهى نحر الماء . والأصهب : الأشقر، وفي رواية أخرى « أدكن » وهو الضارب إلى السواد، وهى أدق، لأنها صفة للزق . والحانوت : الحانة . يشبه ريقها وهى تصحو من النوم بنجر ينضج بها زق أدكن فى جانة التقي فيها ندامى الليل .

(٥) الورهاء : الشديدة القوية . والأنايب هنا : الأغصان . يشبه ريقها مرة أخرى بنجر معتقة قوية التأثير فى شاربها ، كما يشبه بطعم رمان وتفاح مازالت أغصانها تحملها ، فهما محفوظان بنضارتها وطيبها .

- ٦ هَبَّتْ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَامَةً إِلَّاحِي هَلَّا انتظرت بهذا اللوم إصباحي  
 ٧ قَاتَلَهَا اللَّهُ تَلَعَانِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لِنَفْسِي إفسادي وإصلاحِي  
 ٨ إِنْ أَشْرِبَ الْخَمْرَ أَوْ أَرَزَأُ لَهَا نَمْنًا فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنِّي صَاحِي  
 ٩ وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَحْنِيَّةٍ وَكَفَنٍ كَسْرَةِ الثُّورِ وَضَنَاجِ  
 ١٠ دَعِ الْعَجُوزَيْنِ لَا تَسْمَعِ لِقِيلِهِمَا وَاعْمَدْ إِلَى سَيِّدِي الْحَيِّ بِجَهَاجِ  
 ١١ كَانَتْ الشَّبَابُ يُلْهِمُنَا وَيُجْجِنُنَا فَا وَهِنًا وَلَا يَغْنَا بِأَرْبَاجِ

\* \* \*

١٢ إِنِّي أَرَقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِي صَاحِ لِمُسْتَكِفٍّ بَعِيدٍ النَّوْمِ لَوَاجِ

- (٦) هبت : قامت بالليل وصحت من نومها . ينكر على صاحبه التي تلوته على طوره أنها أزعجته بلومها في الليل ، ولم تنتظر عليه حتى يصبح الصباح ، وكأنه لا يجد مبررا لهذا التعجل بالوم .  
 (٧) يقول : فيم اللوم وأنا مشغول عن غيري وشرى ، عن فسادى وإصلاحى ؟  
 (٨) قوله « أَوْ أَرَزَأُ لَهَا نَمْنًا » يريد ما يصيبه من خسارة في ماله بما ينقعه من الشراب .  
 يقول : كل شيء إلى نهاية ، وسوف أضحى في يوم من الأيام مما أنا فيه من سكر وشراب ، فقيم التعجل بالوم ؟ ولم لا تركنى أستمتع بشبابي قبل أن يولى ؟  
 (٩) المحنية : منحى الوادى أو ما انعطفت منه . والمرأة : الظهر . والوضاح : الأبيض ، وظهر الثور الوحشى في الصحراء العربية أبيض . يقول : فيم التعجل بالوم ، والموت في انتظار الجميع مصيرا محتوما لا مفر منه .  
 (١٠) العجوزان : الأب والأم . والقييل : القول . والججاج : السيد الكريم .  
 (١١) يقول : إن الشباب شغلنا عن المصير المحتوم الذى ينتظرنا ، فعشنا أيامه قلهو وقعب مفتونين به ، ولم تفكر فيا وراءه . لقد وهبناه حياتنا ، وهبنا له أيامنا ، ولم نرج من وراء ذلك شيئا . لقد ضيعنا كل شيء ، ولم نأخذ في مقابل ذلك أى شيء .  
 (١٢) صاح : أى يا صاحبي ، قداء مرثم . والمستكف : المطر المنهمر . واللواح : الذى يلوح البرق فيه ويلعب من خلاله . ينكر على صاحبه أن ينام دونه ويتركه لأرقه مع البرق والمطر ، وكأنه يعجب من صاحبه أن تفلت منه هذه المنمة الرائعة وهذا المنظر الخلاب .

- ١٣ قد نمت عنى وبات البرق يسهرنى كما استضاء يهودى بمصباح  
١٤ يامن لبرق أبيت الليل أرقبه فى عارض كضى الصبح لمأج  
١٥ دان مسف فوق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح  
١٦ كانت ريقه لمأ علا شطبا أقراب أبقى يننى الخيل رماج  
١٧ هبت جنوب بأعلاه ومال به أعجاز مزن يسح المباء دلاج  
١٨ قالتج أعلاه ثم ارتج أسفله وضاق ذرها بجمل المباء منصاح  
١٩ كأنما بين أعلاه وأسفله ريط منشرة أو ضوء مصباح

(١٣) يشبه لمعان البرق بمصباح اليهودى يوقده فى الليل ، يقصد بطبيعة الحال أخبار اليهود وهم يتعبدون بالليل فى معابدهم . وهى صورة مألوفة فى الشعر الجاهلى ، وإن تكن فى أكثر مواضعه تحدث عن رهبان النصارى ، على نحو ما نرى فى معلقة امرئ القيس « أو مصابيح راهب » .  
(١٤) العارض : السحاب يعترض الأفق ، أو السحاب يسبقه برق شديد اللعان . يشبه البرق وهو يرمض فى السحاب بنور الصباح يضر الأفق بالضياء .

(١٥) مسف : قريب من الأرض . وهيدبه : الخيوط التى تتدل منه . والراح : جمع راحة وهى الكف . وفى رأى النقاد القدماء أن هذا البيت أحسن ما وصف به السحاب .  
(١٦) ريقه : ما أشرف منه . وشطب : امم جيل فى بلاد تميم . والأقرب : جمع قرب (بفتحين) وهى الخاصرة . والأبقى : الجسود فى لونه سواد وبياض . والراح : الشديد العدو . يقول إن البرق يلعب فيبدو ما أضاءه من السحاب أبيض ، ويظل الباقي أسود ، فيترأى كأنه جواد أبقى يشند فى عدوه ، فيبدو بياض أقرابه ، وباقى جسمه أسود .

(١٧) الجنوب : ريح تهب من الجنوب وتأتى عادة بمطر غزير . والمزن : السحاب الأبيض . والدلاج : المحمل بالماء .

(١٨) التج : أحدث صوتا عاليا ، وهو الرعد . والمنصاح : الذى انشق بالماء . يقول إن صوت الرعد بدأ يرتفع فى أعالي السحاب ، وأخذت أذانيه تهتز بالماء الذى انشقت عنه ، فأخذ ينهر فى غزارة .

(١٩) الريط : جمع ريطلة وهى الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة . يقول إن السحاب انتشر فى السماء كأنه ملاءات منشورة ، والبرق يلعب من خلاله كأنه ضوء مصباح يتوهج .

٢٠. يَتَرَعُ جِلْدَ الْحَصَى أَجَشُّ مُبْتَرِكٌ      كَانَهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحِي  
 ٢١. فَنَ تَنْجَوْتَهُ كَنَ بِمُخْفِلِهِ      وَالْمُسْتَكِنُ كَنَ يَمْشِي بِقِرْوَاجِ  
 ٢٢. كَانَتْ فِيهِ عِشَارًا جِلَّةٌ شُرْفًا      شُعْنًا لَهَا مِيمٌ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاحِ  
 ٢٣. هُدَلًا مَشَافِرُهَا بُحًا حَتَا جُرْهَا      تُزْجِي مَرَايِعَهَا فِي مَخْصَعِ ضَاخِي  
 ٢٤. فَاصْبَحَ الرَوْضُ وَالْقِيَعَانُ مُرْعَةً      مِنْ بَيْنِ مُرْتَفِقٍ مِنْهَا وَمُنْطَاحِ

\* \* \*

(٢٠) أجش : صفة للرد . والمبترك : المبرح في عدوه . والفاحص : الذى يفحص التراب أى يقلب وجهه وينبشه . والداحى : الذى يلعب بالمدحاة ، وهى خشبة يلعب بها صبيان العرب ، يمرن بها على وجه الأرض فتجرف ما أمامها . يقول إن المطر يجرف كل شئ ، يترض طريقه على وجه الأرض .

(٢١) النجوة : ما ارتفع من الأرض . والمخفل : مستقر الماء فى الأرض . والمستكن : المقيم فى بيته . والقرواح : الأرض المستوية . يقول إن المطر غطى الأرض كلها ، فن كان فى مرتفع من الأرض أدركه الماء كمن كان فى منخفض منها ، ومن كان فى بيته كمن كان فى العراء .

(٢٢) العشار : النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر . والجلسة : الإبل المسنة . والشرف : الضخمة . واللاهيم : الغزار اللبن . والإرشاح : أن يقوى فصيل الناقة ويشد ، فيشد ذلك حينئذ أمه إليه . يصف الرد وما يحدثه من أصوات عالية يشبهها بأصوات نوق ضخمة تحن إلى أولادها .

(٢٣) الهدل : المسترخية . والمشافر : الشفاه . وتزجى : تسوق إلى المرعى . والمرابيع : جمع مرباع وهى الناقة تضع أولادها ، ويريد الشاعر هنا أولادها . والصمصح : المكان الظاهر المستوى . والضاحى : المكشوف . يصف النوق التى شبه الرد بأصواتها بأنها تسوق صغارها نحو المرعى .

(٢٤) القيعان : جمع قاع ، وهو الرادى المطنئن من الأرض . والمرتقى : الماء الراكد . والمنطاح : الماء الجارى . يقول إن الأرض اخضرت بعد المطر ، وأصبحت رياضها وأوديتها ممرعة خصبة ، بعضها استغرقه الماء وركد ، وبعضها تدفق فيه وأنساب .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## مَنْظَرُ صَبِيدٍ

\* \* \*

تعد هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ سبعة وخمسين بيتا من أروع ما وصل إلينا من وصف الصيد في الشعر الجاهلي . وهي تبدأ بمقدمة طالية يتحدث فيها أوس عن ديار صاحبه التي تغيرت بعد رحيلها عنها ، ويستعيد ذكريات شبابه ولهوه ، ولكنه لا يطيل فيها لينتقل انتقالا مفاجئا إلى وصف ناقته القوية التي حملته في رحلة إلى أعماق الصحراء ، ويطيل في وصفها إطالة تشغل من القصيدة ستة عشر بيتا ، ثم يتخذ من تشبيهها بحمار وحشي جسرا يعبر عليه من وصفها إلى وصفه ، ليخرج بعد ذلك إلى وصف منظر من مناظر الصيد التي تتردد كثيرا في الشعر الجاهلي ، بين الصيادين الفقراء الخارجين للصيد لكسب رزقهم ورد غائلة الجوع عنهم وعن أبنائهم الجباة المنتظرين عودتهم ، وبين قطعان الحمر الوحشية المنتشرة في أعماق الصحراء ، وهي تسمى في لحيها المحرق بحثا عن موارد المياه لتطفئ فيها ومنها ظمأها . ويطيل الشاعر في وصف هذا المنظر إطالة ملحوظة تمتد واحدا وثلاثين بيتا حتى نهاية القصيدة .

لقد ظهر الحمار في منطقة صحراوية يسوق أنثاه ويدفعها أمامه بحثا عن مورد من موارد المياه ، وأخذ يمد أذنيه وبصره يستطلع المنطقة من حوله ، ثم تذكر لنا غزيرة الماء يعرفها من قبل ، فأسرع إليها مع أنثاه . وهناك كان صياد



فقير هزِيلُ أعْجَفُ ضامرٌ يترَبَّصُ به في غُبا أَعْدَه لنفسه ليتوَارَى فيه . ويَطِيلُ الشاعرُ في وصفِ الصيادِ كما أطال من قبل في وصفِ الحمار . وينتظر الصياد الفرصة التي يظنها مواتيةً له حين يَرُدُّ الحمار مع أثناء الماء غافِلَيْنِ — في فرحتهما بالماء البارد بعد رحلة طويلة شاقة في هجير الصحراء — عن الأخطار التي ترَبَّصُ بهما . وينتھز الصياد هذه الغفلة ، فيطلق سهمه نحو الحمار ، ولكن السهم يخطئ مقاتله ، فينجو ويفرُّ هو وأثناءه . حتى إذا ما وصل إلى مأمنٍ يطمئن إليه عادت إليه فرحته ، وعاود حياته الهادئة المطمئنة مرة أخرى .

والقصيدة تمثل أسلوب أُرْسٍ وصنعتة الفنية ، وحرصه على تجويدها ، والوقوف الطويل أمام صُورِهِ يَفْصَلُ فيها ، ويوفِّيها حقها ، ويستقصي جزئياتها وتفاصيلها الدقيقة ، فهو أحد الرواد المبكرين لمدرسة الصنعة الجاهلية الذين أرسوا أصولها ، وأصلوا تقاليدَها الفنية . وهي — ككل الشعر الجاهلي في دوائره البدوية الصحراوية — تتميز بغرابة لغوية ، وحُوشية لفظية ، تتفقان مع بداوة الموضوع ، وبداوة معجمه اللغوي ومعجمه التصويري أيضا .

\* \* \*

- ١ تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أُمِيَّةٍ صَائِفُ فِرْكُ فَاعِلٍ تَوَلَّى فَالْمَخَالِفُ
- ٢ أَفَقُّوْا فَرَهْبِي فَالسَّلِيلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عُوذِ الْوَحْشِ فِيهِ عَوَاطِفُ

(١) يبدأ أُرْسُ قصيدته بهذه المقدمة الطليية التي يتعدت فيها عن أطلال صاحبه أُمِيَّة . ومعنى تنكَّرَ تغير . والأسماء التي وردت في البيت كلها أسماء مواضع تحدد مكان هذه الأطلال ، وكلها في ديار تميم قبيلة الشاعر .

(٢) العوذ : الحديثات الساج من الظباء . والمطافيل : التي تتبعها أطفالها . والعواطِفُ : الحانيات على أطفالهن . والأسماء الواردة في الشطر الأول كلها تكلل تحديد مكان الأطلال .

- ٣ فِطْنُ السُّلَى فَالسَّخَالُ تَعَذَّرَتْ  
٤ كَأَنَّ جَدِيدَ الدَّارِ يُبْلِكُ عَنْهُمْ  
٥ بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ تَرَعَى سَخَالُهَا  
٦ وَقَدْ سَأَلْتُ عَنِ الْوَشَاةِ نُخَبِّرَتْ  
٧ كَعَهْدِكَ لَاعَهْدُ الشَّبَابِ يُضِلُّنِي  
٨ وَقَدْ أَتَيْتُ لِلْجَهْلِ يَوْمًا ، وَتَنَحَّى  
٩ نَوَاعِمُ مَا يَضْحَكُنْ إِلَّا تَبَسُّمًا
- فَعَقَلْتُ إِلَى مُطَارِ فَوَاحِفُ  
تَقَى الْيَمِينَ بَعْدَ عَهْدِكَ حَالِفُ  
فَطِيمٌ وَدَانٍ لِلْفِطَامِ وَنَاصِفُ  
وَقَدْ نُشِرَتْ مِنْهَا لَدَى مَحَائِفُ  
وَلَا هَرِيمٌ يَمُنُّ تَوَجُّهُ دَالِفُ  
ظُعَانُ لَهْوٍ وَدُهْنُ مَسَاعِفُ  
إِلَى اللَّهِ وَقَدْ مَالَتْ بَيْنَ السَّوَالِفُ

\* \* \*

(٣) تعذرت : درست وتغيرت . والأسماء المذكورة في البيت أسماء مواضع يواصل الشاعر بها تحديد مكان الأطلال تحديدا دقيقا .

(٤) جديد الأرض : ما كان على فطرته . ويهلك عنهم : أى يخبرك عنهم . وتقى اليمين : اليمين الصادقة التى لاحثت فيها . يقول كأن جديد الأرض يحلف لك إنه ماحل بهذه الدار أحد بعد عهدها .

(٥) العين : البقر الوحش . والآرام : الظباء . والسخال : أولادها الصغار . والناصف منها : الذى بين الفطام والدنومه .

(٦) الضمير فى « منها » يعود على الوشاة . ونشرت الصحف : أى أطلت . يقول إن الوشاة سألوها عنى ، فأخبروهم خبرى ، وعندى عن كل ما حاولوا إخفاءه . صحف منشرة تكشف عن وشاياتهم وكيدهم .

(٧) الدالف : الذى يمشى متقارب الخطوات كما يمشى المقيد . وعن توجه : يريد من تقدمت به السن ، يقال توجه الشيخ إذا ولى وأدبر وكبر ، وتوجه العمر إذا تولى . يقول لصاحبه : لأننى كعهدك بى ، لا الشباب يضلنى ، ولا الكبر يقعدنى ويضعفنى .

(٨) أتتحنى للجهل : أميل ناحيته . ومساعف : أى يسعف . ويواتينى ولايتأخرعننى : يتذكر الشاعر أيام شبابه ولهوه مع صاحبات له يبادلته حبا بحب ومودة بمودة .

(٩) السوالف : جمع سائلة وهى صفحة العنق من تحت يعلق القوط إلى عظام الرأوة . وقوله « إلى اللهو » متعلق بالفعل « مالت » . واللهو هنا يراد به الأفضى إلى الحديث والإعجاب به ، من لفت المرأة إلى حديثه إذا أنست به وأعجبها . وهنا تنتهى المقدمة الطللية لبدأ الشاعر بعدها حديث الناة والرحلة والصيد .

- ١٠ وأدماء مثل الفحل يوما عَرَضَتْهَا  
 ١١ وعَنَسِ أُمُونٌ قَدْ تَعَلَّتْ مَتْنَهَا  
 ١٢ كُتِبَتْ عَصَاهَا النَّقْرُ صَادِقَةُ السَّرَى  
 ١٣ عِلَاةٌ كَنَازِ اللحم ، ما بين خُفِّهَا  
 ١٤ عِلَاةٌ مِنَ التُّوقِ الْمَرَّاسِيلِ وَهَمَّةٌ  
 ١٥ بِجُمَالِيَّةٍ ، لِلرَّحْلِ فِيهَا مُقَدَّمٌ ،  
 ١٦ يُشَبِّعُهَا فِي كُلِّ هَضْبٍ وَرَمْلَةٍ  
 لِرَحْلٍ فِيهَا جُرَاءَةٌ وَتَقَاذُفٌ  
 عَلَى صِفَّةٍ أَوْ لَمْ يَصِفْ لِي وَاصِفٌ  
 إِذَا قِيلَ لِلْحَيْرَانِ : أَيْنَ تُخَالِفُ ؟  
 وَبَيْنَ مَقِيلِ الرَّحْلِ هَوْلٌ تَفَانِفٌ  
 نَجَاةٌ عَلَيْهَا كَبَرَةٌ فَهِيَ شَارِفٌ  
 أُمُونٌ ، وَمُنْقَى لِلسَّرِيمِلِ وَرَادِفٌ  
 قَوَائِمُ عَوْجٍ بِجُمَرَاتٍ مَقَاذِفُ

- (١٠) الأدماء : الناقة البيضاء . وقوله « مثل الفحل » يريد أنها قوية صلبة ضخمة . وعرضتها لرحل أي وضعته عليها . والتقاذف : أن تندفع الناقة في سيرها فتري بنفسها أمام الإبل لتسبقها .  
 (١١) العنَس : الناقة القوية الصلبة . والأُمُون : الناقة الوثيقة الخلق التي يؤمن عثارها . وتعلت متنها : أي استخرجت أقصى ما عندها من السرعة .  
 (١٢) الكُتِبَتْ : الحمراء التي يخالط حمرتها سواد . وعصاها النقر : أي أنها لا تحتاج لحظها على السير إلى الضرب وإنما يكفي نقرها . صادقة السرى : مجدة في سراها تبذل فيه كل جهدها ، « أين تخالف » أي إلى أي ناحية تنج . يقول إن هذه الناقة تعرف وجهتها إذا تحير الساري في الصحراء فلم يهتد إلى وجهته .  
 (١٣) العِلَاة : العالية المشرفة . وكناز اللحم : معلقة . ومقيل الرحل : موضعه على ظهرها . والتفانف : جمع تفنف وهو كل مهوى بين جبليين . والصورة تأكيد لارتفاع ناقته ، فايين أخفافها وظهرها مسافات هائلة .  
 (١٤) المراسيل : السهولة السير ، مفردا مرصال . والوهمة : الضخمة القوية . والنجاة : السريعة . والشارف : المستنة . يقول إنها صغيرة السن ، ولكنها لضخامتها تبدو كأنها ناقة مسنة .  
 (١٥) بحالية : تشبه الجمل في قوتها وصلابتها وضخامتها . والزئيل : الرديف على الناقة الذي يركب خلف راكبها . والرادف : التابع . يصفها بأنها طويلة الظهر .  
 (١٦) يشيعها : يعينها على السير . والقوائم : الأرجل ، وقوائم الإبل توصف عادة بأنها عوج ، لأنها هكذا خلقت . والمجمرات : التي صلبت أخفافها واشتدت واجتمعت . والمقاذف : جمع مقذف ومقذاف وهو مجداف السفينة . يريد أنها سريعة في حركتها منتظمة الضرب في الصحراء ، يستوى في ذلك سيرها فوق الهضاب الوهرة أو في الرمال المهلة .

- ١٧ تَوَائِمُ أَلْفٍ تَوَالٍ لَوَاحِقُ . سَوَاهٍ لَوَاهٍ مُرَبِّذَاتُ خَوَائِفُ  
 ١٨ يَزِيلُ قُتُودَ الرَّحْلِ عَنْ دَأْيَاتِهَا كَمَا زَلَّ عَنْ رَأْسِ الشَّجِيجِ الْحَارِفُ  
 ١٩ إِذَا مَا رَكَبُ الْقَوْمِ زَيْلٌ بَيْنَهَا مُسْرَى اللَّيْلِ مِنْهَا مُسْتَكِينٌ وَصَارِفُ  
 ٢٠ عَلا رَأْسَهَا بَعْدَ الْهَيْبَابِ وَصَاحَتْ كَمَحْلُوجٍ قُطْنٍ تَرْتِمِيهِ النَّوَادِفُ  
 ٢١ وَأَنْحَتْ كَمَا أَنْحَى الْحَمَالَةُ مَاتَحٌ عَلَى الْبَثْرِ أَضْحَى حَوْضُهُ وَهُوَ نَاشِفُ  
 ٢٢ يُخَالِطُ مِنْهَا لَيْنَهَا عَجْرَفِيَّةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُقْرِفَاتِ عَجَارِفُ

- (١٧) توائم ألف : أى كأن أقداها توائم متألقة تنهض معا وتنزل معا : وتوال لواحق : أى تتوال وتتلاحق فى انتظام ومرتبة . وسواه لواه أى لينة السير خفيفة الحركة لا تنعجب رايها . والمربذات : الخفيفة فى المشى . والخوائف : جمع خنوف وهى التى تميل برأسها نحو رايها لشدة نشاطها .  
 (١٨) القنود : جمع قند وهو خشب الرجل . والدأيات : الفقرات التى توجد بين كنفى الناقة . والشجيج : الذى شج رأسه . والحارف : جمع محراف وهو المروء الذى تختبر به الجراحات وتسير به .  
 (١٩) زيل بينها : فرق بينها . والصارف : الذى يصرف على أنيابه ، من الصريف وهو صوت صرير الأنياب ، ويقول اللغويون إن صريف الناقة من التعب والكلال ، وصريف الجمل من الفحولة والنشاط . والمستكين : الصامت الذى لا يحدث صوتا ، عكس الصارف ،  
 (٢٠) الهباب : النشاط . وصاحت : أسرعت . والنوادي : الذين يضربون القطن بالمنسدة لتنجيده . والكاف فى « كمحلاج » فاعل « علا » . يصف الزيد الذى يكسر رأس الناقة عند رغائها ، ويشبهه بمحلاج القطن وهو يتطاير فى الهواء عند ندفه .  
 (٢١) أنحت : اعتمدت فى سيرها على أيسرها . والحالة : بكرة الدلو . والماتح : الذى يستخرج ماء البثر فيجذب رشاء الدلو فتصوت البكرة .  
 (٢٢) العجرفية فى سير الإبل : الاندفاع والتهور . والمقرفات : جمع مقرف ، وهو الذى أمه عربية وأبوه غير عربى ، عكس المجين فهو الذى أمه أجنبية وأبوه عربى : يصف سيرها بأنه مزيج من سير لين سهل وسير متهور مندفع ، وأنها تحسن هذين الضربين من السير ، لأنها ناقة أصلية عربية الأب والأم ، وليست كالإبل التى ضربت فى عروقها دماء مختلطة .



- ٢٣ كَأَنَّ وَنَى خَانَتْ بِهِ مِنْ نِظَامِهَا      مَعَاقِدُ قَارَقَضَتْ بَيْنَ الطَّوَائِفِ  
٢٤ يُتَقَرُّ طَيْرَ الْمَاءِ مِنْهَا صَرِيْفُهَا      صَرِيْفٌ عَمَالٍ أَقْلَقَتْهُ الْخَطَاطِفُ

\* \* \*

- ٢٥ كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ قَارِبَا      لَهُ بِجُنُوبِ الشَّيْطَانِ مَسَاوِفُ  
٢٦ يُقَلَّبُ قَيْدُودًا كَانَ سَرَاتِهَا      صَفَا مُدْهِنٌ قَدْ زَحَلَفَتْهُ الزَّحَالِفُ  
٢٧ يَقَلَّبُ حَقَبَاءَ الْعَجِيزَةِ سَمَحَجَا      بِهَا تَدَبُّ مِنْ زَرِّهِ وَمَنَاسِفُ

(٢٣) الونى : اللؤلؤ، جمع ونية . والمعاهد : العقود . وارفضت : تناثرت وتفرقت . والطوائف : القطع التي تفرقت إليها العقود . يشبه اندفاع ناقته ومرعتها بحبات لؤلؤ انقطع عقده فانفردت تتدرج بسرعة .

(٢٤) الصريف : صوت صرير أنياب الناقة . والحمال : جمع محالة وهي بكرة الدلو . والخطاطيف كالخطاطيف جمع خطاف ، وهو الحديدة المعقوفة التي تعقد بها البكرة . يقول ان صريفها الذي يشبه صريف بكرات الدلاء حين تجذبها الخطاطيف ينفر الطير التي ترد الماء لإرواء ظمئها فتفرخا فقة مذكورة . وهنا ينتهي وصف الناقة ليبدأ الشاعر وصف منظر من مناظر الصيد ، متخذا من تشبيه ناقته بالجمار الوحش ، جمرا يمر عليه إلى وصف هذا المنظر .

(٢٥) الأحقب : الجمار الوحشي في بطنه بياض . والقارب : الذي يسرع نحو الماء ليرده . والجنوب : الجنائب . والشيطان : اسم مكان . ومساف : مواضع يشمها ، من السوف وهو الشم . يشبه ناقته بهذا الجمار الوحشي .

(٢٦) القيدود : الأتان الطويلة . ويقلها : يوجهها يمينا وشمالا كيف يشاء . والسراة : الظهر . والمدهن : نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء . والصفا : الصخر الأملس . والزحالف : جمع زحلوقة وهي المكان المنحدر الأملس الذي يساعد على التزحلف وهو التزحلق . يقول إن هذا المكان المنحدر الأملس زاد من ملاسته كثرة التزحلق فوقه .

(٢٧) حقباء : أى بيضاء . والسميح : الطويلة . والتدب : جمع ندبة وهي أثر الجرح الباقي على الجلد . والزر : العض . والمناسف : جمع منسف — بكسر الميم وفتح السين أو بفتح الميم وكسر الميم — وهو فم الجمار ، ويريد بها هنا آثار العض . يصور مطاردة هذا الجمار لأنثاه .



- ٢٨ وَأَخْلَفَهُ مِنْ كُلِّ وَقِطٍ وَمُدْهِنْ      نِطَافٍ فَمَشْرُوبٌ يَبَابُ وَنَاشِفُ  
 ٢٩ وَحَلَّاهَا حَتَّى إِذَا هِيَ أَحْنَقَتْ      وَأَشْرَفَ فَوْقَ الْحَالِيَيْنِ الشَّرَاسِفُ  
 ٣٠ وَخَبَّ سَفَى قُرْيَانِهِ وَتَوَقَّدَتْ      عَلَيْهِ مِنَ الصَّمَانَتَيْنِ الْأَصَالِفُ  
 ٣١ فَاضْحَى بِقَسَارَاتِ السَّتَارِ كَأَنَّهُ      رَيْبَةُ جَيْشٍ فَهُوَ ظِلْمَانُ خَائِفُ  
 ٣٢ يَقُولُ لَهُ الرَّأَوْنُ هَذَاكَ رَاكِبُ      يُؤَبِّنُ شَخْصًا فَوْقَ عَلَيَاءَ وَاقِفُ  
 ٣٣ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدًّا بِوَجْهِهِ      كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهَوَّلِ حَالِفُ

- (٢٨) الوقط : حفرة في الجبل يجتمع فيها ماء المطر . والمدهن : مر شرحه في البيت ٢٦ .  
 والنطاف : جمع نطفة وهي الماء القليل . والناشف : الذي جف ماؤه . وأخلفه : أى أخلف ظنه .  
 يقول ان هذا الحمار كان يبحث عن الماء فأخلف ظنه تلك المياه القليلة التي وجدها في بعض المستنقعات ،  
 وبعضها لم يبق فيه الا بقية ماء بعد شرب من سبقه إليه ، وبعضها جف ماؤه .
- (٢٩) حلَّاهَا : طردها . وأحنت : ضمرت . وأشرف : ظهر وبرز . والشراسف : أطراف  
 الأضلاع . والتعبير كناية عن الضمور والمزال .
- (٣٠) السفى : كل شجر له شوك ، الواحدة سفاة . والقريان : مسایل الماء ، جمع قرى ( بفتح فكسر  
 فتشديد ) . وخب : ارتفع وطل . والصمانتان : اسم موضع . والأصالف : جمع أحلف ، وهي  
 الأرض الصلبة الجريئة التي لا تنبت . يقول إن الوقت في الصيف ، والمكان في صحراء الصمان ، وقد تولد  
 الحر ، وطالت أشواك الوديان الجافة .
- (٣١) القارات : جمع قارة وهي الجبل الصغير . والسار : اسم موضع . والرَيْبَةُ : طليعة الجيش  
 التي تتقدمه لتستطلع الأخبار له .
- (٣٢) التابن هنا تتبع الأثر في الأرض ، ومنه تأبين الميت لأنه تتبع لآثاره في الدنيا . والعلياء :  
 المكان المرتفع . يقول إن هذا الحمار ارتقى مرتفعات هذه المنطقة وهو ظمآن خائف ، وأخذ يقلب نظره  
 من حوله بحثا عن مورد ماء ، فتراءى كأنه طليعة جيش ترقب الطريق ، أو واقف فوق مرتفع من  
 الأرض يتبع بيصره آثار شخص فوق الرمال .
- (٣٣) التهويل : لون من الطقوس الوثنية الجاهلية كان سادة بيوت الأصنام يقومون بها إذا  
 أرادوا أن يستعطفوا شخصا ، فيوقدون نارا ليحلف عليها ، ويطلقون فيها من حيث لا يشعر ملحا  
 وكبريتا فتعقع وتفرقع ، يقولون بذلك عليه ، فإن كان بريئا حلف ، وإن كان مرييا نرد  
 وتراجع . والمهول هو الكاهن الذي يقوم بهذا العمل .

- ٣٤ تَذَكَّرَ عَيْنًا مِنْ غَمَازَةٍ مَآؤُهَا لَهُ حَبَبٌ تَسْتَنُّ فِيهِ الزَّخَارِفُ  
 ٣٥ لَهُ نَادٍ يَهْتَرُ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مُخَالِطٌ أَرْجَاءِ الْعَيُونِ الْقَرَّاطِفُ  
 ٣٦ فَأَوْرَدَهَا التَّقْرِيبُ وَالشَّدَّ مَهْلًا قَطَّاهُ مُعِيدٌ كَرَّةَ الْوَرْدِ حَاطِفُ  
 ٣٧ فَلَاقَ عَلَيْهَا مِنْ صُبَّاحٍ مُدْمَرَا لِنَامُوسِهِ مِنَ الصَّفِيحِ سَقَائِفُ  
 ٣٨ صِدِّ غَائِرُ الْعَيْنِينَ شَقَّقَ لَحْمَهُ سَمَائِمُ قَبِيطٌ فَهَوَّ أَسْوَدُ شَاسِفُ  
 ٣٩ أَزَبُ ظُهُورِ السَّاعِدِينَ ، عِظَامُهُ عَلَى قَدَرٍ ، شَتْنُ الْبَنَانِ ، خُنَادِفُ

(٣٤) غمازة : بئر معروفة في ديار تميم ، أو هي عين ماء في منطقة هجر . الحبيب : فقاقيع الماء التي تتصاعد فوق سطحه . وتستن : تتحرك وتضطرب . والزخارف : طرائق الماء كأنها زخارف ونقوش تزييه ، وهي أيضا حشرات صغيرة ذات أربع أرجل تشبه الذباب تطير فوق الماء ، وكلا المعنيين يصلح للصورة التي يرسمها الشاعر لهذا الماء .

(٣٥) الناد : التراب التلوي ، وهو أيضا الجعد . ومخالط : جمع قرطاف ( يفتح القاف والطاء ) ، وهي القطيفة المخملية . ومخالط أرجاء العيون حال ، والقراطيف خبر كان .

(٣٦) التقريب : ضرب من عدو الخيل والجر ، وهو رفع اليدين معا ووضعهما معا . والشد : العدو السريع ، وهما منصوبان على نزع الخافض أو على الحالية ، أي أوردتها بالتقريب والشد ، أو أوردتها تقريبا وشدا . والقطا : طائر يكثر في الصحراء حول عيون الماء ، ويتردد ذكره كثيرا في الشعر القديم . يصف الشاعر هذا المنهل بأن طير القطا تتردد عليه للشرب ، وتعاود الرجوع إليه مرة بعد مرة . يريد أنه منهل لا ينضب مائه ، فهو مورد دائم للقطا .

(٣٧) صباح : اسم قبيلة كانت تنزل في هذه المنطقة . ومدمرا : يريد صيادا مدمرا يدمر ما يرميه بسهامه من الصيد ، والناموس : البيت الذي يعمده الصياد ليختبئ فيه . والصفيح : الحجارة الرقاق العراض يبنى بها الصياد ناموسة . والسقائف : جمع سقيفة وهي كل خشبة مريضة أو حجر يسقف به البيت .

(٣٨) الصدى : العطشان . السائم : الرياح الحارة ، جمع مسموم . والقبيط : صميم العيف . والشاسف : الضامر اليابس . يبدأ من هنا وصف الصياد ، والصورة التي يرسمها ها تتردد كثيرا في الشعر العربي في وصف الصيادين الذين يحترفون الصيد ، ويخذلون منه وسيلة للرزق ورد غائلة الجوع عنهم وعن أولادهم الفقراء الجبايع الذين ينتظرون عودتهم بالطعام إليهم .

(٣٩) الأزب : الكثير الشعر . وقوله « عظامه على قدر » يريد أنه نحيل وليس ضخما . وشن البنان : خشن الأصابع غليظها . والجنادف : الجاني القصير المجتمع الجسم .

- ٤٠ أخو قُتْرَاتٍ قد تيقَّرَ أنه إذا لم يُصَبِّحْ لِحَمَّاءٍ مِنَ الْوَحْشِ خَاسِفٌ  
 ٤١ مُعَاوِدُ قَتْلِ الْهَادِيَاتِ ، شَوَاوُهُ مِنَ اللَّحْمِ قُصْرَى بَادِنٍ وَطَفَاطِفُ  
 ٤٢ قَصَى مَيِّتِ اللَّيْلِ لِلصَّيْدِ مُطْعَمٌ لِأَسْهَمِهِ قَارٍ وَبَارٍ وَرَاصِفُ  
 ٤٣ فَيَسَّرَ مَهْمًا رَاشَهُ بِمَنَّاكِبِ ظُهُارٍ لُؤَامٍ فَهَوَ أَعْجَفُ شَارِفُ  
 ٤٤ عَلَى ضَالَّةٍ فَرَجَ كَأَنَّ نَذِيرَهَا إِذَا لَمْ تُخَفِّضْهُ عَنِ الْوَحْشِ هَارِفُ  
 ٤٥ فَأَمَهَلَهُ حَتَّى إِذَا أَنْ كَانَهُ مُعَاطَى يَدٍ مِنْ جَمَّةِ الْمَاءِ هَارِفُ

- (٤٠) القُتْرَاتُ : جمع قُتْرَةٍ (بضم فسكون) وهى بيت الصياد . والخَاسِفُ : المهزول الجائع .  
 (٤١) الْهَادِيَاتُ : السابقات من الوحش ، يريد بها هنا الأتْن الوحشية . والقُصْرَى ، آخر الأضلاع مما يلي البطن ، وهى عادة تكون لينة طرية . والبَادِنُ : السمين . والطَفَاطِفُ : أطراف الأضلاع ، أو هى لحم البطن الرخى الطرى ، مفردها طفطقة (بكسر الطاءين) .  
 (٤٢) قَصَى مَيِّتِ اللَّيْلِ : يريد أنه يبيت بعيداً عن أهله من أجل الصيد . والغَارَى : الذى يطل مهامه بالنفراء . والبَارَى : الذى يرى المهام . والرَاصِفُ : الذى يشد الجلد والعصب على صدر المهام . يصف الصياد بأنه مشغول بإعداد مهامه للصيد .  
 (٤٣) رَاشُهُ : ركب فيه الريش الذى يتيح له الانطلاق . والمَنَّاكِبُ : أربع ديشات تثبت فى جوانب المهام . والظُّهَارُ : الظاهرة الأطراف . واللُؤَامُ : اللتشة المتداخلة الأطراف . والشارِفُ : السهم الدقيق الطويل . يصف فى هذا البيت وفى البيت السابق عملية إعداد المهام .  
 (٤٤) الضَالُ : شجر السدر تعمل منه السهام والقسى ، ويريد بالضالة هنا القوس . ونَذِيرَهَا : صوتها . يشبه صوت القوس حين يرمى بها المهام بالعزيف .  
 (٤٥) الضمير الظاهر فى « أمهله » يعود على الحمار الوحشى . وأن : اختلف اللغويون فى معناها ، وربما كان أوضح الأقوال أنها بمعنى « اطمأن » ، وكأنها اختصار لها ، وهو قول أبى هبيلة ، ويرى الأصمعى أنها بمعنى « كان » . وفى رواية أخرى للبيت « حتى إذا ما كأنه » ، ويرى ابن السكيت أنها على تقدير فعل محذوف بعدها تقديره « حتى إذا ما ورد » ، أو « حتى إذا ما كان » . وقوله « معاطى يد » يريد به من مده يده ليتناول غرفة من الماء . يقول إن الصياد أمهل الحمار الوحشى حتى ورد الماء وبدأ كأنه شخص يمد يده لينال منه غرفة يروى بها ظمأه .

- ٤٦ فارسَ له مُسْتَيْقِنَ الظنِّ أنه      مُحَالِطُ مَا تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ جَانِفُ  
 ٤٧ قَمَرُ النَّضَى لِلذَّرَاعِ وَنَحْرِهِ      وَلِحَيْنٍ أَحْيَانًا عَنِ النَّفْسِ صَارِفُ  
 ٤٨ فَعَضُ بِإِبْهَامِ الْيَمِينِ نَدَامَةٌ      وَلَهْفٌ سِرًّا أُمُّهُ وَهَوَ لَا هِفُ  
 ٤٩ وَجَالَ وَلَمْ يَعْكِمْ وَشَيْعَ إِقْفَهُ      بِمُتَقَطِّعِ الْغَضْرَاءِ شَدُّ مُؤَالِفُ  
 ٥٠ تَوَاهِقَ رِجْلَاهَا يَدَيْهِ ، وَرَأْسُهُ      لَهَا قَتَبٌ فَوْقَ الْحَقِيبَةِ رَادِفُ  
 ٥١ يُصَرِّفُ لِلْأَصْوَاتِ وَالرَّيْحِ هَادِبًا      تَمِيمَ النَّفْيِ كَدْحَتَهُ الْمَنَاسِفُ

(٤٦) الضمير الظاهر في «أرسله» يعود على السهم . والظن هنا بمعنى اليقين . والشراسيف : أطراف الأضلاع البنية ما يلي البطن . والجائف : الذي يصيب الجوف وينفذ فيه .

(٤٧) النضى : السهم . والحين : الموت . يقول إن السهم مر إلى جانب ذراع الجمار ونحره ، فلم يصبه ونجا من الموت .

(٤٨) عض إبهام يمينه لأن القوس في يساره . ولهف سرا أمه : أى قال في سره : يا لهف أماه ! تحسرا على إفلات الصيد منه .

(٤٩) لم يعك : لم ينتظر ، والعك : الانتظار . وإقفه : أثناه . وشيعها : أعانها على الجرى . والغضراء : الأرض الخضراء . وشد مؤالف : أى جرى يجمع بينهما . يقول إن الجمار فر هاربا هو رأته التى أعانها على الجرى جريها معه .

(٥٠) تواهق : توافق وتجارى . والقنب : خشب الرجل . والحقيبة : الرقادة التى تشد في مؤخر الرجل ، وهى قطعة تحشى تحته ليستقر في مكانه ، ويريد بها هنا مؤخرة الأتان . والرادف : الذى يركب خلف الراكب . يقول إنها انطلقت أمامه وهو يقبها ، يداه تجاريان رجلها ، ورأسه فوق مؤخرتها .

(٥١) يصرف : يحول من جهة إلى جهة . والهادى : العتق . والتميم : التثديد . والنضى هنا معناه العظم . يصف حق الجمار بأنه شديد العظام . وكدحته : خدشته . والمناسف : مر شرحه في البيت ٢٧ . يصف ما أصاب هذا الجمار من عض الجمر الأخرى في المنافسة على المرعى أر على الإناث .

٥٢ ورأساً كَدَنَّ التَّجْرِجَابَا كَأَنَّمَا رَمَى حَاجِبِيَّهِ بِالْجِمَارَةِ قَاذِفُ

٥٣ كَلَّا مَنَحَرِيهِ سَائِقَا أَوْ مُعَشِّرَا بِمَا انْقَضَ مِنْ مَاءِ الْخِيَاشِمِ رَاغِفُ

\* \* \*

(٥٢) الدف : خاية النحر . والتجر : التجار ، جمع تاجر . والحاب : الغليظ . يصف

ضخامة رأس هذا الجمار ، وما أصابه من جروح بسبب مض الجمر الأخرى له .

(٥٣) سائقا : من السوف وهو الشم . ومعشرا : من التعشير وهو النهيق ، يقال مشر الجمار

إذا تابع النهيق عشر نهقات ، وإلى بين عشر ترجيمات في نهيقه . والراغف : السائل . يصور

نحاة الجمار وفرحت بها وانطلاقه بعدها .

\* \* \*

يوسف خليف



## عنتره بن شداد

هو عنتره بن شداد العبسى، وقيل : ابن عمرو بن شداد، وقيل، ابن معاوية على رواية صاحب الأغاني، كانت أمه أمة حبشية اسمها زبيبة تملكها شداد وأنجبت منه عنتره. لُقّب بعنتره « الفلحاء » لتشقي في شفته، وكنى « بأبي المغلس » للدلالة على شجاعته وجرأته، كما كنى « بأبي المفايش » « وأبي أوفى » ولكن هاتين الكُنيتين لم تشيعا كثيرا. عاش عنتره غير مُنسب لأب حتى بان بأسه، وكان من عادة العرب ألا يُحققوا أولاء الإماء بنسبهم إلا إذا بان لهم فضل يُؤثر، وهو ما تحقق لعنتره كما ورد عند أبي الفرج حين قال « وكان سبب ادعاء أبي عنتره إياه أن بعض أحياء العرب أغارت على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا، فتبعهم العبسيون فلحقوهم، فقاتلوهم عما معهم، وعنتره يومئذ فيهم، فقال له أبوه : كُرت. فقال : العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والهر. فقال : كرت وأنت كرت، فكر، وهو يقول : « أنا الهجين عنتره ». وقاتل يومئذ قتالا حسنا، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه.

عاصر عنتره فيمن عاصر الحطيثة وعمرو بن معد يكرب، وكلاهما أدرك الإسلام، وقد اختفى اسمه بعد حرب داحس والغبراء، الأمر الذي جعل صاحب « كشف الظنون » يذكر أن وفاته كانت سنة ٦١١ م.

عرف الناس عنتره شاعرا وفارسا حتى أصبح اسمه مادة لسيرة شعبية ذاعت شهرتها، وربما ساعدت بطولته — بحكم ظروفه الخاصة — على ذيوع تلك

السيرة ، فلم ينته الموقف الاجتماعي عند عنزة إلى كونه شاعرا مُحباً فحسب ، بل كثرت أمامه العراقيل في سبيل ظفـره بمحبوبته عبلة ، وكان أشدّ منها وقعا على نفسه تلك العراقيل الاجتماعية التي حالت دون وصوله إلى طبقة الأحرار من أبناء القبائل بسبب سواد لونه .

وهكذا تبلورت سيرة عنزة حول شاعر فارس ، وبطل حقق لنفسه السيادة بعد عبوديته ، وكانت فروسيته هي الوسيلة الناجمة في هذا الانتقال الطبقي من ناحية ، وفي فوزه بمحبوبته « عبلة » ابنة عمه مالك من ناحية أخرى .

وقد تنوعت ملامح حياته بين أطوارها المختلفة ، فغلبت عليها العبودية وسادت في دور النشأة ، وكان عليه كعبد أن يهتم بأمور الخدمة ورعى الماشية مثله في ذلك مثل غيره من طبقة العبيد . حتى إذا كانت حروب داحس والغبراء ظهر أمامه الميسدان الفسيح الذي يظهر فيه فروسيته وشجاعته خاصة بعد أن ذاع اسمه وأصبح واحدا من فرسان القبيلة المعدودين الذين يدافعون عن قبائلهم وعن وجودهم وكيانهم الخالص في نفس الوقت . وقد اختلفت الروايات حول زواج عنزة من عبلة ، فمن قائل أنه تزوّجها بدليل الخبر الذي أورده السيوطي في قولهم عنزة له « إنك ابنُ أنى وقد زوجتك ابنتي عبلة »<sup>(١)</sup> ، ومن قائل أن هذا الزواج لم يتم ربما لأن الفترة الزمنية قد طالت وطال تعلّق عنزة بها قبل أن ينال حريته ، وربما كان تأخره في نيل حريته سبيلا للآخرين لكي يطالب بعضهم يدها أو يتزوج منها .

والثابت في سيرة عنزة كما يؤكدّها شعره قدم علاقته بعبلة واستمرار تعلقه بها ، واتخاذها من فروسيته وسيلة إليها ووسيلة إلى تجاوز طبقة العبيد في آن واحد .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

(١) شرح شواهد المغنى ١٦٥ .

( ١ )

## مختارات من المعلّقة

هل غادر الشعراء من مترّدٍ ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

\* \* \*

- |                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| ١ أثنى على بما علمت فلانى   | مهملٌ مخالّقى إذا لم أظلم       |
| ٢ فلإذا ظلمت فلان ظلمي باسل | مرّ مذاقته كطعم العلقم          |
| ٣ ولقد شربت من المدّامة بعد | ما ركّدت الهواجر بالمشوف المعلم |
| ٤ بزجاجة صفراء ذات أسرة     | قرنت بأزهر فى الشمال مُقدّم     |
| ٥ فلإذا شربت فلانى مستهلك   | مالى ، وعرضى وإفر لم يكلم       |
| ٦ وإذا صحت فما أقصر عن ندى  | وكما علمت شمائلى وتسكرمى        |

(١) المخالفة : هى المقابلة من الخلق ، مهمل مخالّقى : أخلاقى ومريكتى لينة . البناء : هو ذكر الصفات سواء أكانت مدحا أم ذما ، ثم هم المدح كمرادف لذكر الصفات .

(٢) الباسل : الكريه . العلقم : الحنظل ، ويقال لكل مر علقم .

(٣) المدّامة : الخمر . ركود الهواجر : سكون الشمس وقت الظهيرة حين يصير كل فى ظله . المشوف : اختلفت فيه الآراء فقليل إنه الدينار أو الدرهم لأنه مشوف أى مجلو ، ولكن تفسيره هنا بالكأس أرجح . المعلم هو ما عليه كتابة .

(٤) ذات أسرة : ذات خطوط . الأزهر : ابريق من فضة أو رصاص . مقدّم : عليه مصفاة يصفى بها .

(٥) مستهلك : منفق . العرض : هو موضع المدح والذم من الرجل . لم يكلم : لم يجرح .

(٦) صحت : أفقت من سكرى . الندى : السخاء . الشمائل : الخصال وهى الأخلاق والصفات .

- ٧ وحليل غانية تركت مجذلا تمكو فريصته كشدق الأظم  
٨ سبقت يدأى له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلون العندم  
٩ هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلّى  
١٠ إذ لا أزال على رحالة ساج نهد ، تعاورة الكاة مكم  
١١ طورا يجرد للطعان ، وتارة ياوى إلى حصد القسى عرمم  
١٢ يُخبرك من شهيد الواقعة أنى أغشى الوغى وأعف عند المغنم  
١٣ ومدجج كره الكاة زاله لا ميعن هرباً ولا مستسلم

- (٧) الحليل : الزوج ، ويقال للمرأة حليلة . الغانية : التى استغنت بزوجها ، أو هى المقبلة بمنزلها أو المخدرة ، وفست كذلك بأنها الشابة . مجذلا : صريحا . تمكو : تصفره الفريصة : الموضع الذى يرتعد فى الانسان إذا خاف . الأظم : من شقت شفته العليا . يصف سعة الطعنة .  
(٨) الرشاش : ما تطاير من الدم . النافذة : التى نقلت الى الجوف . العندم : الصبغة الحمراء .  
(٩) سألت الخيل : أى سألت أصحاب الخيل . ان كنت جاهلة بما لم تعلّى : معناه ألا تسألين الخيل بما لا تعلمين ان كنت جاهلة ، وفى البيت تقديم وتأخير .  
(١٠) الرحالة : مرج يصنع من جلد الشاة ويستخدم للعدو الشديد بالفرس . الساج : هو الفرس الذى يدحو بيديه دحوا . التهد : القليظ . تعاورة : فى الأصل تعاورة ، والمراد هنا أنهم يطعنونه مرة ومرات . الكاة : جمع كى وهو الشجاع ، ومعنى بذلك لأنه يقع عدوه أو لأنه يستر شجاعته حتى تدعو الحاجة الى اظهارها عند الزال فيظهرها ، أو هو التام السلاح .  
(١١) يجرد : يهيا . الحصد : الكثير . القسى : هى الأقواس . عرمم : كثير .  
(١٢) الواقعة : هى الواقعة أو الانتعام ، والمراد بها مشهد من مشاهد الحرب . الوغى : الجلبة فى الحرب . أعف عند المغنم : لا أستأثر بشئ من الغنمة وحدى بل أقوم بتوزيعها على رفاقي .  
(١٣) المدجج : هو من تغطى واستتر بالسلاح . الكاة : البواسل . الزال : القتال وجهها لوجه . لا ميعن هرباً ، أى ليس متدفعاً فى الفرار .

- ١٤ جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلٍ طَعْنَةٍ      بِمُتَقَفِّ صَدَقِ الْكُعُوبِ مَقُومٍ  
١٥ بِرَحِيَّةِ الْفَرَقَيْنِ يُهْدِي جَرْمَهَا      بِاللَّيْلِ مُعْتَسِ الذَّنَابِ الضُّرْمِ  
١٦ فَشَكَّكَتُ بِالرَّيْحِ الْأَصَمِّ نِيَابَهُ      لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمٍ  
١٧ فَتَرَكْنَاهُ جَزَرَ السِّيَاحِ يَنْشُتُهُ      مَا بَيْنَ قُلَّةٍ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

\* \* \*

- ١٨ لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ      يَتَذَاصِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مَذْمُومٍ  
١٩ يَدُوهُونَ عُنْتَرَ وَالرَّمَاحُ كَأَنَّهَا      أَشْطَانُ يَثْرِفِي لِبَانِ الْأَدْهَمِ  
٢٠ مَا زِلْتُ أُرْمِيهِمْ بِغُرَّةٍ وَجْهِهِ      وَلِبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلُ بِالْدَمِّ

- (١٤) عاجل طعنة : عاجلته بالطعن وسبقته إليه . المتقف : هو الرمح المقوم المشذب . صدق : صلب . الكعوب : هي المقد التي توجد في الرمح .  
(١٥) رحية : واسعة . الفرغ : هو ما بين العرقوتين والمقصود به هنا مخرج الدم عند الطعن ، وكان الدم حين خروجه من الجرح يشبه صب الماء من الدلو . الجرم : الصوت ، ويقصد هنا أن صوت الدم السائل من الطعنة يدل وحوش الفلاة كي تأتي لتلتهم من لقي مصرعه . المعتس : هو من يطلب أو يتغنى أمر البلاء . الضرم : جمع ضرم وضارم وهو الجائع .  
(١٦) شككت : شققت . النياب : يقصد البدن أو الجسم المختفي خلف الدرع . القنا : الرماح . محرم : ممنوع . ليس الكريم على القنا بمحرم : يقصد أن الكرام هم أشد الناس حرصا على الإقدام وأكثرهم استهجانا للفرار .  
(١٧) جزر : جمع جزرة وهي الشاة أو الناقة بعد ذبحها أو نحرها . ينشته : يقضمته قضما . قلة الرأس : أعلى الرأس . المعصم : الرسغ أو موضع السوار من الساعة .  
(١٨) يتذاصرون : أي يحث بعضهم بعضا . غير مذموم : غير مذموم .  
(١٩) أشطان : جمع شطن وهو حبل البئر ، وكانت البئر العميقة في العادة تتطلب حبلين للدلو . اللبان : الصدر . الأدهم : فرس هنتر .  
(٢٠) غرة وجهه : أول وجهه أو مقدمته ، وفي رواية أخرى « بشرة نحره » أي هزئة حلقه . تسربل : صار كالسربال وهو القميص ، والمعنى تلتخ بدم غزير .



- ٢١ فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى عبيرة وتمحّم  
 ٢٢ لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكّلى  
 ٢٣ والخيل تفتحم الحبار عوايساً من بين شيطمة وأجرّد شيطم  
 ٢٤ ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس وبك عنتر أقدم  
 ٢٥ ذلّ ركابي حيث شئت ، مشايى قاي ، وأحفره بأمر مبرم

\* \* \*

- (٢١) ازور : مال . شكا إلى : أى أنه لو كان يعرف الشكاية لاشتكى إلى . تمحّم : صوت متقطع كالنسيج ، ولكنه ليس بالصهيل .  
 (٢٢) المحاورة : الجواب والمراجعة ، والمعنى هنا التخطب بوجه عام .  
 (٢٣) تفتحم : تدخل راكضة بسرعة . الحبار : الأرض اللينة التى يشتد فيها الركض . العوايس : أى التى حال وكلح لونها من فرط ما بذلت من جهد . شيطمة : طويلة . الأجرّد : قصير الشعر .  
 (٢٤) أبرأ : شفى . السقم : العلة أو المرض . وبك : تعبير عن الإعجاب .  
 (٢٥) ذلّ : جمع ذلول ، وتقال للابل وغيرها من الدواب ، ومعناها هنا أنها مهتلة السير معتادة عليه . مشايى : يشايى ، أى لا يغيب عنى بل يلزمنى . أحفره : أدفنه . مبرم : محكم .

\* \* \*

محمد حمدي إبراهيم

( ٢ )

## عَتَابٌ وَفَخْرٌ

\*\*\*

قال عنزة يصف حاله ويعرض قضيته التي شغلت عليه نفسه ويذكر جور قومه وظلمهم له تلك القصيدة الدالية التي أدارها حول محورين كبيرين : أولهما ذلك الفخر الذي يسجله لنفسه ، ويعلم به قومه ، ويصر على إظهارهم عليه واعترافهم بفضله ، حتى كاد يمتن عليهم بهذا الفضل ، وهو يقرن هذا الفخر باستنكاره موقفهم منه لمجرد سواد لونه . وهو فخر حربي في جملته ، محكوم بطبيعة المواقف القتالية التي هيأتها الظروف أمام عنزة ليحرز ما أحرزه من تفوق على أقرانه من شعراء الجاهلية وفرسانها . وثانيهما : ذلك الحوار الذي اصططنه ليضحي بحديث الطلل والغزل في سبيل حديث الفخر والحرب ، وهو كشاعر فارس يستغل كل المشاهد الغزلية في خدمة قضيته التي يرددها ممزوجة تارة بتلك الصور ، وترد تارة أخرى تأتي خالصة حيث يكرر الفخر عائداً إليه ومسهباً فيه ، وجاعلاً منه ختام القصيدة ، يقول :

- |   |                              |                              |
|---|------------------------------|------------------------------|
| ١ | إذا فاض دمي واستهل على خدي   | وجاذبني شوق على العلم السعدي |
| ٢ | أذكر قومي ظلمهم لي وبغيهم    | وقلة إنصافي على القرب والبعد |
| ٣ | بنيت لهم بالسيف مجداً مشيداً | فلما تنهى مجدهم هدموا مجدي   |

(١) استهل الدمع : انصب وانسكب . العلم : الجبل . جاذبه : شده .

- ٤ يَعيُّونَ لَوْنِي بالسَّوَادِ وَإِنَّمَا  
٥ فَوَإِذْ جِئْتَنِي إِذَا غَبْتُ عَنْهُمْ  
٦ أَتَحْسَبُ قَيْسُ أَنْتَنِي بَعْدَ طَرْدِهِمْ  
٧ وَكَيْفَ يَحْمِلُ الذُّلُّ قَلْبِي وَصَارِي  
٨ مَتَى سَلُّ فِي كَفِي يَوْمَ كَرِيهِتِي  
٩ وَمَا الْفَخْرُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ عِمَامَتِي  
١٠ نَدِيمِي إِمَّا غَيْبًا بَعْدَ سَكْرَةٍ  
١١ وَلَا تَذْكُرَا لِي غَيْرَ خَيْلٍ مُغِيرَةٍ  
١٢ فَإِنَّ غُبَارَ الصَّافِنَاتِ إِذَا عَلَا  
١٣ وَرِيحَانَتِي رُحْمِي وَكَسَاتُ بَجْلِي  
١٤ وَلِي مِنْ حُسَامِي كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الثَّرَى  
١٥ وَلَيْسَ يَعْيبُ السِّيفُ إِخْلَاقُ غِمْدِهِ  
١٦ فَلَهُ دَرِي كَمْ غُبَارٍ قَطَعَتْهُ
- فِعَالُهُم بِالْحُبِّثِ أَسْوَدَ مِنْ جِلْدِي  
وَطَالَ الْمَدَى مَاذَا يَلَاقُونَ مِنْ بَعْدِي  
أَخَافُ الْأَعَادِي أَوْ أَذِلُّ مِنَ الطَّرْدِ  
إِذَا اهْتَرَقَ لُبُّ الضَّدِّ يَخْفِقُ كَالرَّمَدِ  
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَشَايِخِ وَالْمُرْدِ  
مُكْوَرَّةُ الْأَطْرَافِ بِالصَّارِمِ الْهِنْدِي  
فَلَا تَذْكُرَا أَطْلَالَ سَلَمَتِي وَلَا هِنْدِي  
وَنَقَعَ غُبَارِ حَالِكِ اللَّوْنِ مُسَوَّدِ  
نَشِئْتُ لَهُ رِيحًا أَلَذَّ مِنَ النَّدِّ  
بِمَاجِمِ سَادَاتِ حِرَاصٍ عَلَى الْحِجْدِ  
نَقُوشُ دَمِ تَغْنِي النَّدَامَى عَنِ الْوَرْدِ  
إِذَا كَانَ فِي يَوْمٍ الْوَعْيِ قَاطِعَ الْحَدِّ  
عَلَى ضَامِرِ الْجَنِينِ مُعْتَدِلِ الْقَدِّ

(٧) الضد هنا بمعنى النظير أو المثل بمحقق : من شدة الخوف والفرع .

(٨) المرء مفردا : أمرء وهو الشاب الذي لم تثبت لهيته وقد طر شارب .

(٩) تكوير العمامة : استدارتها ، وتكويرها من معالم العزة والرياسة والسيادة في القبيلة .

(١٢) الصافن من الخيل الذي يقف على ثلاث قوائم وطرف حافر الزابطة وقد رفعها .

نشق : شق . الند : العنبر أو الطيب بما يعرف عنه من طيب الرائحة .

(١٥) أخلق غمده : بل جفته . يوم الوغى : يوم القتال .

(١٦) لله دري : صيغة تعجب تقال في المدح أي لله عمل ، وتقال في الذم بالنفي كقولك : لا دورك ، والدر هو العمل من خير أو شر أي قل خيرك .

الغبار : يقصد به غبار الحرب ويكتفى به من شدة القتال وكثرة الكر والفر . القد : القامة .

- ١٧ وطاعنتُ عنه الخيلُ حتى تبددتُ هزأماً كأسراب القطاءِ إلى الوردِ  
 ١٨ فزارهُ قد هيجتمُ ليثَ غابةٍ ولم تفرقوا بين الضلالةِ والرشدِ  
 ١٩ فقولوا لحصنٍ إن تعانى مداوتى يبيتُ على نارٍ من الحُزْنِ والوجدِ

(١٧) هزأماً : مهزومة . القطاء جمع قطاة . الورد : مصدر ترده القطا للشرب منه .

(١٨) ليث الغابة : يقصده به منتره نفسه هنا . هيجوه : أثاروه .

(١٩) معاناة الشيء : ملاسته ومباشرته .

عبد الله التطاوى

( ٣ )

## بُطُولَةُ فَارِسِ

اكتملت له فروسيته في حياته القبلية بتلك المشاكل التي جلبتها عليه العلاقة التي نشأت بينه وبين ابنة عمه عبلة ، إذ كان للوقف الاجتماعي دوره في إبعاد الشاعر عن صاحبه لأنه عبد أسود غير مُنسب في قومه ، فكانت شجاعته هي المحور الذي يركز عليه ، وقينارته التي يتغنى بها . حتى يلفت إليه نظر محبوبته ويكسب ودها . وفي هذه القصيدة الدالية يركز عنتره على تصوير عواطفه نحو عبلة وما عاناه من أشجان وحزن مستغلا عناصر الطبيعة المادية في صوره المختلفة ، ويزداد حزنه حتى يصل إلى ذروته حين يعرض مشهد الوداع وموقفه في لحظة الفراق . ومن الكتابة والأمر إلى عالم نفسي أكثر رحابة واتساعا يبرز الشاعر الجانب الإيجابي المشرق في شخصه حين يقدم إليها نفسه كفارس من أكبر فرسان عصره من خلال تلك الصور الجزئية الدقيقة التي ساعد انسجامها على اكتمال اللوحة الفنية التي تجسدت فيها مشاهد القتال بكل تفاصيلها . وكأن القصيدة — بهذا الشكل — تجمع بين محاور القوة والضعف في حياة عنتره ، فهو موزعٌ بين استجابته لعواطفه واستنكاره لموقف القبيلة منه وبين مشاهد القتال التي اشتد حرصه على تصويرها وكانت وسيلته إلى تجاوز طبقته ونيل حريته ، فيقول في قصيدته المعروفة « بالعقيقة » :



- ١ بين العقيق وبين بركة ثمجد      طلل لبلّة مستهلّ المعهّد
- ٢ يا مسرح الآرام في وادي الحمى      هل فيك ذو شجن يروح ويقتدى
- ٣ في أيمن العالمين درس معالم      أوهى بها جلدي وبان تجلدي
- ٤ من كلّ فائنة تلفت جيدها      مرحاً كسالفة الغزال الأغيد
- ٥ يا عبّل كم يشجى فؤادي بالنوى      ويروني صوت الغراب الأسود
- ٦ كيف السؤلوما سمعت حمائمًا      يندبن إلا كنت أول منشد
- ٧ ولقد حبست الدمع لا بخلًا به      يوم الوداع على رسوم المعهّد
- ٨ وسألت طير الدوح كم مثلي شجًا      بأينيه وحينيه المتردد
- ٩ ناديتُه ومدامعي منهلة      أين الحلي من الشجى المسكد
- ١٠ لو كنت مثلي ما لبثت ملاوة      وهتفت في غصن النقا المتأود
- ١١ رفعوا القباب على وجوه أشرقت      فيها فغيبت السها في القرقد
- ١٢ واستوكفوا ماء العيون بأعين      مكحولة بالسحر لا بالإميد

(١) العقيق : مواضع بالمدينة وباليمامة وبالطائف وبتهامة وببجدة وبسنة مواضع أخر .

بركة ثمجد لبني دارم ( اسم موضع ) .

(٢) الآرام ج رثم وهو الظبي . الروح والغدو : الذهاب والمجي .

(٣) الدرس : الغناء والزوال والاحياء . المعالم : ما يستدل به . التجلد : التحمل والعبر .

أوهى : ضعف ورق وكل . الأغيد : الذي ينثنى من شدة لينه .

(٤) السالفه : ناحية مقدم العتق من لدن معلق للقرط إلى قلب الترقوة .

(٨) الدوح شجر صخيم ج دوحه . شجًا : بكى من شدة الحزن والأسى .

(١٠) الملاوة : الفترة ، البرهة . النقا : قطع رملية محدبة .

(١١) السها : كوكب خفي من نيات نعلش الصغرى . القرقد : النجم الذي يهتدى به .

(١٢) استوكفوا : استقظروا . الإميد : حجر الكحل .

- ١٣ والشمس بين مَضْرَجٍ ومَبْلَجٍ والغصن بين مُوشِحٍ ومُقَلِّدٍ  
 ١٤ يطلعن بين سَوَالِفٍ ومَعَاظِفٍ وقلائد من لؤلؤ وزبرجدٍ  
 ١٥ قالوا اللقاء غداً بمنعرج اللوى واطول شوق المستهام إلى غدٍ  
 ١٦ وتخال أنفاسي إذا رددتها بين النقوش تحت نقوش المبرد  
 ١٧ وتنوِّفَ مجهولة قد خضتها بستان رُخ ناره لم تُنمِد  
 ١٨ باكرتها في فتية مَسِيَّة من كل أروع في الكربة أصيد  
 ١٩ وترى بها الرايات تحفُّ والقنا وترى العجاج كمثل بحر مزيد  
 ٢٠ فهناك تنظر آل عبس موقفي والخليل تغر بالوشيج الأملاء  
 ٢١ وبوارق البيض الرقاق لَوَامِعُ في عارض منل الغمام المرعد  
 ٢٢ وذوابل السمر الدقاق كأنها تحت القنم نجوم ليل أسود

(١٣) المضرج : المحمر . المبلج : النقى الطلق . الغصن : القد . مقلد : عليه قلادة وهي

العنق .

الموشح : من يرتدى الوشاح وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(١٥) المنعرج : المنعطف . اللوى : ما التوى من الرمل أو ما استرق منه .

واطول : شكوى من طول البث إلى غد لشدة لطفه وشوقه .

(١٧) التنوِّف : الصحراء لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة . مجهولة : لصعوبتها وغموضها .

(١٨) الأروع : الشجاع . الكربة : الحرب . الأصيد : الذي يميل عنه كبرا ، وهو السيد

الشريف . والأصيد : البطل الشجاع المقدم .

(١٩) العجاج : الغبار المثار . مزيد : يرى بالزبد وهو ما يملو الماء في اصطخابه وعنفه .

(٢٠) الوشيج : شجر الرماح . الأملاء : الناعم اللين من الغصون وهو مما يستحب في الرماح .

(٢١) البيض : السيوف . العارض : السحاب الكثير ويقصد به غبار الحرب هنا .

(٢٢) الذوابل : القنا البيض . السمر : الرماح . القنم : غبار الحرب أثناء دورانها .

- ٢٣ وحوافر الخيل العتاق على الصفا  
 ٢٤ باشرت موكبها وخضت غبارها  
 ٢٥ وكررت والأبطال بين تصادم  
 ٢٦ وفوارس الهيجاء بين ممانع  
 ٢٧ والبيض تلتمع والرماح عواسل  
 ٢٨ وموسد تحت التراب وغيره  
 ٢٩ والجو أفتم والنجوم مضيئة  
 ٣٠ أقممت مهري تحت ظل عجاية  
 ٣١ رعمت أنف الحامدين بسطوتي
- مثل الصواعق في قفار القدد  
 أطفأت جمر لحيها المتوقد  
 وتهاجم وتحزب وتشد  
 ومدافع ومخادع ومعر يد  
 والقوم بين مجدل ومقيد  
 فوق التراب ين غير موسد  
 والأفق مغبر العنان الأربد  
 بسنان رمج ذابل ومهند  
 فغدوا لها من راكعين وسجد

(٢٣) الصفا : الحجر الصلد الضخم . العدد : المكان الغليظ الصلب .

(٢٧) العاقل : الرمح إذا اشتد اهتزازه دلالة على شدة القتال . المجدل : الصريع . المقيد : الأسير .

(٢٩) العنان : السحاب يقصد التراب الذي انتشر فيه كالسحاب . الأربد : المائل إلى الغيرة

(٣٠) المهند : السيف . رعم أنفه : ألصقه بالتراب أى أذله وقهره وحطم كبرياءه .

\*\*\*

عبد الله التطاوى

( ٤ )

## فُرُوسِيَّةٌ وَحُبٌّ

ولد عنتره لجارية حامية سبأها أبوه ، ولم يلحقه به عند ولادته ، واسم أمه زبيبة الحبشية ، أما أبوه فهو شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس . وكان العرب لا يلحقون بنسبهم أولاد الإماء إلا إذا بان لهم فضل . وكان سبب ادعاء أبي عنتره إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عيس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا ، فتبعهم العيسيون فقاتلوهم ، وعنتره يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : كر ، فقال : العبد لا يُحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر ، فقال : كُترو أنت حر ، فكروقاتل قتالا حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه .

وطارت شهرة عنتره بوصفه فارسا لا يُبارى ، وعاشقا تحاك حوله الأساطير في قصة حبه لعبلة ابنة عمه . وكان له دور كبير في حرب داحس والغبراء . ويبدو أنه مات أو قتل قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة .

\* \* \*

والآيات التي اخترناها له يبدوها بحكمة التجارب والسنين ، فيقول إن أمر الله مقدّر على جميع عباده ، فلا سبيل للفرار منه أو الحذر ، وليس الإنسان قادرا على ردّ الموت أو دفع القضاء ، فإذا حُمّ كان أمرا محتوما لا تخيب طعته ولا تطيش ضربته . وقد هان الدهر على عنتره بسبب معرفته حقيقة ونجبرته بما تأتى به

مصائب الزمان وأحداثه . ويختم عنتره هذه المقدمة الحكيمة بقوله إن الأسود ليست كالضباع في شجاعتها وهيبتها ، كما أن كل المحاربين ليسوا مثل عنتره في شجاعته وإقدامه . ويبدأ عنتره بالفخر ببطولاته حتى إنه انتصر على غارات الزمان وكان الموت فيها متربصا به الدوائر، وحقق له عزمه الجبار هذا الانتصار، حتى إنه لو ضرب بسيف عزمته البتار ظلام الليل لانتشع وزال ، وليس أمام الشاعر غير سبيلين : إما أن يصل إلى المجد مخاطرا بنفسه أو يموت ، وهو لا يهتم بما سوف يأتي به الغد لأن أحدا لم يخبرنا بما يكون في عالم الغيب المجهول ، والنذير الذي يأتي محذرا من وقوع الويل والكوارث قد يكون في الحقيقة بشير سعادة وسرور .

ولا ينسى الشاعر أن يشهد حبيبته عبلة على فروسيته و بطولته الخارقة فيطالها بأن تشهده في أثناء المعارك وهو يطاعن ويقا تل ويشير بخوافر فرسه الغبار ، وهو يقبل على المعركة ضاحكا لوثوقه بنفسه وقدرته ، وتسعيه إلى المجد مستمينا بالموت ، فإذا انقضت المعركة آب وعايه آثارها مشعث الشعر مغبر الوجه ، وهو لا يكف عن قتال أعدائه إلا حين يصرعهم ويبقى بجباههم في ساحة القتال لتعبث بها الرياح الجنوبية ، وبأجسادهم التي تنفض عليها الطيور الكامرة ولا ترجع عنها إلا حين ترى الوحوش وقد أنت لتتال نصيبها .

\* \* \*

- ١ إذا كان أمراً الله أمراً يُقدَّر فكيف يفتر المرء منه ويحذر
- ٢ ومن ذا يرد الموت أو يدفع القضا وضربته محتومة ليس تعثر



- ٣ لقد هان عندى الدهر لما عرفته وإنى بما تأتى الملمات أخبر  
 ٤ وليس سباع البر مثل ضبائه ولا كل من خاض العجاجة عنتر  
 ٥ سلواصرف هذا الدهر كم شن غارة ففرجتها والموت فيها مشمر  
 ٦ بصارم عزيم لو ضربت بحده دجى الليل ولّى وهو بالنجم يعثر  
 ٧ دعونى أجد السعى فى طلب العلا فادرك سؤلى أو أموت فأعذر  
 ٨ ولا تختشوا مما يقدر فى غد فما جاءنا من عالم الغيب مخبر  
 ٩ وكم من نذير قد أتانا محذرا فكان رسولا فى السرور يلشّر  
 ١٠ قفى وانظرى يا عبل فعلى وعائنى طعانى إذا ثار العجاج المكدر  
 ١١ ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا ويرجع عنهم وهو أشعث أغبر  
 ١٢ ولا ينثنى حتى يخلى جماجما تمر بها ريح الجنوب فتصفّر  
 ١٣ وأجساد قوم يسكن الطير حولها إلى أن يرى وحش الفلاة لينفر

(٣) الملمات : جمع ملّة وهى حوادث الدهر ومصائبه .

(٤) العجاجة : معنى بها الحرب .

(٥) الصرف : الأحداث ، مشمر : نشيط دائب الحركة .

(٦) الصارم : السيف .

(٧) سؤلى : غايى ومرادى .

(١٢) يخلى : يترك .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ

هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح بن قرة بن الحارث ... أحد الثلاثة المقدمين في الجاهلية ، وإن اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني .

شهد له كثيرون بمكانته الشعرية ، فرآه جرير شاعر الجاهلية ، وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لابن عباس : إنه شاعر الشعراء ، وقدمه قدامة بن موسى أيضا على سائر الشعراء ، وسجل له الأحنف بن قيس أنه أشعر الشعراء أيضا .

وربما شجع زهيراً على بلوغ تلك المكانة طبيعة البيئة التي نشأ فيها وكان من أهم أعلامها بشامة (خاله) ، وهو شاعر مجيد ، فكان زهير وكثير من قومه شعراء بالوراثة ، فلم تقف الشاعرية عند خاله وجدّه ، بل كان أبوه شاعراً ، وكذلك كانت أخته سلمى ثم كان ابنه كعب وبجير شاعرين . ولا تخفى مكانة أخته الخنساء في نظم الشعر ، وكذلك حفيدة ، المضرب بن كعب بن زهير . وقد تعددت مجالات نظم الشعر عند زهير ، وكان أكثرها حظاً من فنه موضوع المدح ، فقد نظم معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم بن ضمضم في ما لهما دون أن تكون لهما مشاركة في الحروب القليلة .

وقد نأى زهير بنفسه وفنه عن محور التكسب أو طلب العطاء ، ورفض أن يعيش ماجوراً من خلال شعره ، إذ يُروى أن هَرِمًا كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستجيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاً قال : عَمُوا صبا حاً غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وكما كثر ثناء معاصريه على فنه كثر حوار المتأخرين حول شعره ومكانته فيه ، فاشنى عليه عبد الملك بن مروان وأعجب بفنه .

وامتاز شعر زهير عن شعر عصره فكانت حجة من قدمه أنه كان أحسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ وأكثرهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا وحكما في شعره . ويبقى زهير زعامة لمدرسة فنية متميزة في فن الشعر وضع أسسها الفنية وأصبح فيها أستاذا وراوية في آن واحد ، فقد استمد أصولها من أوس بن حجر ثم تتلمذ عليه فيها من بعده كعب ابنه ، وأخذت طريقها التاريخي عند الخطيئة وكثير عزرة وجميل بثينة وغيرهم من شعراء عصر بني أمية .

ولا تكاد مدرسة زهير تعكس مكانته في الجاهلية بقدر ما تسجل له دوره البارز في تأصيل صنعة الشعر التي أثرت في حركة الأدب ، وبها تجاوز عصره حيث ركز في فنه على الإجادة ومزاولة مهنة الفنان في دقة التنقيح ومعاودة النظر في بنية القصيدة وصورها الجزئية ، ثم اختيار المعجم اللفظي مع شدة الحرص والأناة في مفرداته وتراكيبه معا بعيدا عن الارتجال أو سرعة التعامل مع الأداة .

على أن مكانة زهير في زعامة تلك المدرسة لا يقل عنها أهمية وخطورة في الشعر العربي موقفه من فن المدح الذي كثر توجيه سهام الاتهام إليه من قبل النقاد والباحثين على أنه كان بابا واسعا من أبواب النفاق في الشعر العربي ، فقد تجاوز زهير هذا المستوى بل تقضه تماما حين أصدر فنه خالصا من منظور الصدق الفني والاجتماعي معا ، إذ اتسقت نفسه مع موضوعه وراح يترنم بهذا الموقف الحضاري الذي أعجب به حول قضية السلام ، والتغيير من شريعة الغزو التي شقت سبلها

عبر نفوس الجاهليين وأصبحت قاعدة عامة في حياتهم ، فكانت معلقته صورة من إخلاصه لقضية السلام بجمع صورها من خلال المتناقضات فراح بين صيغ التهديد والإقناع يتلمس فنه ، وراح يرسم بدقة متناهية أكثر من لوحة فنية لقضية الحرب وقضية السلام كما عاشها واقتنع بها . وفي أثناء هذا كله ينطلق من دقة استاذيته وتلمذته في مدرسته الفنية التي رأى النقاد في أصحابها « عبيداً للشعر » لكثرة ما وقروه له من الروية والأناة والتنقيح ، ورأوها عند زهير — على سبيل المبالغة — في فن الحوليّة التي تعكس من الروية والأناة أروع صورهما .

وتدور معلقة زهير حول مجموعة أفكار تبدو متعددة وإن كانت تجمعها وحدة شعورية وفكرية أساسها إعجابه بقضيته وممدوحه من ناحية ، واتساقه مع نفسه تجاه موضوعه وتفاعله مع مقدماته وخواتمه من ناحية أخرى ، ولذا يبدو إمكان توزيع لوحات المعلقة إلى حديث يقف فيه مع الطلل والظعينة ، إلى موضوع المدح ورسالته التي يوجهها إلى الأحلاف داعياً إلى السلام ومنفراً من الحرب ، إلى خاتمة حكيم يرسم منها لوحة كاملة من تقارير تكشف عن طابع حياته وخلاصة رؤيته لها وطبيعة فلسفته فيها .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ١ )

## المعلقة

١ - بين الطلل والظئينة

- |   |   |   |
|---|---|---|
| ١ | أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَهُ لَمْ تَكَلِّمْ    | بَحْوَمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمُ         |
| ٢ | وَدَارُ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا      | مَرَا جِيعٌ وَشَمٌ فِي نَوَاشِيرِ مِعْصَمٍ        |
| ٣ | بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً | وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ     |
| ٤ | وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً    | فَلَا يَأْ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ      |
| ٥ | أَثَافِي سَفْعًا فِي مَعْرَسِ مَرَجِلٍ          | وَنُؤْيَا بِكُذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَنَلَّمِ     |
| ٦ | فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّهَا    | أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمْ |
| ٧ | تَبْصُرُ خَلِيلَ هَلْ تَرَى مِنْ ظَلَمَائِنِ    | تَحْمَلْنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمٍ ؟  |

(١) الدمنة الآثارة . الحومانة : ما غلظ من الأرض . الدراج والمنتم : موضحان .

الوهم : نقش بالإبرة في الذراع .

(٢) النواشر : عصب الذراع . المعصم : موضع السوار من الذراع .

(٣) العين : بقرة الوحش . الأرام : الظباء . المجتم : المريض .

الأطلاء : ج طلاء وهو ولد البقرة الوحشية أو الظبية .

(٤) اللأى : الجهد . الحجّة : السنة . التوهم : التفرس ودقة التعرف .

(٥) الأثافي : الحجارة توضع عليها القدر . السفع : السود تخالطها حمرة . معرس : الرجل : حيث

أقام الرجل . الثرى : حاجز يرفع حول البيت يحبه من التراب . جذم : الحوض : أصل الحوض .

عم صباحا : صيغة دعائية شائعة بين الجاهليين .

(٦) الربيع : موضع الدار . الخليل : العاصب أو الصديق أو الرفيق .

(٧) الظلمات : النساء الراحلات على الإبل . العلياء : موضع . جرثم : ماء لبنى أسد . تحملن : رحلن



- ٨ عَلَوْنَ بِأَنَّمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ  
 ٩ وَوَرَّكُنَّ فِي السُّوْبَانِ يعلُون مَتَنَهُ  
 ١٠ كَأَنَّ فُتَاتِ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ  
 ١١ وَفِيهِنَّ مَلْهُىٌّ لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرٌ  
 ١٢ بَكَرْنَ بِكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ  
 ١٣ جَعَلَنَّ الْقَنَانُ عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ  
 ١٤ ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ  
 ١٥ فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَاهَهُ
- وَرَادَ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ  
 عَلَيْهِنَ دُلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ  
 نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يُحْطَمْ  
 أُنِيقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ  
 فَهِنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْقِمِ  
 وَمَنْ بِالْقَنَانِ مِنْ مَحَلٍّ مُحَرَّمِ  
 عَلَى كُلِّ قَبِيْنٍ قَشِيْبٍ مُقَامِ  
 وَضَعْنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

- (٨) علون بأنماط : أى طرحوا على أمل المتاع أنماطاً تفرشها ثم تغلبها الطعائن أثناء الرحيل .  
 المشاكهة : المشابهة . الورداج ورد وهو الأحمر . الكلة : الستر .  
 (٩) وركن : ملن فيه . المتن : ما غلظ من الأرض وارتفع .  
 (١٠) العهن : الصوف المصبوغ . القنأ : شجر ثمره حب أحمر وفيه نقط سود . لم يحطم : أى  
 صحيح لأنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة .  
 (١١) المتوسم : الناظر الذى يتفرس بنظره . ملهى للصدق : بقايا جمال تستحق النزل .  
 (١٢) السحرة : السحر . استحرن : خرجن في السحر أو في وقت البكور .  
 الرس : البر وهو اسم موضع أيضاً .  
 كاليد للقم : أى قصدن الوادى فلم يخطئته كما لا تخطئ اليد إذا قصدت القم .  
 (١٣) القنآن : جبل لبني أسد . الحُيْلُ : الذى لا عهد له ولا ذمة ولا جوار .  
 المحرم : من له حرمة وذمة من أن يفار عليه . ظهرن : خرجن .  
 (١٤) السوبان : أمم واد . جزعته : قطعت أو تجاوزته .  
 قبني : أراد به قنبا مقسوبا إلى « بلقين » وهم حى من اليمن تنسب إليهم الرحال وربما قصة  
 جودة صنعت نسبة إلى فبن . قشيب : جديد . مقام : الذى وسع وزيد فيه بئقنآن من  
 جانبيه .  
 (١٥) زرقا يجامه : أى صاف . الجمة : مجتمع الماء .  
 الحاضر : من حضر الماء وأقام عليه . المتخيم : الذى اتخذ الخيمة وتأهب للاستقرار .  
 وضعن عصي الحاضر : أى أقن على الماء واستقروا في هذا المكان .

ب : وقائع قضية السلام

- ١٦ سَعَى سَاعِيَا غَيْظَ بْنَ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ  
١٧ فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ :  
١٨ يَمِينًا لِنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَجِيلٍ وَهَبَرَمِ  
١٩ تَدَارَكْتُمَا عَيْسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ  
٢٠ وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ تُدْرِكِ السَّلْمَ وَأَسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلُمُ  
٢١ فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا عَنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ  
٢٢ عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا وَمَنْ يَسْتَسْبِخُ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ  
٢٣ فَأَصْبَحَ يَجْرَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمَزْنَمِ  
٢٤ تُعْنَى الْكُلُومُ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجَمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ  
٢٥ وَلَمْ يَهْرَبُوا بَيْنَهُمْ مِلًّا مُحْجَمِ

(١٦) غيظ بن مرة : حى من غطفان . تبزل بالدم : تشقق وتمزق بسبب الحرب .

(١٧) أقسمت بالبيت : يقصد الكعبة . جرهم : أمة قديمة كانوا أرباب البيت قبل قريش .

(١٨) السجيل والمبرم : يكفى بهما عن شدة الأمر وسهولته ، والمبرم الخيط المزدوج المقتول ، والسجيل هو الخيط المفرد الضعيف .

(١٩) منشم : امرأة عطارة من نزاعة تشاءم العرب بعطرها وضرب به المثل :

(٢٠) واسعا : مؤكدا . نسلم : أى نسلم من أمر الحرب ونزول أخطارها .

(٢١) على خير موطن : على خير منزلة ورتبة ومكانة . العقوق : قطعة الرحم .

(٢٢) عليا معد : أشرافها . وأفضل القوم فيها يستبح : يجده مباحا . الكثر يكفى به عن الكثرة .

يعظم : يرتفع شأنه بين قومه وترقى درجته ومكانته .

(٢٣) الإفال : صغار الإبل التى كانت تدفع فى الديارات . المزنم : الجمال المشهورة . التلاد :

المال الموروث (القديم) . والطريف : المال المستحدث (المكتسب) .

(٢٤) تعنى : تمحى . الكلام ج الكلم وهو الجرح .

(٢٥) تنجم : تدفع أفساطا . ملء محجم : أقل كمية يمكن تصورها .

### ج : رسالة إلى الأَخْلَاف

- ٢٦ قَنَنْ مُبْلِغُ الْأَخْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً      وَذَبَّيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقَمَّمٍ  
٢٧ فَلَا تُكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي قُورَيْسِكُمْ      لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمَ اللَّهُ يَكْشَمْ  
٢٨ يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْنَرُ      لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَسِمُ  
٢٩ وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ      وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ  
٣٠ مَتَى تَبْعْتُمُوهَا تَبْعْتُمُوهَا ذَمِيمَةً      وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرُّ  
٣١ فَتَمْرُكُكُمْ عَرَكَ الرَّحَا يَنْفَالِهَا      وَتَلْفَحُ كِشَافًا ثُمَّ تَحْمِلُ فَتُنْشِمُ  
٣٢ فَتَنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كُلِّهِمْ      كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمْ  
٣٣ فَتَغْرِبِلَ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا      قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيرٍ وَدُرْهَمٍ

### د : عَنَابٌ وَمُواخَذَةٌ

- ٣٤ لَعَمْرِي لَنَنْعَمَ الْحَيُّ جَرٌّ عَلَيْهِمْ      بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ

- (٢٦) الأَخْلَافُ : أَسَدٌ وَفُطْقَانٌ وَطَيٌّ .  
(٢٧) لَا تُكْتُمُنَّ : لَا تَضْمُرُوا خِلَافَ مَا تَظْهَرُونَ .  
(٢٩) الْمُرْجَمُ : الْمَظْنُونُ أَوِ الَّذِي لَا يَقُومُ عَلَى بَقِيَّةٍ . ذُقْتُمْ : جَرَبْتُمْ .  
(٣٠) تَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا : تَعُودُ إِذَا عُدَّتُمُوهَا ، وَتَشْتَلُّ إِذَا اشْتَطَمَ نَارُهَا .  
تَمْرُكُكُمْ : تَهْلِكُكُمْ وَتَقْضِي عَلَيْكُمْ . يَنْفَالِهَا : أَيُّ وَمَعَهَا ثِقَالٌ وَهُوَ الْجِلْدَةُ تَوْضَعُ تَحْتَ الرَّحَى إِذَا أُدِيرَتْ لِيَقَعَ عَلَيْهَا الدَّقِيقُ .  
(٣١) تَلْفَحُ كِشَافًا : أَيُّ لَا تَنْقَطِعُ عَنْكُمْ وَلَا بَدَأُ أَنْ تَدْرُكُكُمْ . تُنْشِمُ : تَنْجِبُ النَّوَائِمَ وَهِيَ كَثِيرَةُ التَّاجِ .  
(٣٢) غِلْمَانُ أَشَامَ : أَيُّ غِلْمَانُ شَوْمٍ وَنَذَرِشَرٍ .  
أَحْمَرُ عَادٍ : رُبَّمَا قَصْدُهُ أَحْمَرُ « ثَمُود » وَهُوَ مَا قَرْنَا قَاعَ صَالِحٍ فِي الْقَصَصِ الْقُرْآنِ .  
(٣٣) تَقْلِلُ : تَنْتِجُ . الْقَفِيرُ وَالْدُرْهَمُ : خَيْرَاتُ الْعِرَاقِ مِنْ مَحَاصِيلِ وَأَمْوَالٍ .  
(٣٤) جَرٌّ عَلَيْهِمْ : حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ . مَنْ بَخِيَ حُرَّةً اشْتَقَّ عَلَى الصَّاحِبِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ وَعَدَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ عَبَسَ فَقَتَلَهُ .

- ٣٥ وكان طوى كشعا على مستكنة  
 ٣٦ وقال ساقضى حاجتي ثم أتى  
 ٣٧ فشد ولم تفزع بيوت كثيرة  
 ٣٨ لدى أسد شاكي السلاح مقذف  
 ٣٩ جرى متى يظلم يعاقب بظلمه  
 ٤٠ رعوأ ما رعوأ من ظمهم ثم أوردوا  
 ٤١ ففضوا منايا بينهم ثم أوردوا  
 ٤٢ لعمرك ما جرت عليهم رماحهم  
 ٤٣ ولا شاركوا في القوم في دم نوفل  
 ٤٤ فكلا أراهم أصبحوا يعقلونهم
- فلا هو أبداها ولم يجمعهم  
 مدوى باليف من ورأى للجيم  
 لدى حيث ألفت رحلها أم قشع  
 له ليد أظفاره لم تقلم  
 مريما وإلا يبد بالظلم يظلم  
 غمارا تسيل بالرماح وبالدم  
 إلى كلاً مستوبل متوخم  
 دم ابن نبيك أوقتيل المثل  
 ولا وهب منهم ولا ابن المحزم  
 علالة ألف بعد ألف مصم

- (٣٥) طوى كشعا : طوى أمرا في جانبه فلم يظهره . (الكشح : الجنب أو الخصر) .
- (٣٦) ساقضى حاجة : سادرك نأري . أتى عدوى باليف : أجعلهم ينفو وبين عدوى .  
 (ألف فارس) .
- (٣٧) شد : حمل على الرجل فقتله . تفزع : تعلم بفعلته أو تساعد عليها .  
 بيوت : أحياء وقيائل . ألفت رحلها : اشتد خطرهما واشتعلت فيرانها .
- (٣٨) أسد : جيش . أم قشع : الحرب . شاكي السلاح : سلاحه شائكة حادة وقائمة .  
 أظفاره : سلاحه . الظلم : ما بين الشرين .
- (٤٠) الغمار والغمر الماء الكثير . الورود : الذهاب إلى مصادر المياه وعكسه الصدر .
- (٤١) فضوا منايا : أيقظوها بأشغال الحرب .
- أصدروا إلى كلاً : رجعوا إلى أمر مستوبل أو مسمى العاقبة . المتوخم (الوخيم) : الذي لا تجد نتاجه .
- (٤٢) المثل : اسم موضع . ابن نبيك ونوفل وروهب وابن المحزم : أسماء رجال من عبس .
- (٤٤) يعقلونهم : يحملون رياتهم ويغرمونها . العلالة : تكرار الشيء بعد الشيء . المصم : الثام .



- ٤٥ تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غِرَامَةٌ      صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالَعَاتٍ بِمَغْرَمٍ  
٤٦ لَحَى حِلَالٍ بَعْصُمُ النَّاسِ أَمْرُهُمْ      إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ  
٤٧ كِرَامٍ فَلَا ذُو الْوَتْرِ يَدْرِكُ وَتَرَهُ      لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَنَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ

## هـ : فلسفة حياة

- ٤٨ سَمِثُ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ      ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يُسَامُ  
٤٩ رَأَيْتُ الْمَنَاءَ يَخْبِطُ عَشْوَاءَ مَنْ يُصِيبُ      ثُمْنَهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يَعْمُرُ فِيهِمْ  
٥٠ وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      يُضْرَمُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمٍ  
٥١ وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ      وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَيْدِ عَمِي  
٥٢ وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَخْلُ بِفَضْلِهِ      عَلَى أَهْلِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُذَمُّ  
٥٣ وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرِضِهِ      يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ  
٥٤ وَمَنْ لَمْ يَذُدَّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ      يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمُ  
٥٥ وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَةِ يَلْقَاهَا      وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ

(٤٥) صحيفات مال : ليس بعدة ولا مطل . بمغرم : أى طلعت عليهم الإبل من المخرم وهو الطريق الضيق في الجبل .

(٤٦) لحي حلال : كثير ، والحلال ج حلة وهى مائة بيت ، وأصل الحلة الموضع ينزل فيه القوم ، وأراد بالحي الحلال حتى الساعين بالصلح بين عبس وذبيان .

(٤٧) لاذو الوتر يدرك وتره : أى أنهم أهزة لا يستطيع أحد أن ينتصر عليهم أو يأخذ منهم تاراً .

(٤٨) تكاليف الحياة : متاعها ومشقاتها لا أبالك : صيغة دعائية فيها الجفاء والغلظة الجاهلية .

(٥٠) منسم البعير : بمنزلة ظفر الإنسان . يضرم : يوضع بضر من . يصانع : يترقب ويدارى .

(٥١) عمى : جاهل ، يصور جهله بالمستقبل وعلمه بالماضى والحاضر فقط .

(٥٥) أسباب السماء : أبوابها . أسباب المنية : وسائلها وطرقها . والمنية : الموت .



- ٥٦ وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذِمٍ  
٥٧ وَمَنْ يُوْفِ لَا يُدْثَمُ وَمَنْ يُفِضْ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّعُ  
٥٨ وَمَنْ يَفْتَرِّبْ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ  
٥٩ وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ  
٦٠ وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُغْنِهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامُ

(٥٦) العوالى : صدور الرياح وأعالها ، إلى السنان . الزجاج : فى أسافل الرياح . لهزم : السنان ، واللهزم : الحاد .

(٥٧) التجمجم : التخاذل أو التردد وترك التقدم فى الأمر . يفيض قلبه : أى يفيض . مطمئن البر : خالصه .

(٥٩) الخليفة : الطبيعة أو الصفة الأصلية .

(٦٠) يستحمل الناس : يحملهم أموره ويثقل عليهم من خلالها . أريحل الناس على صيحه .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ٢ )

## مِنْ مَدَائِحِ هَرَمِ

وَقَفَّةٌ بِالْأَطْلَالِ :

- ١ يَقِفُ بِالْدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ      بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
- ٢ لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدَى الْأَيْسُ وَلَا      بِالْدَّارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمُ
- ٣ دَارٌ لَا سَمَاءَ بِالْغَمَرِينَ مَائِلَةٌ      كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرِمُ
- ٤ سَأَلْتُ بِهِمْ قَرَقَرَى ، بِرُكٍّ بِأَيْمُنِهِمْ      فَالْعَالِيَاتُ وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خِيَمَ
- ٥ عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ      فَيَدُ الْقُرَيَاتِ فَالْعِتْكَانُ فَالْكَرَمُ

(١) لم يعفها القدم : أى لم يدرسها الزمن . والمعنى أن من يقف على الديار يتوهم أنها كلها حافية ، أى عنى عليها الزمن فلبيت ، ولكنه سيجد أن بعضها لم يتطرق إليه البلى . الأرواح : الرياح . الديم : جمع ديمة وهى المطر الذى يدم فى سكون بلا برق ولا رعد يوما أو بعض يوم ، أو لمدة أكثر من ذلك قد تصل إلى سبعة أيام .

(٢) بعدى الأيس : أى لم ينزلها من بعدى أنيس فيغير ما أعرف منها . لو كلمت : أى تكلمت بقدر ما يسمع فلم تجب .

(٣) القمران : موضعان . المائل : المتعصب ، أو المذهب الذى لا يرى له شخص . الوحى : الشئ المكتوب ، أو الكتاب . ما بها أرم : ما بها أحد .

(٤) سألت بهم : كثروا بها . قرقرى : موضع بهذا الاسم . برك : مكان بهذا الاسم . بأيمهم : أى عن يمينهم . عن أيسارهم : على شمالهم . العاليات : مواضع مشرفة قرب برك . خيم : اسم جبل . (٥) عوم السفين : أى أن سيرهم فى البر كسباحة السفن فى الماء . فيد القرىات : موضع بهذا الاسم . العتكان والكرم : موضعان آخران .

- ٦ كَانَ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ      وَهَبَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمُّمُ  
٧ غَرَبْتُ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَا قَلْبِي      فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتِهِ النُّظْمُ  
٨ بَلْ قَدْ أَرَاهَا جَمِيعًا غَيْرَ مُقْوِيَةٍ      السَّرُّ مِنْهَا قَوَادِي الْجَفْرِ فَالْهَيْدَمُ  
٩ وَلَا لُكَّانُ وَلَا وَادِي الْغِيَارِ وَلَا      شَرِيقِي سَلْمَى وَلَا قَيْدٌ وَلَا رِمَمُ  
١٠ عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَّتَيْنِ وَقَدْ      زَالَ الْهَمَالِيجُ بِالْفُرْسَانِ وَالْجُحُمُ  
١١ فَاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَهَا دَارًا يَمَانِيَّةً      تَرَعَى الْخَرِيفَ فَأَدْنَى دَارِهَا ظَلَمُ

(٦) السليل : واد بهذا الاسم ؛ وسال بهم تعني أنهم ساروا فيه سيرا سريعا . هبة ما هم : أي أنهم سبب بكائي وربما يقصد أنهم هبة له وإن قربوا . لو أنهم أمم : الأم بين القريب والبعيد ، والمعنى أنه كان يزورهم لكنهم بعدوا .

(٧) غرب : دلو ضخمة . لؤلؤ قلبي : أي لؤلؤ في سلكه لكنه قلبي لم يستقر عندما انقطع الخيط . رباته : صاحبات اللؤلؤ ، ومن اللاتي يقمن بنظمه أي جعله في خيط . النظم : مفردا نظام وهو الخيط ؛ وخان النظم تعني أن النساء فشلن في اتقان عملهن فلم يستقر اللؤلؤ في مكانه على الخيط . والشاعر هنا يشبه دموعه بما يسيل من الدلو من قطرات الماء ، أو بالؤلؤ الذي انقطع من الخيط وتناثر متفرقا .

(٨) بل قد أراها : يقصد أنه يرى الأراضي التي سيرد ذكرها . مقوية : خالية مغلقة . السر والجفر والهدم : أسماء لأماكن ربما تكون أودية .

(٩) لكان : اسم لأرض ، والمعنى هنا أنها لم تكن تحمل بلكان . وادي الغار : موضع بهذا الاسم . سلمى : جبل بهذا الاسم . قيد ورم : أسماء لمواضع أو أماكن ، ويقصد الشاعر أن جميع هذه الأماكن قد خلت من أسماء بعد هجرها .

(١٠) باب القريتين : قرية كانت لعظم وجديس في طريق مكة . زال : مال عن موضعه . الهماليج : فسرت على أنها الإبل ، لأن المسافرين كانوا يجنبون الخيل ويركبون الإبل ؛ وربما تعني الخيل ، ويقصد أنها مالت بهم لأن الجحيم مردودة على الخيل كي تقيدها في السير .

(١١) استبدلت : يتصد أسماء . يمانية : ناحية اليمن . ترعى الخريف : أي ترمي نبت

الخريف : ظلم : اسم لجبل .

## وقفه مع هريم :

- ١٢ إن البخيل ملوم حيث كان ولا  
١٣ هو الجواد الذي يعطيك نائلة  
١٤ وإن أتاه خليل يوم مسألة  
١٥ القائد الخيل منكوبا دوارها  
١٦ كانوا فريقين يصفون الزجاج على  
١٧ وآخرين ترى الماذى عسدتهم  
١٨ هم يضربون حبسك البيض اذ لحقوا
- كن الجواد على ملأيه هريم  
عفوا ويظلم أحيانا فيظلم  
يقول لا غائب مالى ولا حريم  
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم  
فقس الكواهل فى اكتافها شمم  
من نسج داود أو ما أورشتم إرم  
لا ينكلون اذا ما استلحموا وحموا

(١٢) على ملأته : على عسره ويسره .

(١٣) عفوا : أى يعطيك ما سأله سهلا ولا يمن به عليك . يظلم أحيانا : يطلب إليه فى غير موضع الطلب فيحمل ذلك لهم . ويظلم بالتشديد بمعنى يحتمل الظلم ؛ والظلم فى اللغة هو وضع الشئ فى غير محله .  
(١٤) الخليل هنا الفقير . مسألة : سؤال أو مطلب . الحرم : المنوع ، أى أن ماله ليس ممنوعا .  
(١٥) منكوبا دوارها : أى سببت الجسارة الخشنة فى الأرض تآكل دوارها . الشنون : وسط بين السمين والمزبل . الزاهق : السمين . الزهم : كثير الشحم واللحم ، وهو آمن من الزاهق .

(١٦) يصفون الزجاج : يهشون الزجاج للطن ، والزجاج جمع زج وهو الحديدة التى فى أسفل الرمح . فقس الكواهل : مثل معناه أن كواهلها (جمع كاهل) مشرقة كأن بها حدبا ؛ وقفس : جمع أفس وهو الأحذب . شمم : إشراف . يصف الخيل .

(١٧) الماذى : الدروع المبللة البتة ، وكل لين يقال له ماذى . نسج داود : لأن داود كان أول من صنع الدروع . إرم : أمة قديمة وهى عاد ، والعرب تنسب كل قديم إلى عاد . ولا يقصد الشاعر هنا أن إرم هى التى أورشتم الدروع ، بل يقصد أنها دروع قديمة متوارثة .

(١٨) حبسك البيض : طرائقه . والبيض : خوذات الحديد . ينكلون : يجبنون . استلحموا : أدركوا . حموا : غضبوا .

- ١٩ ينظرُ فرسانهم أحرَّ الرئيس وقد  
 ٢٠ يَقسِمُ ثم يُسوَّى القسَمَ بينهم  
 ٢١ فضَّله فوق أقوامٍ ومجَّده  
 ٢٢ قوْدُ الجيادِ وإصهارُ الملوكِ وصَبْدُ  
 ٢٣ يَزِيعُ إِمَّةَ أقوامٍ ذوى حَسَبِ  
 ٢٤ ومن ضَرِيْبَتِهِ التَّقْوَى ويعصمه  
 ٢٥ مورثُ المجدِ لا يفتألُ هِمَّتَهُ  
 ٢٦ كَالِهِنْدُوَانِي لا يُخْزِيكَ مَشْهُدُهُ
- شدَّ السروجَ على أثباجها الحُزْمُ  
 معتدِلُ الحُكْمِ لا هَارٍ ولا هَشِمُ  
 ما لَنْ يَنَالُوا وإن جادُوا وإن كَرُمُوا  
 رُفَى موَاطِنَ لو كانوا بها سَمِمُوا  
 مما تُيسِّرُ أحيانا له الطَّعْمُ  
 من سيِّئِ العَثَرَاتِ اللهُ وَالرَّحِمُ  
 عن الرِّياسَةِ لا عَجْزٌ ولا سَامُ  
 وسطُ السُّيُوفِ إذا ما تُضْرَبُ اليَهِمُ

- (١٩) ينظر : ينتظر . شد السروج : يقصد شد الأحزمة السروج . الأثباج : أثباج الخيل هي أوساطها . يريد أنهم أسرجوا خيالهم تأهباً لأمر رئيسهم بالقتال .  
 (٢٠) هار : هائر ، أى ضعيف لا عقل له . هشم : سريع الانكسار ، والمعنى أنه يعدل عند تقسيبه للقنائم نين أصحابه .  
 (٢١) ما لَنْ يَنَالُوا : أى ما لَنْ يَنَالُوهُ من فضله وقبله ؛ والمعنى أنه فاق الجميع بفضله وإن كان الجميع كراماً .  
 (٢٢) قود : قيادة : إصهار : مصاهرة ؛ والمعنى أنه قال الفضل لقيادته الجياد ومصاهرته لملوك . سئموا : ملوا . فى موطن : الإشارة هنا إلى موطن القتال وصبره وحسن بلائه فيها .  
 (٢٣) إمة أقوام : حالهم الحسنة ؛ والمعنى أنه يزيع نعم أعدائه فتصبح ملكاً له . تيسر : أى القنائم التى تهباله . الطعم : المآكل وكل ما يرزق به الإنسان ؛ وقد تعنى الخراج أو الإتاوة .  
 (٢٤) ضريبتة : طبيعته . يعصمه : يمنعه . الرحم : أى صلة الرحم ؛ والمعنى أن هناك أمرين يعصمانه من العثرات والوقوع فى الزلل وهما الله وصلة الرحم .  
 (٢٥) مورث المجد : أى ليس حديث عهد بالشرف ، بل ورث المجد من آباءه وأجداده . يقال : يقطع همته ويجعلها تفر . السام : الملل .  
 (٢٦) الهندوانى : السيف المنسوب إلى الهند . يخزيك : يذلک ويهينك . اليهم : الجماعة ؛ ويقال للبطل « بهمة » لأنه لا تدرى جهة قتاله . والمعنى أن المدح فى مضائه وحسن تصرفه للأمور كالسيف الهندى عندما تتلاحم الجموع فى القتال .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم



( ٣ )

## من مدائح هريم أيضا

من الأطلال إلى الناقة :

- ١ غَشِيتُ الديار بالبيع فتهمد دَوَارِسَ قد أقوين من أم معبد
- ٢ أَرَبْتُ بها الأرواح كل عِشِيَّة فلم يبق إلا آل خيم مُنْضِد
- ٣ وغير ثلاث كالحمام خوالد وهاب مُحِيل هَامِد متلبّد
- ٤ وقفت بها رَأْد الضحَاء مطيبي أسائل أعلاما ببيداء قَرْدَد
- ٥ فلما رأيت أنها لا تَجِيبُنِي نهضتُ إلى وجنّاء كالفضل جاعِد
- ٦ متى ما اكْلَفُها مفازة منهل قُتِسَعَف أو تُنْهَكَ إليه فتَجْهَد

- (١) غشيت : ارتدت . البيع وتمد : قوضان بناحية المدينة . دوارس : مهبورة بالية .  
(٢) أربت : أقامت . الأرواح : جمع ريح . خيم : جمع خيمة . منضد : بعضه فوق بعض .  
الآل : الأموال التي تبنى عليها الخيام .  
(٣) ثلاث : يقصد الأناث ( المواقد ) الثلاث ؛ شبه لونها بالحمام لأنها سود تضرب إلى القبرة .  
خوالد : مقيّات باقيات . هاب : رماد عليه هبوة أى غبرة مع طول القسدم . محيل : أى أتى عليه  
الحول . هامد : خامد . متلبّد : دملت عليه الأمطار حتى تلبّد والتصق بعضه ببعض .  
(٤) رَأْد الضحَاء : وقت ارتفاع الشمس وانبساط ضوئها ؛ والضحاء هو ارتفاع النهار الأعلى .  
قردد : ما ارتفع وظلّ من الأرض .  
(٥) لا تجيبني : أى أن الديار لا ترد على . وجنّاء : ناقة ضخمة الوجنات . جلعّد : شديدة .  
(٦) مفازة منهل : صحراء بها ماء . تستعف : تعطيك ما عندها عفوا ، أو يؤخذ عفوا ما عندها  
(زيادته) من السير من غير كد . تنهك : أى يبالغ في ضربها لتجهد . تجهد : تتعب .

- ٧ نكسَاء سَفْعَاءِ الْمَلَّاطِمِ حُرَّةٌ      مسافرة مَرْوُودَةٌ أُمٌّ فَرَقْدٌ  
٨ غَدَّتْ بِسِلَاحٍ مِثْلَهُ يُتَّقَى بِهِ      ويؤمن جَاشٌ الْخَائِفِ الْمُتَوَقِّدِ  
٩ وَسَامِعَتَيْنِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا      الى جِذْرِ مَدْلُوكِ الْكُعُوبِ مُحَدِّدِ  
١٠ وَنَاطِرَتَيْنِ تَطْحَرَانِ قَذَاهُمَا      كأنهما مكحولتان بِإِثْمٍ مُدِّ  
١١ طَبَاهَا صَحَاءٌ أَوْ خَلَاءٌ نَخَالِفَتْ      إليه السَّبَاعُ فِي كِنَاسٍ وَمِرْقَدِ  
١٢ تَبَدُّ الْأُلَى يَا تَيْنَهَا مِنْ وَرَائِهَا      وإن تَتَقَدَّمَهَا السَّوَابِقُ تُصْطَدُّ  
١٣ فَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهَا      رأت أَنَّهَا إِنْ تَنْظُرُ النَّبْلُ تُقْصَدُ  
١٤ وَجَدَّتْ فَالْقَتَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَهَا      غُبَارًا كَمَا فَارَتْ دَوَاخِنُ غَرَقَدِ  
١٥ كَانَ دِمَاءُ الْمُؤَسَّدَاتِ بَخِيرَهَا      أَطْبَةً صَرِفٍ فِي قَضِيمٍ مُسَرَّدِ

(٧) نكسَاء : بقرة وحشية ، سفعاء : سوداء في حرة . الملاطم : الحدود ، مَرْوُودَةٌ : مذكورة .  
والفرقد : ولد البقرة ، يشبه فاقته بهذه البقرة الأم .

(٨) بِسِلَاحٍ : يقصد قرنها ، يتقى به : يحمى به من العدو . يؤمن جَاشٌ الْخَائِفِ : يهدى .  
المشاعر المضطربة . المتوقد : الذي اتقد جوفه من الفزع والخوف .

(٩) سَامِعَتَيْنِ : أذنين . العتق : الكرم . جذر : أصل . مَدْلُوكِ الْكُعُوبِ : قروته مَدْلُوكَةٌ أَيْ  
ملساء ، والكعب هو ما بين المقدين في القرن والفتاة . مُحَدِّدِ : أى محدد الرأس .

(١٠) نَاطِرَتَيْنِ : عينين . تطحران : ترميان . القذى : ما يخرج من العين . الإثم : الكحل .

(١١) طَبَاهَا : دعاها . الضعاء : الرعى عند الضحى . خلاء : خلوة . إليه : يقصد إلى ولدها .

خَالِفَتْ : أتت خلفه . الكناس : بيت الظبي في الشجر يستتر فيه من الحر والبرد . مِرْقَدِ : منام .

(١٢) تَبَدُّ : تسبق وتطلب . يَا تَيْنَهَا مِنْ وَرَائِهَا : أى تأتى الكلاب من خلفها . السوابق : أى

الكلاب ، ما سبق منها . تُصْطَدُّ : أى تطمن وتعقر .

(١٣) أَنْقَذَهَا : إن أنظر : إن تنتظر . النَّبْلُ : أى المهاج ، وربما يقصد أصحاب النبال . تُقْصَدُ : تقتل .

(١٤) وَجَدَّتْ : أسرعت . بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَهَا : أى يبينها وبين الكلاب . دَوَاخِنُ : جمع دخان .

الفرقد : شجر له شوك ، وهو كثير الدخان .

(١٥) الْمُؤَسَّدَاتِ : المغريات بالصيد ، وهنا يشبه الشاهر الدماء التي تلتصق بجوارحها بطرائق أديم

أحمر . أَطْبَةً : سيور ، مفردا طبابة ، وهى قطعة من الجلد توضع على طرفي جدار القربة ليحملها السقاء .

الصرف : صفة حمراء تصبغ بها جلود النعال . الْقَضِيمِ : الجلد الأبيض أو الصحيفة . السردة

الخرز في الأديم .

## إلى هــرِم :

١٦. إلى هـرم تهـجيرها ووسـيجـها تـروح من ليل التـمام وتفتـدى  
 ١٧. إلى هـرم سارت ثلاثا من اللوى فتـعمـ مسير الوائق المتعمـد  
 ١٨. سواءً عليه أى حين أتته أساعة نحس تـتقـى أم بأسعد  
 ١٩. أليس بضراب الكـمـاة بسيفه وفكـاكـ أغلال الأسير المقيـد  
 ٢٠. كليث أبى شبلان يحـمى عـرينـه إذا هو لاقى نجدة لم يـعـرد  
 ٢١. وثقل على الأعداء لا يضعونه وحـالـ أثقال ومآوى المـطـرد  
 ٢٢. أليس بفياض يـداه غـمـامة ثـمال اليتامى فى السنين ثـمـد  
 ٢٣. كفضل جواد الخيل يسبق عـفـوه السـراع وإن يجـهـدن يجـهـد ويـبـعد

- (١٦) التهجير : السير فى الهجرة وهى نصف النهار . الوسيج : نوع من سير الإبل السريع : وأول السير الديب ثم العنق ثم الزيد ثم الذيل ثم العسج ثم الوسج . ليل التمام : أطول ما يكون من الليل . تروح : خرج برواح أى خرج بالعشى ، وموعدها من زوال الشمس إلى الليل .  
 (١٧) اللوى : ما انقطع من الرمل ، وهو موضع معروف حيث يلتوى الرمل وينقطع . الوائق : الذى يتق بمسيرته إليه . المتعمد : القاصد .  
 (١٨) سواء عليه : أى لا يتشام بشئ ، سواء أتاه نحس أو سعد .  
 (١٩) الكمـاة : مفرد ما كى ، وهو المرتدى للسلح أو الشجاع المقدام ؛ وسى كيا لأنه يستر نفسه بالدرع أو لأنه يكى شجاعته أى يكتنمها حين الضرورة .  
 (٢٠) الشبلان : يروا الأسد . العرين : يقصد الأجمة . نجدة : قتال . لم يـعـرد : لم يفر .  
 (٢١) ثقل : ثقل . ثقل : لا يضعونه : لا يستطيعون التخلص منه . حال أثقال : أى يتحمل من أمر حشيرته ما يتحمل عليهم من تيمات ومسئوليات . المطرد : المطرود .  
 (٢٢) فياض : يفيض عليهم بكرمه . غمـامة : سحابة . ثـمال اليتامى : الذى يطعم اليتامى وقت الشدة . محمد : محمود .  
 (٢٣) عـفـوه : ما جاءه عفو ، أى ما زاد عن حاجته . السراع : يقصد السراع من الخيل . يجـهـدن : يتعبن ، ويقصد هنا الخيل . يـبـعد : يسبق بعيدا .

- ٢٤ تَقَى نَقِيٌّ لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً      بِنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ  
٢٥ فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ يَمُتْ      وَلَكِنْ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلَدٍ  
٢٦ وَلَكِنْ فِيهِ بَاقِيَاتٌ وَرَائَهُ      فَأَوْرِثْ بَنِيكَ بِمَعْضَاهَا وَتَزُودَ  
٢٧ تَزُودَ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَلِمَ      وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

\* \* \*

- (٩) لم يكثر غنيمة : أى لم يزد أمواله بظلم قرابته والاستيلاء على ما لهم ، ولم يكثر غنائمه بما ينقصه من منافع ذرى قرابته . نهكة : انتفاص . حقلد : بخيل سيء الخلق .  
(١٠) يخلد الناس : أى يجعل الناس خالدين ؛ والمعنى أنه لو كان الفعل المحمود يجعل صاحبه خالداً لخلدك فلك فلم تمت ، ولكنه لا يجعل الإنسان خالداً .  
(١١) باقيات : ما يذكرك به من الشرف بما ورثه من آباءه . يقول له : أورث بعض مكارمك ومحامدك بنيك ، وتزود ببعضها لما بعد موتك ، لأن الموت يلزمه الزاد .  
(١٢) يقول : إن الموت موعد لا بد منه وإن كرهته النفس ، ولذلك ينبغي التزود له .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم

( ٤ )

## من مدائح هـرم أيضا

مقدمة غزلية :

- ١ هل في تذكرايام الصبا قند
  - ٢ أم هل يلامن بك هاج صبرته
  - ٣ أوفى على شريف نشز فازعجه
  - ٤ متى ترى دارحى عهدنا بهم
  - ٥ لهم هوى من هوانا ما يقربنا
  - ٦ إني لما استودعتنى يوم ذى قندم
  - ٧ إن تمس دارهم عنا مباعدة
  - ٨ يا صاحبي أنظرا والغور دونكما
  - ٩ هيات هيات من نجد وساكنه
- أم هل لما فات من أيامه ردد  
بالجر إذ شفه الوجد الذى يجد  
قلب إلى آل سلمى تائق كمد  
حيث التقى الغور من نعان والنجد  
ماتت على قربه الأحشاء والكمد  
راع إذا طال بالمستودع الأمد  
فما الأحبة إلا هم وإن بعدوا  
هل يبدوون لنا فيما نرى الجمد  
من قد أتى دونه البغناء والتمد

(١) القند : الخطأ فى القول والرأى . ردد : مرودة .

(٢) شفه : أسقمه وأرغمه . الوجد : العشق الشديد . الجمر : مكان بهذا الاسم .

(٣) الشرف : المكان العالى . النشز : المرتفع . تائق : مشتاق . كمد : محزون .

(٤) الغور : ما هبط من الأرض . النجد : ما أشرف وارتفع من الأرض .

(٦) ذو قندم : موضع من نواحي المدينة .

(٨) الجمد : جبل فى نجد .

(٩) البغناء : الأرض ذات الرمل والحجارة . التمد : الماء القليل . ويرى الشراح أن البغناء والتمد اسمان لموضعين بينهما .



هــرم وقومه :

- ١٠ إلى ابن سَاسَى سِنَانٍ وَأَيْتِهِ هَيرَم  
١١ عومَ القوادِسِ قفى الأردمُون بها  
١٢ بِفِتية كَسُيوف الهند يَتَعَثَم  
١٣ أقولُ للقوم والأنفاسُ قد بلغت  
١٤ سَبروا إلى خير قيسٍ كلَّها حَسَبا  
١٥ فاستمَطَروا الخيرَ من كَفِّيه لِنَهما  
١٦ مَباركُ البيتِ ميمونٌ تَقِيدُهُ  
١٧ فالناسُ قَوجانَ في معروفه شَرَعُ  
١٨ رَحَبُ الفِناء لو أنَّ الناسَ كلَّهم
- تَجَو باقتادها عِيدِيَّة تَحِد  
إذا تَراى بها المَغْلُولُ الزِيد  
هَمُّ فَكلهم ذو حَاجة يَقد  
دونَ اللّٰها ذِيرانَ لم يَنقُصِ العَدَدُ  
وَمُنْتَهى من يَريدُ المَجْدَ أو يَفِدُ  
بَسِيَّه يَتروى مِنها البُعْدُ  
جَزَلُ المَواهبِ مَنْ يُعطى كَن يَعدُ  
فَنَهم صَادرٌ أو قَارب يَردُ  
حَلُّوا إِلَيهِ إلى أن يَنقُضى الأَبَدُ

(١٠) تنجو : تخرج . الأقتاد : خشب الرجل أو جميع أدواته . عيدة : منسوبة إلى فحل منجب يقال له « عيد » تنسب إليه كرام النجائب من الإبل . تحد : تخرج بخطى واسعة .  
(١١) القوادس : جمع قادم ، وهو السفينة العظيمة ؛ وقيل هو نوع من السفن . الأردمون : جمع أردم وهو الملاح الخاذق الماهر . المغلوب : هو النبات الملتف الذى بلغت شدة التفافه شارباً عظيماً ؛ ويقال اغلوب القوم أى كثروا . الزيد : المزيد . ويقعده الشاعر هنا أن البحر مزيد متلاطم كثير الأمواج .

(١٢) يقد : يشتعل ويقد ، أى يفضى إلى تحقيق غايته بهمة لا تعرف الكلل .  
(١٣) اللها : جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الخلق فى أقصى سقف الفم .  
(١٤) السيب : العطاء والمنح . البعد : البعيد أو القاصى .  
(١٥) ميمون النقية : محمود المختير مبارك النفس ، ينجح فيما يحاول ويظفر بما يروم .  
(١٦) شرع : سواء . الصادر : الراجع عن الماء المنصرف عنه . القارب : طالب الماء .  
(١٧) رحب الفناء : كناية من الكرم . وجواب « لو » فى البيت التالى .

- ١٩ ما زال في سَيِّئه سَجَلٌ يَعْثُومُ  
مادام في الأرض من أوتادها وتَدُ  
٢٠ في الناس للناس أندادٌ وليس له  
فيهم شبيه ولا عدلٌ ولا تدَد  
٢١ لو كان يَخْلُدُ أقوامٌ بمجدهم  
أو ما تقدّم من أيامهم خلّدوا  
٢٢ أو كان يقعدُ فوق الشمس من كرم  
قومٌ بأولهم أو بمجدهم قعدوا  
٢٣ قوم أبوهم سِنَانٌ حين تَنسِبهم  
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا  
٢٤ إنسٌ إذا أمنوا جنٌّ إذا غضبوا  
مرزءون بهاليلٌ إذا جُهِدوا  
٢٥ محسّدون على ما كان من نعيم  
لا يترع الله منهم ماله حسدوا  
٢٦ لو يؤزّنون عِياراً أو مكيالَةً  
مالوا برضوى ولم يعدلهم أحدٌ

(١٩) السيب : المطاء ، وأصله الماء الغزير . والسجل : الدلو الضخمة المملئة بالماء . وأوتاد الأرض : جبالها .

(٢٠) العدل : المثل والنظير . الندد : المثل والشبيه ، وصيغته الشائمة هي التد لا التدد .

(٢٢) الكرم هنا : مكارم الأخلاق .

(٢٤) مرزءون : كرماء . بهاليل : سادة جامعون لكل خير . جهدوا : بذلوا جهداً ومشقة ، أو أصابهم قحط من قلة المطر فتعبوا تعباً شديداً .

\* \* \*

محمد حمدي إبراهيم

( ٥ )

## هَجَائِيَّة

### رحلة الظعائن :

- ١ بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأُورُوا لِمَنْ تَرَكَوْا      وَزَوَّدُوكَ اِشْتِيَاقًا أَيْةً سَلَكَوْا
- ٢ رَدَّ الْقِيَانُ جَمَالَ الْحَيِّ فَأَحْتَمَلُوا      اِلَى الظَّهِيرَةِ أَمْرٌ بَيْنَهُمْ لَيْسَ
- ٣ مَا إِنْ يَكَادُ يُخَلِّيهِمْ لَوِجْهَتِهِمْ      تَخَالِجُ الْأَمْرَ إِنْ الْأَمْرَ مُشْتَرَكُ
- ٤ وَعَرَّسُوا سَاعَةً فِي كُثْبِ أَسْنَمَةٍ      وَمِنْهُمْ بِالْقُسُومِيَّاتِ مُعْتَرَكُ
- ٥ يَغْشَى الْحَدَاةُ بِهِمْ حُرَّ الْكُثِيبِ كَمَا      يُغْشَى السَّفَائِنَ مَوْجَ الْجُبَّةِ الْعَرَكُ

(١) بَانَ الْخَلِيطُ : أَيْ فَارَقَكَ مَخَالِطُكَ فِي الدَّارِ ، أَيْ مِنْ يَجَارِدُونَكَ . لَمْ يَأُورُوا : لَمْ يَرْحُوا .  
زَوَّدُوكَ : زَادُوكَ . أَيْةً سَلَكَوْا : أَيْ أَيْةً جِهَةً سَلَكَوْا فَأَنْتَ مُشْتَاقٌ .

(٢) رَدَّ : أَيْ رَدَّدَنَ الْجَمَالَ مِنَ الْمَرْحَى كَيْ يَجْهَزَهَا اسْتِعْدَادًا لِلرَّحِيلِ . الْقِيَانُ : جَمْعُ قَيْتَةٍ وَهِيَ  
الْأَمَةُ . أَحْتَمَلُوا إِلَى الظَّهِيرَةِ : تَأَخَّرَتْ وَحَلَّتُمْ إِلَى وَقْتِ الظَّهِيرَةِ نَظَرًا لِاخْتِلَافِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ .  
لَيْسَ : مَخْلُطٌ .

(٣) يُخَلِّيهِمْ : يَتْرَكُهُمْ . وَجْهَتِهِمْ : طَرِيقُهُمْ . تَخَالِجُ الْأَمْرَ : الْاِخْتِلَافُ فِي الرَّأْيِ . مُشْتَرَكُ :  
أَيْ لَيْسَ أَمْرًا وَاحِدًا ، لِأَنَّ كُلَّ شَخْصٍ مِنْهُمْ لَهُ رَأْيٌ .

(٤) عَرَّسُوا سَاعَةً : نَزَلُوا سَاعَةً . كُثْبِ أَسْنَمَةٍ : أَكَّةٌ مَعْدُورَةٌ بِقَرَبِ فَلَجٍ . الْقُسُومِيَّاتُ :  
مَوْضِعٌ يَقَعُ عَلَى الْيَمِينِ فِي طَرِيقِ فَلَجٍ . الْمُعْتَرَكُ : مَكَانُ نَزُولِهِمْ ، وَالْمُعْتَرَكُ أَصْلًا مَوْضِعُ الْعَرَاكِ ، وَيُقْصَدُ  
هُنَا أَنَّهُمْ يَمْتَرِكُونَ عِنْدَ مَوْضِعِ نَزُولِهِمْ .

(٥) الْحَدَاةُ : مَنْ يَحْدُونُ الْإِبِلَ . حُرَّ الْكُثِيبِ : الرَّمْلُ الْمُنْبَسِطُ لَا تَرَابَ فِيهِ ، وَهُوَ لَيْنٌ تَقُوسُ فِيهِ  
الْأَقْدَامُ . الْجُبَّةُ : بِلَّةُ الْمَاءِ أَيْ مَغْطَاهُ . الْعَرَكُ : الْبَحَارَةُ أَوْ الْمَلَاخُونَ ؛ مَفْرَدُهَا عَرَكِي ، كَعَرَبٍ  
وَعَرَبِي . وَالْمَعْنَى أَنَّ حَمْلَ الْحَدَاةِ لِلْإِبِلِ عَلَى اقْتِنَاعِ الرَّمَالِ الصَّعْبَةِ مِثْلُ اقْتِنَاعِ الْبَحَارَةِ بِلَّةَ الْبَحْرِ بِالسَّفِينِ .

- ٦ ثم استمروا وقالوا إن مَوَعدكم ماءً بشرقٍ سلمى فيدُ أو رككُ  
 ٧ هل تُلِحِقَنِّي وأصحابي بهم قُلُوصٌ يزجي أوائلها التبغيلُ والرتكُ  
 ٨ مقورةٌ تبارى لا شوار لها إلا القطوعُ على الأكوار والوركُ  
 ٩ وقد أراني أمامَ الحى تمهلنى جرداءُ لا فحجٌ فيها ولا صككُ  
 ١٠ مرًا كفاتًا إذا ما الماءُ أسهلها حتى إذا ضربتُ بالسوطِ تبتركُ  
 ١١ كأنها من قَطَا الأجبابِ حانَ لها وردُ وأفردَ عنها أختها الشبكُ  
 ١٢ جُونِيَّةٌ كحصاةٍ القسمِ مرتعها بالسى ما تُنبتُ القفعاء والحسكُ

- (٦) سلمى : أحد جبل طي. وهما أجأ وسلمى . فيد : نجد قريب من الجبلين المذكورين . ركك : اسم لبنع ماء في هذه الجهة . استمروا : استقام أمرهم فروا أى ساروا .  
 (٧) قُلُوص : جمع قُلوص وهى الفتية من الابل . يزجي : يسوق . التبغيل : نوع من السير تحسن الدابة فيه السير بسرعة ، مأخوذ من مشى البغال . الرتك : مقاربة الخطى في سير الدواب .  
 (٨) مقورة : ضامرة . لا شوار لها : لا متاع عليها ، لأن أصحابها يسرعون كى يلحقوا بالقوم .  
 القطوع : الطنافس التى على الرجل ، وهو ما يوضع على الابل . الأكوار : جمع كور وهو الرجل .  
 الورك : جمع وراك ، وهو ثوب يشد على رجل الدابة ثم يثنى ما يفضل منه كى يدخل تحت الرجل .  
 (٩) الفحج : تباعد ما بين الفخذين وتقارب صدور القدمين . والصكك : اصطكاك العرقوبين . وهما من عيوب الخيل . يصف فرسه .  
 (١٠) مرًا : مرورا . كفاتا : مربعا . الماء أسهلها : أى تنضج بالماء حينما تترك . تبترك : تجتهد في العدو . وهذه من صفات جياذ الخيل .  
 (١١) القطا : طيور . الأجباب : مواضع فيها ماء متجمع . الورد : الماء المورد ، أى الذى يرده الناس . أفرد عنها : جعلها تنفصل عنها لقرعها . الشبك : حيال الصائد .  
 (١٢) الجونية : نوع من طيور القطا . حصاة القسم : هى حصاة يقدر بها الماء في القدح ، ويقسمون بواسطتها الماء على الشاربين عندما يكون قليلا . السى : ما استوى من الأرض . القفعاء : نوع من البقول التى تنبت من تلقاء نفسها دون زراعة . الحسك : ممر نوع آخر من البقول ، وهو غير الحسك الشائك لأن شوكة الحسك تقتل القطاة لو أكلتها .

- ١٣ أهوى لها أسفع الخدين مطرق  
ريش القوادم لم تنصب له الشرك  
١٤ لا شيء أجود منها وهي طيبة  
نفسا بما سوف ينجيها وتترك  
١٥ دون السماء وفوق الأرض قدرهما  
عند الذنابي فلا فوت ولا درك  
١٦ حتى إذا ما هوت كف الغلام لما  
طارث وفي كفّه من ريشها بتك  
١٧ ثم استمرت إلى الوادي فألحها  
منه وقد طمع الأظفار والحنك  
١٨ حتى استغاث بماء لا رشاء له  
من الأباطح في حافاته البرك

## رسالة هجاء :

١٩ هلا سالت بني الصيداء كلهم بأى حبل جوار كنت أمتسك

(١٣) أهوى : هوى أو انقض عليها ، والمعنى أن صقرا أراد أن يفرسها . أسفع الخدين : السفع سواد تعلوه حمرة ، وهو صفة للصقر . مطرق : أى أن ريشه مثبت على بعضه وليس منشرا . القوادم : قوادم الطير هي مقادير ريشه ، وهي عشر في كل جناح ، والقوادم تعنى التى فى المقدمة أو التى نبتت قديما . الشرك : الفخاخ ؛ والمعنى أن الصقر لم يقع فى الشرك ولم يؤخذ فيذل .

(١٤) أجود منها : أسرع منها . طيبة نفسا : واثقة بطيرانها وهي لذلك لا تخرج أقصى ما عندها من سرعة فى الطيران ، مدخرة جهدها لوقت الحاجة . ترك : تدع بعضا من سرعتها لوقت الضرورة . والحديث هنا عن القطاة .

(١٥) دون السماء : أى لم يحلنا فيغيبا فى أجواز الفضاء ولم يصير على الأرض ، فهما بين الأرض والسماء . الذنابي : الذنب ؛ والمعنى أن الصقر قاربها حتى صار عند ذنبها . فلا فوت ولا درك : أى أن القطاة لا تفوته ، وهو لا يدركها .

(١٦) بتك : قطع ، ومفردتها بتكة . والمعنى أن سرعتها فائقة لا تمكن الغلام من الإمساك بها . (١٧) استمرت إلى الوادي : بلأت إلى الوادي لتحتفى بشجره . الأظفار : المخالب . الحنك : المنقار .

(١٨) ماء لا رشاء له : ماء متدفق يخرج من الأرض ويجرى على وجهها . الأباطح : جمع أبطح وهو مسيل الماء الذى لا عمق له . البرك : طيور بيض ، وهي أيضا الضفادع .

(١٩) ينو الصيداء : قوم من بني أسد وهم رعاة الحارث بن ورقاء ، وكان هذا قد أغار على إبل زهير وأخذ عيده ينارا . حبل جوار : رباط جوار ؛ والمعنى أننى كنت لا أستوثق إلا بحبل متين . وهو حبل قومك ، وهو عهد لهم هلكوا حينما غدروا به . الجوار : الذمة والمهد . أمتسك : أتمسك .



- ٢٠ فلن يقولوا بجبل واهن خلق  
 ٢١ يا حار لا أرمين منكم بداهية  
 ٢٢ فأردد يساراً ولا تعنف على ولا  
 ٢٣ ولا تكونن كأفوايم علمتهم  
 ٢٤ طابت نفوسهم عن حق خصمهم  
 ٢٥ تعلم ما لعمر الله ذا قسماً  
 ٢٦ لئن حلت بجوف بني أسد  
 ٢٧ ليأتينك مني منطلق قدع
- لو كان قومك في أسبابه هلكوا  
 لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك  
 تمعك بعرضك إن الغادر الملعك  
 يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا  
 تخافة الشر فارتدوا لما تركوا  
 فأقصد بذرعك وانظرا أين تنسلك  
 في دين عمرو وحالت بيننا فذك  
 باقي كما دنس القبطية الودك

- (٢٠) واهن : ضعيف . خلق : ممزق . في أسبابه : السبب هو الحبل ؛ والمعنى أنه لو تمسك بالحبل الواهن هلك ، ولكن حبله متين محكم .
- (٢١) حار : ترخيم حارث ، وهو الحارث بن ورقاء . سوقة : رهبة .
- (٢٢) لا تمعك : لا تمطل ، لأنك كلما مطلتني أهلكت عرضك . الملعك : المطول أو الماطل ، ومن كانت هذه شيمته كان فداراً .
- (٢٣) يلوون : يكرهون الفعل ويصعب عليهم القيام به . نهكوا : شتموا وانصب عليهم الذم والهجا .
- (٢٤) ارتدوا لما تركوا : أي رجعوا إلى الحق الذي تركوه ومنعوه ، أو ارتدوا إلى إعطاء الحق بعد تركه .
- (٢٥) تعلم ما لعمر الله ذا : والمعنى اعلموا لعمر الله ذا . أقصد بذرعك : أي قدر خطوك ، والذرع هو مقدار الخطوة ، والمعنى لا تتكلف ما لا تطيق مني . تنسلك : الانسلاك هو الدخول في الأمر ، والمعنى لا تزج بنفسك فيما لا يعنيك .
- (٢٦) حلت : نزلت . بجو : واد متسع . دين عمرو : طاعته . فذك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة بالإبل .
- (٢٧) منطلق : قول . قدع : قبيح ، وأقذع أي قال قولاً قبيحاً . باقي كما دنس : أي يبق عليك ذممه كما يبق في الثوب الأبيض . القبطية : الثوب الأبيض ، وتطلق على ثياب الشام الأبيض ، أو هي ثياب بيض رفاق تصنع من كتان مصر .

\* \* \*

محمد حمدي إبراهيم

## المُثَقَّبُ العَبْدِيُّ

\* \* \*

اسمه عائذ بن مُحِصِن بن وائلة بن عدى ... من شعراء الجاهلية القدماء  
زمن عمرو بن هند ، وهو أقدم من النابغة الذبياني ، وأخباره غامضة ، ولم يترجم  
له صاحب الأغانى ، على الرغم من أنه أشهر شعراء قبيلته ، كان سياسيا بارعا  
استطاع إنهاء الخصام بين المناذرة والعبديين ، وكان شاعرا مشهورا منذ نشأته  
في بيئة شعرية مرموقة ، إذ كانت لأسرته مكاتبا بين أمم قبييلة « نكرة » التى  
أنجبت أشهر شعراء العبديين .

وقد أهلتته ظروف النشأة لى يقوم بدوره السياسى فى الصالح القبلى ، ذلك  
أن صفاته الحكيمية يمكن أن ترتد — فى بعض جوانبها — إلى ما ورثه عن جده  
المصلح وأسرة العريقة فى « نكرة » ونسبه الكريم فى عبد القيس . وكما عُرفَ  
المثقب بحكمته عُرفَ أيضا بجوده وكرمه ووفائه بالعهد . ولم يكن المثقب شاعرا  
غزلا ولم تفرد له فى الغزل قصائد خالصة وإن كثر عنده غزل المقدمات الذى  
نجد مثالا منه فى القصيدة النونية التى نحن بصدددها والتى يبدو فيها نائرا مهددا  
بالقطيعة ومصرحا برفضه الخداع والتضليل ، وهو لا يقبل ذلك الخداع بأى  
حال من الأحوال فلو أن يده اليسرى — على حد تصويره — خاتلته لأهملها  
وقطعها وأراح نفسه منها .

وقد اهتم البعض بتعليل كلمة مثقب التى لُقِّبَ بها هذا الشاعر ، فذهب  
السيوطى إلى أن السبب هو بيت الشعر الذى ورد فى قصيدته النونية خاصة أن

هناك شعراء آخرون لقبوا ببیت من الشعر منهم الممزق والمرقش والمسيب ، كما أورد الدكتور طه حسين رأيا في هذه المسألة حين وقف على تحليل معاني مادة ( ثقب ) التي ركز منها على دلالتها على شخصية المثقب الشاعر فهو زعيم قبيلته وصاحب رأى سديد فيها ، وهو مشهور بالنسب شديد المروءة ذو فطنة وذكاء ، وجدير بمن يثقب الوصاوص والبراقع أن يلقب بالمثقب . ووطن المثقب هو البحرين حيث ولد في منازل عبد القيس ، وكانت قبيلته « نكرة » تسكن وسط « القطيف » وما حولها من قرى وأرياف .

وشأن شعراء الجاهلية عامة يبدو تاريخ ميلاد المثقب مجهولا وكذلك تاريخ وفاته ، وإن كان جرجي زيدان قد زعم أن وفاته كانت سنة ٥٢٠ م ، ولكنه عاد بعد ذلك ليحددها بسنة ٥٨٧ م .

وفي نونيته يطلب في مقدمتها من صاحبه ألا تبخل عليه وأن تمتعه قبل الرحيل ، ويسألها وفاء بعهودها معه ، مسجلا أثناء ذلك قدرته على مجازاة القطيعة بثلاثها . وتبدو صاحبه واعدة بمأطلة ، ومخادعة كاذبة ، مما لا يشجعه على التهالك على وصلها إن هي قطعتة .

ثم يقف عند مشهد الظن ليكشف عن طبيعة تجربة الارتجال التي عايشها واقعا حقيقيا تنطلق فيها عواطفه وانفعالاته وحاسه ، فيصور طريق الظمائن ويتتبع سيرها في جوف الصحراء ، ويفصل في تصوير مشهد النساء في هوداجهن ، ويحرص على تحديد الأماكن ليشير من خلالها إلى ذكرياته فيها ويعرض موقفه منها وارتياح نفسه إليها . ولا يكاد المشهد يكتمل حتى يقف الشاعر عند لوحة رسم فيها صورة الإبل وهي تمايل مسرعة في سيرها تمايل السفن عبر أمواج البحار ،

كما يشير في أثناء ذلك إلى الأهداج والرجائز وهي مراكب النساء أيضا وقد زينت  
 بأكسية فائحة ملونة ، وغطيت بكل من ستائر رقيقة لعبته فيها يد فنان ماهر .  
 ويتنزل الشاعر في الفطائن وغطيت ، وما يرتدين من ثياب وما يتحلين به من  
 ذهب لينتقل من هذا المشهد الحسى إلى عدم الاستسلام الكامل لمن ، فيؤثر الرحيل  
 ويستعير له معشوقته الأخرى ، وهي ناقة أصيلة تسلبه همومه ، ويشد بها إعجابه  
 فيصور ضخامة جسمها ، وأصالتها وسرمة سيرها ، وهي تقذف بالحجارة وتضطرم  
 بالحصى الغليظ فتطرده أمامها .

وفي تدريج منطقي طريف ينتهى من عرض مشهد الرحيل الحركى المتنقل إلى  
 تصوير طبيعة المعاناة التى ألمت بها ، من كثرة الأهوال من التعريس ليلا إلى الجهد  
 المستمر والإرهاق الذى تعانیه . وهنا تتداخل ذات الشاعر مع موضوعه حين  
 يتوحد مع ناقته في مشهد الإرهاق والكلال فكلاهما يشتكى الزمن ، وكلاهما  
 يخضع له راضيا أو غير راض .

ويتخذ المثقب من رحلته واسطة انتقال يصل بها إلى بلاط الملك عمرو  
 ابن هند ، فيراه — كما يرى المادحون ممدوحهم دائما — صاحب نجدة ومروءة  
 ولكنه لا يقف كثيرا عند هذا المدح حتى يدخل معه في حوار أو عتاب يتميز  
 بالقسوة ، يريد من خلاله أن يقف على حقيقة الصداقة والعداوة ، وكأنه يصر على  
 تبين حقيقة موقف الملك من قومه العبديين . وقبل الختام يحرص الشاعر على  
 تصوير جهل المرء بما يكتنه له القدر على عادة شعراء العصر الجاهلى ومن جاء بعدهم .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ١ )

## مناجاة وعتاب

- |   |                                       |  |
|---|---------------------------------------|--|
| ١ | أفاطمَ قبلَ بَيْنِكَ مَتَّعْنِي       | ومَنَعِكَ ما سَأَلْتُ كَأَنَّ تَبَيَّنِي |
| ٢ | فَلا تَعْدِي مَواعِدَ كاذِبَاتٍ       | تَمُرُّ بِها رِياحُ الصَّيْفِ دُونِي     |
| ٣ | فَلِمَ نِي لَوْ تُخَالِفُنِي شِمَالِي | خِلَافَكَ ما وَصَلْتُ بِها يَمِينِي      |
| ٤ | إِذا لَقَطَعْتَهَا وَلَقُلْتُ بَيْنِي | كَذلكَ أَجْتَوِي مَنْ يَحْتَوِينِي       |
| ٥ | فَسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بِذاتِ لَوِي    | عُذافِرَةٍ كَمَطَرَقَةِ القُيُوسِ        |
| ٦ | بَصَادِقَةِ الوَجِيفِ كَأَنَّ هَرًّا  | يُبَارِيها وَيأْخُذُ بالوَضِينِ          |
| ٧ | كَسَاها تَامِكًا قَرْدًا عَلَيَّهَا   | سَوَادِي الرُّضِيعِ مَعَ اللَّجِينِ      |
| ٨ | إِذا قَلَقْتُ أَشَدُّ لَهَا سِنًا     | أَمَامَ الزُّورِ مَنْ قَلَقَ الوَضِينِ   |

(٢) رِياحُ الصَّيْفِ مشهورةٌ بِنِبارِها وعدمِ جدواها . خِلَافَكَ : يخالفُكَ . يَحْتَوِيهِ : يَسْتَعْمِلُهُ وَيُفَضِّلُهُ .

(٥) اللَوِي : الشدة . العُذافِرَةُ : الشديدة القُوَّة . القِين : الخِداد .

(٦) الوَجِيف : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ السَّريع . يَبَارِيها : يَسِيرُ مَعها . الوَضِينِ لِلرَّحْلِ يَساوى الحِزامَ لِلسَّرجِ .

(٧) التامِك : المَشْرِفُ الطَوِيل . القَرْد : المَتَلَبِد . السَّوادى : السَّنةُ إلى سَوادِ العِراق . اللَّجِين : ما تَلَجَّنَ أو تَلَزَجَ مِنْ وَرَقٍ أو عَلفٍ .

(٨) السَّنَف : خِيطٌ أو حَبْلٌ دَقِيقٌ مِنَ المَنحَرِ إلى الحِزامِ .



- ٩ كَأَنَّ مَوَاقِعَ التَّفَنُّاتِ مِنْهَا مُعْرِيسَ بَاكِرَاتِ الْوَرْدِ جُونِ  
١٠ يَجِدُ تَنْقُصَ الصُّعْدَاءِ مِنْهَا قُوَى النَّسْعِ الْمَحْرَمِ ذِي الْمُتُونِ  
١١ كَأَنَّ نَفْيَ مَا تَنْفِي يَدَاهَا قَذَافَ غَرِيبَةٍ بِيَدَيَّ مُعِينِ  
١٢ فَالْقَيْتُ الزَّمَامَ لَهَا فَنَامَتْ لَعَادَتِهَا مِنَ السَّدَفِ الْمُسِينِ  
١٣ كَأَنَّ مُنَاخَهَا مُلْقَى بِلِحَامِ عَلَى مَعَزَائِهَا وَمَلَى الْوَجِينِ  
١٤ كَأَنَّ الْكُورَ وَالْأَنْسَاعَ مِنْهَا عَلَى قَرَوَاءَ مَا هِرَّةَ دِهِينِ  
١٥ يُشَقُّ الْمَاءَ جُؤْجُؤُهَا وَيَعْلُو غَوَارِبَ كُلِّ ذِي حَدَبٍ بِطِينِ  
١٦ غَدَّتْ قَروداءَ مُنْشَقًا نَسَاهَا تَجَاسُرُ بِالنَّخَاعِ وَبِالْوَتِينِ  
١٧ إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلَهَا يَلِيلَ تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

- (٩) معرس : مكان التعريس وهو الزول آخر الليل . الجون : السود ، بصور القظا .  
(١٠) يجد : يقطع . الصعداء : النفس المردود الى الجوف . التسع : سير من الجلد . قواء : طاقاته التي ضفر منها . المحرم : الذي دبح ولم يكن . ذو المتون : ذو القوى .  
(١١) المعين : الأجير .  
(١٢) السدف : القيل والسدف النهار أو الضوء . أيضا .  
(١٣) المعزاء : الموضع الكثير الحصى . الوجين : ما قلظ من الأرض وكان فيها ارتفاع .  
(١٤) كور الرجل : خشبه وأداته . الماهرة : السابجة . القرواء : الطويلة الظهر . الدهين : المدهونة .  
(١٥) الجؤجؤ : الصدر . الغوارب : الظهور ، الحدب : ارتفاع الموج . البطن : الراسع يريد الأمواج .  
(١٦) القوداء : الطويلة العنق . انشق نساها : إذا امتلأت وسمنت وانقلقت اللحمتان اللتان في الفخذين فيظهر النسا بينهما . تجاسر : تمضى . سريفة جزئية . الوتين : هرق في القلب .  
(١٧) أرحلها : أضع عليها الرجل . التأوه : إظهار الحزن في صوت خافت مكتوم .

- ١٨ تقول إذا درأت لما وضيئي      أهذا دينه أبداً وديني  
١٩ أكل الدهر حل وأرتحال      أما يبقى هل وما يقيني  
٢٠ فأبقى باطلاً والحد منها      كد كان الدراينة المطين  
٢١ تثبت زمامها ووضعت رجلي      ونمرة رفدت بها يميني  
٢٢ فرحت بها تعارض مسبطاً      هل صحاحه وعلى المتن  
٢٣ إلى عمرو ومن عمرو أنتني      أنى النجدات واللم الرمين  
٢٤ فلما أنت تكون أحي بحق      فأعرف منك غي أو يميني  
٢٥ وإلا فاطرحني واتخذني      عدواً أتقيك وتتقيني  
٢٦ وما أدري إذا يمت أمراً      أريد الخير أيها يليني  
٢٧ أالخير الذي أنا أبتغيه      أم الشر الذي هو يبتغيني

- (١٨) الوضين : يكون بمنزلة الحزام . درأت : مدته وشددت به رحلها . الدين : العادة .  
(٢٠) باطل : سري وراء اللهو والنزل . جدما : انكاشها في السير . الدكان : دكة مبنية  
لجلوس عليها . الدراينة : البوابون . المطين : الذي طلى بالطين .  
(٢١) النمرة : الوصادة - زمامها : الحبل الذي تقاد به . رفدت : وضعتها ومددتها .  
(٢٢) المسبط : الطريق المنهد . الطويل : تعارض : تأخذ في عرضه أو تسير بإزائه .  
الصحاح : ما استوى من الأرض . المتن : ما صلب من الأرض .  
(٢٣) عمرو : يقصد عمرو بن هند الملك . النجدات : الشجاعة والمروءة .  
(٢٥) اطرحني : تجنبنني وأتركني وشأني .  
(٢٦) يمم الأمر : اتجه إليه واتخذ فيه عدته .



( ٢ )

## مَنَاجَاةٌ وَمَذْحُ

وفي مقدمة وجدانية أيضا يتحاور المثقّب مع صاحبه « هند » مصوّراً  
إصرارها على الهجر والقطيعة، وإصراره هو الآخر على الرحيل ليجد في ناقته وسيلة  
عزاء تتحمل معه وعشاء السفر ومشقات الطريق ، وكأنه يتفرد بركوبها وتتفرد  
هي أيضا بقدرتها على مثل هذا الرحيل ، ويستطرد في تصويرها وتصوير معاناته  
في الرحلة مازجاً بين الموقفين، فمن وصف سرعتها ينتقل إلى وصف قلة نومه  
وإرهاقه بما يوازيه من شدة عطشها واستمرارها في السير .

وحين يحسن المثقّب رحلته وصولاً إلى الممدوح ينتقل فنياً إلى الموضوع حيث  
يقف عند شخص النعمان فيفرده في كل صفاته ، فيراه قد تجاوز أفعال أسلافه  
أو أقرانه في رقيها وعزتها ، ويكاد يركز عدسته التصويرية على المشهد الحربي  
الذي يتميز به ممدوحه ، فيستطرد في وصف كتابه بكل أدواته الحربية ، وكأنه  
يبرر انتصاراته في حروبه ، وهي انتصارات لا تخلو — كما صوّر — من هذا  
الحس الإنسان الذي يسيطر عليها ويشيع فيها ، فهو يجمع في بطولاته بين العنف  
الذي تجسده سيوفه وأسلحته المختلفة ، وبين ذلك العفو المعروف عنه في موقفه من  
الأسرى وفك وثاقهم بعد اطمئنانه إلى انتصاره وإحساسه بمركز قومه .

وعلى هذا النحو رسم الشاعر صورتين كبيرتين جعل إحداهما خاصة بموقفه  
من غزله ورحيله ، وأخلص الثانية لممدوحه وإن كان قد ظهر من حين إلى

آخريين أبينتها معنا عن نفسه . ليختمها بالدعاء التقليدي الذي شاع في قصيدة المدح الجاهلية (\*) .

\* \* \*

- ١ ألا إن هندا رث أميس جديدها وضئت وما كان المتاع يؤودها
- ٢ فلو أنها من قبل دامت لبانة على العهد إذ تصطادني وأصيدها
- ٣ ولكنهما ممن يميظ بوده بشاشة أذني خلة يستفيدها
- ٤ أجذك ما يندويك أن رب بلدة إذا الشمس في الأيام طال ركودها
- ٥ وصاحت صواديح النهار وأعرخت لوامع يطوى ريعها وبرودها
- ٦ قطعت بفتلاء اليسدين ذريعة يغول البلاد سؤومها ويريدها

(١) رث : أخلق وبلى من شدة قدمه . جديدها : المقصود هنا جديد وصلها . الضن : البخل . المتاع : ما يتمتع من صاحبه من وصلها . يؤودها : يثقلها ويعجزها .

(بصير صاحب رقد أثرت القطيعة فقارقه بلا وداخ ولو أرادت الوصل لفعلت لأنها لم تكن ممنوعة) .

(٢) اللبانة : الحاجة المرتبطة بشدة الرغبة . على العهد : يقصد لبانة معهوده . يمتنى لو أنها دامت على وصلها حيث كانت تفتنه بمحاسنها ويفتنها بشبابه وحيويته ، وهذه هي حاجته منها كما عهدا من قبل .

(٣) يميظ : يميل . الود : الوصل . الخلة : الصفة الحميدة .

(٤) أى شئ يعلمك أنه رب بلدة من شأنها ما يحكوه ويدينه وقد قطعها . ركودها : ثبوتها .

(٥) الصواديح : الجنادب . الوامع : المراب . الریط . الثياب البيض يشبه بها السراب .

(٦) الفتلاء : المفتولة الذرايع المعصوبتهما . الذريعة : الكثيرة الأخذ من الأرض . يقول

البلاد : يطويها ويذهب بها في السير . السوم : السير السريع الدائم . البريد : شدة السير .

\* \* \*

(\*) تراجع المتعلقات بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون والاستاذ أحمد شاكر .

- ٧ فَبِتُّ وَبَاتَتْ كَالنَّعَامَةِ نَاقَتِي وَبَاتَتْ عَلَيْهَا صَفْتِي وَقُتُودُهَا  
 ٨ وَأَغْضَيْتُ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَّسَتْ عَلَى الثَّفَنَاتِ وَالْجِرَانَ هَجُودُهَا  
 ٩ عَلَى طُرُقٍ عِنْدَ الْأَرَاكِةِ رَبِيَّةٌ تُوَارِي شَرِيمَ الْبَحْرِ وَهُوَ قَمِيدُهَا  
 ١٠ كَانَ جَنِينًا عِنْدَ مَقْعَدِ غَرِزِهَا تَزَاوَلُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَيُرِيدُهَا  
 ١١ تَهَالَكَ مِنْهُ فِي الرِّخَاءِ تَهَالُكًا تَهَالَكَ إِحْدَى الْجُحُونِ حَانَ وَرُودُهَا  
 ١٢ فَتَنَنْتُ مِنْهَا وَالْمَنَاسِمُ تَرْتَمِي بِمَعْزَاءَ شَيْءٍ لَا يُرَدُّ عَنْوَدُهَا  
 ١٣ وَأَيَّقَنْتُ إِنِّي شَاءَ الْإِلَهِ بِأَنِّي سَيَّلَيْتُنِي أَجْلَادُهَا وَقَصِيدُهَا  
 ١٤ فَإِنَّ أَبَا قَابُوسَ عِنْدِي بِلَاؤُهُ جَزَاءَ بِنْعَمِي لَا يَحْصُلُ كُنُودُهَا

(٧) القُتُودُ : خشب الرجل . ( يصور مبيتته مع ناقته ويدل على تفرد بركوب الناقة على الرغم من مخاوف الطريق حتى أن راحته بقيت ليته مرحولة عليها صفت وأفناد رحله ) .

(٨) الإغضاء : كسر العين . التمريس : النزول عند الصباح . الهجود : النوم . الجران : باطن هتق البعير .

الثفنات : الركب وما لمس الأرض منها إذا بركت . ( يصور قلة نومه حتى صار أقل القليل ) .  
 (٩) الأراكاة : موضع . ربة : مجتمعة . توارى : تخاضى . شريم البحر : شاطئه أو ساحله .  
 (١٠) كَانَ جَنِينًا . يقصد هرا مجنوناً . تزاوله عن نفسه : أى تريد أخذه . المزاولة : المخاطلة والمخالطة . يريد هرا : يقصدها . يصور سرعة الناقة في سيرها وكأن هرا يهبها تريد من مرعتها .  
 (١١) التهالك : شدة السير . في الرخاء : يعني استرخاءها في سيرها . الجحون . القطا . ( يشبه ناقته بالقطاة حين ورودها وذلك حين اشتد عطشها فهي لاتألو طيراناً ) .

(١٢) تَنَنْتُ : كففت . المناسم : ح منسم وهو ظفر الخف . المعزاء : الأرض المليئة بصغار الحصى . العنود : المخالف في سيره ، والعود هرا الغبار يأخذ في عرض .

(١٣) أَجْلَادُهَا : جسمها . قصيدها : نخها . أيقنت : تأكدت .

(١٤) أَبُو قَابُوسَ : كنية النمران . عندي بلاؤه : أهزاف فضله . الكنود : الكفور .



- ١٥ رَأَيْتُ زَنَادَ الصَّالِحِينَ تَمَيَّنَهُ قَدِيمًا كَمَا بَدَّ النُّجُومَ سَعُودُهَا  
 ١٦ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ الْجِبَالَ عَصِيَّتَهُ لَجَاءَ بِأَمْرَاسِ الْجِبَالِ يَقُودُهَا  
 ١٧ فَإِنْ تَكُ مِنْهُ فِي عُمَانَ قَبِيلَهُ تَوَاصَتْ بِالْإِجْنَابِ وَطَالَ عُنُودُهَا  
 ١٨ فَقَدْ أَدْرَكَتْهَا الْمُدْرِكَاتُ فَاصْبَحَتْ إِلَى خَيْرٍ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ وَفُودُهَا  
 ١٩ إِلَى مَلِكٍ بَزَّ الْمُلُوكَ فَلَمْ يَسْعَ أَفَاعِيلُهُ حَزْمُ الْمُلُوكِ وَجُودُهَا  
 ٢٠ وَأَيُّ أَنَاسٍ لَا أَبَاحَ بِغَارَةٍ يُوَازِي كُيِّدَاتِ السَّمَاءِ عَمُودُهَا  
 ٢١ وَجَاوَأَ فِيهَا كَوْكَبُ الْمَوْتِ نَخْمَةً يَقْمِصُ بِالْأَرْضِ الْقَضَاءِ وَثِيدُهَا  
 ٢٢ لَهَا فَطَرْتُ يَحْوِي النَّهَابَ كَأَنَّهُ لَوَامِعُ عُقْبَانٍ يَرُوحُ طَبْرِيدُهَا

(١٥) بَدَّ : سبق . السعود : نجم السعد . يرى أن فعال أسلافه قد رفعت درجته في المجده والعزة .

(١٦) الأمراس : الجبال . يقودها : يوجهها ويتحكم فيها .

(١٧) الإجناب : المباعدة والمجانبة . العنود : المخالفة والافتراض .

(١٨) الوفود : ج وفد وهو مأخوذ من الارتفاع ، أوفد على الشيء بمعنى ارتفع عليه .

(يقول إن كان بعض طوائفنا قد فارقت أرضها وهاجرت إلى عمان ، وقد وصت أسلافها بإخلافهم بمجانبة عشائهم فقد ندمت بما فعلت ورجعت إليك ) .

(١٩) يبرز مكانة الملك الذي يحز غيره من الملوك عن أفعاله ووقفوا دون درجته وشأنه . بَزَّ الْمُلُوكَ : فاتهم وتجاوزهم حزما وكرما .

(٢٠) يوازي : يماثل ويحاذى . كييدات السماء : معظم السماء . عمودها : ماسطع من غبارها .

(٢١) الجأواء : الكتيبة التي كثر سلاحها . النخمة : العظيمة . الضخمة وثيدها : شدة رزها . الرز : الصوت . ( يقصد أن الساكن من الأرض يكاد يتزلزل لحركتها وجليلتها ) .

(٢٢) الفطرط : المتقدمون . يحوى : يجمع . طريد العقبان : ما تطرده العقبان . لوامعها : أجنحتها .

- ٢٣ وَامْتَنَ اطْرَافَ الْأَسْنَةِ وَالْقَنَا      يَعْاسِبُ قُودُ كَالشَّانِ خُدُودَهَا  
٢٤ تَنْبُعُ مِنْ أَعْضَادِهَا وَجُلُودَهَا      حَمِيمٌ وَأَضَتْ كَالْجَالِيجِ مُودَهَا  
٢٥ وَطَارَ قُشَارِيُّ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ      نَحَالَةُ أَقْوَاعٍ يَطِيرُ حَصِيدُهَا  
٢٦ بِكُلِّ مَقْصَىٍّ وَكُلِّ صَفِيحَةٍ      تَتَابَعُ بَعْدَ الْحَارِشِيِّ خُدُودَهَا  
٢٧ فَانِمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ      لَدَيْكَ لُكَيْزٌ : كَهْلُهَا وَوَلِيدُهَا  
٢٨ وَأَطْلَقَهُمْ تَمْشِي النِّسَاءُ خَلَالَهُمْ      مُفَكِّكَةً وَسَطَ الرَّحَالِ قِيُودَهَا

- (٢٣) اليعاسيب : الخيل • يعسوب الشيء : أفضله وخيره • القود : الطوال الأعناق • كالشنان خدودها : بصور قلة اللحم في خدودها وهو مستحب في الفرس • الشن : القرية القديمة • اليعاسيب : الكثيرة الجري • يعاسيب قود لا تثنى خدودها : يقصد أنها لا تصرف عن جهتها ولا ترد .  
(٢٤) تنبع : سال • آضت : رجعت وعادت • الحميم : العرق • الجاليج : قرون البقر  
(٢٥) قشارى الحديد : ما تقشر منه أو تطاير عند المقارسة ، والمقارسة هى ونوع السلاح على السلاح • فى المبارزة والقتال •  
الأقواع : الأماكن ليست فيها حجارة ولا حصى ، والقاع : المكان الحر الطين • يشبه ما تقشر من الحديد من حيث الكثرة بالفبار فى القاع •  
(٢٦) مقصى : فرس (الفرس المقصوص الذنب) • الصفيحة : السيف •  
(٢٧) أنعم : فعل أمر أى من عليهم • يقصد عفوه عن الأسرى وفك وثاقهم •  
أبيت اللعن : صيغة دعائية أى أبيت أن تأتى من الأخلاق ما يمكن أن تلام عليه أو تلعن بسببه •

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

\* \* \*

يُنْسَبُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ إِلَى «عِبَاد» الْحَيْرَةِ ، وَهُمْ جَمَاعَاتٌ مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى اجْتَمَعُوا فِي الْحَيْرَةِ وَاسْتَوْطَنُوهَا وَاعْتَنَقُوا الْمَسِيحِيَّةَ ، فَلَقَّبُوا بِهَذَا الْأَسْمِ ، يَرِيدُونَ أَنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ فِي مَقَابِلِ الْعَرَبِ الْوَثْنِيِّينَ .

وَيَنْتَهِي نَسَبُ الشَّاعِرِ إِلَى قَبِيلَةِ تَمِيمٍ ، وَكَانَتْ إِحْدَى هَذِهِ الْقِبَائِلِ الَّتِي تَأَلَّفَتْ مِنْهَا جَمَاعَاتُ «الْعِبَاد» . وَكَانَ جَدُّهُ أَيُّوبُ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَ مِنْ أَسْرَتِهِ بِالْحَيْرَةِ ، فَهَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ مَنَازِلِ قَبِيلَتِهِ بِالْيَمَامَةِ خَوْفًا مِنْ دَمِ أَصَابِهِ فِي قَوْمِهِ . وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَثْبُتَ مَرْكَزَهُ فِي الْحَيْرَةِ ، وَأَنْ يَصِلَ إِلَى مَكَانَةِ مَرْمُوقَةٍ عِنْدَ مَلُوكِهَا .

وُلِدَ عَدِيُّ بِالْحَيْرَةِ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُوَطِّدَ صِلَتَهُ بِمَلُوكِهَا ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ دَوْرٌ فَعَالٌ فِي الْبُلَاطِ الْحَيْرِيِّ . وَاسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ أَنْ يَنْفِذَ إِلَى الْبُلَاطِ الْفَارْسِيِّ فِي الْمَدَائِنِ ، فَعَمِلَ كَاتِبًا وَمُتَرَجِّمًا عِنْدَ كَسْرَى ، وَارْتَفَعَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَهُ ، فَبِعَثَهُ فِي سَفَارَةٍ لَهُ إِلَى قَيْصَرِ الرُّومِ «تِيَارْيُوسِ الثَّانِي» بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَبَعْدَ عَوْدَتِهِ اسْتَأْذَنَ كَسْرَى فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْحَيْرَةِ ، وَهَنَّاكَ مَكثَ سَنِينَ قَضَاهَا فِي الصَّيْدِ وَاللَّهْوِ وَالشَّرَابِ ، مَعَ مِشَارَكَةِ فَعَالَةٍ فِي الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ اسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِهَا — بِمَا كَانَ لَهُ مِنْ تَقْوُذٍ عِنْدَ كَسْرَى — أَنْ يَكُونَ سَبِيحًا فِي وِلَايَةِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ عَلَى الْحَيْرَةِ ، مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ عِدَاوَةَ بَعْضِ خُصُومِهِ السِّيَاسِيِّينَ الَّذِينَ نَجَّحُوا بَعْدَ فِتْرَةٍ فِي إِثَارَةِ النِّعْمَانِ عَلَيْهِ بِدَسَائِسٍ كَادُوهَا لَهُ مُسْتَغْلِبِينَ غِيَابَهُ عَنِ الْحَيْرَةِ عِنْدَ كَسْرَى . وَاحْتَالَ النِّعْمَانُ

حتى أعاده إلى الحيرة لِيُلْقَى به في سجن بقي فيه حتى لقي مصرعه على أيدي رجال النعمان عندما أحس أن كسرى يعمل على إطلاق سراحه . وكان ذلك حوالى سنة ٥٩٠ للميلاد .

ونخرج ابنه زيد للثأر له ، وامتناع في النهاية أن يَشَى بالنعمان عند كسرى وشاية انتهت به إلى أن يلقي مصرعه بأمر كسرى تحت أرجل الفيلة . ويرى المؤرخون أن هذه الحادثة كانت سببا في يوم ذى قار المشهور بين العرب والفرس .

كان مدى ثقافتها تعد بالقياس إلى شعراء عصره شيئا يستحق التسجيل ، ويذكرون عنه أنه ألف كتابا في تاريخ الروم جمع مادته في أثناء رحلته إلى قيصر ، وأن المسعودى المؤرخ المشهور اعتمد عليه في تاريخه . ويذكرون أيضا أنه كان يتقن اللغة الفارسية مما أتاح له أن يعمل مترجما لكسرى ، وأن يكون — كما يذكر صاحب الأغاني — أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى . وبسبب حياته في بلاد فارس ، واتصاله بالبلاط الفارسي ، تعلم الرمي بالشباب ، واشترك في كتيبة الأساورة الرماة ، كما تعلم لعب الفرس بالصوألجة على الخيل ، وعاش حياة على قدر كبير من التحضر شأن أمراء الفرس وأمراء الحيرة .

وقد تركت هذه الحياة الحضارية بصماتها على شعره سواء في لغته أو في صوره الفنية ، فلانت لغته ، وسهل أسلوبه ، ورقت عباراته ، ودخلتها مجموعة من الألفاظ الفارسية ، وظهرت في شعره صور فنية استمد عناصرها من الحياة الحضارية التي كان يحياها ، وإن لم يمنع هذا من أن يظهر في شعره التيار البدوي الذي كان سائدا في عصره ، والذي لم يكن بمستطيع أن ينفصل عنه . كما يظهر

في شعره اتجاهٌ إلى بعض الأوزان الخفيفة التي يقلّ ظهورها عند شعراء البادية ،  
كبحر الرّمل وبحر الخفيف ، ويردّ جرونيانوم انتشار بحر الرمل عند شعراء الحيرة  
إلى مؤثرات فارسية أثرت في العروض العربي ، إذ يرى أنهم استعاروا هذا البحر  
من وزن بهلويّ ، ثم أدخلوا عليه تعديلات تلائم العروض العربي .

ويدور شعر عدى أساسيا حول محورين ارتبطا بظروف حياته ، ففي المرحلة  
الأولى قبل سجنه يدور شعره حول وصف الطبيعة والصيد والخمر والغزل ، وفي  
المرحلة الثانية يفيض شعره بالحزن والأسى والشكوى والعتاب والاعتذار ، ومن  
حين إلى حين نسمع حنيننا إلى ذكريات الماضي السعيد .

ومن بين موضوعات المرحلة الأولى يلمع شعر الخمر الذي نظم فيه أشهر  
قصائده وأطولها ، وهي « القافية » . ويرى بروكلمان أن نحریات عدى هي التي  
وجهت الوليد بن يزيد إلى ابتكاراته في هذا الموضوع ، ويسجل نالينو تشابها بين  
نحریات عدى ونحریات الأعشى . ونظرا لتأخر الأعشى زمنيا فلا شك في أنه تأثر  
به في هذا المجال . وأما موضوعات المرحلة الثانية فيلمع فيها ذلك التفكير في مصير  
الإنسان في الحياة ، وحديث الموت والفناء ، وهو تفكير انتهى به إلى دعوة  
إلى الزهد في الدنيا التي لا بقاء لشيء فيها . وفي رأى نالينو أن قصائده في هذا  
المجال كانت أساسا لشعر الزهد في المصور التالية ، ومثلا احتذاء أبو العتاهية  
وغیره من الشعراء المتأخرين .

\* \* \*

يوسف خليف



( ١ )

## من قصائد المرحلة الأولى

### الخمرة المشهورة

\* \* \*

هذه القصيدة من نتاج المرحلة الأولى في حياة الشاعر، وهي تقع في اثنين وعشرين بيتاً، وتدور كلها — في وحدة موضوعية دقيقة — حول الخمر التي ينفذ إليها من خلال تشبيه ثغر صاحبه بها بعد مقدمة غزلية قصيرة يربطها بموضوع القصيدة الأساسي استهلاكاً بحديث الخمر. فهو يبدؤها بعدال يلومونه على إدمانه الشراب، ويلومونه على حبه، ويمضي بعد ذلك في وصف جمال صاحبه، حتى إذا ما وصل إلى ثغرها، وشبهه بالخمر، انطلق في حديث الخمر حتى نهاية القصيدة. والقصيدة من بحر الخفيف الذي كثر ظهوره عند شعراء الحيرة كما قلنا من قبل.

\* \* \*

- ١ بكر العاذلون في وَضَح الصبِّ      مع يقولون لي : ألا تستفيق ؟
- ٢ ويلومون فيك يا ابنة عبد الله      هـ ، والقلب عندكم موهوق
- ٣ لست أدري إذا كثروا العذل عندي      أعدو يلومني أم صديق ؟

---

(١) وضح الصبح : إشراقه وبياضه . وقوله « الاستفيق » أي من الشراب .

(٢) الموهوق : المشدود ، من الوهق (بفتحين) وهو جبل تشد به الإبل حتى لا تند .

- ٤ أَطِيبُ الطَّيْبِ طِيبٌ أُمَّ عَلَى مِسْكٌ فَاِرٍ وَعَنْبَرٌ مَفْتُوقٌ  
 ٥ خَلَطَتْهُ بَزْتَبَقٌ وَبَيَّانٌ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقٌ  
 ٦ زَانَهَا وَارِدُ الْغَدَائِرِ جَثْلٌ وَأَسْمِلُ عَلَى الْجَبِينِ أَنْيَقُ  
 ٧ وَثَنَايَا كَالْأَفْحَوَانِ عِدَابٌ لَا قِصَارُ كُسْرٍ وَلَا هَنْ رُوقٌ  
 ٨ مُشْرِقَاتٌ تَخَالِهْنَ إِذَا مَا حَانَ مِنْ غَايِرِ النُّجُومِ خُفُوقٌ  
 ٩ بَاكَرْتِهِنَّ قَرَقَفٌ كَدَمِ الْجَمُوحِ فِي تَرِيكَ الْقَدَى كَيْتٌ رَحِيقٌ

(٤) أم على : صاحبه ، ولعلها المرة الوحيدة التي يرد فيها هذا الاسم في الشعر الجاهلي . والفار : والفارة : نايغة المسك أي وعاءه . والمفتوق : الذي شق نصفين حتى تنتشر رائحته . يصف طيب صاحبه بأنه مزيج من عطر المسك والعنبر .

(٥) البان : شجر طيب الرائحة . والأحوى : الأسود الضارب إلى خضرة ، أو الأحمر الضارب إلى سواد . والشريق : المشرق الواضح . يستكمل وصف طيب صاحبه بأنها خلطت هذا المزيج من المسك والعنبر بعطور الزنبق والبان ، و يصف لونه وإشراقه على يديها .

(٦) الغدائر : الضفائر ، ووارد الغدائر : طويها . والجئل : التزير اللين : والأسيل : المنسدل . يصف تحصيل شعرها المنسدل على جبينها . وفي رواية أخرى « عتيق » بدلا من « أنيق » ، والمعنيق : المطر الذي يذوق عطره .

(٧) الثنايا : الأسنان . والأفحوان : زهر أبيض أوراقه مفلجة ، يشبه به الشعراء العرب الأسنان الجبيلة . والكسر : المكسرة . والروق : جمع روقاء ، وهي الأسنان التي تطول ثناياها العليا على السفلى .

(٨) مشرقات : ناصعات البياض . وغار النجم إذا انحدر للغيب . وخفوق النجم : غيابه . يصف عذوبة ثمرها في آخر الليل عندما تأخذ النجوم في الانحدار للغيب مؤذنة باقتراب الصباح . وبقية العورة في البيت التالي .

(٩) القرقف : الخمر الباردة . والقدي : ما يظهر في الشراب من شوائب ، وقوله « تريك القدي » يريد أنها صافية . والكيت : الحمراء الداكنة ، ولذلك يشبهها بلون الدم . والرحيق : المصفاة . تتخيل ثمر صاحبه في آخر الليل كأن نحرًا باردة حمراء صافية مصفاة قد خالطته في الصباح الباكر .

- ١٠ صَانَهَا التَّاجِرُ الْيَهُودِيُّ حَوْلَيْدَ      مِنْ فَاذَكَى مِنْ نَشْرَهَا التَّعْتِيقُ  
 ١١ ثُمَّ فَضَّ الْخَتَامَ عَنْ حَاجِبِ الدِّ      نَّ وَقَامَتْ لَدَى الْيَهُودِيِّ سُوقُ  
 ١٢ فَسَبَّاهَا مِنْهُ أَشْمُ عَزِيزُ      أَرِيحَى غَذَاهُ عَيْشُ رَقِيقُ  
 ١٣ ثُمَّ نَادَوْا إِلَى الصُّبُوحِ فَقَامَتْ      قَيْنَةُ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ  
 ١٤ قَدَّمَتْهُ عَلَى سُلَافٍ كَعِينِ الدِّ      بِكَ صَفْنَى سُلَافَهَا الرَّاوُوقُ  
 ١٥ مُزَّةً قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا      مَرْجَتْ لَدَّ طَعْمَهَا مَنْ يَذُوقُ  
 ١٦ وَطَفَتْ فَوْقَهَا فِقَاقِيعُ كَالِي      يَاقُوتِ حُمُرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ  
 ١٧ قَتَلَتْهُ بِسَيْبٍ أَبْيَضٍ صَافٍ      طَيْبٍ زَانَ مَرْجَهُ التَّصْفِيقُ

(١٠) أَذَكَ : زاد من ذكائها وهو طيب رائحتها . والنشر : الرائحة الطيبة .

(١١) الْخَتَامُ : غطاء الدن الذي أغلقوه به . والدن : زق الخمر . وقوله « قامت لدى اليهودى سوق » يعنى أن اليهودى بدأ يمارس نشاطه التجارى المعروف منه منذ أقدم العصور ، وكأنما تحولت الحانة إلى سوق يمارس فيها مهارته وبراعته فى شؤون البيع والشراء .

(١٢) سَبَّاهَا هُنَا : اشتراها . والأشم : المعتز بنفسه المعتد بشخصيته . والأريحي : الكريم . وقوله « غذاه عيش رقيق » يريد أنه رجل منحصر بعيش فى نعمة من العيش .

(١٣) الصُّبُوحُ : نحر الصباح . والقينة : الجارية المغنية ، ويريد بها هنا الساقية . والإبريق : كلة فارسية معربة .

(١٤) السُّلَافُ : الخمر الجيدة . وقوله « كعين الديك » يريد أنها صافية . والرَّاوُوقُ : المصفاة ، وهى كلة فارسية معربة . وقوله « صفى سلافها الراووق » يريد صفى وحيتها أو عصيرها .

(١٥) مُزَّةٌ : لذيذة الطعم ، صقة للخمر . ومرج الخمر : خلطها بالماء .

(١٦) تَصْفِيقُ الخمر : تحويلها من إناء إلى إناء لتصفو . وفى رواية أخرى « يشيرها التصفيق » أى أن التصفيق يشير هذه الفقايع التى تكسو وجه الشراب .

(١٧) السَّيْبُ : العطاء . والأبيض الصافى هو الماء . وقتل الخمر : مزجها . يقول إنهم مزجوها بالماء ، وأخذوا يحولونها من إناء إلى إناء ليزيدوا من تنقيتها . وفى قافية البيت إبطاء ، وهو تكرار القافية بلفظها ومعناها ، وهو عيب من عيوب القافية فى الشعر العربى ، وظهر هذا العيب فى الشعر الجاهلى يدل على أن هذا الشعر كان ما يزال فى خطواته الأولى على الطريق القفى .

- ١٨ فوق علياء ما يُرام ذراها      يَلْتَبُّ النَّسْرُ فوقها والأَنُوقُ  
 ١٩ ثم كان المِزَاجُ ماءً سحابٍ      لاِصْرَى آجِنٌ ولا مطروقُ  
 ٢٠ أَسْفَلَ حُفٍّ بِالْعِضَاءِ وأَعْلَا      هُ صَفَا يُلْتَبُّ الوَعُولَ زَلُوقُ  
 ٢١ مَسْقَطُ الظِّلِّ مَنْ تَكَنَّفَهُ الحِقْدُ      فُ وتَنَفَّى قَذَاهُ رِيحُ خَرِيقُ

(١٨) العليا : المكان العالي المرتفع . ويلقب : يتعب . والأنوق : العقاب ، أو جارج آخر يشبه النسْر ، ويقول العرب في أمثالهم « أعر من يبيض الأفوق » لأنه لا يضعه إلا في القدم العالية . يصف الماء الصافي الذي مزجت به الخمر ، ويقول إنه ماء كان يبعدها عن أيدي الناس لأنه كان فوق قمة عالية لا يستطيع أحد أن يصل إليها ، حتى النسْر والأنوق يتعبان في الوصول إليها .

(١٩) الصرى : الماء الراكد . والآجن : المتغير طعمه ولونه والمطروق : الذي خوضته الإبل ولوثته . والبيت استمرار في وصف صفاء الماء الذي مزجت به الخمر .

(٢٠) العضاء : شجر شوكة من أشجار البادية . والصفاء : جمع صفاء وهي الصخرة المساء . ويلتب : يتعب . والزلق : الذي تزل قدته القدم ولا تثبت لملاسته . والبيت استمرار آخر في وصف صفاء هذا الماء . يقول إنه في قمة عالية في صخور ملصق تتعب الوعول في الوصول إليها ، وفي أسفل هذه القمة أشجار شائكة أحاطت به ، وشكلت حاجزا طبيعيا يحول دون اقتراب الناس منه .

(٢١) الحقف : الكتيب من الرمل يمتد فيشكل نصف دائرة . وتكنفه : أحاط به . وتنفى قذاه : أي تلقى القذى بعيدا عنه . والخريق : الشديدة كأنها تحرق كل شيء . والبيت استمرار آخر في وصف صفاء الماء . يقول إن كثبان الرمال تحيط بهذا الماء من كل جانب فتعمل على حمايته ، وتلقى ظلالها فوقه فتبقى عليه برودته ، والرياح الشديدة تهب عليه ، فتنفى القذى بعيدا عنه ، فتحفظ عليه صفاءه .



يوسف خليف

( ٢ )

## من قصائد المرحلة الثانية تأملات في سجن النعمان

\* \* \*

هذه القصيدة من نتاج المرحلة الثانية في حياة الشاعر ، وهي تقع في خمسين بيتا ، نظمها مدى وهو في سجن النعمان بن المنذر، وسجل فيها طائفة من تأملاته في الحياة والموت ، فالحياة لاتدوم على حال ، وكل شيء فيها يتغير ويتحول ، والمصير المحتوم في انتظار الجميع ، والموت هو نهاية رحلة الحياة . وهي تأملات تبدأ مباشرة بعد المقدمة التقليدية التي يتحدث فيها عن رحلة الظمائن ، ولعلها محاولة للربط بينها وبين رحلة الحياة نحو وادي الموت الذي تنتهى إليه قوافل البشر قافلة في إثر قافلة ، وكأنه يسقط مشاعره على هذه المقدمة فيبدوها بحديث الوداع ، ثم ينتقل إلى الحديث عن الشيب ، وكأنه يمهّد به لحديث الموت بعد ذلك ، ثم يستطرد منه إلى وصف المطر انطلاقا من تشبيه اشتعال الشيب في الرأس بتوهج البرق في السحاب . ثم يخرج من هذه التأملات الإنسانية العامة المشتركة بين الناس جميعا إلى تأملات ذاتية في المحنة التي يمرّ بها ، فيتحدث عنها وعن صبره عليها ، ويحاول أن يفلسف التجربة التي يعيشها ، حديثا يمتزج فيه الفخر بنفسه والاعتذار للملك ومدحه ، في محاولة لاسترضائه ، وأيضا لتبرئة ساحته من شبهة لا ظل لها من الحقيقة . والقصيدة أيضا من بحر الخفيف الذي كثر تردده في الشعر الجوى .

\* \* \*



- ١ أَرَوَّاحٌ مُودَعٌ أَمُ بُكُورُ لَكَ فَاعْلَمْ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ  
 ٢ إِنْ شُغِلَ الْمُصَابِيَاتُ مِنَ الْأَسَدِ تَارَ طَرْفٍ يُضَيُّ فِيهِ فُتُورُ  
 ٣ زَانَهُنَّ الشُّفُوفُ يَنْضَحْنَ بِالْ بِمَسِكَ وَعَيْشٍ مُفَانِقٍ وَحُرُورُ  
 ٤ كُدُمِي الْعَاجِ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالْ بَيِّضُ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ  
 ٥ لَا تَوَاتِيكَ إِنْ صَحَوْتَ وَإِنْ أَشْ سَرَقَ فِي الْعَارِضِينَ مِنْكَ الْقَتِيرُ  
 ٦ وَابْيَضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذْرَالِ شَرِّ، وَهَلْ بَعْدَهُ لَأَنْسُ نَذِيرُهُ ؟

\* \* \*

- ٧ أَيُّهَا الشَّامْتُ الْمَعِيرُ بِالْ دَهْرُ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ ؟  
 ٨ أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْ أَيَّامِ ؟ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ  
 ٩ مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ مُجِيرُ ؟

(١) الرواح : الخروج في وقت المساء ، مكس البكور . ومودع : أى مودع فيه صاحبه . وحديث الشاعر في مطلع قصيدته عن الوداع ، والرحيل الذي لا يعرف مواعده ، وتقلب الأحوال ، يعكس إحساسه بمحنته ، ويمهد لحديث المصير الذي سيتقل إليه بعد هذه المقدمة .

(٢) المصابيآت : المخاضات اللاتي يقطنن الأمور على غير وجهها . يقول إن شغافهن الشاغل أن يوقعن الرجال في حبن بعيون فائرة يتظنون بها من وراء الأستار التي يحتجبن خلفها .

(٣) الشفوف : الثياب الرقيقة الشفافة . والعيش المفائق : المنعم المترف . والبيت يعكس الجو الحضارى المترف الذى كان الشاعر يعيش فيه في بيئة الحيرة المتحضرة ، وفي ظلال القصر الحيرى المترف .

(٤) البيض هنا هو نبات الكأفة . يشبه صاحباته بتماثيل العاج في محاريب الكنائس ، وبأزهار نبات الكأفة المتفتحة . والبيت يعكس ظلال المسيحية التي كان الشاعر يدين بها هو وطوائف العباد في الحيرة .

(٥) العارضان : الخدان . والقتير : الشيب أو أول ما يظهر منه .

(٦) البيت حديث عن الشيب الذى يشير إليه بابيضاض السواد . وبعد ذلك تأتي الأبيات التي يصف فيها البرق والمطر والسحاب ( ١٢ بيتا ) .

(٧) الموفور : الذى توافرت له أسباب الأمن والسلامة من نواشب الدهر . من هنا يبدأ الحديث عن الموت والحياة ، وتبدأ تأملات الشاعر .

(٩) المنون : المنية أو الدهر ، ومن هاتين الدالتين يجوز تذكر الكلمة وتأنيتها ، كما يجوز معاملة المعاملة المفرد وماملة الجمع .

- ١٠ أين كسرى ، كسرى الملوك أنو  
١١ وبنو الأصفر الملوك ، ملوك ال  
١٢ وأخو الحضير إذ بناء ، وإذ دج  
١٣ شاده ترمرآ ، وخلّاه كد  
١٤ لم يهبه ريب المتون فباد ال  
١٥ وتامل رب الخورنق إذ أش  
١٦ سره ماله وكثرة ما يمد
- شروان ، أم أين قبله سابور ؟  
روم لم يبق منهم مذكور  
للة تجبى إليه والخابور  
سأ ، فلطير في ذراه وكور  
ملك منه قبائه مهجور  
سرف يوما وللهدى تفكير  
ملك والبحر معرضا والسدير

(١٠) كسرى أنوشروان : أحد ملوك الفرس ( ٥٣١ — ٥٧٩ ) . وسابور : امم لعدة ملوك من الفرس ، والمراد به هنا سابور ذوالأكتاف ( ٣١٠ — ٣٧٩ ) .  
(١١) بنو الأصفر : لقب كان العرب يطلقونه على الروم .

(١٢) الحضير : مدينة قديمة كانت قائمة بأرض الجزيرة ما بين دجلة والفرات ، لا يعرف بالضبط مؤسسها ولا زمن تأسيسها . وقد حكمت فيها أسرة عربية لمدة ثلاثة قرون ، وأول حكامها أمير عربي سماه المؤرخون العرب « الساطرون » . وقد أحاطت بها وبخربها أساطير كثيرة يجعلها المؤرخون العرب في كتبهم . والخابور : نهر من روافد الفرات .

(١٣) خلّاه : سد خلّاله ، وهي ما بين أنجاره . والكلس : الجير .

(١٥) الخورنق : قصر كان للنعمان بن المنذر بالحيرة ، وهي كلمة فارسية معربة أصلها « خرنكاه » أى موضع الشراب .

(١٦) البحر هنا هو نهر الفرات الذى كان قصر الخورنق قائما على ضفافه . ومعرضا : أى متسعا . والسدير : قصر آخر للنعمان في الحيرة ، وهي أيضا كلمة فارسية معربة عن « سادلى » أى ذا الشعب الثلاث . والخورنق والسدير تردد ذكرهما في الشعر الجاهلى ، ومن ذلك قول المنخل الشكرى المشهور :

وإذا سكرت فلأننى رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فلأننى رب الشويحة والبعير

- ١٧ فارعوى قلبه، وقال : وما غبّد      حطةً حتى إلى الممات يصير ؟  
 ١٨ ثم بعد الفلاح والمُلك وال      إمّة وارتهم هناك القبور  
 ١٩ ثم أضخّوا كأنهم ورقٌ جفّ (م)      فالوت به الصبا والدبور

\* \* \*

- ٢٠ إن يصبني بعض الأداة فلاوا      ن ضعيف ولا أكب عثور  
 ٢١ غير أن الأيام يغدرن بالمر      ، وفيها الميسور والمعسور  
 ٢٢ فاصبر النفس للخطوب فإن (م)      الدهر يدجو حيناً وحيناً ينير  
 ٢٣ وأنا الناصر الحقيقة إذ أظ      لم يوم تضيق فيه الصدور  
 ٢٤ يوم لا ينفع الراغ ، ولا ين      نفع إلا المشيع النحرير

(١٧) ارعوى قلبه : أنصر عن الجهل والباطل .

(١٨) الفلاح : البقاء . والإمّة : النعمة . والحديث في هذا البيت وفي البيت التالي عن الملوك السابقين الذين تحدث عنهم قبل حديثه من النعمان .

(١٩) ألوت به : ذهبت به . والصبا : ربح شرقية . والدبور : ربح غربية .

(٢٠) الأداة : الأذى البسير . والواق : الضعيف . والأكب : الذي يسقط على وجهه .  
 والعثور : الكثير العثار .

(٢١) يقول إنه لا يضعف أمام ما يصبه به الدهر من أذى ، وإنما يجلد ويتماسك ولا ينهار ، ولكن ماذا يملك أمام الأيام التي من طبيعتها الغدر ، والتي تأتي أحياناً باليسر وأحياناً بالعسر ، والأمر في الحالين لها .

(٢٢) يدجو : يظلم . يقول إن الدهر لا يدوم على حال ، فن طبيعته القلب ، فتارة يظلم وتارة يشرق ويضيء .

(٢٣) الحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحبه ويدافع عنه . يريد به هنا الحق .

(٢٤) الراغ : الفرار والحرب . والمشيع : الجري . والنحرير : الحاذق الماهر المتقن لكل شيء . يريد يوم الحرب والقتال .

- ٢٥ وتقول العداة أودى هدى وعدى بسخط رب أسير  
 ٢٦ ظنة شبت فأملكها القسـم فعداه ، والجبر خير  
 ٢٧ وكلا نابري ساعده بر (م) وربى لى آتى معذور  
 ٢٨ انت ربى لولا تداركه المذ لك باهل العراق ساء العذير  
 ٢٩ ملك يقسم الخزان ، والذم (م) لة قد ردّها وكادت تبور  
 ٣٠ عالم بالذى يريد ، نقي الصـد (م) دير ، عفف ، على جثاه نحور

\* \* \*

- (٢٥) العداة : الأعداء . وأودى : هلك . والرب هنا هو الملك النعمان .  
 (٢٦) الظنة : الشبهة . وشبت : اختلط الأمر فيها . وأملكها هنا بمعنى أكدها . والقسم :  
 الشك . وعداه : تجاوزه . هو هنا يدافع عن نفسه أمام الملك ، ويدفع التهمة التى اتهم بها ، ويعلن  
 أنها مجرد شبهة اختلط الأمر فيها ، وأكدها الشك وسوء الظن ، ولكن الملك تجاوزها بخبرته وتجربته  
 الواسعة .  
 (٢٧) يريد بقوله «ربى» الملك النعمان ، يحاول أن يطمس له العذر فيما فعله به .  
 (٢٨) ساء العذير : أى ساءت الحال . يمدح الملك بأنه يحسن سياسة مملكته ، فلولا تداركه  
 أمور العراق وأهله لساءت الحال .  
 (٢٩) الذمة : الأمان والعهد . وتبور : تهلك . والبيت استمرار فى مدح الملك ، فهو يحسن  
 التصرف فى أموال الدولة ، ويقسمها بالعدل بين الناس ، وقدرد الذمة لأصحابها بعد أن كادت تضيع .  
 (٣٠) الجثا : جمع جثوة بضم الجيم ، وهى تراب كان يجمع ، وتجعل عليه حجارة تتحطم عليها القرابين  
 للآصنام . ونحور : صيغة مبالغة من النحر . والبيت استمرار آخر فى مدح الملك ، فهو يعرف أهدافه  
 ويحددّها ويحرك وفق خطة واضحة أمامه ، وهو نقي الصدر ، عفيف النفس ، متدين يؤدى شعائريته  
 ولا يقصر فيها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## من قصائد المرحلة الثانية سَهَامُ الدَّهْرِ

\* \* \*

تدور الأبيات الثمانية التي تتألف منها هذه المقطوعة حول حديث المصير المحتوم الذي أكره الشاعر الحديث عنه في هذه المرحلة الثانية من حياته ، والذي يعكس إحساسه الحاد بالمحنة التي كان يمرُّ بها ، والتي اتجهت به إلى الزهد في الدنيا والتفكير في الموت . فالموت قَدْرٌ مقدور على الإنسان لا مفرَّ منه ، وهو يقف له بالمرصاد مَصُوبًا إليه سهامه كأنه صيَّاد لاقى غفلةً من صيد أُتِيحَ له فقتله . والموت يقف بين الإنسان وآماله ، ولا يترك له فرصة لتحقيقها ، ومرور الأيام يقربه منه ، فكلُّ يوم يمضى إنما هو في الحقيقة خطوة نحو النهاية التي يدفعنا الدهرُ الموكل بنا نحوها . والأبيات من بحر الرمل الذي كثر دورانه عند شعراء الحيرة .

\* \* \*

- ١ رَبُّ مَأْمُولٍ وَرَاجٍ أَمَلًا      قَدْ ثَنَاهُ الدَّهْرُ عَنْ ذَلِكَ الْأَمَلِ
- ٢ وَفَتَى مِنْ دَوْلَةٍ مُعْجَبَةٍ      سُلِبَتْ عَنْهُ ، وَلِلدَّهْرِ دَوْلٌ

(١) ثناء : صرْفه ورده . يقول إن الدهر يقف بين الإنسان وآماله ، فيرده عنها ويحول بينه وبين تحقيقها ، يستوى في ذلك من يطلب أملاً فهو يسعى إليه ، ومن يعلق الناس عليه آمالهم فهم يسعون إليه .  
(٢) قوله « وللدهر دول » أى أن الدهر متقلب متحول .



- ٣ كيف يرجو المرء قوتاً للردى وهو في الأسباب رهن محتبل  
 ٤ كلما خلف يوماً فمضى زاده ذلك قُرباً للأجل  
 ٥ فوق الدهر إلينا نبلة طلاً يقصدنا بعد نهل  
 ٦ فهو يرمينا ولا نبصره فعل رام رام صيدا فختل  
 ٧ رزق الصيد ولاقى غرة فرمى مستمكناً ثم قتل  
 ٨ فلذاك الدهر مأمور بنا فهو لا يغفل إن شئ غفل

\* \* \*

- (٣) الأسباب : الحبال ، يريد حبال الموت . والمحتبل : الذى وقع فى الحباله وهى شرك العباد .  
 يقول : كيف يرجو الإنسان النجاة من الموت وهو رهن فى حباله ، واقع فى حباله ؟  
 (٥) فوق نبلة : أى صوبه ورى به . والعلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول ، يريد  
 أن حركة الدهر فى طلب الناس متواصلة لا تتوقف .  
 (٦) رام صيدا : أى طلبه . وختله : خادعه ليتمكن من صيده .  
 (٧) رزق الصيد : الضمير المستتر يعود على الرامى . والغرة : الغفلة . يقول إن هذا الرامى أنجح له  
 صيد ، ووجد غفلة منه ، فرماه مستمكناً منه فقتله . ضرب ذلك مثلاً للقدر والإسان .  
 (٨) مأمور بنا : موكل بنا ومكلف لا يغفل عنا .

\* \* \*

يوسف خايف

( ٤ )

## من قصائد المرحلة الثانية منهج المنايا

\*\*\*

ندور هذه المقطوعة التي تتألف من سبعة أبيات حول حديث المصير المحتوم  
أيضا الذي دارت حوله المقطوعة السابقة ، ولكن الشاعر ينظر إلى هذا المصير  
من زاوية أخرى . إنه هنا يتخذ من التاريخ موضوعا للعظة والاعتبار ، ومجالا  
يتحرك فيه ليضرب الأمثال على فناء الحياة الذي بدأ مع بداية الحياة ، فمنذ نُوج  
حتى اليوم ومنهج المنايا واحد لا يختلف ، تسلكه قوافل البشر قافلة في إثر قافلة ،  
ولكن حركتها فوقه لانعرف لها قانونا يضبطها ، فالمریض يموت ، وطبيبہ  
يموت ، وكذلك يموت السليم . ولكن الموت ليس النهاية ، فوراء الموت حياة  
أخرى فيها الوعد وفيها الوعيد . هكذا يصدر الشاعر عن إيمان عميق بالبعث  
انطلاقا من نصرانيته ، على عكس ما نراه عند غيره من الشعراء الوثنيين الذين كانت  
تراءى لهم فكرة البعث فوق تصورهم . والأبيات من بحر الخفيف الذي كثر  
تردده عند شعراء الحيرة .

\*\*\*

- ١ أين أهل الديار من قوم نُوج ؟ ثم عاد من بعدهم وشمود ؟
- ٢ أين آباؤنا ؟ وأين بنوهم ؟ أين آباؤهم ؟ وأين الجدود ؟

(١) عاد : قوم نبي الله هود . وشمود : قوم نبي الله صالح .

- ١٠ ولا تُقوتُ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ  
 ١١ فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بَمَنْقَصَتِي  
 ١٢ وَلَا يَرَى فِي غَيْرِ الصَّبْرِ مَنْقَصَةٌ  
 ١٣ لَوْلَا أَوَاصِرُ قُرْبِي لَسْتَ تُحَفِّظُهَا  
 ١٤ إِذَنْ بَرِيئُكَ بَرِيًّا لَا تُجِبَّارَلَهُ  
 ١٥ أَنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَأْسِي بِذِي غَلَقٍ  
 ١٦ عَفٌّ يُؤْوِسُ إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ  
 ١٧ وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمَنْطَلِقٍ  
 ١٨ عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ  
 ١٩ كُلُّ أَمْرِي رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِيهِ  
 ٢٠ عِنْدِي خَلَائِقُ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ  
 ٢١ يَا رَبُّ تَوْبٌ حَوَاشِيهِ كَأَوْسَطِهِ  
 وَلَا يَنْفِسُكَ فِي الْعَزَاءِ تَكْفِينِي  
 فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يَشْجِينِي  
 وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِينِي  
 وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي حَوْلِي يُعَادِينِي  
 إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفَكُ تَبْرِينِي  
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ  
 دُونًَا فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهُونِ  
 بِالْفَاحِشَاتِ ، وَلَا فَتْكِي بِمَأْمُونٍ  
 تَرَعَى الْخَاضَ وَلَا رَأْيِي بِمَنْبُونٍ  
 وَإِنْ تَخَالَقَ أَحْيَانًا إِلَى حِينٍ  
 وَآخَرُونَ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ دُونِي  
 لَا عَيْبَ فِي الثَّوْبِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ لِينٍ

(١٠) المسغبة : المجاعة والجذب . العزاء : الضيق والشدة .

(١٥) المنون : المقطوع ، أى لا أقطع فضلى عن سائلى ولا أمنه منه .

(١٦) عف : كريم النفس لا يطمع فيما ليس له . الهون : المذلة أو الهوان أو الضعف .

(١٨) ما أمى براعية : أى ليست أمة ويقال إنه عرض به وكان ابن أمة ، أى جارية ترعى الغنم .

عنى إليك ، أى انصرف عني ، فقها ردع وزجر يأمره بأن يضم إليه أمره ولا يتعامل معه . فهو يتأى بنفسه عن التماور معه أو مناقشته لأنه يضيق به .

(١٩) التخلق : الافتعال في التصرف ، وإظهار الإنسان أمام الناس خلاف ما يبطن .

(٢٠) يهور أن عنده ما يرضى الكرام من طيب أخلاقه ومحاسن صفاته ، مما لا يتحقق لدى

الآخرين وكان الصفات الطيبة كلها لا تلتقي إلا في شخصه .

(٢١) يرى بعض الرواة أنه قصد به السيف ، وسماء ثوبا كما يسمى عند البعض عطافا وردا . لأنه

يثوب إليه كل ذى سلاح .

- ٢٢ يوماً شَدَّدْتُ به فرقاءَ قَاهِقَةٍ      يوماً على الدهر تَارَاتِ ثَمَارِي
- ٢٣ لِي ابْنُ عَمٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَبَدٍ      لظَلُّ مُخْتَجِزًا بِالنَّبْلِ يَرْمِي
- ٢٤ إِنِّي أَبِيُّ أَبِيُّ ذُو مُحَافَظَةٍ      وَابْنُ أَبِيُّ أَبِيٍّ مِنْ أَبِيِّ
- ٢٥ وَأَنْتُمْ مَعَشَرُ زَيْدٍ عَلَى مَائَةٍ      فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ كُلًّا فَيَكِيدُونِي
- ٢٦ فَإِنْ عَرَفْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَانْطَلِقُوا      وَإِنْ جَهَلْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَاسْتُونِي
- ٢٧ مَاذَا عَلَى وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي كَرَمٍ      أَلَا أُحِبُّكُمْ إِذَا لَمْ يُحِبُّونِي ؟
- ٢٨ اللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُنِي      وَاللَّهُ يُخْزِيكُمْ عَنِّي وَيُخْزِينِي
- ٢٩ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أُحِبُّكُمْ      وَلَا الْوُكُومُ إِلَّا يُحِبُّونِي
- ٣٠ لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْ شَارِبَكُمْ      وَلَا دِمَاءَكُمْ بِجَمْعَاءَ تَرَوِينِي
- ٣١ قَدْ كُنْتُ أَوَائِكُمْ مَالِي وَأَمْنُكُمْ      وَدَى عَلَى مُنْهَتٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٍ
- ٣٢ لَا يُخْرِجُ الْكُرَّةَ مَنَّى غَيْرُ مَائِيَّةٍ      وَلَا أَلَيْنُ لَيْتَ لَا يَتَغْنَى لِي

(٢٢) به : يقصد بالثوب . الفرقاء : ضربة واسعة القرع وهو القسم . القاهقة : التي تفوق بالدم وتقبيض به . يصور ضربه ذلك المهرى تارة بضربة واسعة يشد عليها ثوب .

(٢٣) الكبد : المشقة . مختجزا : شادا هجزة . يصور ضيق ابن عمه به حتى لم يعد يشغله شاغل إلا رشفه بنباله مهما أجهد الناس من البلاء الذي يبعثهم حتى يصير لكل منهم شأن يشغله عن شأن غيره .

(٢٥) زيد : يقصد أن مددهم قد تجاوز المائة . أجمعوا : عزموا عليه . كلا : جميعا .

(٢٦) يصور شدة العداوة بينه وبينهم وكيف استحكمت ، وهي باقية وإن قاتلوا بينهم وأهلك بعضهم البعض .

(٣٢) مأية من الإياء (مفعلة) . يصور إياءه وكيف أنه لا يقبل أن يعطى شيئا على قسر أو رغم

أنه فإذا ما أكره على الشيء لم يكن عنده إلا هذا الإياء والشموخ رغبة فيه وكرها في الخير .

## يَا هُنْدُ

\*\*\*

- ١ إِنْ كُنْتَ عَاذَلْتِي فِيسِيرِي      نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي
- ٢ لَا تَسْأَلِي عَنِ جُلٍّ مَا      لِي وَانْظُرِي حَسْبِي وَخَيْرِي
- ٣ وَإِذَا الرِّيحُ تَنَكَّشَتْ      بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ
- ٤ أَلْقَيْتَنِي هَشَّ النَّدَى      بِشَرِيحِ قِدْحِي أَوْ شَجِيرِي

\*\*\*

- ٥ وَفَوَارِسٍ كَأَوَارٍ حُرًّا      نَارَ أَحْلَاسِ الذِّكُورِ
- ٦ شَدُّوا دَوَابَرَ بَيْضِهِمْ      فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ
- ٧ وَاسْتَلَامُوا وَتَلَبَّيُوا      إِنْ التَّلَبُّبُ لِلْفِيرِ

(١) لا تحورى : لا ترجعى .

(٢) الخير (بكسر الخاء) : الكرم .

(٣) تنكشت : أسرعت .

(٤) الشريح : أن تشق الخشبة نصفين فيكون أحد الشقين شريح الآخر . الشجير : قدح يكون مع القداح غريباً ، وهو المستعار الذي يتيمن بفوزه . يقول : ألقيتني في هذا الوقت من الشتاء أضرب بقدحي وأستعير قدحا أضرب به في الميسر .

(٥) الأوار : الموج . الأحلاس : جمع حلس وهو كل شيء ولي ظهر الدابة تحت المرج ونحوه .

تقول فلان من أحلاس الخيل أى يلزم ظهورها .

(٦) البيض : فلانس الحديد . دوابرها : مآخيزها . القتير : مسامير الدروع ، وإنما يشدون

للبيض إلى الدروع خشية سقوطها .

(٧) استلاموا : لبسوا اللأمة ، وهي السلاح أو الدرع . تلبوا : لبسوا السلاح كله .



٨ وعلى الجياد المضمرًا      ت فوارس مثلُ الصقور

٩ يخرجن من خلل الغيا      ريجفن بالنعم الكثير

\* \* \*

١٠ أقرت عيني من أول      مك والفوائح بالعبير

١١ يرفلن في المسك الذكي (م) وصائك كدم النحير

١٢ يعكفن مثل أسود ال      تنوم لم تعكف لزور

١٣ ولقد دخلت على الفتا      الخدر في اليوم المطير

١٤ الكاعب الحسناء تر      قل في الدمقس وفي الحرير

١٥ فدفعتها فتدافت      مشى القطاة إلى الغدير

١٦ ولثمها فتنفست      كتنفس الظبي البهير

١٧ قدت وقالت يا منخذ (م) مل ما يجسمك من حرور

١٨ ما شف جسمي غير حب (م) يك فاهدني عن وسيري

١٩ وأحبها      وتحبني      ويحب ناقتها بعيري

\* \* \*

(٩) يجفن : يصرعن ، من الوجيف وهو ضرب مريع من السير . والنعم : الإبل والشاة .

(١٠) العبير : أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران . الفوائح : اللات يفيح منها الطيب .

(١١) الصائك : اللازق ، أراد به الطيب . النحير : المنحور .

(١٢) يعكفن : يمشطن شعرهن ويصفرنه . الأسود : الحيات ، جمع أسود شبه بها الضفائر .  
التنوم : شجر . الزور : الباطل . يريد أنهن عفيفات لا يتزين لريبة .

(١٦) البهير : من « البهر » وهو ما يعترى الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس .

(١٧) الحرور : الحر .

(١٨) شفه : أهزله وأضمه حتى رق .

- ٢٠ يا رَبِّ يَوْمَ لِلنَّخْذِ (٢) لِي قَدْ لَمَّ فِيهِ قَصِيرٌ  
 ٢١ فَاِذَا اَنْتَشَيْتُ فَاِنِّى رَبُّ الْخَوْرَتِقِ وَالسُّدِيرِ  
 ٢٢ وَاِذَا مَحَوْتُ فَاِنِّى رَبُّ الشُّوْبَةِ وَالْبَعِيرِ  
 ٢٣ وَلَقَدْ شَرَيْتُ مِنَ الْمُدَا مَةً بِالْقَلِيلِ وَبِالْكَثِيرِ  
 ٢٤ يَا هِنْدُ مَنْ يَلْتَمِمْ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْاَسِيرِ ۝

(٢١) اَنْتَشَيْتُ : سَكَتَ . الْخَوْرَتِقِ وَالسُّدِيرِ : قَصْرَانِ لِلْمَلِكِ النِّعْمَانِ بِالْحَبِيرَةِ .

(٢٤) الْعَانِي : الْاَسِيرُ .

\* \* \*

سید حنفی

## النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي

\* \* \*

يعد النابغة الذبياني أحد الشعراء الأربعة الكبار الذين يتفق الرواة والباحثون على أنهم أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وأعمقهم أثرا في حركة الشعر فيه ، والثلاثة الآخرون هم امرؤ القيس وزهير والأعشى . ويضعه بعض الرواة بين أصحاب المعلقات العشر .

ويرجع نسبه إلى قبيلة ذبيان الغطفانية التي تنتمي إلى مجموعة قبائل قيس عيلان ، وكانت تنزل في شمالي نجد وشرقي يثرب ، وكان النابغة من أشرف ذبيان وبيوتاتهم الكبيرة .

والنابغة لُقِّبَ لُقْبَ به ، أما اسمه فهو زياد بن معاوية . وقد اختلفت الرواة في تحليل هذا اللقب ، فقالوا إنه لُقِّبَ به لقوله في بعض شعره « فقد نَبَغَتْ لنا منهم شؤونٌ » ، وقالوا لأن موهبته الفنية لم تظهر إلا بعد أن كبر وتقدمت به السن . وفي أغلب الظن أنه لقب به لنبوغه في الشعر وتفوقه فيه .

وكما هو الشأن مع أكثر شعراء الجاهلية ليس من اليسير أن نحدد تاريخ مولده ووفاته ، ولكن من المعروف أنه كان معاصرا لحرب داحس والغبراء التي دارت رحاها بين قبيلته وقبيلة عبس في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي وأوائل السابع ( ٥٦٨ — ٦٠٨ ) ، وإن يكن من الواضح أنه لم يشهد نهايتها التي شهدها زهير ونظم فيها معلقته المشهورة . ومن هنا نستطيع أن نؤكد أنه مات قبل سنة ٦٠٨ ، وربما كان التاريخ الذي ذكره جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » عن سنة وفاته — وهو سنة ٦٠٤ — قريبا إلى الواقع .

ولا نعرف كثيرا عن نشأة النابغة الأولى وشبابه ، وإنما نراه — أول ما نراه — شاعرا كبيرا متصلا ببلاط المناذرة بالحيرة في أيام حكم النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس ( ٥٨٠ — ٦٠٢ ) اتصالا ارتفع به إلى أن يكون الشاعر الأول في بلاطه بين الشعراء الكثيرين الذين كان هذا البلاط يروج بهم . وعاش النابغة في ظل النعمان يمدحه ويُشيد به ، والنعمان يجزل له العطايا والصلوات ، ويبالغ في إكرامه وتقريبه إليه حتى أصبح من ندمائه المقربين إليه في مجالس شرابه . ولكنه — لسبب من الأسباب — اضطر إلى مغادرة الحيرة موليا وجهه شطر الملك عمرو بن الحارث الأصغر ملك الغساسنة بالشام .

وقد اختلف الرواة حول السبب الذي حمل النابغة على مغادرة الحيرة إلى الشام اختلافا كبيرا ، فقالوا إن ذلك يرجع إلى وشايات ودسائس حاكها منافسوه ليفسدوا ما بينه وبين النعمان حتى يخلوهم مكانه ، وقالوا إن ذلك يرجع إلى غضب النعمان عليه بسبب قصيدة وصف فيها المتجردة زوجة النعمان وصفا أثار غيرة المنخل اليشكري الذي كان يهواها ، فسعى لدى النعمان حتى أوغر صدره عليه ، ففر النابغة من الحيرة قبل أن يُوقع به الملك .

ولكن المسألة — في حقيقة أمرها — ترجع إلى أسباب سياسية أكثر مما ترجع إلى أي سبب آخر . فقد حدث أن الملك عمرو بن الحارث ملك الغساسنة أغار على قبيلة ذبيان وحلفائها من بني أسد ، لأنهم تَجَرَّؤوا على بعض المناطق الخصبية التي كان يفرض عليها حمايته في ديار غطفان ، ورعوها بغير إذنه . وسبى الملك كثيرا من نساء ذبيان وأسود ، ويقال إن إحدى بنات النابغة كانت في السبايا ، فرأى النابغة أن يتوسط لقومه عند الملك الغساني . ونجحت سفارة النابغة ، وعفا الملك عن أسرى قومه ، ورد عليهم سباياهم ، فتوالت مدائح النابغة عليه ، وتوالت عطايا

الملك على النابغة . وظل النابغة في بلاط الغساسنة حتى مات الملك ، فرأى أن يعود إلى الحيرة ولكن النعمان كان فاضيا عليه لتوجهه إلى الغساسنة ومدحهم ، فقد كانت بين الإماراتين خصومات سياسية قديمة . ولم يجد النابغة بداً من أن يعتذر إلى النعمان ، فأخذ يبحث إليه بقصائده المشهورة في الأدب العربي بالاعتذاريات ، يوضح فيها موقفه ، ويدافع عن نفسه ، ويرد على وشايات الوشاة وكيد الحاسدين . وأخيرا انتهت الجفوة ، وعاد النابغة إلى البلاط الحيرى ، وظل هناك حتى مات الملك بعد قليل .

\* \* \*

والنابغة من أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وهو قمة شاعرة من قم مدرسة الصنعة الجاهلية . وقد بلغت منزلته الفنية بين شعراء عصره أن ارتضوه حكما بينهم في سوق عكاظ ، حيث كانت تُضرب له قبة حمراء متميزة ، ويأتيه الشعراء من شتى القبائل ليعرضوا عليه شعرهم .

وقد نظم النابغة في كل الموضوعات التي دار فيها الشعر الجاهلي ، ولكن شهرته تقوم أساسيا على موضوعين : المدح والاعتذار . ويجعله النقاد المبتكر الأول لموضوع الاعتذار في الشعر العربي ، وواضع تقاليد الفنية ، كما يجعلونه الشاعر الذي ارتفع به أيضا إلى قمة الرفيعة التي بلغها في العصر الجاهلي . ويأتي بعد هذين الموضوعين موضوع الوصف ، فهو الموضوع الثالث الذي برع فيه ويحجل تفوقا وامتيازاً ، ولكنه لم يكن يفرد له قصائد مستقلة ، وإنما كان يأتي عنده — كما كان يأتي عند غيره من شعراء عصره . — في ثنايا قصائده . ولم يقف النابغة في وصفه عند الصحراء ومناظرها فحسب ، وإنما كان أحيانا يمدّه إلى وصف الحياة المتحضرة التي كان متصلا بها في الحيرة من ناحية ، وفي الشام من ناحية أخرى .



والناطقة — ككل شعراء مدرسة المصنعة — ينظر إلى العمل الفني على أنه مصنعة  
يفرغ لها كما يفرغ الصانع لعمله ، يجوده ويتقنه ، ويظل عاكفا عليه يعيد فيه  
النظر ، ويطيل فيه التفتيش ، حتى يخرج على الصورة الدقيقة المحككة التي يريد  
له ، في أناة شديدة ، وتجويد بالغ ، وحرص واضح على تهذيب عباراته ، وانتقاء  
الفاظه ، وإحكام صوره . ومع أنه في لغته كسائر شعراء عصره غرابة وبداعة ،  
فإن اتصاله الطويل بالحياة الحضارية في الحيرة والشام أكسبه ذوقا رقيقا مرهفا  
في انتقاء الأنفاظ لعباراته ، واختيار الأوضاع والزوايا لصوره ، كما طبع شعره  
في غير قليل من جوانبه بطابع حضارى ، ونشرفيه غير قليل من الأفكار والصور  
المسيحية ، وبخاصة في قصائده التي نظمها في أمراء القساسة الذين كانوا يدينون  
بالمسيحية .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## مِن المَدْح الحَرْبِيِّ

\* \* \*

ومن الصور المدحجية التي عُرف بها النابغة وعُرفت عنه ما صاغه في تلك القصيدة البائية التي رسم فيها لوحة فنية أساسها الطابع الحربي في شخص ممدوحه الحارث الغساني ، وعلى عادة شعراء المدح ، وهو واحد من المؤسسين لهذا الفن على سبيل الاعتراف والتكسب ، بدأ البائية بحديث بك يشكو فيه إلى أميمة طول ليله الذي لم يعد يشف إلا عن تلك المعاناة ، وذلك الألم والهم الذي تكاثر عليه ، حتى ضاق به ، وكأن الأمل قد انقطع إزاء انقضاء هذا الليل .

وهو ينتهي من هذا الحديث الوجداني الذي يسقط من خلاله همومه وآلامه لينطلق إلى ممدوحه ، معترفا بفضله ونعمته عليه ، مؤكدا هذا الاعتراف بصيغ قسمية يصل بها بين حديث الاعتراف وحديث المدح الحربي الذي يؤصل فيه لنسب ممدوحه ، وسيادته في قومه ، مما يترتب عليه ثقته المطلقة في انتصاره على أعدائه ، وهو انتصار لا يتأتى له إلا بقوة جيشه ، من جند يتمتعون بأصالة الانتماء التي يتمتع بها ممدوحه ، إلى خيول عربية لا يشك أحد في أصالتها وصفوة نسبها ، إلى سيوف ورماح دقيقة الصنع كأنها لم تكن إلا لهؤلاء القوم فقط ، وهي ليست جديدة عليهم ، ولكنها عريقة النسب بنفس الصورة التي يضيفها عليهم النابغة ، وقد أثرت عراقة نسبها في صلابتها وقوتها ، فهي موروثه عبر أيام طوال لم تشهد في تلك السيوف عيبا

واحدا إلا ذلك التكسر الذى ينم عن شئ واحد ، هو كثرة كائنة فيمن أصيب بها من أعداء الممدوح ، وحسبها هذا التكسر أصالة ورمزا لقوتها وقوة الممدوح على السواء .

\* \* \*

- ١ كَلْبَنِي لِمَ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ      وَلِبِلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ
- ٢ تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بُمُنْقِضٍ      وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَوْبٍ
- ٣ وَصَدِيرُ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَمٌّ      تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
- ٤ عَلَى لَعْمَرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ      لَوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ
- ٥ حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَشْنُوِيَةٍ      وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
- ٦ لَيْتَن كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ : قَبْرٌ يَجْلِقُ      وَقَبْرٌ بِصَيْدَاءَ الَّتِي هُنْدَ حَارِبِ
- ٧ وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدٌ قَوْمِهِ      لِيَلْتَمِسَنَّ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ
- ٨ وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِنْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ      كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ

(١) كلبني : دمي واركبني . ناصب : متعب ومرهق . أقاسيه : أقالم منه . تطاول : زاد في طوله نتيجة الحزن والمكابدة .

(٢) منقض : منته . يرعى النجوم : يقصد الصبح ( يشبه براعى الإبل يحتمل على السير ) .

(٣) أراخ : أرجع ورد . عازب : شارد أو بعيد .

(٤) غير ذى مشنوية : يقصد يمينا صادقة لا يشوبها كذب .

(٥) جلقي : دمشق . صيداء : مدينة بالشام .

(٦) الحارث الجفني : هو والد الممدوح نسبة إلى آل جفنة وهم القساسة . دار المحارب : دار الخصم الذى يحاربه .

(٧) الأشائب : ج أشابة وهم الأخلاط الذين لا يجمعهم نسب أو قرابة . دنيا : يقصد الأقرين .

(٨) عمرو بن عامر : من الأزود وهم أقارب القساسة .

- ٩ بنو عمه دُنْيَا وعمرو بن عامر  
 ١٠ إذا ما غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ  
 ١١ يَصَا نِعْنُهُمْ حَتَّى يُغِيرَ مُقَارَهُمْ  
 ١٢ تَرَاهُنَّ خَلَقَ الْقَوْمَ نُحُزْرًا عِيُونُهَا  
 ١٣ جَوَانِحَ قَدْ أَيقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ  
 ١٤ لَهْنٌ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفَتْهَا  
 ١٥ عَلَى عَارِفَاتِ الطَّعَانِ عَوَائِسُ  
 ١٦ إِذَا اسْتَنْزَلُوا لِلطَّنِّ عَنْهُمْ أَرْقَلُوا  
 أولئك قومٌ بأسهم غيرُ كاذِبٍ  
 عصائبٌ طَيْرٌ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ  
 من الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ  
 جلوسُ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ  
 إِذَا مَا اتَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ غَالِبِ  
 إِذَا عُرِضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَائِبِ  
 يَهِنٌ كُلُّوْمٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ  
 إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالُ الْجَمَالِ الْمَصَابِ

( ٩ ) العصائب ج عصابة وهي الجماعة . تهتدي : تسير متتابعة تهتدي كل مجموعة بالأخرى التي تسير أمامها .

( ١١ ) الضاريات : المتعودات المولات . الدوارب : المتدربات المتعربات .

( ١٢ ) المراتب ج مرتبات وهو ثوب لونه كلون الأرنب . نخزرا : ج نخزراء وهي ضيقة العين أو التي تقبض أجفانها لتحديد النظر .

( ١٣ ) جوانح : مائلات للوقوع . قبيلة : جمعه وجيشه . مرض : وضع بالعرض .

( ١٤ ) الخطي : المنسوب إلى بلد الخط في البحرين وقد اشتهرت بصنع الرماح الجيدة . الكواكب ج كائبة وهي الجزء الذي يقع أمام المريج من جسم القمر .

( ١٥ ) عارفات : خيول صابرة قادرة على تحمل طعان الأعداء . الطعان : الضرب بالرمح . عوايس : يسدو على وجهها الغضب . الكلوم : الجاروح . الجالب : اليابس الذي نشأت عليه قشرة .

( ١٦ ) استنزلوا : اضطروا إلى النزول . أرقلوا : أسرهم . المصاب : الجمال القوية الشديدة . المني : الموت .

- ١٧ فهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ      بِأَيْدِيهِمْ يُبِضُّ رِقَاقُ الْمَضَارِبِ  
 ١٨ يَطِيرُ فِضَاضًا بَيْنَهُمْ كُلُّ قَوْنَسٍ      وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فِرَاشُ الْحَوَاجِبِ  
 ١٩ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ      بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
 ٢٠ تُورَثَنَّ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ      إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرَّبَنَّ كُلُّ النَّجَارِبِ

(١٧) يتساقون : يسق بعضهم بعضا . البيض : السيوف . المضارب ج . مضرب وهو حد السيف .  
 رقاق المضارب : يكتنى بها عن حدة السيوف .

(١٨) فضاضا : متفرقا . القونس : أعل الخوذة ( البيضة ) . فراش الحواجب : أراد فراش  
 المحجبة وهي العظام الرقيقة في أسفل الجمجمة .

(١٩) الفلول : جمع قل وهو الكمر في حد السيف . القراع : المضاربة بالسيوف .

(٢٠) يوم حليمة : بين المنذر الثالث ملك الحيرة وبين الحارث بن جبلة ملك الغساسنة والد حليمة  
 التي كان يقال إنها كانت من أجل نساء العصر الجاهلي .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



( ٢ )

## المتجرّدة

\* \* \*

قال يصف المتجرّدة، وكان في بعض دخلاته على النعمان قد فاجأته فسقط  
نصيفها عنها ، فغطّت وجهها بمعصمها ، فقال النابغة وكنى عنها :

- ١ أَمِنْ آلِ مِيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُقْتَدٍ عَجْلَانِ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزْوَدٍ
- ٢ أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزُولُ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَنَدٍ
- ٣ زَعَمَ الْغُرَابُ بَأَنَّ رَحَلَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ تَنْعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
- ٤ لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحْبَةِ فِي غَدٍ
- ٥ حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تَوَدِّعْ مَهْدَدًا وَالصَّبِيحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعَدِي

(١) يخاطب الشاعر نفسه فيقول : أرائح أنت من آل مية أو مقتد ، أى أروح اليوم أم تقتدى غدا . وقوله : (عجلان) من العجلة . وقوله : (ذا زاد وغير مزود) ، يريد أروح زودت أم لم تزود ، وأراد بالزاد ما كان من تحية ورد سلام ووداع ونحو ذلك .

(٢) (أفد الترحل) : أى دنا الرحيل وقرب . (وكان قد) : أى قد زالت لقرب وقت زوالها ودنوه .

(٣) (زعم الغراب) : يعنى أن الغراب نعب فأندب بالرحيل ، وكانوا يتطيرون به ، ويسمونه حاتما ؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق . والرحلة : الارتحال . والنعاب والنعيب أن يصوت ويمد عنقه . (٥) مهدد : اسم جارية ، ويحتمل أن يريد بها (مئة) ، وقد يسمون المرأة فى أشعارهم باسمين وأكثر من ذلك ؛ اتساعا ومجازا . وقوله : (والصبح والإساء منها موعدى) ، أى لا موعده يبنى وبينها يكون فيه اجتماع إلى آخر الدهر ، وكنى بالصبح والإساء عن مدة الدهر ، ولم يرد صبحا معينا ولا إساء مخصوصا ، وهذا كما تقول : موعده اجتماعنا الأبد ، والليل والنهار ، تريد آخر الدهر .

- ٦ في إثر غانية رمتك بسهمها فإصاب قلبك غير أن لم تقصد  
 ٧ غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد  
 ٨ ولقد أصاب فؤاده من حبها عن ظهر مرنان بسهم مصرد  
 ٩ نظرت بمقلة شادن متربب أحوى أحسم المقلتين مقلد  
 ١٠ والنظم في سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

(٦) (في إثر غانية) ، أى حان الرحيل بعد أن عرضت لك هذه الجارية ورمتك بسهمها ،  
 أى أودعت قلبك حبها . والغانية : التى غنيت بجمالها . وقوله : ( غير أن لم تقصد ) ، أى لم تهلك  
 حين رمتك فتسريح ، يقال : رماء فأقصده ، إذا قتله .

(٧) ( غنيت بذلك ) ، أى أقامت وعاشت بما أودعتك من حبها . ( إذ هم لك جيرة ) ، يريد  
 إذ كان حيه وحيا متجاورين في زمن الربيع ، فكانت تعرض له ، وتطف عليه الرسائل ، وتودد  
 إليه . وقوله : ( بعطف رسالة ) ، أى أقامت بذلك مع عطف الرسائل . والباء بدل من ( مع ) .  
 وقوله ( منها ) ، أراد بعطف رسالة منها .

(٨) ( ولقد أصاب فؤاده ) ، يريد ولقد أصاب ذلك المسم الذى رمت به من حبها بسهم  
 مصرد ، أى أصابه من نفسه بسهم مصرد نافذ . يقول : لقد أصابه هذا الأمر بأمر منكر شديد .  
 والمرنان : مفعال من الرنين ، وهو صوت القوس عند الرى ، يريد رمتنا عن ظهر قوس ، يريد عند  
 الرى ؛ لشدة وثرها ، وذلك أنفذ للمهم . والمصرد : المقلد . ويقال : صرد السهم ، وأصردته أنا ،  
 إذا أنفذته .

(٩) الشادن من أولاد الغباء : الذى قد شذن وقوى على المشى . والمتربب : المهبوس في  
 البيت ، الحزين . والأحوى : الذى به خططان سوداوان وكذلك الغباء . والمقلد : الذى زين بالحلى  
 وقلائد اللؤلؤ ؛ شبه بالغزال ربه الجوارى وزينته ، يحسن عينها وسوادها ، وطول عنقها ، ووصف  
 الغزال بما يزيد في حسنه من جعل الحلى عليه ؛ ليكون ذلك أبلغ في التشبيه . والأحم : الأسود .

(١٠) ( والنظم في سلك ) ، يصف أنها ذات نعمة وحلى . والنظم : اسم المنظوم . والسلك :  
 خيط النظام . وقوله : ( ذهب ) تفسير للنظم . والشهاب : النار ؛ شبه الذهب به ، في بريقه .

- ١١ صفراء كالسِّيرَاءِ أَكَلْ خَلْقُهَا      كالغصن في غُلَوَائِهِ المتأود  
 ١٢ والبطن ذُو عُكْنٍ لَطِيفٌ طَيْبُهُ      والنحرُ تَنْفُجُهُ بَشْدِي مُقَعَّدُ  
 ١٣ مَخْطُوطَةٌ الْمُتَنِينِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ      رِيًّا الرَوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ  
 ١٤ قَامَتْ تَرَأَى بَيْنَ تَجَفَّى كَلَّةِ      كالشمس يومَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ  
 ١٥ أَوْدُرِيَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاصُهَا      بِهِجٌ مَتَى يَرَاهَا يَهْلُ وَيَسْجُدُ  
 ١٦ أَوْدُمِيَّةٌ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ      بُنِيَتْ بِأَجْرٍ يُشَادُ وَقِرْمَدُ

(١١) قوله : ( صفراء ) يعني أنها تطل بالزعفران ، وتنطيب به ، وصفها بالنعمة . والسيراء : الحرية الصفراء ؛ شبهها بها لصفرة الطيب ، وللين بشرتها ولطافتها . والغلواء : ارتفاع الغصن ونماؤه . والمتأود : المتنى ؛ لطوله ونعمته ، وشبهها به لكامل طولها ونعمتها وتنبها .  
 (١٢) ( والبطن ذوعكن ) ، أى موهففة خميصة البطن ، ولو كانت مفاضة عظيمة لم يكن لها عكن . و ( النحر تنفجه ) ، أى تليه وترفعه ، و ( ندى مقعد ) ، أى نأى على النحر أو قاهد لم ينتن بعد .  
 (١٣) قال الأصمعي : ( مخطوطة ) ، أى ملساء الظهر غير متقبضة الجلد ؛ لأن الظهر أوسع الجسد تقبضا . والمفاضة : الواسعة البطن . و ( الريا ) المتلثة ؛ وأصله من رى الماء . والبطنة : الناعمة البيضاء . والمتجرد : الجسم المجرد ، أى إذا جردتها رأيتها بضة الجسم ناعمة . والمتنان : لحمنا الظهر عن يمين الفقار وشماله .

(١٤) قوله : ( قامت ترأى ) ، أى تعرض لنا تقسم وتظهر . والسجف : الستر المشقوق الوسط ؛ وشبهها بالشمس لإشراقها وحسنها . وجعل طلوع الشمس بالأسعد ( برج الحمل ) ليكون ذلك أتم للتشبيه ، وأبلغ في الوصف .

(١٥) الصدف : المحار ؛ ونسب الدرة إليه . والبهج : الفرح المسرور بهذه الدرة لنفاستها . وقوله : ( يهل ويسجد ) ، أى يرفع صوته بالحمد لله والثناء ، ويسجد له شكرا لما وهبه منها . وشبه المرأة بالدرة في صفاتها ورقة بشرتها .

(١٦) قوله : ( أودمية من مرمر ) ، الدمية : التمثال والصورة . والمرمر : الرخام . وقوله : ( يشاد ) ، يبنى ويرفع بالشيد ، وهو الجص . والقرمد : نحزف مطبوخ مثل الآبر ؛ شبه المرأة بصورة رخام لها قاعدة رفعت عليها ؛ وذلك أصون لها ، وأبهى لمنظرها .

- ١٧ سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرَدِّ إِسْقَاطُهُ      فَنَسَاوَلْتُهُ وَاتَّقَنَّا بِالْيَدِ  
 ١٨ بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ. كَأَنَّ بِنَانَهُ      عَنَّمْ عَلَى أَشْجَارِهِ لم يُعْقَدِ  
 ١٩ نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لم تَقْضِهَا      نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعَوْدِ  
 ٢٠ تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةِ أَيْكَةٍ      بَرَدًا أَسِفٌ لِثَانَهُ بِالْإِثْمِ  
 ٢١ كَالْأَقْوَانِ غَدَاةً غَبَّ مِمَّائِهِ      جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى

(١٧) النصف : نصف نهار أو نصف ثوب ؛ يصف أنه فاجأها فسقط نصيفها ، ففطت وجهها بمصها .

(١٨) قوله : ( بمخضب رخص ) ، أى اتقنا بمصم مخضب أو بمصو مخضب ، يعنى كفها . والبنان : الأصابع المخضوبة . والعنم : شجر أحر الثمر ينبت في جوف السمر ( الشجر ) أشبه شئ بالأصابع المخضوبة . و ( عنم على أشجاره لم يعقد ) أى هو ابن مرسل غير معقود .

(١٩) يقول : نظرت إليك نظرا ضعيفا لا تقدر معه على الكلام ، أى نظرت نظرا خائف مراقب ، وأرادت كلامك — وهو حاجتها — فلم تقدر على ذلك ، خشية الرقباء ؛ ومثله قول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة محزون ولم تتكلم

وقوله : ( لم تقضها ) ، يعنى المرأة لم تقدر على الكلام مخافة أهلها ، فهى كالسقيم الذى ينظر إلى من يعود بطرف فاتر ضعيف ، ولا يقدر على الكلام .

(٢٠) قوله : ( تجلّو بقادمتي حمامة ) ، يقول : إذا تبسمت كشفت عن أسنان كأنها برد ؛ لبياضها وصفائها . والقادمتان : الريشتان اللتان في مقدمتي الجناحين ؛ يعنى أن في شفئها لعا وحوه ، وهو سمرة في الشفتين ، وهما لطيفتان براقتان ؛ فشبههما بالقادمتين لذلك . وأراد بالحمامة القمرية ؛ رخص القادمتين لأنهما أشد سوادا من سائر الريش . وقوله : ( أسف لثاته ) ، أى ذر الإثمد على لثاتها .

(٢١) الأقوان : نبت له نور أبيض وسطه أصفر ؛ فشبه الأسنان بياض ورقه . وقوله : ( غداة غب ميمائه ) ، السماء : المطر . وغب الشئ : بسله . وقوله : ( جفت أعاليه ) ، أى مطر ليلا فنحى المطر ما عليه من الغبار ، وصفا لونه ، ثم جف الماء من أعلاه ؛ فاشتد بياضه وحسن ، وارتوى أصله من ذلك المطر ، فغذى أعلاه فاشتد بياضه .

- ٢٢ زَعَمَ الْهَمَامُ بَأْسَ فَاهَا بَارِدٌ      عَذِبٌ مُقْبِلُهُ شَهْيُ الْمَوْرِدِ  
 ٢٣ زَعَمَ الْهَمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - أَنَّهُ      عَذِبٌ إِذَا مَا ذُقْتَهُ قَلَتْ : اَزْدَدِ  
 ٢٤ زَعَمَ الْهَمَامُ - وَلَمْ أَذُقْهُ - أَنَّهُ      يُشْفَى بِرِيَا رِيْقِهَا الْعَطَشُ الْعَصْدِي  
 ٢٥ أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهُ فَتَنَظَّمَتْ      مِنْ لَوْلُؤٍ مُتَابِعٍ مُتَسَرِّدِ  
 ٢٦ لَو أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ      عَبَدَ الْإِلَهَ صَرُورَةً مُتَعَبِّدِ  
 ٢٧ لَرْنَا لِرُؤْيَيْهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا      وَنَحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ  
 ٢٨ بِتَكْلِيمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ      لَدَنَتْ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الْمُصْحَدِ  
 ٢٩ وَبِفَاحِمٍ رَجُلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ      كَالْكُرْمِ مَالٍ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْنَدِ

- (٢٢) قوله : (زعم الهمام) ، يعني النعمان بن المنذر ؛ لأنه كان يصف امرأته المنجردة .  
 والهمام : السيد ، سمي بذلك لأنه إذا هم بأمر أمضاء ، ويقال : سمي به لبعدهمته .  
 (٢٤) الريا : الريح الطيبة . والبصدي : الشديد العطش .  
 (٢٥) المتسرد : الذي يتبع بعضه بعضا ، يقال : مرد الحديث ، إذا والى بينه وتابعه ، وصف  
 أنها ذات حلٍ ونعيم ، وأن العذاري يخدمنها .  
 (٢٦) الأشمط : الأشيب . والصرورة : اللازم لصومعته . وقيل أيضا : الصرورة ما هنا  
 الذي لا يأتي النساء ، وقيل : هو الذي لم يذنب قط .  
 (٢٧) قوله : (لنا لرؤيتها) ، أي لو عرضت لهذا الراهب الأشيب الذي لا يعرف النساء  
 لأدام النظر إليها ، ولأعرض عما هو فوقه من عبادته ؛ إعجابا بها ، واستعذابا لحسن حديثها ، ولظن ذلك  
 رشداً ، ولم يرقه حرجا وإن لم يكن فيه رشد .  
 (٢٨) الأروى : إناث الوهول . والصغد : اللبس . صخرة صيخود ، أي ملء . وقيل :  
 الصخرة المنتصبة .  
 (٢٩) قوله : (وبفاحم رجل) ، يعني الشعر . والفاحم : الشديد السواد ؛ مأخوذ من  
 الفحيم . والأثيث : الكثير الذي ركب بعضه بعضا . والرجل : المرجل المشوط . وشبه الشعر  
 في طوله وغلزاته بالكرم المائل على الدعائم . والمسند : الذي رفع وأسند بعضه إلى بعض . واحد  
 الدعام : دعامة .



- ٣٠ وإذا لَمَسْتَ لَمَسْتَ أَجْثَمَ جَائِثًا مُتَعَيِّرًا بِمَكَانِهِ مَلَأَ الْبَيْدَ  
 ٣١ وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ رَابِيِ الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقْرَمَدٍ  
 ٣٢ وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ نَزَعَ الْحَزُورُ بِالرِّشَاءِ الْمُحْصَدِ  
 ٣٣ وإذا يَعْضُّ تَسْدُّهُ أَعْضَاؤُهُ عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَذْرَدِ  
 ٣٤ لا وَاوَرَدُ مِنْهَا يُحَوِّرُ لِمَصْدَرٍ عَنْهَا وَلَا صَدِيرٌ يُحَوِّرُ لِمَوْرَدٍ

(٣٠) الأَجْثَمُ : المريض في ارتفاع . والجَائِثُ : الذي اتسع موضعه وتمكن ، وأصل الجائثم : الرابض اللاصق بالأرض . وقوله : ( متعيرًا بمكانه ) ، أى قد جاز ما حوله وبرز .

(٣١) المستهدف : المرتفع . والعَبِيرُ : هو الزعفران . والمقْرَمَدُ : المطلى بالقرمذ ؛ يعنى أنه مطلى بالزعفران كما يطل الحوض والبناء بالقرمذ . والرَّابِي : المرتفع . والربوة : ما ارتفع من الأرض .  
 (٣٢) أصل النزع جذب الدلو من البئر ، فضربه مثلاً . والمستحصف : الشديد ، الضيق ، والقليل البلب . وقوله : ( الحزور ) ، أى جذية الدلو بالرشاء ، وهو الحبل . والمحصد : الشديد القتل . والحزور هنا الفلام القوى .

(٣٤) قوله : ( لا وارد منها يحور لمصدر ) ، يقول الذى يريد هذه المرأة ، أى ينال منها لا يريد بذلك بدلاً ، فيصدر عنها ، وكل الذى يصدر عنها لا يريد أيضاً بدلاً ، فيصدر ليريد غيرها . وأصل الورد والصدر فى الماء ، فضربه مثلاً . ومعنى ( يحور ) : يرجع .

\*\*\*

سعد درویش

( ٣ )

## المُعَلِّقَة

\* \* \*

قال يمدح النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه مما بلغه عنه فيما وثى به بنو قريع  
في أمر المتجرّدة :

١	يادارميّة بالعلياء فالسند	أفوت ، وطال عليها سالف الأبد
٢	وقفت فيها أصيلاً أسألتها	عيت جواباً ، وما بالربع من أحد
٣	إلا الأوارى لآياً ما أيتها	والنوى كالحوض بالظلومة الجلد

(١) إنما قال : ( يادارمية بالعلياء ) توجماً منه ؛ لأنه كان معها ، مقياً بها في مرور ونعمة ،  
زمن مرتبهم ، ثم انقضى ذلك ؛ فجعل يحاطبها توجماً منه لما رأى من تغيرها ، وتذكراً لما هده  
منها . والعلياء : ما ارتفع من الأرض . والسند : سند الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يسند فيه ، أى  
يصعد ، وإنما جعل الدار بالعلياء والسند ؛ لأنها إذا كانت في موضع مرتفع لم يضرها السيل ، ولا انهدال  
عليها الرمل . وقوله : ( أفوت ) ، أى خلت من الناس وأفقرت . والسالف : الماضي . والأبد :

الدهر .

(٢) قوله : ( وقفت فيها أصيلاً ) ، وصف أنه مر بالدار عشياً قصيراً ، فوقف فيها وسأها  
عن أهلها ؛ توجماً وتذكراً . وأصيلان : تصغير أصيل وهو العشى ؛ وإنما صغره ليدل على قصر الوقت ،  
وأنه لشدة حزنه وتوجعه لم يمنعه ضيق الوقت وقصره من الوقوف بالدار ، والسؤال عن أهلها . وقوله :  
( عيت جواباً ) ، أى عيت بالجواب فلم تجبني . والربع : منزل القوم ؛ وكأنه سمى بذلك لإقامتهم فيه  
زمن الربع .

(٣) الأوارى : محابس الخيل ومرابطها ، واحدها آرى . والنوى : حاجز من تراب حول الخياء  
لئلا يدخله السيل . والظلومة : الأرض التي لم تمطر فجاءها السيل فلا لها . والجلد : الأرض الصلبة .  
يقول : ليس في الدار شيء إلا محابس الخيل ، قد خفى أثرها ؛ فلا أتيئنها إلا بعد ببطء وجهد —  
واللأى : البطء — وليس بها أيضاً إلا النوى ، ثم شبهه بالحوض في استدارته . وإنما جعل النوى  
بالظلومة ؛ لأنها أرض صلبة ، والنوى والأوتاد أشد ثباتاً فيها ، وجعلها جلداً ؛ لأن الحفر فيها ليس  
سهل ، فلم يعمق النوى ، فهو أشبه له بالحوض .

- ٤ رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ      ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَةِ فِي النَّادِ  
٥ خَلَّتْ سَبِيلَ آتَى كَانَ يَحْبِسُهُ      وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَضَدَّ  
٦ أَمَسَتْ خَلَاءً وَأَمَسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا      أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

\* \* \*

- ٧ قَعَّدَ عَمَّا تَرَى إِذَا لَا ارْتِجَاعَ لَهُ      وَانْمِ الْقُتُودُ عَلَى مَعْرَانَةٍ أَجْدَ

(٤) قوله : ( ردت عليه أقاصيه ) أى ردت الأمة على النوى ما تباعد من ترابه وشذ منه ؛ لتلا بصل إليهم الماء . ومعنى ( لبده ) سكته بشدة . والوليدة : الأمة النشابة ؛ وإنما خص الوليدة لأنها أشد ضربا للنوى . والناد : المكان التدى ، وهو مصدر وضع موضع الصفة .

(٥) الآتى : سبيل يأتى من بلد إلى بلد ، والآتى : مجرى الماء . وقوله : ( خلت سبيل آتى ) أى كنسته ونحت ما فيه من مدر وغير ذلك ؛ لتلا يحتمس الماء فيه فيفسد تراب النوى الذى حوله . وقوله : ( ورفعت إلى السجفين ) أى رفعت التراب إلى السجفين ، والسجفان : ستران رطبقيان يكونان فى مقدم البيت ، والتضد إلى جانبهما ، وهو أوهيتهن وجلال تمرهم ، ينضد بعضها على بعض . وقوله : ( ورفعت ) أى بلغت بالحفر وقدمته إلى موضع السجفين . والمعنى أن الماء لما كثر وعجز النوى عنه خافت على يبتها ، فخلت سبيله فى البيت ، وسهلت مسلكه ؛ لينفذ ويتجاوز البيت .

(٦) قوله : ( أمست خلاء ) أى أمست الدار خالية من أهلها لما احتملوا عنها . وقوله : ( أخنى عليها ) أى أفسد عليها الدهر الذى أفسد على لبده وهرمه وأفناه . ولابد : آخر سورة لقمان بن عاد ، وهو النسر السابع من نسوره ، وكان قد عمر أربعمائة عام ، وهو الذى يضرب به المثل فيقال : ( آلى أبدا على لبده ) .

(٧) القنود : عيدان الرجل ، ولا واحد لها عند أكثر أهل اللغة ، وقال أبو عمرو الشيبانى : واحدها قند . والمعرانة : نافقة تشبه المعرف فى القوة والنشاط . والأجد : الموثقة الخلق ، وهى التى عظام فقارها عظم واحد ، يقال : بنيان مؤجد ؛ إذا كان مرصوما بعضه إلى بعض . يقول : عد عما ترى من تغير الدار ، وما أحدث فيها الدهر ؛ إذ أيقنت أنه لا رجعة له . ( وانم القنود ) ، أى مالها وارفعها على هذه النافقة ؛ وهذا لتسلو عما أنت فيه .

- ٨ مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحِضِ بَازِلُهَا      لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسِدِ  
٩ كَأَنَّ رَحْلِي ، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا      يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَانِيسٍ وَحَدِ  
١٠ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُوَشَّى أَكَارِعُهُ      طَاوِي الْمَصِيرِ ، كَسِيفِ الصَّبْقِ الْفَرْدِ  
١١ أُسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَّةٌ      تُزْجَى الشِّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

(٨) قوله : ( مقدوفة ) ، أى لعظم خلقها وتراكب لحمها ، كأنها قد رميت بالحسم ربما .  
والدخيس : الكثير المتداخل . والنحض : اللحم . والقعو : الذى فيه البكرة إذا كان من خشب ،  
وإن كان من حديد فهو خطاف . وبازلها : نابها حين بزل اللحم اللحم ، أى شقه ونرج ، والصريف  
صوته . والمسد : الحبل . وقيل : القعو البكرة بعينها . وذكر أهل اللغة أن الصريف فى الفحول من  
النشاط ، وفى الإناث من الإعياء ، وبيت النابتة لا يحتمل إلا النشاط ، وقد حكى عن أبي زيد أن الناقة  
تصرف من النشاط والإعياء ، والفعل من النشاط والهيأج والإعياء . ونصب ( صريف القعو ) على  
تقدير المصدر ؛ كأنه قال : بازلها يصرف صريفا مثل صريف القعو ، والرفع على تقدير : له  
صريف مثل صريف القعو .

(٩) الجليل : شجر . والمستأنس : ثور يخاف الأنيس . ومعنى ( زال النهار بنا ) أى انتصف ،  
فيقول : كأن رحلى على ثور مستأنس مفرد . وقوله : ( يوم الجليل ) ، أى يوم مرورتنا بالجليل ،  
وإنما وصف الثور بالانفراد لأن ذلك أشد لفرقه .

(١٠) قوله : ( من وحش وجرة ) ، أى هذا الثور من وحش هذه الفلاة ، ووجرة طرف  
السى ، وهو مجتمع الوحش ، وهى ستون ميلا ، وماؤها قليل ؛ فبطون وحشها طاورة لقله شربها الماء .  
وقوله : ( موشى أكارع ) ، أى بقوائمه تقط سود وخطوط . وقوله : ( كسيف الصبقل ) ، يريد  
أن الثور أبيض لماع كالسيف . و ( الفرد ) : المنقطع القرين المفرد بالجوذة ، وقيل : هو الذى  
أفرد من غمده ، وعند ذلك يبدو بياضه ولعانه . وقوله : ( طاوى المصير ) ، أى ضامر ، والمصير :  
المعى ، وكنى به عن البطان ، ويجمع مصران ، ويجمع مصارين .

(١١) يقال : مرى وأمرى ، إذا جاء ليلا ؛ يجمع بين اللتين ، فقال : ( أسرت ) ثم قال :  
( سارية ) فأتى بها على ( سرت ) . والسارية : سحابة تسير ليلا وتمطر . وقوله : ( تزجى الشمال ) ،  
أى تسوق وتدفع على الثور مطرا فيه برد جامد .

- ١٢ فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشواميت من خوف ومن صره  
 ١٣ فبهن عليه واستمر به صمغ الكعوب بريثات من الحرد  
 ١٤ وكان ضميران منه حيث يؤزعه طعن الممارك عند المحجر النجد  
 ١٥ شك الفريضة بالمدرى فأنقذها طعن المبيطر إذ يشفى من المضد  
 ١٦ كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد

(١٢) قوله : ( فارتاع ) ، أى فرغ الثور من صوت ( كلاب ) ، وهو الصائد ذو الكلاب .  
 وقوله : ( طوع الشواميت ) ، أى بات الثور ميت سوء من برد وجوع . والعرد : شدة البرد .  
 (١٣) قوله : ( فبهن عليه ) ، أى بت الصائد الكلاب على الثور ، وقوله : ( واستمر به ) ،  
 أى نهض بالثور قوائم صمغ الكعوب ، أى لمن برهلات المفاصل . والحرد : استرخاء فى صلب البعير  
 استعاره للثور ، أى ليس بقوائمه عيب .

(١٤) قوله : ( وكان ضميران منه ) ، ضميران امم كلب . و ( يؤزعه ) : يفريه بالثور ويحفزه  
 على الدنومته والأخذ بمقاتله . و ( الممارك ) : المقاتل . والمحجر : المدرك . و ( النجد ) : الشجاع ،  
 وهو من نعت ( الممارك ) . يقول : كان ضميران من الثور بالموضع الذى يفريه به صاحبه ، كما نقول :  
 أنا لك من هذا الأمر حيث تحب . وقوله : ( طعن الممارك ) أى لما أغراء صاحبه به ، ودنا منه ،  
 طعنه طعن الممارك النجد للمحجر .

(١٥) يقول : شك الثور فريضة الكلب بالمدرى ، أى انتظمتها . و ( الفريضة ) : موضع  
 عقب الفارس ، وقيل : هى بضعة فى مرجع الكتف . و ( المدرى ) : القرن . و ( المبيطر ) : البيطار .  
 و ( المضد ) : داء ووجع فى المضد ؛ من ثقل حمل أو غيره . وشبه نفوذ القرن للفريضة ودخولها فيه  
 بطلن البيطار ، إذا دارى الإبل من المضد ؛ وإنما خص الفريضة لأنها مقتل .

(١٦) قوله : ( كأنه خارجاً ) ، أى كأن القرن فى حال خروجه من جنب صفحة الكلب إلى  
 الصفحة الأخرى سفود شرب نسوه ، أى تركوه حتى نضج ما فيه . والمفتاد : موضع اختوائهم اللحم ،  
 يعنى أن الثور طعن الكلب فخرج قرنه من الجنب الآخر ، ثم ذهب به ، فبقى الثور وحده ، وليس  
 معه أحد ؛ فشبه القرن متظماً للكلب بسفود فيه شواء قد ترك ليس عنده أحد . والنسيان فى  
 كلام العرب : الترك . و ( شرب ) : قوم يشربون ، واحدهم شارب ، مثل صاحب ومصحب .



- ١٧ قَطْلٌ يَعْجَمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا      فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ  
١٨ لَمَّا رَأَى وَاشْتَقَى إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ      وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدٍ  
١٩ قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا      وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدْ  
\* \* \*  
٢٠ فَتَلَكَ تُبْلِغُنِي النَّعْمَانَ ، إِنَّ لَه      فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ  
٢١ وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ      وَلَا أَحَاشَى مِنْ الْأَقْرَامِ مِنْ أَحَدٍ  
٢٢ إِلَّا سَائِيَاتٍ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ :      قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنْ انْقِنَدِ

- (١٧) قوله : ( قَطْلٌ يَعْجَمُ ) ، أى ظل الكلب يعضغ أعلى الروق حيث أنفذه به ، فهو يعض في حالك اللون ، يعنى القرن . والصدق : الصلب . والأود : الاعوجاج . وقوله : ( منقبضا ) ، أى قد تقبض الكلب واجتمع في القرن لما يجد من الوجع .  
(١٨) قوله : ( لَمَّا رَأَى وَاشْتَقَى إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ ) ، واشتق : امم كلب آخر . وقوله : ( وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدٍ ) ، ضرب هذا مثلا ، يعنى أن صاحبه قتل — وهو ضميران — فلم يقتل به ولم يود . والعقل : غرم الدية . والقود : قتل النفس بالنفس .  
(١٩) قوله : ( قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ ) ، أى حدثت واشتقا نفسه باليأس من الثور أو من صاحبه . والمولى : الصاحب ، قتلت كلابه فلم يسلم ولم يصد .  
(٢٠) قوله : ( فَتَلَكَ تُبْلِغُنِي النَّعْمَانَ ) ، أى تلك الناقة التى تشبه هذا الثور فى قوته ونشاطه تبلغنى النعمان ، وهو اسم الملك . وقوله : ( فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ ) ، أى فى القريب والبعيد .  
(٢١) قوله : ( وَلَا أَرَى فَاعِلًا ) ، أى لا أرى أحدا يفعل فعلا كريما يشبهه فى فعله . وقوله : ( وَلَا أَحَاشَى ) ، أى لا أستثنى .  
(٢٢) قوله : ( إِلَّا سَائِيَاتٍ ) استثناء من القوم المنفى عنهم شبه النعمان . وقوله : ( احْدُدْهَا ) ، أى امنعها . و( القند ) : الخطأ فى القول والفعل وغير ذلك .

- ٢٣ وَخَيْسَ الْجَنِّ، إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ      يَبْنُونَ تَدْمَرَ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمِيدِ  
 ٢٤ فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْقَمِهِ بِطَاعَتِهِ      كَمَا أَطَاعَكَ ، وَأَذَلَّهُ عَلَى الرَّشْدِ  
 ٢٥ وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبِهِ مُعَاقِبَةً      تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمَدٍ  
 ٢٦ إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ      سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ  
 ٢٧ أَعْطَى لِفَارِهِ حُلِيَّ تَوَابِعِهَا      مِنَ الْمَسَاوِيهِ لَا تُعْطَى عَلَى نَكِدِ  
 ٢٨ الْوَاهِبُ الْمَائَةِ الْمِعْكَاءَ زَيْنَهَا      سَعْدَانُ تُوَضِّحُ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبَدِ

(٢٣) قوله : ( وخيس الجن ) ، أى ذلهم ، ومنه سمى السجن نخيسا . و ( الصفاح ) : حجارة كالصفائح عراض . و ( تدمر ) : مدينة بالشام ، فيها بناء لسلطان بن داود ، عليهما السلام . و ( العميد ) : أساطين الرخام ، وهى السوارى .

(٢٤) الرشد : الرشيد ، كما يقال : بخل وبخل ، وشغل وشغل .

(٢٥) الضمد : الذل والغيط والحقد ، وقيل : هو الظلم .

(٢٦) حكى عن الأصمعي أنه قال : ( إلا لمثلك ) ، أى إلا لرجل فى مثل حالك أو من فضلك عليه ؛ كفضل السابق على المصلى ، أى ليس بينك وبينه فى الفضل إلا يسير ، بمقدار ما بين السابق والمصلى من التحليل . ومعنى استولى عليه : غلبه . والأمد : الغاية التى يجرى إليها . أراد النابغة حض النعمان على أن يقعد عنه ، ولا يضره له حقدا ؛ لأنه ليس مثله ولا قريبا منه .

(٢٧) الفارحة : الناقة الكريمة ، أو العطية الحسنة . و ( توابعها ) : ما تبعها من المطايا . والنكد : الضيق والعسر ، ويروى : ( لا تعطى على حسد ) ، أى لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترغب فيها .

(٢٨) قوله : ( الواهب المائة المعكاء ) ، يعنى أنه يهب المائة من الإبل ، والمعكاء : السمان الشداد ، وهو اسم لا يثنى ولا يجمع . والسعدان : نبت من أنجح ما ترعاه الإبل ، ومنه قيل : ( مرعى ولا كالسعدان ) . وتوضح : موضع بالحمى ، وكانت إبل الملوك ترعاه ؛ فلذلك ذكره . وقوله : ( فى أوبارها اللبد ) ، يريد أنها إبل سائمة مهملة فى المرعى ، لا تستعمل ظهورها ؛ فأوبارها متلبدة لذلك . واللبد : جمع لبدة ، التقدير يريد أوبارها ذات اللبد .

- ٢٩ والأدم قد خيست فتلاً مراقفها      مشدودة برحال الحيرة الجسد  
٣٠ والراكضات ذبول الریط فائقها      برد المواجه كالغزلان بالجر  
٣١ والخليل تمزغ غرباً في أعينها      كالطير تجو من الشوبوب ذي البرد
- \* \* \*
- ٣٢ احكم حكم فتاة الحى إذ نظرت      إلى حمام شراع وارد التمد  
٣٣ يحفه جانباً نيق وتبعه      مثل الزجاجة لم تكحل من الرم

(٢٩) الأدم من الإبل : البيض ، ومن النساء : السمر . ومعنى ( خيست ) : ذلت بالركوب .  
والقتل : التى باتت مراقفها عن آباطها . والحيرة : مدينة النعمان .

(٣٠) قوله : ( والراكضات ذبول الریط ) ، معنى الجوارى يركضن بأرجلهن ما خر الریط ؛  
لسبوفه عليهن ، وتبخر من فيه . والريط : الملاحف البيض . ومعنى ( فائقها ) : نعم عيشها . وقوله :  
( برد المواجه ) ، أى هى فى المواجه فى موضع بارد ؛ فلا يؤذيها وهج الشمس . والجرد : أرض  
جرداء لا شجر فيها ولا نبات ؛ وإنما خصه لأن الغزلان إذا كانت به بدت محاسنها للناظر ، ولم يحجبها  
عنه شئ .

(٣١) يقول : هو يهب المائة المكاء ، ويهب الراكضات ، ويهب الخليل . وقوله : ( تمزغ ) ،  
أى تسرع فى سيرها . والغرب : الحدة والنشاط . وشبه الخليل فى سرعتها بطير أصابها مطر شديد فيه  
برد ؛ فهى تنجر وتسرع إلى مواضع تقىها من المطر والبرد . والشوبوب : دفعة المطر وشدة .

(٣٢) قوله : ( احكم ) ، أى كن حكماً فى أمرك ، مصيباً فى رأى ، ولا تقبل ممن سعى  
إليك ؛ كفتاة الحى إذا أصابت ووضعت الأمر موضعه ، ولم يرد الحكم فى القضاء . والتمد : الماء  
القليل . والشراع : القاصدة إلى الماء . حكى أن فتاة الحى هى زرقاء اليمامة .

(٣٣) قوله : ( يحفه جانباً نيق ) ، أى يحيط به من جانبيه . والنيق : الجبل . وقوله :  
( وتبعه مثل الزجاجة ) ، أى عينا صافية كصفاء الزجاج . ومعنى قوله : ( لم تكحل من الرم ) ،  
أى لم يصبها رم فتكحل ، ويحتمل أن يريد أنها كملت بغير رم ؛ لزيئة أو نحوه .

- ٣٤ قالت : أَلَا لَيْتِنَا هَذَا الْجَمَامُ لَنَا إلى حَامَتِنَا وَنَصَفَهُ فَقَسَدَ  
 ٣٥ فَخَسِبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ  
 ٣٦ فَكَلَّتْ مَائَةٌ فِيهَا حَامَتُهَا وَأَمْرَعْتُ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ  
 ٣٧ فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرَيْقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ  
 ٣٨ وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمَسَّحُهَا رَكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ  
 ٣٩ مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أُتَيْتَ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي  
 ٤٠ إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَبْدِ

(٣٤) قوله : ( فقد ) ، أى حسي ، موضعه من الإعراب الرفع على مبتدأ .

(٣٥) يقول : حسبوا القطا وضروا إليه نصفه ، فالقوه تسعا وتسعين ، كما حسبت .

(٣٦) قوله : ( وأمرعت حسبة ) ، أى أمرعت في حساب القطا مع طيرانه وتراكبه ، فكان ذلك تحكم هذه ؛ إذ صدقت في عدده على هذه الحال . والحسبة — بالكسر — مثل الجلسة والركبة ، وهى هيئة الفعل . والحسبة — بالفتح — المرة الواحدة .

(٣٧) قوله : ( مسحت كعبته ) ، أى أتيت بيته وطفقت به ، والكعبة : كل بيت مربع ؛ وبه سميت الكعبة . والأنصاب : حجارة كانوا يذبحون عليها الذبائح لألهتهم . والجسد : الدم اللازق (اللاصق) .

(٣٨) العائذات : التى عاذت بالحرم . والشاعر يقسم بالله الذى أمن الطيور العائذة بالحرم أن تهاج أو تصاد . ونصب (الطير) على البدل من العائذات ؛ لأنها مفعولة بالمؤمن . و(الغيل) : الشجر المتنفذ ، وكذلك (السعد) . وقوله : ( يمسحها ) ، أى يمرون عليها ، لا يهيجها أحد ولا ينفرها .

(٣٩) قوله : ( ما قلت من سيئ ) جواب قوله : ( فلا لعمر الذى مسحت كعبته ) . وقوله :

( فلا رفعت سوطى إلى يدي ) ، يقول : إذا فشلت يدي حتى لا أطيق رفع السوط .

(٤٠) قوله : ( إلا مقالة أقوام ) ، نصبا على الاستثناء المنقطع ، والمعنى : ما قلت شيئا مما

أتوك به عني ، لكنهم قالوا مقالة شقيت بها عندك . وقوله : ( قرعا على الكبد ) ، أى اشتدت على مقالتهم ، فكانها قرعت كبدى بذلك .

- ٤١ أَنبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي      وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ  
 ٤٢ مَهْلًا فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ      وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمَنْ وَلَدَ  
 ٤٣ لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ      وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ  
 ٤٤ فَمَا الْفُرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ      تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعِصْبَيْنِ بِالزَّبْدِ  
 ٤٥ يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَجِّجٍ لِحَبِّ      فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخَضَدِ  
 ٤٦ يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا      بِالْخَيْرَانَةِ بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ

(٤١) أبو قابوس هو النعمان بن المنذر . ومعنى (أوعدني) هددني . وزأرا الأسد وزئيره : صوته ورعيده . يقول : وعبد النعمان لا تستقر معه قضي ولا تطمنن ؛ هيبة له ، كما لا تطيق ولا تسكن على زئير الأسد .

(٤٢) قوله : (مهلاً فداء لك) ، أى تثبت في أمرى ولا تعجل على . وقوله : (وما أثمر من مال) ، أى أكثر وأصلح ، يقال : ثمر الله ماله ، أى كثره .

(٤٣) قوله : (لا تقذفني بركن لا كفاء له) أى لا ترميني بنفسك ؛ فإنه لا مثل لك ، وإنما ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة . وقوله : (تأتفك) ، أى اجتمعوا حولك ، مثل الأتافي ، متعاونين على . و (الرفد) : أن يترافد عليه أعداؤه الذين وشوا به ، أى يتعاونون عليه .

(٤٤) قوله : (فما الفرات) ، يقول : ليس هذا النهر بأجود منك . والغوارب : الأمواج ، وغارب كل جسم : ما ارتفع منه وعلا . وعبرا النهر : جانباه . والزبد : ما يطرحه النهر ، إذا جاش ماؤه ، واضطربت أمواجه .

(٤٥) قوله : (يمدده كل واد) ، أى يزيد فيه ويقويه . والمترجج : المملوء . والحبب : المصوت ؛ لشدة جريه وقوة سيله . والركام : ما تراكم بعضه على بعض ، أى تراكب . واليبوت والخضد : نباتان ، وقيل : اليبوت شجر الخروب ، وقيل : الخضد : كل ما تكسر من الشجر وغيره .

(٤٦) قوله : (يظل من خوفه) ، أى من خوف الفرات ؛ لاضطراب أمواجه ، وشدة هوله . والمعتم : المستمسك . والخيزرانة : هنا : سكان السفينة . والأين : الإعياء . والنجد : العرق والكرب .



- ٤٧ يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد  
 ٤٨ هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد  
 ٤٩ ها إن ذي عذرة إلا تكن نقمت فإن صاحبها مشارك النكد

- (٤٧) قوله : ( يوماً بأجود منه ) متصل بقوله : ( فإ الفرات ) . والسيب : العطاء .  
 والنافلة : الفضل ، وكل شيء ليس بواجب فهو نافلة ؛ وإنما خص النافلة ليبالغ في المدح ، لأنه  
 إذا أكثر من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب . وقوله : ( دون غد ) ، أى إذا  
 أعطاك اليوم لم يمنه ذلك من إعطائك غدا عطية أخرى .  
 (٤٨) قوله : ( أبيت اللعن ) ، هى تحية كانوا يحيون بها الملوك ، ومعناه : أبيت أن تأتى  
 من الأمور ما تزدى به . والصفد : العطاء . فعله : أصفده إصفاً ، والصفد الاسم . وقوله :  
 ( فلم أعرض ) ، أى لم أمدحك ؛ تعرضاً لمعرفتك ، لكن اعتذاراً إليك ، وإقراراً بفضلك .  
 (٤٩) قوله : ( ها إن ذي عذرة ) ، أى هذه معذرة إليك . والنكد : العسر .

\* \* \*

سعد درویش

( ٤ )

## اعتذارية

\* \* \*

قال يمدح النعمان ويمتذر إليه :

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لَمْ تُنَنِّي | وتلك التي أَهَمَّتْ مِنْهَا وَأَنْصَبُ       |
| ٢ | فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشَتْنِي            | هَرَّاسًا بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيُقَشِّبُ |
| ٣ | حَافَتُ فَلَمْ أَتُوكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً           | وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلرَّءِ مَذْهَبُ   |
| ٤ | لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً        | لَمُبْلِغُكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذِبُ     |
| • | وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا إِلَى جَانِبُ              | مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادُّ وَمَذْهَبُ |
| ٦ | مُلُوكُ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ           | أَحْكُمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأُقَرِّبُ       |

- (١) قوله : (أبيت اللعن) ، أى أبيت أن تأتى أمرا تلعن عليه . وقوله : (وتلك التي أهتم منها وأنصب) ، أى تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب ، أى ذا عناء ومشقة .
- (٢) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : الشوك . يقشب : يجدد ويتعاهد بالشوك .
- (٣) الريبة : الشك . وقوله : ( وراء الله ) ، أى ليس بعد اليمين بالله — عز وجل — للرء مذهب .

- (٤) قوله : (لئن كنت قد بلغت عني خيانة) ، أى لئن بلغت عني أنى أخون ودك وأكفر نعمتك ؛ فالذى بلغك ذلك ، ووشى به إليك أغش وأكذب . والواشى : النمام الذى يزين كذبه عندك ، وأصله من الوشى .

- (٥) قوله : (لى جانب من الأرض) ، أى متسع وتمكن ؛ وإنما يصف ذهابه إلى القساسة ومنزله فيهم . والمستراد : الإقبال والإدبار . والمذهب : موضع الذهاب . وإنما يصف بهذاهمة حاله وتمكنها .

- (٦) قوله : (ملوك وإخوان) ، يعنى القساسة ، وكان قد حل بهم حين فر من النعمان فأكرهوه وقربوا منزلته .

- ٧ كَفَعَلَك فِي قَوْمِ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنِبُوا  
٨ فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلٌ بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ  
٩ أَلَمْ تَرَ أَنِّي اللَّهُ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
١٠ فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ  
١١ وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ ؟  
١٢ فَإِنَّ أَكْ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُنْبٍ فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ

(٧) أى فعل بي الفساسة ما أوجب لهم مدحى وثنائى . كما فعلت أنت في قوم اصطنتهم وأحسنتم إليهم ، فينبغى ألا ترانى مذنباً في شكر ذلك لهم ، كما لا ترى من اصطنته فيشكره مذنباً في شكره لك .

(٨) أى لا تدعنى كأتى بعير أجرب قد طلى بالقار ، وهو القطران ، يثاماه الناس ويطردونه من إبلهم ، لئلا يهديها بجريه ، وإنما يريد أنه إن لم يعف عنه تحامته العرب ولم تجره ، خوفاً من النعمان . وقوله : ( كأننى إلى الناس ) ، أى كأتى في الناس . وقوله : ( مطلى به القار ) ، أى مطلى بالقطران فقلب .

(٩) السورة : المنزلة الرفيعة . وقوله : ( يتذبذب ) ، أى يضطرب ، وإنما يريد أن منازل الملوك دون منزلته .

(١٠) قوله : ( فإنك شمس والملوك كواكب ) ، معنى أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب ، فإذا ذكر ونشرت ما أثره لم يذكر غيره .

(١١) قوله : ( لا تلمه ) ، أى لا تصلح من أمره وتجمعه . والشعث : الفساد والتفرق . والمهذب : المنقى من العيوب . يقول للنعمان : إن لم تصبر للأخ والصدق على خصلة غير مرضية تكون فيه لم تبق لنفسك أخا .

(١٢) قوله : ( وإن تك ذا عنب ) ، أى ذا رضا ورجوع إلى ما أحب من عفوك فذلك يعنب ؛ يقال : عنب الرجل إذا شخط ، والاسم منه العنب والعتاب . وأعنب إذا رضى ، والاسم العنبي والمصدر الإعتاب .

\* \* \*

( ٥ )

## اعتذارية أخرى

\* \* \*

وقال من قصيدة أخرى يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه :

- ١ وَعَبْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهٍ      أَنَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
- ٢ قَيْتُ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَبِيلَةٌ      مِنَ الرُّقِيشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
- ٣ يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا      لَحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
- ٤ تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا      تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

(١) قوله : ( في غير كنه ) : في غير حقيقته . أى لم أكن بلغت ما يفضب على فيه ، ويوعدنى من أجله . و ( راكس ) : واد . و ( الضواجع ) : جمع ضاجة ، وهى منحنى الوادى ومنعطفه .  
(٢) قوله : ( ساورتنى ) ، أى واثبتنى . والضئيلة : حية دقيقة قد أتت عليها سنون كثيرة ، فقل لحما ، واشتد سمها . والرقيش : التى فيها نقط ، سواد وبهاض . وناقع : ثابت .  
(٣) قوله : ( يسهد من ليل التمام ) ، أى يمنع النوم ، و ليل التمام : أطول ليالى الشتاء ، و ليل التمام أيضا : الذى يطول على من قاساه وإن قصر . والسليم : الملدوغ ؛ سمى بذلك على التفاؤل له بالسلامة ، كما سميت الفلاة المهلكة مفازة على التفاؤل للقوم بالقوز والنجاة . وقوله : ( لحلى النساء فى يديه قعاقع ) قال أبو عمرو وغيره : كان العرب يفعلون بالديغ ذلك لئلا ينام فيدب السم فيه . والقعاقع : الحركة والصوت .

(٤) قوله : ( تناذرها الراقون من سوء سمها ) أى أنذر بعضهم بعضا ؛ لأنها لا تحجب راقيا ؛ لشدها . وقوله : ( تطلقه طورا ) ، أى تخفف عنه مرة ، ومرة تشد عليه ، وكذلك حال اللديغ .

٥. أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لَمْتَنِي      وتلك التي تَسْتَكُّ منها المِسامِعُ  
٦. مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قَلَّتْ سَوْفَ أَنَا      وذلك من تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ  
٧. لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَى يَهْيَبٍ      لقد نَطَقْتُ بَطْلًا عَلَى الْأَقَارِعِ  
٨. أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أُحَاوِلُ فِيهَا      وَجْوهُ قُرُودٍ تَبْتَنِي مِنْ تَجَادِعِ  
٩. أَتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبِطُنٌ لِي بِغَضَّةٍ      له من عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعِ  
١٠. أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ      ولم يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعِ

(٥) قوله : ( وتلك التي تستك منها المِسامِعُ ) ، أى تلك المِلامة التي أتى منك أصوت مسامعى . ومعنى ( تستك ) ، أى تشدد وتضييق فلا تسمع ، وواحد المِسامِعُ مسمع ، وهو الأذن .

(٦) قوله : ( مقالة ) بيان لقوله : ( أنك لمتني ) ، وبدل منه ، ويجوز نصبها ورفعها . وقوله : ( وذلك ) إشارة إلى معنى الجملة ، كأنه قال : وذلك القول رائع من تلقاء مثلك .

(٧) قوله : ( لعمري ) ، قال بعضهم : لذي ، والمعروف أن معناه البقاء ، وإنما حلف بها لأنها يمين كثرت في الاستعمال ، وليس قصده أن يقدم ببقائه . البطل والباطل بمعنى واحد . وأراد بالأقارِعِ بنى قريع بن عوف ، وهم من بنى تميم ، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان ، وذكرنا أنه يصف في شعره المنجردة .

(٨) قوله : ( لا أحاول غيرها ) أى لا أريد هجاء غيرهم . ومعنى : ( تجادع ) تشاتم ، وإنما استعاره من جدع الأنف ، ونصب ( وجوه قُرود ) على الِذَمِّ ، ويجوز رفعها على القطع .

(٩) قوله : ( مستبطن لي بغضة ) أى مضمهرها . وقوله : ( مثل ذلك ) ، أى مثل ذلك الرجل المستبطن . والشافع : المعين ، وأصله من الشافع ، وهو الثاني .

(١٠) قوله : ( هلهل النسج ) ، أى أتاك بقول ضعيف باطل ، بمنزلة الثوب المهلهل ، وهو الذى نسج وخفف ولم يحكم . وقوله ( كاذب ) ، أى مكذوب فيه . والناصع : الواضح البين ، وأصل الناصع : الخالص البياض .



- ١١ أُنَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ      وَلَوْ كُنَيْتُ فِي سَاعِدِي الْجَوَامِعِ  
 ١٢ حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً      وَهَلْ يَأْتُمُّنْ ذَوَامَةٌ وَهُوَ طَائِعٌ  
 ١٣ بِمُصْطَحَبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ      يَزُرْنَ إِلَّا سِيرَهُنَّ التَّدَافِعُ  
 ١٤ سَمَامًا تُبَارِي الرِّيحَ خُوصًا عِيُونُهَا      لَهْنٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعِ  
 ١٥ عَلَيْنَّ شُعْتُ عَامِدُونَ لِحَجَّتِهِمْ      فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحَنِيِّ خَوَاضِعِ

(١١) قوله : ( ولو كنت في ساعدي الجوامع ) ، أى لو كنت مجنونا حتى أشد بالحديد ما قلت ما بلغت منى . وقوله : ( كبت ) ، أى جمعت وشدت ؛ من الكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ، والواحدة جامعة .

(١٢) الريبة : الشك . والأمة والإمة : الدين والطريقة المستقيمة . يقول : حلقت فلم أترك لنفسك شكاً في صدق ، وحلفت وأنا لك طائع ذوردين واستقامة .

(١٣) قوله : ( بمصطحبات ) ، يعنى الإبل ؛ وإنما أقسم بها لأنها تصطحب في السير إلى الحج ، فعظمها لذلك وأقسم بها . ولصاف وثيرة : موضعان في بلاد بني تميم . وإلال : جبل عن يمين الحاج إذا رفقت بعرفة . وقيل إلال بجبل عرفة نفسه . وقوله : ( سيرهن التدافع ) ، أى أنهن يتراجعن في السير ويتدافعن لسرعتهن وشدة سيرهن .

(١٤) السام : طيور تشبه السمان ، شديدة الطيران ، شبه الإبل بها في سرعتها ، ونصبها على الحال من الضمير ( يزرن ) ، أى : يزرن إلا لا سرعات مثل السام في السرعة . وقوله : ( تبارى الريح ) ، أى تعارضها ل سرعتها ، وقوله : ( خوصاً عيونها ) أى غائرة العيون من الجهد والعناء ، ونصبه على الحال من الضمير الذى فى ( تبارى ) . والمعنى أنها تبارى الريح فى حال جهدها وغزور عينيها ، ويقال : إن غزور عين الناقة من صفات الكرم ، و( خوصاً ) على هذا من نعت السام لا حال من الضمير . والرذايا : الساقطة . و( ودائع ) : قد استودعت الطريق ، أى تركت فيه لإهانتها .

(١٥) قوله ( عليهن شعْتُ ) ، أى متغيرون من السفر . وقوله : ( كأطراف الحنى ) ، يريد أنها ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد معوجة ، والحنى : القمى ، واحدها حنية ؛ سميت بذلك لأنها معطوفة الطرفين . وقوله : ( خواضع ) أى خواضع من الجهد .

- ١٦ لَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ      كَذَى الْعَرِّيُّ كَوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَايِعٌ  
 ١٧ فَإِنْ كُنْتُ لَأَذُو الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذِبٌ      وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ  
 ١٨ وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ      وَأَنْتَ بِأَمْرٍ لَا عَمَّالَةَ وَاقِعٌ  
 ١٩ فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي      وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ  
 ٢٠ خَطَّاطِيفٌ حُجْنٌ فِي حَبَالٍ مَتِينَةٍ      تَمُدُّ بِهَا أَيْدِيكَ نَوَازِعُ  
 ٢١ أَتَوَعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ      وَتَرَكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِعٌ

(١٦) قوله : ( لكلفتني ) جواب لقوله : ( حلفت ) . العر : داء يصيب الإبل ، فإذا أرادوا أن يعالجوه كروا بهيرا آخر صحيحا ؛ فيرا ذلك البعير . هكذا حكى عن فصحاء العرب من حمل عنهم الرواة . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لا يكون ، وإنما هذا مثل ، أى أخذتني بذنب غيري ، وهذا كما قال الناس : يشرب عجلان ويسكر بيسرة ( ولم يكونا شخصين موجودين ) . وكذلك قول الشاعر : « كالثور يضرب لما عافت البقر » ، فقد قال فيه أبو عبيدة : إنما هذا مثل ، وهذا لا يكون ، وحكى غيره أنه يضرب ليتقدم إلى الماء ؛ فإذا أرادته البقر تقدمت معه فشربت .

(١٧) الضغن : الحقد والعداوة .

(١٨) قوله : ( ولا أنا مأمون ) متعلق بقوله : ( فإن كنت لأذو الضغن ) ، وليس بمستأنف .  
 (١٩) قوله : ( فإنك كالليل ) ، أى أنا في قبضتك حيث كنت وإن بعدت عنك ، فأنت كالليل الذى يدركنى ويشملنى بظلامه أينما وجهت . والمتأى : الموضع الذى يتأوى فيه ، أى يتقاعد .  
 (٢٠) الخطاطيف : جمع خطاف . والحجن : جمع أجن وهو المعرج . وقوله : ( نوازع ) ، أى جواذب ، ويقال : نزع من البئر دلوا أو دلوين ، إذا جذبتهما . يقول : ضاقت الدنيا على فكانى فى بئر ، فأنا أجبر بالخطاطيف إليك وأجذب ، وهذا مثل ضربه لقوة سلطانه .

(٢١) قوله : ( أتوعد عبدا ) من الوعيد . وقوله : ( ضالع ) ، أى مائل عن الحق جائر ،

وبروى : ( ظالع ) بالظاء ، وهو أيضا الجائر المذنب .

٢٢ وَأَنْتَ رَبِّعُ يَنْعِشُ النَّاسَ سَيِّئِهِ      وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعُ  
 ٢٣ أَبِي اللَّهِ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ      فَلَا النَّكْرُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعُ  
 ٢٤ وَتُسْقَى إِذَا مَا شَتَّتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ      بَزُورَاءَ فِي حَافَاتِهَا الْمِسْكُ كَانِعُ

(٢٢) السَّيِّبُ : العطاء . يقول : أنت سيب لأوليائك تنعمهم ، وسيف على أعدائك تهلكهم .

(٢٣) قوله : ( أَبِي اللَّهِ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ ) ، يحتمل أن تكون الهاء من قوله ( عدله ووفاءه ) عائدة على اسم الله جل وعز ، أي أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَيُنِي لَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ وَأَوْعَدَهُمْ بِهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ عَائِدَةً عَلَى النِّعْمَانِ ، أَيْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَعْدِلَ النِّعْمَانُ وَيُنِي .

(٢٤) قوله : ( وَتُسْقَى إِذَا مَا شَتَّتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ ) ، هو في مذهب الدماء وليس بخبر .

وقوله : ( غَيْرَ مُصَرَّدٍ ) ، أي غَيْرَ مَقْلَلٍ ، وَقِيلَ : غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَلَا مَقْطُوعٍ عَلَيْكَ . وَالتَّصْرِيدُ : شَرْبُ دُونَ الرِّى . وَيُرْوَى : ( غَيْرَ مُصَرَّدٍ ) بِكسر الراء ، اسم فاعل : أَيْ غَيْرَ مَقْلَلٍ لِلشَّرْبِ وَلَا قَاطِعٍ لَهُ . وَنُصِبَ ( غَيْرُ ) فِي الرَّوَايَةِ الْأُولَى عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِلْفِعْلِ ( تَسْقَى ) ، وَالتَّقْدِيرُ : وَتُسْقَى مُرَابَاً غَيْرَ مُصَرَّدٍ ، وَنُصِبَ فِي الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ( تَسْقَى ) ، أَيْ تَسْقَى وَأَنْتَ غَيْرَ مَقْلَلٍ لِلشَّرْبِ . وَالزُّورَاءُ : كَأْسٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ فِضَّةٍ . وَحَافَاتُهَا : نَوَاحِيهَا . وَالكَانِعُ : الدَّانِي بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ .

\* \* \*

سعد درویش

## الأسود بن يعقرب

\* \* \*

شاعر جاهلي مشهور ، لقب أعشى نهشل حيث كُفَّ بصره عندما أصنَّ ،  
كان ينادم النعمان بن المنذر ، وكان أخوه حطائط وابنه الجراح شاعرين .

كُنى بأبي نهشل وأبي الجراح ، رآه أبو الفرج شاعرا مقلدا من متقدمي  
فصحاء الجاهلية ، وسجله ابن سلام ضمن شعراء الطبقة الخامسة من فنون الجاهلية  
وأعجب من فنه الشعري بقصيدة طويلة ألحقها بأجود الشعر الجاهلي .

وفي قصيدته الدالية يبدو الشاعر حزينا منذ مطلعها حيث نام الخلى ليترك له  
السهر والأرق وقد سيطرت عليه الهوم وسدت عليه مسالك حياته وكأنها قد  
تحالفت عليه مع المنية التي راحت تهدده أينما اتجه .

وهو لا يكاد يصمد أمام ظاهرة الفناء على هذا النحو إلا من خلال ما يجده  
من وسائل العزاء حين يبكي « آل محرق » وغيرهم من أصحاب القصور العريقة  
وكيف تركوها واستسلموا للزمن ولم يبق أمامهم إلا الانهزام والانسحاب اعترافا  
بسطوته مما يجعل من وسائله هو الآخر أن يسلك نفس السبيل .

ومع لام الواقع التي يصورها مجسدة من خلال الآثار البالية ، وأطلال  
الأقوام ، تعود به ذاكرته الفاعلة وخياله إلى الماضي ، يلتقط من مشاهد ما كانت  
تنعم به حياتهم من خيرات أسعدتهم ، ورفعت مكاتهم بين بقية الأقوام وميزت  
حضارتهم عن غيرها من الحضارات .

ويتخذ الشاعر من صور الماضي حين يسندها إلى هؤلاء ومن صور  
حاضرهم وقد سيطر عليها البلى ، يتخذ منها جميعا — على تناقضها — معادلا  
موضوعيا يسقط من خلاله آلامه النفسية الحزينة التي التمس لها ما يوازيها ويسهل  
لها مهمة العزاء والتسلل عن ضغوط الحياة وكثرة همومها .

ومن هنا راح يطرح صور الماضي والحاضر في حياته كما عاشها بعد أن أطمأن  
إلى تصويرها من « خلال المعادل الموضوعي » وكأنه استطاع بهذا الشكل أن  
يطمئن إلى طبيعة المقارنة من ناحية ، ومن ناحية أخرى استطاع أن يهدأ إلى هذا  
« المعادل » الذي اتخذته وسيلة لتخفيف أحزانه وآلامه .

وعلى هذا طالت صورة الماضي وتعددت جزئياتها كما تعددت صور الحاضر ،  
والتقى في خياله الشيب والشباب من خلال ذاته كما التقيا من خلال الأقوام التي  
اتخذها « معادلا موضوعيا » يتجاوز معه ومن خلاله . مسجلا موقفه من  
الحياة والأحياء .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## ذكريات وعزاء

\* \* \*

- ١ تام الخلي وما أحس رقادى      والهم محتضر لدى وسادى
- ٢ من غير ما سقم ولكن شفى      هم أراه قد أصاب فؤادى
- ٣ ومن الحوادث لا أبالك أنى      ضربت على الأرض بالأسداد
- ٤ لا أهتدى فيها لموضع تلمة      بين العراق وبين أرض مراد
- ٥ ولقد علمت سوى الذى نبأتى      أن السبيل سبيل ذى الأعواد
- ٦ إن المنية والخوف كلاهما      يوفى المخارم يرقبان سوادى
- ٧ لن يرضيا منى وفاء رهينة      من دون نفسي طارفي وتلادى

- (١) الخلى : الذى تجتبه الهموم وتركته هادئا خالها منها ، لا يحسه : لا يعانيه ولا يجد له أثرا أمامه .
- (٢) من غير ما سقم : يصور مهره ومهدده دون علة واضحة . شفه الوجد . بمعنى أرققه وأهزله أو أذا به من كثرة ما سيطر عليه .
- (٣) الأسداد : السدود ( ج سد ) ( يصور معاناته وقد غمضت أمامه الأمور فلم يعد يهتدى إلى جهة واضحة وكان المسالك كلها قد سدت أمامه ) .
- (٤) أرض مراد : يقصد بها بلاد اليمن . التلمة وجمعها تلاح المناطق المنخفضة فى الأودية .
- (٥) ذوالأعواد : جد أكرم بن صيفى من بنى أسد بن عمرو بن تميم عرف واحد من المعمرين ومن كرام أهل زمانه .
- ( يصور عزته وغفلة الموت عنه دون بقية الناس ، فلو كان ثمة إنسان يعيش فليكن ذا الأعواد هذا الذى يتحدث عنه ) .
- (٦) السواد : الشخص . المخارم : الطرق الضيقة بين الجبال مفردا مخرم .
- (٧) لن يرضيا : يقصد المنية والخوف . التالذ : المروث . والطريف : المكتسب أو الجديد .

- ٨ ماذا أؤمل بعد آل محرق  
 ٩ أهل الخورثق والسدير وبارق  
 ١٠ أرضاً تخيرها لطيب مقيها  
 ١١ جرت الرياح على محل ديارهم  
 ١٢ ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة  
 ١٣ نزلوا بأنقرة يسيل عليهم  
 ١٤ فإذا للنعم وكل ما يلهمي به  
 ١٥ في آل عرق لو بغيت لي الأمي  
 ١٦ ما بعد زيد في فتاة فرقوا
- تركوا منازلهم ، وبعد إباد ؟  
 والقصر ذي الشرفات من سنداد  
 كعب بن مامة وابن أم دؤاد  
 فكانما كانوا على ميعاد  
 في ظل ملك ثابت الأوتاد  
 ماء الفرات يجيء من أطواد  
 يوماً يصير إلى بلى ونقاد  
 لوجدت فيهم أسوة العدا  
 قتلاً ونفياً بعد حسن تأدي ؟

(٨) الآل : الأهل . تركوا منازلهم : خلت منهم ممالكهم وديارهم . (يضخم الشاعر حزنه حين يفقد الأمل بعد زوال ملوك الأرض ويраهم ممثلين في آل عمرو بن هند وآل إباد) .

(٩) الخورثق : نهر في أرض الكوفة ، وقيل هو اسم القصر للنعمان . ومثله قصر السدير . بارق : ماء بالعراق . سنداد : تهريين الحيرة والأبلة .

(١٠) كعب بن مامة الإيادي : واحد من الأجواد الثلاثة . ابن أم دؤاد : يقصد به أبا دؤاد الإيادي الشاعر المعروف .

(١٢) غنوا : أقاموا . المغنى : المنزل . ثابت الأوتاد : راسخ الأسس .

(١٣) أنقرة : موضع بظهر الكوفة أسفل الخورثق نزلته إباد في زمن قديم .

(١٤) يستجمع مشهد النعم الذي ساد عندهم حتى حلت بهم الكوارث التي شغلهم عنه وبمرفتهم منه ليلاقوا المذلة والزوال .

(١٥) الأمي : الأمثال . عرق : هو مالك الأصغر بن حنظلة بن مالك الأكبر .

العداد : من يعد أسلحاً شريفة . ليجعلها موضع افتخاره .

(١٦) زيد : قبيلة . بعد حسن تأدي : أي بعد تمكنهم وأخذهم آلات الغزو وعدده .

- ١٧ فتخبروا الأرض الفضاء لِمِزَّهُمْ      ويزيدُ رافدُهُمْ على الرِّقَادِ  
١٨ إِمَّا تَرَبَّنِي قَدْ بَلَيْتُ وَغَاضَنِي      مَانِيلٌ مِّنْ بَصْرِي وَمِنْ أَجْلَادِي  
١٩ وَعَصَبْتُ أَصْحَابَ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا      وَأَطَعْتُ عَازِلَتِي وَلَانَ قِيَادِي  
٢٠ فَلَقَدْ أَرَوْحُ عَلَى النَّجَّارِ مُرَجَّلًا      مَذِلًا بِمَالِي لَيْنًا أَجْيَادِي  
٢١ وَلَقَدْ لَمَّوْتُ وَلِلشَّبَابِ لَذَاذَةٌ      بِسُلَاقَةٍ مُزِجَتِ بِمَاءِ غَوَادِي  
٢٢ مِنْ تَحْمِرِ ذِي نَظْفٍ أَفْنٌ مُنْطَقٌ      وَاقِيَ بِهَا لِدِرَاهِمِ الْإِسْجَادِ  
٢٣ يَسْمَى بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ مَشْمَرٍ      قَنَاتٌ أَنَامُلُهُ مِنَ الْفِرْصَادِ  
٢٤ وَالْبَيْضُ تَمْشِي كَالْبُدُورِ وَكَالدُّمَى      وَنَوَاعِمٌ يَمْشِينَ بِالْأَرْقَادِ  
٢٥ وَالْبَيْضُ يَرْمِيَنَّ الْقُلُوبَ كَأَنَّهَا      أَذْحَى بَيْنَ صَرِيعةٍ وَجَمَادِ  
٢٦ يَنْطَقَنَّ مَعْرُوفًا وَهَنْ نَوَاعِمٌ      بَيْضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الْأَكْبَادِ

(١٧) الفضاء : الراسعة . الرند : العطاء . والمهيات .

(١٨) بليت : بلغنى الشيب ، فتغير منى ماقى من جسمى وأتقصنى الكثير من نور بصرى .

(١٩) القياد : الزمام . لان : مهل . العازل : اللاتم .

(٢٠) التجار : بيوت الخمارين . مرجل : رجل شعره وينظمه ويضفره .

(٢١) السلافة : الخمر ، وقيل هى خالص الشراب . لذاذة الشباب أو بشاشته : طلالة الوجه .

(٢٢) النظف : القرطة . ذوقطف : يقصد بائع الخمر من المعجم ، منطق : فى وسطه منطقة

(٢٣) التومتان : اللزؤتان ، بصور ساقيا من المبحوس . قنات : احمرت . يشبه حمرة لون

الشراب بمجرة لون الفرصاد .

(٢٤) الدى : الصور . النواعم : من ذوات النعمة . الأرقاد : العطايا والمهيات .

(٢٥) الأدحى : الموضع الذى تدحوه النعامة لتبيض فيه . فهو يشبه النساء يبيض النعام .

الصريعة : ما انصرم من الرمل : الجناد : ما صلب من الأرض .

(٢٦) ببيض الوجوه : خاليات من العيوب والمساوى . الرفة : النعمة وخفض العيش . ورقة

الكبد : وفور الحظ من الرحمة والاحسان إلى الناس .

- ٢٧ ينطقن مخفوض الحديث تها مساً      فبلغن ما حاولن غير تنادى  
 ٢٨ ولقد غدوت لعازب متعاذر      أحوى المذائب مؤنيق الرواد  
 ٢٩ جادت سواريه وآزر تبتة      نفأ من الصفراء والزباد  
 ٣٠ بالجوف الأمرات حول مغامر      فبضارج فقصيمة الطراد  
 ٣١ بمشمر عتيد جهيز شدة      قيد الأوابد والرهان جواد  
 ٣٢ يشوي لنا الوحد المدل بحضرة      بشريح بين الشد والإيراد  
 ٣٣ ولقد تلوت الطاعتين بجمرة      أجد مهاجرة السقاب جماد  
 ٣٤ عيرانة سد الربيع خصاصها      ما يستبين بها مقل قراد  
 ٣٥ فإذا ، وذلك لا مهاة لذكره      والدهر يعقب صالحاً بفساد

- (٢٧) يصور ما يتمن به من حياة ونجل فمن يخفضن أصواتهن إذا تكلمن فيصلن إلى ما يردن دون رفع أصواتهن دلالة على نعمتهن أيضا .  
 (٢٨) العازب : المتنعى ، والعازب : الكلاء ، متاذر : يتناذره الناس للخوف منه .  
 المذائب : مسايل المياه ، الأحوى : شديدة الخضرة ، يصور التبت في المذائب .  
 المؤنيق : المعجب . الرواد : الذين يدورون في طلب المرعى .  
 (٢٩) الصفراء والزباد : ضربان من العشب . آزر : عاون . النفأ : ثبات له زهرة بيضاء .  
 (٣٠) الطراد : القناص . الجوف : المنطقة من الأرض المهلة .  
 (٣١) المشمر : الفرس الطويل القوائم . العتيد : الذي عنده عدة للجري . الجهيز : الكثير .  
 الأوابد : الوحش من الخمر أو البقر . قيد الأوابد : يقيد الوحش فلا تفوته .  
 الرهان : ما يدور في السباق . الجواد : الكثير العدو .  
 (٣٢) الوحد : الثور أو الحمار الذي ليس له من جنسه نظير حوث يفوق نظراءه .  
 المدل : شديد الفخر والمباهاة . الحضرة : العدو . الشريح : الخلط . الإيراد : أشد الشد .  
 (٣٣) تلاحم : تبعهم . الأجد : الموثقة الخلق . السقب : ولد الناقة . الجماد : القوية .  
 (٣٤) العيرانة : أنثى الحمار تشبه به في صلابتها وقوتها ومرعتها . الخصاصة : الجوع . سد الربيع : خصاصها : أسمتها الربيع بعد الهزال .  
 (٣٥) لامهاة : لابقاء . يصور ما اقتنع به من شأن الدهر حيث لا يتبع الصلاح إلا بالفساد والخير بالشر ، والبقاء بالنفاد .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ

\* \* \*

هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث ، شاعر جاهلي قديم ،  
ويظن بعض الباحثين المحدثين أن تكون وفاته بين سنة ٦٠٢ وسنة ٦١٠ ويرجح  
لويس شيخو سنة ٦٠٨ تاريخاً لوفاته . كان من فرسان العرب المشهورين ،  
عرف بجودة وصفه للخيال ومن جيد شعره فيها هذه القصيدة التي بدأها بأسفه  
على شبابه ويعبر فيها عن رغبته في العودة السريعة إلى هذا الشباب ، ويصور جود  
قبيلته مفتخراً بها ، ومفتخراً بجوده أيضاً ، كما يبرز اعترازه بقومه في حالتي السلم  
والحرب ، ومن قومه ينتقل إلى تصوير بني معد وإهنامهم بقومه ، ثم يعود مرة  
ثانية فيفخر بهم وخاصة الفرسان منهم ، ويركز في فخره على الحسب ونجدة  
المحتاج في سنوات الجذب والصبر على الشدائد .

وتظل لمقدمة هذه القصيدة أهميتها الخاصة ، حيث تجمع بين حديث الشيب  
وحديث الشباب ، وإن كانت مقدمة سريعة قليلة التفاصيل تدور حول ضياع  
الشباب وانسحابه أمام الشيب في حياة الشاعر ، وتقف عند تصوير طبيعة  
الصراع الذي يدور بين ماضيه وحاضره ، وهو صراع ينتهي بانتصار الشيب ،  
إذ لا يبقى للشاعر إلا التحسر على الذكريات ومعها بقية آمنيات في عودتها ، وهي  
آمنيات تخرج صاحبها من هذا الجو النفسي الحزين قبل أن يفاجئه المصير المحتوم  
الذي يترصده .

\* \* \*

---

تراجع القصيدة في ديوان سلامة بن جندل رواية الأصمعي وأبي عمرو الشيباني تحقيق الدكتور  
نفر الدين قباوة ، وفي ديوان المفضليات : المفضلية ( ٢٢ ) .



## أودى الشبابُ

\* \* \*

- ١ أودى الشبابُ حميداً ذوالنماجيب      أودى وذلك شأو غير مطلوب
- ٢ ولى حثيثاً وهذا الشيبُ يطلبه      لو كان يدركه ركضُ البعاقيب
- ٣ أودى الشبابُ الذى بمجد عواقبه      فيه نلذ ، ولا لذات للشيب
- ٤ يومان : يوم مقاماتٍ وأنديّة      ويوم سيرٍ إلى الأهداءِ تأويب
- ٥ والعاديّاتُ أسابىُ الدماء بها      كأنّ أعتاقها أنصابُ ترجيب
- ٦ من كلّ حتّ إذا ما ابتلّ مُلبّده      ضافى السبب أسيل الخلد يعبوب
- ٧ ليس بأسفى ولا أقتى ولا سغيل      يعطى دواء قفى السكّن مربوب

- (١) شأو غير مطلوب : سبق لا يسمل إدراكه . أودى الشيء بمعنى هلك وزال .
- (٢) البعاقيب : ذكور الحجل . يقول : لو كان ركض البعاقيب يدرك الشباب لطلبته .
- (٤) التأويب : الرجوع ، ومن معانيه الإيمان فى السير السريع . الأنديّة : المجالس حيث ملثق القوم .
- (٥) العاديّات : الخيل . الأسابى : الدم المراق ، أو ألوان الدم . الأنصاب : الحجارة تنصب ليتم الذبح عليها . الترجيب : أن تميل النخلة فى أحد شقيها فيؤتى بحجارة فتدغم بها من الشق المائل .
- (٦) الحت : الذى لا يجارى . ملبده : موضع لبده ، محزبه : موضع خزامه . مذرّه : موضع عذاره . السبب : شعر الذنب وشعر الناصية . أسيل : مهمل طويل . يعبوب : كثير الجرى ، ومنها أيضا كرم الأصل والنسب .
- (٧) القنا : حده فى الأنف ، وهو مذموم فى الخيل . الأسفى : خفيف شعر الناصية والذنب وهو السفا . سفل : مهزول . القفى : الذى يسقى اللبن ويؤثر به دون أهل البيت . الأتى : السيل يأتى من بلد مطار إلى بلد غير مطري شبه به تدفق فرسه فى الجرى . الشؤبوب : الدفعة من المطر . الشد : العدو .

- ٨ في كل قائمة منه إذا اندفعت منه أساور كفرغ الدلو أنعوب  
 ٩ كأنه يرقى نام عن غنم  
 ١٠ تم الدسيع إلى هادي له يتبع  
 ١١ تظاهر التي فيه فهو محتفل  
 ١٢ يحاضر الجون مخضرا جحافلها  
 ١٣ كم من فقير بإذن الله قد جبرت  
 ١٤ مما يقدم في الهيجا إذا كرهت  
 ١٥ همت معد بنا همتا قتهنهما  
 ١٦ بالمشرفي ومصقول أسننها
- منه أساور كفرغ الدلو أنعوب  
 مستنفر في سواد الليل مذؤوب  
 في جؤجؤ كدالك الطيب مخضوب  
 يعطي أساهي من جري وتقريب  
 ويسبق الألف عفوا غير مضروب  
 وذى غنى بوائه دار محروب  
 عند الطعان وينجي كل مكروب  
 عنا طمان وضرب غير تذيب  
 صم العوامل ، صدقات الأنايب

(٨) الأساور : الدفعات من الجرى . فرغ الدلو : إراقة الماء منها . أنعوب : سائل متدفع .

(٩) اليرقى : الراعى الجاق .

(١٠) الدسيع : العتق . التبغ : طول العتق . هادي الشيء : أوله ، والهادى : العتق .

جؤجؤ : صدره . المداك : الصلاة ، أراد أنه أملت .

(١١) التي : الشحم . تظاهر التي : أى ركب بعضه بعضا . جرى : عذر شديد . التقريب ،

ضرب من المسيردون الجرى . أساهى : ضروب من الجرى .

(١٢) الجون : حر ألوانها . مخضرا جحافلها : من أكل الرطب أو عشب الربيع الرطب .

(١٣) بواء : أنزله . جبرت : أغتته ولبت شعثه . محروب : مسلوب .

(١٥) همت بنا : أرادت بنا سوءا . نهىها : كفها . ضرب غير تذيب : ليس ضعيفا تذيبهم

به عنا ، ولكنه ضرب قاتل .

(١٦) مصقول أسننها : محذدة . صم : مفردا أهم وهو غير الأجوف . المشرفة : السيوف

منسوبة إلى قرى المشارف بالشام . عامل الرمح : الثلث الذى يلى السنان . الأنايب : الكعوب .

- ١٧ يَجْلُو أَسَدَتَهَا فَيَانُ عَادِيَةً  
 ١٨ سَوَى الثَّقَافُ قَنَاها فَهِيَ مُحْكَمَةٌ  
 ١٩ كَانَتْهَا بِأَكْفِ القَوْمِ إِذْ لَحَقُوا  
 ٢٠ كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ : أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ  
 ٢١ إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي سَعْدِ بِفَضْلِهِمْ  
 ٢٢ إِلَى تَمِيمٍ ، حِمَاةِ الثَّغْرِ ، نَسَبَتْهُمْ  
 ٢٣ قَوْمٌ إِذَا صَرَحَتْ تَحُلُّ بِيوتِهِمْ  
 ٢٤ يُنَجِّهِمُ مِنْ دَوَاهِي الشَّرِّ إِنْ أَزَمَتْ  
 ٢٥ كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ  
 لَا مُقْرِفِينَ وَلَا سُودَ جَعَايِبَ  
 قَلِيلَةُ الزَّيْغِ مِنْ سَنٍّ وَتَرْكِيبِ  
 مَوَاتِحِ الْبَيْتِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ  
 شَيْخٍ بَارِمًا حِنَا غَيْرِ التَّكَاذِيبِ  
 كُلُّ شَهَابٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُضْطَبُوبِ  
 وَكُلُّ ذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ مَنُتْسُوبِ  
 عِزُّ الدَّلِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبِ  
 صَبْرٌ عَلَيْهِمَا وَقَبْضٌ غَيْرُ مُحْسُوبِ  
 بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبٍ الْبَطْنُ مَجْدُوبِ

(١٧) المقرف : الذي تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . والمجيب : الذي يكون أبوه عربياً وأمه من غير العرب . الميل . الذين يميلون عن مرجهم ولا يثبتون عليه (الزيغ) . يجلو الأسنة : يكشف عنها الصدا . العادية : الحاملة الذين يعدون في الحرب ويحملون . الجعايب : الصفاة القصار الذين لا خير عندهم أو هم الأذنياء من الرجال .

(١٨) الثقاف : خشبة يقوم بها القنا . الزيغ : الاعوجاج . السن : التعديد .

(١٩) المواتح : البكرات التي يمنح عليها . النطن : الحبل مطلوب : ماء معروف ، ومطلوب : يرلني كلاب .

(٢٠) التكداب : الرمح يكذب صاحبه في الحملة .

(٢٢) الثغر : أن يكون الوادي خصيب البطن مخلوقاً فيهما ماء الناس فيرحاه أهل العز .

(٢٣) صرحت : بينت ، أي لم يكن فيها مطر ولا غيم . الكحل : السنة الشديدة المجدبة .

القراضية : الأصوص ، ويقال أهل الفقر والحاجة . والقرضوب الصعلوك الفقير .

(٢٤) أزمت : اشتدت . القبض : العدد الكثير .

(٢٥) المجدوب : المذموم المغيب . الشامية : ريح الشمال من الشام وتتميز بشدة برودتها . حطيب : كثير الحطب .

- ٢٦ شَيْبَ الْمَبَارِكِ مَدْرُوسٍ مَدَافِعُهُ      هَابِي الْمَرَاغِ قَلِيلِ الْوَدَقِ مَوْظُوبِ  
 ٢٧ كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِيخُ قَزَعُ      كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيْبِ  
 ٢٨ وَشَدَّ كَوْرٍ عَلَى وَجَنَاءَ نَاجِيَةٍ      وَشَدَّ لِبَدُهُ عَلَى بَرَدَاءَ مَرْحُوبِ  
 ٢٩ يُقَالُ : تَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرْتَعَمَهَا      وَلَوْ تَعَادَى بِبَكَءٍ كُلُّ مَحْلُوبِ  
 ٣٠ حَتَّى تَرْكُنَا وَمَا تُثْنَى ظِعَامُنُنَا      يَأْخُذَنَّ بَيْنَ مَوَادِ الْخَطِّ فَالْلُوبِ

- (٢٦) المبارك جمع مبارك وهو جانب الوادى حيث تترك الإبل لأنها لا تترك فى مجرى الماء .  
 الودق : المطر . قليل الودق : لم يصبه المطر . مدروس مدافعه : أى أن أرديته التى كانت يكون بها  
 النبات قد درست أى دقت ووطئت وأكل نباتها « والهابى : الغبار » والمراغ : التراب ( هاب المراغ  
 أى متفخ التراب لا يتمرغ فيه بهيم وقد ترك لغوضه ) مَوْظُوب : واطبوا عليه حتى أكل ما فيه .  
 (٢٧) الصارخ : من الأضداد ومعناها المستغيث أو المغيث . قرع الظنابيب : يكنى به عن العزم  
 على الفوت وتفزع ظنابيب التحيل بالسياط لتركض إلى العدو . والظنوب : الساق .  
 (٢٨) والبد : ما بوضع تحت المرج على ظهر القرس . مرحوب : فرس طويلة ، وجناء :  
 خاقه فليظة . ناجية : سرية . الكور : الرجل .  
 (٢٩) البك : قلة اللبن تنى : ترد . الخط : موضع .  
 (٣٠) اللوب جمع لابة ولوب . وهى الحرة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## الأخنس بن شهاب التغلبي

\* \* \*

شاعر جاهلي قديم ، وواحد من فرسان قبيلة تغلب المعدودين ، عرف بأنه « فارس العصا » ، وذاعت مكانته في الشعر قبل الإسلام بدهر ، وكان ابنه بكير ابن الأخنس بن شهاب شاعرا إسلاميا . وموضوع القصيدة يدور حول نحر الشاعر بنفسه وبني قومه ، وهي تبدأ — كالعادة — بوصف ديار صاحبه حيث يقف على أطلالها باكيا ناعنا ما انتشر فيها من حيوانات الصحراء بعد رحيلها ، فيلفت نظره فيها مشهد النعام بصفة خاصة ، ثم يقف بعد ذلك عند عرض ذكريات شبابه فيصورها من خلال عرض موقفه النفسي تجاهها .

ويسجل الشاعر في القصيدة كثيرا من مواطن العرب والأماكن التي أقاموا فيها ، وهو يستغل هذا التسجيل في هدفه من موضوع القصيدة إذ يقف عند التغلبين ليثبت لهم موطنهم العام الذي يمتد في أنحاء الجزيرة ، وهم ليسوا كغيرهم من ضعاف القبائل التي تلتزم بدورها وأماكنها ، وإنما ينتشرون في الأرض بحكم قوتهم وسيطرتهم على غيرهم من القبائل ، فهم يسرون في الصحراء خلف سبل الحياة من أمطار وأعشاب لا ينحشون أحدا ولا يعترض سبلهم عدو ، بل يحسون العزة في أنفهم ، وهم يسعدون بحماية خيلهم لهم وهي ترود حول بيوتهم جيئة وذهابا ، وكأنها ترفض الحبس أو الاستقرار هي الأخرى ، ومن الخيل ينتقل



الأخفس الى تصوير فرسان قومه أبطالاً تلتقى في عناصرهم الشجاعة ، لا تراهم  
إلا في مواقف القتال ومقارعة الأبطال صراعا من أجل سيادتهم ونشر رأيهم  
دائما بين القبائل .

\* \* \*

(راجع المفضليات بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد شاكر)

عبد الله التطاوى

## سِيَادَةُ مُطْلَقَةٍ

\*\*\*

- ١ لَابِنَةُ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ      كَمَا رَقَشَ الْعُنْوَانُ فِي الرُّقِّ كَاتِبُ
- ٢ ظَلَّلْتُ بِهَا أُعْرَى وَأَشْعَرُ سَخْنَةً      كَمَا اعْتَادَ تَحْمُومًا يَخْبِرُ صَالِبُ
- ٣ تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النَّعَامِ كَانَهَا      إِمَاءُ تُزْبِجِي بِالْعِشَى حَوَاطِبُ
- ٤ خَالِيَا : هَوَجَاءُ النَّجَاءِ شِمْلَةٌ      وَذُو شُطْبٍ لَا يَجْتَوِيهِ الْمُصَاحِبُ
- ٥ وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَالْعَوَاةُ مَحَابَّتِي      أَوْلَيْكَ خُلَصَانِي الَّذِينَ أَصَاحِبُ
- ٦ رَفِيقًا لِمَنْ أَهْيَا وَقُلْدَ حَبْلُهُ      وَحَازَرَ جَرَاهُ الصَّدِيقُ الْأَقَارِبُ

(١) يلجأ الشاعر إلى التشبيه ليصور ما بقي من آثار الديار بعد دروسها إذ بقي بعضها وهفت كثير من معالمها، وصارت أشبه ببقايا الكتابة في الرق. العنوان : العلامة . الترفيش : التحسين والتزيين .  
(٢) أعمرى : من العرواء وهي الرعدة المصاحبة للحمى أو الرعدة المرتبطة بها . وقد خص «خير» لأن حماتها أشد الحمى . وهو يلجأ إلى التصوير أيضا فيعرض وقع ما أصابه من الوقوف على الديار وما بان من دروسها فكان أشد مما اعتاد بالمحموم بخير . الصالب : الحمى المصحوبة بالصداغ .

(٣) الربداء : النعام ، والربدة : غيرة تضرب إلى السواد وتشير إلى اللون القاتم .  
وهو يشبه النعام وقد عرفت بأنها أنقر الوحوش في سكونها في مرعاها ورفقتها في مشيها بنفسها بأدما .  
تساق محتطبات مثقلات بما جمعت من الحطب وقد أصابهن التعب والإرهاق في هودتهن بالعشى إلى الحمى .  
(٤) الهوجاء : التي تتركب رأسها في السير . النجاء : السرعة . الشملة : السريعة الخفيفة .  
الشطوب : على هيئة الخطوط في السيف . الاجتواء : الاستئصال والكراهة . المصاحب : صاحب السيف . فهو لصراسته وثقلته لا يكرهه من كان له .

(٥) العواة : الحجان وأصحاب الضلالة والفساد من الناس . خلصاني : صفوني وأصدقائي .  
(٦) رفيقا لمن أهيا : يقصد من أتمب مثاله . قلد حبله : أى ألقى زمامه على غاربه بعد اليأس من إصلاحه وتقويمه ، فترك في سومه لا يقاد ولا يساق . جراه : جريته أوجنائه .

- ٧ فَأَدَيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا  
٨ لِكُلِّ أَنَّاسٍ مِنْ مَعَدِّ عِمَارَةٍ  
٩ لَكَيْزٍ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ  
١٠ تَطَايُرُ عَنْ أَعْجَازِ حُوشٍ كَانَتْهَا  
١١ وَبَكَرُهَا ظَهَرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ  
١٢ وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قَفٍّ وَرَمْلَةٍ  
١٣ وَكَلْبٌ لَهَا خَبَتْ فَرَمْلَةٌ عَالِجٌ  
١٤ وَغَسَّانٌ حَىٰ عِزُّهُمْ فِي سِوَاهُمْ
- وَاللَّيَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاجِعٌ وَكَاسِبٌ  
عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْتَجِئُونَ وَجَانِبٌ  
وَلِنْ يَأْتِيهَا بَاسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبٌ  
جَهَامٌ أَرَاقَ مَاءُهُ فَهَوَّ آتِبٌ  
يَحُلُّ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبٌ  
لَهَا مِنْ حِبَالٍ مُتَنَائِيٍّ وَمَذَاهِبٌ  
إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ  
يُجَالِدُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وَكَنَائِبُ

(٧) سلكت سبيل الهداية والرشاد ، فللمال منى حافظ رد ما كان عليه من الغواية والضلال .

(٨) العمارة : الحى العظيم وقيل أنها البطن من القبيلة . العروض : الحى العظيم الكبير والطريق فى مرض الجبل ومرض الجبل شعبة من الجبل .

وهو يصور لكل طاقة من طوائف معد جهة بأدون إليها وهضبة عز يخلصون بها .

(٩) السَّيْفُ : ضفة البحر . الكرب : شدة الأمر وكربت الجبل أى سددت فتله .

(١٠) الحوش : إبل حوشية . يصورهم فى سباقهم فى الشر والحرب وهم أصحاب إبل لا نخيل لهم قفى دعوا إلى الحرب أجاابوا سراعا .

(١١) يصور الشاعر الحاجب من أهل اليمامة . فيقول إن تشأ تجعل بينها وبين اليمامة مانعا .

(١٢) القف : ما غلظ من الأرض وخشن وصلب الحبال : حبال الرمل . المتناهى : البعيد (من النأى) .

(١٣) خبت : منازل لكلب . الحرة الرجلاء : الغليظة الصلبة .

(١٤) غسان : ماء ، ويقال أنه سمي ولد بجفة فسان بماء نزله فن شرب هذا الماء سمي غسانيا . راسم الماء غسان . المقنب : الجماعة . يصورهم ملوكا قليلين وكانت الروم توليهم وتقاتل عنهم تمزهم فى غيرهم ، وإنما كانوا نزولا مع قوم من العرب .

- ١٥ وبهراء حتى قد علمنا مكانهم  
 ١٦ وغارت إياد في السواد ودونها  
 ١٧ ونحتم ملوك الناس يجبي إليهم  
 ١٨ ونحن أناس لا يجاز بأرضنا  
 ١٩ ترى رائدات الخيل حول بيوتنا  
 ٢٠ فيغبن أحلاباً ويصبحن مثلها  
 ٢١ فوارسها من تغلب ابنه وإيل
- لهم شرك حول الرصافة لأحب  
 برازيق، عجم، تبتغي من تضارب  
 إذا قال منهم قائل فهو واجب  
 مع الغيث ما تلقى ومن هو غالب  
 كمعزى الجواز أعجزتها الزرائب  
 فهن من التعداد قب شواذب  
 حماة كجاة ليس فيها أشائب

- (١٥) الشرك : الموارد والآثار ويقصد به موردهم من ناحية الرصافة ، وهو موطن هشام بن عبد الملك . الاحب : الواضح . المذل : المعبد بصورهم مجاورين له آمنين أعداءهم .  
 مكانهم : ديارهم ومحلهم وربما قصد مكانهم المعنوية في العز والإباء والشرف .
- (١٦) غارت : دخلت . البرازيق : جماعات المراكب بصورهم يخاطبون الناس من أهل الحضر ويشارتونهم في قراهم ومن القهم ويطلبون من يجاذبهم لحرمهم على القتال والدفاع .
- (١٧) بصور سيطرتهم ونفاذ أمرهم من خلال مكانهم كلوك يتبعهم الناس ويخضعون لهم . ويقفون عند أمرهم ونهيمهم . خاضعين مطيعين .
- (١٨) مع الغيث ما تلقى : بصور وحيلهم إلى كل بلد وقع فيه المطر وتنقلهم المستمر ، لينشروا سيطرتهم على أهله ، فهم لا يخشون أحدا مطلقا .
- (١٩) الزرائب : حظائر النعم . الرائدات : المختلفات في جوانب البيوت لا يجالس لها .  
 بصور رائدات الخيل بمعزى الجواز كيف ضاقت عنها الزرائب لكثرتها ، فهي تختلف كيف شاءت لكونها مخلقة لا يخافون عليها طمع طامع أو سلب سالب .
- (٢٠) التعداد : من العدو . القب : الضوامر الخواصر . الشواذب : الضوامر . الأحلاب : يريد بها حلبات العدو .
- (٢١) حماة : يذرون عن حماهم ويدفعون عنه أعداءهم . الأشائب : الأخطا من الناس .

- ٢٢ هُم يَضِرُّونَ الْكَيْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَبَاسِبُ  
 ٢٣ يَجَاوَأَ يَنْسِفِي وَرُدَّهَا سَرَعَانَهَا كَأَن وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ  
 ٢٤ وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضَلُهَا خُطَانًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ  
 ٢٥ فَلِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي سُوقَةٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْمُلُوكِ الْعَصَائِبُ  
 ٢٦ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ وَتَقْصُرُ عَمَّا يَفْعَلُونَ الذَّوَاتِبُ  
 ٢٧ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ لِحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبُ

(٢٢) الكيش : سيد القرم وحاميهم ورئيسهم . وقد يقصد به المتقدمون من الجيش . السباب : الطرائق . ( مفردا سببة ) .

(٢٣) الجأراء : الكتيبة التي كثرت درودها وعنادها وطال أمدها في الغزو والوجوه : البريق .  
 السرعان : يقصد تصويرهم في إسرارهم ومبادرتهم إلى حياض الموت . وضبح البيض : ما وضع منه وظهور .

(٢٥) السوقة : من هم دون السادة . العصائب : الجماعات .

(٢٦) الذواتب : المتقدمون . الذواتب : المتأخرون . يصورهم متقدمين عند السلاطين وبقية  
 الناس تبع لهم . وهم ينظرون فعلهم في قضايهم ، وتبجزهم حاجاتهم وحاجات الآخرين . ويزيد  
 من تعميق الصورة بتصوير السادة ، وإن عزوا في أفقهم إلا أنهم يسجزون تماما عن بلوغ مكانهم  
 أروحي النطلع إلى شأورهم .

(٢٧) يصور إبلهم وكيف تركوها تسرب حيث شاءت ، وهم لا يفعلون معها كما يفعل الآخرون  
 من قيدها ، فهم يثقون من قدرتها وقدرتهم على حمايتها فيتركوها ترعى أينما سارت .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## الشَّنْفَرَى

\* \* \*

شاعر من الصماليك ، يختلف الرواة اختلافا كبيرا حول اسمه ولقبه ونسبه .  
وأخبار نشأته الأولى غامضة إلى درجة بعيدة ، ولكننا من خلال هذا الاختلاف ،  
ومن وراء هذا الغموض ، نستطيع أن نقول إنه من قبيلة الأزديين ، وإن  
الشنفرى لقب أطلق عليه ، وإن أباه كان في موضع من قومه ، ولكنه كان  
في قلة من المال ، وإن أمه كانت سبية ، ومن هنا جاء هذا اللقب الذي يدل  
لغويا على غِلَظ الشفتين ، وراثته عن أمه التي كانت — في أغلب الظن — من  
أصل زنجي . ويرجع ذلك ما يذكره الرواة من أنه كان من « أغربة العرب » ،  
أبناء الإماء السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم .

نشأ الشنفرى في قبيلته كما ينشأ أولاد الإماء تحت وطأة العنصرية العربية  
الجاهلية من أب عربي أنجبه ثم لم يعترف به . ثم في ظروف لم يتفق الرواة عليها  
انتقل إلى قبيلة فهم التي كانت قتل في جبال الحجاز الوعرة جنوبي مكة ،  
وهي قبيلة فقيرة متمردة مشهورة بكثرة لصوصها وقطاع الطرق فيها . وهناك اتصل  
بتأبط شرا أحد حُتَاة الصماليك في هذه المنطقة ، فوجد فيه تلميذا ممتازا ، فلقنه  
دروس الصعلكة الأولى حتى صار لا يقام لسبيله . ومضى الاثنان في الطريق  
الصعب الذي اختاره الصماليك لأنفسهم . ورأى الشنفرى أن فرصة الانتقام  
من قبيلته التي تخلت عنه ذات يوم ، وألقت به في قبيلة غريبة ، قد سنحت له ،

فأخذ يصب عليها كل غزواته ، ووهب حياته للانتقام منها ، وآلى على نفسه أن يقتل منها مائة رجل .

وركب الشنفرى الموجة العالية العاتية ، وانطلق مع صعاليك العرب يثرون الفرع في أرجاء الصحراء ، يغيرون وينهبون ويسلبون ، ويهاجمون أغنياء القبائل ، ويقطعون طرق القوافل التجارية التي تسيل بها شعاب هذه المنطقة المواجهة بالنشاط الاقتصادي ، ولا يترددون عن قتل من يمترض طريقهم ، راقمين راية التمرد على المجتمع القبلي وماتعارف عليه من نظم اجتماعية واقتصادية . وأطانه على ذلك حقد أسود على المجتمع المتعصب للجنس الأبيض ، وإيمان قوى يصل إلى درجة الهوس بالحركة التي يعمل من خلالها ، وجرأة متطرفة تصل إلى حد التهور والاستهانة بالحياة ، ثم صرعة غير مادية في العدو ضربت بها الأمثال .

وعاش الشنفرى حياة تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والواقع بالأسطورة ، ويذكر الرواة أنه وفي بعهد الذي أخذه على نفسه ، فقتل تسعة وتسعين رجلا من قبيلته . ثم كانت النهاية ، فاحتالوا عليه ، وقبضوا عليه بمساعدة أحد مدائهم المشهورين — أميد بن جابر — ثم قتلوه ، وفصلوا رأسه عن جسده ، وألقوا به في الصحراء . وإشياء القدر أن يمر به رجل منهم ، فيضرب جمجمته بقدمه ، فتدخل فيها شظية منها ، فيموت ويتم القتل مائة ، وفاء من القدر بالعهد الذي قطعه الشنفرى على نفسه .

\*\*\*

وشعر الشنفرى الذي وصل إلينا قليل ، وكأنما ضاع أكثره في تشرده في أعماق الصحراء . ويدور القسم الأكبر منه حول هذا الصراع الرهيب بينه وبين قومه ، والجزء الباقي حول أحاديث تصعلكه وفقره وتشرده وغاراته وتمرده على

المجتمع الذي انفصل عنه منذ وقت مبكر من حياته . ولكن من أعماق هذه الموسيقى الرهيبة العنيفة التي تُطلقها أبوابُ الحقد والانتقام ، ينطلق نغم رقيق هادئ في مقدمته الطويلة التي يستهل بها تأييده المفضلية « ألا أم عمرو أزمعت فاستقلت » ، يرسم صورة رائعة ممتازة لزوجته الحبيبة المثالية ، صورة نادرة في الشعر الجاهلي لا نكاد نظفر فيه بصورة تماثلها .

ومن أروع ما نُسب إليه لاميته المشهورة الدائمة الصيت المعروفة بلامية العرب ، وإن يكن كثير من الرواة القدماء والباحثين المحدثين يشكون في صحة نسبتها إليه ، ولكن القضية ما تزال موضع خلاف كبير وجدل شديد بين الباحثين .

وأخص ما يميز أسلوب الشنفرى الفنى تلك الخشونة اللفظية التي تمثل اللغة البدوية الجاهلية أصدق تمثيل ، ثم تلك الصلابة التعبيرية التي تجعل أسلوبه أسلوباً محكاً قوياً لا رخاوة فيه انعكاساً لقوة شخصيته ، وقسوة الحياة التي يحياها . هذا إلى جانب ما يمتاز به من صدق التعبير عن الواقع ، والصراحة التي لا حدود لها في النقل عن الحياة .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## التائية المفضّلة

\* \* \*

كان الشنفرى قد أخذ أسيرا فداءً فى بنى سَلامان بن مُفْرِج وهو غلام صغير،  
فنشأ فيهم ، فلما أساءوا إليه وهلم بأمره غضب ، وتوعدّهم أن يقتل منهم مائة  
رجل ، فقتل تسعة وتسعين ، وكان ممن قتل منهم رجل يُقال له حَرَام بن جابر ،  
قتله بمنى حين أخبر أنه قاتل أبيه ، وأشار إلى مقتلِه فى البيت ٢٨ من هذه القصيدة .  
بدأ الشنفرى قصيدته بالغزل والتشبيب ، وأبدع فى وصف مشية صاحبه  
والتنويه بحاسنها ، ثم نعت قوته وشدة بأسه ، ونوّه بصديقه تأبط شرا ، ووصف  
السيف ، ثم أشار إلى ثاره من قاتل أبيه ، ونفر باستهانته بالحياة ، ومجازاته الخير  
والشر بمثلها .

\* \* \*

- ١ ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودّعت جيرانها إذ تولّت
- ٢ وقد سبقنا أم عمرو بأمرها وكانت بأعناق المطى أظلت
- ٣ يعينى ما أمست فباتت فأصبحت فقصت أمورا فاستقلت فولّت

(١) أجمعت : عزمت أمرها . استقلت : ارتحلت .

(٢) سبقنا بأمرها : استبدت واستأثرت به . وكانت بأعناق المطى أظلت : أى بلحّاتنا بالإبل

حتى أظلمنا بها

(٣) يعينى : يأسف أن يرى رجليها ولا حيلة له معه .

- ٤ فواكبدا على أميمة بعدما  
 ٥ فياجارتى وأنت غير ملهمة  
 ٦ لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعها  
 ٧ تبیت بعيد النوم تهدى غبوقها  
 ٨ تحل بمنجاة من اللوم يبتها  
 ٩ كان لها في الأرض نسيا تقصه  
 ١٠ أميمة لا تخزي تشاها حليلها  
 ١١ إذا هو أمسى أب فترة عينه  
 ١٢ فدقت وجلت واسبركت وأكلت  
 ١٣ فبتنا كأن البيت حجر فوقنا  
 ١٤ بريحاية من بطن حلية نورث
- طمعت، فهبها نعمة العيش زلت  
 إذا ذكرت، ولا بذات تقلت  
 إذا ما مشيت، ولا بذات تلقيت  
 لجارتها إذا الهدية قلت  
 إذا ما بيوت بالذمة حلت  
 على أمها، وإن تكلمك تبليت  
 إذا ذكر النسوان عفت وجلت  
 مآب السعيد لم يسأل أين ظلت  
 فلو حسن إنسان من الحسن جنت  
 بريحانة ريمحت عشاء وطلت  
 لها أرج، ما حولها غير مسيت

\* \* \*

(٤) زلت : ذهبت .

(٥) ملهمة : من قولهم « ألام » إذا أتى ما يلام عليه . تقلت : تهنضت .

(٦) يقول : لا يسقط قناعها لشدة حياتها ، ولا تكثر التلفت فإنه من فعل أهل الرية .

(٧) الغبوق : ما يشرب بالعشى . تهديه لجارتها : أى تؤثرها به لكرهها . إذا الهدية قلت : أى فى وقت الجذب .

(٨) المنجاة : مفعلة من النجوة وهى الارتفاع . يريد أنها بعيدة عن اللوم .

(٩) النسي : الشئ المفقود الملقى . تبليت : تنقطع فى كلامها ولا تطيله .

(١٠) النثا : ما أخبرت به عن شخص من حسن أو سيئ ، يقال : ثنا الحديث والخبر : حدث به وأشاعه . حليلها : زوجها .

(١١) أب : رجع . لم يسأل أين ظلت : لأنها لم تبرح بيتها . قال الأصمى : هذه الأبيات أحسن ما قيل فى خمر النساء وعفتن .

(١٢) اسبركت : طالت وامتدت .

(١٣) حجر : أحيط . ريمحت : أصابها ريح بغفوات بنسيمها . طلت : أصابها الطل وهو الندى .

(١٤) حلية : واد يتأمة . الأرج : توهج الريح وتفرقها فى كل جانب ، المسنت : المجذب .



- ١٥ وباضعة حمر القسي بعثتها ومن يغزُ يغنم مرة ويشمت  
 ١٦ خرجنا من الوادي الذي بين مشعل وبين الجباهيات أنشأت سربتي  
 ١٧ أمشي على الأرض التي لن تضرنني لأنكي قوما أو أصادف حمتي  
 ١٨ أمشي على أين الغزاة وبعدها يقربني منها رواحى وغدوتى.  
 ١٩ وأم عيال قد شهدت تقوتهم إذا أطعمتهم أو نحت وأقلت  
 ٢٠ تخاف علينا العيل إن هي أكثر ونحن جياع، أى آل تألت !  
 ٢١ وما إن بها ضن بما فى وعائها ولكنها من خيفة الجوع ابقيت  
 ٢٢ مصعلكة لا يقصر الستردونها ولا ترتجى للبيت إن لم تبيت

(١٥) الباضعة : القاطعة ، يعنى قوما غزاة ، حمر القسي : غزاة مرة بعد مرة فاحترت قسبهم الشمس والمطر . بعثتها : غزوت بها . يشمت : من قولهم « شمت الله » أى خيبه الله ، « وأنشأت » بكسر الشين وتخفيف الميم : الخيبة .

(١٦) مشعل والجبا : موضعان . السربة : الجماعة . وأنشأت سربتي : أى أظهرتهم من مكان بعيد . يصف بعد مذهبه فى الأرض طلبا للغنيمة .

(١٧) لن تضرنني : لن أخاف أحدا بها . لأنكى : يقال نكى العدر ينكبه نكابة أى أصاب منه . الحمة : المنية .

(١٨) أمشى : إشارة إلى غزوه على رجله شأن أكثر الصالحين . على أين الغزاة : على ما يصيبني من تعب الغزوة .

(١٩) أراد بأم عيال تأبط شرا لأنهم حين غزوا جعلوا زادهم إليه . أو نحت : أعطت قليلا مثل أقلت . كان تأبط شرا يقترب على رفاقه خوفا من أن تطول الغزوة فيموتوا جوعا .

(٢٠) العيل والعيلة : الفقر . أى آل تألت : أى سياسة ساست .

(٢١) الضن : البخل .

(٢٢) مصعلكة : صاحبة مصاليك . لا يقصر الستردونها : لا تنطلى أمرها . ولا ترتجى

للبيت إن لم تبيت : أى لا ترتجى أن تكون مقيمة إلا إذا أرادت ذلك .

- ٢٣ لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثون سَيْحًا إذا آنست أُولَى الْعِدَى اقشعرت  
 ٢٤ وتأتى الْعِدَى بارزا نصف ساقها تجول كعَيْرِ الْعانة الْمُتَلَقَّتِ  
 ٢٥ إذا قَزَعُوا طارت بأبيض صارم ورامت بما في جَفْرِها ثم سَلَّتْ  
 ٢٦ حسام كلون الملح صافٍ حديدُه جَرَّاز كَأَقْطاعِ الْغديرِ المنعَتِ  
 ٢٧ تراها كأذْئابِ الْحَسِيلِ مَوادِرا وقد نَهَلَتْ من الدماء وعلَّتْ  
 ٢٨ قَتَلْنَا قَتِيلًا مُهْدِيًا بِمَلْبَدٍ جَمَارِ مَنَى وَسَطَ الْجَجِيجِ المصوَّتِ  
 ٢٩ جزينا سلامان بن مَفْرِجٍ قَوْضَها بما قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَأَزَلْتَ  
 ٣٠ وهَيَّيْ بِي قوم وما إنْ هَنَأْتُهُمْ وأصبحتُ في قوم وليسوا بِمُنْتَبِي  
 ٣١ شَفَيْتَا بَعِيدَ اللَّهِ بَعْضَ غَلِيلِنَا وعوف لَدَى المَعْدَى أَوَّانَ اسْتَهَلَّتْ

\* \* \*

- (٢٣) الوفضة : جمعة السهام . السيف : السهم . اقشعرت : تهيأت للهجوم .  
 (٢٤) بارزا نصف ساقها : يريد أنه مشرجاده العير : حمار الوحش . العانة : القطيع من حمار الوحش ، وإنما شبهه بعير العانة لأن الحمار أغبر ما يكون ، فهو يتلفت إلى الخير يطردها عن أثناءه .  
 (٢٥) الأبيض : السيف . الصارم : القاطع . الجفر : كثافة السهام . يعنى أنه يرى بما في كثائته ثم يحارب بسيفه .  
 (٢٦) الجراز : السيف القاطع . أقطاع : جمع قطع بكسر وسكون كالقطعة ، والمراد بأقطاع الغدير أجزاء الماء يضربها الهواء فتقطع ويبدو بريقها . المنعت : مبالغة من النعت وهو الوصف بالحسن .  
 (٢٧) الحسيل : جمع حسيلة وهي أولاد البقر . شبه السيوف بأذئاب الحسيل إذا رأت أهاباتها سركت أذئابها . النهل والعلل : أول الشرب وآخره ، وهو هنا للسيوف .  
 (٢٨) مهديا : محرما ساق الهدى . ملبد : محرم لبد رأسه وهو أن يجعل في رأسه شيئا من الصمغ ليتلبد شعره . يريد : قتلنا محرما برجل محرم . جمار منى : أى عند الجماره المصوت : الملبى . ومن المعروف أن رعى الجمار والتلبية كانت من شعائر الحج في الجاهلية .  
 (٢٩) سلامان بن مفرج : هم الذين أسروه فداء . أزلت : قدمت .  
 (٣٠) يريد : هوى بنو سلامان حين أخذوني في الفدية وما انتفعوا بي . ليسوا بمنتي : أى ليس هؤلاء القوم ممن أحب وأتمنى .  
 (٣١) عبد الله وعوف : من بنى سلامان . المعدى : موضع العدو ، والمراد ساحة القتال . أوان استهلَّت : في الوقت الذى ارتفعت فيه الأصوات للحرب .

٣٢ إذا ما أتتني ميتى لم أبالها ولم تذرْ خالاتى الدموعَ وعمتى  
 ٣٣ ولو لم أرمِ فى أهل بيتى قاهدا إذن جاءنى بين العمودين حمتى  
 ٣٤ ألا لا تعدنى إن تشكيتُ ، خلّى شفانى بأعلى ذى البريقين عدوتى  
 ٣٥ ولانى لخلو إن أريدتْ حلاوتى ومُرُّ إذا نفسُ العزوفِ استمرتْ  
 ٣٦ أبى لما أبى سريعُ مباءتى إلى كلِّ نفسٍ تنهى فى مسرتى

\* \* \*

- (٣٢) لم أرم : لم أبرح . العمودان : لعله أراد عمودى الخباء . حمتى : منيتى .  
 (٣٤) الخلّة : الخليل . ذوالبريقين : موضع . عدوتى : المرة من العدو . يريد أن مرهة عدوه .  
 سلاح يشتفى به كرا وفرا .  
 (٣٥) العزوف : المنصرف عن الشئ . استمرت : من المصرة . يقول : أنا مهمل لمن ساهانى ،  
 مر على من عادانى .  
 (٣٦) المباءة : الرجوع . تنهى فى مسرتى : تقصد إلى ما يسرنى .

\* \* \*

سيد حنفى

( ٢ )

## المَرْقَبَة

\* \* \*

يكثر في شعر الصعاليك حديثهم عن « المَرَّاقِبِ » ، وهى المرتفعات العالية التى كانوا يصعدون إليها ليربصوا فوقها بضحاياهم ، ويرتقبوا الفرصة السانحة لمهاجمتهم . وهى أحاديث تشكل موضوعا متميزا من موضوعات شعرهم يصح أن نطلق عليه « شعر المراقب » ، ولا يكاد شعر أى شاعر منهم يخلو من حديث عنها . وهو موضوع يبدو فى موقع طبيعى فى شعرهم لارتباطه بواقع حياتهم التى تعتمد على التربص والترقب والمباغلة ، وهى العناصر التى تشكل « التكتيك » الهجوى فى حركتهم القتالية .

وفى هذه الأبيات يرسم الشنفرى صورة للمراقبة التى صعد إليها لمراقبة الطريق من فوقها ، فهى مرقبة مرتفعة يعجز غيره عن ارتقاها ، وقد صعد إليها وقد اقترب الليل بظلامه الذى يساعده على التخفى ، وانتظر فوقها يتربص بضحية تلوع له على الطريق الذى تُشرف عليه ، وليس معه إلا سلاحه وثيابه البالية ، وفوقها وعلى امتداد الوقت الذى قضاه فى التربص راح يستعيد بعض ذكريات تصعلكه وتشرده ، مفتخرا بجراته على اقتحام الصحراء الرهيبة ، والتوغل فى وديانها الموحشة حيث لا أثر للحياة إلا الأسود الضارية والجن المعردة فى أعماق المجهول .

\* \* \*

- ١ ومرتبة عطاء يقصر دونها أخوال الضرورة الرجل الخفيف المشقف
- ٢ نمت إلى أمل ذراها وقد دنا من الليل ملتف الحديقة أسدف
- ٣ فيت على حد الذراهم محديبا كما يتطوى الأرقش المتقصف
- ٤ قليل جهازي غير نعلين استحققت صدورهما مضمورة لا تخصف
- ٥ وملحفة دريس، وجرّد ملأه إذا أنهجت من جانب لا تكفف
- ٦ وأبيض من ماء الحديد مهند يجذ لأطراف السوامد مقطف

(١) المطاء : العالية المرتفعة ، أو الأية الممتعة . وأخو الضرورة : الصياد معه كلاب ضراها للصيد ، ويحتمل أن يكون المعنى الرجل يستخفى عن الناس ، من ضرا يضرو بمعنى استخفى . والرجل : الراجل ، عكس الراكب . والمشف : النجيل . وفي رواية أخرى « ومرتبة عطاء » و « الخفي المنصف » .

(٢) نمت : صعدت . والأسدف : المظلم ، من السدفة وهي اختلاط الضوء والظلام . ويريد بقوله « ملتف الحديقة » تمثيل الليل المظلم بالأشجار الملتفة المتكاثفة . يقول إنه صعد إلى هذه المراقبة العالية مع دخول المساء ، وقد أخذ الظلام المختلط بالنور يتكاثف ويحجب الأرض .

(٣) محديبا : منحنيا ، من أحديب إذا انحنى . يتطوى : يلتف . والأرقش : الثعبان . والمتقصف : المتكسر الذي تداخل بعضه في بعض . وفي رواية أخرى « أحديبا » و « الأرقم المتعطف » . (٤) الجهاز : المتاع . واستحققت : بليت ، ومضمورة : دقيقة الوسط ، حال من « صدورهما » ، ولا تخصف : لا تقبل الخرز لشدة قدمها وبلاها وتمزقها . يصف فعليه بأنهما قديمتان باليتان لا تقبلان خرزا ولا ترقيما .

(٥) الملحفة : ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد ونحوه . والدرس : الدارسة البالية . والجرّد : الثوب الخلق البالي . وأنجمت : تفتقت ، وفي رواية أخرى « أنهجت » أي بليت . ولا تكفف : أصلها لا تشكفف أي أنها تستعصى على الترقيع . ويروي الشطر الأول في رواية أخرى « وضنية جرد وأخلاق ربطة » ، والمعنى على الرايتين واحد . واليتان قتل صادق عن واقع الحياة التي يعيشها هؤلاء الصعاليك الفقراء .

(٦) الأبيض : السيف ، ورفعه على تقدير « ومضى أبيض » ، والمهند : الجيد الصنع ، نسبة إلى الهند التي كانت مصدرا من مصادر السلاح عند العرب الجاهليين . ويجذ : قاطع شديد القطع ، وكذلك مقطف .



- ٧ وصفراء من نبع أبي ظهير  
٨ إذا طال فيها التزع تأبى بعجسها  
٩ كأن حفيف النبل من فوق عجمها  
عواذب نحل أخطأ الغار مطنف

\* \* \*

- ١٠ نأت أم قيس المربعين كليهما  
١١ وإني لو تدرين أن رب مشرب  
وتحذر أن ينأى بها المتصيف  
تخوف كداء البطن أو هو أخوف

(٧) الصفراء : القوس ، وفي رواية أخرى « وحراء » ، والمرب يصفون القوس بأنها صفراء . إذا كانت جديدة ، وحراء إذا كانت قديمة مستعملة لكثرة تعرضها للشمس . والنبع : شجرة تتخذ منه الأقواس والرماح . والأبى : المستعصى على الكسر . والظهير : القوية المتينة . والإرنان : الإعرال . والشجى : الحزين . يشبه صوت قومه حين يشد وترها للرمى بأنين الشجى أقتله همومه وأحزانه .

(٨) التزع : شد وتر القوس عند الرمي . والعجم : مقبض القوس ، مثلثة العين . والذروان : الطرفان . والضمير في « بهن » يعود على السهام المفهومة من السياق .

(٩) العواذب : الضالة التي أخطأت طريقها ، من عزب البعير إذا ضل . والمطنف : الذي يعلو الطنف وهو رأس الجبل . يشبه حفيف السهام حين تنطلق من القوس بصوت نحل ضل طريقه نحو الغار الذي اتخذ به بيتاً له فوق قمة جبل ، فهو يبحث عن منفذ إلى داخله في حركة دائبة ودوى متصل .

(١٠) أم قيس : صاحبه ، وفي أغلب الظن أنها زوجته ، بدلالة سياق الآيات ، وأكثر حديث الشعراء الصعاليك عن زوجاتهم . وحلف التنوين في « أم قيس » للضرورة ، أو لعله عامل الكلتين معاملة الاسم الواحد ، فنع من العرف العلمية والتأنيث . والمربع : منزل القبيلة في الربيع ، ويريد بالمربعين منازلها في الربيع والشتاء ، من باب التغليب . والمتصيف : مكان نزولها في الصيف . يقول إن زوجته مثله لا يستقر بها مكان . وعجاء البيت تشعب بأنها غير راضية عن هذا الاضطراب في حياتها ، وكأنها تنكر عليه حياته القلقة التي لا تعرف الاستقرار .

(١١) يصف مكان الماء الذي يرد به بأنه بعيد في أعماق الصحراء المجهولة المخيفة حيث لا يجزئ أحد على الوصول إليه ، ويشبه الخوف الذي يكتشفه بالخوف من داء البطن ، وهي صورة تعكس ما يدور في نفوس هؤلاء الصعاليك الذين كانوا يفتخرون بأنهم ضامرو البطون ، قد نشزت أضلاعهم ، والنصقت أعمارهم ، لشدة صبرهم على الجوع ، وإيثارهم غيرهم بالزاد ، فن الطيحي أن يكون أشد ما يخشونه أمراض البطن التي يصاب بها الأغنياء المتخمون ، ولا تعد بالنسبة لهم اتهاماً صارخاً بالتنكر لرسالتهم وخبانة لمبادئهم .

- ١٢ وردت بمأثور يمان وضالة  
 ١٣ أركبها في كل أحمر فائر  
 ١٤ وتابعت فيه البرى حتى تركته  
 ١٥ بكفى منها للبغيض عراضة  
 إذا بعث خلا ماله متعرف

\* \* \*

- ١٦ وواد بعيد العمق ضحك جماعه  
 بواطنه للجن والأمد مالف

(١٢) المأثور : السيف . واليمان : نسبة إلى اليمن ، وكانت مصدرا آخر من مصادر السلاح عند عرب الجاهلية . والضالة : السهام . وراش السهم : ركب عليه ريشا ليكون أسرع في انغلاقه . ووصفه : شد على رأس نصله عقدة من الوتر ليكون أشد ثباتا له . وفي رواية أخرى للبيت « بمأثور ونبل وضالة » .

(١٣) الأحمر هنا السهم . والفائر : الذى اختلطت حمرة بالشبه . وفي رواية أخرى « عار » بمعنى شديده . والمقرف هنا : المعيب المتهم أو الذى ليس أصيلا . والضمير في « منهن » للسهم . يقول إنه يركب من سهامه الجبلد الشديد ، ويستغنى عما يظن فيه عيبا أو ما يكون عنده موضع اتهام في أصالته . وفي رواية أخرى « وأنسج للولدان ما هو مقرف » .

(١٤) يزف : يسبح في الفضاء كما يفعل الطائر . ويزفرف : يحدث صوتا كصوت الريح في للنبات الجفاف . وفي رواية أخرى « إذا أنزفته » ، وأظنها تحريفا .

(١٥) المراضة : الهدية . والخسل : الصديق . وماله متعرف : أى لا أستطيع أن أعرف على حقيقة أمره . وفي رواية أخرى « ماله منخوف » . يقول لائق أعد هذه السهام القاتلة هدية لمن أبغضه ممن يلتوى على ، ويخون هدى ، فأبغضه غير آصف عليه .

(١٦) الضحك : الضيق . وجماع الشيء : جمعه أو مجموعه . يقول إن هذا الوادى بعيد في أعماق الصحراء ، تلتق عنده مجموعة من الأودية الضيقة ، وتتخذ الجن والأسود مكانا تألفه وتأوى إليه .

- ١٧ تعسفتُ منه بعدما سَقَطَ الندى      غماليِّلَ يَخْشَى غِيَابَهَا المتعسِّفُ  
١٨ وإني إذا خامَ الجبانُ عن الردى      فلي حيثُ يَخْشَى أن يجاوزَ مَخْشَفُ

\* \* \*

(١٧) تعسف : سار على غير هدى . والغاليِّل : الروابي . والفيل : الشجر الكثيف الملتف .  
يفتخر بأنه استطاع بجراته أن يحترق هذا الوادي .

(١٨) خام : ضعف وجبن . والمخشف : المدخل . وفي رواية أخرى « مخسف » من خسف الطريق إذا ذلَّه وتطمه . يفخر بجراته على اقترام الممالك التي يراجع منها الجبناء .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## وَصِيَّةُ الصُّعْلُوكِ

\* \* \*

في اللحظات الأخيرة من حياة الشنفرى ، وقد أوشك السراج أن تنطفئ آخر ومضة منه ، وخصومه ملتفون حوله بعد أن وقع في أسرهم ، والشهامة ملء عيونهم ، والحق الذى ظل دفيناً فى صدورهم طيلة حياته ينطلق كالمارد من القمقم الذى طال حبسه فيه ، سألوه أين يدفنون جسده بعد مقتله . ولم يقبل الشنفرى أن يعطيهم الفرصة لمزيد من الشهامة ، ولم يرض لنفسه أن تضعف أمامهم ، ولم يُبَدِ حرصاً على الحياة أو تشبثاً بها ، فقال هذه الأبيات مستهيناً بالحياة وبالموت أيضاً . وما الذى يبكى عليه ؟ وما الذى ينتظره بعد الموت ؟ إن حياته بعد الموت لن تكون خيراً من حياته قبله ، وإن جرائره التى ارتكبها فى حياته ستظل تطارده بعد موته . وفى هذه اللحظات — وهو على البرزخ الفاصل بين شاطئ الحياة وشاطئ الموت — لم ينس رفاق تشرده ، وحش الصحراء الذين اتخذ منهم فى حياته رفاقاً له يأنس إليهم ويطمئن لهم ويثق فيهم . ومن بينهم تطل عليه صورة الضمبج الجائعة ، فيوصى بجسده بعد موته وليمة لها تسد به جوعها ، وكأنه يريد ألا يودع الحياة إلا بعد أن يقدم آخر وجبة يملكها لآخر جائع تترأى صورته أمام عينيه اللتين يوشك الموت أن يلقى عليهما غطاءه الأبدى ، إيماناً برسالة الصعلوك التى عاش حياته لها ، ولا يتردد فى أن يقدمها قرباناً على مذبح هذا الإيمان .

\* \* \*

- ١ لا تَقْبُرُونِي إِنِّي قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَيْشِرَى أُمِّ عَامِرٍ  
 ٢ إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرُ وَغُودِرَ عِنْدَ الْمَلْتَقَى ثُمَّ سَأَرَى  
 ٣ هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تُسَرِّنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَوَائِرِ

\* \* \*

(١) أم عامر : كنية الضبع عند العرب .

(٢) وفي الرأس أكثرى : يريد أن الرأس أهم ما في جسم الإنسان ، فإذا احتمله قاتلوه ومضوا به إملأنا عن مصرعه فاقبسة سائر الجسد ؟ وفي رواية أخرى « احتملت » والضمير فيها يعود على الضبع .

(٣) سَجِيسَ اللَّيَالِي : أبد الدهر . ومُبْسَلًا بِالْجَوَائِرِ : مسلها لها ، مرهونا بها ، مسئولا عنها . وفي رواية أخرى « سجير الليالي » أي طول الليالي .

\* \* \*

يوسف خليف



## تَابِطٌ شَرًّا

\* \* \*

شاعر من أشهر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ينتهى نسبه إلى قبيلة  
فَهْم التي كانت تنزل في منطقة الحجاز الجبلية ، والتي كانت معروفة بكثرة لصوصها  
واسمه ثابت بن جابر ، وهو يصرّح بهذا الاسم في قافيته المشهورة « يا عَيْدُ مَالِكٍ  
مِنْ شَوْقٍ وَإِيرَاقٍ » ، وأما تابط شرا فهو لقب عُرف به . وتختلف الروايات  
حول الظروف التي أحاطت بهذا اللقب ، فمن قائل إنه تابط سيفاً وخرج به فلما  
سئلت أمه عنه قالت : « تابط شرا وخرج » . ومن قائل إنه عاد إلى أمه وقد  
تابط جراباً به مجموعة من الأفاعى صابداها ، فقال نسوة من الحى لأمه : « لقد تابط  
شرا » . ومن قائل إنه رأى كبشاً في الصحراء فمسله تحت إبطه ، حتى إذا  
ما اقترب من الحى تبين له أنها الغول ، فقال له قومه : « لقد تابطت شرا » .  
ومن قائل إنه لقي الغول في ليلة مظلمة ، فاعترضت طريقه ، فلم يزل بها حتى  
قتلها ، ثم حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : « لقد تابطت  
شرا » . ومن قائل إنه لُقّب به لييت من الشعر قاله يصف فيه نفسه بأنه تابط  
شرا ثم انطلق في غزواته :

تَابِطٌ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى      يَوْمًا غُنْمًا أَوْ يُشِيفُ عَلَى ذَحْلِ<sup>(١)</sup>

وفي ظني أن هذه الرواية هي أقرب الروايات إلى الحقيقة ، وما سواها أوهام  
من الرواة تعكس الجو الأسطوري الغامض الذي عاش فيه هذا الشاعر ، وأن

---

(١) يوائم : يوافق . ويشيف عليه : يشرف . والدحل : النار .

شهرته بهذا اللقب ليست إلا تعبيراً شعبياً عن حياة الشر التي كان يجباها، والتي كان مجتمعه يستشعر أمامها جواً من الرهبة والفرع وتوقع الشر منه كلما ظهر فيه . وهي — على كل حال — ليست غريبة على تلك الألقاب العجيبة التي لُقِّب بها إخوته الأربعة الآخرون : رِيْشُ بَلْغِبٍ ، وريشُ نَسِيرٍ ، وكَعْبُ جَدِرٍ ، ولا بَوَاكِ لَه ، وهي ألقاب تعكس صورة لهوان المنزل الاجتماعية لأسرته .

وتأبط شرا من تلك الطائفة من العبيد التي كان المجتمع الجاهلي يطلق عليها « الأغربة » ، وهم أولاد آباء من العرب من أمهات من الإماء السود سرى إليهم السواد من أمهاتهم ، وكانوا يمدون حركة الصعلكة الجاهلية بأعداد كبيرة من الصعاليك المتمردين على العبودية ، تعبيراً عن موقف الرفض والاحتجاج من طبقة العبيد على هذا المجتمع المؤمن بعنصرية جنسية متأصلة في دماائه .

وهب تأبط شرا حياته لحركة الصعلكة الجاهلية ، وعاش في أعماق الشعب العربي أسطورة شعبية تترج فيها الحقيقة بالخيال ، ويختلط فيها الواقع بالوهم ، وتلتحم فيها شخصية العبد الأسود المتمرد ، النائر على وضعه الاجتماعي ، الطامح إلى حقه في الحرية والمساواة ، بشخصية قاطع الطريق الرهيب الذي لا يرى إلا الغزو والغارة والصلب والنهب وسفك الدماء طريقاً للحياة ، وأيضاً للانتقام من الحياة .

وتأبط شرا هو أحد العدائين المشهورين بين العرب الذين ضَرَبُوا بهم المثل في سرمة العدو ، وقد وصفوه بأنه « كان أعدى ذي رجلين وذى ساقين وذى عينين » ، وأنه كان يسبق الظباء ويسبق الخيل . ومن أعماق هذه الميزة التي كان يمتاز بها كان قَسَمَهُ المفضل « والذي أعدو بطيره » ، تأكيداً للصلة التي تربط بينه وبينها في السرمة ، وكأنه يريد أن يقول إنه يعدو بأجنحتها . وتتردد في أخباره أحاديث كثيرة عن لقاءه الغول في ليالى الصحراء المظلمة الموحشة ، وما يدور بينه وبينها من صراع ينتهي دائماً بقتلها .

عاش تأبط شرا حياته كلها فزّما رهيبا في مجتمعه ، يتردد حوله جو أسطوري  
 فامض يثير الرعب في نفوس كل من يسوقه قدره إلى طريقه ، حتى لقي مصرعه  
 في بعض غاراته على يد غلام تربص به ثم رماه بسهم اخترق قلبه فأرداه صريعا ،  
 ثم ألقوا به في الصحراء وخلفوه وراءهم . وتذهب الأسطورة إلى أن جسده « لم  
 يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات » ، وكأنما قد تحول إلى سم زعاف ليواصل بعد  
 موته رسالته الرهيبة القاتلة التي عاش حياته لها ، وكأنها ترجمة شعبية لأبيات  
 من شعره تغنى بها في حياته ، يتنبا فيها بمصرعه ، وبأنه سيكون وليمة لضواري  
 السباع وجوارح الطير ، ولكنها وليمة مسمومة قاتلة ، لهما مر كره :

ولقد علمت لتعدون (م) على شتم كالحسا كل  
 يا كلن أوصالا وحـ ما كالشكاعى غير جاذل  
 باطير كلن ، فلانى سم لكن وذو دغاول<sup>(١)</sup>

(١) الشتم : جمع شتم وهو الأسد المبروس . والحسا كل : جمع حسل وهو ما تطاير من شرر الحديد  
 المحمى . والشكاعى : ما دق من النبات ، ويقال للهزول كأنه هود الشكاعى ، والجاذل : ما عظم من  
 أصول الشجر ، يريد أن جسده نحيف ضامر غير ممين . والدغاول : الدواهي ، يريد أن لجه قاتل .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## القافية المفضّلة

\* \* \*

تأبط شرا هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عديّ بن كعب بن حرب بن تميم  
ابن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر . وسمى « تأبط شرا » لأنه تأبط  
سيفا ونرج ، ف قيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شرا ونرج . وهى الرواية  
المشهورة عن تسميته بذلك . وكان أحد صعاليك العرب المشهورين ، قرينا  
للشنفرى وعمرو بن براق ، وكانوا ثلاثتهم من العدائين الذين يعدون على أرجلهم  
فلا يدركهم الطلب ؛ بل كانوا أعدى العدائين فى العرب ، ويزعمون أن الخيل  
ما كانت تلحقهم .

وهناك دراسات جيدة عن الشعراء الصعاليك<sup>(١)</sup> يمكن الرجوع إليها لمعرفة  
طبيعة هؤلاء الشعراء وقيمة شعرهم .

يصف الشاعر فى هذه القصيدة المختارة الطيف ، ويذكر حادث هروبه  
من قبيلة بجيلة حين أُرصدوا له كميناً على ماء ، فأخذوه وكتفوه بوتراً ، ثم دبر  
حيلة بارعة هو وعمرو بن براق والشنفرى ، تمكن بها الثلاثة من النجاة عدوا على  
الأقدام . والقصيدة فيها تصوير جيد لقوة جريه وشدة عدوه ، ثم وصف للرجل

---

(١) انظر الشعراء الصعاليك فى المعراج لـ الجاهلى للدكتور يوسف خليف ط دار المعارف .

\* \* \*

السيد الذي يركن إليه ، ثم نخر بجشمه الأخطار ، وإشادة بكرمه ، منددا بمن يلومه على إنفاق ماله . والقصيدة مروية بالمفضليات أول قصيدة منها .

\*\*\*

- ١ يا عيدُ مالك من شوق وإيراق ومرَّ طيف على الأهوال طَراق
- ٢ يسرى على الأبن والحيات محتفيا نفسى فداؤك من سار على ساق
- ٣ إني إذا خلة ضنت بنائلها وأمسكت بضعيف الوصل أحذاق
- ٤ نجوب منها نجائى من بجيلة إذ ألقيت ليلة خبت الرهط أرواق
- ٥ ليلة صاحوا وأغروا بى سراءهم بالعيكتين لدى معدى ابن براق
- ٦ كأنما حنحنوا حصا قواده كأم خشف يذى شت وطباق

(١) العيد : ما اعتاد من حزن وشوق . الإيراق : مصدر « آرقه » من الأرق . طراق : يقصد أنه يطرق ليلا في موضع البعد والحفاة .

(٢) يسرى : يسير ليلا . الأبن : نوع من الحيات أو هو الإعواء . محتفيا : حافيا .

(٣) الخلة : الصداقة . النائل : ما ينال . ضعيف الوصل : يجبل ضعيف . الأحذاق : المتقطع .

(٤) بجيلة : القبيلة التى أمرته . الخبت : اللين من الأرض . الرهط هنا : اسم موضع . ألقيت أرواقى : استفرغت مجهودى فى العدو .

(٥) العيكتان : موضع . معدى : مصدر ميمي أو اسم مكان . ابن براق : هو عمسرو معلوك من أصدقاء تأبط شرا وكان معه والشغرى ليلة هروبه من بجيلة .

(٦) حنحنوا : حركوا من الحث . الحص : جمع أحص وهو ما تناثر ريشه وتكسر ويعنى بذلك الظالم وهو ذكر النعام . القوادم : ماولى الرأس من ريش الجناح . الخشف : ولد الفأطية . الشث والطباق : نباتان طيبا المرعى يضمران راعيهما ويشدان لهما .



- ٧ لا شيء أسرع مني ليس ذا مدبر      وذا جناح يجنب الريد خفاق /  
٨ حتى نجوت ولما يتزعوا سبي      بواله من قيض الشد غيداق

\* \* \*

- ٩ ولا أقول إذا ما خلة صرمت      ياريح نفسي من شوق وإشفاق  
١٠ لكننا عول إن كنت ذا عول      على بصير يكسب الحمد سباق  
١١ سباق غايات مجيد في عشرته      مرجع الصوت هدا بين أرفاق  
١٢ عارى الظنايب، تمتد نواشره      مدلاج أدهم واهى الماء غساق  
١٣ حمال ألوية، شهاد أنديّة      قوال محكمة، جواب آفاق  
١٤ فذاك همى وغزوى أستغيث به      إذا استغثت يضافي الرأس تغاق

- (٧) العذر : جمع عذرة وهي ما أقبل من شمر الناصية على وجه الفرس . الريد : قبة الجبل .  
يقول : لا شيء ، أسرع مني إلا الفرس وإلا الطائر الخارج الذي يأوى إلى قبة الجبل .  
(٨) السلب : ما سلب في الحرب . الواله : المذهب العقل . الشد القيض : الجوى السريع .  
الغيداق : الكبير الواسع ، من الغدق وهو المطر الكثير .  
(٩) صرمت : قطمت .  
(١٠) العول : بفتح العين وكسرهما وفتح الواو : مصدر من العويل . بدأ في وصف الرجل  
الكامل يكي فقد صداقه أو الذي يعول عليه .  
(١١) مرجع الصوت : يصبح أمرا ناهيا لأنه رئيس القوم . الأرفاق : الرفاق .  
(١٢) الظنايب : جمع ظنوب وهو حرف عظم الساق ، جعلها عارية لهاها ، والعرب تمدح الهزال  
وتهجو السمن . النواشر : هروق ظاهر الذراع . مدلاج : كثير السفر في الليل . الأدهم : الليل .  
واهى الماء : مطر شديد أو ممحابة لا تمسك ماءها . الغساق : الشديد الظلمة .  
(١٣) المحكمة : الكلمة الفاصلة . جواب آفاق : صاحب أسفار وغزو .  
(١٤) غزوى : مقصدي من الغزو . ضافي الرأس : كثير الشعر ، تغاق وتغاق بمعنى واحد .

١٥ كَالْحَنِيفِ حَدَّاهُ النَّامُونَ قُلْتُ لَهُ : ذُو ثَلَتَيْنِ وَذُو بَيْتَيْنِ وَأَرْبَاقِ

\*\*\*

١٦ وَقُلَّةٍ كَسَنَانَ الرُّوحِ بَارِزَةٍ ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مَحْرَاقِ

١٧ بَادَرْتُ قُنَّتَهَا صَحْبِي وَمَا كَسَلُوا حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ

١٨ لَا شَيْءَ فِي رَيْدِهَا إِلَّا نَعَامَتُهَا مِنْهَا هَزِيمٌ وَمِنْهَا قَائِمٌ بَاقِ

١٩ بَشْرَتُهُ خَلَقَ يُوقَى الْبَنَانُ بِهَا شَدَدَتْ فِيهَا مَرِيحًا بَعْدَ إِطْرَاقِ

\*\*\*

٢٠ بَلْ مَنْ لِمَذَالَةٍ خَذَالَةٍ أَشْبِ حَرَقَ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيْ تَحْرَاقِ

٢١ يَقُولُ أَهْلَكَتَ مَالًا لَوْ قَنِعْتَ بِهِ مِنْ ثَوْبٍ صَدَقَ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ

(١٥) الحقف : يا اعوج من الرمل • حداه النامون : أى صلبوه بدورهم إياه وصعدوهم عليه • والنامون من « نَمَى » أى صعد وارتفع • الثلة : القطعة من الغنم • البهم : أولاد النساء • الأرباق : جمع « ربق » بكسر فسكون هو حبل يجعل كالحلقة يشد به صغار الغنم لئلا تضيع • شبه تلبذ شعر الراعى النعاق بالحقف الذى لبده النامون عليه • ثم يقول له : أنت ذو ثلثين مالك ولحرب ؟ يحقره بذلك ويريد أن يستغيث بمن وصف من قبل إذا استغاث غيره بمثل هذا الراعى •

(١٦) القلة : أعلى الجبل • ضحيانة : بارزة للشمس • محراق : تحرق من فيها •

(١٧) نمت إليها : ارتفعت •

(١٨) الريد : أعلى الجبل • النعامة : خشبات بأوى إليها الريشة أو الرامد وتكون فى أعلى

الجبل • هزيم : منكسر •

(١٩) بشرته خلق : ينعل بمزقة • المريح : السهور تشد بها النمل • الإطراق : أن يجعل تحت

النمل مثلها •

(٢٠) المذالة : الكثيرة العذل • الخذالة : الكثيرة خذلان صاحبها • الأشب : المعترض •

(٢١) ثوب صدق : مقابل ثوب سوء ، يعنى به الجيد • البز : الملابس أو السلاح • الأعلاق :

كرائم الأموال ، يريد أنه يأمره بالبخل وإمساك ماله •

- ٢٢ عاذلتني إن بعض اللوم معنفةً وهل متاعٌ وإن أبقيتُ به باقٍ  
 ٢٣ إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عدلي أن يسأل الحى عن أهل آفاقٍ  
 ٢٤ أن يسأل القوم عن أهل معرفةٍ فلا يخبرهم عن ثابتٍ لاقٍ  
 ٢٥ سدّد خلالك من مالٍ تُجمعه حتى تلاقى الذى كلُّ امرئٍ لاقٍ  
 ٢٦ لتقرعن على السن من ندم إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقٍ

(٢٢) معنفة : عنف .

(٢٣) زعيم : كفيل وضمين .

(٢٤) ثابت : هو تأبط شرا .

(٢٥) الخلال : جمع خلة وهي الحاجة والفقر . ويجوز أن يكون هذا البيت بعد البيت « ٢١ » ليكون من تحريض العاذلة له أن يسد بماله فقره حتى يلقى الموت . ويؤيد ذلك رواية ابن قتيبة في الشعر والشعراء .

(٢٦) لتقرعن ، خطاب للرجل العاذلة موجه من تأبط شرا .

\*\*\*

سيد حنفي

( ٢ )

## أَيْفُ الْوَحْشِ

\* \* \*

يقولون إن تأبط شرا خطب امرأة من هذيل ، فذرها قومها من أن تقبله زوجها لها ، لأنه يعيش حياته مغامرا يحمل رأسه على كفيه ، وأنه معرض للموت في كل لحظة ، وإن هي إلا غارة قريبة حتى يلقي مصرعه وتذوق مرارة الترميل بعده . فقال هذه الأبيات التي يرسم فيها صورة حياته تستمد خطوطها من الواقع الذي يعيشه صعلوكا مغامرا متشردا في أعماق الصحراء حتى ألفتته وحوشها ، وفزعاً رهيباً لطبقة المآلة الأغنياء من أصحاب الإبل ، ويسجل في نهايتها أنه لا يخشى الموت لأنه يدرك أنه المصير المحتوم الذي لا مفر منه ، وأن القتل هو النهاية التي لا بد أن ينتهي إليها كل مغامر مثله وهب حياته لهذا الصراع المسلح الذي يعيش في أعماقه هو ورفاقه الصعاليك .

\* \* \*

- ١ - وقالوا لها : لا تنكحيه فإنه لأول نعل أن يلاقى مجمعا
- ٢ فلم ترمي رأي فتيلاً وحاذرت تأيئها من لابس الليل أروعا

(١) لا تنكحيه : لا تزوجه . ولأول نعل : أى أنه معرض للقتل لأول ضربة نعل . ومجما : أى جمعا من أعدائه تجمعوا للقائه .

(٢) . الرأي الفتيل : الضعيف . والتأييم : الترميل . ولايس الليل : أى أنه من « أبناء الليل » الذين يتغذون منه مسرحاً لمغامراتهم . والأروع : الشجاع .

- ٣ قليل غرار النوم أكبر همه دم النار أو يلقي كميًا مقتنًا  
 ٤ قليل ادخار الزاد إلا تعلقة فقد تشر الشر سوف والتصق المعى  
 ٥ يبيت بمنفى الوحش حتى الفته ويصبح لا يحصى لها الدهر مرتعا  
 ٦ رآين فتى لا صيد وحش يهته فلو صاغت إنسا لصاغت معه  
 ٧ ولكن أرباب المخاض يشقهم إذا افتقدوه أرواه مشيعا  
 ٨ وإني — ولا علم — لأعلم أني سألقي سنان الموت يرشق أضلعا

(٣) غرار النوم : أى النوم الخفيف . والكى : البطل فى كامل سلاحه . والمقنع : الملم .  
 يصف نفسه بأنه قليل النوم لأنه مشغول بمركة النار من مجتمعه التى وهب حياته لها كما وهبها لها رفاقه الصعاليك ، وفى شعر عمرو بن براقة رفيقه فى أكثر غزواته :

ألم تعلم أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الحلى المسالم

(٤) التعلقة : الاكتفاء بما يتعلل به من أقل الزاد . ونشره برز . والشرسوف : الطرف اللين من الضلع مما يلى البطن . والمعى : مفرد الأمعاء . يقول إنه ضامر نحيل لقلة ما يبقية لنفسه من طعام لأنه يؤثر غيره من الفقراء الجياع به .

(٥) المنفى : المقام أى حيث تقيم الوحش فى أعماق الصحراء . وقوله « لا يحصى لها الدهر مرتعا » يريد به أنه لا يمنعها من الرعى فهى لا تخاف منه . وقد أخطأ محققو كتاب الأغاني فى شرح البيت (٢١ / ١٤٦ طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣) .

(٦) البيت استمرار فى الصورة التى رسمها فى البيت السابق ، يقول إن الوحش الفته واطمأنت إليه ، وأدركت أنه لم يزل معها فى مراعيها لصيدها ، فأنست إليه حتى لو أنها صاغت أحدا من البشر لصاغت .  
 (٧) أرباب المخاض : أصحاب النوق العشار . ويشقهم : يؤثرهم ويسبب لهم العناء والمشقة فى المحافظة على إبلهم . وقوله « إذا افتقدوه أرواه مشيعا » يعنى أنهم يخشونه فى غيابه وحضوره ، وأنه فزع دائم لهم . والمشيع : الذى معه أصحابه . وفى رواية أخرى « يشقهم » أى يهزلهم ويكد عيشهم .  
 وفيها « إذا اقتفروه واحدا أو مشيعا » أى إذا تتبعوا أثره فرادى أو جماعات ، أو تتبعوا أثره وحيدا أو مع رفاقه .

(٨) ولا علم : أى أنى لا أعلم الغيب ولا أدرى متى يحين أجلى . يرشق أضلعا : أى يرمى ضلوعه ، كناية عن الموت . وفى رواية أخرى « وإني وإن عمرت » ، وفيها « يبرق أضلعا » يريد أن سنان الموت مصقول مجلول لامع ، فهو دائما مهيا للعمل .



- ٩ على غيرة أو جهرة من مكائير أطال يزال الموت حتى تسعسا  
١٠ وكنت أظن الموت في الحى أو أرى ألد وأكرى أو أموت مقتنا  
١١ ولست أبيت الدهر إلا على فتى أسلبه أو أذعر السرب أجمعا  
١٢ ومن يضرب الأبطال لا بد أنه سيلقى بهم من مصرع الموت مضرا

\* \* \*

(٩) المكائر : الذى يكاثر بفاراده ، أى كثير الفارات ، يريد قحه . وتسمع : فتى وذهب . يؤكد أن الموت سيلقاه على حين غرة منه وغفلة عنه ، أو سيلقاه مواجهة صريحة ، ولا يرى فى ذلك غرابة لأنه وهب حياته للموت ، وعاش عمره فى صراع معه ، حتى انتهت حياته ، وأدركه الفناء .  
(١٠) ألد : أخاصم ، من اللد وهو الخصومة العنيدة التى لا تلين ولا ترجع إلى الحق ، وقد قرأها محققو الأغاني « ألد » بالذال ، وأظنه خطأ . وأكرى : أهدوعدوا شديدا ، من كرى ( كرضى ) بمعنى جرى جريا شديدا ، وقد ضبطها محققو الأغاني بضم الهزة والبناء للجهول ، وشرحوها بمعنى أزيد ، وأظنه خطأ أيضا . وقد ترتب على الخطأين خطأ فى فهمهم معنى البيت . والمعنى — هدى — أنه يقول : إننى أرى الموت الحقيقى فى البقاء فى الحى ذليلا ، لا فى الخروج للغارة والعدو المتصل حتى الموت فى ساحة الكفاح بطلا مسلحا فى سبيل مبادئ وأهداف . إنه لا يريد أن ينتظر أجله وهو قانع بحياة الذل والهوان على هامش القبيلة ، وإنما يريد أن يخرج إليه ليلقاء فى ساحة الكفاح المسلح من أجل الحرية والكرامة ، وما مات من مات فى سبيل مبادئه وأهدافه .

(١١) يقول إنه لا يهدأ ولا يستقر حتى يحقق أهدافه فى الفوز والغارة على الأفراد والجماعات للسلب والنهب وقطع الطريق . وخطأ ما ذهب إليه محققو الأغاني فى شرح البيت من أنه يقضى حياته « بين سيد وقنص » ، لأنه يتعارض مع جو الأبيات ، ويتناقض مع ما قدمه فى بدايتها من حديث عن إلفه الوحش وعدم خونها منه ، وأنه لا يفزعها فى مراتعها .

(١٢) يقول إن من يجعل حياته صراعا مستمرا لا بد أن يلقى فى ساحة الصراع مصرا من مصارع الموت الممتدة . « ومن » فى البيت موصولة لا شرطية . وفى رواية أخرى للبيت « ومن يفر بالأعداء » وتكون « من » هنا شرطية لا موصولة ، وهى رواية جيدة .

\* \* \*

يوسف خليل

( ٣ )

## رَفِيقُ الْغُولِ

\*\*\*

فى شعر تابط شرا اكتر من قصيدة يتحدث فيها عن لقائه الغول فى لىالى الصحراء الموحشة ، وما يدور بينه وبينها من صراع . وهى صورة — وإن تكن مغلفة بجو أسطورى غامض — تصور ما كان يخيّله الوهم لذلك الصعلوك المغامر المتشرد البعيد الآفاق فى الليالى المظلمة بين أرجاء الصحراء الرهيبة ، حيث تتجسّم الرؤى أشباحا مخيفة ، وتختلط الأصوات التى تتراعى من هنا ومن هناك فى معزوفة غامضة رهيبة . ومع ذلك فقد يكون ما يقصده تابط شرا من الغيلان تلك الفصيلة من الحيوان المعروفة باسم « الغورلا » ، وكانت معروفة فى بعض المناطق الجنوبية من اليمن ، وفى « القاموس المحيط » أن من معانيها « دابة رأتها العرب وعرفتها وقتلها تابط شرا » . ولكن هذا — على كل حال — لا ينفى أن صورتها عنده محاطة بهذا الإطار الأسطورى الذى نراه واضحا فى كل أحاديثه عنها .

وفى هذه القصيدة نرى صورة من هذه الأحاديث ؛ يصور فيها لقاءه لها ، بعد أن يمهّد لذلك بالحديث عن الليل المظلم الذى ظهرت له فيه ، وهو فى طريقه إلى بعض مغامراته فى أعماق الصحراء ، ثم يصفها ، ويسجل ما دار بينه وبينها ، ثم ينتهى الموقف — كما ينتهى عنده دائما — بقتلها .

\*\*\*

- ١ تقول سُلَيْمَى لِحَارَاتِهَا : أَرَى ثَابِتًا يَفَنَّا حَوْقَلًا
- ٢ لها الويلُ ! ما وجدتُ ثابِتًا أَلْفَ الْيَدَيْنِ وَلَا زُمْلًا
- ٣ وَلَا رَعَشَ السَّاقِ عِنْدَ الْجِرَاءِ إِذَا بَادَرَ الْحَمْلَةَ الْهَيْفَمَلًا
- ٤ يَفُوتُ الْجِيَادَ بِتَقْرِيْبِهِ وَيَكْسُو هَوَادِيَهَا الْقَسْطَلًا

\* \* \*

- ٥ وَأَدَهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبَابَهُ كَمَا اجْتَنَبَتِ الْكَاعِبُ الْخَيْمَلًا
- ٦ إِلَى أَنْ حَدَا الصَّبْحُ أَثْنَاءَهُ وَمَزَّقَ جِلْبَابَهُ الْأَلْيَلًا
- ٧ عَلَى شَيْمٍ نَارٍ تَنَوَّرَتْهَا فَبِتُّ لَهَا مُدْبِرًا مُقْبِلًا

(١) سُلَيْمَى : زوجته . وثابت هو تابط شرا . واليفن : الشيخ الكبير . والحوقل : الذى يقارب من خطواته لإعباء وضعفا . والمطلع يدل على أن القصيدة نظمت فى أنشادات حياته ، وأن حديث القول كان ذكرى من ذكرياته .

(٢) أَلْفَ الْيَدَيْنِ : كناية من الشبخرقة والضعف . والزمل : الضعيف المتخاذل .  
(٣) رَعَشَ السَّاقِ : مثل أَلْفَ الْيَدَيْنِ كناية عن الشبخرقة والضعف . والجراء : الجرى ، مصدر من مصادر « جرى » . والحملة : الكرة فى القتال . والهيفل : الجماعة المتسلحة الكثيرة العدد .  
(٤) التقریب : ضرب من العدو . والهوادى : الأهناق . والقسطل : الغبار . يصف نفسه بسرعة العدو ، وأنه يستطيع أن يسبق الخيل فيكسوا أهناقها المتقدمة بالغبار الذى يثيره بقدميه عند العدو .  
(٥) الأدهم : الأسود ، يريد الليل . جببت : قطعت . وجلباب الليل : ظلامه وقاجناب : لبست . والكاعب : الفتاة التى نهت ثدياها . والخيل : ثوب تلبسه المرأة كالقميص ، أو هو قميص بلا كمين . يصور كيف شق ظلمات الليل التى تلف الصحراء بتيابها السود .

(٦) حدَا : ساق . والضمير فى « أثناءه » يعود على الليل ، وأثناء الليل : طبقات ظلماته المتكاثفة بعضها فوق بعض . والأليل : الشديد السواد . يصف ظهور الصباح ، وكيف أخذ يسوق ظلام الليل أمامه ، ويمزق ثيابه السود التى توشح الصحراء .

(٧) الشيم : النظر من بعيد . وتنورتها : أبصرتها . يقول إنه رأى نارا تراءت له من بعيد ، فبات يترقب بأهلها ليأخذهم على غرة حين تسنح له الفرصة .

- ٨ فأصبحتُ والنسولُ لي جارةُ      فيا جارتا أنتِ ما أهولا !  
 ٩ وطالبُها بضُمُّها فالتوتُ      بوجهٍ تقولُ فاستغولا  
 ١٠ فقلتُ لها : يا انظري كي ترى      فولتُ فكنتُ لها أغولا  
 ١١ فطار يقحف ابنُ الجنِّ ذو      سفاسقٍ قد أخلق المحملا  
 ١٢ إذا كلُّ أمهتِه بالصفَا      قد ، ولم أريه صيقلا  
 ١٣ عَظَايَة قفِر لها جُلُها      نِ مِنْ ورق الطلح لم تُغزلا

(٨) في رواية أخرى :

فأصبحت النسول لي جارة      فيا جارتا لك ما أهولا

وفي رواية غيرها « ما أغولا » .

(٩) البضع : الجماع . وقوله « بوجه تقول فاستغولا » يريد به أنه تشكل أشكالا قبيحة مخيفة .  
 وفي رواية أخرى « ... فالتوت على وحاولت أن أفلا » .

(١٠) يا انظري : نداء والمنادى محذوف تقديره « يا هذه » ، ومثل هذا الأسلوب شائع في الشعر العربي القديم . وكنت لها أغولا : أي أنه كان أشد وحشية منها . يذكر في هذا البيت أنه أفلح في خداعها ، فأدارت وجهها ومضت ، فاقبض عليها في وحشية أهد من وحشيتها .

(١١) القحف : العظم الذي فوق الدماغ . وذو سفاسق : يريد السيف ، والسفاسق : طرائقه التي تظهر عليه لشدة صقله . وأخلق : أبلى . والمحمل : علاقة السيف . يذكر هنا أنه قتلها بضربة من سيفه المصقول الذي لا يفارقه فوق رأسها فطار به .

(١٢) أمهى السيف : أحده . والصفَا : الصخر . والصيقل : من يصقل السيوف ويحدها .  
 يقول في واقعة صريحة إنه يحده سيفه إذا كل على الصخور ولا يدفع به إلى صيقل ليعده له .

(١٣) العظاية : دوية من فصيلة الزواحف كسام أبرص تعيش في الصحراء . والطلح : شجر عظام من شجر البادية . صورة غريبة يرسمها تأبط شرا للنول تترأى معها كأنها حيوان أسطوري من عصور ما قبل التاريخ .

١٤ فَنِّ سَالَ : أَيْنَ ثَوْتٌ جَارِقِي ؟ قَانُ لَهَا بِاللَّوِي مَتَلَا

١٥ وَكَنْتُ إِذَا مَا هَمَمْتُ اعْتَزَمْتُ وَأَحْرَ إِذَا قَلْتُ أَنْ أَعْمَلَا

\* \* \*

(١٤) اللوى : ما التوى من كشيان الرمال . يذكر أنه قتل القول وجعل من الرمال قبرا لها . وفي رواية أخرى « فن كان يسأل من جارقى » .

(١٥) اعزمت : صممت . وفي رواية أخرى « فعلت » بدلا من « اعزمت » .

\* \* \*

يوسف خليف





عَصْرُ ذِي قَارِ



## دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ

\* \* \*

هو دريد بن الصمة — واسم الصمة معاوية — بن الحارث بن معاوية بن بكر  
ابن حلقمة بن جداعة بن غَزِيَّة بن جُثَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأمه  
ريحانة بنت معدى كرب ، أخت عمرو بن معدى كرب .

ودريد شاعر فحل من شعراء الجاهلية ، فضله الأصمعي على النابغة الذبياني  
في بعض شعره ، وجعله ابن سلام أول الشعراء الفرسان ، فهو أحد الشجعان  
المشهورين وذوى رأى في الجاهلية . وكان سيد بنى جُثَم وفارسهم وقائدهم .  
وكان مظفرا في حروبه ، ويقال إنه غزا نحو مائة غزوة لم يخفق في واحدة منها .  
وأدرك الاسلام ولم يسلم . قال خاله عمرو بن معدى كرب — وهو فارس من  
فرسان الجاهلية والاسلام — « لو طفت بظمينة أحياء العرب ما خفت طليها ،  
ما لم ألق عبيدها وحرَّيها » ، يعنى بالعبدى : عنترة بن شداد والسُّلَيْك بن السُّلَكَة  
وهو من الصعاليك ، وبالحرين : دريد بن الصمة وربيعه بن مُكَّدم .

ودريد أحد المعمرين من الرجال والشعراء حتى لقد بالغ بعض الرواة فوصل  
بعمره إلى مائتين من السنين .

والقصيدة المختارة يرثى فيها دريد أخاه عبد الله بن الصمة . وذلك أنه كان  
قد خرج هو وأخوه فأغاروا على غطفان ، فأصابا إبلا عظيمة فاستاقاها ، فلما كانا  
ببعض الطريق نزل عبد الله بن الصمة ليسترىح ويقسم المال بين أصحابه ، فنهاه

دريد خشية المتابعة . فبينما هما كذلك إذ رأيا غيرة ، وإذا فرسان قبيلة فزارة تتبعهما ، وقُتِلَ عبد الله بمكان يقال له اللوى وجرح دريد .

وقد بدأ مرثيته لأخيه بنسب يلائم الرثاء وهو خلف الحبيبة وفراقها له ، ثم أعرب عن فداحة رزئه ، وذكر ما كان من نصيحته وإنذاره قومه بأعدائهم وعصيانهم أمره ، ثم تناول مقتل أخيه وولمه لذلك ، ووصف أخاه بالشجاعة والجلود والمضاء والصبر وحزم الشيوخ ، وذكر أن مما هون وجده عليه أن دريدا كان لا يكذب له أمرا ولا يضمن عليه بما يملك . ثم صور مصرع أخيه وجرحه عند ذلك ، وذكر أنه لم يتركه دون أن يناضل عنه أصدق نضال . ثم نخر بشجاعة نفسه ، ونعت فرسه في بيتين أوجز فيهما وجمع كثيرا .

\*\*\*

## رثاء بطل

\*\*\*

- ١ أرثُ جديداً الحبيل من أمٍّ معبدٍ      بعاقبةٍ وأخلفتُ كلَّ مؤيدٍ
- ٢ وبانت ولم أُنجدْ إليك جوارها      ولم ترجُ فينا ردةً اليوم أوغيدٍ
- ٣ أهاذل إن الرزءَ في مثل خالدٍ      ولا رزءَ فيما أهلك المرء عن يدٍ

(١) أرث : أخلق وبلى . بعاقبة : بآخرة .

(٢) بانت : فارقت . الردة : الرجوع . وفي الأغاني : أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره

كانت امرأته ، وحين رآته شديد الجزع على أخيه عاتبة في ذلك وصغرت شأن أخيه وصيته فطلقها .

(٣) خالد : هو إما أخوه خالد بن الصمة الذي قتله بنو الحرث بن الحرث بن كعب ، وإما عمه

خالد بن الحرث الذي قتله بنو أحسن وهم بطن من شنوءة . يقول : أن الرزء إنما هو في فقد الرجال وليس في إهلاك المال .



- ٤ وقلت لعراض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدى  
 ٥ علانية : ظنوا باللفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد  
 ٦ أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد  
 ٧ فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأتتى غير مهتد  
 ٨ وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد  
 ٩ وإن تعقب الأيام والدهر تعلموا بنى قارب أنا غضاب بمعبد  
 ١٠ تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعبد الله ذلكم الردى ؟  
 ١١ وإن يك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافاً ولا طائش اليد

(٤) عراض : قوم من بنى جشم كان دريد قد نهاهم عن النزول حيث نزلوا فعصوه . ورهط بنى السوداء منهم . شهدى : شهوى .

(٥) علانية : أى قلت لهم علانية . ظنوا : أيقنوا . أو معناه : ما ظنكم باللفى مدجج . المدجج : التام السلاح . سراتهم : أشرافهم ورؤسائهم . الفارسى : الدرع الذى يصنع فى فارس . المسرد : المحكم النسيج أو دقيق الثقب .

(٦) منعرج اللوى : موضع كانت به الوقعة التى قتل فيها أخوه عبد الله بن الصمة .  
 (٧) يقول : إنهم رغم عصيانهم لأمره فقد وافقهم على رأيهم حتى لا يكون بينهم خلاف مع عليه بأن رأيه هو الأصوب . وقد جعل أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى هذا البيت « أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده » .

(٨) غزيرة ( بفتح الغين وكسر الزاى ) أحد أجداد دريد بن الصمة « غزيرة بن جشم » .

(٩) تعقب الأيام : تمر وتأتى أعقابها . ومعبد هنا : يقصد به أخاه عبد الله .

(١٠) الردى : الهالك ، من الردى وهو الهلاك .

(١١) خلى مكانه : يقصد أنه مات . الوقاف : المهجم عن القتال .

- ١٢ ولا بَرَمًا إذا الرياح تَتَاوَحَّتْ      يَرْطِبُ الْعِضَاهُ وَالضَّرِيعُ الْمُعْضِدُ  
 ١٣ كَيْشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ صَاقِهِ      صَبُورٌ عَلَى الْعِزَاءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ  
 ١٤ رَيْسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَيْثَةً      مُشِيحًا عَلَى مُحَقَّقِيفِ الصُّلْبِ مُلِيدُ  
 ١٥ صَبُورٌ عَلَى رُزْءِ الْمَصَائِبِ حَافِظُ      مِنْ الْيَوْمِ أَدْبَارِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ  
 ١٦ صَبًا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ      فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ : ابْعُدِ  
 ١٧ وَهَوْنٌ وَجَدَى أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ      كَذِبَتَ ، وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي  
 ١٨ وَكُنْتُ كَأَنِّي وَائِقٌ بِمَصْدَرٍ      يَمْشِي بِأَكْنَافِ الْحَيْبِ فَمَحْتَدٍ

(١٢) البرم : بفتح الراء : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . تناوحت : تقابلت فى المهب وذلك إذا اشتد هبوبها . العضاء : ما عظم من شجر الشوك وطال وامتد شوكه ، الواحدة عضاهة . الضريع : نبت بالجوازله شوك كبار . المعضد : يقال « عضد الشجرة » إذا نثر ورقها لإبله ، أو قطع فرعها بالمعضد .

(١٣) الكيش : الماخى العزم فى اتخاذ قراراته ، وأضاف السرعة إلى الإزار على المجاز . وفى اللسان « رجل كيش الإزار : مشمره » . العزاء : الشدة . طلاع أنجد : ركاب لصعاب الأمور .

(١٤) الرَيْثَةُ : الطليعة ، وهو الذى ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل . المشيح : الجاد ، المحقوف : المعوج . الملبد : القرص شد عليه لبد السرج .

(١٥) رواية الحماسة والأغانى لصدر البيت « قليل التشكى للمصيبات حافظ » والمعنى : أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده .

(١٦) صبا : من الصبوة وهى الفتوة والاهو .

(١٧) ليس القصد أنه لم يقل له كذبت فقط ، وإنما المراد أنه لم يحفه أدنى جفاء .

(١٨) المصدر : السابق من الخيل . الأكناف : النواحي . الحيب وفى رواية الحبيب تصغير

« جب » موضع . محتد : موضع .

- ١٩ غداة دعاني والراح ينشئه كوقع الصياصي في النسيج الممدد  
٢٠ وكنت كذات البور ريمت فأقبلت إلى جذم من مسك سقب مجلد  
٢١ فطاعت عنه الخيل حتى تبددت وحتى ملاني حالك اللون أسود  
٢٢ طعان امرئ أمي أخاه بنفسه وأعلم أن المرأة غير مخلد  
٢٣ وهون وجدى أنما هو فارط أمامي ، وأنى وارد اليوم أو قد  
٢٤ وغارة بين اليوم والليل فلتة تداركتها ركضا يسيد عمرد  
٢٥ سليم الشظا قبل الشوى شنج النسا طويل القرا نهيد أسيل المقلد

(١٩) ينشئه : يتناولته . الصياصي : جمع « صيصية » بكسر الصادين وفتح الياء الثانية مخففة وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة والحمة . يريد أن أخاه دعاه والراح يتناولها ولما خشخشة ووقع كوقع صياصي الحائك في ثوب أو نسيج .

(٢٠) البور : ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبنا لتعطف عليه أمه وترأفه فتدر اللبن ولا ينقطع . ريمت : فرغت . الجذم ، بكسر الجيم وفتح الدال : جمع جذمة بسكون الدال وهي القطعة . المسك : بفتح الميم : الجلد . السقب : ولد الناقة . المجلد : المسلوخ .

(٢١) أسود ، بضم الدال : إقواء . ويقصد بحالك اللون غبار الحركة .

(٢٢) الفارط : المتقدم السابق .

(٢٤) اليوم : النهار فقط . فلتة : كان للعرب في الجاهلية ساعة يقال لها الفلتة يغيرون فيها . وهي آخر ساعة من آخر يوم من أيام جمادى الآخرة ، يغيرون تلك الساعة وإن كان هلال رجب قد طلع تلك الساعة من آخر جمادى الآخرة ما لم تغب الشمس . السيد : الذئب . العرود : الطويل . شبه فرسه بالذئب .

(٢٥) الشظا : أحد عظام الذواح . هيل الشوى : غليظ القوائم . النسا : قال الأصمعي « هرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر » . الشنج : المنقبض ، وهو مدح له لأنه إذا تقبض نساء لم تسترخ رجلاه . القرا : الظهر . النهد : الجسيم المشرف . الأسيل : الطويل . الأملس المستوى . المقلد : موضع القلادة .

٢٦ ويخرج منه صرة القوم مصدقا وطول السرى درى غضب مهند

\*\*\*

(٢٦) صرة القوم : خبثهم ومراخهم • المصدق بفتح الميم والدال : مصدر ميمي ، أى صدق الجرى • والمصدق أيضا الجذ والصلابة • يعنى : أنه إذا صاح به القوم ظهر منه الجذ فى الجرى لإفائتهم • السرى : السير باليل • المضرب : السيف القاطع • ودريه : تلاتوه وإثراقه كأنه منسوب إلى الدر لصفاته ورقاته •

\*\*\*

سيد حنقى

## سَاعِدَةُ بِنِ جَوْيَةٍ

\* \* \*

ساعدة بن جوية أحد شعراء قبيلة هذيل ، ويعمد مع أبي ذؤيب الهذلي — وهو شاعر مخضرم — من أشعر شعراء هذه القبيلة ، وكان أبو ذؤيب راوية لساعدة ، وهو يتحدث في هذا الجزء من القصيدة عن صيد الوعول والبقر الوحشي بعد أن يبدأها بالشكوى من الشيب والهرم والضعف الذي يعتري كبار السن .

\* \* \*

## تأملات في الشيب والموت

- |   |                               |                                    |
|---|-------------------------------|------------------------------------|
| ١ | يا ليت شعري ألا متجى من الهرم | أم هل على العيش بعد الشيب من ندم ؟ |
| ٢ | والشيب داء نجيس لا دواء له    | للره كان صحيحا صائب القهجم         |
| ٣ | وسنان ليس يقاض نومة أبدا      | لولا غداة يسير الناس لم يقيم       |
| ٤ | في منكبيه وفي الأضلاب واهنة   | وفي مفاصله غمز من العسم            |
| ٥ | إن تأتته في نهار الصيف لا تره | إلا يجتمع ما يعضى من الجحيم        |
| ٦ | حتى يقال وراء البيت منتبذا :  | قم لا أبالك سار الناس فاحترم       |

(٢) النجيس والناجس : هو الذي لا يكاد يرا منه من الأدوية . صائب القهجم : أى أنه إذا اقتحم في أمر أصاب وقصد في اقتحامه .

(٣) يقول : لا تراء أبدا إلا كأنه وسنان مسترخ كأنه نائم من الضعف وليس بنائم .

(٤) العسم : اليبس ، يريد أن مفاصله قد يبست . والواهنة : الوجع .

(٥) ما يعضى : ما يعطى به في الشتاء . الجحيم : جمع جمعة ، وهى حر النار .

(٦) المعنى : حتى يقال له وهو وراء البيت والدار يحدث نفسه : قم فقد سار الحى فاحترم :

أى شد وسطك .



٧ فقام تُرْعَدُ كَفَاهُ بِحُجْنِهِ قَدْ عَادَ رَهْبًا رَذِيًّا طَائِشَ الْقَدَمِ

\*\*\*

٨ تالله يسقى على الأيام ذو حَيْدٍ أَدْقَى صَلَودٌ مِنَ الْأَوْعَالِ ذُو خَدَمٍ

٩ يَاوَى إِلَى مُشْمِخِرَاتٍ مُضَعَّدَةٍ شُمُورٍ فُرُوعُ الْقَانِ وَالنَّشَمِ

١٠ من فوقه شَعَفٌ قَرُّوْا سَفْلَهُ جِيٌّ تَنْطَقُ بِالظُّيَّانِ وَالْعَسَمِ

١١ مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصُّومِ يَنْظُرُهَا مِنْ الْمَغَارِبِ مُخْطُوفُ الْحَشَا زَرِمٌ

١٢ حَتَّى أُتِيحَ لَهُ رَامٌ بِمُحْدَلَةٍ جَشٌّ وَيَبِيضُ نَوَاحِيْنٌ كَالسَّجَمِ

١٣ فَظَلَّ يَرْقُبُهُ حَتَّى إِذَا دَمَسَتْ ذَاتُ الْعِشَاءِ بِأَسْدَافٍ مِنَ الْغَسَمِ

(٧) أى قام بحجته الذى يتوكأ عليه وكفاه ترتعدان . الرهب : الرقيق والضعيف . الرذى : المعيب المطروح .

(٨) الحيد فى القرن . وقرن ذو حيد أى ذو أنابيب ملتوية . الأدقى : الذى فى قرنه دقى وهو الحذب وهو الذى تحقى قرناه إلى ظهره . الصلود : الذى يصلد برجله أى يضرب بها على الصخرة فتسمع لها صوتا . ذو خدم : أى أعصم ، والأعصم من الوعول ما فى يديه بياض أو فى إحداهما .

(٩) مشمخرات : مرتفعات . القان والنشم : شجرتان تتخذ منهما القسي العربية .

(١٠) شعف الجبال : رؤوسها . قر : بارد . جى : جمع جية وهى مناطق الماء . الظيان والعسم : شجرتان .

(١١) الشدوف : الشخوص . الصوم : شجر على شكل الإنسان . يرقبه : يخشى أن يكون ناسا . مخطوف الحشا : فزع . المغارب : كل مكان يتوارى فيه . الزرم : يقال أزرمه : إذا قطع عليه البول أو الحاجة قبل أن يتمه ، أو هو الذى لا يثبت فى مكان . وقوله موكل : كأنه وكل بها يفرق أن تكون ناسا . وفى البيت إقواء .

(١٢) المحدلة : القوس . الجش : القضيبي الخفيف . البيض : السهام . السجم : شجر له ورق مثل ورق الزيتون ، يريد أن نصال السهام تشبه هذا الورق .

(١٣) دمست : التبت . وذات العشاء : أى ساعة العشاء . أسداف : جمع سدف (بفتح السين) وهو الظلمة . الغسم : اختلاط الظلمة بالضوء .

- ١٤ ثم ينشوش إذا آد النهار له بعد الترقب من نيم ومن كتم  
 ١٥ دلى يديه له سيرا فالزمه نقاعة غير إنباء ولا شرم  
 ١٦ فراغ منه بحنب الريد ثم كبا على نضى خلال الصدر منحطيم  
 \* \* \*  
 ١٧ ولا صوار مذرأة مناسجها مثل الفريد الذى يجرى من النظم  
 ١٨ ظلت صوافن بالأرزان صادية فى ماحق من نهار الصيف عتدم  
 ١٩ قد أوييت كل ماء فهى طاوية مهما نصب ألقا من بارق تشم  
 ٢٠ حتى شأها كليل موهنا عميل باتت طرابا وبات الليل لم ينم  
 ٢١ كأن ما يتجلى عن غواربه بعد الهدوء تمشى النار فى الضرم

- (١٤) ينوش : يتناول . آد النهار : مال للزوال . النيم والكتم : شجرتان .  
 (١٥) دلى يديه : رماء يسهماه . نقاعة : تنفح بالدم . غير إنباء : يقول : لم ينب مبه حين  
 رماء . ولا شرم : أى لم يشرم ، أى لم يصب جلده فيشقه ولكنه قد خرج من الشق الآخر .  
 (١٦) يقول : راغ منه بناحية ريد الجبل روفة ثم عثر والمهم فيه . النضى : مهم بغير ريش .  
 خلال الصدر : أى دخل بين أطباق الضلوع .  
 (١٧) الصوار : قطع البقر . ومنسج الهداية ما بين مغز العنق إلى منقطع الحارك فى الصلب .  
 يقول كأن مناسجها ذريت بالمذى أى ضربتها الريح كما يذرى الشعر بالمذى . مثل الفريد :  
 أى كأنها فريد من فضة فى بياضها . النظم : جمع نظام وهو الخيط الذى ينظم فيه العقد .  
 (١٨) الصوافن : القائمة على ثلاث قوائم ثانية سبك يدها الرابعة . الأرزان : الأمكنة الصلبة .  
 واحدها رزن . المادى : الدابل .  
 (١٩) أوييت كل ماء : منعت كل ماء . طاوية : ضامرة . تشم : تقدرأين موقعه .  
 (٢٠) شأها : شاقها فاشتقت . كليل : برق ضعيف . موهنا : بعد وهن من الليل . باتت طرابا :  
 يقصد البقر . بات الليل لم ينم : أى بات البرق يبرق ليلته .  
 (٢١) يتجلى : يظهر . عن غواربه : أى عن أعاليه ويقصد السحاب . الضرم : ما دق من  
 الحطب ليس بالجزل ولا بالغليظ .

- ٢٢ حيرانٌ يركبُ أصلاه أسافله  
 ٢٣ فأسادت دبلًا تحي لموقعه  
 ٢٤ حتى إذا ما تجلّ ليلها فزعت  
 ٢٥ فافتتها في فضاء الأرض يافرها  
 ٢٦ أنحى عليها شرعياً فغادرها  
 ٢٧ فكان حنفاً بمقدار وأدركها  
 ٢٨ هل اقتنى حدثان الدهر من أنس  
 ٢٩ كيداً وجمعاً بآناس كأنهم
- يُنحى جديد تراب الأرض منهزم  
 لم تنتشب، بوغوث الأرض والظلم  
 من فارس وحليف الغرب ملتئم  
 وأصحرت عن قفاف ذات معتصم  
 لدى المزاحيف تلى في نضوخ دم  
 طول النهار ولسل غير منصرم  
 كانوا بمعيط لا وخيش ولا قزم  
 أفناد كبكب ذات الشث والخزم

- (٢٢) يقول : هذا السحاب حيران لا يأخذ جهة واحدة . منهزم : متفجر بالمياه .  
 (٢٣) الإسناد : سير الليل . الدج : الليل كله . تحي لموقعه : أحيت ليلتها لتبلغ ذلك المأر .  
 لم تنتشب : لم تحبس ولم يتعها الوعث والظلمة .  
 (٢٤) الغرب : غرب كل شيء . حده . والحليف : السنان أى الحديد . ملتئم : متبته غير مختلف ،  
 وهو من صفة قناة الريح . وقوله : حليف الغرب : أى حديد الحد .  
 (٢٥) افتتها : اشتق بها . يافرها : يزورها نزوا . القفاف : غلظ في الأرض لا تجرى فيه  
 الخيل . يقول : فلما أصحرت عن القفاف أدركتها الخيل .  
 (٢٦) أنحى عليها : حمل عليها . شرعياً : رجحاً طويلاً . تلى : تركه تليلاً أى صريها . وقوله لدى  
 المزاحف : أى عند المزاحف .  
 (٢٧) فكان حنفاً بمقدار : أى فكان ما أصابها بمقدار .  
 (٢٨) « هل اقتنى حدثان الدهر من أنس » جواب مطلع القصيدة : « ياليت شعري ألا منجى  
 من الهرم » ، أى هل اقتنى الموت أحداً . يقول : لو كان الزمان مقتنياً أحداً أبق هذا الوحش .  
 معيط : موضع يبلد هذيل . الوحش : الأندال . القزم : اللثام .  
 (٢٩) آناس : جمع أنس وهم الكثير . الفند (بكسر فسكون) : الأنف من الجبل . كبكب :  
 جبل . يقول لو كانت لهم كتائب وجيوش كأنها أفناد جيل لأدركهم الموت . الشث : شجر طيب  
 الريح من الطعم يدبغ به . والخزم : شجر يؤخذ قشره فتقتل منه الحبال .

\* \* \*

سعيد حنفي

## عبدُ يغوث بن وقاص الحارثي

\* \* \*

هو زبيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث من شعراء الجاهلية وفارساتها ، كان سيدا في قومه بني الحارث بن كعب ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أسر ثم قتل .

من أهل بيت عريق في الشعر في الجاهلية والإسلام منهم الجلاج الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث ومُسهر بن يزيد بن عبد يغوث وهو فارس شاعر ، وهو الذي طعن جامر بن الطفيل فأذهب عينه يوم « قَيْف الرِّيح » ، ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلبة بن ربيعة بن الحارث وكان فارسا شاعرا صعلوكا ، أخذ في دم ، فحبس بالمدينة ، ثم قُتل صبرا .

وخلاصة ما فصله صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> في روايته أن هذه القصيدة من شعر عبد يغوث قد قُلت في يوم الكلاب الثاني وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم ، فظفرت به بنو تميم وأسروه وقتل يومئذ .

وقصيدته الياثية التي نحن بصددتها تُعدُّ فريدة في موضوعها وإن كانت ظروفها قد هيئت لكثير من الجاهليين ، ولكن يبدو أن هذا الشاعر كان

---

(١) يراجع نسب الشاعر ومنزله في قومه وشاعريته وشعره في يوم الكلاب وحديث يوم الكلاب

في كتاب الأغاني ، الجزء السادس عشر ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

أكثرهم حساسيةً برزت في قدرته على اختيار شريحة من تلك الظروف ليسيطر عليها ويصورها تفصيلاً على هذا النحو .

وقع عبد يغوث أسيراً وكان قائداً لقومه مذحج ، وأراد أن يفدى نفسه فأبت بنو تميم إلا أن تقتله بالنعمان بن جساس ، ولم يكن عبد يغوث قاتله ، ولكن تميمًا قالت : قُتِل فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مشهور . وكانوا قد شدوا لسانه حتى لا يستطيع أن يهجوهم ، فلما يئس من الفرار من القتل طلب إليهم أن يطلقوا لسانه ليذم أصحابه وينوح على نفسه ، وأن يقتلوه قتلة كريمة ، فأجابوه ، وسقوه الخمر ، وقطعوه له عرقاً يقال له الأتحل ، وتركوه يتزف حتى مات .

وعلى هذا نظم قصيدته في تلك التجربة القاسية التي عاشها بما فيها من مرارة ، وقد أنشدها حين جُهِزَ للقتل ، فبدأها رافضاً لوم صاحبيه ، ونأهياً إياهما عن هذا اللوم الذي لا ينفعه شيئاً ، وهو يأبى من تصور انقطاع أمله في لقاء أصحابه ، فيبلغهم استحالة هذا اللقاء ، حتى إذا ما تذكر قومه بدا حاجياً لهم ، يلومهم على هزيمتهم ومسجلاً موقفه بينهم ، فلو أراد النجاة لنفسه لفرّ هارباً ، ولكنه ظل ثابتاً قوياً حريصاً على أن يحصى ذمّاره . ومن تسجيل حقيقة موقفه إلى عرض واقعه الأليم راح الشاعر يحكى في قصة حزينه ما حدث له من الأمر وشدّ لسانه وما لقيه من سخيرية نساء تميم منه . وهو لا يكاد يستسلم لآلامه ، فقد آثر أن يمزجها بشيء من مفاخره ركز فيها على عرض شجاعته وكرمه وبراعته في القتال ، وشهامته في مواقف الجدل ، ولكنه نخر يشوبه حزنه وألمه خاصة حين يتذكر ما كان له من لذة في ماضيه القريب .

( تراجع القصيدة في الأغاني - ١٦ ص ٣٣٣ ، وفي ديوان المفضليات تحت رقم ٣٠ بتحقيق الأستاذين : عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ) .

\* \* \*

عبد الله النطاوى



## تَجْرِبةٌ قَاسِيَةٌ

\* \* \*

- ١ أَلَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمُ مَا بَيَا      وما لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
- ٢ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا      قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَحْيَى مِنْ شِمَالِيَا
- ٣ فَيَارَا كَبًّا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنَ      نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَا فَيَا
- ٤ أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كَلِيهَمَا      وَقِيَسًا بِأَعْلَى حَضَرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
- ٥ جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلَابِ مَلَامَةً      صَرِيحَهُمْ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
- ٦ وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً      تَرَى خَلْفَهَا الْحَوَّ الْجَبَادَ تَوَالِيَا
- ٧ وَلَكِنِّي أَحْيَى ذِمَارَ أَبِيكُمْ      وَكَانَ الرِّمَاحُ يَخْتِطِفْنَ الْمُحَامِيَا
- ٨ أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ :      أَمَعَشَرَتَيْمِ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا

(٢) الشمال جمعها شمائل ، والشمال : الخلق .

(٣) عرض : أتى العروض وهو موضع يقال أنه مكة والمدينة وما حولهما ، وعرضت : أى أتيت العروض أو مررت بها .

(٤) أبو كرب : هو بشر بن علقمة بن الحارث . الأيهمان : هما الأسود بن علقمة بن الحارث والماعقب وهو عبد المسيح بن الأبيض .

(٥) الكلاب : يوم الكلاب الثاني ، كلاب أهل اليمن وتيمم ، وفيه أمر عبد يغوث . صريحهم : الصريح الخالص النسب . الموالى : الخلقاء .

(٦) النهدة : المرتفعة . الحوة : الخضرة . والأحوى : المائل إلى الاخضرار .

(٧) الذمار : الحمى الذى تجب على الإنسان حمايته .

(٨) النسعة : صير منسوج من الجلد وقد شد به لسانه حقيقة .

- ٩ أمعشرتيم قد ملكتم فاسبحوا  
 ١٠ فان تقتلوني تقتلوا بي سيداً  
 ١١ أحقاً عباد الله أن لست سامعاً  
 ١٢ وتضحك مني شبيخة عبشمية  
 ١٣ وظل نساء الحى حولى ركداً  
 ١٤ وقد علمت عرسى مليكة أني  
 ١٥ وقد كنت نهاراً بالزور ومعمل الـ  
 ١٦ وأنحر للشرب الكرام مطبتي  
 ١٧ وكنت إذا ما الخيل شمعها القنا  
 ١٨ وعادية سؤم الجراد وزعتها  
 ١٩ كأتى لم أركب جواداً ولم أقل  
 ٢٠ ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
- فإن أخاكم لم يكن من بوائيا  
 وإن تطلقوني تحربوني بماليا  
 تشيد الرعاء المعززين المتألبيا  
 كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً  
 يراودن منى ما تريد نسايبا  
 أنا اللث معدوا على وعاديا  
 مطنى وأمضى حيث لاحت ماضيا  
 وأصدع بين القيتين ردائيا  
 ليقاً بتصرف القنا بنائيا  
 بكفى وقد انحوا إلى العواليا  
 لحبلى كرى نفسى عن رجاليبا  
 لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

(٩) أسبحوا : سهلوا إلى الأمر . أخاكم : يقصد النعمان بن جساس . البواء : القتل والنار ، والبواء : السواء أو الظير .

(١٠) تحربوني : تسلبوني وتظلموني ، وتركونى بلا علة ولا نصير .

(١١) المعزب : الذى يتحنى بإبله . المتألى : التى تتبعها أولادها ، المفرد متلبة .

(١٢) عبشمية : نسبة إلى « عبد شمس » إذ يقال فى النسبة إليها « عبشى » .

(١٦) الشرب : جمع شارب . يصدع : يشق . القيتة : المغنية خاصة من الإماء .

(١٧) شمعها : نفرها . اللقى : الخلق والرفق . تنفس : توسع .

(١٨) العادية : القوم يركضون . سؤم الجراد : انتشاره فى المرحى ، الرعاء : الرعاة . انحوا

الزماح : أمالوها وقصدوا بها . العالية من الرمح : أعلاه . وزعتها : كففتها ومتعتها . انحوا إلى : وجهوا إلى .

(٢٠) يسبأ الزق : يشتريه للشرب لا للبيع . السباء : شراء الخمر . الروى : المتلى . الأيسار :

الذين يضربون القداح ( مفرد ما يأسر ) .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## الحارث بن وَعْلَةَ الجَرْمِيّ

\* \* \*

الحارث وأبوه وعلة شاعران قحطانيان قضاعيان ، من بني جرم بن دبان  
ابن عمران بن قضاعة . وهما جاهليان ، وإذا صح أن يوم الكلاب الثاني قد  
وقع بعد الإسلام ترتب على ذلك إدراك الحارث وأبيه الإسلام فكانا مخضرمين .  
والقصيدة التي نحن بصدددها جاهلية في نطمها ومحتواها ، وقد قيل إنها لوالة  
ابن عبد الله بن الحارث في يوم الكلاب الثاني ، وقد حضره فنجا على رجله  
شداً وقد عقربه ، وقيل أيضاً أنها لعابس بن الحصين أحد بني قدامة بن جرم .  
والصحيح نسبها للحارث بن وعلة الجرمي عند أكثر الرواة .

وهي قصيدة تبدو فيها من ملاح الغرابة ما يفتخر به الشاعر من هروب قومه ،  
ونجاتهم من المعركة ، على غير عادة شعراء العصر الجاهلي ، وهي ترد بلا مقدمات  
إلا ما يشير إلى ضرورة عدوه ، وما يتناسب معه بعد هذا من ذكر المواضع ،  
والاستطراد في الصور التي تلائم مرعته كما صنع في صورة العقاب .

وفيها أيضاً يبدو حرص الشاعر على ذكر أسماء القبائل ، وأكثر ما يكون تركيزه  
على مرعة جريه وهربه مخافة الأسر أو أن يقع فريسة في يد أعدائه . وهو يسجل  
حرصه على صلات ذوى القربى ويظهر فيها فارساً بطلاً على الرغم من فراره الذي  
أشار إليه في الأبيات الثلاثة الأولى . كما أشار إلى نداء قيس آل مقاعس في البيتين  
السادس والسابع ، ومقاعس هو الحارث بن كعب بن سعد ، وقد سمع الصوت  
وعلة الجرمي وكان صاحب لواء أهل اليمن يومئذ ، فطرحه ، وكان أول منهزم

من قومه ، وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم ، ولما أكثرتم تميم القتل في أهل اليمن أمرهم قيس بن عاصم بالكف عن القتل ، وأن يحزوا عراقبيهم ، وكأن وملة يبرر قراره إذا كان الموقف يمثل هذه الخطورة .

ثم إن وملة لحق به رجل من بني نهد اسمه سليط بن قتب ، فقال له الهندي :  
أردفتني خلفك فإني أخوف القتل ، فأراد أن يردفه كما أشار إلى ذلك في البيتين  
التاسع والعاشر من القصيدة . (\*)

\* \* \*

## فَرَارٌ وَافْتِخَارٌ

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | فِدَى لَكَا رَجُلَى أُمَى وَخَالَتِي            | غِدَاةُ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ |
| ٢ | تَجَوُّتُ نَجَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ   | كَأَنِّي عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرُ     |
| ٣ | لَهَا نَاهَضُ فِي الْوَكْرِ قَدِ مَهَّدَتْ لَهُ | كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَعْلِ حَسَنَاءُ عَاقِرُ |
| ٤ | خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لَبَدَ رِيَشَهَا         | مِنَ الطَّلِّ يَوْمَ ذُو أَهَاضِيْبَ مَاطِرُ |

(١) فدى : صيغة دعائية افتتح بها الأبيات . يحز الدوابر : يقطع أصله وجذوره .

(٢) تيمن : من بلاد اليمن . النجاء : يمد ويقصر وهو العدو السريع . الكاسر : للذكور والمؤنث .

ويبدو أن الشاعر يوم هربه كان ينزل مرة فيعود ويركب فرسه حيناً آخر ، ولذلك قال فدى لكَا

قاصدا الدماء لرجليه .

(٤) السفعاء : من السفعة وهو السواد يضرب إلى الحمرة . الخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد

أيضا . الأهاضيب : دفعات المطر . يشبه سبرعته في عدوه بسرعة طيران عقاب أمرعت في طيرانها حين أصابها المطر فازدادت سرعتها أملا في النجاة منه .

(\*) تراجع المفضليات بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد شاكر .

- ٥ كأننا وقد حالت حُذُنُهُ دُونَنَا نَعَامُ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرُ  
 ٦ فَمَنْ يَكُ يَرْجُو فِي تَمِيمِ هَوَادَّةَ فَلَيْسَ لِحَرْمٍ فِي تَمِيمٍ أَوَاصِرُ  
 ٧ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مُقَاعِسَا تَطَالَعْنِي مِنْ ثَغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرُ  
 ٨ فَإِنْ اسْتَطِيعَ لَا تَلْتَبِسْ بِي مُقَاعِسُ وَلَا يَرِنِي مَبْدَاهُمُ وَالْمَحَاضِرُ  
 ٩ وَلَا تَكُ لِي حَدَادَةٌ مُضِرِيَّةٌ إِذَا مَا غَدَتِ قُوَتَ الْعِيَالِ تُبَادِرُ  
 ١٠ يَقُولُ لِي الْهَيْدِيُّ: هَلْ أَنْتِ مُرْدِي؟ وَكَيْفَ رِدَافُ الْفَلِّ أَمُّكَ مَا يُرُ  
 ١١ يُذَكِّرُنِي بِالرَّحِيمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ كَانَ فِي نَهْدٍ وَجَرَمٍ تَدَابِرُ  
 ١٢ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَتَرَى أَنَا نَجَا عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرُ

- (٥) حذنة : موضع . يشبه أنفهم في مشهد الحرب بالنعام المتواتر حين يخاف فارساً يتلوه .  
 (٦) الهوادة : الرق والرقعة واللين . الأواصر : العواطف ( مفرداً وأمره ) .  
 (٧) الجائر : الحريوذي الجوف عند الخلاء ( قبل يقصد القى ) وهو يصور بذلك حال المنهزم إذا خاف القتل جاءه القى . تطالعني : طلع منى وارتفع من شدة الفزع والخوف . ثغرة النحر : الهزمة التي على الصدر .  
 (٨) المحاضر : ج محضر ، يصور شجاعته وكيف لا ينوى عدواً أو هرباً بخافة الوقوع في الأمر ، لذا يراه منهم من بدا ومن حضر .  
 (٩) الحداد : البواب . قوت العيال تبادر : أى إذا غدت فإنما همها قوت عيالها ، فكيف تكون حالى إذا كان من أمرنى هذه حاله من الضيق .  
 (١٠) الفل : المنهزم ( والفل أصلاً الكسر ) ، العابر : العبثى . وحواره مع الهيدى قبل أن يعترف فرسه .  
 (١٢) ترى : يتبع بعضها بعضاً ، تنال . أنائج : جماعات . الأحس : الشديد .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## حاتم الطائي

\* \* \*

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، ويكنى حاتم أبا سقانة وأبا عدى ،  
كنى بذلك بابنته سقانة وهى أكبر ولده ، وبابنه عدى .

أمه غنيمة بنت عفيف ، وكانت ذات يسار ، وكانت من أكثر الناس سخاء  
وأقراهم للضيف ، وكانت لا تليق شيئا تملكه ، وبلغ من سخائها أن حجرا عليها  
إخوتها .

وكانت ابنته سقانة من أجود نساء العرب أيضا ، أما حاتم فكان من شعرائهم  
الكبار وكان جوادا يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، فلم يكن يأكل إلا إذا  
وجد من يأكل معه .

وقد أطلق حاتم قومه من أسر الحارث بن عمرو ، كما أقام مكان أسير في قيده  
وأطلقه بعد أن مكث مكانه .

ويقال إن ماوية زوجته قد حدثت كثيرا عن عجائب حاتم ، ولذا كثر توجيه  
خطابه إليها في افتتاحيات قصائده . ويروى صاحب الأغاني أن فزارة غزت طيئا  
وعليهم حصين بن حذيفة ، وخرجت طيء في طلب القوم فلحق حاتم رجلا من  
بدر قطعته ثم مضى ، فقال : إن مر بك أحد فقل له : أنا أسير حاتم ، فمر به  
أبو حنبل ، فقال : من أنت ؟ ، قال : أنا أسير حاتم ، فقال له : إنه يقتلك ،  
فإن زعمت لحاتم أولم سالك أنى أسرتك ، ثم صرت في يدي خلّيت سبيلك ،

فلما رجعوا قال حاتم : يا أبا حنبل خلّ سبيل أسيرى ، فقال أبو حنبل : أنا  
أسرته فقال حاتم : قد رضيت بقوله ، فقال : أسرنى أبو حنبل فقال حاتم :  
إن أباك الجحون لم يكُ غادرا      ألا من بنى بدر أتنك الفؤائلُ

وقد ضربت الأمثال بكرم حاتم فى جاهلية العرب وما بعدها ، وقد وصفته  
ابنته بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه « كان يَفُكُّ العانى ، ويمجى الذمار ،  
ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى  
السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط » . وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه  
صفة المؤمن ، وقال : إن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، وهو حكم يؤكد  
سلامة المسلك الاجتماعى الذى سلكه حاتم متسقاً مع نفسه ومع مجتمعه  
وعقده القبلى .

والقصيدة كغيرها من شعر حاتم تصور طبيعة هذا المسلك وترسم الصورة  
المثالية للرجل العربى ، وهى تحكى شخصه ، وتصور ما اقتنع به فى فلسفة حياته  
الخاصة ، وبما حفلت به من اعتزاز بالسخاء والبذل والعفة والوفاء وحماية الجار  
والصدق فى القول والفعل معا .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

(تراجع تريحته وأخباره فى ديوانه بمحقق الدكتور عادل سليمان) .

( ١ )

## رُؤْيَةُ حَاتِمِيَّةَ

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | سَلِيَ الْأَقْوَامَ يَا مَأْوَى عَنِّي | وَأَنْتَ لَمْ تَسْأَلِيهِمْ فَاسْأَلِيْنِي |
| ٢ | يَخْبُرُكَ الْمُعَاشِرُ وَالْمُصَافِي  | وَذُو الرَّحِمِ الَّذِي قَدْ يَجْتَدِيْنِي |
| ٣ | بَأَنِّي لَا يَهْرُ الْكَلْبُ ضَيْفِي  | وَلَا تُقْضَى نَجْيُ الْقَوْمِ دُونِي      |
| ٤ | وَلَا أَعْتَلُّ مِنْ فَتْنٍ بَمَنْعٍ   | إِذَا نَابَتْ نَوَائِبُ تَعْتَرِيْنِي      |
| ٥ | وَأَنِّي قَدْ عَلِمْتُ إِزَاءَ طِيٍّ   | وَتَأْبَى طَيِّءٌ أَنْ تَسْتَطِيْعِيْنِي   |
| ٦ | وَمَا مِنْ شَيْئِي شَتْمُ ابْنِ عَمِّي | وَمَا أَنَا مُخْلَفٌ مِنْ يَرْتَجِيْنِي    |
| ٧ | سَأَمْنَعُهُ عَلَى الْعَلَاتِ حَتَّى   | أَرَى مَأْوَى الْأَيَّامِ يَشْتَكِيْنِي    |

(٢) العشير : القريب ، والصديق ، والزوج . معنى الإنسان : أخوه الذي يضافه الإخاء .  
يجتدني : يسألني الجدا وهو العطاء .

(٣) هرير الكلب : صوته دون نباحه ، ومعنى لا يهر الكلب ضيفه أنه لا ينبع الطراق لأنه تعودهم  
لكثرة فشيائهم لبيت صاحبه . لا تقضى نجي القوم دوني : أي لا يتناجون في أمر من أمورهم دون  
أن أشهدهم معهم .

(٤) الفنع : الخير والكرم والفضل وحسن الذكر والسمة الطيبة والشهرة . النابئة : المصيبة .  
نعتريه : تصيبه .

(٥) إزاء طيء : القائم بأمرها . تستطيني : أي تجدني وطئاً ذليلاً أو حقيراً المكانة .

(٦) الشيمة : الطبيعة والصفة الخلق ، مخلف : غيب ظنه ، يرتجيني : يطمع في كرمي وجداي .

(٧) على العلات : أي على كل حال ، يشتكيني : يضيق بي أو يشتكوني .

- ٨ إِذَا أَنَا لَمْ أَرَ ابْنَ الْعَمِّ فَوْقَ      فَإِنِّي لَا أَرَى ابْنَ الْعَمِّ دُونِي  
 ٩ وَمِنْ كَرَمٍ يَجُورُ عَلَى قَوْمِي      وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ تَحْسُدُونِي  
 ١٠ وَكَلِمَةٍ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ      سَمِعْتُ فَقُلْتُ : مَرَى فَأَنْفَذِينِي  
 ١١ وَعَابُوهَا عَلَى فَلَمْ تَعْبِنِي      وَلَمْ يَعْرِقْ لَهَا يَوْمًا جَبِينِي  
 ١٢ وَذِي وَجْهَيْنِ يَلْقَانِي طَلِيقًا      وَلَيْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَأْتِسِينِي  
 ١٣ نَظَرْتُ بَعَيْنِهِ فَكَفَفْتُ عَنْهُ      مَحَافِظَةً عَلَى حَسَبِي وَدِينِي  
 ١٤ فَلَوْ مِثْنِي إِذَا لَمْ أَقْرِ ضَيْفِي      وَأَكْرَمَ مُكْرِمِي وَأَهْنُ مُهِينِي

(٩) يجور : يظلم ويمتسف . ذو : أمم موصول بمعنى الذي في لغة طيء خاصة وتسمى « ذو » الطائية .

(١٠) تنقذه : تنبيه وتخلصه .

(١٢) ذو الوجهين : المنافق الذي يبدو خلاف ما يبطن . طليقا : طلق الوجه وطلايقه إذا كان مشرقه ضاحكة . يأتسني : يتخذ في أسوة يقتدى بي ( إذا غبت عن ذي الوجهين وغاب عني لا يقصر في انتقامي وذمي ) .

(١٣) الحسب : مآثر الآباء والأجداد . مقياس الأصالة بحكم مراعاة الانتماء إليهم . ديني : عاداتي وخلق .

\* \* \*

عبد الله التطاوي

( ٢ )

## تأصيل الرؤية الحاتمية

\*\*\*

هذه القصيدة الرائية تدور في بجلتها حول تأصيل صفة الكرم التي عدت من المعالم الأساسية الكبرى في العقد الاجتماعي للقبيلة ، وهي هنا تحتل موقعا هاما يختلف في طبيعته النوعية عن قصائد المدح التي تنهى — في معظمها — إلى قدر من المبالغة في تضييخ صور الممدوحين بما فيها من زيف أو افتعال .

ويظهر حاتم في هذه القصيدة متسقا على نفسه ، مقتنعا بما هو بصدد من تقرير أو تصوير ، متفقا مع القبيلة في طبيعة المسلك ، مختلفا مع لائمه الذين درجوا على مهاجمة إسراره وإنفاقه في سبيل الكرم ، يقول مفلسا موقفه ومصورا أبعاد علاقاته الاجتماعية من خلال حسه القبل والغبي معا ، ومن خلال تجربة حياته مع قومه وما تعلقة به نفسه من حس حضارى يتجاوز به خشونة الجاهلية ومسلك شباب العصر ، وقد قال مؤصلا مسلكه ومعنزا به قصيدته الرائية هذه .

\*\*\*

١ أماوى قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْمَجْرُ	وَقَدْ حَذَرْتَنِي فِي طَلَابِكُمُ الْعَذْرُ
٢ أماوى إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ	وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
٣ أماوى إِمَّا مَانِعٌ قَبِيْنٌ	وَأَمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزَّجْرُ

(١) الطلاب : طلب صاحبه وصعبه باحثا عنها ، حريصا على الحصول عليها .

العذر : هنا الأعذار . « وهي المبررات التي يراها مانعا لاستمرار صعبه بجنا عن ماوية » .



- ٤ أماوى إني لا أقول لسائل  
 ٥ أماوى ما بُغِيَ الثراء عن الفنى  
 ٦ إذا أنا دلاني الذين أحبهم  
 ٧ وراحوا عَجَلًا يَنْقُضُونَ أَكْفَهُمْ  
 ٨ أماوى إن يُصْبِحَ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ  
 ٩ ترى أن ما أَهْلَكَتُ لَمْ يَكُ ضَرْبِي  
 ١٠ أماوى إني رب واحد أمه  
 ١١ وقد عَلِمَ الْأَقْوَامُ لو أن حاتم  
 ١٢ وأنى لا آلو بِمَالٍ صَلِيعَةٍ  
 ١٣ يَفُكُّ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا  
 ١٤ ولا أَظْلَمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي  
 ١٥ غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعُّكِ وَالْفِنَى
- إذا جاء يوماً : حل في مَالِنَا تَزُرُّ  
 إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ  
 للملحودة زنج جَوَانِبُهَا غُصْبُ  
 يقولون : قد دُمِيَ أَنَامِلُنَا الْحَفَرُ  
 مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَى وَلَا نَحْرُ :  
 وَأَنْ يَدَى يَمَّا يَنْخَلُتُ بِهِ صَفْرُ  
 أَجَرْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ  
 أراد ثراء المال كَانَ لَهُ وَفَرُ  
 فَأَوَّلُهُ زَادُ وَآخِرُهُ ذُخْرُ  
 وما إن تُعْرِيَهُ الْقِدَاحُ وَلَا الْخَمْرُ  
 شُهُودًا ، وَقَدْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ الدَّهْرُ  
 كما الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ

(٥) حشرجت : يقصد حشرجة الروح منه الموت .

(٦) الملحودة : القبر وهو الرمس أيضا أو العير . الزنج : المساء التي لا تثبت فيها القدم .  
 الفرج أغبر والغبراء هي التي غبرها التراب .

(٧) دمي : أصل الدماء من أيديهم نتيجة كثرة الحفر .

(١٠) واحد أمه : وخيدها . الذي يفتقد المصيبة القلبية ويصبح في حاجة إلى الحماية .

(١١) الوفر : المال الكثير الذي يشهد القبائل بوجوده لديه ولدى قومه منذ القدم .

(١٣) العاني : الأسير والعبد . صفر : خالية فارغة . تعريه : تفنيه . القداح : سهام الميسر .

(١٥) التصعك هنا بمعنى الفقر .

- ١٦ كَيْسَتَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لَيْسَتَا وَغِلْظَةً      وَكَلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدَّهْرُ  
١٧ فَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ      غِنَانَا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَانِ الْفَقْرِ  
١٨ فَقَدِمَا عَصَبَتِ الْعَاذِلَاتِ وَسُلْطَتِ      عَلَى مُصْطَفَى مَالِي أَنَا مِلَى الْعَشْرِ  
١٩ وَمَا ضَرَّ جَارًا يَا ابْنَةَ الْعَمِّ فَأَعْلَمِي      يُجَاوِرُ قِيَّ الْأَيُّكُونَ لَهُ سِتْرُ  
٢٠ بَعِيْنِي مِنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً      وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقَرُّ

(١٧) البغى : الظلم أو العدوان . أزرى : أهان وأذل .

(١٨) العاذلات : من يلته على كرمه ويعلمته عليه ويؤاخذته على الإصراف فيه .

(٢٠) الوقر : ثقل السمع . والغفلة هنا غرض النظر عما يمكن أن يراه .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## عُرْوَةُ بن الورد

\* \* \*

يُنتهى نسبه إلى قبيلة عَبَس الذائعة الصيت التي كانت تنزل في الشمال الغربي من نجد الممتد حتى منطقة يثرب . وكانت قبيلته تتشام بأبيه لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة في أيام داحس والغبراء . وأما أمه فكانت من قبيلة أقل شرفاً من قبيلة أبيه ، وهي قبيلة نَهْد ، ومن هنا كان عروة دائم السخط على الصلة التي ربطت بين أبيه وأمه ، وكان لا يفنأ يهجو أخواله هجاء مرا . وكان أبوه يسئ معاملته وهو صغير ، ويؤثر أخاه الأكبر عليه . وهكذا نشأ عروة في ظروف نفسية معقدة اتجهت به بعد ذلك إلى التمرد على أوضاع مجتمعه الاجتماعية والاقتصادية ، والإحساس بالظلم الذي تعاني منه الطبقة المستضعفة في هذا المجتمع من الفقراء والعبيد ، وانتهت به إلى زعامة جماعات من الصعاليك التفت حوله ، وانطلقت معه خائف الأغنياء ، وخاصة البخلاء منهم ، يسلبون وينهبون ، ويوزعون ما يغنمونهم بالتساوي ، ويشركون معهم في الغنيمة الفقراء الضعاف والمرضى الذين عجزوا عن الخروج معهم ، في محاولة ثورية عنيفة لتحقيق صورة من العدالة الاجتماعية ، ولون من التوازن الاقتصادي ، في مجتمعهم الذي اختلفت في نظرهم مقاييسه الاجتماعية ، واضطربت موازينه الاقتصادية . وقد عرّف هؤلاء المستضعفون في الأرض في عروة هذه التزعة الإنسانية التي تعمل من أجلهم ، واعترفوا بزعامته لهم ، ولقبوه « أبا الصعاليك » ، ومضى هو — من ناحيته — يحاول أن يكون عند حسن ظنهم بهذه « الأبوة » ، فلم يكن يُؤثر

نفسه بشيء عليهم ، وإنما عاش صعلوكا فقيرا مثلهم ، وكان يحلو له دائما أن يسميهم « عياله » .

وأساس فلسفة عمروة الثورية أن الغزو والإغارة للسلب والنهب السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه التي تتلخص في استرداد ما آمن بأنه حق له ولصعاليكه من أموال الأغنياء ، وبخاصة البخلاء ، لإعادة توزيعه بالعدل والتساوي على الفقراء ، حتى يتساوى الجميع في ميزان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي . ولكنه لا يريد من وراء ذلك أن يتساووا في الفقر ، وإنما يريد أن يتساووا في قدر معقول من الحياة المادية التي تضمن لهم قدرا مشتركا من الحقوق والواجبات .

\* \* \*

وشعر عمروة يمتاز بسهولة اللفظ ووضوح المعنى ، إذا قسناه بشعراء عصره ، فهو يخلو من تلك الألفاظ الغريبة الوعرة التي تنتشر في شعرهم ، كما يخلو من ذلك التركيز في عرض المعنى الذي كان سمة من سمات الشعر الجاهلي ، والذي كان يفتح الباب أمام كثير من الاحتمالات والتأويلات . وهي ظواهر تبدو طبيعية في شعر عمروة ، لأنها — في حقيقة أمرها — انعكاس لإحساسه بأنه يقوم في حركة الصعلكة بدور الداعية المذهبي أو الزعيم الشعبي الذي يحرص على استمالة الجماهير إليه وإقناعهم بدعوته . ومن هنا تميز أسلوبه بهذه « الشعبية » التي تظهر في أكثر قصائده .

ويدور شعر عمروة حول الدعوة إلى مذهبه ، والحديث عن آرائه الاجتماعية والاقتصادية ، وأهداف حركته التي يعمل لها ، ووصف مغامراته هو وصعاليكه من أجل تحقيقها . وتحتل مشكلة الفقر والغنى حيزا ملحوظا في شعره ، وهي

ظاهرة طبيعية لأن هذه المشكلة الاقتصادية كانت هي المحور الأساسى الذى دارت حوله فلسفته فى حركة الصعاليك الجاهليين . ومن الطبيعى أيضا أن يخلو شعره من تلك الموضوعات التقليدية التى دار فيها الشعر الجاهلى ، وشُغل بها الشعراء الجاهليون سواء منهم شعراء القبائل أو الشعراء الذاتيون ، حتى المقدمات التقليدية فقد تخلص منها ، واستبدل بها مقدمات فروسية تدور حول « حواء الخالدة » التى كانت محور كل المقدمات فى الشعر العربى ، ولكنها ليست حواء المحبوبة التى نعرفها عند الشعراء ، وإنما هى حواء المحبة الحريصة على فارسها التى تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته ، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هى ، والتى يقف أمامها دائما مغامرا بحياته مستهينا بها من أجل توفير قَدر من الحياة الكريمة لها ولأمثالها من أولئك المستضعفين فى الأرض الذين خرج هو ورفاقه من أجلهم .

\* \* \*

عاش عروة حياته كلها يعمل لتحقيق أهدافه وإرساء مبادئه وتأسيس فلسفة الصعلكة فى نفوس أصحابه ، ولم يكف عن الحركة المتصلة حتى آخر يوم من حياته ، حيث لقي مصرعه فى بعض غاراته على يد رجل من طهية . ويذكر بعض الباحثين المحدثين ( اسكندر أبكارىوس فى روضة الأدب فى طبقات شعراء العرب ) أنه عُمِّرَ حتى بلغ ثمانين سنة ، وليس فى الروايات القديمة ما يؤيد ذلك . وليس من اليسير تحديد تاريخ وفاته ولا مولده ، شأنه فى ذلك شأن سائر الشعراء الجاهليين ، ولكن يظن الزركلى فى « الأعلام » أن وفاته كانت سنة ٥٩٤ ليلاد قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة ، وهو تحديد لا يقوم عليه دليل .

\* \* \*

يوسف خليف



( ١ )

## صُعْلُوكٌ . . وَصُعْلُوكٌ

\* \* \*

عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن نَاشِب بن هَيرم بن لَدِيم بن عَوْذ بن غالب بن قَطِيعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان ، شاعر جاهلي ، وفارس من فرسان العرب ، وصُعْلُوك من صُعَالِيكها المقسِّمين الأجساد . كان يُدعى « عروة الصُعَالِيك » لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مَغْزَى . ولم تكن العلاقة بين عروة وأخواله من بني نَهْد من قُضَاعَة جيدة ، ولذلك فقد هجّاهم هجاء مرا وكان دائم السخط على تلك الصلة التي ربطت بين أبيه العَبْسِي وأمه النَهْدِيَة .

والقصيدة المختارة يوجّه فيها عروة الخطاب إلى امرأته سلمى ، وكانت تلومه على الخطار بنفسه ، وإدماؤه الغزوات والغارات في أحياء العرب ، فردّ عليها قولها بأنه إنما ينبغي بذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته . ثم يرسم سياسة للصُعَالِيك ، فهو لا يُرضيه الصُعْلُوكُ الحامل الذي لا يسعى لالتماس المال ، وإنما يريد أن يكون غازيا جريئًا ينحشاه الناس في المحضر والمغيب لا يأمنون غزوه . ثم يحتاج سياسته التي جرى عليها بأنه يريد أن يكفى قبيلتي « مُعْتَم » و « زَيْد » ويسدّ حاجتهما ، ويعلن أنه سيواصل الغارات متزعمًا لأصحابه لكي يُشبع رغبة الجُود والبذل الذي أخذ نفسه به .

\* \* \*

- ١ أفلّ على اللوم يا ابنة مُنذرٍ ونامى، فإن لم تستهى النوم فاسهرى
- ٢ ذرينى ونفسي أم حسان إننى بها قبل أن لأملك البيع مشترى
- ٣ أحاديث تبقى والفسي غير خالد إذا هو أمسى هامة تحت صير
- ٤ تُجاوب أعمار الكناس وتشتكى إلى كل معروف تراه ومنكر
- ٥ ذرينى أطوف فى البلاد لعانى أخليك أو أغنيك عن سوء محضر
- ٦ فإن فاز سهم للنيسة لم أكن جزوعاً، وهل عن ذاك من متأخر ؟
- ٧ وإن فاز سهمى كفكم عن مقاعد لكم خلف أدبار البيوت ومنظر
- ٨ تقول : لك الولايات هل أنت تارك ضبوءا برجيل تارة وبمنسیر ؟

- (١) ابنة منذر : امرأته ، وهى سلى التى سبها من كنانة وأعتقها وأولدها أولاده .
- (٢) أم حسان : كنية امرأته سلى . يقول : ذرينى أشتري وأبتى بمالى مجدا وذكرى فى حياتى ، ذرينى أبادرها قبل أن يحول الموت بينى وبينها فلا أملك شراء .
- (٣) الهامة : كانت العرب تعتقد أن روح القنيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتصبح هند قبره وتقول : اسقونى اسقونى ، فإذا أدرك بثأره طارت . الصير : القبر .
- (٤) الكناس : موضع . يريد أن الهامة إذا صوّت أجابها أعمار الكناس بالصدى ، فهى تصوت فى كل حال إذا رأت من تعرف أو من تنكر .
- (٥) النخلة : الطلاق . كنى بها عن مقاله . أغنيك أى أصيب حاجتى من الغزو فأغنيك عن أن تحضرى محضرا سيتا وهى المسألة .
- (٦، ٧) جعل من سهام الميسر مثالا فى مقارعة الموت . وفوز السهم : خروجه أولا . أدبار البيوت : ظهور البيوت بعيدا عن صدورهما حيث يجلس السادة .
- (٨) الضبوء : اللصوص بالأرض والاستنار ليختل الصيد . الرجل : (بفتح الراء وسكون الجيم) : الرجالة الذين يغيرون على أرجلهم . المنسر : الجماعة من الخيل بين الثلاثين إلى الأربعين ، وإنما سمى منسرا لأنه مثل منسر الطائر يختلس اختلاسا ثم يرجع . تقول له : هل أنت تارك أن تغزو مرة بقوم على أرجلهم وحرمة بفرسان على خيلهم ؟

- ٩ ومُستثبِتٌ في مالِكَ العامِ إنني أراكَ على أقتادِ صرماءَ مُذَكِّرِ  
 ١٠ بَجُوعٍ بها للصالحينَ مَزَلَةٌ تخوِّفُ رَدَّها أن تصيبَكَ فاحذِرِ  
 ١١ أبا الخَفَضِ مَنْ يَفْشاكَ من ذِي قرابةٍ ومن كلِّ سوداءِ المعاصمِ تَعْتَرِي  
 ١٢ ومُسْتَهْنِي زَيْدٌ أبوه فلا أرى له مدْفَعًا ، فاقني حياءك واصبري

\* \* \*

- ١٣ لحى الله صعلوكا إذا جنَّ ليلُهُ مضى في المشاشِ ألفا كلَّ مجزَرِ  
 ١٤ يُعَدُّ الغني من دهره كلَّ ليلةٍ أصاب قِراها من صديقٍ ميسرٍ

- (٩) الأقتاد : جمع قند وهي أخشاب الرجل . الصرماء : القليلة اللبن . المذكر : التي تلد الذكور من الإبل وهي مما يكره العرب . تقول : هل أنت مستثبت هذا العام في مالك ، فإنني أخاف عليك إذا خرجت إلى هنا الغزوان لا ترجع . وجعل من هذه الناقة مثلاً للداهية والشر .  
 (١٠) بجوع : تنفجج الناس وهي من صفة هذه الناقة التي يتشام بها للصالحون : الرجال الذين يطلبون معالي الأمور أو ذروا المعروف . مزلة : تزل بأهلها .  
 (١١) الخفض : الدعة ولين العيش . سوداء المعاصم : من جهدت من الجذب والهزال أو من شدة الجوع والبرد وحضور النيران للاصطلاء . يقول : أبي الذي تريد من خفض والدعة ، ودفعني إلى طلب المغنم في الغارات من يطرفك من ذى قرابة ومن يأتي إليك من الفقراء .  
 (١٢) المستهني : طالب الهنء بكسر الهاء وهو العطاء . زيد أبوه : يعني رجلاً من قومه يجمعه وإياه زيد وهو جده هروء . يقول : إن مما يحمله على الذارة خوفه أن يطرقه قريبه فلا يجد عنده ما كان عوده من صلة ، ولا يستطيع رده لقرابته . فاقني حياءك : احفظيه وأمسك به عليك .  
 (١٣) لحاه الله : فبهه ولعنه . المشاش : رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها . المجزر : موضع الجزر والذبح .

- (١٤) الميسر (بكسر السين) : الذي مهلت ولادة لبله وغنمه ولم يعطب منها شيء . يريد أن هذا الصعلوك إذا ملا بطنه بعد نفسه غنيا ولم يزال بعد ذلك بالغزو والفارة .

- ١٥ قَلِيلَ التَّمَّاسِ الْمَالِ إِلَّا لِنَفْسِهِ      إِذَا هُوَ أَضْحَى كَالْعَرِيشِ الْمَجْوَرِ  
 ١٦ يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا      يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ  
 ١٧ يُعِينُ نِسَاءَ الْحَى مَا يَسْتَعِينُهُ      فَيُضَيِّحِي طَلِبَهَا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ  
 ١٨ وَلَهُ صَعْلُوكٌ صَفِيحَةٌ وَجْهَهُ      كَضَوْءِ شَهَابٍ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ  
 ١٩ مُطَلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ      بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ  
 ٢٠ وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ      تَشَوَّفُ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنْظِرِ  
 ٢١ فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا      حَمِيدًا، وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

\* \* \*

- ٢٢ أَيِهْلِكَ مُعْتَمٍ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقْمِمْ      عَلَى نَدَبٍ يَوْمًا وَلَى نَفْسٌ مُخْطِرِ ؟  
 ٢٣ سَيَفْزِعُ بَعْدَ الْيَاسِ مَنْ لَا يَخَافُنَا      كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى السَّوَامِ الْمُنْقَرِ

(١٥) العريش : خيمة من خشب أو جريد . المجور : الساقط . يقول : إذا شيع هذا الصعلوك الحامل الذليل وملاً بطنه ألقى نفسه كأنه عرش قد انهار .

(١٦) يقصد أنه ليس صاحب غارة أو غزوة ، ولكنه حامل كقول متغاذل .

(١٧) الطليح والمحسر : الذى أهى وكل وتمب .

(١٨) صفيحة الوجه : بشرة جلده . القابس : الذى يقبس النار أى يأخذها . المتنور : المضيء .

(١٩) مطالع على أعدائه : مشرقاً عليهم ، يفزروهم أبداً فهو دائماً مترقب بهم . يزجرونه : يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب . المنيح . قدح مستعار مريع الخروج والنفوذ ، يستعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبه . المشهر : المشهور .

(٢٠) يقصد أن أعداءه لا يأمنون من غزوه ، فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم .

(٢٢) معتم وزيد ، بطنان من عبس . النذب (بفتح النون) : الخطر . يقول : أيهلك فى حياتى هؤلاء ولم أقم نادياً لنفسي فأخاطر حتى أغنيهم ولى نفس أخاطر بها دونهم .

(٢٣) كواسع : خيل تطرد إبلا تكسحها فى آثارها . السوام : الإبل السائمة . آخرها : آخرها . المنقر : المذخور .

- ٢٤ نَطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلُ الْقُومِ بِالْقَنَّا      وَيَبِيضُ خِفَافٌ وَقَعْنُ مَشْهُرٌ  
 ٢٥ وَيَوْمًا عَلَى غَازَاتِ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ      وَيَوْمًا بَارِضِ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرْمَرٍ  
 ٢٦ يُنَاقِلُنَ بِالشُّمِطِ الْكَرَامِ أَوَّلِي النَّهْيِ      تِقَابَ الْحِجَازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ  
 ٢٧ يُرِيحُ عَلَى اللَّيْلِ أَضْيَافَ مَاجِدٍ      كَرِيمٍ ، وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتِرٍ

\* \* \*

(٢٤) البيض : السيوف • « مشهر » بالرفع خبر « وقعن » وفيه إقواء ، وفي رواية أخرى « ذات لون مشهر » وعليها فليس فيه إقواء .

(٢٥) الشت والعمر : نوعان من أشجار الجبال .

(٢٦) المناقلة : حسن نقل القوائم في سرعة السير • الشمط : جمع أشمط وهو الذي خالط سواد شعره بياض ، أراد بهم الفرمان ذرى السن والتجيرية • النقاب : جمع نقب وهو الطريق الضيق في الجبل • السريح : السيور تشد بها النعال • المسير : الذي جعل سيورا • عني بالسريح المسير نعال الخيل .

(٢٧) يريح : يرد • ماجد يقصد نفسه • مالى : إيل • المقتر : الفقير المقل .

\* \* \*

سيد حنفي



( ٢ )

## حوار حول البخل والكرم

\* \* \*

في هذه القصيدة القصيرة يرسم عروة صورة لكرمه الذي عُرف به حتى قُورن بحاتم الطائي المثني الأعلى للكرم عند العرب ، فقد قال عنه الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان : « مَنْ زعم أن حاتمًا أسمحُ الناس فقد ظلم عروة بن الورد » . وكأسلوبه في أكثر قصائده يدير حوارا بينه وبين زوجته ، فهي تنكر عليه كرمه ، وهو يدافع عنه ، ويبين مذهبه فيه ، ويعلن أنه لا يرضى لنفسه أن يبيت شعبان وجارهُ جائع ، ولكنه — انطلاقاً من زمامته لحركة الصعاليك ، وإحساسه بأنه داعيتهم المذهبي — لا يرضى « لأبنائه » الصعاليك أن يعيشوا حياتهم عالة على الأغنياء ، ينتظرون فضلة عطائهم وإحسانهم عليهم ، وإنما يريد لهم أن يخرجوا مطالبين بحقوقهم على مجتمعهم ، ويعلنها صيحة عالية مدوية توقظهم من نومهم الذليل خلف أديار البيوت في انتظار ما يجودون عليهم به : أيها الصعاليك ، إما أن تنالوا حقكم وإما أن تموتوا في سبيله ، وحسبكم — على الحالين — إحساسكم بالحرية والكرامة .

\* \* \*

- ١ أفي نابٍ منحنها فقيراً له يطنأبنا طنبٌ مصيتٌ  
 ٢ وقضلة سمنة ذهبٌ إليه وأكثر حقه مالا يقوتٌ  
 ٣ تبيتٌ على المرافق أم وهبٌ - وقد نام العيون - لها كتبتٌ ؟  
 ٤ فإنت حميتنا أبداً حرامٌ وليس لجارٍ منزلنا حميتٌ  
 ٥ وربت شبعة آثرت فيها يداً جاءت تعير لها هتيتٌ  
 ٦ يقول : الحق مطلبه جميلٌ وقد طلبوا إليك فلم يقيتوا

(١) الناب : الناقة الكبيرة السن - والطناب : جمع طناب وهو الحبل تشد به الخيمة . والمصيت : الذي يسمع صوته . والشر الثاني رمز لصلة الجوار التي تجمع بينه وبين الفقير ، والتي تفرض عليه حقوقاً لا يملك أن ينكرها . ووصف طناب هذا الجار بأنه مصيت تصوير لنداء جاره الفقير له ، ورفع صوته ليشرعه بوجوده إلى جواره ، وبأن له عليه حقاً ، وكان إعلان عن نفسه وعن حقه عليه . يقول إنه أعطاه ناقة مسنة ، ولعلها كل ما كان يملكه .

(٢) يقوت : يكفي لجرد قوته الذي يحفظ عليه حياته ، يريد أن يحق جاره عليه أكثر من أن يكون لجرد القوت ، وأن ما منعه له أقل مما يجب له عليه . لقد أعطاه بقية ممن كانت عنده ، وآثره على نفسه بها وهو في حاجة إليها .

(٣) الكتيت ، صوت يجهش في الصدر من شدة الغيظ كصوت غليان القدر . وأم وهب : زوجته . يتساءل : أفي هذا العطاء اليسير ما يجعل زوجته تبث ليلها ساهرة وقد أسندت رأسها إلى مرفقيها وهي تميز من الغيظ ؟

(٤) الحميت : طعام كان العرب يعدونه من سقاء ورب وسمين ، والرب ما يتبقى من الثرة بعد عصرها . يقول إن طعامي حرام على لا أقر به مادام جاري جائعاً لا طعام عنده .

(٥) الشبعة : ما يشعر المرء بالشبع من أقل قدر من الطعام . وتعير : من عار الشيء بعوره ويعيره إذا أخذه وذهب به . والعتيت : الإكثار من الكلام . يقول إنه يؤثر على نفسه بما عنده من طعام مما يكن قليلاً كل من يتردد عليه في طلبه ليأخذه ويذهب به ليسد به رمقه .

(٦) لم يقيتوا : لم يتألوا قوتهم ، من أفاقه إذا أعطاه قوته . يصور هنا إيماناً بحق هؤلاء الفقراء الجماع الذين يقصدونه للسؤال ، ولكنه يعلن أنه فقير مثاهم لا يملك ما يرد غائلة الجوع عنهم .

- ٧ فقلتُ له : أَلَا أُنَحِّي وَأَنْتَ حُرٌّ      سَتَشَبِعُ فِي حَيَاتِكَ أَوْ تَمُوتُ  
٨ إِذَا مَا فَاتَنِي لَمْ أُسْتَقِلْهُ      حَيَاتِي ، وَالْمَلَأْتُمْ لَا تَفُوتُ  
٩ وَقَدْ عَلِمْتُ سُلَيْمَى أَنَّ رَأْيِي      وَرَأَى الْبَخِلَ مُخْتَلِفٌ شَتِيتُ  
١٠ وَأَنِّي لَا يُرِينِي الْبَخِلَ رَأْيٌ      سَوَاءٌ إِنْ عَطِشْتُ وَإِنْ رَوَيْتُ  
١١ وَأَنِّي حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي      حُؤَالِي اللَّبَّ ذُو رَأْيٍ زَمِيتُ  
١٢ وَأُكْفَى مَا عَلِمْتُ بِفَضْلِ عِلْمٍ      وَأَسْأَلُ ذَا الْبَيَانِ إِذَا عَمِيتُ

(٧) ينكر على هؤلاء الفقراء الذين يعتمدون على السؤال والإلحاح عليه أن يسلكوا هذا السبيل الذليل ، ويهيب بهم أن يعيشوا أحراراً كرماء على قنومهم ، وأن يتزعموا حقهم من الأغنياء بالقوة ، فلما أن يشبعوا ولما أن يموتوا في سبيل حريتهم وكرامتهم .

(٨) إذا فاتني : أى الحق . ولم أستقله : أى لم أقدر على رده . والملائم : اللوم ، جمع ملامة . يقول إذا فاتني الوفاء بحقوق الفقراء على ، ندمت طول حياتي على ضياع هذه الفرصة من بين يدي ، وإن أنجو في هذه الحالة من لوم من يلومني على ذلك ، وكأنه يشير إلى حرصه على ألا يفعل شيئاً يلام عليه ، فكل حرصه على أن يكسب ذكراً حسناً يتردد على ألسنة الناس .

(٩) سليمان هو أم وهب التي ذكرها في بداية قصيدته ، وهي زوجته . يشكر عليها اعتراضها على كرمه ، وهي تعرف موقفه من قضية الكرم والبخل ، فأريه ورأى البخل مخلفاً من أخلاقها بعيداً ، وبينه وبين البخل علاقة مفقودة .

(١٠) روى : ضد عطش . والمعطش والرى هنا رمزان للفقر والفنى . والبيت استمرار في بيان موقفه من القضية التي شغلت زوجته ، فهو كريم على الحاليين ، كريم في غناه وكريم في فقره .  
(١١) الدوالي : الرماح ، واشتجارها اختلاطها في أثناء القتال . والحوالي ( بفتح الحاء ) وضما وتشديد الياء ) : الشديد الاحتيال ، وتخفيف التشديد هنا من أجل الوزن . والزيميت : الوقور . يفنخر بشجاعته ، وسعة حيلته ، ومداد رأيه ، وبعده عن النزق والطيش .

(١٢) يصف نفسه بأن خبير بالحياة ، وأنه يعرف من شؤونها ما يهديه إليه عقله ، وما يرشده إليه قلبه ، ولكنه — مع ذلك — لا يتردد في أن يستشير من عنده علم ما لا يعرفه إذا اشتبهت عليه الأمور ، وعميت عليه المشكلات ، وتاهت منه سبل الهداية . إنه يعرف الحياة ، ولكن علم الحياة لا ينتهي . إن الحياة خبرة شخصية ، ولكنها أيضاً استفادة من خبرة الآخرين .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## دَعْوَةٌ نَظَرِيَّةٌ وَتَطْبِيقٌ عَمَلِيٌّ

\*\*\*

فى هذه الأبيات يحدد عروة بعض أهداف حركته ، ويعلمها صريحة مدوية صريحة يوجهها إلى رفاقه الصعاليك : إن عدوكم الأول إنما هم أولئك الأغنياء البخلاء الذين مَدَّت الحياة لهم أسباب الثراء ، ولكنهم بخلوا بها ، وتنكروا لحقوق مجتمعهم عليهم ، وحرموكم حقكم المشروع فى أن تنالوا مثلهم نصيبكم فى الحياة ، فشدوا عزائمكم ، وشمروا عن سواعدكم ، واتخذوا من القوة سبيلاً لا تراعى حقكم منهم ، فالحق للقوة ، والضعيف ضائع حقهم فى هذا المجتمع ، فاتهزوا أيام شبابكم ، ولا تلتظروا حتى تحل بكم أيام الشيخوخة والضعف ، واجمعوا فرسانكم ورجالتكم ، وأحكموا خططكم ، تحققوا أهدافكم أو تموتوا فى سبيلها ، فالموت خير من حياة الذل والفقر والجوع والمهزال .

\*\*\*

- ١ أليس ورائى أن أدب على العصا      فيشمت أعدائى ويسأمنى أهلى  
٢ رهينة قعر البيت كل عشية      يطيف بى الولدان أهدج كالرأى

(١) أليس ورائى : أى وراء فعوى حتى الشيخوخة ، ويجوز أن تكون « ورائى » بمعنى « أمامى » على النضاد ، أى أمامى إن امتدت الحياة وسلبت من الموت . والديب على العصا رمز للشيخوخة المتقدمة . وفى رواية أخرى « فيامن أعدائى » .

(٢) أهدج : سن الهدج والهدجان وهو اضطراب الخطى من الكبر ، هدىج يهدج . والرأى : ولد النعام . وفى رواية أخرى « يلاهبى الولدان » . يصف فى البيتين ماسوف تشول إليه حاله حين تتقدم به السن ويعجز عن الغزو والغارة ، وكأنه يحس نفسه — وأيضاً رفاقه — على استغلال أيام الشباب فى العمل والكفاح .

- ٣ أقيموا بني لُبْنَى صدورَ رُكَّابِكُمْ      فكلُّ منايا النفس خيرٌ من الهزلِ  
 ٤ فلانكم لن تبُلُغُوا كلَّ هَمَّتِي      ولا أُرَبِّي حتى تَرَوْا مَنبِتَ النَّخْلِ  
 ٥ فلو كنتُ مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ إِذَا بَدَتْ      بلادُ الْأَعَادِي لَا أُمِرُّ وَلَا أُحِلِّي  
 ٦ رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنِ إِذْ قَالَ مَالِكٌ      هَلَكْتُ، وَهَلْ يُلْحَى عَلَى بُغْيَةٍ مِثْلِي ؟  
 ٧ لعلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَرِحْلَتِي      وَشَدَى حِيَازِيمِ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ  
 ٨ سِيدْفَعْنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ      يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ

(٣) بنو لُبْنَى : حتى من الفقراء ، أو لهم رمز لعيله الفقراء ، كما كان يسميهم . والهزل : الهزال . وإقامة صدور الركاب كناية عن الاستعداد للخروج للفر والفرار . وفي رواية أخرى « صدور مطيكم فإن منايا القوم » ؛ وفي رواية غيرها « فكل منايا القوم » . يقول لرفاقه الصعاليك : استعدوا للكفاح فالموت خير من حياة الفقر والجوع والهزال .

(٤) منبت النخل هي منطقة يثرب وما يجاورها من شمال الجزيرة العربية ، وهي المنطقة التي تركز فيها نشاط عروة وصعاليكه . وفي رواية أخرى « منبت الأثل » وهي جبال الحجاز ، والأثل شجر ضخم ينبت في الجبال .

(٥) مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ : ليس في قلبه حرارة ولا حماسة ، كناية عن ضعف الهمة ووهن العزيمة . ولا أُمِرُّ وَلَا أُحِلِّي : أي لا أخبر ولا أقنع ، لا شرعندي ولا خير .

(٦) الحرسان : جبلان . ومالك هو مالك بن حمار القزاري وكان قد حذره عواقب منامراته ؛ وطلب إليه أن يرجع عنها ليقم معه في دياره عند هذين الجبلين . ويلحى : يلام . ومعنى البيت أن لو كان ضعيف الهمة ، يارد القلب ، لا يضر ولا ينفع ، مليا في حياته ، لرجع عن انطلاقه نحو بلاد أعدائه ، ولا استجاب إلى نصح مالك له وعاد معه إلى بلاده ، ولكنه رجل مؤمن برسائه ، مصمم على أهدافه ، فهل يلام على ذلك ؟

(٧) الحيازيم : جوانب الصدر، جمع حيزوم . وفي رواية أخرى « ارتيادي . . . وبقي » ، وفي رواية غيرها « وحيتي » أي احتيالي .

(٨) الهجمة : القطيع من الإبل فوق الأربعين إلى غير عدد محدد ، أو ما بين السبعين إلى المائة . ومعنى البيت أنه يتنى أن تدفعه منامراته في أرجاء الصحراء إلى بعض الأغنياء البخلاء الذين تنكروا لحقوق مجتمعهم عليهم ، وعتوا إخوانهم في الإنسانية من الفقراء المحرومين .



- ٩ قَلِيلٌ تَوَالِيهَا وَطَالِبٌ وَتَرِيهَا إِذَا صَحَّتْ فِيهَا بِالْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ  
 ١٠ إِذَا مَا هَبَطْنَا مِنْهَا فِي تَخْوَفَةٍ بَعَثْنَا رَيْثًا فِي الْمَرَابِي كَالْحَذَلِ  
 ١١ يُقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ الْقَضَاءِ بِطَرَفِهِ وَهَنْ مُنَاخَاتٍ وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي

\* \* \*

(٩) قليل تواليا : أى أن من يتبعها ليخلصها من أيدي الصعاليك قليل عددهم لا يخشى أمرهم .  
 والوتر : النار . والرجل : الرجالة الذين يفزون على أرجلهم ، عكس الفرسان الذين يفزون على الخيل .  
 (١٠) المنهل : مورد الماء . والمخوفة : الأرض التي يخافها من ينزلها . والربي : الحارس  
 يراقب لهم الطريق . والمرابي : أماكن المراقبة ، وهى المراقب التي يتردد ذكرها في شعر الصعاليك  
 جمع مرباً ومرباة . والحذل : جذع الشجرة . بصورتهم قائدا حذرا يمسد لكل أمر عدته ،  
 ويحسب لكل خطوة حسابها ، فإذا ما انتهت الغارة ، وأخذ رفاقه الصعاليك طريق العودة بغنائهم ،  
 ونزلوا عند بعض المياه لينحروا مما تهبوه ، وينالوا حظهم من الطعام والراحة ، بعث ربيثا منهم فوق  
 مراقبة عالية ؛ يراقب لهم الطريق حتى لا يفجأهم عدو وهم غافلون ، فيقف فوقها ثابتا منتصبا  
 لا يبرح مكانه كأنه شجرة أصلها ثابت في الأرض .

(١١) الضمير « هن » يعود على الإبل التي نهبا الصعاليك ، والمفهومة من سياق الآيات .  
 يصف نهاية الغزوة وقد نزل الصعاليك بغنائهم ، والربي يرى بيصره في كل اتجاه على امتداد الفضاء  
 من حوله ، والإبل التي نهبها مناخات إلى جوارهم ، ومرجل الطعام بغلي باللحم الذي نحرره وفرغوا  
 لإعداده فوق النار لطعامهم .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٤ )

## صُورُ إِنْسَانِيَّةٍ مِنْ فَلَاسَفَتِهِ

\*\*\*

### الْغَنَى وَالْفَقِيرُ

\*\*\*

يسجل عروة في هذه الأبيات القليلة خلاصة رأيه في قضية الفقر والغنى ،  
وهي القضية التي كانت المحور الأساسى الذى دارت حوله فلسفته الاقتصادية .  
وهو فيها لا يطيل ولا يفصل ، وإنما يحدد رؤوس المسائل الكبرى التي تقوم  
عليها هذه القضية . ومع أن القضية قضية فكرية في المقام الأول ، فإنه لا يُغفل  
الجانب العاطفى فيها الذى نراه في تلك اللسانات المؤثرة التي تخاطب الوجدان ،  
وتحاول استثارة مشاعر الجماهير بهذا النغم البسيط الفطرى الذى تمتزج فيه  
السخرية بالحسرة ، والتهكم بالألم ، والذى يصدر عن القلب ليتجه مباشرة وفي  
غير التواء إلى القلب . فالفقر شر الناس ، وأحقّهم عندهم ، وأهونهم عليهم  
مهما يكن له من فضل ، يُجافيه أهله ، وتزدريه زوجته ، حتى الصغير يستطيع  
أن يُذله . أما الغنى فهما يفعل يُقبل منه ، ومهما يخطئ يغفر له ، فالغنى رب  
يغفر الذنوب جميعا ، وكأنه يقول للناس : هذا هو مجتمعكم العجيب ، يحتقر  
الفقر لا لشيء إلا لأنه فقير ، ويقدر الغنى لا لشيء إلا لأنه غنى ، ولا يهتم  
إلا بالمظاهر المادية ، أما جوهر النفس الكامن خلف هذه المظاهر فأمر  
وراء اهتمامه ، فماذا أتم فاعلون ؟ . ولعل هذه البساطة الفطرية التي نلمسها

في عرض الشاعر لأفكاره ذلك العرض السهل الذي لا يشير جدلاً ولا يقبل معارضة ، والذي يتفد إلى النفس من أقرب السبل ، والذي يصح أن نطلق عليه « عرضاً شعبياً » ، هو الذي جعل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى معلم أولاده ألا يرويه هذه القصيدة ، ويقول له : « إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم » .

\* \* \*

- |   |                          |                        |
|---|--------------------------|------------------------|
| ١ | ذريني للغنى أسعى ، فلاني | رأيت الناس شرهم الفقير |
| ٢ | وأدناهم وأهونهم عليهم    | وانت أمتى له حسب وخير  |
| ٣ | يساعده القريب ، وتزدرية  | حليته ، وينهره الصغير  |
| ٤ | ويلقى ذو الغنى وله جلال  | يكاد فؤاد لاقيه يطير   |
| ٥ | قليل ذنبه ، والذنب جثم ، | ولكن للغنى رب غفور     |

\* \* \*

(١) في رواية أخرى « دعيني » بدلا من « ذريني » .

(٢) في رواية « وأحقهم » بدلا من « وأدناهم » . وفي رواية أخرى « وأبعدهم » . وفي الشطر الثاني في رواية أخرى « كرم » بدلا من « حسب » . والخير بالكسر : الكرم .

(٣) في رواية أخرى « وينهره » بدلا من « وينهره » .

(٤) في رواية أخرى « ويلقي » بالفاء والبناء للجهول . وفي رواية غيرها « وتلقى ذا الغنى » بالفاء والبناء للعلوم . وفي رواية « فؤاد صاحبه » .

\* \* \*

يوسف خليف

## القَطَطُ السَّمَانُ

\*\*\*

ترسم هذه المقطوعة القصيرة صورة للنزعة الإنسانية التي كانت تملأ على عروة أرجاء نفسه ، أو — اذا استعرنا المصطلح الحديث — صورة لنزعة اشتراكية نبكرة خالصة من تعقيدات المذهب وعقلانية الفلسفة ، فهو يوازن فيها بين نفسه وبين رجل من الأغنياء البخلاء ، أو — كما يقال الآن — بينه وبين واحد من « القَطَطِ السَّمَانِ » الذين اتخمهم الغنى والبخل ، والذين أكلوا حقوق مجتمعهم عليهم فاكتسب أجسامهم شحما ولحما ، ويعان — في اعتراز بموقفه — أنه نخور بهزاله لأنه يؤثر غيره من الفقراء الجوعى على نفسه ، بل إنه — في الحقيقة — يقسم جسمه في جسومهم ، فهو لا يعيش لنفسه وإنما يعيش لهم .

\*\*\*

- ١ إلى امرؤ عافٍ إنائي شِركَةٌ وأنت امرؤ عافٍ إنائك واحدٌ
- ٢ أتزأ مني أن تيمنت وأن ترى بحسبي تمس الحق ، والحق جاهدٌ ؟
- ٣ أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوة قراح الماء ، والماء باردٌ

(١) العافى : الضيف وكل طالب فضل أو رزق ، والمقصود بعافى الإثاء من يقصده من الضيوف أو من الفقراء المحتاجين . يقول إن إفاءك لنفسك وحدك ، وأما إنائي فإنه شركة لكل من يقصدني .  
(٢) الحق هنا هو حق مجتمعهم عليه . والحق جاهد أى أنه يجهد ويبتغي ويرهقه . وفي رواية أخرى « وقد ترى بوجهي شحوب الحق » .

(٣) قراح الماء : يريد الماء الخالص الذي لم يخالطه اللبن . والماء البارد : رمز للشقاء الذي تشتد فيه حاجة الإنسان إلى الطعام . يقول إنه في ليالي الشتاء الباردة حيث تشتد حاجة الإنسان إلى الطعام يكتفى هو بالماء الخالص ويؤثر غيره من الفقراء الجوعى بطعامه . وفي رواية أخرى « أفرق جسمي » .

\*\*\*

يوسف خليف

## تَصَمُّيمٌ وَإِصْرَارٌ

\* \* \*

في هذه المقطوعة يدير عروة حواراً بينه وبين زوجته — كما هو الحال في كثير من شعره — يحدد لها فيه هدفاً آخر من أهداف حركته ، ويعرض جانباً آخر من جوانب نزعتة الإنسانية . إنه مصممٌ على المغامرة ، وإنه لا يخشى الموت من ورائها ، فقد يدركه الموت وهو مقيم بين أهله ، لأن الموت هو المصير المحتوم الذي لا مفر منه . وهو يفعل ذلك لا من أجل مطلب شخصي له ، وإنما من أجل حقوق الفقراء المحتاجين المستضعفين في الأرض عليه . إنه من أجلهم يبذل كل ما جمعه من مال ، وكل ما حققه من غنى في مغامراته ، وإنه لن يتوقف في منتصف الطريق ، ولن يقنع بأنصاف الحلول ، فالهدف واضح أمامه ، ولن يشبهه شيء عنه ، فإما أن يحققه ، وإما أن يرضى نفسه بالمحاولة ، وحسبه — في هذه الحالة — أن يجد لنفسه عذراً عن إخفاقه في تحقيقه ، « ومُبْلِغُ نَفْسٍ قُذِّرَها مِثْلُ مُنْجِجٍ » — كما يقول في قصيدة أخرى .

\* \* \*

- ١ أَرَى أُمَّ حَسَانَ الْغَدَاةَ تَلُومُنِي تَخَوَّفُنِي الْأَمْدَاءُ ، وَالنَفْسُ أَخَوْفُ
- ٢ تَقُولُ سَلِمَى : لَوْ أَقَمْتَ لَسَرْنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ

---

(١) أم حسان : زوجته . وقوله « والنفس أخوف » يريد به أنه يدرك مدى الخطر الذي يتعرض له في مغامراته ، ولا يجهل أنه مقدم على مخاطر هو أشد خوفاً منها ، ولكنه — مع ذلك — مصمم عليها .

(٢) يقول إن زوجته تنزيهه بالبقاء إلى جانبها لتحقيق لها السعادة بإقامته معها ، ولكن غاب عنها أنه بخروجه وتطوؤه في الأرض إنما يعمل على استقراره بعد ذلك عندما تتحقق أهدافه ويتم رسالته .



- ٣ لعل الذى خَوَّنَتْنَا مِن ورائنا يُصَادِفُهُ فى أهله المتخلفُ  
 ٤ إذا قلتُ : قد جاء الغنى ، حال دُونَهُ أبو صِيَّةٍ يشكو المفاقرَ أعجفُ  
 ٥ له خَلَّةٌ لا يدخلُ الحقُّ دُونَهَا كريمُ أصابتهُ خطوبٌ تجرُّفُ  
 ٦ فلإني لمُستأفُ البلادِ يسرْبَةٌ فمبيلُغُ نفسٍ عذرها أو مطوَّفُ  
 ٧ رأيتُ بنى لُبْنَى عليهم غَضاضَةٌ بيوتهم وسطَ الحُلُولِ التَّكْنُفُ

(٣) المتخلف : المقيم مع أهله الذى تخلف عن مشاركة رفاهه فى النزول . ومن ورائنا : أى من وراء خروجنا للنزول والغارة . وفى رواية أخرى « من أمامنا » . يقول إن الموت الذى تخوفه منه زوجته فى غزواته قد يصادفه وهو مقيم معها ، فقيم الخوف إذن ؟

(٤) المفاقر : جمع مفقرة وهى الفقر . وأعجف : هزئ جف عوده من الفقر والجوع والحاجة . يقول إن إحساسه بمسئوليته أمام الفقراء الجياع المهزولين الذين يكدهون لسد رمق أبنائهم الصغار ، يحمله لا يبق لنفسه شيئاً مما يقضه فى غزواته من أموال تمكنه لتحقيق له الغنى . إنه قادر على أن يكون غنياً ، ولكن لإيمانه بمذهبه الاشتراكي ونزعته الإنسانية يحول دون ذلك ، وهو — مع ذلك — لا يأسف على مال جمعه ثم أنفقه فى سبيل مبدئه .

(٥) الخلة : الفقر والحاجة . وقوله « لا يدخل الحق دونه » يعنى أن مجتمعه شكر لحقوقه المشروعة عليه فلم يقف معه ليدفع عنه فقره وحاجته . وتجرف : أى تبرد ماله وتذهب به ولا تبقى منه شيئاً ، وكأنه يقول — كما نقول الآن — إنه عزيز قوم ذل . وفى رواية أخرى « حوادث تجرف » .

(٦) مستأف : أى أقطع المسافات البعيدة . والسربة : جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين . يقول إنه لن يكف عن مغامراته مع فرسان الصعاليك لتحقيق أهداف حركته الإنسانية النبيلة حتى يتم له تحقيقها ، أو تحول الظروف القاهرة دون ذلك فيجد لنفسه عذراً فى التوقف الاضطرارى .

(٧) بنو لبني : حى من الفقراء ، أو لهم رمز لمن كان يسميهم « عياله » من الفقراء . والغضاضة : الدلة التى تدفعهم إلى أن يقضوا من أبصارهم حياء من الناس ، ورد فعل لإحساسهم بالهوان . والحلول : الأحياء المقيمة فى منازلها ، ويريد بها قبائلهم . والتكنف : النزول فى أكناف من الشجر لأنهم ليست لهم بيوت يقيمون بها . وأكناف الشجر : المواضع التى يكتنفها الشجر ويحيط بها ، وكأنها ما نطلق عليه فى الريف المصرى « الأخصاص » . يحتم الأبيات بهذه الصورة المهمة لفئة مطحوفة — كما يقال الآن — من مجتمعه .

\*\*\*

يوسف خليف

## حُقوقُ المجتمعِ

\* \* \*

في هذه المقطوعة القصيرة يرسم عروة صورة لجانب آخر من نزعتة الإنسانية التي وهب حياته لتحقيقها ، ويحدد هدفا آخر من أهداف حركته الاجتماعية . إنه يريد أن ينطلق في آفاق الأرض الواسعة بحثا عن الغنى الذي استأثرت به لنفسها طبقة المآلة لتحكم به في توجيه حياة المجتمع كيف تشاء ، وليكون بين يديها وسيلة لتحقيق مراكز قوة لها فيه ، ولتفرض نفسها عليه وتصبغ اليد العليا فيه . ولكنه لا يطلب الغنى لشيء من ذلك ، وإنما يطلبه ليكون عنصرا مؤثرا في حياته الاجتماعية ، وعاملا لتحقيق أهدافه الإنسانية التي يعمل لها ، من الوفاء بحقوق مجتمعه عليه ، والدفاع عن سلامته الاجتماعية ، ونصرة الضعفاء والمظلومين والمُعذَّبين من إخوانه في الإنسانية . وهو يبدأ هذا كله بحديث مع زوجته التي تحاول أن ترده عن مغامراته خوفا منها على حياته ، وهي صورة نراها تتردد كثيرا في مطالع قصائد الصعاليك ومقطوعاتهم .

\* \* \*

١ دعيني أطوف في البلاد لعاني أفيدُ غنى فيه لدى الحقَّ تحمّلُ

---

(١) فيه لدى الحق محمل : أى فيه ، يحمل عن أصحاب الحقوق أعباءهم ، ويسر لهم الحصول

على حقوقهم المشروعة .

- ٢ أليس عظيماً أن تُتَلَمُّ المَلِيَّةُ وليس علينا في الحقوق مَعْوَلٌ ؟  
 ٣ فلإن نحن لم نَمَلِكْ دفاعاً بِحَادِثٍ تُتَلَمُّ به الأيامُ فالموتُ أَجْمَلُ

(٢) المَلِيَّةُ : الأمر الشديد ينزل بالإنسان . والمعول : مصدر مبني من عول عليه بمعنى اعتمد .  
 يستنكر أن يقف من مشكلات مجتمعه وحقوق أبنائه المشروعة موقفاً سلبياً . إنه يريد أن يكون عاملاً  
 إيجابياً فيه ، يخوض أعماق مشكلاته ، ولا يقف على هامشها متفرجاً لا رأى له .  
 (٣) يقول إن الموت خير له من أن يقف هذا الموقف السلبي ، وإذا كنا نقف عاجزين عن  
 المشاركة في الدفاع عن حقوقنا فما قيمة الحياة ؟

\* \* \*

يوسف خليف

( ٥ )

## تَرَاثُ الصُّعْلُوكِ

\*\*\*

في هذه المقطوعة القصيرة التي تقع في ثلاثة أبيات يسجل صرورة ما سوف  
يخلفه من بعده لمن ينتظرون ميراثه . وما الذي يخلفه صعلوكٌ عاش فقيرا ، ومات  
فقيرا ، ووزع ما بين حياته وموته كل ما غنمه من غاراته وغزواته التي ضحى في  
سبيلها بحياته على رفاقه الصعاليك من شاركوه فيها ، ومن لم يشاركوه لضعفهم  
ومرضهم ؟ إنها أسلحته ، وهي الشيء الوحيد الذي حرص عليه طول حياته ،  
وضنَّ به على غيره من الناس . إنها درعه ومغفره وسيفه ورمحه وجواده ،  
ثم لا شيء غير ذلك .

\*\*\*

- ١ وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَاثِي ، وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدًا لَقَلِيلُ
- ٢ وَمَا لِي مَالٌ غَيْرَ دِرْعٍ ، وَمِغْفَرٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
- ٣ وَأَسْمَرُ خَطَى الْقَنَاةِ مُثْقَفٌ وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

(٢) المغفر : زرد ينسج ويلبس تحت غطاء الرأس في أثناء القتال ، والرفع في إعرابه للمطف على محل « درع » وهو الرفع ، لأن المعنى « وما لي إلا درع ومغفر » ، أو يكون في الأبيات إقواء .  
والأبيض : السيف .

(٣) الأسمر : الرمح . وخطى القناة : نسبة إلى إقليم الخط بالبحرين ، وكان مشهورا بصناعة الرماح .  
والمثقف : الذي صقله صانعه وسوى كعوبه . والأجرد : الخفان . والسراة : الظاهر . وعريان السراة :  
ليس على ظهره سرج ، رمزا لفقر الشاعر .

\*\*\*

يوسف خليف

## بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ

\* \* \*

بِشْرِ بْنُ أَبِي خَازِمٍ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، عَاشَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ  
الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ قَبِيلَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ .

وَأَبْرَزَ مَا فِي حَيَاتِهِ وَشَعْرِهِ اشْتِرَاكُهُ فِي وَقَائِعِ قَوْمِهِ بَنِي أَسَدٍ ، وَنَعْنَى بِصُورَةٍ  
خَاصَّةٍ يَوْمَى الذِّسَارِ وَالْخَفَّارِ ، فَتَرَاهُ يَصُورُ الْمَعَارِكَ تَصْوِيرًا دَقِيقًا ، وَيَشِيدُ بِذِكْرِ  
أَبْطَالِ قَوْمِهِ ، وَيَفْتَخِرُ بِشَجَاعَتِهِ وَفُرُوسِيَّتِهِ ، وَيَهْجُو الْأَعْدَاءَ .

وَقَدْ وَضَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجُمَحِيُّ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ فُحُولِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ  
مَعَ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ ، وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وَالْحَظِيئَةِ ، وَاخْتَارَ لَهُ الْمَفْضُلُ الضَّبِّيُّ  
أَرْبَعَ قَصَائِدَ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ دَلَالَةً عَلَى تَقَدُّمِهِ عِنْدَهُ ، وَوَضَعَ صَاحِبُ « جَمْهُورَةِ  
أَشْعَارِ الْعَرَبِ » قَصِيدَةً لِبِشْرِ فِي الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي تَلِي الْمَعْلَقَاتِ أَهْمِيَّةً فِي رَأْيِهِ ،  
وَاخْتَارَ لَهُ هَيْبَةُ اللَّهِ بْنِ الشَّجَرِيِّ سِتَ قَصَائِدَ فِي دِيْوَانِهِ ، كَمَا اخْتَارَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ  
صَاحِبُ « مَتْنِ الْطَلَبِ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ » تِسْعَ قَصَائِدَ .

وَقَدْ كَانَتْ نِهَايَةُ بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ نِهَايَةً دِرَاميَّةً حِينَ أَغَارَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ  
عَلَى الْأَبْنَاءِ مِنْ بَنِي صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا كَانُوا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الرَّدَّةُ مِنْ بِلَادِ  
قَيْسٍ ، مَرَّ بِشْرِ بِغَلَامٍ مِنْ بَنِي وَائِلَةٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ تَخْتَلِفُ الْمَصَادِرُ فِي اسْمِهِ ، فَأَرَادَ  
بِشْرُ أَنْ يَأْسِرَ الْغَلَامَ ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ بِالقُرْبِ مِنْ قَلْبِهِ ، فَاصْتَقَ بِشْرُ فَرَسَهُ وَهُوَ  
جَرِيحٌ ، وَأَخَذَ الْغَلَامَ فَأَوْثَقَهُ ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ تَيَقَّنَ بِشْرُ أَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَأَطْلَقَ الْغَلَامَ



الوائلي من وثاقه ، وقال له : أَعْلِمَ قَوْمَكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ بَشْرًا . ثم اجتمع أصحابه إليه فسألوه الوصية ، فقال هذه القصيدة التي يرثي فيها نفسه مخاطبا ابنة له اسمها عُمَيْرَة يبدو أنها كانت لانتزال صغيرة تمنى نفسها بعودة أبيها الفارس البطل وهو يَحْمِلُ إليها — كما عودها من قبل — الغنائم والأسلاب ، وهو يتخيل قلقها لغيابه ، وتعرفها أخباره من القوافل الآتية من أرض المعركة ، وهي لن تلبث إلا قليلا حتى تعرف نبأ موته على يد الغلام الوائلي ، وتلك نهاية كلِّ حيٍّ . ونراه يفخر في تلك المروية بشجاعته وصلابته ، ويبدي أسفه على تلك النهاية العاجلة التي لم تمكنه من أعداء آخرين كان يريد النيل منهم .

\* \* \*

## مَوْتُ بَطَلٍ

\* \* \*

- ١ أسأله عُمَيْرَة عن أبيها      خلال الجيش تعرّف الرّكّابا
- ٢ تُؤمّل أن أووب لها ينهب      ولم تعلم بأنّ السهم صابا
- ٣ فإن أباك قد لاقى غلاما      من الأبناء يلتهبُ النّهابا
- ٤ وإن الوائلي أصاب قلبي      بسهم لم يكن يُكسى لُغابا
- ٥ فَرَجَى الحيرَ وانتظري إياي      إذا ما القارظُ العتريّ آبا

(١) تعرّف : تسأل عن خبره . الركاب : الإبل التي تحمل القوم ويريد بها القوم أنفسهم .

(٢) النهب : الغنيمة . صاب : أصاب .

(٣) الأبناء : بنو صمصعة بن معاوية إلا عامر بن صمصعة يدعون الأبناء وهم : رائلة ، ومرة ، ومازن ، وغاضرة ، وسلول . يلتهب النّهابا : يتحرق غضبا .

(٤) اللّغاب : الريش الرديء يكسى به السهم فلا يذهب بعيدا ولا يصيب .

(٥) القارظ : الذي يجنى القرظ وهو شجر يدبغ بورقه وثمره ، وكان رجل من عنزة خرج يطالب القرظ فأتى ولم يرجع فأضحى مثلا لليأس من العودة .

- ٦ فمن يك سائلا عن بيتٍ بشر  
٧ نوى في ملحد لا بد منه  
٨ رهين بلى ، وكل قى سبيل  
٩ مضى قصده السبيل وكل حى  
١٠ فإن أهلك عمير قرب زحف  
١١ صموت له لآلئسه بزحف  
١٢ على ريد قوائمه إذا ما  
١٣ شديد الأمر يحمل أريجاً  
١٤ صبوراً عند مختلف العوالى  
١٥ وطال تشاجر الأبطال فيها
- فإن له بجنب الرده بابا  
كفى بالموت نأياً واغترابا  
فأذرى الدمع وانتحى اتحابا  
إذا يدعى لميتته أجابا  
يشبه نفعه عدواً ضابا  
كما لفت شاميه سحابا  
شأنه الخيل ينسرب انسابا  
أخا ثقية إذا الحدان نابا  
إذا ما الحرب أبرزت الكعابا  
وأبدت ناجداً منها ونابا

(٦) البيت هنا بمعنى القبر . الرده : موضع في بلاد قيس وصل إليه الشاعر وهو يجود بنفسه .

(٧) الملحد : القبر . النأى : البعد .

(٨) أذرى : امسكى .

(٩) قصد السبيل ، الطريق المستقيم الواضح .

(١٠) الزحف : المقاتلون . النقع : الغبار الذى تثيره الخيل فى أثناء القتال عندما تجرى .

(١١) صموت : نهضت . الشامية : يقصد الريح الآتية من الشام .

(١٢) ريد قوائمه : أى فرس خفيف القوائم فى أثناء العدو ، شأنه : سبقته . ينسرب :

يشند فى عدوه .

(١٣) الأمر : الخلق والبيان . الأريجى : الكريم الذى يرتاح لعمل الخير ، الحدان : مصائب

الزمان . ناب : وقع .

(١٤) العوالى : الرياح . مختلف : يعنى حركة الرياح عند الطعن يمينا ويسارا وصعودا وهبوطا .

الكعاب : الفتاة التى كعب ثديها أى تهد وبرز . أبرزت : أخرجت من السر لشدة الحرب .

(١٥) التشاجر : الصراع والاشتباك ، الناجد : أقصى الضروس ، وظهور النواجد والأنياب كناية

عن هول الحرب .

- ١٦ فَمَزَّ عَلَىٰ أَثَ عَجَلِ الْمَنَيا وَلَمَّا أَلَقَ كَعْبًا أَوْ كِلابًا  
 ١٧ وَلَمَّا أَلَقَ خَيْلا مِنْ نُمَيْرٍ تَضَبُّ لِسَانُهَا تَرْجُو النَّهَابَا  
 ١٨ وَلَمَّا تَلْتَبَسُ خَيْلٌ بِخَيْلٍ قِطْعِنُوا وَيَضْطَرُّوا اضْطِرَابَا  
 ١٩ فَيَا لِلنَّاسِ إِنَّ قِناةَ قُومِي أَبَتْ بِشِقَاقِها إِلَّا اتِّقِلابَا  
 ٢٠ هُمُ جَدَعُوا الْأَنُوفَ فَأَوْعَبُوهَا وَهُمْ تَرَكَوا بَنِي سَعْدِ يَبابَا

(١٦) عجل المنايا : جاء الموت متعجلا . كعب وكلاب : من أحياء بني عامر ، وكان بين بني أسد قوم الشاعر وبين بني عامر حروب متصلة .

(١٧) نُمير : من أحياء بني عامر . اللثات : جمع لثة وهي مفارز الأسنان ويريد بها الأقراء . وضبت اللثة : تحلب ريقها ، ويضرب مثلا لنهم الحريص على الأمر ، وهو هنا يصف الخيل بشدة شهوتها للقاء ويعني أصحابها . النهاب : جمع نهب وهي الغنيمة .

(١٨) تلتبس : تختلط . خيل بخيل : يقصد المقاتلين . يطعنون : يقاتلون بالرمح . يضطربون : يقاتلون بالسيوف .

(١٩) الثقاف : آلة من خشب فيها ثقب تسوى بها الرماح . يصف قوته بالصلابة . (٢٠) جدعوا : صدعوا ، أوعبوها : استأصلوها . بنو سعد : سعد بن زيد مناة من أحياء تميم وحلفاء بني عامر . اليباب : الخراب .

\*\*\*

محمد مصطفى هدارة

## قيس بن الخطيم

\* \* \*

أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فقيس من الأوس ومن بني ظفر خاصة ، فهو من شعراء المدينة . وقد قُتل جده عدي ثم قُتل أبوه الخطيم قبل أن يدرك بشار عدي ، وكان قيس حين قتل أبوه الخطيم صغيرا ، والذي قتل جده رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك ، والذي قتل أباه رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر . وخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بشار أبيه وجده فيهلك ، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجارا ، وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك . فلما اشتد ساعده غيره أحد أصحابه بتركه نار أبيه وجده ، فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذبابه بين يديه ، وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وجدتي ، قالت : ما ناكما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء ، فقال : والله لتخبريني من قتلهما أولا تحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . فأخبرته الحقيقة وطلبت منه أن يستعين بخدّاش بن زهير لأن قاتل جده من قومه ، فذهب إليه ودله على قاتل جده فقتله قيس ، ثم صحب خدّاش قيسا ليدله على قاتل أبيه . ومكّنه من إدراك ثأره ، فقد طعن قيس غريمه بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر حتى مات مكانه .

وأدرك قيس الإسلام ولم يسلم ، وقُتِل قبل الهجرة ، قَتله الخزرج . وكان من أحسن الناس وجهاً ، بل إنه ممن كانوا يتعممون مخافة النساء على أنفسهم من جمالهم .

\* \* \*

وشعر قيس يأتي في المرتبة الأولى من بين أشعار أهل المدينة ، بل يفضلته بعض العلماء على شعر حسان بن ثابت ، وكان حسان بن ثابت نفسه يقول :  
إنّا إذا نافرنا العربُ فأردنا أن نخرج الحِجرات ( برود يمنية موشاة مخططة ويعنى بها روائع الشعر ) من شعرنا أنينا بشعر قيس بن الخطيم . ويقول الشريف المرتضى في أماليه : وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثرُوا ، وقد سبق في ذلك قيسُ بن الخطيم إلى معنى كلِّ الناس فيه عيالٌ عليه .

وهو يبدأ قصيدته التي تقدمها بالنسيب وكان متقدماً فيه ، فيشبه بليلي ويذكر حسننها وصفاء بشرتها وأنها فارقتة فلا يستطيع لقاءها ، ثم يفخر بتأثيره في النساء وأنه كثيراً ما استمال الغانيات ، ويفخر في الوقت ذاته بأخلاقه العربية القويمة ، فهو لا يستميل قلب قريبة له كأمراة الابن أو الأخ أو قلب جارة يحفظ عليها حياءها .

كذلك يفخر — كعادة الجاهلي — بشربه الخمر للدلالة على فتوته ، ويشير إلى كرمه في حال الصحو والسكر .

ثم يبدأ في الحديث عن الموضوع الأصلي في القصيدة وهو إدراكه النار من قاتل أبيه وجده ، وصور نغمته على قاتل أبيه خاصة بهذا التصوير الأخاذ للطعنة التي قتل بها ابن عبد القيس ، حتى إن الأوامي اللائي تعودن على مناظر الجراح البشعة لم يستطعن النظر في جرح هذا الرجل لبشاعته .



وبعد أن نخر قيس بإدراكه النار نخر بشجاعته في المعارك ، وبذله النفس  
رخيصة لإدراك المجد ، وبين أنه سوف يلقي الموت حين يأتيه هائثا مطمئنا بعد  
إدراكه النار ، ونخر بقومه من الأوس وبدورهم العظيم في يوم بُعَاث .

\* \* \*

## إدراكُ نَار

\* \* \*

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | تَذَكَّرَ لَيْلَى حَسَنَهَا وَصَفَاءَهَا  | وبانت فأمسى ما ينال لقاءها                 |
| ٢ | ومثلك قد أصيبتُ لست بكنة                  | ولا جارة أفضت إلى حياءها                   |
| ٣ | إذا ما اصطبحتُ أربعا خطمترى               | وأتبعْتُ دَلْوِي فِي السَّخَاءِ رِشَاءَهَا |
| ٤ | نارتُ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضِعْ | وَلَايَةَ أَشْيَاءٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا    |
| ٥ | ضربتُ بذى الزَّوْرَيْنِ رِبْقَةَ مَالِكٍ  | فَأَبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ شِفَاءَهَا |
| ٦ | وسأخني فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ           | خَدَّاشٌ قَادِي نِعْمَةٍ وَأَفَاءَهَا      |

(١) بانت : فارقت وبعدت .

(٢) أصيبت : استملت ، الكنة : امرأة الابن أو الأخ ، أفضت إلى حياءها : رفعت الستر بيني وبينها .

(٣) اصطبحت : شربت النحر في وقت الصباح ، أربعا : يعني كثر وما أربعا ، خطمترى : جررت ثوبي من الخلاء ، السخاء : الكرم ، أتبع الدلو رشاءها : مثل يضرب لمن يقضى معظم الحاجة ويبقى منها بقية ، ويعنى الشاعر هنا أنه يقوم بواجب الكرم في حال الصحو ويشمه في حال السكر .  
(٤) عدى هو جد الشاعر ، والخطيم أبوه ، نارت : أدركت نأرها ، ولاية الشيء : القيام عليه ، جعلت إزاءها : جعلت القيم بها .

(٥) ذوا الزرين : اسم سيف ، وزر السيف حده ، ربة : يريد موضع الربة من عنقه .

(٦) سأخني : تابعني ، خدَّاش : هو الشاعر المشهور خدَّاش بن زهير من بني عامر بن صعصعة وقد ساعد قيسا في الأخذ بثأر أبيه وجده ، أدى : أعاد نعمة أخذت منهم ، أفاءها : جعلها فينا أي غنيمة ، : أو أرجعها .

- ٧ طَعَنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَفَذُ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءُهَا  
 ٨ مَلَكَتْ بِهَا كَفَى فَأَنْهَرَتْ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمًا مِنْ خَلْفِهَا مَا وَرَاءُهَا  
 ٩ يَهُونَ عَلَى أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا عِيُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حِمِدَتْ بِبَلَاءِهَا  
 ١٠ وَكَنتُ امْرَأًا لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أَسْبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا  
 ١١ وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضُّرُوسُ مَوْكَلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا  
 ١٢ إِذَا سَقَمْتُ نَفْسِي إِلَى ذِي عَدَاوَةٍ فَلَمَّا بَنَصِلِ السَّيْفِ بَاغٍ دَوَاءَهَا  
 ١٣ مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا  
 ١٤ وَكَانَتْ شَجَاً فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ أَبُؤْ بِهَا فَأَبَتْ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ دَوَاءَهَا

(٧) ابن عبد القيس رجل من قبيلة عبد القيس كان الخطيم قد قتل أباه فأخذ ثأره منه ، وهو نفسه الذي ثأر منه قيس ، لها نفذ : أى نفذت ، الشعاع بالضم : حمرة الدم ، وإذا جعلت الشعاع بالفتح : كان معناها انتشار الدم ، أضاءها : أبصر ما وراءها لاتساع الطعنة وعمقها .

(٨) ملكت : شددت ، أنهرت : أجريت الدم ، ومعنى البيت : شددت بهذه الطعنة كفى ووسعت خرقها ، حتى يرى القائم من دونها الشيء الذى وراءها .  
 (٩) الأواسي : النساء المداريات للجراح ، وهن يرددن عيونهن عن هذه الطعنة لفظاعتها ، وبلاءها : شدتها ولفظاعتها .

(١٠) سبة : عار ومنقصة ، كشف غطاءها : منها بإزالتها .  
 (١١) الضروس : الشديدة ، الإقدام : الشجاعة وبذل النفس ، ما أريد بقاءها : يريد أنه ليس حريصا على الحياة .

(١٢) سقمت : مرضت وهى هنا بمعنى كرهت ، ويطلب دواءها بنصل السيف أى يقتل عدوه الذى يبغيه .

(١٣) قضيت قضاها : شفيت كل ما بنفسى من رغبات ويعنى ثأره .  
 (١٤) الشجا : الفصص والحزن ، لم أبؤبها : لم أحتملها وأقضى ثأرى . أبت : عدت بعد قضاها النار .

- ١٥ وقد جَرَبْتُ مِنِّي لَدَى كُلِّ مَا قِطِ دُحَى إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ رِدَاءَهَا  
 ١٦ وَإِنَّا إِذَا مَا مُتَّمَتُّوا الْحَرْبَ بَلَّعُوا نُقِيمُ بِأَسْبَادِ الْعَرِينِ لَوَاءَهَا  
 ١٧ وَتُلْقِيهَا مَبْسُورَةٌ ضَرْزَنِيسَةً بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُنْزِلَ إِبَاءَهَا  
 ١٨ وَإِنَّا مَنَعْنَا فِي بُعَاثٍ نِسَاءَنَا وَمَا مَنَعَتْ مِ الْمُخْزِيَّاتِ نِسَاءَهَا

(١٥) المأقط : المأزق وخاصة في الحرب ، دحى : اسم قبيلة ، ألفت وداءها : تجردت ، كناية عن شدة الحرب .

(١٦) متمرو الحرب : الذين يستندون بها ، يقال : مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لئلا تدر ، بلعوا : أهيوا : الأسباد : جمع سبد ( بكسر السين وسكون الباء ) وهو الذئب والداهية ، وهو يعني هنا بأسباد العرين : الأسود من فرسان قبيلته .

(١٧) مبسورة : من بسر الفعل الناقة أى ضربها على غير قهوة منها ، الضرونية : العاصبة ، وهو يعني قدرتهم العظيمة في القتال وسيادتهم على أعدائهم .

(١٨) يوم بعث من أيام العرب المشهورة في الجاهلية وكان بين الأوس والخزرج .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## الحَادِرَة

\*\*\*

الحادرة هو قُطْبَة بن أوس بن مُحْصَن ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ثم من غطفان بن سعد ، ويُنسب إلى غطفان أو إلى ذبيان ، وكانت منازل قومه في الحجاز .

عاش الحادرة في آخر العصر الجاهلي قريبا من الإسلام ، وربما أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم . وقد جعله محمد بن سلام في الطبقة التاسعة من فحول شعراء الجاهلية . وأهم أغراض شعر الحادرة الغزل وقد اشتهر بمحبوبته سُمَيَّة ، وكذلك الهجاء . ويمتاز شعره بسباحة اللفظ وإحكام السبك ، ولولا قلة شعره الذي وصل إلى علمائنا الأقدمين لَقُدِّمَ على كثير من الشعراء الجاهليين .

وقد بدأ قصيدته التي اخترناها بالغزل في محبوبته سُمَيَّة التي قَطَعَتْ حبل الود بينها وبينه وابتعدت عنه ، وعَرَضَتْ أحداثُ صَرفته عن زيارتها ، وشُغِلَ كل منهما عن الآخر ، وتمنى لو أتيح له أن يراها في يوم الدَّوَار ، ولكنه كان على يقين من أنه لن يراها بعد رحيلها . وحين يصل إلى هذا اليأس يقول لها : اذهبي عني فأنا رجل أصيل ذو حسب ، وياخذ في تعداد صفاته السامية النبيلة ، وهي لا تنطبق عليه وحده ، بل هي في الحقيقة مُثُلُ عربية عليا يفخر بها الإنسان العربي ، وتنحصر في البعد عن الفواحش ، والتزام العفة ، وتجنب العيب ، والصبر على الشدائد والمكروه ، والتجمل عند الرزية ، والكرم في وقت الشدة ، وتقديم العون للضعيف ، ونجدة الملهوف ، والشجاعة الفائقة في وقت القتال .

\*\*\*

## مثلٌ عربيَّةٌ عليا

\* \* \*

- |   |  |                                       |
|---|--|---------------------------------------|
| ١ | أَمَسْتُ مُتَيْمَّةً صَرَمْتُ حَبْلِي      | وَنَاتٌ وَخَالَفَ شَكْلَهَا شَكْلِي   |
| ٢ | وَعَدَا الْعَوَادِي عَنْ زِيَارَتِهَا      | إِلَّا تَلَاقَيْنَا عَلَى شُغْلٍ      |
| ٣ | وَرَجَاهُمْ يَوْمَ الدَّوَارِ كَمَا        | يَرْجُو الْمَقَامُ نَيْلَ الْحَصْلِ   |
| ٤ | وَلَقَدْ عَرَفْتُ لَنْ نَاتُ وَتَبَاعَدْتُ | إِلَّا تَلَاقِيهَا بِبَنِي الْحَسْلِ  |
| ٥ | فِيئِي إِلَيْكَ فَإِنِّي رَجَلٌ            | لَمْ يُخْزِنِي حَسْبِي وَلَا أَصْلِي  |
| ٦ | أَدْعُ الْفَوَاحِشَ أَنْ أَسْبُ بِهَا      | وَمَرِيكَهَا فَكَلَيْهَا أَقْلِي      |
| ٧ | وَوَجَدْتُ آبَائِي لَهُمْ خُلُقٌ           | عَفَّ الشَّامِلِ فَيُرْذَى دَخْلُ     |
| ٨ | لَوْ تَصَدَّقِينَ لَقُلْتُ لَهُمْ          | صَبْرٌ عَلَى النَّجَدَاتِ وَالْأَزْلِ |
| ٩ | وَعَلَى الرِّزْيَةِ مِنْ نَفْسِهِمْ        | وَتَلَاتِلِ اللَّزْبَاتِ وَالْقَتْلِ  |

(١) صرمت حبل : قطعت وصالي .

(٢) عدا العوادي : صرفت الصوارف .

(٣) الدوار : نسك كان لأهل الجاهلية يطوفون حوله . والمعنى رجا أن يلقاهم يوم الدار حين يطوفون بالنسك . الخصل : الاتفاق على شيء معلوم في القمار .

(٤) الحسل : الضب الصغير ، وفي المثل : لا آتيك من الحسل ، أى أبدا لأن منه لا تسقط أبدا حتى يموت .

(٥) فيئى إليك : تباعدى عني .

(٦) أقل : أكره .

(٧) الدخل : العيب .

(٨) النجدة : القتال والشدة . الأزل : الضيق .

(٩) الرزية : المصاب في النفس والمال . التلاتل : الزلازل . اللزبات : الأزمنة الشديدة .

والجرع .



- ١٠ هَلَّا سَأَلْتَ إِذَا هُمُ احْتَمَلُوا      فَتَحَوَّلُوا لِحَاطِيطَةٍ مَحَلٍ  
 ١١ يُعْبَى الرَّءَاءُ بِهَا مَسَارِحَهُمْ      وَجَفَّتْ مَرَاتِعُهَا عَنِ الْبُزْلِ  
 ١٢ إِذْ لَا يُدَنِّسُنَا الشِّتَاءُ وَلَا      نَطَأَ الضَّعِيفُ إِرَادَةَ الْأَكْلِ  
 ١٣ وَيُنَفِّسُونَ عَنِ الْمُضَافِ إِذَا      نَظَرَ الْفَوَارِسُ عَوْرَةَ الرَّجْلِ  
 ١٤ الْمُقْبِلِينَ تُحَوِّرُ خَيْلَهُمْ      حَدَّ الرِّمَاحِ وَغَبِيَّةَ النَّبْلِ

(١٠) احتملوا : رحلوا . الحاطيطه : الأرض بين أرضين مطيرتين وقد أخطأها المطر .  
 المحل : الجذب .

(١١) يعي الرءاء بها مسارحهم : لا يجدون بها مفرحاً أى مرمى لإبلهم لشدة جديها . البزل :  
 الإبل .

(١٢) يدنسنا : يشيننا لأنهم لا يبخلون فيه على المحتاج .

(١٣) المضاف : اللابى . الرجل : الرجالة .

(١٤) الغبية : الدفعة الشديدة من المطر، وهى هنا الدفعة الشديدة من النبال فى وقت الحرب .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## الأعشى

\* \* \*

يعد الأعشى أحد الشعراء الأربعة الكبار الذين أجمع الرواة والنقاد على أنهم أكبر شعراء العصر الجاهلي ، والثلاثة الآخرون هم امرؤ القيس وزهير والنابغة . ويضعه بعض الرواة بين أصحاب المعلقات العشر .

ويرجع نسب الأعشى إلى قبيلة بكر بن وائل التي دارت بينها وبين أختها تغلب حرب الدسوس المشهورة في بداية العصر الجاهلي الأدبي . وكانت بكر تنزل في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية على امتداد ما بين وادي الفرات واليمامة في الجنوب الشرقي من نجد . وينتسب الأعشى إلى قيس بن ثعلبة ، أحد الفروع التي تفرعت إليها قبيلة بكر الكبيرة ، وكانت قيس تنزل في إقليم اليمامة . وقد ظهر فيها شعراء كثيرون معروفون قاموا بدور ملحوظ في حركة الشعر في العصر الجاهلي ، كالمرقش الأكبر والمرقش الأصغر والمتلمس وابن أخته طرفة الشاعر المعروف صاحب المعلقة المشهورة .

والأعشى لقب لُقّب به لضعف بصره ، ولهذا يُكنّى أحياناً بأبي بصير . أما اسمه فهو ميمون بن قيس .

وليس بين أيدينا شيء واضح عن نشأة الأعشى الأولى وشبابه ، شأنه في ذلك شأن أكثر الشعراء الجاهليين . وكل ما نعرفه عن هذه المرحلة المبكرة من حياته أنه وُلِدَ بقرية من قرى اليمامة اسمها « مَتْفُوحَة » ، في تاريخ لم يحدده الرواة ، ولكنه — بدون شك — كان في أواخر العصر الجاهلي ، فمن الثابت أنه أدرك

الإسلام ، وفكر في اعتناقه ، وشدَّ رحاله نحو المدينة المنورة ليلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم إسلامه ، لولا أن قریشا صدته عنه ، فعاد أدراجه إلى ديار قومه حيث لقي مصرعه بعد أن نفرت به ناقته فأردته صريعا وهو على مشارف الإمامة ، وفي مسقط رأسه بقرية متفوحة وُورِيَ مشواه الأخير . ويذكر الرواة أن فتيان قومه كانوا يقصدون قبره هناك حيث يشربون الخمر ويصبون عليه نصيبه منها مشاركةً منهم في شرابهم . ومن هنا ربما كان التاريخ الذي يذكره جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » لسنة وفاته — وهو سنة ٦٢٩ لليلاد — قريبا من الواقع ، وهو تاريخ يوافق السنة السادسة للهجرة .

وفي ضوء ما بين أيدينا من أخباره وشعره يبدو الأعشى كأنه كان دائما على سفر ، فهو كثير التنقل والرحلة بين أرجاء الجزيرة العربية ، بل إننا نراه يمتدُّ رحلاته إلى الحيرة والعراق واليمن وحضرموت ، بل يذهب بعض الرواة إلى أن رحلاته امتدت إلى بلاد فارس والشام وأيضا إلى بلاد الحبشة ، مستشهدين على ذلك بقوله في بعض شعره :

وقد طُفْتُ لَلَّالِ آفَاقَهُ      عَمَّانَ فُحْمَصَ فَأُورِيشِمْ  
أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ      وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ  
فَنَجْرَانَ فَالسَّرَوَ مِنْ خَيْرِ      فَسَائِ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ  
وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ      فَأَوْفَيْتُ هَمِّي وَحِينَا أَهْمُ

ولم تكن رحلات الأعشى هذه من أجل الرحلة ، وإنما كانت من أجل الملوك والسادة والأشراف الذين كان يقصدهم لمدهم ونيل عطاياهم وجوائزهم . ولهذا يجعله الرواة القدماء أحد الذين غَضَّ الشعرُ منهم ، لأنه اتخذ منه وسيلة للسؤال .

ولهذا أيضا يجعله الباحثون المحدثون أهم شاعر حوّل المدح في الشعر الجاهلي إلى احتراف خالص من أجل التكسب والعيش . وهو بهذا يعد نقطة تحول ضخمة في تاريخ شعر المدح ، ومعلما بارزا في حركة الشعر الجاهلي وتطوره .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الأعشى كان نصرانيا ، ويميل بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » إلى ذلك ، ولكنه يراه قليل التعمق في النصرانية . وأما الدكتور شوقي ضيف فيذهب في كتابه « العصر الجاهلي » إلى أنه كان وثنيا مغمّقا في وثنيته ، وأما العناصر النصرانية التي تظهر في شعره فربما جاءت من راويته النصراني يحيى بن مئى . وفي رأيه أنه كان وثنيا ، وأن هذه العناصر تسربت إلى شعره من تطوافه الواسع في أرجاء الجزيرة العربية وما حولها ، وتردده على البيئات المسيحية في اليمن والشام والحيرة .

وحياة الأعشى الخلقية صورة أخرى من حياة امرئ القيس في خلاسته ومجونه ، بل لعله أشد فجورا وتهكاما منه ، ففي شعره أحاديث كثيرة عن طائفة من الحوار والقيان اللائي كان يتردد عليهم ، ويتصل بهم ، ويصف ما يدور بينه وبينهم . ومن بين هذه الأحاديث تردد اعترافات صريحة عن علاقات غير مشروعة مع طائفة من بنات الهوى من أصحاب « الرايات الخمر » اللائي كن يتاجرن في أعراضهن في بعض القرى العربية وفي البلاد الأجنبية التي كان يرحل إليها . وفي شعره أيضا إلحاح على ذكر الميسر ، وإلحاح أشد على ذكر الخمر ، والتصريح بشربها ، ووصف ما يدور في مجالسها من غريزة وتهتك . وهو لهذا يعد أهم شاعر جاهلي شغل بالحديث عن الخمر ، واستطاع أن ينمض بوصفها نهضة تجعله يقترب اقترابا واضحا من ذوق الشعراء العباسيين الذين تخصصوا للخمر

كأبي نُوَّاس وأضرابه . وقديما جعله النقاد العرب أشعر الشعراء إذا طَرِبَ ، يريدون بذلك أنه أشعر شعراء الجاهلية حين يصف الخمر .

ومن أهم ما يلاحظ على أسلوب الأعشى في شعره سهولة ألفاظه بالنسبة إلى شعراء عصره . ومن الواضح أن هذه السهولة أثر للحياة المتحضرة التي كان كثير التردد عايشا والاتصال بها . وهو في هذا التأثر الحضارى يفوق النابغة بمراحل بعيدة . والسهولة في شعره لا تقف عند لغته فحسب ، ولكنها تمتد أيضا إلى معانيه وأفكاره . وأهم من هذا كله أنها تمتد إلى موسيقاه العروضية ، فهو كثير التنوع فيها مع ميل إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة في طائفة من قصائده . وقد أضفى ذلك على شعره طابعا موسيقيا لفت أنظار الرواة القدماء فأطلقوا عليه « صَنَاجَة العرب » ، اعترافا منهم بهذه الطاقة الموسيقية الضخمة التي كان يمتاز بها ، والتي استطاع أن يوفرها لكل ما نظمه من شعر .

ولاحظ النقاد عليه أيضا ولوعه بالألفاظ الأجنبية ، وخاصة الفارسية ، التي كان يُكثِرُ منها في شعره . وهي ظاهرة جاءت — بطبيعة الحال — نتيجة لتردده المتصل على البلاد الأجنبية التي كان يتردد على ملوكها وأمرائها من أجل بيع شعره في أسواق المدح الرائجة بها ، لينفق ما يجمعه منها على نحره ولهو ولذته . وقد حاول المرزبانى في كتابه « الموشح » أن يخرج به بسببها من دائرة الفحول ، ولكن أكثر الرواة والنقاد القدماء على أنه واحد من أولئك الأربعة الكبار الذين يعدون فحول الشعراء في العصر الجاهلي .

\* \* \*

يوسف خليف



( ١ )

## المُعَلَّقة

\* \* \*

يجعل بعض الرواة هذه القصيدة بين القصائد الثلاث التي ضموها للعلاقات السبع التي اختارها حماد الراوية من روائع الشعر الجاهلي . وهي تبدأ بمقدمة غزلية في صاحبة له اسمها « هُريرة » يقال إنها كانت من القيان المغنيات . ولعل هذا هو الذي طبع غزله فيها بطابع حسي صريح يركز تركيزا واضحا على جمالها الجسدي ، وينتهي — في صراحه مكشوفة — بإعلان خلاعته وفتكه ومخالسته الأزواج من أجل الوصول إلى زوجاتهم . ثم ينتقل بعد هذا إلى وصف مجلس شراب مع رفاق له في إحدى الحانات التي تحترف بيع الخمر ، وما دار فيه من شرب ولهو وغناء وموسيقا . ثم يخرج من هذا الجو اللاهي بين حانات الخمر وجواربها وسفاتها إلى الصحراء ليصف رحلة فيها في ليلة ممطرة بات يرقب فيها البرق والسحاب والمطر ، ويتتبع مواقع السيل وهو يتدفق في أرجاء الصحراء من موضع إلى موضع . ثم ينتقل إلى القسم الأخير من المعلقة ، فيوجه تهديدا إلى بعض أعداء قبيلته الذين كانوا يوقعون بينها وبين القبائل الأخرى ، ويحاولون إشعال نيران الفتنة بينها وبينهم . ويختتم المعلقة بفخر قبلي عريض يفتخر فيه بشجاعة قومه وبطولتهم ، وخبرتهم بفنون القتال ، وقدرتهم على انتزاع النصر من بين أنياب أعدائهم ، والإطاحة بأبطالهم أشلاء متناثرة فوق أسنة الرماح .

وهذه المعلقة — كأكثر قصائد الأعشى — طويلة ، فهي تقع في أربعة وستين بيتا ، تشغل المقدمة الغزلية منها أربعة وعشرين بيتا ، وهو امتداد يجعلنا نخرجها من أن تكون مقدمة تقليدية إلى أن تكون قسما أساسيا من أقسام القصيدة . وهي — ككل شعر الأعشى — غنية بأنغامها الموسيقية التي استطاع الأعشى بأذنه الشديدة الحساسية أن يراوح فيها بين الرقة والنعومة والنغم الراقص في حديث الحب والخمر ، وبين العنف والشدة والنغم الثائر الصاخب في وصف المطر والسيل وحديث الهجاء والتهديد والفخر ، فحقق لها ذلك التوازن الصوتي الرائع الذي كان الأعشى خير من يُحسِّنه بين شعراء العصر الجاهلي .

\* \* \*

- |   |   |                                   |
|---|---|-----------------------------------|
| ١ | وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلُ    | وهل تُطِيقُ وداعا أيها الرجل ؟    |
| ٢ | غُرَاءُ فُرْعَاءُ مَهْقُولُ عَوَارِضُهَا        | تمشي الهويثي كما يمشي الوحي الوحل |
| ٣ | كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا      | مر السحابة لاريت ولا تعجل         |
| ٤ | تَسْمَعُ لِلْحَلَى وَسَوَاسَا إِذَا انْصَرَفَتْ | كما استعان بريح عشرق زجل          |

- (١) هريرة : اسم صاحبه ، ويقال إنها كانت قبيلة من الجوارى المغنيات اللاتي كان الأعشى على صلة بهن . يبدأ الشاعر قصيدته بهذه المقدمة الغزلية التي يستلها بحديث الرحيل والوداع .
- (٢) الغراء : البيضاء الجبين . والفراء : الطويلة الشعر . والعوارض : الأسنان . والوحي : الفرس يمشي متأنيا بسبب حفي أصاب حافره . والوحل : الذي يمشي في الوحل ، فهو يتحرك في حذر شديد . يصف صاحبه بأنها لا تسرع في مشيتها ، وكان العرب يرون في ذلك مظهرا من مظاهر الأثوثة الناعمة الرقيقة . يقول إن جسمها الممتلئ يجعل خطواتها بطيئة متقاربة .
- (٣) الريت : البطء . والعجل : الإسراع . يصف خطواتها بأنها وسط بين الإبطاء والإسراع ، ويشبها بحركة السحابة في انسيائها الهادئ الرقيق .
- (٤) الوسواس : صوت خشخشة الحلي . والعشرق : شجيرة صغيرة تخرج أكاما تظم حبا صغيرا إذا جف وحركته الريح أحدث صوتا كالخشخشة . والزجل : الذي يرفع صوته بالغناء . يشبه الشاعر صوت حلي صاحبه بصوت هذا الحب حين تحركه الريح ، ويصف هذا الصوت بأنه غناء يردده صاحبه ويرفع صوته به .

- ٥ ليست كمن يكره الجيران طَلَعَتْهَا      ولا تراها لیسر الجار تَحْتَسِلُ  
٦ يكاد يَصْرَعُهَا لولا تَشَدُّدُهَا      إذا تقوم إلى جاراتها الكَسَلُ  
٧ إذا تُلَاعِبُ قِرْنَا ساعة فَتَرَتْ      واهتر منها ذُنُوبِ المتن والكَفَلُ  
٨ صَفَرُ الوِشاحِ ومِلءُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةٍ      إذا تَأَنَّى يكاد الخَصْرُ يَنْخَزِلُ  
٩ نِسَمُ الضَّجِيعِ فِدَاةُ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا      لِلذَّةِ المِرَّةِ لا جافٍ ولا تَفِلُ  
١٠ هِرْكُولَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرِاقُهَا      كأن أنحصها بالشوك مُتَعَلٌ  
١١ إذا تقوم يَضُوعُ المسكُ أَصُورَةً      والزنبقُ الوردُ من أردانها شَمِلُ

(٥) تحتل : تسترق السمع . يصف صاحبه بجمال الخلق والخلق ، فهي جميلة تسر من ينظر إليها ، وهي كريمة الخلق لا تتصنت على أمرار جيرانها .

(٦) لولا تشددها : لولا تماسكها . يقول إن خصرها الضامر النحيل يكاد لتقل أردانها ينقطع كلها ممت بالقيام لولا أنها تماسك وتحمّل على نفسها .

(٧) القرن : القرين . وفرت : ضعفت وتهاكت . والمتن : الظهر ، وذنوب المتن : لحم المتن . والكفل : الأرداف . يصفها بأنها أنثى ضعيفة متهاكة ، لبنة اللحم ، ممثلة الجسد .

(٨) الوشاح : حزام عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين كتفها وخصرها ، وصف الوشاح أى ضامة الخصر . والدرع : القميص ، وملء الدرع أى ممثلة الجسد . والبهكنة : الشابة الغضة . وتأنى : أصلها تنأى ، أى تنهبا للقيام . وينخزل : يتثنى حتى يكاد ينقطع .

(٩) الدجن : الغيم : يريد اليوم البارد الممطر . والجافى : الغليظ . والتفل : الكريه الرائحة الذى لا يطيب . يقول إنها نعم الأنثى التى يشتمها الرجل الذى يحسن معاملة المرأة لمنعته ولذته فى أيام الشتاء الباردة .

(١٠) الهركولة : الممثلة الوركين . والفنق : الفتحة الشباب المنعمة . ودرم مرافقها أى ملفوفة الساقين والذراعين . والأنحص : باطن القدم . وقوله « كأن أنحصها بالشوك متعل » يريد أنها متقاربة الخطى .

(١١) يצוע : يتشر ويفوح عطره . والأصورة : جمع صوار وهو وعاء المسك ، وهي كلمة فارسية . والورد : الأحمر ، ويقال إن أجود الزنبق ما كان لونه ضاربا إلى الحمرة . وفى رواية أخرى « والعنبر الورد » . والأردان : أطراف الأكمام ، مفردا ردن . وشمل : شامل منتشر . يصف طيب رائحتها التى تتشر منها ومن ثيابها قتملا كل ما حولها برائحة المسك والعنبر والزنبق .

- ١٢ ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسيل هطل  
 ١٣ يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم التبت مكتهل  
 ١٤ يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل  
 ١٥ علقتها عرضا ، وعلقت رجلا غيري ، وعلقت أخرى غيرها الرجل  
 ١٦ وعلقته فتاة ما يحاولها ومن بني عمها ميت بها وهل  
 ١٧ وعلقتني أخيري ما تلامني فاجتمع الحب ، حب كله تيل  
 ١٨ فكلنا مغرم يهذي بصاحبه ناء ودان ومحبول ومحبتيل

(١٢) الحزن : الأرض المرتفعة ؛ ورياضها أحسن وأجود من رياض الوهاد المنخفضة . والمسيل  
 المطر الذي يسقط فوقها وتهطل مياهه .

(١٣) الكوكب هنا الزهر . والشرق : الريان المتلى ماء ونضارة . ومؤزر : ملف . والعيم :  
 التام النضج . والمكتهل : الذي اكتمل طوله إلى غايته وظهرت أزهاره . وقوله « يضاحك الشمس »  
 أى يدور معها حيث دارت .

(١٤) النشر : الرائحة الطيبة . والأصل ، جمع أصيل وهو وقت المساء من العصر إلى العشاء .  
 يرسم الشاعر في هذه الأبيات الثلاثة منظرا لهذه الروضة الخضراء التي تنتشر فيها الأزهار العطرة ليشبه  
 بها طيب رائحة صاحبه .

(١٥) علقتها : أى أحيتها . وعرضا : أى على غير عمد ، وإنما كانت مصادفة .  
 (١٦) ما يحاولها : أى لا يريد لها ولا يملها . والوهل : الذهاب العقل . وفي رواية أخرى  
 « نخل » .

(١٧) أخيري : أى فتاة أخرى صغيرة . والتيل : الذهاب العقل أيضا . يقول إن هذا الحب  
 المتشابك كله جنون في جنون . ووضح أن الأبيات الثلاثة كلها تهريج في تهريج ، وعبت من الأعشى  
 كأنه عبت السكارى وعريضة المخمورين .

(١٨) المحبول : الذى وقع فى حباله الصياد وهى الشراك الذى ينصبه للصيد . والمحتيل : هو  
 الصياد الذى ينصب الحباله . يقول إن المسألة كلها محاولات للصيد ونصب الشباك . وفي رواية  
 أخرى يخطئها الأصمعى ويرفضها « نخبول ونخبيل » بالخاء فى الكلمتين .

- ١٩ صَدَّتْ هَرِيرَةٌ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا      جَهْلًا بِأَمِّ خُلَيْدٍ! حَبْلٌ مَنْ يَصِلُ ؟  
 ٢٠ أَأَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَهُ      رَبُّ الْمُنُونِ ، وَدَهْرٌ مُقْنِدٌ خَبِلَ ؟  
 ٢١ قَالَتْ هَرِيرَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا :      وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ !!  
 ٢٢ إِمَّا تَرَيْنَا حَفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا      أَنَا . كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَتَعَلُّ  
 ٢٣ وَقَدْ أَخَالَسَ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ      وَقَدْ يُحَازِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَثُلُ  
 ٢٤ وَقَدْ أَقُودُ الصَّبَا يَوْمًا فَيَتَّبِعُنِي      وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَّةِ الْغَزَلُ

\* \* \*

(١٩) أم خلود هي هريرة . وقوله « جهلاً بأم خلود » تعجب من جهلها لشأنه ، يريد أن صدها عنه كان جهلاً منها . وقوله « حبل من يصل ؟ » يعني أي حبل تصله إذا لم تصلنا ؟ وأى رجل تحبه إذا لم تحبنا ؟ .

(٢٠) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، وريب المنون : خشية الموت . والمقند : المقسد ، روى بها البيت فى رواية أخرى . والخبل : الفاسد . وقوله « أأن رأت » تقديره « أمن أن رأت » ، أى أمن أجل أنها رأت .

(٢١) تعبيرات نسائية خالصة يحكىها فى الشطر الثانى ، وكان الأعشى — كأمى القيس من قبله — يجيد حكاية لغة النساء . وقد قال النقاد القدماء عن هذا البيت إنه أخذت بيت قالت العرب .

(٢٢) « ما » فى الشطر الثانى زائدة للتوكيد . يقول إن هذه سبيل فى الحياة المتقلبة التى لا تستقر على حال ، أجارها فى قلبها ولا أبالى بشئ .

(٢٣) يثُل : ينجو ، والماضى منه وآل ، ومنها الموثل . وفى رواية أخرى « وقد أراقب » . والبيت تصوير لامتهناه واحتياله من أجل الوصول إلى معشوقاته المتزوجات فى غفلة من أزواجهن الذين لا يقدرُونَ على النجاة من فتكه وديبه مهما يبالغوا فى الحذر منه .

(٢٤) الشرَّة : الحدة والنشاط ؛ ويريد بذى الشرَّة أمثاله من الخلفاء الذين يطلقون خلف لثهم فى اندفاع لا يهدأ ، وحدة لا يفتر نشاطها . وفى رواية أخرى « ذو الشارة » ، والشارة : الهيئة الحسنه ، يريد الشباب الجميل المتأنق الساعى خلف الحب والغزل .



- ٢٥ وقد فدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني شاوٍ مشلٍ شلُول شُلُشْل شَوُلُ  
 ٢٦ في فتية كسيوفِ الهند قد علموا أن هالكٌ كلٌّ من يَحْفَى وَيَنْتَعِل  
 ٢٧ نازعُهم قُضِبَ الرِيحانِ متكِسا وقهوةٌ مُزَّةٌ راووقُها خَضِل  
 ٢٨ لا يَسْتَفِيقون منها ، وهى رَاهَنَةٌ ، إلا بهاتٍ ، وإن علوا وإن نهلوا  
 ٢٩ يَسْعَى بها ذو زُجاجاتٍ ، له نَطْفٌ مَقْنَصٌ أسفلَ السَّربالِ مُعْتَمِل  
 ٣٠ ومستجيبٌ تَحَالِ الصَّنَجِ يُسْمِعُه إذا تُرْجِعَ فيه القَيْنَةُ القُضَلُ

- (٢٥) الحانوت : الحانة . والشاوى : الذى يشوى اللحم . والمشل والشلول والشلشل والشول كلها ألفاظ مشتركة فى حروفها ومعانيها ، وهى تدل على الخفة والحركة والنشاط . وفى رواية أخرى « شاوٍ مشل شول شلشل شل » . من هنا يبدأ الأهشى حديث الخمر .
- (٢٦) يصف رفاة الذين غدا معهم إلى الحانة بأنهم فتيان فى نضرة الشباب وروضاءته وقوة مزيمته وحدة نشاطه ، وهذا ما يدل عليه تشبيهه لهم بالسيوف . وأنهم حريصون على الاستمتاع بالحياة حتى النهاية ، ما دامت النهاية محتومة لا مفر منها .
- (٢٧) نازعهم : أى تبادلتم معهم . والقهوة : الخمر . والمزة : التى فيها مزازة . والراووق : المصفاة . والخضل : الدائم الندى .
- (٢٨) الراهنة : التى أعدت لهم ، فهى دائما رهن إشارتهم وتحت طلبهم . وقوله « إلا بهات » يريد به قولهم للساق « هات » . يقول إنهم لا يكادون يفيقون من سكرهم حتى يطالبوا الساق بالمزيد . وإن علوا وإن نهلوا أى وإن شربوا مرة بعد مرة ، وأفرطوا فى شربهم « من العال وهو الشرب مرة بعد مرة ، والنهل وهو أول الشرب » .
- (٢٩) النطف : أقراط اللؤلؤ الصافى ، مفردا نطفة بفتح النون والطاء ، وفيها لغة أخرى بضم النون وفتح الطاء فى الجمع والمفرد . ومقنص : مشمر . والسربال : القميص . وتقليص السربال كناية عن النشاط والحركة . ومعتمل : أى دائب الحركة والنشاط . يصف الساق الذى يدور عليهم بزجاجات الخمر .
- (٣٠) المستجيب هنا هو العود كأن الصنج دعاء فاستجاب له . والصنج : « الصاجات » . والقينة : الجارية ، ويريد بها هنا المنية . والفضل : التى تلبس توبيا واحدا لا يكاد يستر جسدها . وترجع : أى تردد العزف عليه .

٣١ والساحبات ذبول الرِّيط آونةً والرافلات على أعجازها العِجَلُ

٣٢ من كلِّ ذلك يومٌ قد هوتُ به وفي التجارب طولُ اللهو والغزلُ

\* \* \*

٣٣ وبلدةً مثلِ ظَهر التُّرسِ موحشةً للجنِّ بالليل في حافاتِها زَجَلُ

٣٤ لا يَنسَمي لها بالقيظ يركبها إلا الذين لهم فيما أتوا مهَلُ

٣٥ جاوزتها بطليح جَسرةٍ سُرج في مِرْفقيها إذا استعرضتها قَتَلُ

٣٦ بل هل ترى عارضاً قدِيتُ أرمقه كأنما البرقُ في حافاتِه سُعَلُ

(٣١) الرِّيط : الثياب الرقيقة : جمع ربطة . وفي رواية أخرى « ذبول الخز » وهو الحرير . والرافلات : اللاتي يجرون ثيابهن الطويلة في زهو وخيلاء ودلال . والعجل : جمع عجلة وهي قرية الماء ، يشبه أردافهن الثقيلة المتلثة بها .

(٣٢) يقول : هذه هي حياتي ، وهذه هي خلاصة تجربتي فيها : اللهو والغزل . وبهذا البيت يحتم هذا القسم اللامى من معلقته ، أو هذا الجانب من جوانب تجربته في الحياة ، لبدء الحديث عن الجانب الجاد منها ، وهو الرحلة في الصحراء ، تدبيراً عن جانب آخر من جوانب الفنوة الجاهلية .

(٣٣) مثل ظهر الترس في وهورتها وخشوتها وعدم استوائها . والزجل : الغناء .

(٣٤) ينسَمي : يصعد ويرتفع . والقيظ : شدة الحر . والمهل : الاستعداد للامر قبل الإقدام عليه . يقول إن هذه البلدة الوعرة الموحشة لا يستطيع أحد أن يرتفع إليها إلا الذين لهم خبرة ودراية ومعرفة بوسائل الاستعداد لها .

(٣٥) الطليح : الناقة التي أهيأها السفر وأرحتها الرحلة . والجسرة : الجريئة الماضية في طريقها دون تردد أو توقف . والسرج : اللينة السير التي تنساب فوق الرمال في غير مشقة أو تعثر . والقتل : تباعد مرفق الناقة عن جنبتيها ، وهي صفة محمودة في الإبل لأنها تعينها على الحركة اللينة المريعة . يصف ناقته التي ركبها في اختراقه هذه الصحراء الوعرة الرهبة .

(٣٦) ينتقل هنا إلى وصف البرق الذي لاح له في ليل الصحراء في أثناء رحلته . العارض : السحابة تعترض الأفق . وأرمقه : أنظر إليه وأنامله ، وفي رواية أخرى « أركبه » . يشبه البرق وهو يلعب في حافات السحاب بشعل النار التي تنوهج في الغلام .

- ٣٧ له رِدَافٌ وَجَنُوزٌ مُقَامٌ عَمِلُ      مُنَطَّقٌ بِسَجَالٍ الْمَاءُ مُتَّصِلُ
- ٣٨ لم يَنْهِنِي اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبُهُ      وَلَا اللَّذَاذَةُ مِنْ كَأْسٍ وَلَا شُغْلُ
- ٣٩ فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَا وَقَدْ تَمَلُّوا :      شِيمُوا ، وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمْلُ ؟
- ٤٠ قَالُوا : تَمَارٌ قَبْطَانُ الْحَالِ جَادَهُمَا      فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَالْإِبْلَاءُ فَالرَّجَلُ
- ٤١ فَالسَّفْحُ يَجْرِي فَيَخْتِيرُ فَبُرْقَتِهِ      حَتَّى تَدَافِعَ مِنْهُ الرُّبُوءُ فَالْحَبْلُ
- ٤٢ حَتَّى تَحْمَلَ مِنْهُ الْمَاءَ تَكْلِفَةً      رَوْضُ الْقَطَا فَكَثِيبُ الْغِينَةِ السَّهْلُ
- ٤٣ يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضًا      زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا الْقَوْدُ وَالرَّسَلُ

\* \* \*

- (٣٧) الرِوَادُ : سحاب يتقدم من خلف سحاب كأنه رديف له . والجَنُوزُ : الوسط . والمَقَامُ : العظيم الواسع . والعمل : الدائم البرق . والسَجَالُ : جمع سَجَل وهو الدلو الكبيرة . ومنطَق بسجَال الماء أى أن الماء يحيط به من كل جانب .
- (٣٨) البيت يعكس فتنته بالطبيعة التي لم يشغله عنها لهوه ولا لذته .
- (٣٩) الشرب : ندامى الشراب . ودُرْنَا : اسم مكان بأرض اليمامة . وشِيمُوا : أى انظروا إلى البرق وقدرُوا أين يسقط مطره . والثمل : السكران .
- (٤٠) جادهما : أى سقاها . والأسماء المذكورة في البيت كلها أسماء مواضع .
- (٤١) تدافع منه : فاض منه ، والضمير في « منه » يعود على السيل . والأسماء المذكورة في البيت كلها أسماء مواضع أيضا . وهو في البيتين يحدد أسماء المواضع في المنطقة الواسعة الممتدة بينها التي أصابها السيل .
- (٤٢) الأسماء المذكورة في الشطر الثاني أسماء مواضع أيضا . وتحمل تكلفة : أى تحمل ما لا يطيق إلا على مشقة ، وهى منصوبة على الحال . يقول إن هذه المواضع تحملت من السيل مياها غزيرة لا تكاد تطيقها . وفي رواية أخرى « حتى تضمن عنه الماء » .
- (٤٣) الغرض : الهدف ، يقول إن هذه الديار أصبحت هدفا للأقطار التي أصابتها . وزورا : أى أزور عنها الناس لغزاة أهلها ومنعتهم . وتجانف : تجنب وتباعد . والقود : الخيل . والرسل : الإبل . يريد أنهم أعزاء لا يجرؤ أحد على غزوهم ، ولذلك تجنبت أرضهم خيل الغزاة وإبلهم . وهذا البيت ينتهي القسم الثاني من المعلقة .

- ٤٤ أبلغ يزيد بن شيبان مآلكة : أبا ثبيت أما تنفك تأكل ؟  
 ٤٥ ألت متبها عن نحت أثلتنا ؟ ولست ضارها ما ألت الإبل  
 ٤٦ كناطح صخرة يوما ليقلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
 ٤٧ تغرى بنا رهط مسعود وإخوته عند اللقاء فتردى ثم تعزل  
 ٤٨ لا تقعدن وقد أكلتها خطبا تعود من شرها يوما وتبتهل  
 ٤٩ إني لعمري الذي حطت مناسمها تخدى وسبق إليها الباقر الغيل

(٤٤) من هنا يبدأ القسم الثالث من الحلقة ، وهو الهجاء الذى يصبه على يزيد بن شيبان ، والوعيد الذى يوجهه إليه . المآلكة : الرعالة . وأبو ثبيت كنية يزيد . وتأكل : تأكل نفسك من الغيظ ، من اشكل الرجل إذا غضب وهاج وكأنه يأكل بعضه بعضا .

(٤٥) الأثلة : شجرة الأثل ، ضربها مثلا لعزة قومه ومراقبة أهلهم وثبات مجدهم . وأطت الإبل : أنت تعبا أو حنينا ، يريد مدى الدهر . ويريد بنحت الأثلة : التشهير بهم ، ومحاربة الإساءة اليهم ، والتهوين من شأنهم .

(٤٦) الوعل : تيس الجبل . وفي رواية أخرى « ليونها » .

(٤٧) تردى : تهلك ، من الردى وهو الهلاك . وتعزل : أى تعزل القتال . يقول له إنك توقع بيننا وبين القبائل ، وتشير نيران الفتنة المدمرة المهلكة ، حتى إذا ما اشتعلت اعتزلت القتال وتركت القبائل تتقاتل .

(٤٨) أكلتها : أجبتها . وتبتهل أى تدعوا الله بأن ينجيك من شرها . والبيت تأكيد لمعنى البيت السابق : إشعال الفتنة ثم التهرب منها .

(٤٩) حطت : أمرعت ، ويرى الأصمعى أن هذه الرواية لا معنى لها هنا ، وأن صوابها « خطت » ( بالحاء ) أى هيجت التراب بمناسمها ، وهى أطراف أخفافها . وتخدى : قسيرا شديدا فيه اضطراب لشدة . والباقر : البقر ، أو هو جمع البقر . الغيل : جمع غيل ( بفتح فسكون ) وهو الكثير . وفي رواية أخرى « حطت مناسمها له وسبق إليه الباقر العثل » ، والعثل ( بضم تين ) : الجماعة الكبيرة . يقسم بالإبل التى تحمل الحبيج إلى الكعبة وهم يسوقون أماهم الهدى قطعانا كبيرة من البقر .



٥٠. لئن قتلتم عَمِيداً لم يكن صَدَداً      لَنَقْتُلَنَّ مثله منكم فَنَمْتَشِلُ  
 ٥١. لا تَنْتَهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطِيطٍ      كالطعن يَهْلِكُ فيه الزيتُ والقتلُ  
 ٥٢. حتى يَظُلَّ عَمِيدُ القومِ مُرْتَفِقا      يَدْفَعُ بالراح عنه نسوةٌ عَجُلُ  
 ٥٣. أَصَابَهُ هُنْدَوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ      أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ مَعْتَدِلُ  
 ٥٤. كَلَّا ، زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا نَقَاتِلُكُمْ      إِنَّا لَا مِثَالَكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتِلُ  
 ٥٥. نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنُوِّ ضَاحِيَةٌ      جَنَبِيْ فُطَيْمَةٌ لَا مِيلُ وَلَا عَزْلُ

(٥٠) العميد : السيد الذي يعتمد عليه . ولم يكن صددا : أى لم يكن مماثلا أو نظيرا لمن قتلناه منكم . ونمشل : نقتل الأمثل فالأمثل . يتوعدهم بالنار والانتقام .

(٥١) كالطعن : أى مثل الطعن فاعل للفعل « ينهى » . يهلك فيه : أى يذهب فيه لاتساعه . والقتل : جمع فتيل . يتوعدهم بطعنات تصيبهم بجراح غائرة يذهب فيها الزيت والفنائيل التي تتخذ لملاجئها .

(٥٢) مرتفقا : متكئا على مرقبيه لسقوطه على أرض المعركة . والراح : جمع راحة وهي بطن الكف . والعجل : جمع عجول وهي الشكلى الجزينة . يصف نهاية المعركة وقد سقط سيد القبيلة على الأرض ، ولقي رجالها مصارعهم ، ولم يبق إلا نساؤها الشكلى يحاولن الدفاع عن سيدها وحمايته . ويحتمل أن يكون المعنى أن سيد القوم قد قتل وسقط صريحا ، ونساء القبيلة يدفعن عنه أن تطأه أقدام المقاتلين .

(٥٣) الهندوانى : السيف . وأقصده : أصابه . والذابل من الرماح : الصلب المقوم . والخط : مدينة على ساحل الخليج بالبحرين كانت مشهورة بصناعة الرماح .

(٥٤) كَلَّا : أداة ردع وزجر . وقتل : جمع قتول ، صيغة مبالغة . يفنخر بشجاعة قومه ، ويزجر خصومهم عن أن يظنوا فيهم ضعفا أو تخاذلا .

(٥٥) يوم الحنو : يوم من أيام قبيلته التي انتصرت فيها . وضاحية : علانية ، يقال فعل هذا الشيء ضاحية . فطيمة : اسم مكان . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت في القتال . والعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لا يحمل سلاحا فيضطر إلى اعتزال الحرب .



٥٦ قالوا: الطَّارِدُ، فقلنا: تلك عادتنا أو تنزلون فلاناً معشرٌ نُزِّلُ

٥٧ قد تَحْضِبُ العَيْرَ في مكنونِ فائلهِ وقد يَشِيطُ على أرواحنا البَطَلُ

\* \* \*

(٥٦) الطراد : المطاردة بالرمح . وتنزلون : أى تنزلون عن ظهور الخيل للجلالة بالسيف .  
وفي رواية أخرى للشطر الأول « إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا » .

(٥٧) العير : الحمار الوحشي . والفائل : عرق يجري من الجوف إلى الفخذ ، ويشيط :  
يهلك ، أو يرتفع صريعاً على أسنة الرماح . واقتناره في الشطر الأول بإصابة العير في مكنون فائله رمز  
لتجربتهم ومهارتهم في إصابة المقاتل ، وهي المواضع القاتلة في جسم الإنسان .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## لامية عكاظ

\* \* \*

تعد هذه اللامية الطويلة التي تبلغ خمسة وسبعين بيتا من روائع شعر الأعشى ،  
ويضمها بعض الرواة بين المعلقات العشر بدلا من لاميته الأخرى المشهورة « ودّع  
هربة » ، ويقولون إنها القصيدة التي أنشدها بين يدي النابغة في سوق عكاظ ،  
فأعجبته وحكم بتفضيلها على قصيدة حسان بن ثابت ، مما أثار اعتراضه وغضبه .  
وموضوع القصيدة الأساسي المدح ، مدح الأسود بن المنذر أحد أمراء الحيرة .  
وهي تبدأ بمقدمة الأطلال التقليدية التي يقف بها الشاعر وقد تقدّمت به السن ،  
فينكر وقوفه بها وسؤاله الذي لا ترده عليه . ثم يمضي إلى حديث صاحبه ورحلتها ،  
وبعد ما بينه وبينها من صحراء مترامية الأطراف بعيدة الآفاق ، ويستعيد ذكراها  
البعيدة ، ويتغنى بجمالها ، ثم يعود فيتذكر شبيه الذي باعد بينه وبين هوا الشباب ،  
فينصرف عن ذكرياته إلى الصحراء يصف رحلته فيها وراحته التي حملته ، ويشبهها  
بحمار وحشى ، ثم ينتقل — على جسر أقامه من حديث يوجهه إلى ناقله — إلى  
مدحه فيطيل في مدحه إطالة ملحوظة تمتد تسعة وثلاثين بيتا حتى نهاية القصيدة ،  
يمدحه فينوّه بأصله العريق ، وسجاياء الحميدة ، وعطايا الكثرة ، ويصف جيشه  
وقوته وعدته وعتاده ، ويسجل بعض انتصاراته ، ثم يحتم مدحه بدعاء له ولأسرته  
بدوام النصر ودوام الخلود .

والقصيدة — كدائح الأعشى الطويلة — تمتاز بالفخامة والضبخامة والحزالة والإطالة الملحوظة في وصف الناقة وفي حديث المدح ، وهما — مع حديث النحر — يمثلان المحاور الثلاثة الأساسية التي يدور حولها أكثر شعر الأعشى : النحر والناقة والمدح . وشعره في هذه الموضوعات الثلاثة يعكس صورة دقيقة للدور الكبير الذي قام به الأعشى في حركة الشعر في العصر الجاهلي ، والذي ارتقى به — عن جدارة — إلى تلك القمة الشائخة التي احتلها بين شعراء الجاهلية الأربعة الكبار .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — غنية بالنغم الموسيقي الذي يحرص فيه على الملاءمة الصوتية بين الألفاظ والمعاني ، وتحقيق أكبر قدر من الانسجام بين الشكل والمضمون . ويظهر فيها ذلك الحس الحضاري المارح في اختيار عناصر الصورة — وبخاصة في مجال المدح ومجال النحر — وفي ظهور بعض الألفاظ الأجنبية الفارسية في بنائها اللغوي .

\* \* \*

- ١ ما بكاء الكبير بالأطال ؟      وسؤالى ؟ فهل تردُّ سؤالى ؟
- ٢ دمنة قفرة تعاورها الصيف      فُ بريحين من صبا وشمال
- ٣ لات هنا ذكرى جبيرة أو من      جاء منها بطائف الأهوال

(٢) تعاورها الصيف : أى تبادل عليها مرة بريح الصبا الشرقية ، ومرة بريح الشمال . والبيت يذكرنا ببيت امرئ القيس المشهور :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها      لما نسجتها من جنوب وشمال

(٢) لات بمعنى ليس ، وأصلها « لا » والتاء فيها تاء التأنيث ، وهنا ( بالتشديد ) : لنة في هنا ، ومعنى هذا التعبير ليس الآن وقت ذكرها . وجبيرة : اسم صاحبة . والطائف : الطيف ، وأضافه إلى الأهوال لأنه اخترق أهوال الصحراء في زيارته له . وهو يذكرنا بقول تابط شرا في مطلع قافيته المفضلية : « ومر طيف على الأهوال طراق » .

- ٤ حَلَّ أَهْلِي بطنَ الغَمِيسِ قَبَادَوَ لِي ، وَحَلَّتْ مُلَوِيَّةٌ بِالسَّخَالِ  
 ٥ تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالْكَيْتَبَ فَذَا قَا رِ فَرَوْضَ الْقَطَا فذَاتَ الرِّثَالِ .  
 ٦ رُبَّ تَحْرِقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْدَ رَ ، وَمِيْلٌ يُفْضِي إِلَى أَمِيَالِ  
 ٧ وَسِقَاءٍ يُوَكِّي عَلَى تَأَقٍ الْمَلِّ ، وَسَيْرٍ ، وَمُسْتَقَى أَوْشَالِ  
 ٨ وَادَّلَاجٍ بَعْدَ الْمَنَامِ ، وَتَهْجِيهِ رِ ، وَقُفٌّ وَسَبَسِبٍ وَرَمَالِ  
 ٩ وَقَلِيْبٍ أَجْنٌ كَأَنَّ مِنَ الرَّيِّ شِ بِأَرْجَائِهِ لُقُوطٌ نِصَالِ

(٤) ملوية : أى فى مالهة نجدة ، حال من «حلت» . والأسماء المذكورة فى البيت أسماء مواضع ، وكذلك الأسماء المذكورة فى البيت التالى . يذكر فى البيتين منازل أهله ومنازل أهلها ، لئلا يتركها ديارهما ، وكأنه يقول ما جدوى البكاء وما جدوى الذكريات بعد أن باعدت الحياة بيننا ؟

(٦) الخرق : الصحراء المترامية الأطراف كأن الريح تخرقها . والضمير فى «دونها» يعود على صاحبه . والسفر : المسافرون . وضمير الفاعل فى «يخرس» يعود على الخرق ، وقوله «يخرس السفر» كناية عن اتساع هذه الصحراء ، وامتداد طرقها ، وما يعانيه المسافرون من جهد فى اختراقها ، حتى تنقطع حبال الأحاديث بينهم . والميل : المسافة البعيدة . يؤكد مرة أخرى بعد ما بينه وبين صاحبه ، وتباعد ما بين دياره وديارها .

(٧) السقاء : قرية الماء . ويوكى : يربط ، من الركاء وهو ما يشد به عتق السقاء . والتأق : الامتلاء . وتأق الملء : أى نهاية امتلاء السقاء بالماء . والأوشال : المياه القليلة فوق سطح الأرض ، مفردا وشل (بفتحتين) . يستمر الشاعر فى تأكيد بعد المسافة بينه وبين صاحبه وتباعد ما بين ديارهما . المسافة بعيدة تحتاج من المسافرين إلى ملء قريهم بالماء حتى نهايتها وربطها حتى لا يشرب منها الماء ، وتحتاج إلى سير طويل شاق ، واستقاء لاء من الأوشال المتناثرة على امتداد الطريق .

(٨) الإدلاج : السير طول الليل . والتهجير : السير فى الهجرة وهى وقت الظهيرة . والقف : الأرض الغليظة الوعرة . والسبب : الأرض المستوية الممتدة مسافات طويلة .

(٩) القلب : البئر . والأجن : الذى تغير مآؤه لونا وطعما . واللقوط : ما يلتقط مما تنثر على الأرض ، جمع لقط (بفتحتين) . يشبه ريش الطيور المتناثر حول الماء الذى تجتمع حوله لإطفاء ظمئها من لبيب الصحراء . يقطع النصال المتناثرة فوق الأرض . وصورة تنثر ريش الطير حول مناهل المياه البعيدة فى أعماق الصحراء تتردد كثيرا فى الشعر العربى القديم . وهذه الطير عادة هى القطا لأنها أصبر الطير على جوار الصحراء وأبعدها طيرانا وإبعادا فى الصحراء .

- ١٠ فلئن شط بي المزارُ لقد أغدو قليلَ الهموم ناعمَ بالِ  
 ١١ إذ هي الهمُّ والحديثُ ، وإذ تعدُّ يحيى إلى الأميرِ ذا الأقوالِ  
 ١٢ ظبيةٌ من ظبياءِ وجرّةِ أدما ، تُسَفُّ الكِبَاثَ تحت الهدالِ  
 ١٣ حُرّةٌ طفلةٌ الأناملِ ترتبُ (م) مُحامًا تكفُّه يخاللِ  
 ١٤ وكان السموط عكفها السد بك يعطى جنداء أم غزال  
 ١٥ وكان الخمر العتيق من الإسفند يط ممزوجة بماء زلال  
 ١٦ باكرتها الأغرابُ في سِنَةِ النو م فتجري خلال شوك السَّيَالِ

(١٠) يستعيد الشاعر هنا ذكريات ماضيه مع صاحبه قيل بعدها عنه .

(١١) الهم : الشاغل الذى يشغله . « والى » أى من أجل . والأمير : يريد به ولي أمرها ، وهو

— فى أغلب الظن — زوجها . وذكر المرأة المتزوجة يتردد كثيرا فى غزل الأحنى .

(١٢) وجرّة : منطقة فى الجزيرة العربية مشهورة بظبائها ، يتردد ذكرها كثيرا فى الشعر القديم .

والأدماء : البيضاء . والكباث : ثمر الأراك . والهدال : النصوص المتدلة . يشبه صاحبه بهذه الظبية فى وضع من أجل أوضاعها ، وهى تمد عنقها فى ظلال شجر الأراك لتناول ثمره .

(١٣) الطفلة : الناعمة اللينة . وترتب : تعنى به وتنبه . والسحام : السواد ، يريد شعرها

الأسود . والخلال : المشط ، لأنه يتخلل الشعر . وتكفُّه : تجمعه وتضمه .

(١٤) السموط : العقود ، جمع سمط . وعكفها : ثناها فالتفت حوله . والجنداء : الطويلة

العنق . واختار للصورة الظبية الأم لأنها حين ترفع رأسها لتطمئن على صغيرها يبدو جديدها الطويل فى أجل أوضاعه .

(١٥) الإسفند : كلمة فارسية معربة ويراد بها أجود أنواع الخمر المتخذة من أجود العنب .

(١٦) الأغراب : جمع غرب (بفتح فسكون) ، وهى الكأس أو جام الفضة ، ويجوز أن يكون

معناها كثرة الريق . والسيال : نبات صحراوى له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن ، والعرب يشبهون به الأسنان فى بياضها وصفائها . يصف عذوبة ثمر صاحبه وطيب وبقه ، ويتخيل أن خمر معتقة

ممزوجة بالماء المذب خالطته فهى تجرى بين أسنانها الجميلة البيضاء الصافية ، ويتخير لذلك وقت الصباح

الباكر ، وهى بين البقطة والنوم ، وكأنه يقول إنها فى هذا الوقت الذى تتغير فيه الأنواء تكون أطيب رائحة رائد طما .



١٧ فاذهي ما إليك ، أدركني الحلد م ، عداني عن ذكركم أشغالي

\* \* \*

١٨ وعسير أدماء حادرة العيد بن خنوف عيرانة شملال

١٩ من سراء الهجان صلبها العض (م) ورعى الحمى وطول الحبال

٢٠ لم تعطف على حوار ، ولم يقطع عبيد عروقها من جمال

٢١ قد تعاللتها على نكظ الميط ، وقد خب لامعات الآل

٢٢ فوق ديمومة تغول بالسف مرقفار إلا من الآجال

(١٧) ما إليك : أى ما سبيل إليك . ومداني : صرقتى . يقول لها : لقد انتهى عهد الشباب والنصاي ، وأدركنى الشيب والنمقل ، وشغلتنى عن ذكرك شواغل الحياة . وإلى هنا تنتهى مقدمة القصيدة ، ليبدأ حديث الرحلة والناقة والصيد .

(١٨) العسير : الناقة ترفع ذنبها فى مدوها أو الناقة لم تحمل فى عامها . والأدماء : البيضاء ، ويقول الغويون إن الأدمة فى الإبل والظباء البيضاء ، وفى الإنسان للسرة . وحادرة العين : صلبة العين . والخنوف : النسيطة التى تميل برأسها نحو راحبها . والعيرانة : التى تشبه العير وهو الحمار الوحشى . والشملال : السريعة .

(١٩) من سراء الهجان : أى من خيار الإبل الكريمة . والعض (بالضم) : طف الإبل . والحبال : عدم الحمل . يقول إنها ناقة من أكرم الإبل قوى هودها وشدها علفها الجيد ، ورعيا فى حى القبيلة كيف تشاء ، وعدم حملها .

(٢٠) الحوار : ولد الناقة أول ولادته . ولم تعطف : أصلها لم تتعطف ، حذفت إحدى التاءين تخفيفا . وعبيد : تصغير عبد . والجمال : داء يصيب قوائم الإبل . والبيت استمرار فى تصوير قوة هذه الناقة ونشاطها وفنائها .

(٢١) تعللتها : استخرجت أقصى ما عندها من السير . والنكظ : الجهد وشدة الحال فى السفر . والميط : البعد . وقوله « على نكظ الميط » : أى على شدة البعد . ونخب : ارتفع أو أسرع ، والكلمة هنا تحتل المعنيين . والآل : السراب .

(٢٢) الديمومة : الصحراء المأمية الأطراف . وتقول : أصلها تغول ، حذفت إحدى التاءين تخفيفا ، بمعنى تفضل وتهلك . والآجال : قطعان البقر الوحشى ، جمع لاجل .

- ٢٣ وإذا ما الضَّلَال خِيفَ وكان الـ يَرْدُ نَحْسًا يَرْجُونَهُ عَنْ لَيْالٍ  
 ٢٤ وَاسْتُحِثَّ الْمُغَيِّرُونَ مِنَ الْقَوِ م ، وكان النَّطَافُ ما في العَزَالِ  
 ٢٥ مَرِحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرَّومِيِّ (م) تَفْرِى المَجْجِيرَ بِالْإِرْقَالِ  
 ٢٦ تَقْطَعُ الْأَمْعَزَ الْمُكْوَكِبَ وَخَدًا بِنَوَاجٍ سَرِيعَةٍ الْإِيفَالِ  
 ٢٧ هَنْتَرِيسَ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّو ط كَعْدُو الْمُصْلِصِلِ الْجَوَالِ

(٢٣) الورد : ورود الإبل الماء للشرب ، وعكسه الصدر وهو رجوعها عنه بعد الشرب . والنحس : ورود الإبل الماء بعد خمسة أيام من إعطائها ، والعرب يفعلون ذلك أحيانا عندما يشح الماء . يصف الصحراء بأنها مقرامية الآفاق ، متشابهة المعالم ، يخشى فيها الضلال ، وأنها مفرقة قليلة الماء ، لا تشرب فيها الإبل إلا كل خمس ليال .

(٢٤) المغيرون : الذين يغيرون رواحلهم ويستبدلون بها غيرها عند إحسانها بالثعب . والنطاف : جمع نطفة وهي بقية الماء . والعزالي : قرب الماء ، مفردا عزلاء . يصف بعد ازحالة ومشقتها وقلة الماء بين أيدي المسافرين .

(٢٥) مرحت حرة : أى أمرعت منطلقة لا يقف في طريقها شيء ، والضمير فيها يعود على الناقة . ووجه الشبه في تشبيه ناقته بقنطرة الرومى العلو والضخامة ، وهو تشبيه سبقه إليه طرفة في معلقته :

كقنطرة الرومى أقسم ربيها لتكثفن حتى تشاد بقمره

وتفرى : تقطع وتشق . والمججير : الهابرة عندما يشتد الحر في الصحراء في وقت الظهيرة . والإرقال : الإمراع ، وهو ضرب من عدو الإبل .

(٢٦) الأمعز : الأرض الغليظة الوعرة . المكوكب : المتوقد من الحر . والوخد : ضرب من السير السريع الواسع الخطوات . والنواجي : القوائم ، جمع ناجية . والإيفال : المبالغة في السرعة والاندفاع في السير والإبعاد فيه .

(٢٧) هنتريس : الصلبة القوية المتينة البنيان . والمصلصل الجوال : يريد به الجمار الوحشى . المصلصل : الذى يرن صوته لشدة نهيقه . والجوال : الدائب الحركة الذى لا يستقر فى مكان . يشبه ناقته بجمار من همر الوحش .

- ٢٨ لآحه الصيفُ والصَّيَالُ وإشفا قُ على صَعْدَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ  
 ٢٩ مُلَمِّعٍ لَأَعْيَةِ الْفَوَادِ إِلَى بَحْ شِ قَلَاهُ عَنْهَا فَيُثْسُ الْفَالِ  
 ٣٠ ذُو أَذَاةٍ عَلَى الْخَلِيطِ ، خَبِيثُ الْ نَفْسِ ، يَرْمِي مَرَّافَهُ بِالنُّسَالِ  
 ٣١ قَادَرَ الْجَحْشَ فِي الْغُبَارِ ، وَعَدَا هَا حَثِيثًا لِصُورَةِ الْأَذْحَالِ  
 ٣٢ ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي عَنْ يَمِينِ الْ رَعْنِ يَعْدَ الْكَلَالِ وَالْإِعْمَالِ  
 ٣٣ وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَى ، وَقَدْ آ لَتْ طَلِيحًا تُحْدِي صَدُورَ النَّعَالِ

- (٢٨) لآحه : فière وأضمهره . والصيال : المصاولة ، يريد مصاولة غيره من الحمير الوحشية .  
 والصاعدة : الأتان . والضال : شجر من أشجار البادية يتخذون منه القسي .  
 (٢٩) الملهم : الحامل ، من ألمعت إذا رفعت ذنبها ليعلّم أنها قد لقحت . واللاعة : الجزوع .  
 وفلاه : أبعدته وعزله : يقول إن هذه الأتان ملأته القلب إلى صفيها الذي أبعدته عنها زوجها ليخلو  
 له الجومعها ، أولأنه يفار عليها منه ، وكلتا الصورتين ترد في الشعر القديم .  
 (٣٠) الخليط : قطع الحمير الملتصق في هذه المنطقة . المراع : المكان الذي يتمرغ فيه . والنسال :  
 ما تساقط من شعره أثناء تمرغه . ووصف الجمار بأنه « خبيث النفس » لأنه عزل عن أثناء صفيها  
 وتركها تعاني أسفها عليه وحزنها ولوهتها . ووصفه بأنه « ذو أذاة على الخليط » لأنه لا يكف عن  
 مصاولة غيره من الحمير ، وعضه لها ، ليطردها بعيدا عن أثناء التي يريد أن يستأثر بها لنفسه .  
 (٣١) عداها : طاردها وأبعدها . والصورة : حجر يكون علامة في الطريق ، أو ما غلظ من  
 الأرض وارتفع . والأدحال : جمع دجل (بفتح فسكون) وهو ثقب ضيق أعلاه ، متسع أسفله ، يسمح  
 بالمشي فيه ، أو هو حفرة في الأرض تتجمع فيها المياه .  
 (٣٢) الرعن : التواء البارز في جنب الجبل . والكلال : التعب والإعياء . والإعمال : السير  
 السريع . يشبه ناقته في قوتها وصلابتها وتحملها مشاق الرحلة بهذا الجمار الوحشي ، ويقول - في شيء من  
 المبالغة - إنها تشبهه لافي حالة نشاطها ، ولكن في حالة تعبها وإرهاقها وإعيائها .  
 (٣٣) آلت : تحولت . وطيحا : متعبة مرهقة . « وتحدي صدور النعال » أي أنهم ألبسوها  
 أخفافا من الجلد تحمي أقدامها من وعرة الأرض وطول الرحلة . وكان العرب يفعلون ذلك بإبلهم في  
 أسفارهم الطويلة .

- ٣٤ نَقَبَ الخُفَّ للسرى ، فترى الاز سَاعَ مِنْ حِلٍّ سَاعَةٍ وَارْتِحَالٍ  
 ٣٥ أَثَرَتْ فِي جَنَاجِنِ كِلَارَانِ الـ مَيِّتِ عُولَيْنِ فَوْقَ عُوْجِ رِسَالِ  
 ٣٦ لَا تَشْكِي إِلَى مِنْ أَلَمِ النَّسِّ يَجْ ، وَلَا مِنْ حَنَى وَلَا مِنْ كَلَالِ  
 ٣٧ لَا تَشْكِي إِلَى ، وَاتَّجَمَى الْأَسْدُ مَوَدَّ أَهْلِ النَّدَى وَأَهْلَ الْفَعَالِ

\* \* \*

- ٣٨ فَرَعُ تَبَعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ يَدِ ، غَزِيرُ النَّدَى ، شَدِيدُ الْحَالِ  
 ٣٩ عِنْدَهُ الْحَزْمُ وَالتَّقَى وَأَمَّا الصَّدُّ عِ ، وَحَمْلُ الْمُضْلِيعِ الْأَثْقَالِ  
 ٤٠ وَصَلَاتُ الْأَرْحَامِ ، قَدْ عَلِمَ النَّاسُ سِ ، وَفَكَ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ

(٣٤) نقب الخف : تشققه وتآكله لكثرة السير ووهرة الأرض ، وهو مفعول به للفعل « تشكو »  
 في البيت السابق . والأنساع : جمع نسع ( بكسر فسكون ) وهو حزام تشد به الأحمال فوق ظهور الإبل .  
 والحل : النزول ، عكس الارتحال .

(٣٥) الجناجن : عظام الصدر . والإران : التابوت بوضع فيه الميت ، والنشيبه في الصلابة  
 والقوة ، وهو تشبيه ورد في معلقة طرفة « أدون كألواح الإران » . وهولين : ارتفعن . والعوج :  
 صفة للقوائم . والرسال : المهلة السير . والضمير في « أثرت » يعود على الأنساع في البيت السابق ،  
 يقول إن هذه الإنساع لكثرة ما شدت وحلت مع النزول والارتحال أثرت في عظام صدر الناقة القوية .

(٣٦) لا تشكى : أى لا تشكى ، خففت إحدى التائين ، والخطاب للناقة تمهيدا لعبور الشاعر من  
 حديث الرحلة إلى حديث المدح الذى سيبدأ مع البيت التالى .

(٣٧) الأسود بن المنذر الخنسي من مادة الغساسنة الذين كان الأعشى يردد عليهم لمدحهم .  
 والندى : الكرم . والفعال ( بالفتح ) : لما أثر الطيبة .

(٣٨) النبع : شجرة تتخذ منه القمى ، يضربون به المثل في الصلابة والامتواء . والحال : القوة .  
 (٣٩) التقى هنا بمفهومه الجاهلى يراد به الحذر والانتقاء . والأما : الدرا . والصدع : الشق .  
 يريد أنه يعمل على إصلاح ما بين الناس من تصدع . وفى الديوان « الصرع » وهو تحريف .  
 والمضلع : الذى يرهق الضلوع ، ويريد بمضلع الأثقال الأعباء الثقيلة التى يقصدها الناس لتخفيفها عنهم .

- ٤١ وهوانُ النفسِ العزيزةِ للذكِّ . وإذا ما التقتْ صدورُ العوالِ  
 ٤٢ وعطاءُ إذا سألتَ إذا العِذُّ . رةٌ كانت عطيةَ البُخَالِ  
 ٤٣ ووفاءُ إذا أجزتْ ، فما غُرُّ (م) ت حبالُ وصلتها بحبالِ  
 ٤٤ أريحي صلتٌ يظلُّ له القو . م رُكودًا قيامهم للهِلالِ  
 ٤٥ إن يُعاقبَ يكن غراما، وإن يُع . يط جزيلا فإنه لا يُبالِ  
 ٤٦ يهبُ الجِملَةُ الحِراجِرَ كالْبُسْ . تانٍ تَحْنُو لِدَرْدَقِ أَطْفَالِ  
 ٤٧ والبغايا يركضن أ كِسِيَةَ الإضْ . يريج والشرعيُّ ذا الأذبالِ

(٤١) العوالى : الرياح ، والنقاء صدورها كناية عن الحرب . ومعنى البيت أن هذا المدح لا يبالى بما يصيبه في غمرات الحرب من أجل حرصه على الذكر الطيب والسمعة الحسنة .

(٤٢) العذرة : الاعتذار . يقول إنه يعطى إذا سئل ، في الوقت الذى يكون فيه الاعتذار هو عطاء البخلاء .

(٤٣) غرت : ضعفت . يقول إنه وفى لمن يستجيره ، لا يتخلى عنه ، ولا تنقطع حبال العهد التى وصلها بحباله .

(٤٤) الأريحي : الكريم الذى يرتاح للكرم . والصلت : الماضى إلى هدفه فى غير تردد . والركود : الذين لا يتحركون ، يمدحه بالكرم الذى يصدر عن نفس راضية ، والعزيمة الماضية التى لا تتردد ، ويصف وقوف الناس له فى صمت وخشوع كقيامهم للهلال يرقبون ظهوره .  
 (٤٥) الغرام هنا بمعنى الهلاك والعذاب والشر الدائم . وفى القرآن الكريم فى صفة جهنم « إن عذابها كان غراما » (الفرقان ٦٥) .

(٤٦) الجملَةُ : الإبل الكبيرة . والجراجِر : الضخام . والبستان : النخل ، فارسي معرب . والدردق : الصغار . يمدحه بأنه يعطى النوق الضخام ومعها فصلاتها الصغار .

(٤٧) البغايا هنا بمعنى الجوارى والإماء . ويركضن هنا بمعنى يجرون وراءهن . والإضرع : الحرير الأصفر . والشرعي : الحرير الأحمر . يمدحه بأنه يعطى أيضا الجوارى الجميلات المختلات فى ثياب الحرير السابغة الملونة .



- ٤٨ وِجِبَادًا كَأَنهَا قُضِبَ الشَّوْ حَيطٌ تَعْدُو بِشِكَّةِ الْأَبْطَالِ  
 ٤٩ وَالْمَكَائِكِ وَالصَّحَافِ مِنَ الْفَضِّ (م) يَةِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ  
 ٥٠ رَبِّ حَتَّى أَشَقَّاهُمْ آخِرَ الدَّهْرِ ر ، وَحَتَّى سَقَّاهُمْ بِسِجَالِ  
 ٥١ فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو لَا ، وَكَعْبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِي  
 ٥٢ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقَوِ م إِذَا مَا كَبَتْ وَجْوهُ الرِّجَالِ  
 ٥٣ جُنْدُكَ التَّالِدُ الْعَتِيقُ مِنَ الِ سَادَاتِ أَهْلِ الْقَبَابِ وَالْآكَالِ  
 ٥٤ غَيْرُ مَيْلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِي الْهِي جَا وَلَا عَزْلٍ وَلَا أَكْفَالِ

(٤٨) الشوخط : شجر صحراوي تتخذ منه القسي كشجر النبع . والشكة : السلاح . يمدحه بأنه يعطى فوق هذا كله الخيل القوية الصلبة التي هيئت للقتال .

(٤٩) المكاكيك : جمع مكوك وهو طلاس يشربون به . والصحاف : الأطباق جمع صحفة . والضامرات : النوق الوديمة التي لا ترغو ولا تنجر .

(٥٠) السجال : جمع سجيل (بفتح فسكون) وهو الدلو المظلمة . يريد أنه يشقى قوما ويسعد آخرين . وقوله « آخر الدهر » يعني حتى آخر الدهر .

(٥١) « وكعب الذي يطيعك عال » : كناية عن الرفعة . يريد أنه ينخفض من عصاه ، ويرفع من أطعاه .

(٥٢) كبت الوجوه : اغبرت وتغيرت من الخوف والفرع .

(٥٣) التالذ : القديم . والعتيق : الأصيل ، وأهل القباب كناية عن الشرف والسيادة . والآكال : قطائع كان الملوك في الجاهلية يعطونها للأشراف .

(٥٤) الميل : جمع أميل وهو الذي لا يثبت على ظهر جواده لقلة خبرته بركوب الخيل . والعواوير : جمع عوار (بالفتح) وهو الجبان الذي لا يستطيع أن يجي موقعه . والعزل : جمع أعزل وهو الذي لا يحمل سلاحا . والأكفال : جمع كفل (بكسر فسكون) وهو الذي يكون في آخر صفوف المقاتلين بلهته .

- ٥٥ ودروعٌ من نسج داوودَ في الحر      بِ وَسُوقٍ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الْجَمَالِ
- ٥٦ لَمْ يُسَرَّنَ لِلصَّدِيقِ ، وَلَكِنْ      لِقَتَالِ الْعَدُوِّ يَوْمَ الْقِتَالِ
- ٥٧ كُلُّ حَامٍ يَقُودُ خَيْلاً إِلَى خِي      لِ دِقَاقًا غَدَاةَ غِبِّ الصَّقَالِ
- ٥٨ هُوَ دَانَ الرَّبَابَ إِذْ كَرِهَ هُوَا (م)      يَدِينُ دِرَاكَا بَغْزَوَةٍ وَصِيَالِ
- ٥٩ ثُمَّ أَسْقَاهُمْ عَلَى نَقْدِ الْعِيدِ      شِيشَ فَأَرْوَى ذُنُوبَ رِفْدِ مُحَالِ
- ٦٠ نَخْمَةً يَلْجَأُ الْمُضَافُ إِلَيْهَا      وَرِعَالًا مَوْصُولَةً بِرِعَالِ
- ٦١ تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَيْتِهِ وَتُلَوِي      يَلْبُونِ الْمِعْزَابَةَ الْمِعْزَالِ

(٥٥) داوود النبي الذي عليه الله صناعة الدروع من الحديد ، كما ورد في القرآن الكريم « وعليناه مصفحة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » (الأنبياء ٨٠) ، يريد أنها دروع جيدة الصنع من خير الدروع . والسوق : الأحمال ، جمع وسق (بفتح فسكون) وهو الحمل .

(٥٧) دقاقة : متدفقة بعضها في إثر بعض . والصقال : التأديب بالعصا ، وغب الصقال : أي ما بعده .

(٥٨) الرباب : مجموعة من القبائل كانت تنزل في شرق الجزيرة . ودانها : أذلها وأجبرها على الطاعة . والدين : الطاعة . ودراكا : أي متتابعة متلاحقة .

(٥٩) الذنوب : الدلو المملوءة ماء . والرغد : العطاء . والمحال : المصبوب ، من أحال عليه الماء إذا أفرغ عليه وصبه . ضرب ذلك مثالا للوت الذي أنزله ممدوحه بأعدائه .

(٦٠) نخمة : صفة لكثيفة ، أي كثيفة ضخمة كبيرة . والمضاف : الذي أحيط به في الحرب فلم يعرف سبيلا للنجاة أو ملجأ يُلجأ إليه . والرعال : جماعات الخيل ، جمع رعلة (بفتح فسكون) . يصف جيش الممدوح وكتائبه وفرسانه ، وأنه يحمي من يستجير به ويلجأ إليه .

(٦١) تلوي : تذهب . واللون : الناقة ذات اللبن . والمعزابة : الراعي الذي يمد في المرعى بإبله . والمعزال : الذي يتأى عن الناس ويعزلهم ولا يخالطهم . يقول إن كتائب الممدوح تذهل الشيخ عن بنيه : وتقرء الإبل التي أبعدها راعيها في أعماق الصحراء ، وانعزل الناس في آفاقها البعيدة النائية .

- ٦٢ رَبُّ رِفْدٍ هَرَقَتْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرَ أَقْتَالِ  
٦٣ وَشِوَيْخَ حَرْبٍ بِشَطْطٍ أَرِيكَ وَنِسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِ  
٦٤ وَشَرِيكَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَا لِ ، وَكَانَا مُحَاِلِفَتِي إِقْدَالِ  
٦٥ قَسَمًا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْغُدِّ مِمْ ، فَأَبَا كَلَاهِمَا ذُو مَالِ  
٦٦ لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَ ، ثُمَّ لَا زِلْ تَ لَمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

\* \* \*

- (٦٢) الرِّفْدُ : القُدْح الضَّخْم . وَهَرَاقَهُ : أَرَاقَهُ وَصَبَهُ . وَهَرَاقَةُ الرِّفْدِ كُنَايَةٌ عَنِ الْمَوْتِ الَّذِي صَبَّهُ لِمُدْرَحِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ . وَالْأَقْتَالُ : جَمْعُ قَتْلٍ ( بِكسْرِ فَسكون ) وَهُوَ الْعَدُوُّ الْمَطَالِبُ بِثَأْرِهِ .  
(٦٣) حَرْبٍ : جَمْعُ حَرِيبٍ وَهُوَ مَنْ حَرِبَ مَالَهُ أَيْ سَلَبَهُ وَحَرَمَ مِنْهُ وَأَخْرَجَ عَنْهُ . وَأَرِيكَ : مَوْضِعٌ . وَالسَّعَالِ : جَمْعُ سَعَلَةٍ وَهِيَ أَنْثَى الْغَوْلِ .  
(٦٤) يَرِيدُ بِالْشَّرِيكَيْنِ جُنْدِيَيْنِ مِنْ جُنُودِهِ اشْتَرَاكَ فِي الْغَنِيمَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي غَنِمَهَا ، فَاسْتَفْنِيا بَعْدَ فَقْرٍ .  
(٦٥) الطَّارِفُ : الْجَدِيدُ الْمُسْتَحْدَثُ . وَالتَّلِيدُ : الْقَدِيمُ الْمُوروثُ . يَرِيدُ أَنْ هَذِهِ الْغَنَائِمُ كَانَتْ قَدِيمَةً مُوروثَةً عِنْدَ أَصْحَابِهَا ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ جَدِيدَةً مُسْتَحْدَثَةً عِنْدَ مَنْ غَنِمَهَا .  
(٦٦) لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَ : دَعَاءٌ لِقَوْمِ الْمُدْرَحِ بِدَوَامِ النُّصْرَةِ وَالضَّمِيرِ فِي « لَمْ » يَعُودُ عَلَيْهِمْ ، يَعْنِي لِمُدْرَحِهِ بِأَنْ يَبْقَى لِقَوْمِهِ خَالِدًا فِيهِمْ خُلُودَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ الثَّابِتَةِ .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## صُورَةٌ مِنْ غَزَلِيَّاتِهِ

\* \* \*

تقع هذه القصيدة في سبعة وأربعين بيتاً ، وهي تنقسم إلى قسمين : القسم الأول وهو أطولهما ، إذ يمتد أربعة وثلاثين بيتاً ، يحكى الأعشى فيه قصة مغامرة من مغامراته المأجنة مع فتاة صغيرة يصفها بأنها « غريبة » ، بعث إليها رسولا بارما ظل يحتال عليها حتى استجابت لرغبته ، فزارها وقضى معها ليلة ممتعة كان ختامها الخمر والغناء مما يرجح أن تكون هذه الفتاة قينةً من قيان الحانات . وفي القسم الثانى الذى لا يتجاوز ثلاثة عشر بيتاً يتحدث عن رحلة له فى الصحراء على ناقه نشيطة طوّت شعابها مسرعة عائدة به إلى قومه ، فيرسم صورة لحياتهم ، ويتحدث عن عبيدهم وقبايلهم وأصنامهم ، ثم تكون النهاية — كما كانت فى القسم الأول — عودة خاطفة إلى حديث الخمر .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — مَوَاجِدَةٌ بأنغامها الموسيقية التى كان يجيد اختيارها وتوزيعها بحيث تتسلاّم مع موضوعات قصائده ، والتى كان يوفر لها قِماً صوتية رنانة سواء من حيث ألفاظها أو من حيث أوزانها وقوافيها . وهى قيم كانت تتيح لها أذنه الحساسة المرفهة لحرّس الكلمات وهى موسيقا الأوزان العروضية . وقد اختار الأعشى لهذه القصيدة التى تحكى قصة عابثة مع مُرَاهِقَةٍ صغيرة من فتيات الحانات ذلك الوزن الراقص المرح ، مجزؤه الكامل ، كما اختار

لهذا ذلك الروي الخفيف المنطلق المتحرر بالهاء الممدودة وحرف التأسيس الممدود قبلها ، فترأت ألف التأسيس وألف الإطلاق كأنهما دقات « ضابط الإيقاع » التي تحدّد تقاسيم النغم ، وتنضبط توزيعات اللحن .

\* \* \*

- |   |                                    |                              |
|---|------------------------------------|------------------------------|
| ١ | أَوْصَلْتَ صَرَمَ الْحَبْلِ مِنْ   | سَلَمَى لَطُولِ جَنَابِهَا   |
| ٢ | وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبَةً | بَغَى وَدَّهَا بِطَلَابِهَا  |
| ٣ | أَقْصَرَ ، فَلِإِنَّكَ طَالَمَا    | أَوْضَعْتَ فِي إِعْجَابِهَا  |
| ٤ | وَلَقَدْ غَبَنْتُ الْكَاعِبَا      | تِ أَحْظُ مِنْ تَخْبَابِهَا  |
| ٥ | وَأَخُونُ غَفْلَةَ قَوْمِهَا       | يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا  |
| ٦ | حَدَّرَا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى      | أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا |
| ٧ | قَبَعْتُ جَنِيًّا لَنَا            | يَأْتِي رَجَجِجَ جَوَابِهَا  |
| ٨ | فَمَشَى وَلَمْ يَخْشَ الْإِنْبِيَا | سَ فَزَارَهَا وَخَلَا بِهَا  |
| ٩ | عَضَبُ اللِّسَانِ مُتَقَنَّ        | فِطْنٌ لِمَا يُعْنَى بِهَا   |

- (١) الصرم : القطيعة . وصرم الحبل كناية عن الهجر . والجَنَاب : الاجتناب .  
 (٢) طلابها : السعي خلفها . يقول إنه بعد الشيب رجع إلى تصابيه ، فعاد يسمى خلفها ويطلبها .  
 (٣) أقصر : أى ارجع عن خبك . وأوضعت : أى أسرعت وألححت وراءها .  
 (٤) غبنت : خدعت . وأحظ : أى أنال حظي . والتخباب : الخداع . يقول إنه طالما خدع الجميلات ، وتال حظه منهن بخداعه . وهو يبدأ من هنا قصة مغامرته المأجنة .  
 (٥) حدرا عليها : مفعول لأجله متعلق بالفعل « يمشون » في البيت السابق .  
 (٦) الجنى هنا يريد به الرسول الماكر الخبيث الذي أرسله إليها لتعرب له موعدا لزيارتها ، ويعود إليه بجواب رسالته . يصفه بأنه شيطان رجيم .  
 (٧) العضب : السوف الحاذق القاطع ، ويريد بعصب اللسان أنه قوى الحجّة ، قادر على إقناعها وحسم الجدل معها . ومتقن : شديد الحذق والدراية . وفطن لما يعنى بها : أى أنه يعرف بقطته ما يمنيها ويشغلها .



- ١٠ صَنِعٌ يَلِينُ حَدِيثُهَا فَدَنَّتْ عُرَى أَسْبَابِهَا
- ١١ قَالَتْ : قَضَيْتَ قَضِيَّةً عَدَلًا لَنَا يَرْضَى بِهَا
- ١٢ فَأَرَادَهَا كَيْفَ الدُّخُو لُ ، وَكَيْفَ مَا يُؤْتَى بِهَا
- ١٣ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ زَيْدٍ (م) مِنْهَا اثْتِلَاقُ طِبَابِهَا
- ١٤ وَدَنَا تَسْمَعُهُ إِلَى مَا قَالَ إِذْ أَوْصَى بِهَا :
- ١٥ إِنَّ الْفَتَاةَ صَغِيرَةً غِرٌّ ، فَلَا يُسَدَى بِهَا
- ١٦ وَاعْلَمْ بَأَنِي لَمْ أَكَلِّ (م) مِثْلَهَا بِصِعَابِهَا
- ١٧ إِنِّي أَخَافُ الصَّرْمَ مِنْهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا
- ١٨ فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِيدُ بُبٌ ، فَبِثْتُ دُونَ ثِيَابِهَا

(١٠) الصنع : الخبير الواسع الخبرة بصنعه . والعرى : جمع عروة ، ويريد بقوله « دنت عرى أسبابها » أنها استجابت له ، وتقارب ما بينهما ، وتم الاتفاق .

(١١) يقول إنها اقتنعت بمنطق هذا الرسول ، ورضيت بحكمه العادل في القضية التي جاء من أجلها .

(١٢) يبدأ هنا الحديث معها من تفاصيل الزيارة والإعداد لها : كيف يدخل إليها ؟ وكيف يظفر بها ؟

(١٣) القبة الحمراء إشارة إلى أنها بيت من بيوت بنات الهوى . والطباب : شارات عريضة كانت توضع على واجهات هذه البيوت .

(١٤) عاد الرسول إليه يحمل أنباء هذه الفتاة ، وأخذ يوصيه بما يراه بشأنها .

(١٥) فلا يسدى بها : أى لا يتصل بها ، من أسدى الثوب إذا مد خيوطه ليلاحم بينها وبين الخيوط التي تعترضها ، ومنه السدى (بفتح السين واللام) والحمة (بضم اللام) وهي الخيوط الرأسية والأفقية التي ينسج منها الثوب . هذه هي بداية الوصية .

(١٦) يقول له — استمرارا في وصيته — إن هذه الفتاة ليست مهلة المنال .

(١٧) الصرم : الهجر والقطيعة ، وشحيج الغراب : صوته ، كناية عن الفراق .

(١٨) من هنا يبدأ الأعشى منامرته المأجنة مع الفتاة .

- ١٩ حتى إذا ما استرسلت من شدة ليلها  
 ٢٠ قسمتها قسمين كل (٢) موجه يرمى بها  
 ٢١ فثبتت جيد غريرة ولمست بطن حقاها  
 ٢٢ كالحقة الصفراء صا لك عيرها بملابها  
 ٢٣ وإذا لنا تامورة مرفوعة لشرابها  
 ٢٤ وتظل تجرى بيننا ومقدم يسعى بها  
 ٢٥ هزج عليه الثومنا ن إذا نشأ هذا بها

\* \* \*

(١٩) استرسلت من شدة : أى استسلت بعد حاد ، واسترخت أعصابها بعد أن كانت مشدودة متوترة . والعاب : الملاعبة .

(٢٠) يرسم صورة للهوى بها . وقوله « كل موجه يرمى بها » يريد به أنها كانت مستسلمة له يوجهها أى وجهة يريد بها منها .

(٢١) الحقاب : حزام تعلق به المرأة حليها وتشده في وسطها .

(٢٢) الحقة الصفراء يريد بها حقة الطيب ، وهى صفراء إما لأنها من الذهب ، وإما لأن الطيب صبغها بلونه . وصاك : التصق . والعير والملاب : نوحان من الطيب ، العير أخلط من الطيب ، والملاب هو الزعفران . يشبه هذه الفتاة بحقة الطيب التى اختلطت فيها أنواع من الطيوب المختلفة .

(٢٣) التامورة : أصلها التامورة مهل همزها ليزيد من انسيابية موسيقا البيت ، وهى وعاء تحفظ فيه الخمر لتكون معدة للشراب عند كل طلب .

(٢٤) المقدم : الذى وضع القدم على فمه ، والقدم : قطعة من القماش كان سقاء الخمر القرض يشدونها على أفواههم عند سقى الخمر حرصا منهم على نقائها وعدم تلوثها . يقول إن هذه الجارية تجرى بيننا يا خمر ، ومعها ساق فارسي نظيف يسمى بها .

(٢٥) هزج : أى مغن يترنم بفنائه وهو يطوف عليهم بالشراب . والثومتان : مثني تومة وهى اللوثة أو القرط فيه حبة كبيرة من اللؤلؤ . هنا ينتهى الأعراس من رسم هذه اللوحة الحضارية لمجلس الشراب ، ليبدأ رسم لوحته البدوية للصحراء .

- ٢٦ وَوَدِيقَةٍ شَهْبَاءَ رُدِّ (م) يَ أَكْثَمَهَا بِسَرَابِهَا  
 ٢٧ رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَا شَمْسٌ بِحَرٍّ شَهَابِهَا  
 ٢٨ حَتَّى إِذَا مَا أُوقِدَتْ فَالْجَرُّ مِثْلُ تُرَابِهَا  
 ٢٩ كَلَفَتْ حَانِئَةً أَمُو نَا فِي نَشَاطٍ هَبَابِهَا  
 ٣٠ أَكَلَتْهَا بَعْدَ الْمِرَا ج ، قَالَ مِنْ أَصْلَابِهَا  
 ٣١ فَشَكَتْ إِلَى كَلَالِهَا وَالْجَهْدَ مِنْ إِتْعَابِهَا  
 ٣٢ وَكَأَنَّهَا مَحْمُومٌ خَيْ بَرَّ بَلَّ مِنْ أَوْصَابِهَا

(٢٦) الوديقة : الصحراء الشديدة الحر . والشهباء : المجدية الخالية من النبات . والآكم : الآكام وهي التلال المرتفعة . وردى : ألبس ، يصف السراب كأنه ثياب لبستها آكام الصحراء .  
 (٢٧) ركبت : سكنت وأقامت دون حراك . وشهاب الشمس : يريد به شعلة فارها الساطعة المتقدة . يقول إن الشمس أقامت فوق هذه الصحراء ما كنة لا تتحرك ، وراحت ترميها بشهب من نارها الحامية .

(٢٨) أوقدت : يريد الصحراء التي يشبه بترابها تشبيها مقلوبا الجمر المتوقد .  
 (٢٩) العائسة : الناقة الصلبة القوية القادرة على مشقات الرحلة والسفر . والأمون : المأمونة التي لا يخشى عثارها . والهباب : السرعة .

(٣٠) أكلتها : أتعبها وأرهقتها . والمراح : النشاط والخفة . وآل : يريد آل لجمها أي ذهب من مشقة الرحلة فضمرت . والأصلاب : فقرات الظهر . يقول إنه أرهاق ناقة في رحلته حتى هزلت وضمرت ، وهي صورة تتردد كثيرا في وصف الرحلة في الشعر العربي القديم .

(٣١) الكلال : التعب والإرهاق . والجهد : المشقة . والإتعب : الإرهاق ، مصدر أتعب .  
 (٣٢) خيبر : مدينة في شمالي يثرب . كان اليهود ينزلون بها في العصر الجاهلي ، وكانت معروفة بانتشار الحمى فيها ، ولعلها هي الملاريا ، حتى ضرب بها العرب المثل فقالوا « حتى خيبر » . وبِل : شفى . والأوصاب : الأوجاع .

- ٣٣ لِعَبَّتْ بِهِ الْحَمَى سِنِيهِ      نَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا  
 ٣٤ وَرَدَتْ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْدٍ      مَسْ نَاقَتِي ، وَلِمَا بِهَا  
 ٣٥ فَإِذَا عَيْبِدُ عَكْفُ      مُسَكُّ عَلَى أَنْصَابِهَا  
 ٣٦ وَجَمِيعُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ      يَدٍ بَعْدُ حَوْلَ قَبَائِهَا  
 ٣٧ مِنْ شُرْبِهَا الْمَزَاءَ مَا اسْتَدَّ      تَبَطَّنْتُ مِنْ إِشْرَائِهَا  
 ٣٨ وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَمْدٌ      إِذَا حَسَّهَا وَأَرَى بِهَا

\* \* \*

(٣٣) لعبت به الحمى : أى ظلت تعاوده مرة بعد أخرى وكأنها تلعب به . ولعل فى هذا ما يرجح أنها الملاريا .

(٣٤) قيس بن ثعلبة هم قوم الأعشى ، وسعد بن قيس فرع من فروعها بدلالة قوله « ولما بها » فالضمير فيها يعود على القبيلة . يريد أن هذه الرحلة كانت من أجل العودة إلى قبيلته وما بها من نحر جيدة ، وهى النحر التى سيصرح بها فى نهاية قصيدته . وفى كثير من شعر الأعشى ترتبط الرحلة بطلب النحر والسعى وراءها .

(٣٥) عكف : عاكفون . ومسك : محبسون على خدمتها . والأنصاب : الحجارة المنصوبة أمام بيوت الأصنام لتذبح عليها القرابين . يقول إنهم وثنيون متمسكون بوثنيتهم ، وإنهم حبسوا عبيدهم على خدمة أصنامهم وبيوتها .

(٣٦) الضمير فى « قبائها » يعود على الأنصاب ، ويريد بها بيوت الأصنام . وهو يؤكد هنا مرة أخرى أنهم قوم متمسكون بدينهم .

(٣٧) المزاء : النحر اللذيذة الطعم . واستبطان الأمر : وقف على دخيلته . وإشرايها : أى حبه لها ، من أشرب قلبه حبها إذا تغفل فى شغافه حتى أصبحت كأنها قطعة منه . يقول إنه أدرك سر النحر الخفى الذى جعله يتعلق بشربها من شرب قومه نحرهم اللذيذة . والبيت يشير أيضا إلى جودة نحرهم .

(٣٨) حسها : أحرقها . وأرى بها : أى أرى الناس بها العذاب والهلاك . يقول إن الله ساطع عليها النار لتحرقها ، ولتكون سببا فى عذاب الناس وهلاكهم . والبيت يعكس تعمده وإصراره على شربها ، وكأنه يقول إنه لن يكف عن شربها حتى بعد أن علم سرها ، فهو راض بها وبعذابها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٤ )

## صُورَةٌ مِنْ تَخَرِّيَّاتِهِ

\*\*\*

يتجه الأعشى بهذه القصيدة إلى أحد ممذوحيه من سادات العرب الذين كان ينتجعهم للعطاء ، ولكنه لا يديرها حول المدح ، ولا يمثّل المدح قسماً متميزاً فيها ، وإنما تدور حول الموضوعين اللذين لا يمثّل الأعشى الحديث عنهما : المرأة والخمر . ومن هنا تنقسم القصيدة إلى قسمين أساسيين : غزل في إحدى صاحباته « هند » يشغل اثني عشر بيتاً منها ، يتغنّى فيه بحالها وبجبه لها دون الانحدار إلى سفوح الجنس التي نراه في أكثر شعره دائماً الانحدار إليها . والقسم الثاني حديث عن الخمر ، ووصف لمجلس من مجالسها التي كان مشغولاً بها أيضاً في أكثر شعره ، وهو حديث يشغل من القصيدة عشرة أبيات ، يصل بعدها إلى ممذوحه ليوجه إليه في خمسة أبيات تحية سريعة خاطفة ، ينوّه فيها بعطاياه الكثيرة التي وهبها له ، وبها يختم قصيدته .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — تمتاز بالأناقة اللفظية ، والركة الحضارية ، وسهولة اللغة ، وظهور بعض الألفاظ الفارسية فيها ، وتخل بنغم موسيقى راقص يتلاءم مع جوها العام ، ويحقّق لها بحر الرمل الرقيق الذي اختاره لها ، وحرف النون الساكنة الذي اختاره رويّاً لها ، والذي يشيع في قوافيها رنيناً عالياً يتردد بانتظام في نهاية كلّ بيت من أبياتها ، ليضبط إيقاعها الموسيقي الرنان .

\*\*\*



- ١ خالطَ القلبَ همومٌ وحزنٌ      وادَّكارٌ بعدَ ما كانَ اطمأنَّ
- ٢ فهو مشغوفٌ بهنيدٍ هائمٌ      يرعوى حينًا ، وأحيانًا يمينٌ
- ٣ يلمسُوبٍ طيبٍ أردانها      رخصيةَ الأطرافِ كالرثمِ الأغنِ
- ٤ وهي إن تقعدتَ نقًا من عاجٍ      وإذا قامتَ نيفًا كالشطنِ
- ٥ ينتهي منها الوشاحانِ إلى      جبلةٍ ، وهي بمثنى كالرسنِ
- ٦ خلقتَ هندٌ لقلبي فتنةً      هكذا تعرضُ للناسِ الفتنِ
- ٧ لا أراها في خلاءِ مرةٍ      وهي في ذاكَ حياءٍ لم تُزنِ
- ٨ ثم أرسلتُ إليها أني      معذِرٌ عذري فرديه بأن

(٢) يرعوى : يرجع عن غيه وضلاله .

(٣) الأردن : الأكام . والرخصة : الهبة الناعمة . والرثم : الظبي الخالص البياض . والأغن :

الرخيم الصوت .

(٤) النقا : الكتيب . وعاج : منطقة رملية يتردد ذكرها كثيرا في الشعر القديم ينسبون إليها أجمل الظباء . والنيف : الطويلة المشوقة القوام . والشطن : الحبل . يصف ثقل أردانها ورشاقة نخصرها ، فهي إن تقعدت تراءت كأنها كتيب من الرمال الناعمة ، وإذا قامت تراءت كأنها حبل مقنول .

(٥) الجبلة : نوع من الحل يعلق في القلائد . والمثنى : الظهر . والرسن : الحبل . يصف رشاقة نخصرها ، واعتدال قوامها ، وحرصها على أناقتها وزينتها .

(٧) قوله « لا أراها في خلاءِ مرة » يريد به أنها تنأى بنفسها عن مواطن الريب والشبهات . ولم تزن : أى لم تنهم بأى ريبة أو شبهة . صورة غير مألوفة في غزل الأعشى الذى يشبع فيه عادة جو صريح مكشوف من الخلاعة والمجون والتهتك .

(٨) قوله « معذِرٌ عذري » يعنى أنه مقدم عذره إليها لتصفح عنه . والضمير فى « رديه » يعود على الرسول الذى يشير إليه في الشطر الأول ، أو على كلمة « عذرى » ، أى أقبل عذرى ورديه إلى الموافقة . وقوله « بأن » اختصار لما يريد منها ، أى رديه بأن توافق على زيارتك ، وتصلى ما انقطع بيننا من أسباب المودة .

- ٩ وَبَدَرْتُ الْقَوْلَ أَنْ حَيَّتْهَا      ثُمَّ أَنْشَأْتُ أَفْدَى وَأَهَنَّ  
١٠ وَأَرْجِيهَا وَأَخْشَى ذُعَرَهَا      مِثْلَ مَا يَقْعَلُ بِالْقَوْدِ السَّنَنَ  
١١ رَبِّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا      بَعْطَايَا لَمْ تُكَدِّرْهَا الْمِنَنَ  
١٢ أَنْتِ، سَلَمَى، هَمُّ نَفْسِي فَاذْكُرِي      سَلَمَ، لَا يُوجَدُ لِلنَفْسِ ثَمَنَ

\* \* \*

- ١٣ وَعَلَالٍ وَظِلَالٍ بَارِدٍ      وَقِيلِيجِ الْمِسْكِ وَالشَّاهِسْفَرْنَ  
١٤ وَطِلَاءٍ خُسْرَوَانِي إِذَا      ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغْنَى وَارْبَحْنَ  
١٥ وَطَنَابِيرٍ حَسَانٍ صَوْتُهَا      عِنْدَ صَنْجٍ كَلِمَا مُسَّ أَرْقَ  
١٦ وَإِذَا الْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ      عَزَفَ الصَّنْجُ فَنَادَى صَوْتَوْنَ

(٩) أفدى : أى أقول لها إننى فداؤك . وأهن : أصلها « أهنى » وصل همزها ، أى أئمنى لها حياة هنيئة ناعمة . ويحتمل أن تكون « أهن » (بفتح الهزة وكسر الهاء) بمعنى أبكى ، من هن يهن (على وزن هن يحن) إذا حن وبكى .

(١٠) القود : الخيل . والسَّنَن هنا يريد به حسن رعاية الخيل وسياساتها . يقول إنه أخذ يرضاها فى رفق وحذر وسياسة حتى لا يثير خوفها منه ، كما يفعل الفارس بفرسه حتى لا تنفر منه .

(١١) سلمى هنا هى هند التى يذكرها فى بداية القصيدة . وتعدد أسماء المحبوبات فى الشعر العربى القديم ظاهرة مألوفة ، فكلهن حواء . وسلم فى الشطر الثانى ترخيم لسلمى .

(١٢) العللى : جمع علىة وهى الغرفة العالية يفضلونها لشرابهم لطيب هوائها . والقيليج : المفتت . والشاهسفرن : الريحان ، كلمة فارسية . يبدأ الأعشى من هنا القسم الثانى من قصيدته فى وصف مجلس من مجالس الشراب ، ويذكر هنا أن هذا المجلس كان فى غرفة عالية ظليلة تنتشر فيها الزهور والعطور .

(١٤) الطلاء : الخمر . والخسروانى : نسبة إلى خسرو أنوشروان أحد ملوك الفرس . واربحن : اهتز وتمايل .

(١٥) الطنابير : جمع طنبور وهو آلة موسيقية تشبه العود أو الجيتار . والصنج : « الصاجات » . وأرن : أحدث ريتنا موسيقيا .

(١٦) المسمع : المفسى . وأفنى صوته : انتهى من غناؤه . والون : آلة موسيقية تشبه الصنج .

- ١٧ وإذا ما غُضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللَّحْنُ غَنَّا مُغَرِّشٌ  
١٨ وإذا الدُّنُّ شَرِبْنَا صَفْوَهْ أَمْرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهْ بِسَدَنِّ  
١٩ بِمَتَالَيْفِ أَهَانُوا مَا لَمْ لَغْنَاءِ وَلِلْعَبِ وَأَذَنِّ  
٢٠ فَتَرَى إِبْرِيْقَهُمْ مُسْتَرْعِفَا بِشُمُولِ صِفْقَتِ مِنْ مَاءِ شَنِّ  
٢١ غُدْوَهْ حَتَّى يَمِيلُوا أَصْلًا مَثَلًا يَمِيلُ بِأَصْحَابِ الْوَمَنِّ  
٢٢ ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطْفِ الْمَشَى قَلِيلَاتِ الْحَزَنِّ

\*\*\*

- (١٧) غَض : أى خفض . والضفير في صوتيهما يعود على الصنج والون . وأطاع اللحن : أى سمح اللحن الموسيقى بغناء المغنى .  
(١٨) الدن : زق الخمر العظيم . وصفوه : نحره الصافية . وعمرو : هو الساق الذى كان يقدم لهم الشراب . ودن الثانية : الصوت الذى لا يفهم كالدندة ، يريد بها هممة السكارى حين تعقد الخمر الستهم .  
(١٩) المتاليف : جمع متلاف وهو الكريم الذى يتلف ماله . وأهانوا ما لهم : أففقوه ولم يحافظوا عليه . والأذن : السماع .  
(٢٠) مسترعفا : أى دفاقا بالخمر . والشبول : الخمر الباردة . وتصفيق الخمر : مزجها بالماء . والشن : القرية البالية لكثرة استعمالها فهى ترشح فيبرد ماؤها .  
(٢١) غُدوة : أى صباحا . والأصل : جمع أصيل . والوسن : النوم الخفيف . يقول إنهم ظلوا فى شراب وغناء وموسيقا من الصباح حتى الأصيل .  
(٢٢) القطف : جمع قطوف وهى المرأة التى تقارب من خطواتها ، وهى صفة محمودة كان العرب يحبونها من النساء . والحزن : الحزن ، يريد أنهن مرحات ينثرن البهجة من حولهن . يقول إنهم مع دخول المساء بدأوا لونا آخر من ألوان لهُم ، ففصروا إلى هؤلاء النساء الجميلات يقضون الليل معهن . وبهذا ينتهى القسم الثانى من القصيدة .

- ٢٣ عَدَّ هَذَا فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ      وَادْكُرَنَّ فِي الشَّعْرِ دِهْقَانَ الْيَمَنِ  
 ٢٤ بِأَبِي الْأَشْعَثِ قَيْسٍ ، إِنَّهُ      يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِمَنْفُوسِ الثَّمَنِ  
 ٢٥ جُتُّهُ يَوْمًا فَأَذْنَى مَجْلِسَى      وَحَبَانِي يَلْجُوجُ فِي السَّنَنِ  
 ٢٦ وَمَمَانِينَ عِشَارٍ ، كُلُّهَا      أَرِكَاتُ فِي بَرِيمٍ وَحَضَنَ  
 ٢٧ وَغَلَامٍ قَائِمٍ ذِي عَدْوَةٍ      وَذُلُولٍ جَسْرَةٍ مِثْلِ الْفَدَنِ

\* \* \*

(٢٣) عد هذا : أى اترك هذا الحديث إلى حديث غيره ، وهو أسلوب من أساليب الانتقال في القصيدة الجاهلية من موضوع إلى موضوع . والدهقان : رئيس الإقليم ، كلمة فارسية ، ويريد به قيس بن معد يكرب الذى يبدأ من هنا مدحه ، والذى يصرح باسمه في البيت التالى .

(٢٤) منفوس الثمن : أى الثمن الغالى النفيس الذى يحسده الناس عليه .

(٢٥) الجوج : القوس التى تلج في سيرها أى تسرع . والسنن : الطريق .

(٢٦) العشار : النوق الخوامل . والآركات : التى ترمى شجر الأراك . وبريم وحضن : موضعان في بلاد اليمن .

(٢٧) « وغلाम قائم ذى عدوة » يريد غلاما قائما على خدمته ، وهنا لإشارته ، لا يتأخر عن تلبية مطالبه ، بل يعدر لها عدوا . والذلول : الناقة الطيعة يعتمدون عليها في أسفارهم ورحلاتهم . والجسرة : الجريئة على السير في الصحراء . والفدن : القصر ، يريد أنها ضخمة قوية البنية موثقة الخلق .

\* \* \*

يوسف خليل

( ٥ )

## نَصْرُ ذِي قَارِ

\* \* \*

يفتخر الأعشى في هذه القصيدة بالنصر الذي أحرزته قبيلته « بكر » على الفرس  
ومن شايهم من القبائل العربية في يوم ذي قار . وهي تبدأ بمقدمة تبدو غريبة  
بين المقدمات المألوفة في الشعر الجاهلي ، فهي مزيج غير متوازن من حديث سريع  
لا حرارة فيه ولا عاطفة عن رحيل هُريرة ووداعها ، ثم انتقال مفاجئ إلى حديث  
آخر لا صلة له بهريرة ، يدور حول وصية لأبيه يوصي فيها بنيه بأكرام الضيف  
وحقوق الجار وقاتل الفرس . ثم ينتقل بعد ذلك إلى نصر ذي قار ، فيفتخر به ،  
ويرسم صورة مُنصِّفة للعركة التي انتصرت فيها قبيلته ، ويأسف لتخاذل القبائل  
العربية الأخرى عن الاشتراك معها في القتال ، ويعلن أنها لو وقفت إلى جانبها  
لأحرز العربُ نصراً مؤزراً حاسماً على الفرس ، ولكنها — مع ذلك — استطاعت  
وحدها أن تسجل — لأول مرة في التاريخ — نصراً عربياً على الدولة الفارسية .

\* \* \*

- ١ كانت وصاةٌ وحاجاتٌ لنا كَفَفُ لو أنَّ صَحبَكَ إذ ناديتُهُمْ وَقَفُوا
- ٢ على هُريرةٍ إذ قامتْ تُودِّعُنَا وقد أتى من إطارِ دُونِهَا شَرَفُ

---

(١) كانت هنا تامة لا تعمل عمل كان الناقصة . والكفف : الكفاف وهو ما أغناك عن  
الناس وكففك عنهم . كأنه يقول لم يعد لي في الحياة ما أحرص عليه إلا هذه الوصية التي أوصاني بها  
أبي ، وإلا هذه المطالب اليسيرة التي أَسعى وراءها في الحياة لتغني عن الناس .

(٢) على هُريرة : متعلق بوقفوا في البيت السابق . والشرف هنا المرتفع من الأرض . وإطار  
الشيء : كل ما يحيط به . يقول إن هُريرة رحلت ، وحال بيني وبينها على اتساع المنطقة التي تشق  
طريقها فيها مرتفع من الأرض حجبا عني .



- ٣ أَحْبِبْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ      وَقَدْ تُزِيلُ الْحَبِيبَ النِّيَّةُ الْقَذْفُ  
٤ إِنْ الْأَعَزُّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا :      أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ ، إِنْ تَلَفُ  
٥ الضَّيْفَ ، أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ ، إِنَّ لَهُ      حَقًّا عَلَى فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ  
٦ وَالْجَارَ ، أَوْصِيكُمْ بِالْجَارِ ، إِنَّ لَهُ      يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَنْثِيهِ فَيَنْصَرِفُ  
٧ وَقَاتِلُوا الْقَوْمَ ، إِنْ الْقَتْلَ مَكْرَمَةٌ      إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ الْمُعْصِمِ الْعُرْفُ

\* \* \*

- ٨ إِنْ الرَّبَابُ وَحِيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ      مِنْهُمْ بَقِيرٌ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلَفُ  
٩ قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا      كُلُّ يَوْمٍ لَقْنِيَانًا وَيَطْرِفُ

(٣) الخلة : الصديقة المحبوبة . والنية : النوى والبعد . والقذف : البعيدة التي تقذف بصاحبها

إلى مكان بعيد .

(٤) تلف : هالك . يقول إنها وصية أوصاهم بها حين أحس اقتراب أجله .

(٥) أعترف : أى أعترف به ولا أنكره ... هذه هي الوصية الأولى .

(٦) ينثيه فنصرف : أى يدفعه إلى الانتقال إلى منزل آخر ... وهذه هي الوصية الثانية .

(٧) العرف : حرف القوس . والمعصم : الذى يمسك به خوفا من سقوطه عن ظهره لشدة عدوه .

والقوم هنا يريد بهم — كما يدل سياق القصيدة — القوس الذين كانوا يفرضون نفوذهم على هذه

المنطقة الشرقية من جزيرة العرب . والبيت يعكس مشاعر الضيق بهذا النفوذ الأجنبي الذى كان كل

جبل يورثه للجبل الذى يأتى بعده حتى يتم تحرير المنطقة العربية منه ... وهذه هي الوصية الثالثة .

(٨) الرباب وبنو أسد من القبائل العربية التى انضمت إلى الجيش الفارسي تحارب معه . والبقيـر :

القنيل الذى بقر بطنه . والسارب : الهارب . والسلف : الذاهب دلى وجهه فرارا من المعركة .

(٩) القنيان : ما يقتنيه المرء ويجمعه ، يريد به الغنائم . ويـطـرف : يصبب ما هو طريف من غنائم

المعركة .

- ١٠ قلنا: الصِّلَاحُ، فقالوا: لأنصَحَ الحَكَمَ      أهل النبوكِ وعيرِ فوقها الحَصَفُ  
١١. لَمَسْنَا عِيرَ — وَبَيْتَ اللَّهِ — مَائِرَةً      إلا عليها دروعُ القومِ والزَّغَفُ  
١٢. لَمَّا التَقِينَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا      لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرَفُوا  
١٣. قَالُوا: الْبَقِيَّةُ، وَالْهِنْدِيُّ يَحْصِدُهُمْ      ولا بقيةَ إلا السيفُ فانكشَفُوا  
١٤. هَلْ سَرَّ حَنْقِطَ أَنْ الْقَوْمَ صَالِحَهُمْ      أبو شَرِيحٍ ولم يُوجَدْ له خَلْفٌ ؟  
١٥. قَدْ آبَ جَارَتَهَا الْحَسَنَاءَ قِيَمُهَا      رَكْضًا، وآبَ إِلَيْهَا الشُّكْلُ وَالتَّلْفُ

\* \* \*

- (١٠) الصِّلَاحُ : الصِّلَاحُ . والنَّبوكُ : النِّلالُ الصَّغِيرَةُ ، مفردُها تَبْكَةٌ بِتَحْرِيكِ الْبَاءِ وَسُكُونِهَا .  
والعِيرُ : الإِبلُ الَّتِي تَسْتَعْدَمُ فِي التِّجَارَةِ . وَالْحَصَفُ : جَمْعُ خَصْفَةٍ وَهِيَ قَفَّةٌ تَعْمَلُ مِنَ الْخُوصِ لَوْضَعِ النَّمْرِ  
فِيهَا . يَقُولُ إِنَّهُمْ عَرَضُوا عَلَيْهِمُ الصِّلَاحَ فَرَفَضُوا ، وَيَعْرِضُهُمْ بَأَنَّهُمْ سَكَانٌ وَهَادٍ مُنْخَفِضَةٌ وَتِجَارَةٌ .  
(١١) الْمَائِرَةُ : الَّتِي تَتَحَرَّكُ فِي سَهْوَةٍ وَلِينٍ . وَالزَّغَفُ : الدَّرْعُ الْمُحْكَمَةُ السَّلَاسِلُ . يَقُولُ لَهُمْ  
مُؤَكِّدًا قَوْلَهُ بِالْقِسْمِ بِالْكُفَّةِ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ إِبِلٍ أَعَدَّتْ لِلتِّجَارَةِ وَحَمَلِ الْبَضَائِعِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَصْحَابُ إِبِلٍ  
أَعَدَّتْ لِلْحَرْبِ وَحَمَلِ السِّلَاحِ .  
(١٢) يَبْدَأُ مِنْ هُنَا وَصِفِ الْمَعْرَكَةَ ، فَيَقُولُ إِنَّهُمْ كَشَفُوا عَنْ رُؤُوسِهِمْ لِيَعْرِفَ الْعَدُوُّ أَنَّهُمْ قَبِيلَةُ  
بَكْرٍ أَبْنَاءَ عَمُومَتِهِمْ وَجِيرَانِهِمْ فِي الْمَنْطِقَةِ ، وَلِيَعْرِفُوا أَنَّهُمْ عَرَبٌ مِثْلَهُمْ فَيَرْجِعُوا عَنْ قِتَالِهِمْ .  
(١٣) قَالُوا الْبَقِيَّةُ : أَيُّ تَوَسَّلُوا إِلَيْنَا أَنْ نَبْقَى عَلَيْهِمْ وَلَا نَسْتَأْصِلَهُمْ . وَالْهِنْدِيُّ : السِّيفُ . وَمَعْنَى  
الشُّطْرَانِ الثَّانِي أَنَّنَا لَمْ نَسْتَمِعْ إِلَى تَوَسُّلِهِمْ ، وَاسْتَمَرَّتْ سَبْيُونَا تَحْصِدُهُمْ حَتَّى تَمَّتْ هَزِيمَتُهُمْ وَانْكَشَفَتْ  
صَفُوفُهُمْ .  
(١٤) أَبُو شَرِيحٍ : سَيِّدٌ مِنْ سَادَةِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحَارِبُ مَعَ الْفَرَسِ . وَحَنْقِطُ :  
زَوْجَتُهُ . وَالْقَوْمُ هُنَا الْفَرَسُ . يَتَسَاءَلُ فِي مَخْرَجِهِ : هَلْ سَرَّ زَوْجَةُ هَذَا السَّيِّدِ انْضِمَامَهُ إِلَى الْفَرَسِ بَعْدَ أَنْ  
لَقِيَ مَصْرَعَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ وَلَمْ يَخْلَفْ مِنْ بَعْدِهِ خَلْقًا لَهُ ؟  
(١٥) الْقِيَمُ : الزَّوْجُ . وَجَارَتُهَا مُنْصَوْبٌ عَلَى نَزْعِ الْخَاضِ . أَيُّ آبَ زَوْجِ هَذِهِ الْجَارَةِ إِلَيْهَا وَهُوَ  
يَعْدُو فِرَارًا مِنَ الْمَعْرَكَةِ ، أَمَا حَنْقِطُ فَقَدْ آبَ إِلَيْهَا الشُّكْلَ وَالتَّلْفَ . وَهَذَا يَنْتَهَى الْأَعْشَى مِنْ وَصْفِ  
الْمَعْرَكَةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ قَوْمِهِ وَالْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُوَالِيَةِ لِلْفَرَسِ ، لِيَنْتَقِلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى وَصْفِ الْمَعْرَكَةِ الْفَاصِلَةِ  
مَعَ الْجَيْشِ الْفَارِسِيِّ .

- ١٦ وَجُنْدُ كَسْرَى غَدَاةَ الْحِنُو صَبَحَهُمْ      مَنَاغِطَارِيفُ تُرْجِي الْمَوْتَ فَاَنْصَرَفُوا  
 ١٧ بَحْجَاجُ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ      مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ  
 ١٨ إِذَا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ      مَنَا بَيْبِضٍ فَظَلَّ الْهَامُ يُخْتَطِفُ  
 ١٩ وَخَيْلُ بَكْرِ فَمَا تَنْفَكُ تَطْحَنُهُمْ      حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ  
 ٢٠ لَقُوا مَلَمَلَةً شَهْبَاءَ يَفْدُمُهَا      لَلْمَوْتِ لَا عَاجِزُ فِيهَا وَلَا خَرِفُ  
 ٢١ فِيهَا فَوَارِسُ مَجْمُودٍ لِقَاؤُهُمْ      مِثْلُ الْأَسْنَةِ لَا مِيلُ وَلَا كُشْفُ

(١٦) الحنوق أصل معناه القنوق منحنى الوادى ، ويريد به هنا حنوذى قار الذى دارت فيه رعى المركة . والفطارييف : السادة ، جمع غطريف .

(١٧) البَحْجَاجُ : السادة ، جمع بحجج وبعججاج . والفطارفة : جمع آخر لفطريف . والنطف : اللالى . ، جمع نطفة ، يصف القرس بأنهم كانوا يلبسون أفراطا من اللؤلؤ .

(١٨) النشَاب : النبال ، والبيض : السيوف . والهَامُ : الرؤوس . وفى رواية أخرى « يختطف » . يصف حركة القتال ، فالفرس يمتدون على النبال يرمون بها من بعيد ، والمرب يقدمون عليهم بسيوفهم التى تختطف رؤوسهم وتقطعها .

(١٩) تطحنهم : تدومهم وتدنق عظامهم وتمزق أجسادهم ، كأنها رعى دائرة لا تنفك تطحنهم طحنا .

(٢٠) الململة : الكتيبة التى صفت صفوها متراصة متماسكة . والشهباء : التى يختلط فيها البياض بالسواد ، بياض السيوف بسواد الرماح . والخرف : الضعيف العقل ، الفاسد الرأى . يصف الكتيبة العربية — كتيبة قومه — وقائدها ، فهى كتيبة ضخمة تامة السلاح يتقدمها قائد شجاع شديد الرأى قادر على إدارة المعركة بشجاعته وحكمته ودقة تخطيطه لها .

(٢١) الميل : جمع أميل وهو من لا يستطيع أن يثبت على ظهر جواده لقلة خبرته بالفروسية ، أو هو المجرد من أسلحة الهجوم . والكشف : جمع أكشف وهو المجرد من أسلحة الدفاع . يصف فرسان قومه بأنهم فرسان يجيدون الفروسية ، مسلحون تسليحا كاملا ، وأنهم قادرون على حسم المعركة كالأسنة الحادة المسنونة .

٢٢ بِيَضُ الوجوهِ فداةِ الرُّوعِ تَحْسَبُهُمْ      جِنَّانَ عَيْنٍ عليها البَيَضُ والزَّغْفُ  
٢٣ لو أن كلَّ معدٍّ كان شارِكنا      في يوم ذى قارَما أخطاهمُ الشَّرَفُ

\* \* \*

(٢٢) بيض الوجوه : كناية عن كرم الأصل ، ودلالة على أن وجوههم لا تتغير عندما تشتد المعركة ويستخدم القتال . والروع : القزع ، يريد الحرب . والجنان : الجن ، جمع جان . والعين : عين الماء ، وكان العرب يعتقدون أن الجن تخرج أحيانا من عيون الماء . والبيض : جمع بهضة وهي خوضة المقاتل . والزغف : الدروع المحكمة السلاسل .

(٢٣) كل معدٍّ : أى كل القبائل العربية ، ومعد هو معد بن عدنان أبو العرب الشماليين . يأسف على تخاذل بعض القبائل العربية عن الوقوف مع قبيلته في هذه الحرب ، ولو أنهم كانوا شاركوهم القتال في هذا اليوم الحاسم لنالوا شرفا كبيرا في معركة الكرامة والحرية وتحرير الأرض العربية من النفوذ الأجنبي .

\* \* \*

يوسف خليف

## أمية بن أبي الصلت

\* \* \*

وُلِدَ أميةُ بن أبي الصلت في بيت يجمع بين العز والشرف ، ويتميز بحب الأدب والشعر . وكان أبوه أبو الصلت بن أبي ربيعة سيدا في قومه ، وأمه هي رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وهي من شريفات قريش . ويقال إن أباه كان شاعرا يُنسب إليه شيء مما يُنسب إلى أمية نفسه .

ولكننا لا نعلم متى ولد ، ولا كيف نشأ وتدرج ، كما أننا لا نعلم علم اليقين متى وكيف مات ، ولا سيما أن كتب الأدب والتاريخ على خلاف في خبر وفاته . ولكن يمكن أن نستنبط بعض الحقائق عن حياته من شعره . ذلك أن أول ما نلاحظه في شعره ، أن ثمة اختلافا شاسعا بين شعره في شبابه وشعره عندما بلغ الكهولة والشيخوخة . ففي الشباب نرى في شعره زينب ولبيدني ، كما يزخر بالاندفاع والفخر والتبجح أحيانا ، أما في سني الكهولة والشيخوخة فيعجنح شعره إلى وداعة الروح ، وروحانية المتعبد المتوحد ، ووصف ما وراء الطبيعة المادية الملموسة .

ولا بد أن يكون أمية قد عانى كثيرا من التدرج في مراحل حياته وتجاربه وثقافته حتى بلغ هذا الحد من الحكمة والتصوف . وهذا يدل على أنه كان من المعمرين . كذلك فإن كتاب الأدب والسيرة والتاريخ قد أجمعوا على أنه كان يطمح إلى النبوة التي لا يُحتمل أن يطمع فيها شاب يريد أن ينهل من متع الحياة



أولا . وكان انتظار أمية للنبوة وطعمه فيها قد شاع قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بفترة وجيزة .

ولم يتفق الرواة على سنة وفاته ، لكنها تراوحت بين السنة الثانية للهجرة في أعقاب غزوة بدر وبين السنة الثامنة أو التاسعة . ولكن قد نجد في غياب أمية عن وصف أحداث الجزيرة منذ معركة بدر في السنة الثانية دليلا على أنه لم يعيش إلى ما بعد هذه السنة التي قال فيها قصيدته في رثاء قتلى قريش في هذه المعركة . وعلى هذا الأساس يمكن تقدير ميلاده بين سنة ٥٣٤ وسنة ٥٤٤ م ووفاته حوالى ٦٢٤ م ، أى أن عمره تراوح بين ثمانين وتسعين سنة .

\* \* \*

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن نشأته وشبابه ، فإن شعره ينم عن شباب قتي لم يكن ماجنا ، كالذى نراه عند طرفة بن العبد وامرئ القيس مثلا ، ومع ذلك فهو يقاسى من مكابدة شوقه وهواه بليلى وديار ليلى ثم زينب ولبنى . ولسنا متأكدين إذا كانت هذه الأسماء أو هذه الشخصيات حقيقية ، لكنها تم — في حقيقة أمرها — عن أثر ضئيل لمجون الشباب ، نتيجة لتعففه منذ أن كان حداثا صغيرا . وكان شعره في شبابه مزيجا من الغزل والمدح والاندفاع والفخر ، ثم الحكمة والتصوف في كهولته وشيخوخته . بل إنه لبس المسوح وتعبّد ، وصَدَفَ عما كان في عصره من عادات جاهلية كالأوثان والخمر ، وطلب الدين ودارس أهل الكتاب لدرجة أنه طمع في النبوة .

أما عن حياته العملية فقد اشتهر بين الباحثين المحدثين بأنه ذلك التاجر الذى يعمل بين الشام واليمن . وهذا تناقض عجيب بين حياة التجارة بكل مهارتها وماديتها البهتة وبين الشعر الذى نجمده فيه رجلا يهيم بخياله بين الأنبياء والملائكة ،

وتجيش خواطره بأنباء من خلا من الأمم . ولعل هذا التناقض يفسر لنا عدم نجاحه في التجارة بدليل أنه لم يكن واسع انشاء ، ولو كان ثريا فعلا لما أقدم على المديح في شعره ، ولما سعى إلى التكسب عن هذا السبيل وإراقة ماء وجهه .

أما عن عقيدته فكان ينتمى إلى من أسموا « بالحنفاء » الذين تركوا مفاصد الجاهلية قبيل الاسلام ، ونبذوا عبادة الأصنام ، واتجهوا إلى التوحيد الخالص ، وبحثوا عن دين إبراهيم . كذلك اتصل بثقافة الأديان التي كانت تحيط به ، وإن كانت جميع الروايات قد أجمعت على عدم إسلامه بعد بزوغ فجر الإسلام ، وهو ما هبط بقيمته عند الرواة .

\* \* \*

لكن شعر أمية لا تكاد قصيدة من قصائده الدينية تخلو من معاني التوحيد ، أو ذكر الحساب والقيامة ، أو ذكر الأنبياء والرحل . ثم إن شعره يكاد ينحصر بمناظر الطبيعة ، وما فيها من مخلوقات تدل على حكمة الله وقدرته ، ففي السماء يرى الشمس والقمر ، والأفلاك والنجوم ، وفي الأرض يرى الحرث والنبات ، والعيون والأنهار ، والطير والحيوان ، بالإضافة إلى صور كثيرة ومتابعة لما وراء الطبيعة . ولكن المشكلة الكبرى في شعر أمية أن أكثر شعره الديني متهم بالوضع والانتحال بصورة جعلت كثيرا من الباحثين يشكون فيه كله . ولكن ليس من الطبيعي أن نرفضه كله ، وبخاصة لأن شهرة أمية إنما قامت أولا وأخيرا على هذه النزعة الدينية في حياته وفي شعره على السواء .

وكانت شخصيته متقلبة حائرة بين واقعته ونفسه . لكن شخصيته بكل ما فيها من عبقرية وشاعرية كانت نتاجا لعناصر متعددة عملت على تكوينها وبلورتها . وفي مقدمة هذه العناصر بيئة أمية ، وما أحيط به من بيت شاعري ، ثم ما حظي

به من ثقافة ، وما قام به من رحلات داخل الجزيرة وخارجها ، ثم ما كان من أحداث تولدت عنها نهضة فكرية واجتماعية قبل الإسلام . وقد تركت الطائف التي عاش فيها بصمات واضحة في شعره ، وهي المدينة الجميلة التي تشبه الفردوس الأرضي . وكان أمية قد فُطر على التأمل فيما حوله من عجائب الطبيعة ، ومن هنا كان تفاعل عبقرية الشاعر بعبقرية المكان .

\* \* \*

وهناك أخبار كثيرة حول وفاة أمية ، وكلها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع ، ولذلك فنحن لا نسلم بها على علانها ، فقد كانت نتيجة طبيعية لشخصية هذا المتأله الجاهل المحير المتقلب الذي جعل منه الرواة بطلا من أبطال الأساطير .

\* \* \*

نبيل راغب

( ١ )

## الطوفان

\* \* \*

في هذه القصيدة يقدم أمية بن أبي الصلت صورة فنية رائعة تجسد قصة  
نوح والطوفان :

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | بَجَزَى اللهُ الأَجَلَ المَرَّةَ نُوحًا  | جَرَاءَ البِرِّ لَيْسَ لَهُ كِذَابُ        |
| ٢ | بِمَا حَمَلَتْ سَفِينَتُهُ وَأَنْجَحَتْ  | غَدَاةَ أَتَاهُمُ المَوْتُ القُلَابُ       |
| ٣ | وَفِيهَا مِنْ أَرْوَمَةِ عُرَاةٍ         | لَدَيْهِ ، لَا الظَّمَاءُ وَلَا السَّغَابُ |
| ٤ | وَإِذْ هُمْ لَا لَبَوسَ لَهُمْ يَقِيهِمْ | وَإِذْ صَخْرُ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابُ    |
| ٥ | عَشِيَّةَ أُرْسِلَ الطُّوفَانُ تَجْرِي   | وَفَاضَ المَاءُ لَيْسَ لَهُ حِرَابُ        |
| ٦ | عَلَى أَمْوَاجٍ أَخْضَرَ ذِي حَبِيكَ     | كَأَنَّ سَعَارَ زَانِحِهِ الهِضَابُ        |

(١) الكذاب : مصدر كالكذب .

(٢) القلاب : داء يصيب قلب البعير فيموت من يومه ، وهو هنا : الموت الأكيد المحقق .

(٣) الأرومة ، الأصل . والسقاب : الجيعان . وقوله « لا الظماء ولا السقاب » حذف الخبر ، فكأنه قال : لا الظماء ولا السقاب بحاجة إلى وصف حالهم لأنه معروف متوقع .

(٤) اللبوس : الثياب . السلام : المجارة ، المفرد سلمة (بفتح فكسر) ، والعرب تزمم أن المجارة كانت رطبة لينة في قديم الزمن .

(٥) الحراب : جوف البئر من أعلاها إلى أسفلها . يريد أن الماء لم تكن له حدود يحده لكثرتة واتساعه . وقوله « تجرى » يريد السفينة المفهومة من السياق .

(٦) الحبيك : مفردا حبيكة ، وهي ما يرى على الماء من طرائق إذا مرت به الريح . والسعار : في الأصل حر النار ، ثم استعاره لشدة الموج .

- ٧ بَايَةَ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ      وَخَانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الْغُرَابُ  
٨ وَأُرْسِلَتِ الْحَمَامَةُ بَعْدَ مَسِيرٍ      تَدِلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ  
٩ تَلْمَسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا      وَغَايَتُهَا مِنَ الْمَاءِ الْعُيُوبُ  
١٠ بِخَائَتٍ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ      عَلَيْهِ النَّشَاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ  
١١ فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا      لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ  
١٢ إِذَا مَاتَتْ تُورَثُهُ بَنِيهَا      وَإِنْ تُقْتَلْ فَلَيْسَ لَهَا اسْتِغْلَابُ  
١٣ كَذِي الْأَفْنَى تَرَبَّيْتُهَا لَدِيهِ      وَذِي الْجَنَى أَرْسَلَهَا تُسَابُ

(٧) الآية : العلامة . ويقول الجاحظ : « في كثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنهما شربا الخمر عند الخمار ، ولم يعطياه شيئا ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شربا ، ورهن الديك ، فخاص به ، فبقي محبوسا » . ومعنى خاص فدر .

(٨) تدل على المهالك : أى تنجراً عليها . وفي رواية أخرى « تزل » أى تنزلق .

(٩) عباب الماء : أوله ومعظمه ، والمعنى أنها إذا بلغت أول الماء بلغت بذلك الشاطئ واليابسة وهو ما تبحث عنه . وتلمس الشيء وتلمسه : طلبه . والعين هنا : الناحية ، وأراد بها ناحية لا ماء فيها .

(١٠) ركض الطائر : أسرع في طيرانه ، والقطف : ما قطف من ثمار وسواها . والنشاط : الطين الأسود المنين . والكباب : الطين اللازب .

(١١) فرسوا الآيات : تثبتوا منها وتأنوا كدوا . والسخاب : الفلادة .

(١٢) الاستلاب : الاختلاس .

(١٣) ذو الأفنى : لعله يريد به آدم عليه السلام . وتربيا : رباها . والأفنى : الحية التى كلم إبليس آدم من جوفها . وذو الجنى : إبليس . وسابت الحية وأنساب : جرت ، وأراد بذلك زحفها على الأرض . يشير إلى أسطورة الحية التى مسخت على صورتها بعد أن كانت فى هيئة الجمل عقابا لها على استجابتها لإبليس .



- ١٤ فلاربُ المنية يَأْمَنُهَا      ولا الجَنِّي أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ  
١٥ بِإِذْنِ اللَّهِ فَاشْتَدَّتْ قُوَاهُمْ      عَلَى مَلَكَائِنَ وَهِيَ لَهُمْ وَثَابُ  
١٦ وَفِيهَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ      مَلَائِكُ ذُلُّوا وَهُمْ صِعَابُ

\* \* \*

(١٥) الرثاب : الفراش ، وهي هنا المقامد ، يعني أن السماء مقامد لللائكة .

\* \* \*

نبيل راغب

( ٢ )

## صُورٌ مِنَ الْقَصَصِ الدِّينِيِّ

\* \* \*

في هذه القصيدة يقدم أمية بن أبي الصلت مفهومه للخلق ممزوجا بطائفة من القصص الديني كقصة فرعون وقصة ثمود ، ويبدو أن القصيدة كانت في الأصل طويلة ، وضاعت ، ولم تصل إلينا منها إلا هذه القطع المتفرقة .  
المجد لله :

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | تَجَدُّوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْجَدِّ أَهْلٌ     | رُبُّنا فِي السَّماءِ أَمْسَى قَدِيرًا |
| ٢ | ذَلِكَ الْمُنْشَى الْجَمَّارَةُ وَالْمَوْ     | تَى وَأَحْيَاهُمْ وَكَانَ قَدِيرًا     |
| ٣ | بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا | سَ وَسَوَى فَوْقَ السَّماءِ سِرِيرًا   |
| ٤ | شَرَجَعًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعِي         | نِ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةُ صُورًا |
| ٥ | هُوَ أَبَدَى مِنْ كُلِّ مَا يَأْثُرُ النَّا   | سُ أَمَائِلَ بِأَقْيَاتٍ سُفُورًا      |
| ٦ | خَلَقَ النَّخْلَ مُضْعِدَاتٍ تَرَاهَا         | تَقْصِفُ الْيَابِسَاتِ وَالْيَخْضُورًا |

- (١) المجد هنا : الثناء والتعظيم ، ومجده : عظمه وأثنى عليه .  
(٢) المنشى : الخالق أو الباعث . وأحياهم : الضمير للوقى . والمعنى إما أنه أحياهم قبل موتهم ، وإما أنه سيحييهم بعد موتهم ، وبذلك يكون قد هب بالماضى من المستقبل .  
(٣) البناء الأعلى : السماء . وسبق الناس : تقدمهم فلم يستطيعوا بناء ما يجاريه ارتفاعا ، والسرير : العرش ، يريد عرش الله .  
(٤) الشرجع : العالى المنيف ، يريد سرير العرش . والصور ، مفردا أصورا ، وهو المائل العتق .  
(٥) أثر الحديث يأثره ( بضم الناء وكسر ها ) : نقله وحدث به . والأمائيل : مفردا أمثلة ، وهو ما يتمثل به من الأقوال السائرة بين الناس . وسفورا : ظاهرة لا يحجب عليها .  
(٦) مضعدات : مرتفعات . وتقصف : هنا : تلقى . واليخضور : الأخضر .

٧ والتماسيحَ والثِّبَاتِلَ والإِيَّ (٢) لَ شَتَّى والرَّيْمَ والبُعُفُورَا  
 ٨ وَصُورَا مِنْ النَّوَاشِطِ عَيْنَا وَنَعَامَا خَوَاضِبَا وَحَمِيرَا  
 ٩ وَأَسودَا عَوَادِيَا وَفِيُولَا وَذَنَابَا وَالوَحْشَ وَالْحَتِيرَا  
 ١٠ وَدِيوكَا تَدْعُو الْغَرَابَ لِصُلْحَ وَإِوزِينَ أَنْخَرَجَتْ وَصُقُورَا  
 غَرَقُ فِرْعَوْنَ :

١١ وَلِفِرْعَوْنَ إِذْ تَشَاقَّ لَهُ الْمَا ، فَهَلَّا لَّهِ كَانَ شَكُورَا  
 ١٢ قَالَ : إِنِّي أَنَا الْمُجِيرُ عَلَى النَّاسِ سَ وَلَا رَبُّ لِي عَلَى مُجِيرَا  
 ١٣ فَجَاهِ الْإِلَهُ مِنْ دَرَجَاتِ نَامِيَاتٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مَقْهُورَا  
 ١٤ سُبَابَ الذِّكْرِ فِي الْحَيَاةِ جَزَاءَ وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّسْمِيرَا  
 ١٥ وَتَدَاعَى عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ حَتَّى صَارَ مَوْجًا وَرَاءَهُ مُسْتَطِيرَا

(٧) الثِّبَاتِلُ : مفردها ثَبَلٌ ، وهو الذكر المسنن من الوعول . والإِيَّ : مفردها أَيْلُ (بفتح فكسر وتشديد) ، وهو ذكر الأوعال . والرَّيْمُ والرَّيْمُ : الظبي الخالص البياض . والبُعُفُورُ ، (بفتح الياء وضمها) : الظبي الذي لونه كلون العفر ، وهو التراب .

(٨) الصُّورُ (بكسر الصاد وضمها) : القطيع من البقر الوحشي . والنَّوَاشِطُ : التي تخرج من أرض إلى أرض للرعى . والعَيْنُ : مفردها عَيْنَاءُ ، وهي الواسعة العين ، يريد البقر الوحشي . والخَوَاضِبُ : مفردها خَاضِبٌ ، وهو من النعام ما كان أحمر الساقين .

(١٠) الْإِوزِينَ : مفردها إِوزَةٌ وهو من قاذر الجمع . وأشار في صدر البيت إلى أسطورة شرب الديك والغراب عند الخمار .

(١١) تَشَاقَّ : انشق وانفرج . وَلِفِرْعَوْنَ : متعلقان بمحذوف : « انظر لفرعون » .

(١٢) الدَّرَجَاتُ : مفردها دَرَجَةٌ : وهي المنزلة . وَنَامِيَاتُ : عاليات .

(١٤) الذِّكْرُ : المراد به الذكر الحسن . والضمير في « لَمْ يَكُنْ » لله تعالى .

(١٥) تَدَاعَى عَلَيْهِمُ : أقبل من كل جانب كأنما يدعو بعضه بعضاً . والضمير في « عَلَيْهِمُ » يعود على فرعون وجنوده . وَالْمُسْتَطِيرُ : المنتشر .

١٦ فدعا الله دعوةً لا يُهتَّأ بعد طغيانه فصار مُشِيرًا  
تِيَهُ بنى إسرائيل :

١٧ فرأى الله أنهم يَمْضِيع لا بذى مَزْرَع ولا معمورا

١٨ فنَسَّاهَا عليهم غاديات ومرتى مَزْنِهِمْ خَلَايَا وَخُورًا

١٩ عَسَلًا نَاطِفًا وماءً فُرَاتًا وحَلِيًّا ذَا بَهْجَةٍ مَثُورًا

آل فرعون :

٢٠ أَرْسَلَ الذَّرَّ والجَرَادَ عليهم وسنينا فاهلَكَتْهُمْ وَمُورًا

٢١ ذَكَرَ الذَّرَّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنَّ الجَرَادَ كَانَ ثُبُورًا

٢٢ رَبَّتْ بَيْضَةُ الْبَيَاتِ عليهم لم يُحْسُوا منها سواها نَذِيرًا

(١٦) لا يهتأ : لا يظفر من دعوته بخير . والمشير : الملوح باليد .

(١٧) المضيع : مكان الضياع ، وأراد به الصحراء التي تاهوا فيها . والمزروع : مصدر ميم من زرع ؛ أى ليس بذى زرع والمعمور : الأهل بالسكان . والضمير في « أنهم » يعود على بنى إسرائيل .  
(١٨) نسأها : الهاء للسحاب أو الغيوم ، أى ساقها عليهم . والغاديات : مفردتها غادية ، وهى السحابة . ومرتى الناقة : مسح ضرعها لتدر . والمزن : مفردتها مزنة ، وهى السحابة ذات المطر . والخلايا : مفردتها خلية ، وهى الناقة التى خلعت للحلب لكرمها وغزارة لبنها . والحرارة : الناقة أو الشاة الغزيرة اللبن .

(١٩) الثمير والثميرة : اللبن الذى ظهر زبدته وتحجب ، ومنه « المثمور » بنفس المعنى . الناطف : القاطر . والفرات : أشد الماء عذوبة .

(٢٠) السنين : مفردتها سنة ، وهى عند الإطلاق السنة المجدية . والمور : التراب تثيره الرياح . وضمير الجمع فى البيت يعود على آل فرعون .

(٢١) الثبور : الخلاك .

(٢٢) البيضة هنا : الشدة . والبيات : الامم من قولهم بيت القوم ، اذا أوقع بهم ليلًا وأخذهم بغتة .

## ثُمُودُ وَالنَّاقَةُ :

- ٢٣ كَثُمُودُ الَّتِي تَفْتَكُ الدِّيدِ      بن عَتِيٍّ وَأُمُّ سَقْبٍ عَقِيرًا  
 ٢٤ نَاقَةُ الْإِلَهِ تَسْرَحُ فِي الْأَرَضِ      ضِ وَتَنْتَابُ حَوْلَ مَاءِ مَدِيرَا  
 ٢٥ فَاتَاهَا أَحْيِمَرٌ كَأَنَّهُ السَّمُ      مِ بِمَضْبٍ فَقَالَ كُونِي عَقِيرَا  
 ٢٦ فَابْتِ الْعُرْقُوبَ وَالسَّاقَ مِنْهَا      وَمَضَى فِي صَمِيمِهِ مَكْسُورَا  
 ٢٧ فَرَأَى السَّقْبُ أُمَّهُ فَارْقَتْهُ      بَعْدَ إِلْفِ حَنِيَّةٍ وَظَلُّورَا  
 ٢٨ فَاتَى صَخْرَةً فَقَامَ عَلَيْهَا      صَعْقَةً فِي السَّمَاءِ تَعْلُو الصُّخُورَا  
 ٢٩ فَرَفَا رَغْوَةً فَكَانَتْ عَلَيْهِمُ      رَغْوَةُ السَّقْبِ دُمُّرَا تَدْمِيرَا

(٢٣) تفتكت هنا بمعنى فتكت ، والمعنى : مجاوزة الحد في التكبر والمعنوية . والسقب : ولد الناقة .

(٢٤) مرحت الماشية : خرجت إلى المرعى . وتنتابه : تقصده مرة بعد أخرى . والمدير : المدور ، وهو الحوض يسد ما بين حجارته بالطين .

(٢٥) أحيمر : تصغير أحمر ، وهو لقب قدار بن مالك عاقر الناقة . كأننى السهم : أى سريع كالسهم . والعضب : السيف القاطع .

(٢٦) بته وأبته : قطعه قطعاً مستأصلاً . والعرقوب : من رجل الدابة بمنزلة الركبة في يدها ، وهو العصب الذى يضم ملتقى الوظيفين والسافين ، والصميم : العظم الذى به قوام العضو ، كصميم الوظيف وصميم لساق .

(٢٧) الإلف كالألفة : الصداقة والمؤانسة . وناقاة حنية : حانية ، وهى البرة بولدها . والظنور : الناقة الملازمة لولدها .

(٢٨) قام : وقف . الصعقة : الصاعقة .

(٢٩) رفا البعير : صوت ، والرغوة : المرة من الرغاء .



٣٠ فَأَصِيبُوا إِلَّا الذَّرِيمَةَ فَاتَتْ      مِنْ جَوَارِيهِمْ وَكَانَتْ جُرُورًا  
 ٣١ سِنْفَةً أُرْسِلَتْ تُخَبِّرُ عَنْهُمْ      أَهْلَ قَرْيَةٍ قَدْ أَمْسَوْا تُغَوِّرًا  
 ٣٢ فَسَقَوْهَا بَعْدَ الْحَدِيثِ فَاتَتْ      فَاتَتْهُمُ رِيًّا فَوَاتَتْ حَفِيرًا

\* \* \*

(٣٠) فاتت : نجت . والجور ، هنا : المعاندة ، من قولهم جعل جرور ، وهو الذى لا يتقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . والذريمة : امرأة من ثمود يقال إنها هى التى نجت من العذاب الذى نزل بها .  
 (٣١) السنف : وعاء كل ثمر ، وأراد ذلك على التثنية . وقريح : سوق وادى القرى ، وقيل بهذه القرية كان هلاك عاد . وتغورا : متفرقين جافلين .  
 (٣٢) الحفير : القبر . يشير هنا إلى نهاية الذريمة بعد نجاتها من العذاب ، إذ يقال إنها سقيت بعد أن حدثونها بأخبار العذاب شرابا مسموما فاتت .

\* \* \*

نبيل راغب

( ٣ )

## أصحابُ الفيل

\* \* \*

في هذه القصيدة يبلور أمية بن أبي الصلت مفهومه للخلق والكون، ويتحدث عن قدرة الله كما رأى مثلاً لها في قصة أصحاب الفيل :

- ١ . إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا ثَابِتَاتٌ      مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
- ٢ . خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ      مُسْتَبِينَ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
- ٣ . ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٍ      بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ
- ٤ . حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُنْمَسِّ حَتَّى      ظِلٌّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
- ٥ . لَازِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قَطُّ (٢)      رَمَنَ صَخْرٍ كَتَبَتْ مَحْدُورُ

---

(١) الثاقب : المضيء . ويمارى : يجادل أو يشك .

(٢) المستبين : الواضح الظاهر . المقدور : المقدر المحسوب بحساب دقيق .

(٣) المهابة : الشمس . والمنشور : المنتشر .

(٤) المنمس : موضع في طريق الطائف قرب عرفات ربض فيه الفيل حين جاء به أبرهة ، ومات فيه أبو رغال ، وبقبره يريم هناك ، وكان أبو رغال دليل صاحب الفيل إلى مكة وحيا : برك فلم يتحرك . والعقر : أن تقطع إحدى قوائم البعير قبل تحرره كيلا يشرد عند النحر .

(٥) الجران : باطن العنق ، فإذا برك البعير ومدى عنقه على الأرض ، قيل ألقى جرانه بالأرض . وفطر : ألقى من علو على قطره ، أى جانبه . وكبكب : جبل بمكة خلف عرفات . والمحدور : الذى ألقى من علو إلى أسفل ، وأراد « حجرا محدورا » فأقام الصفة مكان الموصوف بعد حذفه .

- ٦ حوله مِنْ ملوكِ كَنَدَةَ أَبطأ لُمَلَاوَيْثُ فِي الحُرُوبِ صُفُورُ  
٧ خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ  
٨ كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورُ

\* \* \*

- (٦) المَلَاوَيْثُ : الأشداء ، مفردهما مَلَاث (بفتح الميم) أُرْمِلَتْ (بكسرهما) .  
(٧) ابْذَعَرُوا : تَفَرَّقُوا . وفي رواية أخرى « غَادَرُوهُ وَقَدْ تَوَلَّوْا سِرَافًا » .  
(٨) البُورُ : الفاسد المهلك الذي لا خَيْرَ فِيهِ . وفي رواية أخرى « زُور » ، والزور : الكذب  
أَوِ الْبَاطِل . ودين الحنيفية : دين إبراهيم عليه السلام .

\* \* \*

نبيل راغب

( ٤ )

## مَوْعِظَةٌ دِينِيَّةٌ

\* \* \*

في هذه القصيدة يبرز لنا أمية بن أبي الصلت مفهومه للحياة والموت والجنة والنار ، وفيها يركز على الجانب الأخلاقي والوعظي . وتتردد في بعض أبياتها بعض الصور والعبارات القرآنية ، وكأنها منقولة عن القرآن نقلا ، مما يرجح أن تكون هذه الأبيات منقولة على أمية بعد الإسلام .

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | اقترَبَ الوَعْدُ ، والقلوبُ إلى الـ         | لهوٍ ، وَحُبُّ الحَيَاةِ سائِطُهَا         |
| ٢ | بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقُهَا       | أَكُفَّ حَيْنِي والدمعُ سَائِقُهَا         |
| ٣ | مِمَّا أَتَانِي مِنَ اليَقِينِ ولم          | أُوتَ بَرَاءَةً يَقْصُ نَاطِقُهَا          |
| ٤ | مَا رَغْبَةُ النَفْسِ فِي الحَيَاةِ وَإِنِّ | عَاشْتُ طَوِيلًا فَاَلْمَوْتُ لَأَحِقُّهَا |
| ٥ | يَقُودُهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَحْسُدُ      | يُدُوها حَثِيثًا إِلَيْهِ قَائِدُهَا       |
| ٦ | قَدْ أَثْبَتَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا      | كَانَ بَدِئًا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا       |
| ٧ | وَأَنْتَ مَا جَمَعْتَ وَأَعْجَبَهَا         | مِنْ عَيْشِهَا مَرَّةً مُفَارِقُهَا        |

---

(١) الوعد : يوم القيامة . و « إلى الله » : متعلقان بخبر محذوف ، والتقدير : والقلوب ماضية إلى الله .  
(٢) الطوارق : مفرد طاوقة ، وهي التي تأتي ليلا .  
(٣) اليقين : المراد به العلم بالبعث والحساب . والبراءة : المراد بها البراءة ، أي لم يسط براءة تخفف من همومه ، لأنه واحد من الناس ، وعليه ما عليهم يوم الحساب .  
(٦) قوله « كما كان بدئًا بالأمس خالقها » أي كما كان قد خلقها الله من قبل الموت . وفي القرآن الكريم « كما بدأكم تعودون » (الأحزاب ٢٩) ، وفيه أيضا « كما بدأنا أول خلق نعيده » (الأنبياء ١٠٤) .

- ٨ يُوشِكُ مَنْ قَرَّرَ مِنْ مَنِيَّتِهِ      فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا  
 ٩ مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا      الْمَوْتُ كَأَسُّ وَالْمَرءُ ذَائِقُهَا  
 ١٠ تَعَاهَدَتْ هَذِهِ الْقُلُوبُ إِذَا      هَمَّتْ بِخَيْرٍ عَاقَتْ عَوَائِقُهَا  
 ١١ وَصَدَّهَا لِلشَّقَاءِ عَنْ طَلَبِ الْـ      بَجْنَةِ دُنْيَا الْإِلَهُ مَا حَقُّهَا  
 ١٢ عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فَعَاتَبَهَا      يَعْلَمُ أَنَّ الْبَصِيرَ رَامِقُهَا  
 ١٣ أُمٌّ مَنْ تَلَفَّظَ عَلَيْهِ وَاقِدَةُ النَّارِ      بِأَرْحُفٍ مَحِيطٌ بِهِمْ مُرَادِقُهَا  
 ١٤ أُمٌّ أَسْكَنَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الْـ      أَرْأُرُ مَصْفُوفَةٌ تَمَارِقُهَا  
 ١٥ لَا يَسْتَوِي الْمَنْزِلَانِ ثُمَّ وَلَا الْـ      أَعْمَالُ لَا تَسْتَوِي طَرَائِقُهَا

(٨) « في بعض غرّاته » أي في بعض فقلّاته هنا .

(٩) مات عبطة : مات شابا .

(١٠) تعاهدت : تحالفت وتعاهدت ، يريد أن ذلك أصبح عادة لها . وعاقبت عرائقها :

أي وقفت العقبات في طريقها .

(١١) محق الشيء : أبطله ومحاه .

(١٢) الرامق : فاعل من رمقه ببصره ، إذا أتبعه بصره ينظر إليه ويراقبه .

(١٣) المرادق : ما أحاط بالبناء ونحوه ، وخبر « من » محذوف ، والتقدير : أم من يحترق بالنار

ويحيط به العذاب كمن يسكن الجنة ؟ وفي القرآن الكريم « إنا آتينا للظالمين نارا أحاط بهم مرادقها »

(الكهف ٢٩) .

(١٤) النمرقة : الومادة والجمع تمارق . وفي القرآن الكريم « وتماارق مصفوفة » (الغاشية ١٥) .

(١٥) المنزلان : الجنة والنار ، والطرائق : الطرق ، مفردا طريقة .



١٦ هما فريقان : فرقة تدخل الـ لجنة حقت بهم حدائقها

١٧ وفرقة منهم قد ادخلت الـ (م) سار فساءتهم مرافقها

\* \* \*

(١٦) حفت : أحاطت . وفي البيت — على هذه الرواية — كسر في الوزن ، وربما يصحح

وزنه أن نستبدل بكلمة « هما » كلمة « بل » .

(١٧) يروي البيتان ١٦ ، ١٧ رواية أخرى :

هما فريقان : فائز دخل الـ لجنة حفت به حدائقها

وفرقة في الجحيم مع فرق الشبـ طالت يشق بها مرافقها

وهي رواية جيدة ، وإن يكن بها نفس الكسر المروى .

\* \* \*

نبيل راغب

القسم الثاني

كتاب النشر



( ١ )

## الخطابة

\*\*\*

### ( أ ) الخطابة الاجتماعية

\*\*\*

( ١ ) إصلاح مرتد الخير بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثنوب :<sup>(\*)</sup>

كان مرتد الخير بن ينكف قتيلا ، وكان حديبا على عشيرته ، محبا لإصلاحهم ،  
وكان سبيع بن الحارث ، وميثم بن مثنوب بن ذى رصين تنازعا الشرف حتى تشاحنا ،  
وخيف أن يقع بين حييهم شر ، فاتفقنا<sup>(١)</sup> جذماهما ، فبعث إليهما مرتد ،  
فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

إن التخبُّط وامتطاء<sup>(٢)</sup> الهجاج<sup>(٣)</sup> ، واستحقاب<sup>(٤)</sup> الججاج<sup>(٥)</sup> ، سيقفكما على شفا هوة<sup>(٦)</sup> ،  
في توريدها بوار<sup>(٧)</sup> الأصيل<sup>(٨)</sup> ، وانقطاع<sup>(٩)</sup> الوسيلة<sup>(١٠)</sup> ، فتلافا<sup>(١١)</sup> أمركما قبل انتكاث<sup>(١٢)</sup> العهد ،  
وانحلال<sup>(١٣)</sup> العقد ، وتشتت<sup>(١٤)</sup> الألفة ، وتباين<sup>(١٥)</sup> الميمنة<sup>(١٦)</sup> ، وأتتما<sup>(١٧)</sup> في فسحة<sup>(١٨)</sup> رافهة ، وقدم

(\*) الأمالى ١ / ٧٣ . (١) الجذم : الأصل .

(٢) الهجاج : تمسك الإنسان برأيه والتعصب له .

(٣) استحقب الشيء أى جمعه في حقيقته .

(٤) التورد : الإشراف على المأ . (٥) الأصيل : الأصل .

(٦) الانتكاث : الانتقاض . (٧) الميمنة : القرابة .

واطدة، والمودة مثرية، والبقيا معرضة<sup>(١)</sup>. فقد عرقتم أنباء من كان قبلكم من العرب،  
 بمن عصى النصيح، وخالف الرشيد، وأصغى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه  
 عواقب سوء سمعهم، وكيف كان صيور<sup>(٢)</sup> أمورهم، فتلاقوا<sup>(٣)</sup> القرحة قبل تفاقم  
 الشئ، واستفحال الداء، وإعواز الدواء، فإنه إذا سفكت الدماء، استحكمت<sup>(٤)</sup>  
 الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء تقصبت<sup>(٥)</sup> عرى الإبقاء، وشمل البلاء.

### فقال سبيع بن الحارث :

أيها الملك، إن مداوة بني العلات<sup>(٦)</sup>، لا تبرئها الأساة<sup>(٧)</sup>، ولا تشفيها الرقاة،  
 ولا تستقل بها الكفاة، والحسد الكامن، هو الداء الباطن، وقد علم بنو أيلنا  
 هؤلاء أنالهم رده<sup>(٨)</sup> إذا رهبوا، وغيث إذا أجذبوا، وعضد إذا حاربوا، ومفزع  
 إذا نكبوا، وأنا وإياهم كما قال الأول :

إذا ما علوا قالوا أبونا وأمنا      وليس لهم عاين أم ولا أب

(١) معرضة : ممكنة ، أى أمكنت من ناحيتها .

(٢) صيور : عاقبة .

(٣) القرحة : الجرح .

(٤) الشئ : الداء : الإفساد والجراح والقتل ونحوه .

(٥) تقصبت : تقطعت .

(٦) العلة : الضرر ، وبني العلات هم بنو أمهات شتى من رجل واحد .

(٧) الأساة : الأطباء . جمع آس .

(٨) رده : عون وحماية .



فقال ميثم بن مثنوب :

أيها الملك ، إن من قيس على ابن أخيه الزمامة ، وجديه في المقامة <sup>(١)</sup> ،  
واستكثر له قليل الكرامة ، كان قريبا بالملامة <sup>(٢)</sup> ، ومؤنبا على ترك الاستقامة ، وإنا  
والله ما نعتد لهم بيدي إلا وقد نالهم من كفاؤها ، ولا نذكركم لهم حسنة إلا وقد  
تطلع منا إليهم جزاؤها ، ولا يتفيا لهم علينا ظل نعمة إلا وقد قويلوا بشرواها <sup>(٣)</sup> ،  
ونحن بنو فحل مكرم <sup>(٤)</sup> ، لم نعتد بنا الأمهات ولا بهم ، ولم نترعنا أعراق السوء  
ولا إياهم ، فعلام مط الحدود <sup>(٥)</sup> ، ونزر العيون <sup>(٦)</sup> والجحيف <sup>(٧)</sup> والتصغر ، والبسائر  
والتكبر ؟ الكثرة عدد ، أم لفضل جلد <sup>(٨)</sup> ، أم لطول معتقد <sup>(٩)</sup> ، وإنا وإياهم لكا  
قال الأول :

لا إبن عمك ، لا أفضلت في حسب عني ، ولا أنت ديان فتخزوني <sup>(١٠)</sup>  
ومقاطع الأمور ثلاثة : حرب مبيرة <sup>(١١)</sup> ، أو سلم قريرة ، أو مداجاة وغفيرة <sup>(١٢)</sup> .

(١) جديه : عابه . (٢) المقامة : المجلس .

(٣) فرقا : خليقا . (٤) شرواها : مثلها .

(٥) مكرم : سيد .

(٦) نزر العيون : النظر بمؤخر العين .

(٧) الجحيف : التكبر وكذلك الباور .

(٨) اعتقد مالا أوضيعة : اتناهما .

(٩) الديان : القائم بالأمر . تخزوني : تسومني .

(١٠) مبيرة : مهلكة .

(١١) مداجاة وغفيرة : مساترة وغفران .

فقال مرثد الخير :

لَا تُنْشِطُوا عَقْلَ الشُّوَارِدِ ، وَلَا تُنْقِصُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ ، وَلَا تُورَثُوا نِيرَانَ  
الْأَحْقَادِ ، ففِيهَا الْمُتَلَفَةُ الْمُسْتَأْصَلَةُ ، وَالْجَائِئَةُ وَالْأَلِيلَةُ ، وَعَفَّوْا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادَ  
الْكَلَمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنْ الْحَرْبُ تُقْبِلُ بِزُرُجِ  
الْغُرُورِ ، وَتُذِيرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ . ثُمَّ قَالَ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةٍ	حَبِثَتْ بِهَا مِنِّي سُهَيْعًا وَمِيثًا
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابِرَ غَادَرَتْ	عَوَاقِبُهُ لِلذُّلِّ وَالْقُلِّ جُرْهُمَا
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا	عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ أَنْ تَهْدَمَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْهِمَا	عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَامًا
فَإِنْ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ	تُفَوِّقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافُ الْمُقَشَّمَا <sup>(٧)</sup>
حَذَارٍ فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنَّهَا	تَغَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَثَمَ مُكَشَّمَا <sup>(٨)</sup>

(١) أنشط العقدة : حلها . والعقل : جمع عقال وهو الحبل .

(٢) العون : جمع حوان وهي الثيب . يقال للحرب حوان إذا كان قوتل فيها مرة بعد مرة .

(٣) تورثوا : تذكروا وتعلموا .

(٤) الجائئة : المستأصلة . الأليلة : النكل .

(٥) أبلاد : آثار جمع بلد .

(٦) الزبرج : السحاب الذي تفسره الريح .

(٧) تفوقهم : تسقيهم الفواق : وهو ما بين الحلبيين . الزعاف : الاسم . المقشم : المخلوط .

(٨) لا تستنبثوها : لا تخرجوا نبيثها وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت . يريد : لا تثيروا

الحرب . مكشما : مقطوعا .

فقالا : لا ، أيها الملك ، بل تقبل نصحك ، ونطيع أمرك ، ونطفىء النائرة<sup>(١)</sup> ، ونحل الضغائن ، ونثوب إلى السلم .

\* \* \*

( ٢ ) ما تخاطب به المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين الطائي :

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ، ورجوع الملك إلى لحَم ، وكان عامر بن جوين قد أجاز امرأ القيس بن حُجْرًا يام كان مقيمًا بأرض طيء بين الجبلين أجا وسلمى ، وقال قصيدته التي يقول فيها :

هناك لا أُعطى مليكا ظلامَةً ولا سُوقَةً حتى يثوب ابن مندله<sup>(٢)</sup>  
 وكان المنذر ضيغنا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عام ، لَسَاءَ مَثْوَى آثْوَيْتَهُ رَبِّكَ وَثَوِيكَ<sup>(٣)</sup> ، حين حاولت إصْبَاءَ طَلَّتِهِ<sup>(٤)</sup> ، ومخالفته إلى عشيره ، أما والله لو كنت كريمًا لَأَثْوَيْتَهُ مُكْرَمًا مَوْقَرًا ، ولجَأْتَبْتَهُ مُسَلِّمًا . فقال له : أَيْبَتَ اللَّعْنُ<sup>(٥)</sup> ، لقد علمت أبناء أَدَدَ<sup>(٦)</sup> إني لأعزُّها جَارًا ، وأكرمها جَوَارًا ، وأمنعها دارًا . ولقد أقام

(١) النائرة : العداوة والشحناء .

(٢) ابن مندله : رجل من سادات العرب ، يقال انه استاق مال حجير بن الحارث والد امرئ القيس وأخذ امرأته « هند الهنود » وهرب بها إلى الشام ، غير أن حجير استطاع أن يناله ويقتله ويقتل امرأته أيضا .

(٣) ثوى المكان ويده : نزل ، وأثواء : أضافه . والثوى هنا : الضيف .

(٤) الطلة : المعجوز ، وصبا الرجل : مال إلى الجهل والفتنة ، وأصبته المرأة : والمراد حاولت رد عزه السالف إليه .

(٥) أبيت اللعن : تحية جاهلية أى أبيت أن تأق ما تلعن به .

(٦) أبناء أدد : هم قبائل مذحج وطيء والأشعر .

وافراً ، وزال شاكراً : فقال له المنذر : يا عام ، وإنك لتخال هُضَيَّياتَ أَجَا ذات  
 الْوَبَارِ<sup>(١)</sup> ، وَأَفْنِيَّاتِ سَلَمَى ذاتِ الْأَغْقَارِ<sup>(٢)</sup> ، مَا نَعَاتِكَ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْمَجَرِ الْجُرَّارِ<sup>(٤)</sup> ، ذِي الْعَدَدِ  
 الْكُثَارِ وَالْحُصْنِ وَالْمَهَارِ<sup>(٥)</sup> ، وَالرَّيَاحِ الْحَرَّارِ<sup>(٦)</sup> ، وَكُلِّ مَاضِي الْغَرَارِ<sup>(٧)</sup> ، يَسِيدِ كُلِّ  
 مِسْعَرٍ كَرِيمِ النَّجَارِ<sup>(٨)</sup> ؟ قَالَ عَامِرٌ : أَيْتَ اللَّعْنِ<sup>(٩)</sup> ، إِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْهَضَيَّاتِ  
 وَالرَّمَانِ<sup>(١٠)</sup> ، وَالشَّعَابِ وَالْمُصَّدَانِ<sup>(١١)</sup> ، لَفْتِيَانَا أَبْطَالَا<sup>(١٢)</sup> ، وَكَهْمُولَا أَزْوَالَا<sup>(١٣)</sup> ، يَضْرِبُونَ  
 الْقَوَانِسَ<sup>(١٤)</sup> ، وَيَسْتَنْزِلُونَ الْقَوَارِسَ<sup>(١٥)</sup> ، بِالرَّيَاحِ الْمَدَاعِيسِ<sup>(١٦)</sup> ، لَمْ يَتَّبِعُوا الرِّعَاءَ<sup>(١٧)</sup> ، وَلَمْ تَرْشَحْهُمْ<sup>(١٨)</sup>  
 الْإِمَاءَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا عَامِ ، لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلاً ،  
 كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَعْقَعَةً وَصَلِيلًا<sup>(١٩)</sup> ، وَفَقَرَ الْمَوْتَ<sup>(٢٠)</sup> ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتَ<sup>(٢١)</sup> ، فَتَقَارَشَتْ

- 
- ( ١ ) الْوَبَارُ : شَجَرَةٌ حَامِضَةٌ شَائِكَةٌ .  
 ( ٢ ) الْأَغْقَارُ : جَمْعُ غُقْرٍ ، وَالغُقْرُ بِالتَّحْرِيكِ : صِفَارُ الْكَلْبِ .  
 ( ٣ ) الْمَجَرُ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ .  
 ( ٤ ) الْحَصْنُ : جَمْعُ حَصَانٍ ، وَالْمَهْرُ : جَمْعُ مَهْرٍ وَهُوَ وَلَدُ الْفَرَسِ .  
 ( ٥ ) الْحَرَارُ وَالْأَحْرَارُ : جَمْعُ حَرٍّ وَهُوَ خِيَارُ كُلِّ شَيْءٍ .  
 ( ٦ ) الْغَرَارُ : حَدُّ الرِّيحِ وَالْمَهْمِ وَالسَّيْفِ .  
 ( ٧ ) يُقَالُ : مِسْعَرٌ حَرْبٌ أَيْ مَوْقِدٌ نَارُهُ كَأَنَّهُ آتَةٌ لِإِيقَادِ الْحَرْبِ ، وَالنَّجَارُ : الْأَصْلُ .  
 ( ٨ ) الرَّمَانُ : جَمْعُ رَعْنٍ ( كَشْمَسٍ ) وَهُوَ أَنْفٌ يَتَقَدَّمُ الْجَبَلَ .  
 ( ٩ ) الْمُصَّدَانُ : جَمْعُ مُصَدٍّ وَهُوَ الْهَضْبَةُ الْعَالِيَةُ .  
 ( ١٠ ) أَزْوَالٌ : جَمْعُ زَوْلٍ وَهُوَ الشَّجَاعُ .  
 ( ١١ ) الْقَوَانِسُ : جَمْعُ قَوْسٍ ( كَجَعْفَرٍ ) وَالْقَوْسُ وَالْقَوْفُوسُ : أَعْلَى بَيْضَةِ الْحَدِيدِ .  
 ( ١٢ ) الْمَدَاعِيسُ : جَمْعُ مَدْعَسٍ وَهُوَ الرِّيحُ الَّتِي لَا يَتَنَبَّأُ .  
 ( ١٣ ) الرِّعَاءُ ، هُمُ الرِّعَاءَةُ : جَمْعُ رَاعٍ .  
 ( ١٤ ) التَّرْشِيعُ : التَّرْبِيَةُ .  
 ( ١٥ ) الْقَعْقَعَةُ : صَوْتُ السَّلَاحِ .  
 ( ١٦ ) فَقَرَ الْمَوْتَ نَاهٍ : فَتَحَهُ .

(١) الرماح ، وحمى السلاح ، لَتَسَاقَى قَوْمُكَ كَأَسَا لاصحو بعدها ، فقال : مهلا أبيت  
 اللعن : إن شرابنا وبيل ، وَحَدَّنَا أَيْلٌ (٢) ، وَمَعَجَمَنَا صَلِيبٌ (٣) ، وَلِقَاءَنَا مَهِيْبٌ .  
 فقال له : يا عام ، إنه لقليلُ بقاءِ الصخرة الصَّراء (٤) ، على وَقَعِ المِلاطِيس (٥) ، فقال :  
 أبيت اللعن ، إن صَفَاتِنَا عِبْرُ المِرَادِيس (٦) ، فقال : لَا وَقِظَنَّ قَوْمُكَ مِنْ سِنَةِ الغفلة ،  
 ثُمَّ لَا تُعْقِبْنَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً لَا يَهْبُ رَاقِدُهَا ، وَلَا يَسْتَيْقِظُ هَاجِدُهَا ، فقال له عامر :  
 إِنْ الْبَغَى أَبَادَ عَمْرًا ، وَصَرَعَ شَجْرًا (٧) ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سُلْطَانًا ، وَأَعْظَمَ شَانًا ، وَإِنْ  
 لَقِيتُنَا لَمْ تَلَقِ أَنْكَاسًا وَلَا أَغْسَاسًا (٨) ، فَهَبْشِ وَضَائِعَكَ وَصِنَائِمَكَ (٩) ، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَا لَكَ ،  
 فَتَحْنِ الْأَلَى قَسَطُوا عَلَى الْأَمْلَاقِ قَبْلَكَ . ثم أتى راحلته فركبها وأنشأ يقول :

( ١ ) تقارشت الرماح : تداخلت في الحرب .

( ٢ ) أيل : محدد ، الله تأيلا ، حده .

( ٣ ) المعجم : العود الصلب .

( ٤ ) الصخرة الصراء : الصماء .

( ٥ ) المِلاطِيس : ( كنبر ) ، والمِلاطِيس : المحول الخليط لكسر الجبارة .

( ٦ ) الصفاة : الحجر العذلة الضخم . والمراديس : جمع مرداس وهو شئ صلب عريض تدلك به الأرض . ومعنى العبارة أن صفاتنا تحمل ذلك المراديس فلا نتخطم تحتها . كناية عن شدتهم وصلابتهم .

( ٧ ) عمرو : يقصد عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة .

( ٨ ) حجر بن الحارث : والد امرئ القيس .

( ٩ ) الأنكاس : جمع نكس وهو الضعيف . والأغساس : جمع غس بالضم وهو الضعيف أيضا .

( ١٠ ) هبش : جمع . الوضائع : جمع وضبيعة وهي أثقال القوم وما يأخذها السلطان من الخراج والمشور . والصنائع : جمع صنعة ، يقال هو صنعة فلان إذا امكنه وأدبه . والمعنى : فتجهز للحرب ، راجع الأموال اللازمة لذلك ، واحشد رجالك المدربين على القتال .



تَعَلَّمْ - أَيْتَ اللَّعْنِ - أَنْ قَنَاتَنَا <sup>(١)</sup> تَزِيدُ عَلَى غَمَزِ النَّقَافِ تَصَعُّبًا  
 أَتَوَعِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أَمْكَ هَابِلٌ <sup>(٢)</sup> رَوَيْدُكَ بَرْقًا ، لَا أَبَاكَ ، خَلْبًا  
 إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلُهُ بِالْقَنَّا <sup>(٣)</sup> وَحَامَتُ رِجَالُ الْغَوْثِ دُونِي تَحَدُّبًا  
 أَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي <sup>(٤)</sup> تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْثَمًا  
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارَنَا فَأَيْتُ تَعْتَرِفُ <sup>(٥)</sup> رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرِيَا  
 وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ <sup>(٦)</sup> رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكُوكِبًا  
 وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّيْحَى جَلَادُهُمْ <sup>(٧)</sup> وَمَلَّهَى بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرِيَا  
 فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي <sup>(٨)</sup> تُحْكَمُ فِيكَ الزَّاعِي الْمَحْرَبَا

\* \* \*

(٣) من خطب العرب أمام كسرى مفاخرين بأنفسهم وبألسنتهم :  
قال أكرم بن صيفي :

إِنْ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءَ أَعَالِيهَا ، وَأَعْلَى الرِّجَالِ مَلُوكُهَا ، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ أَعْمَهَا  
 نَفْعًا ، وَخَيْرَ الْأَزْمِنَةِ أَخْصَبُهَا ، وَأَفْضَلَ الْخُطْبَاءِ أَصْدَقُهَا ، الصَّدْقُ مَنْجَاةٌ ،

(١) النقاف : آلة كانت تسوى بها الرماح .

(٢) هبلته أمه : فقدته . البرق الخلب : المطمع الخلف .

(٣) خطر الرجل بسيفه ورمحه ، رفعه مرة ووضعهُ أخرى . وجديلة الغوث فرعان . من قبيلة على .  
وتحدب عليه : تعطف به .

(٤) الخرج ( كسب ) لونان من بياض وسواد . والكهبة : الدهمة أو السواد .

(٥) ازداره : زاره . أزال الثوب : أطاله . الحديد : الدروع . شئ معقرب : أى معوج  
معطوف ، يريد أنها دروع مزرودة .

(٦) الكوكبة : الجماعة من الناس أو الخيل .

(٧) السدير والخورق : قصران يتأهما الملك النعمان الأكبر بالحيرة .

(٨) الرِّيح الزاعية . هو الذى إذا هز كان كمن يجرى بعضها فى بعض البيوت . والمهرب : المحدد .

والكذب مهـواة ، والشـرُّ لـحاجة<sup>(١)</sup> ، والحزمُ مرَكَّبٌ صَعْبٌ ، والعجزُ مرَكَّبٌ  
وَطِيُّ ، آفةُ الرأى الهوى ، والعجزُ مِفْتَاحُ الْفَقْرِ ، وخيرُ الأمور الصبر ، حسنُ  
الظنِّ ورطة ، وسوءُ الظنِّ عَصَمَةٌ ، إصلاحُ فسادِ الرعيّة خيرٌ من إصلاحِ فسادِ  
الراعى ، من فسدتِ بَطَانَتُهُ كانَ كَالْفَاصِ بِالماء ، شرُّ البلادِ بلادٌ لا أميرَ بها ،  
شرُّ الملوك من خافه البرىء ، المرءُ يَعْجِزُ لا المحالة<sup>(٢)</sup> ، أفضلُ الأولاد البررة ، خيرُ  
الأعوان من لم يُراءِ بالنصيحة ، أحقُّ الجنود بالنصر من حَسُنَتْ مَـرِيرَتُهُ ، يكفيك  
من الزَّاد ما بَلَغَكَ المَحَلُّ ، حَسْبُكَ من شرِّ سَمَاعِهِ ، الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فاعِلُهُ<sup>(٣)</sup> ،  
البلاغةُ الإيجاز ، من شَدَّدَ نَفَرًا ، ومن تراخى تَأَلَّفَ .

فتعجب كسرى من كلامه وقال : ويحك يا أأكم ما أحكمك وأوثق كلامك !  
لولا وضعك كلامك فى غير موضعه . قال أأكم : الصدقُ ينبىء عنك لا الوعيد .  
قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أأكم : رَبُّ قَوْلٍ ، أَنفَعُ  
مِنْ صَوْلٍ .

ثم قال حاجب بن زُرَّارة التميمى :

وَرَى زَنْدُكَ<sup>(٥)</sup> ، وملت يدُكَ ، وهيبَ سُلْطَانِكَ ، إن العربَ أمةٌ قد قُلُظَتْ  
أَكْبَادُهَا ، واستَحْصَدَتْ مِرَّتُهَا<sup>(٦)</sup> ، وَمِنَعَتْ دِرَّتُهَا<sup>(٧)</sup> ، وهى لك واميقةٌ ما تَأَلَّفَتْهَا ،

(١) الحاجة : تماحك الخصبين وتماديهما .

(٢) المحالة : الخيلة .

(٣) الحكم : الحكمة ( وآتياء الحكم صيبا ) .

(٤) الوجع : الزحمة ، والويل : العذاب .

(٥) ورى الزند : تخرج النار منه ، وهو ججران يحك أحدهما بالآخر .

(٦) استحصد الخيل : استحكم شدة .

(٧) الدرة : اللبن .

مُسْتَرِيْلَةٌ مَا لَا يَلْتَمِهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَامَحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةً ، وَالصَّابُ غَضَاضَةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَالْعَسْلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزَّلَالُ سَلَامَةٌ ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسِّتْنُهَا لَدَيْكَ ،  
ذِمَّتُنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مُطِيعَةٌ ، إِنْ تَوُبَّ لَكَ  
حَامِدِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عَمُومٌ مُحَمَّدَيْنَا ، وَإِنْ نَذَمَ فَلَمْ يُخَصَّ بِالذَّمِّ دُونَهَا .

### وقال الحارث بن عباد البكري :

دَامَتْ لَكَ الْمَلِكَةُ بِاسْتِكْمَالِ جَزِيلِ حَظِّهَا ، وَعَلَوْ سَنَائُهَا ، مِنْ طَالٍ رِشَاؤُهُ كَثُرَ <sup>(٢)</sup>  
مَنْعُهُ ، وَمِنْ ذَهَبِ مَالِهِ قَلَّ مَنَعُهُ ، تَنَاقُلُ الْأَقَاوِيلِ يُعَرِّفُ اللَّبَّ ، وَهَذَا مَقَامُ <sup>(٣)</sup>  
سَيُوجِفُ <sup>(٤)</sup> بِمَا يَنْطِقُ بِهِ الرِّكْبُ ، وَتَعْرِفُ بِهِ كُنْهَ حَالِهِ الْعَجِمْ وَالْعَرَبُ ، وَنَحْنُ  
جِيرَانُكَ الْأَدْنَوْنَ ، وَأَعْوَانُكَ الْمَعِينُونَ ، خِيُولُنَا جَمَّةٌ ، وَجِيُوشُنَا نَحْمَةٌ ، إِنْ  
اسْتَنْجَدْتَنَا فَعِزٌّ رُبِضٌ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ اسْتَطَرَقْتَنَا فَعِزٌّ جُهُضٌ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ طَلَبْتَنَا فَعِزٌّ غَمُضٌ <sup>(٧)</sup> ،  
لَا نَنْتَفِي لُدْغِيرٍ ، وَلَا نَتَنَكَّرُ لِدَهْرٍ ، رَمَاحُنَا طَوَالٌ ، وَأَعْمَارُنَا قِصَارٌ .

قال كسرى : أَنْفُسُ عَزِيزَةٍ ، وَأَمَةٌ ضَعِيفَةٌ . قال الحارث : أَيُّهَا الْمَلِكُ ،  
وَأَنَا يَكُونُ لَضَعِيفٍ عِزَّةٌ ، أَوْ لَضَعِيفٍ مِرَّةٌ .

(١) الصاب : شجر مر .

(٢) الرشاء : الحبل .

(٣) المنع : نزع الماء من البئر .

(٤) وجف البعير والفرس إذا عدا ، وأوجفته : أعديته .

(٥) رجل ربض عن الحاجات لا يتهض فيها .

(٦) استطرقه فخلا : طلبه منه ليضرب في إبله ، هذا هو الأصل ، والمراد استعنت بنا .

(٧) أجهضت الناقة والمرأة ولدها : أسقطته فلقص الخلق .

(٨) غير غمض : غير نائم عن نصرتك .

قال كسرى : لو قصر عُمرُكَ ، لم تستول على لسانك نفْسُكَ . قال الحارث :  
 أيها الملك ، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغرراً بنفسه على الموت ،  
 فهي منيةٌ استقبلها ، وجنانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أني أبعثُ الحرب قُدماً ،  
 وأحبسها وهي تصرفُ بها ، حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت  
 عن ساقها ، جعلتُ مقادها رمحى ، وبرقها سيفى ، ورعدا زئيرى ، ولم أقصر  
 عن خوض خضخاضها <sup>(١)</sup> ، حتى أنعمس في غمراتٍ لحيجها ، وأكون فلنكا لفرسانى  
 إلى محبوبحة كبشها <sup>(٢)</sup> ، فأستطيرها دماً ، وأترك حُماها جزر السباع <sup>(٣)</sup> وكلَّ نسير قشعم <sup>(٤)</sup> .  
 قال كسرى لمن حضره من العرب أذلك هو ؟ قالوا : فعاله أنطق من  
 لسانه . قال كسرى : ما رأيت كالיום وفدا أحشد ، ولا شهودا أوفد .

وقال خالد بن جعفر الكلاني :

أحضر الله الملك إسماعدا ، وأرشده إشاداء ، إن ليكل منطقُ فرصة ، ولكل حاجة  
 غصّة ، وعيُّ المنطق أشدُّ من عيِّ السكوت ، وعِثار القول أنكا <sup>(٥)</sup> من عِثار الوعث <sup>(٦)</sup> ،  
 وما فرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى ، وغصّة المنطق بما لا نهوى غير مُستسافة ،  
 وتركى ما أهلم من نفسى ، ويعلم من سمعى أننى له مطيق ، أحبّ إلى من تكلفى

(١) الخضخاض : فقط أسود رفيق تهابه الإبل الحرب . والخضخاض : كثير الماء .

(٢) الكبش : سيد القوم وقائدهم .

(٣) بزرا : أى قطما .

(٤) القشعم : المسن .

(٥) نكا العدرونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكا : أشد نكاية وقهرا .

(٦) الرعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام .

مَا أَتَخَوَّفُ وَيُتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْفَدْنَا إِلَيْكَ مَلَكَنَا النِّعْمَانَ ، وَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ،  
وَنَعَمْ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفُسُنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِأَخِيَّةٍ<sup>(١)</sup> ، وَرِقَابُنَا بِالنَّصِيحَةِ  
خَاضِعَةٌ ، وَأَيْدِينَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةٌ .

قال كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل ، وعلوت بنبيل .

وقال علقمة بن عُلَالة العامري :

نَهَجْتُ لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعْتُ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إِنْ لِلْأَقَاوِيلِ مَنَاجِحُ ،  
وَاللَّارِءِ مَوَالِجُ<sup>(٢)</sup> ، وَلِلْعَوِيصِ مَخَارِجُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ الطَّلِبِ أَنْجَحُهُ<sup>(٣)</sup> ،  
إِنَّا وَإِنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرَّبَتَنَا ، فَلَيْسَ مِنْ حَضَرَ مِنَّا بِأَفْضَلَ مِنْ  
عَزَبَ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قِسَّتْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمَتْ مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ  
فِي آبَائِهِ دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلُّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرَفِ وَالشُّؤْدُودِ  
مُوصُوفٌ ، وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْنَافِذِ مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ ،  
وَيَذُودُ أَعْدَاهُ ، لَا تَخْذُ نَارَهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ . أَيُّهَا الْمَلِكُ : مِنْ يَبِيلِ الْعَرَبِ  
يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنِعِ الْعَرَبَ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرُّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاهِرُ  
طُمِيًّا<sup>(٤)</sup> ، وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شَرْفًا ، وَالْحَصَى عِدْدًا ، فَإِنْ تَعَرَّفَ لَهُمْ فَضْلُهُمْ يُعَزُّوكَ ،  
وَإِنْ تَسْتَصْرِخُهُمْ<sup>(٥)</sup> لَا يَخْذُلُوكَ .

(١) ينجح بالحق : أقرب به وخضع له .

(٢) نهجت : وضحت .

(٣) موالج : مداخل جمع مولى .

(٤) طميا : طمى الماء بطمى طميا : علا .

(٥) تستصرخهم : تستنجد بهم .



قال كسرى ، وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط به : حسبك ،  
أبلغت وأحسنت .

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، قبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة<sup>(١)</sup>  
الارتداد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف  
الحيرة ، فأجتيذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ؛ وألن لنا كنفك  
يسلس لك قيادنا ، فلانا أناس لم يوقس<sup>(٢)</sup> صفاتنا قراع<sup>(٣)</sup> مناقير<sup>(٤)</sup> من أراد لنا قضمها ،  
ولكن منعتنا حمانا من كل من رام لنا هضمها .

\* \* \*

(٤) خطباء العرب تعزى سلامة ذا فائش في ابن له مات :

خطبة الملبب بن عوف :

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتُعطي لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتُحلى  
ليتمز ، وتزرع الأحزان في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل  
مصيبة تخطأتك جال<sup>(٦)</sup> ، ما لم تُذن الأجل ، وتقطع الأمل . وإن حادنا ألم بك ،  
فاستبذ<sup>(٧)</sup> بأقلك ، وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تناهت إليك

(١) النجعة : طلب الكلا في موضعه .

(٢) اجنبد : اجتذب .

(٣) الوقس : انتشار الحرب في البدن . والتوقيس : الإجراب .

(٤) الصفاة : الحجر الأملس .

(٥) مناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس يتقربها .

(٦) الجال : العظام والحقير ، واللفظ هنا بالمعنى الثاني .

(٧) استبذ : البدة بالضم : النصيب ، واستبذ به : جعله نصيبه .

أنبياء من رُزِيَ فَصَبِرَ وَأُصِيبَ فَأَعْتَفَرَ ، إذا كان شَوَى<sup>(١)</sup> فيما يَرْتَقِبُ وَيُحْذَرُ ،  
فاستشعر اليأس مما فات ، إذا كان ارتجاعه مُمْتَنِعًا ، ومرامه مُسْتَضْعَبًا ، فلتشيء  
ما ضُربت الأُمَى ، وفزع أولى الأبواب إلى حسن العزاء .

### خطبة جُعَادَة بن أَفْلَح :

أيها الملك ، لا تُشْعِرْ قلبك الجزع طى ما فات ، فيَغْفُلَ ذَهْنُكَ عن الاستعداد  
لما يَأْتِي ، وَتَاضِلْ عَوَارِضَ الحزنِ بِالْأَنَفَةِ<sup>(٢)</sup> عن مُضَاهَاةِ أَفْعَالِ أَهْلِ وَهَى<sup>(٣)</sup> الْعُقُولِ ،  
فإن العزاءَ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، والجَزَعُ لِرَبَاتِ الْجِمَالِ<sup>(٤)</sup> ، ولو كان الجزع يَرُدُّ فَائِثًا ،  
أَوْ يُجِئِي قَالِفًا ، لكان فعلا دنيئا ، فكيف وهو مُجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَبْوَابِ .  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عما يَتَهافت فيه الْأَرْذَلُونَ ، وَصُنْ قَدْرَكَ عما يركبه  
الْمُخْشَوُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثَقَةٍ أَنْ طَعْمَكَ فيما استبدت به الْأَيَّامُ ، ضِلَّةٌ كَأَحْلَامِ  
النِّيَامِ .

\* \* \*

(٥) أَكْثَمُ بن صَيْفِيٍّ يَعْزِيَّ ملك الحيرة عمرو بن هند عن أخيه :

إن أهل هذه الدار سَفَرًا لَا يَحْمِلُونَ عَقْدَ الرِّجَالِ إِلَّا فِي خَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ  
بِمُرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيُظْمَنُ عَنْكَ<sup>(٥)</sup>

(١) الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

(٢) مضاهاة : مشاكلة .

(٣) وهى : ضعف .

(٤) الجمال : جمع جملة ( بفتحين ) وهى القبة ، وموضع يزين بالستور والنياب المروم .

(٥) يظمن : يرحل .

ويدلك . واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة ، وشاهد عدل ، فجَمَعَكَ  
بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكمته ، واليوم غنيمَةٌ ، وصديق أُنَاكَ ولم تأتِه ،  
طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وقد لا تدرى مَنْ أَهْلُهُ ، وسياتيك  
إن وجدك . فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن  
فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخَلَفِ  
منها ، وخير من الخير مُعْطِيهِ ، وشر من الشر فاعله .

\* \* \*

(٦) خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم  
بالسيدة خديجة :

الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية اسماعيل ، وجعل لنا بلدا  
حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله  
ابن أمي من لا يُوازَن به قتي من قريش إلا رجح عليه : برأ وفضلا ، وكرما وعقلا ،  
ومجدا ونُبلا ، وإن كان في المال قُلٌّ ، فلنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَة .  
وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق  
فَعَلَّيْ .

\* \* \*

(٧) خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني يحرض قومه يوم ذي قار :  
يا معشر بكر ، هالك معذور ، خير من تاج قرور ، إن الحذر لا يُنجي من القدر ،  
وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنيّة ولا الدنيّة ، استقبال الموت خير من  
استدباره ، الطعن في ثغر النحور ، أكرم منه في الأنحاز والظهور ، يا آل بكر ، قاتلوا  
فما لنا يا من بد .

\* \* \*

## ( ب ) الخطابة الدينية وسجع الكهان

\* \* \*

( ١ ) قُسُّ بن ساعدة الإيادي يَخْطُبُ في سوق عكاظ :

أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو  
 آت آت ، ليلٌ داجٌ <sup>(١)</sup> ، ونهارٌ ساجٌ <sup>(٢)</sup> ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، ونجومٌ تزهرُ ، وبحارٌ  
 تزخرُ ، وجبالٌ مرساةٌ <sup>(٣)</sup> ، وأرضٌ مدحاةٌ ، وأنهارٌ مجراه ، إن في السماء لخبراً ،  
 وإن في الأرض لَعِبْرًا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ، أم  
 تركوا فناموا ؟ يُقْسِمُ قُسٌّ بالله قسيماً لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أَرْضِي له ، وأفضل  
 من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً .

\* \* \*

( ٢ ) الكاهن الخزاعي ينقر هاشم بن عبد مناف على أمية بن

عبد شمس :

وَلِيَّ هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السَّقَاية والرَّفَادَةِ ، فحسده  
 أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رئاسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فتكلف  
 أن يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمتت به ناسٌ من قريش ، فغضب ونال  
 من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره ، فلم تدعه قريش

(١) داج : مظلم .

(٢) ساج : مضيء منلألأ .

(٣) مدحوة : أى مبسوطة ، وإنما قال مدحاة لمراعاة السجع .

حتى نافره على خمسين ناقة سود الحديق ينحرها يبطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، قرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي ومنزله بعسفان<sup>(١)</sup> ، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري ، وكانت ابنته عند أمية . فقال الكاهن : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالحو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو همهمة بذلك خاير .

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فنعرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين : فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمие .

\*\*\*

( ٣ ) عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث :

كان حجر بن الحارث ( أبو امرئ القيس ) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إناوة كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرا ، ثم بعث إليهم من يجي ذلك منهم ، وحجروهم بثهامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك حجرا ، فسار إليهم ، فأخذ سرواتهم وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا ( فسموا عبيد العصا ) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشrafهم ، منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعرا يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة ، تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم :

(١) موضع على مرحلتين من مكة .



يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : من الملك الصَّهْبُ<sup>(١)</sup> ، الغلابُ غير  
 المغْلَبِ ، في الإبل كأنها الرِّبْ<sup>(٢)</sup> ، لا يُقْلِقُ رأسه الصَّخَبُ ، هذا دمه يَنْثَعِبُ<sup>(٣)</sup> ،  
 وهو غدا أول من يُسْتَلَبُ . قالوا : ومن هو ربنا ؟ قال : لولا تَجِيْشُ<sup>(٤)</sup> نفْسِ  
 جاشية ، لأخبرتكم أنه مُجْر ضاحية<sup>(٥)</sup> .  
 فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر مُجْر ، فهجموا عليه في قُبته  
 فقتلوه .

\* \* \*

## ( ح ) الوصايا والأمثال

\* \* \*

### ( ١ ) وصية زهير بن جناب الكلبي لبنيه :

يَا بَنِيَّ : قد كبرت سني ، وبلغت حُرّاً<sup>(٦)</sup> من دهرى ، فأحكمتي التجارب ،  
 والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول وعوّه ، إياكم والخـور عند  
 المصائب ، والتوا كل عند النوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء  
 ظن بالرب . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مُغْتَرِّين ، ولها آمنين ، ومنها سآخرين ،  
 فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتُلُوا ، ولكن توقّعوها ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض<sup>(٧)</sup>  
 تتأوره الرماة ، فمُقَصِّر دونه ، ومُجَاوِز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد  
 أنه مُصِيبُهُ .

\* \* \*

(١) الصَّهْب : الشديد الصلب .

(٢) الرِّب : القطيع من بقر الوحش . (٣) يَنْثَعِب : يتفجر .

(٤) جاشت النفس وتجيشت : ارتفعت من حزن أو فزع .

(٥) ضاحية : علانية .

(٦) الحرس من الدهر : الطويل . (٧) الغرض : الهدف .

( ٢ ) وصية حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري لبني بدر :

اسمعوا مني ما أوصيكم به : لا يتكل آخركم على أولكم ، فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول ، وأنكحوا الكفء الغريب ، فإنه عز حدث ، وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرا ، فإن كل مورد مغروف ، واصحبوا قومكم بأجل أخلاقكم ، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزري بالرئيس المطاع ، وإذا حادثتم قاربعا<sup>(١)</sup> ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير في الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل ، وأعزوا الكبير بالكبير ، فإنني بذلك كنت أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ، وأعطوا على حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى ، فإن خيره أعجله ، واتقوا فضيحات البنى وفلتات المزاح ، ولا تهجروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم .

\* \* \*

( ٣ ) وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس :

لما سملت أم إياس إلى زوجها قالت لها أمها :

أي بُنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغير أبيها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

(١) ربع الحبل : قتله من أربع طاقات ، والمعنى تمهلوا أرا حكموا القول .

أى بنية : إنك فارقت الجَوَّ الذى منه خرجت ، وخَلُفْتَ العُشَّ الذى فيه  
دَرَجْتَ ، إلى وِكرٍ لم تعرفه ، وقرينٍ لم تألفه ، فأصبح يملكه عليك رقيقاً ومليكا ،  
فكونى له أمةً يُكَنِّى لك عبداً وشيكاً .

يا بنية : أحلى عنى عشر خصال تكن لك ذُخْراً وذِكْراً : الصَّحْبَةُ بالقناعة ،  
والمعاشرَةُ بحسن السمع والطاعة ، والتعهدُ لموقع عَيْنِهِ ، والتَّقَدُّ لموضع أنفه ، فلا  
تقع عَيْنُهُ مِنْكَ على قبيح ، ولا يَسْمُ مِنْكَ إلا أَطْيَبَ ريح ، والكُفْلُ أحسنُ الحُسْنِ ،  
والماءُ أَطْيَبُ الطَّيْبِ المفقود ، والتعهدُ لوقت طعامه ، والهدوءُ عنه عند منامه ،  
فإن حرارة الجوع مَلْهَبَةٌ ، وتنغيصُ النومِ مَغْضَبَةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ وماله ،  
والإِرْعاءُ على نفسه وحَشَمِهِ وعِيَالِهِ ، فإن الاحتفاظَ بِالمالِ حسنُ التقدير ، والإِرْعاءُ  
على العِيَالِ والحشمِ جميلُ الحَسَنِ التَّديير ، ولا تُفْشِى له سرا ، ولا تَقْصِى له أمراً ،  
فإنك إن أَفْشَيْتَ سرَّهُ ، لم تَأْمَنِ قَدْرَهُ ، وإن عَصَيْتَ أمرَهُ ، أَوْغَرْتَ صدرَهُ ،  
ثم اتَّقِ من ذلك الفَرْحَ إن كان تَرِيحاً ، والإِكْتِئابَ عنده إن كان فَرِيحاً ، فإن  
الحَصْلَةَ الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشدَّ ما تكونين له  
إعظاما ، يكن أشدَّ ما يكون لك إكراما ، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً ، يكن  
أطولَ ما تكونين له مُرَافَقَةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تُؤْثِرِ رضاه  
على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ ، والله يَجِيرُكَ .

\*\*\*

( ٤ ) وصية لأَكْثَمَ بنِ صَيْفِي :

كتب النعمان بن نَحِيصَةَ البَارِقِ إلى أَكْثَمَ بنِ صَيْفِي : « مَثَلُ لَنَا مَثَلاً  
نَأْخُذُ بِهِ » فقال :

قد حلبت الدهر<sup>(١)</sup> أشطوره ، فعرفت حلوه ومره ، حين عرفت فذرفت ، إن  
أماي ما لا أسامي . رب سامع بخبري لم يسمع بعذري . كل زمان لمن فيه .  
في كل يوم ما يكره ، كل ذي نصرة سيخذل . تباروا فإن البريئ يمي عليه العدد .  
وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لي صديقا .  
لا ينفع من الخزع التبتى ، ولا ينفع مما هو واقع التوقى . ستساق إلى ما أنت لاق .  
في طلب المعالي يكون العناء . الاقتصاد في السعى أبقى للجمام . من لم يأس على  
ما فاته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه . التقدّم قبل التندّم . أصبح  
هند رأس الأمر أحب إلى من أن أصبح عند ذنبه . لم يهلك من مالك ما وعظاك .  
ويل لعالم أمر من جاهله . يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكيس  
والأحمق . الوحشة ذهاب الأعلام . البطر عند الرجاء حمق والعجز عند البلاء أفن .  
لا تغضبوا من اليسير فر بما جنى الكثير . لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه ، ولا تضحكوا  
مما لا يضحك منه . حيلة من لا حيلة له الصبر . كونوا جميعا فإن الجمع غالب .  
تثبثوا ولا تسارعوا فإن أحزم الفريقين الركين . رب عجلة تهب ريثا . ادريعوا  
الليل واتخذوه جملا ، فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تناءوا  
في الديار ولا تبأغضوا ، فإنه من يجتمع يتفقق<sup>(٢)</sup> عمده . ألزموا النساء المهابة .  
نعم لخبو الغرة المغزل<sup>(٣)</sup> . إن تعيش تر ما لم تره . قد أقر صامت . المكثار كخاطب

(١) للناتة شطران : قادمان وآثران ، فكل خلف من أخلائها شطره ، والمعنى أنه الخبير

شطرى الدهر خبره وشره .

(٢) تفقق : اضطرب وتحرك .

(٣) الغرة : الشريفة .

لَيْلٍ . من أَكْثَرَ اسْقَطَ . لا تجعلوا سِرّاً إلى أَمَةٍ . لا تَقْرُقُوا في القبائل فإن  
 الغريب بكل مكان مظلوم . عاقدوا الثروة وإياكم والوشائظ<sup>(١)</sup> فإن مع القلة الذلة .  
 لو سُئِلَتِ العارية قالت أبني لأهل ذلاً . الرسول مبلغ غير مألوم . من فسدت  
 بطانته غصّ بالمساء . أساء سمعاً فأساء جابة . الدال على الخير كفاعله . إن المسألة  
 من أضعف المسكنة ، قد تجوع الحرة ولا تأكل بشديتها . لم يجز سالك القصد ،  
 ولم يعم قاصد الحق . من شدد نقر ، ومن تراخى تألف . أوفى القول أوجزه .  
 أصوب الأمور ترك الفضول . التفرير مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان  
 الهلكة ، لكل شيء ضراوة . أحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى ،  
 وهم الملوك . حب المدح رأس الضياع . رضا الناس غاية لا تُبَاغ .  
 لا تكره سُخْطَ مَنْ رضاه الجور . معالجة العفاف مشقة فتعود بالصبر .  
 اقصر لسانك على الخير وأخر الغضب فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع . أمر  
 أعمال المقتدرين الانتقام . جاز بالحسنة ولا تكافئ بالسئية . أغنى الناس عن  
 الحقد من عظم عن المجازاة . من حسد من دونه قلّ عذره ، من جعل لحسن الظنّ  
 نصيباً رَوَّحَ عن قلبه . عي الصمت أحمد من عي المنطق . الناس رجلان مُحْتَرِسٌ  
 وَمُحْتَرَسٌ منه . كثير النصيح يهجم على كثير الظنة . من ألح في المسألة أبرم . خير  
 السخاء ما وافق الحاجة . الصمت يُكْسِبُ المحبة . لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلب  
 عليه الصدق . القلب قد يُتِّهم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مكسبة  
 للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فَكُنْ من الناس بين القرب والبعد ،  
 فإن خير الأمور أوساؤها . فسولة<sup>(٢)</sup> الوزراء أضّر من بُغِضِ الأعداء . خير القرناء

(١) الوشائظ : يقال هم وشبظة في قومهم أي حشوة فيهم .

(٢) فسلة فهو فسّل أي رذل لامرؤة له . والوزراء : جمع وزير وهو النصير والظاهر .



المرأة الصالحة، وعند الخوف حُسن العمل . من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله . لن يهلك امرؤ حتى يملّ الناس عتيد فعله ، ويشتدّ على قومه ، ويُعجّب بما ظهر من مروءته ، ويقتّر بقومه ، والأمر يأتيه من فوقه . ليس للفتال من حسن الثناء نصيب ، لأنّ ثناء مع العدم . العي أن تتكلم فوق ما تسدّ به حاجتك ، لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة ، أقل الناس راحة الحقود . من تعمد الذنب لا تحمل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يمن .

\* \* \*

( ٢ )

الرسائل

\* \* \*

( ١ ) كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين نخزاعة :

باسمك اللهم ، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو ابن ربيعة من نخزاعة : تحالفوا على التناصر والمواساة ، مآيل<sup>(١)</sup> ببحر صوفة ، حلفا جامعا غير مفرّق ، الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاهدوا أوكد عهد وأوثق عقد ، لا يُنقض ولا يُنكث ، ما أشرقت شمس على ثبير ، وحش بفلاة بعير ، وما أقام الأخشب<sup>(٢)</sup>ان ، واعتمر بمكة إنسان ، حلف أبداً لطول أمد ، يزيد طلع الشمس شداً ، وظلام الليل

(١) صوف البحر : نبات بحرى على شكل الصوف وقد يقصد به الإسفنج .

(٢) الأخشب<sup>(٢)</sup>ان : جبلان قربان من مكة .

مدا ، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خُزاعة متكاثون متظاهرون متعاونون . فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كلِّ طالب ، وعلى خُزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب ، أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى بالله جميلا .

\* \* \*

## ( ٢ ) كتاب أكرم بن صيفي إلى طي :

روى أبو الفضل المبداني في مجمع الأمثال أن أكرم بن صيفي كتب إلى طي يقول :

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، وإياكم ونكاح الحقاء ، فإن نكاحها غررٌ وولدها ضياع ، وعليكم بالخييل فأكرموها ، فإنها حصونُ العرب ، ولا تَضَعُوا رِقَابَ الإبل في غير حَقِّها ، فإن فيها ثمن الكريمة ورُقُوءُ الدَّمِ<sup>(١)</sup> ، وبالبانها يُتَحَفُّ الكبير ويغذى الصغير ، ولو أن الإبل كُلفت الطحن لَطَحَتْ . ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، والعدمُ عَدَمُ العقل لا عَدَمُ المال ، ولرجلٌ خيرٌ من ألف رجل . ومن عَتَبَ على الدهر طالت معتَبَتُهُ ، ومن رضى بالقسم طابت معيشتُهُ . وآفة الرأي الهوى ، والعادة أَمَلُكُ ، والحاجةُ مع المحبة خير من البُغْضِ مع الغنى . والدينيا دَوْلٌ : فما كان لك أُنَّاكَ على ضَعْفِكَ ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء ، والشَّهَادَةُ تُعْقِبُ ، ومن يَرَيوما يُرَبِّه . قيل الرِّمَاءُ ثَمَلًا<sup>(٢)</sup> الكِنَانُ<sup>(٣)</sup> .

(١) يريد مهرها .

(٢) رقا الدم : جف وسكن . والرقوء كعبور : ما يوضع على الجرح ليتوقف عن النزف .

(٣) القسم : القدر .

(٤) الرماء : مصدر رأى . والكنان : جمع كنانة وهي جمعة السهام .

الندامة مع السفاهة . دعامة العقل الحلم . خير الأمور مَغَبَّة الصَّبر . بقاء المودة عدل  
 التعاهد . من يَزُرْ غَيْبًا يَزِدْ حُبًّا . التَّغْرِير مفتاح البؤس . من التَّوَانَى والعجز نتجت  
 الملكة . لكل شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ <sup>(١)</sup> فَضَرَّ لِسَانُكَ بِالْخَيْرِ . عِيُّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيِّ  
 المنطق : الحزم حفظ ما كُتِّفَتْ وترك ما كُفِّيت . كثير التنصيح يهجم على كثير  
 الظَّنَّة . من أَلْحَفَ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَقُلَ . من سأل فوق حَقِّهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرِّفْقُ يَمْنُ ،  
 وَالْحَرَقُ شَوْمٌ . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ .

(١) الضراوة : التمرد .

\* \* \*

سيد حنفى



## وَبَعْدُ

فهذه هي المجموعة الأولى من « الروائع » تقدّمها وتقدّم معها هذا التصوّر الجديد لحركة الشعر في العصر الجاهلي على امتداد عصور أدبية ثلاثة شهدت ثلاث مدارس فنية ، ولسنا ندعى أننا وضعنا الصورة النهائية لحركة هذا الشعر ، أو أننا حدّدنا خطوات منهج مثالي لدراسة تطوره الفني ، وإنما كل ما نملكه أن نقول إنها محاولة ، وكل ما نتمناه أن نكون قد وفّقنا فيها ، وأن نرى بعد ذلك دراسة للشعر الجاهلي على أساس هذا التصوّر الجديد .

ولم تبق لنا بعد ذلك إلا كلمتان : كلمة تصحيح ، وكلمة توضيح .

أما الكلمة الأولى فتصحيح لموضع الشاعر أبي ذؤاد الإيادي من شعراء عصر البسوس ، فوضعه الصحيح تاريخياً قبل امرئ القيس . والرواة يذكرون أن امرأ القيس كان يروى شعره ، ويتوكأ عليه ، وأنه أخذ عنه وصف الخيل . وهو — على كل حال — من شعراء عصر المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة ( ٥١٢ — ٥٥٤ ) ، والعدو التقليدي لإمارة كندة من عصر حُجْر أبي امرئ القيس .

وأما الكلمة الأخرى فتوضيح لموقفنا من النصوص الجاهلية للشعراء المخضرمين ، فقد رأينا أن نوجّأها إلى المجموعة الثانية من هذه « الروائع » التي سنقدّمها للعصر الإسلامي الذي ينتهي — في تقسيمنا — بقيام الدولة الأموية ،



وذلك حتى لا تتوزع صورتهم الفنية بين المجموعتين ، ولا ينقطع خط حركتهم الفنية بينهما . ومن أجل ذلك لم تقف — مثلاً — عند لبسهم مع أنه من ألع شعراء العصر الجاهلي ، ولا عند معلقته وهي من أروع قصائد الشعر الجاهلي .

والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

عن اللجنة  
يوسف خليف

# الفهرس

\* \* \*

صفحة

مقدمة

٥

٩

مدخل إلى الروائع : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي

## القسم الأول

### كتاب الشعر

٦٧

عصر البسوس

٦٩

٧١

المهل

٧٤

( ١ ) بكائية

٧٧

( ٢ ) الداهية

٨٥

( ٣ ) صور من التهديد

٨٧

جيلة البكرية

٨٨

بين شقي الرحي

٩٣

امرؤ القيس

٩٨

( ١ ) من المعلقة

١٠٧

( ٢ ) صورة مثالية لحواد الصيد

١١٥

( ٣ ) متع ما بعد الصبا

صفحة	
١١٧	( ٤ ) ذكريات بعيدة
١٢٦	( ٥ ) الرحلة إلى قيصر
١٣٤	( ٦ ) نهاية المطاف
١٣٧	عمرو بن قميئة
١٣٩	( ١ ) يوم الرحيل ورحلة الوداع
١٤٣	( ٢ ) مجلس شراب ورحلة صيد
١٤٩	( ٣ ) طعنة غير طائشة
١٥٢	( ٤ ) المصير المحتوم
١٥٥	عبيد بن الأبرص
١٥٨	( ١ ) من المعلقة
١٦٢	( ٢ ) إنذار إلى امرئ القيس
١٦٦	( ٣ ) إنذار إلى زوجته
١٧٢	علقمة بن عبدة
١٧٣	الميمية المختارة
١٨١	السموأل بن حادياء
١٨٣	مواطن الفخر
١٨٦	أبو دؤاد الإيادي
١٨٦	رحلة صيد
١٨٨	لقيط بن يعمر الإيادي
١٩٠	إنذار ونصح

١٩٥	المرقش الأكبر
١٩٨	صورة من الصحراء
٢٠١	المرقش الأصغر
٢٠٣	إلى فاطمة
٢٠٦	ثعلبة بن صعبير
٢٠٧	( ١ ) رائية عمرة
٢١٠	( ٢ ) عتاد الحرب
٢١٣	المسيب بن علس
٢١٥	تيار الفرات
٢١٨	طرفة بن العبد
٢٢١	( ١ ) من المعلقة
٢٣٨	( ٢ ) رائية هر : العودة
٢٥٣	المناس
٢٥٤	وصية
٢٥٦	الحارث بن حلزة
٢٥٧	من المعلقة
٢٦١	عمرو بن كلثوم
٢٦٣	من المعلقة : صوت قومي
٢٧٠	ذو الإصبع المدواني
٢٧٢	بين الفخر والتحدى

صفحة

عصر داحس والغبراء

٢٧٧

٢٧٩

الطفيل الغنوى

٢٨١

منهج حياة

٢٨٤

أوس بن حجر

٢٨٧

( ١ ) رثاء عظيم

٢٩٠

( ٢ ) ليلة ممطرة

٢٩٥

( ٣ ) منظر صيد

٣٠٦

عترة بن شداد

٣٠٨

( ١ ) من المعلقة

٣١٢

( ٢ ) عتاب ونخر

٣١٥

( ٣ ) بطولة فارس

٣١٩

( ٤ ) فروسية وحب

٣٢٢

زهير بن أبى سلمى

٣٢٥

( ١ ) المعلقة

٣٣٢

( ٢ ) من مدائح هرم

٣٣٦

( ٣ ) من مدائح هرم أيضا

٣٤٠

( ٤ ) من مدائح هرم أيضا

٣٤٣

( ٥ ) هجائية



صفحة	
٢٤٧	المثقب العبدى
٣٥٠	( ١ ) مناجاة وعتاب
٣٥٣	( ٢ ) مناجاة ومدح
٣٥٨	عدى بن زيد
٣٦١	( ١ ) الخمرية المشهورة
٣٦٥	( ٢ ) تأملات فى سجن النعمان
٣٧٠	( ٣ ) سهام الدهر
٣٧٢	( ٤ ) منهج المنايا
٣٧٤	المنخل الإشكرى
٣٧٥	يا هند
٣٧٨	النايفة الديباني
٣٨٣	( ١ ) من المدح الحربى
٣٨٦	( ٢ ) المنجردة
٣٩٢	( ٣ ) المعلقة
٤٠٢	( ٤ ) اعتذارية
٤٠٤	( ٥ ) اعتذارية أخرى
٤٠٩	الأسود بن يعفر
٤١١	ذكريات وعزاء
٤١٥	سلامة بن جندل
٤١٦	أودى الشباب

صفحة

٤٢٠	الأخضس بن شهاب
٤٢٢	سيادة مطلقة
٤٢٦	الشنفري
٤٢٩	( ١ ) التائية المفضلية
٤٣٤	( ٢ ) المرقبة
٤٣٩	( ٣ ) وصية المملوك
٤٤١	تأبط شرا
٤٤٤	( ١ ) الفافية المفضلية
٤٤٩	( ٢ ) أليف الوحش
٤٥٢	( ٣ ) رفيق الغول

### عصر ذى قار

٤٥٧

٤٥٩	دريد بن الصمة
٤٦٠	رثاء بطل
٤٦٥	ساعدة بن جؤية
٤٦٥	تأملات فى الشيب والموت
٤٦٩	عبد يغوث بن وقاص الحارثى
٤٧١	تجربة قاسية
٤٧٣	الحارث بن ولة الحرمى
٤٧٤	فرار وافتخار

صفحة	
٣٧٦	حاتم الطائي
٤٧٨	(١) رؤية حاتمية
٤٨٠	(٢) تأصيل الرؤية الحاتمية
٤٨٣	عمرو بن الورد
٤٨٦	(١) صعلوك .. وصعلوك
٤٩١	(٢) حوار حول البخل والكرم
٤٩٤	(٣) دعوة نظرية وتطبيق عملي
٤٩٧	(٤) صور إنسانية من فلسفته
٥٠٤	(٥) تراث الصعلوك
٥٠٥	بشر بن أبي خازم .
٥٠٦	موت بطـل
٥٠٩	قيس بن الخطيم
٥١١	إدراك ثـار
٥١٤	الحادرة
٥١٥	مثل عربية عليا
٥١٧	الأعشى
٥٢٢	(١) المعلقة
٥٣٢	(٢) لامية عكاظ
٥٤٤	(٣) صورة من غزلياته
٥٥٠	(٤) صورة من نحرياته
٥٥٥	(٥) نصرذى قار

صفحة	
٥٦٠	أمية بن أبي الصلت
٥٦٤	( ١ ) الطوفان
٥٦٧	( ٢ ) صور من القصص الديني
٥٧٢	( ٣ ) أصحاب القيل
٥٧٤	( ٤ ) موعظة دينية

## القسم الثاني

### كتاب النثر

٥٧٧

٥٧٩	( ١ ) الخطابة
٥٧٩	( ١ ) الخطابة الاجتماعية
٥٧٩	( ١ ) إصلاح مرثد الخير
٥٨٣	( ٢ ) المنذر بن النعمان وعامر بن جوين
٥٨٦	( ٣ ) من خطب العرب أمام كسرى
٥٩١	( ٤ ) خطباء العرب تعزى سلامة ذا فائش
٥٩٢	( ٥ ) أكرم بن صيفى يعزى عمرو بن هند
٥٩٣	( ٦ ) خطبة أبي طالب في زواج الرسول ( ص )
٥٩٣	( ٧ ) خطبة هانيء الشيباني في يوم ذي قار
٥٩٤	( ب ) الخطابة الدينية وجميع الكهان
٥٩٤	( ١ ) قس بن ساعدة في سوق عكاظ
٥٩٤	( ٢ ) الكاهن الخزاعي
٥٩٥	( ٣ ) عوف بن ربيعة الأسدي

صفحة

٥٩٦

(٣) الوصايا والأمثال

٥٩٦

(١) وصية زهير بن جناب الكلبي لبنيه

٥٩٧

(٢) وصية حصن بن حذيفة لبني بدر

٥٩٧

(٣) وصية أمامة بنت الحارث لابنتها

٥٩٨

(٤) وصية لأكرم بن صيفي

٦٠١

(٢) الرسائل

٦٠١

(١) كتاب التحالف بين عبد المطلب ونخاعة

٦٠٢

(٢) كتاب أكرم بن صيفي إلى طيء

٦٠٥

وبعد

\* \* \*



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١١٧٣٥ / ٢٠٠١





الغلاف / عبد العزيز السماحي



Bibliotheca Alexandrina



0494790

٢٠